

تفسير
بيان السعادة
في
مقامات العبادة

تأليف
العارف الشهير
الحاج سلطان محمد الجنابذي
الملقب بسلطان علي شاه
طاب ثراه

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

بيان السعادة

في

مقامات العبادة

٣

بيان السعادة

في

مقامات العبادة

تأليف

العارف الشهير

الحاج سلطان محمد الجنابذي

الملقب بسلطان علي شاه

طاب ثراه

المجلد الثالث

منشورات

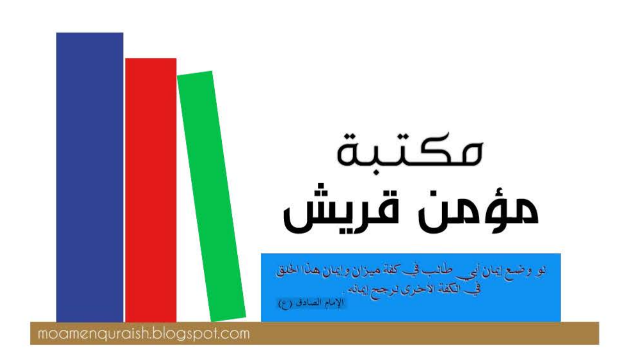
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الثانية

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م



مؤسسة الأعلمي للمطبوعات :
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة - ملك الاعلمي - ص.ب ٧١٢٠ ،
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

سورة مريم

مكّيّة بتمامها ، وهى ثمانٍ وتسعون آيةً

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[كٓهيعٓصٓ] قد سبق فى اوّل البقرة ما به غنية عن بيان امثال هذا، وذكر فى خصوص هذا انّه اشار بالكاف الى كربلاء ، وبالهاء الى هلاكة اهل البيت ، وبالياء الى يزيد ، وبالعين الى عطشهم ، وبالصّاد الى صبرهم . ونسب الى امير المؤمنين (ع) انّه قال فى دعائه : اسألك يا كهيعص ، وقرئ باخفاء نون عين والقياس اظهاره لانّ سكون الحروف المقطّعة فى اوائل السّور عرضىّ بعرض الوقف بنيّة الوصل فلا ينبغى اجراء حكم السّكون والوصل عليها [ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيّٰا] قرئ ذكر مصدراً مرفوعاً، وفعلاً ماضياً من الثّلاثىّ ، وامراً من التّفعيل، وعلى الاوّل كان خبراً لماقبله اولمحذوفٍ اومبتدءٍ لمحذوفٍ ، اومبتدءً خبره زكريّا ، اوخبره اذنادى ، ورحمة ربّك ، فاعل المصدر مضافاً اليه اومفعوله ، والفاعل محذوف اى ذكر ربّك رحمة ربّك عبده ، اوالفاعل زكريّا او رحمة ربّك ، مضاف اليه لادنى ملابسةٍ والفاعل مثل سابقه والمعنى ذكر ربّك برحمته عبده، وعبده مفعول الذّكر اوالرّحمة وزكريّا بدل منه اوعطف بيانٍ اوفاعل الذّكر اومفعوله اوخبر منه ، وكون زكريّا خبراً للذّكر باعتبار انّ الكامل وجوده ذكر للرّبّ ، وزكريّا بالمدّ والقصر وتشديد الياء ، وكذا بتشديد الياء وتخفيفه بدون المدّ والقصر اسم [اِذْ نٰادىٰ رَبَّهُ] اذ ظرف للذّكر اوللرّحمة اومفعول للذّكر اوخبر له اوبدل من الرّحمة اومن عبده اومن زكريّا نحو بدل الاشتمال [نِدٰاءً خَفِيًّا] لضعف الشّيخوخة اولانّه كان اقرب الى الاخلاص اولخوف اطّلاع الموالى على طلبه للولد ومعاندتهم له بذلك اولخوف اطّلاع الخلق على طلبه للولد وقت اليأس عن الولد وملامتهم له على ذلك [قٰالَ رَبِّ اِنّى وَهَنَ الْعَظْمُ مِنّى] اظهار لعجزه ومسكنته مقدّمة للدّعاء، اواظهار ليأسه عن الولد واتّكاله فى دعائه على محض فضله من دون مدخليّة الاسباب الطّبيعيّة [وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ اَكُنْ بِدُعٰائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَاِنّى خِفْتُ الْمَوٰالِىَ] فى الارث الصّورىّ من التّضييع والنّزاع والخلاف ، اوفى الارث المعنوىّ من الاختلاف وتضييع العباد، وهذا اشعار بانّ دعاءه خالٍ من مداخلة الهوى مقدّمة للاجابة، وقرئ خفت بضمّ التّاء من الخوف وخفّت الموالى بكسر التّاء وتشديد الفاء من الخفّة يعنى خفّت الموالى [مِنْ وَرٰائى] ولم يكن لهم حلم يمكنهم به تحمّل متاعب

الهداية من العباد [وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا] اظهار ليأسه من الاسباب واتّكاله في دعائه على فضله ، والعاقر يستوى فيه المذكّر والمؤنّث [فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ] لامن الاسباب ليأسي من الاسباب [وَلِيًّا] يلي اموري بحسب الظّاهر والباطن [يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ] قرئ بالرّفع والجزم،وقرئ وارث آل يعقوب بنصب وارث واضافته على ان يكون حالاً من احد الضّميرين ، وقرئ اويرث آل يعقوب على التّصغير ، ووارث من آل يعقوب بالرّفع على ان يكون فاعل يرثني [وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا] مرضياً [يَا زَكَرِيَّا] جواب سؤال مقدّر بتقدير القول كأنّه قيل : ماقال في جوابه ؟- فقال: قال الله: يا زكريّا [إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ] ولد ذكر [اسْمُهُ يَحْيَىٰ] الجملة صفة للغلام اوجواب سؤال مقدّر [لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا] هذه صفة بعد صفة اوحال اوجواب لسؤال مقدّر والمراد بالسّمىّ المشارك في الاسم، اوالمماثل في الوصف والحال [قَالَ] قد تكرّر فيما سلف انّ امثال هذه جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: فما قال زكريّا(ع) ؟- فقال: قال [رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ] استفهام للتّعجّب، واستغرابه كان من قبل الاسباب لامن عطاء مسبّب الاسباب ولذلك ذكر عدم المساعدة من جهة الاسباب [وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا] قرئ عتياً بضمّ العين وكسرها وهو مصدر بمعنى الكبر اوبمعنى يبس الجلد وجفافه ونحول العظم والمفاصل، وقرئ عسيّاً بالسّين بمعناه [قَالَ] جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه استبعد من مقام الانبياء(ع) مثل هذا الاستغراب فقيل: أقال زكريّا ذلك ؟- فقال: قال [كَذَٰلِكَ] اوقال الله اوالملك المبشّر الامر كذلك او كذلك مفعولٌ لقوله [قَالَ رَبُّكَ] وقوله [هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ] بيان لكذلك والمجموع مفعول قال الاوّل ، وقرئ وهو علىّ هيّنٌ بواو العطف والمعنى انّي لاحاجة لي الى الاسباب حتّى تستغرب به بالنّظر الى الاسباب [وَقَدْ خَلَقْتُكَ] قرئ خلقناك [مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا] وايجاد المعدوم اصعب من جعل العاقر ولوداً، عن ابي جعفر(ع) : انّما ولد يحيى بعد البشارة من الله بخمس سنين [قَالَ] زكريّا(ع) [رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً] علامة اعرف بها الميعاد ووقت الانجاز لاصدق الوعد فانّه بعيدٌ عن مقام الانبياء(ع) [قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ] اى لاتقدر على التّكلّم مع الخلق دون المناجاة مع الله [ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا] حال لكونك سليماً غير ذى علّة بلسانك والمراد ثلاث ليال بايّامها فانّه يستعمل اليوم او اللّيل ويراد به دورة الفلك الاطلس بليلها ويومها ولذلك قال في سورة آل عمران: ثلاثة ايّام الّا رمزاً نقل انّه اعتقل لسانه عن التّكلّم مع النّاس ولم يعتقل عن ذكر الله [فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ] من مصلّاه،سمّى المصلّى محراباً لكونه محلّ محاربة الشّيطان، قيل: وكان زكريّا(ع) قد اخبر قومه بما بشّر به فلمّا خرج عليهم وامتنع من كلامهم علموا اجابة دعائه فسرّوا به [فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ] اومى اليهم ، وقيل: كتب في الارض [أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا] صلّوا في الصّباح والمساء، اوسبّحوا الله فيهما، اوفي جملة اوقاتكم فأنّه يستعمل هذان اللّفظان في استغراق الاوقات [يَا يَحْيَىٰ] هو بتقدير فأعطيناه الغلام وقوّيناه وآتينا الكتاب وقلنا يا يحيى [خُذِ الْكِتَابَ] اى النّبوّة اوالرّسالة اوكتاب التّوراة [بِقُوَّةٍ] وعزيمة من قلبك وهو اشارة الى التّمكين في مقام النّبوّة فانّ التّلوين لايليق بصاحب النّبوّة [وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ] اى الرّسالة والقدرة على المحاكمة بين الخصوم، اوالنّبوّة والحكم بين المخاصمين في وجوده من قواه وجنوده، اوالولاية وآثارها الّتي هي الدّقّة في العلم والعمل [صَبِيًّا وَحَنَانًا] الحنان

كالسّحاب الرّحمة والرّزق والبركة والهيبة والوقار ورقّة القلب وهو عطف على الحكم بمعنى اعطيناه رحمة من لدنّا اوبركة (الى آخر معانيه) فصار مرحوماً اوذابركة (الى آخرها) اوبمعنى اعطيناه رحمة فصار راحماً وبركة على الغير، اوهو بمعنى اسم الفاعل اوالمفعول وعطف على صبيّاً والمعنى آتيناه الحكم حالكونه راحماً اومرحوماً [مِنْ لَدُنّا] وحينئذ يجوز ان يكون من لدنّا متعلّقاً بآتينا اى آتيناه الحكم من لدنّا حالكونه صبيّاً وراحماً اومرحوماً [وَزَكٰوةً] هى فى الاعراب مثل حناناً والزّكوة صفوة الشّىء اوصدقة تخرجها من مالك لتطهّر الباقى اونماء المال [وَكٰانَ تَقِيًّا وَبَرًّا بِوٰالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبّٰارًا] متكبّراً متطاولاً بالنّسبة الى الخلق [عَصِيًّا] بالنّسبة الى الحقّ [وَسَلاٰمٌ عَلَيْهِ] اى تحيّة منّا عليه، اوسلامة وامن من الآفات البدنيّة والنّفسانيّة عليه [يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا] ولمّا كان الاوقات الثّلاثة اوّل الخروج والدّخول فى عالم آخر وهو وقت الانقطاع من المألوف والاتّصال بغير المألوف وكلاهما موحش للانسان خصّصها بالذّكر [وَاذْكُرْ فِى الْكِتٰابِ مَرْيَمَ اِذِ انْتَبَذَتْ] تنحّت [مِنْ اَهْلِهٰا] واستعمال الانتباذ للاشارة الى انّها ذهبت الى تلك النّاحية بحيث كأنّها نبذها نابذ فانتبذت من اهلها [مَكٰانًا شَرْقِيًّا] قيل ذهبت وانعزلت من اهلها فى دار زكريّا الى مشرق الدّار للخلوة للعبادة اوللاغتسال، اوالى مشرق البلد خارج البلد للاغتسال، اوالى مكان يشرق عليه الشّمس لانّها خرجت فى يوم شديد البرد فجلست للاستدفاء بالشّمس، اوالى الفرات الى النّخلة اليابسة للغسل قبل الحمل، اوللطّلق بعد الحمل ويكون قوله [فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجٰابًا] من قبيل عطف التّفصيل على الاجمال ولايكون الفاء للتّرتيب المعنوىّ، واتّخاذ الحجاب كان فى المحراب اوفى المغسل اوفى محلّ شروق الشّمس [فَأَرْسَلْنٰا اِلَيْهٰا رُوحَنٰا] يعنى جبرئيل(ع) اوالرّوح الّذى هو فوق جبرئيل، والتّشريف بالاضافة يقتضى ان يكون هذا هو المراد، على انّ التّوجّه الى البشر وتربية آدم انّما هو من الرّوح الّذى هو ربّ النّوع الانسانىّ وهو اعظم من الملائكة كلّهم [فَتَمَثَّلَ] اى تصوّر بصورة [لَهٰا بَشَرًا سَوِيًّا] قيل تمثّل فى صورة شابّ سوىّ الخلقة [قٰالَتْ] بحسب اعتيادها التّعوّذ بالله عند كلّ مخوف [اِنِّى اَعُوذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ اِنْ كُنْتَ تَقِيًّا] متّقياً معتنياً باستعاذتى خائفاً من الله، وقيل: انّه كان رجلاً مسمّى بالتّقى وكان مشهوراً بالفجور فظنّت انّه هو حيث رأته لايتّقى من النّظر الى الاجنبيّة ، وقيل: ان نافية والمعنى ماكنت متّقياً من الشّرّ لانّك نظرت الى ما لايجوز لك النّظر اليه [قٰالَ اِنَّمٰا اَنَا رَسُولُ رَبِّكِ] فلا تستعذى منّى به [لِأَهَبَ] قرئ بالتّكلّم والغيبة [لَكِ غُلاٰمًا زَكِيًّا] طاهراً من الذّنوب وممّا يتلوّث به البشر اونامياً اومباركاً اومتنعّماً اوصالحاً [قٰالَتْ اَنّٰى يَكُونُ لِى غُلاٰمٌ] استفهام للتّعجّب والتّحيّر من غلام من غير اسباب التّوالد مورث للّوم والاتّهام [وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ] يعنى بطريق النّكاح المشروع فانّه يكنّى به عنه كثيراً وبقرينة قولها [وَلَمْ اَكُ بَغِيًّا] البغىّ و البغوّ الامة الفاجرة وكلّ فاجر [قٰالَ كَذٰلِكِ قٰالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ] قد مضى نظيره [وَلِنَجْعَلَهُ] عطف على مقدّر او متعلّق بمعطوف مقدّر اى نفعل ذلك لنجعله [آيَةً] دالّة على آلهتنا وعلى سعة علمنا وقدرتنا على ما لايقدر عليه احد من الايلاد من غير والد ومن احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونفخ الرّوح فى الطّين وجعله حيّاً [لِلنّٰاسِ وَرَحْمَةً مِنّٰا] عليهم [وَكٰانَ اَمْرًا مَقْضِيًّا] محتوماً [فَحَمَلَتْهُ] بان نفخت فى جيب مدرعتها، واختلف فى مدّة حملها فمافى الاخبار الصّحيحة انّ مدّة حملها كانت تسع ساعات بحذاء تسعة اشهر، وفى بعضها: انّها كانت ساعة ،

وقيل : انّها كانت ثمانية اشهر اوسبعة اوستّة اشهر . وعن الباقر (ع) انّه تناول جيب مدرعتها فنفخ فيه نفخة فكمل الولد فى الرّحم من ساعته كما يكمل فى ارحام النّساء تسعة اشهر فخرجت من المستحمّ وهى حامل مجحّ[1] مثقل فنظرت اليها خالتها فأنكرتها ومضت مريم (ع) على وجهها مستحيية من خالتها ومن زكريّا (ع) [فَانْتَبَذَتْ بِهِ] فانعزلت مع الحمل [مَكَانًا قَصِيًّا] بعيداً ، عن السّجاد (ع) خرجت من دمشق حتّى اتت كربلاء فوضعت فى موضع قبر الحسين (ع) ثمّ رجعت فى ليلتها ، **اقول** : موضع مريم (ع) معروف فى سمت الرّأس من مشهده (ع) [فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ] اى حركة الولد للطّلق مخضت المرأة كمنع وسمع وعنى مخاضاً بفتح الميم ومخاضاً بكسرها ومخّضت تمخيضاً وتمخّضت اخذها الطّلق [اِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ] اليابسة الّتى اُلهمت ان تأتيها ، والجذع ما بين العرق والغصن [قَالَتْ] بعدما ولدت عيسى (ع) ونظرت اليه [يَا لَيْتَنِى مِتُّ] قرئ بكسر الميم وضمّها [قَبْلَ هٰذَا] قالت ذلك استحياء ومخافة لومهم [وَكُنْتُ نَسْيًا] قرئ بكسر النّون وهو اجود اللّغتين وبفتحها وهو فى الاصل مصدر يستعمل فى الشّيء الحقير الّذى من شأنه ان ينسى وفيما يلقى من الشّيء ولا يعتنى به [مَنْسِيًّا] التّوصيف به للمبالغة [فَنَادٰيهَا مِنْ تَحْتِهَا] قرئ بكسر الميم وفتحها والمنادى كان عيسى (ع) اوجبرئيل (ع) [اَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا] شريفاً [وَهُزِّى اِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ] هزّه وبه حرّكه [تُسَاقِطْ] قرئ بضمّ التّاء الفوقانيّة وتخفيف السّين وكسر القاف ، وقرئ يساقط بفتح الياء التّحتانيّة وتشديد السّين وبفتحها وتخفيف السّين وبفتح التّاء الفوقانيّة وتشديد السّين [عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِى وَاشْرَبِى] من الرّطب والماء ، اوكلى ممّا يتغذّى به واشربى ممّا يشرب فى هذا المكان اومطلقاً [وَقَرِّى عَيْنًا] بهذا الولد فانّه لا ينبغى ان تحزنى بسببه ولا تكترثى بما توهّمت من لوم الجهّال [فَاِمَّا تَرَيِنَّ] اى فان ترى [مِنَ الْبَشَرِ اَحَدًا] فسألك عن ولدك [فَقُولِى اِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْمًا] اى سكوتاً ولكونه بمعنى السّكوت فرّع عدم التّكلّم عليه ، قيل: كان فى بنى اسرائيل انّه من اراد ان يجتهد فى العبادة صام عن الكلام كما يصوم عن الطّعام ، ولذلك استعمل الصّوم فى عدم التّكلّم [فَلَنْ اُكَلِّمَ الْيَوْمَ اِنْسِيًّا] قيل : صارت مأذونة لهذا القدر من الكلام ، وقيل: كانت تُفهم بالاشارة انّها صائمة ولا تتكلّم ، قيل: لفّته فى خرقة [فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا] بعد ما رأوها حاملةً لمولود ولم يكن لها زوج [يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا] الفرىّ الامر المختلق المصنوع اوالعظيم [يَا اُخْتَ هٰرُونَ] قيل: كان هارون امرءً صالحاً فنسبوها اليه استهزاءً اولصلاحها وعبادتها ، وقيل: انّ هارون كان اخاها لابيها ، وقيل: انّ هارون كان معروفاً بالفسوق فنسبوها اليه [مَا كَانَ اَبُوكِ امْرَءَ سَوْءٍ] حتّى اكتسبت هذا الفعل منه [وَمَا كَانَتْ اُمُّكِ بَغِيًّا] بغت المرأة فجرت فهى بغىّ وبغوّ [فَأَشَارَتْ اِلَيْهِ] ان كلّموه واسألوه [قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِى الْمَهْدِ] يعنى شأنه ان يكون فى المهد [صَبِيًّا] قيل: غضبوا من ذلك وقالوا: سخريّتها بنا أشدّ علينا من زناها [قَالَ] عيسى (ع) [اِنِّى عَبْدُ اللّٰهِ] اقرّ لنفسه بالعبوديّة اوّلاً لئلّا يتموهّموا ماتوهّموه لكونه بلا اب وتكلّمه حين الولادة من انّه ابن الله اوانّه هو الله ، اوانّه ثالث ثلاثة [اٰتَانِىَ الْكِتَابَ] اتى بالماضى لتحقّق وقوعه ، اولتحقّق استعداده ، والمراد بالكتاب الانجيل اوكتاب النّبوّة [وَجَعَلَنِى نَبِيًّا وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا] كثير الخير نفّاعاً اونامياً فى الخير

(١) مجّح بتقديم الجيم على الحاء المشدّدة بمعنى عظيم البطن .

[اَيْنَما كُنْتُ وَاَوْصانِي بِالصَّلٰوةِ وَالزَّكٰوةِ مادُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوالِدَتِي] قرئ برّاً بفتح الباء وصفاً بمعنى كثير البرّ وحينئذٍ يكون عطفاً على مباركاً ويلزم منه الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه ، اوعطفاً على اوصانى بتقدير جعلنى، وقرئ برّاً بكسر الباء مصدراً فيكون عطفاً على الصّلوة [وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبّارًا] متجبّراً متكبّراً [شَقِيًّا وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَومَ اَمُوتُ وَيَوْمَ اُبْعَثُ حَيًّا] تغيير السّلام مع قوله تعالى سلامٌ عليه بالتّعريف والتّنكير وبنسبة الاوّل الى الله والثّانى الى عيسى (ع) نفسه يعلم وجهه من تفاوت مقام عيسى (ع) ويحيى (ع) [ذٰلِكَ] المذكور ممّن اقرّ لله بالعبوديّة [عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ] لامن قالوا با لٰهته اوبنوّته لله [قَوْلَ الْحَقِّ] قرئ بالرّفع على ان يكون بدلاً من عيسى (ع) اوخبراً بعد خبرٍ، اوخبراً لمبتدءٍ محذوفٍ اى هذا الكلام قول الحقّ، اوهو يعنى عيسى (ع) قول الحقّ، وقرئ قول الحقّ بالنّصب فيكون مفعولاً مطلقاً مؤكّداً لغيره، والاضافة بيانيّة اى اقول قولاً هو الحقّ اوبتقدير اللّام اى هو قول الله [الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ] اى يشكّون اويجادلون وينازعون بان يقول اليهود هو لغير رشده اوساحر ويقول النّصارى هو ابن الله، اوهو الله، اوهو واحد من الثّلاثة [ما كانَ لِلّٰهِ] اى ماصحّ وماامكن لله فانّ هذه الكلمة تستعمل ويرادبها نفى الامكان [اَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ] كمايقوله بعض النّصارى [سُبْحانَهُ] اى نزّه نزاهته من المجانسة مع الولد والاحتياج الى الصّاحبة [اِذا قَضى اَمْرًا فَاِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ] فليس كون عيسى (ع) بلااب سبباً للقول بانّه ولد لله [وَاِنَّ اللّٰهَ رَبِّي] قرئ بفتح الهمزة بتقدير اللّام متعلّقاً بقوله فاعبدوه والفاء زائدة ، اوبتقدير امّا اوبتوهّمها ، اويكون انّ وما بعدها عطفاً على الصّلوة،وقرئ بكسر الهمزة معطوفاً على انّى عبدالله،اوابتداء كلام من الله بتقدير قل خطاباً لمحمّد (ص) يعنى قل يامحمّد (ص) انّ الله ربّى [وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذا] المذكور من الجمع بين اعتقاد ربوبيّة الله والعبادة له الّذى هو كمال القوّتين العلّامة والعمّالة، اومن العبادة والخروج من الانانيّة والاستقلال بالرّأى والدّخول تحت الامر الآلهىّ [صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ] الى الله وقد مضت الآية فى سورة آل عمران [فَاخْتَلَفَ الْاَحْزابُ مِنْ بَيْنِهِمْ] الاحزاب جمع الحزب والحزب كلّ جماعةٍ منقطعةٍ عن غيرهم برأيٍ اوصنعةٍ ، ولفظة من امّا ابتدائيّة والظّرف حال من الاحزاب اوزائدة ، وبينهم ظرف للاختلاف واختلافهم كان فى ان قال بعضهم: انّه هو الله ، وبعضهم: هو ابن الله ، وبعضهم: هو واحد من الثّلاثة، وبعضهم: هو وامّه آلهان [فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا] باعتقاد الخلاف فى المسيح (ع) [مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ] والمشهد امّا مصدر ميمىّ اواسم مكان [اَسْمِعْ بِهِمْ وَاَبْصِرْ] هو صيغة التّعجّب [يَوْمَ يَأْتُونَنا] لانّ الابصار تصير فى ذلك اليوم حديدة [لٰكِنِ الظّالِمُونَ] وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بعلّة الحكم وتفضيحاً لهم بذكر وصف ذمٍّ لهم يعنى انّهم ظالمون والظّالمون [الْيَوْمَ] يعنى فى الدّنيا [فِي ضَلالٍ مُبِينٍ] يعنى انّهم صمّ بكم عمى عن الحقّ فى الدّنيا ، ولاينفعهم حدّة البصر فى الآخرة ، ويجوز ان يكون المعنى ابصر الظّالمين فيكون الباء للتّعدية دون الهمزة ويكون يوم يأتوننا مفعولاً به اوظرفاً ، ويكون معنى قوله لكن الظّالمون اليوم لكنّ الظّالمون يوم يأتوننا اويوم الدّنيا فى ضلالٍ مبينٍ ، ويجوز ان يكون المعنى ابصرهم بسبب الانبياء (ع) ويكون يوم يأتوننا مفعولاً ثانياً اوظرفاً وقوله لكن الظّالمون اليوم فى ضلالٍ مبينٍ على المعنيين المذكورين [وَاَنْذِرْهُمْ] يا محمّد (ص) [يَوْمَ الْحَسْرَةِ] اى حسرة الكفّار على مافرّطوا فى جنب الله اوحسرة الكفّار على التّفريط والدّانين من المؤمنين على تقصيرهم

فى العمل [اِذْقُضِيَ الْاَمْرُ] بدل من يوم الحسرة والمعنى اذقضى امر الخلائق وحسابهم فيدخل اهل الجنّة الجنّة واهل النّار النّار ويؤتى بالموت فى صورة كبش فيوقف بين الجنّة والنّار بحيث يراه اهل الجنّة واهل النّار جميعاً ثمّ ينادون اشرفوا وانظروا الى الموت فيشرفون وينظرون ثمّ يذبح الموت ثمّ يقال يا اهل الجنّة خلود فلاموت ابداً، ويا اهل النّار خلود فلاموت ابداً. اعلم، انّ الانسان من اوّل استقرار مادّته فى الرّحم فى الخلع واللّبس، وفى التّرك والاخذ، وفى البيع والشّراء، وفى الموت والحيوة، وفى النّشر والحساب، وهذه الحال مستمرّة له الى انقضاء الحيوة الدّنيا وبعد انقضاء الحيوة الدّنيا ان كان من اهل البرزخ كان عليه هذه الحالة الى انقضاء البرزخ والوصول الى الاعراف، وبعد الوصول الى الاعراف والحكم على اهل النّار بدخول النّار وعلى اهل الجنّة بدخول الجنّة يتمّ تلك الاحوال وينقضى ذلك الاستبدال وينقطع الموت وهذا معنى قضاء الامر وذبح الموت [وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ] حال من جملة انذرهم [وَهُمْ لَايُؤْمِنُونَ اِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْاَرْضَ] جوابٌ لسؤال مقدّر ولذلك اكّده استحساناً كأنّه قيل: اذا قضى الامر من كان فى الدّنيا ومن كان مالكاً فيها ؟ـ قال تعالى: انّا نرث الارض يعنى ينقضى الانانيّات ولايبقى حين قضاء الامر لاحدٍ مالكيّة وانانيّة، ويظهر انّ الارض والانانيّات الّتى تكون مصدراً للمالكيّة كانت كلّها لله [وَمَنْ عَلَيْهَا] فانّ من عليها عبارة عن الانانيّات الّتى يتراءى انّها غير الله [وَاِلَيْنَا يُرْجَعُونَ] يعنى انّ الاملاك والملّاك الّذين هم عبارة عن الانانيّات تخلّف عنهم ونحن نرثها وذواتهم من دون املاكهم وانانيّاتهم ترجع الينا بالحشر الى مظاهر القهر اومظاهر اللّطف [وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ اِبْرٰهِيمَ] فانّ ذكر الاخيار وذكر احوالهم وسيرهم وسماعها واستماعها مؤثّرة فى النّفوس وجاذبة لها الى جهة العلو، كما انّ ذكر الاشرار وذكر احوالهم وسيرهم زاجرة للنّفوس الخيّرة [اِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا] تعليل لسابقه، والصّدّيق مبالغة فى الصّادق وهو الّذى يصير صادقاً فى اقواله وافعاله وعلومه واحواله ونيّاته واخلاقه بحيث يؤثّر صدقه فى مجاوره فيصير سبباً لصدقه، وصدق المذكورات بان تكون مطابقة لما ينبغى ان يكون الانسان عليه، ولازم هذا ان يصير صاحبه نبيّاً ولذلك قال صدّيقاً [نَبِيًّا] اعمّ من الرّسول [اِذْ قَالَ لِاَبِيهِ] اذ تعليل لسابقه اواسم خالص بدل من ابراهيم (ع) بدل الاشتمال، اوظرف لكان اولصدّيقاً اونبيّاً وقد سبق ذكر الاختلاف فى كونه اباه اوجدّه لامّه اوعمّه [يَا اَبَتِ] تلحق التّاء بالاب مضافة الى الياء للاستعطاف اوللتّعطّف ولذلك كرّر لفظ يا ابت [لِمَ تَعْبُدُ مَا لَايَسْمَعُ] استفهام انكارىّ والتّعليق على الموصول للاشعار بعلّة الانكار [وَلَايُبْصِرُ] فانّ غير السّميع البصير لايتأتّى منه ما يطلب من المعبود [وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا] شيئاً قائم مقام المصدر اى لايغنى عنك اغناء ولايقوم مقامك قياماً ما، اوهو مفعولٌ به للايغنى اى لايغنى عن حركتك شيئاً من الجلب والدّفع بان يجلب نفعاً اويدفع ضرّاً بدون الاحتياج الى حركتك وتسبيبك فيه [يَا اَبَتِ] تكرار النّداء والمنادى للتّعطّف اوالاستعطاف كماذكر سابقاً [اِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ] من العلم حال مقدّم [مَالَمْ يَأْتِكَ] واستعمال المجىء للاشارة الى انّ علمه ليس كسبيّاً تحصيليّاً وانّما هو من الله قال ذلك ليكون حجّة على الامر باتّباعه ولذلك قال [فَاتَّبِعْنِي] بفاء الجزاء [اَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا] مستوى الطّرفين اوكناية عن المستقيم [يَا اَبَتِ لَاتَعْبُدِ الشَّيْطَانَ اِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ عَصِيًّا يَا اَبَتِ اِنِّي اَخَافُ اَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ] لكون العذاب والرّحمة الرّحيميّة صورتى الرّحمة الرّحمانيّة نسب العذاب الى الرّحمن [فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا] موالياً اوقريناً [قَالَ اَرَاغِبٌ اَنْتَ عَنْ اٰلِهَتِي يَا اِبْرٰهِيمُ] اتى بألفاظٍ غليظة فى مقابلة استعطافه اشعاراً بغضبه

وتغيّره عن ارشاده ثمّ هدّده فقال [لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ] عمّا انت عليه من ازدراء الآلهة والرّغبة عنها اومن ادّعاء الارشاد والهداية [لَأَرْجُمَنَّكَ] بالشّتم والعيب، اولارجمنّك بالحجارة، اوهوكناية عن القتل فاحذرنى [وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا] برهة من الزّمان اوساعة طويلة [قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ] قابل اساءته فى اللّفظ بالاحسان فيه وودّعه بعد ما امره بالهجرة [سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي] قابل تهديده بالرّجم بالاستغفار من الله وطلب التّوفيق له [إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ] حال ممّا تدعون وسرّ التّقييد بذلك الاحتراز عن دعاء الخلفاء فانّهم ليسوا من دون الله بل من الله ودعاؤهم ايضاً من الله [وَأَدْعُو رَبِّي] والدّعاء ههنا كناية عن العبادة [عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا] خائباً ضائع السّعى مثلكم فى دعاء آلهتكم وصدّر الحكم بعسى للتّواضع وهضم النّفس ولانّ الاجابة والاثابة بيدالله وليس الّا محض التّفضّل وليس للعباد الّا الرّجاء فانّ الخاتمة غيب، ومعايب العمل مخفيّة، والثّبات على حال العبادة الى آخر العمر غير معلوم [فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ] بالهجرة الباطنيّة عن مقام النّفس الّتى هى كانت موافقةً لهم اوبالهجرة الى الشّام [وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ] بدل من فارقهم لم يذكر اسماعيل(ع) لتشريفه بذكره فيما بعد مستقّلاً، اولانّ تشريف ابراهيم(ع) فى انظارهم كان باسحاق ويعقوب(ع) لانّ انبياء(ع) بنى اسرائيل كانوا منهما [وَكُلًّا] منهما [جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا] ما يمكن ان يوهب للانسان اومن رحمتنا بنفسه مفعول لكون من التّبعيضيّة اسماً اوقائماً مقام المفعول الموصوف لقوّة معنى البعضيّة فيه ، اوالمفعول محذوف اى وهبنا لهم من رحمتنا محمّداً(ص)، حذفه لظهوره فى المقام اولادّعاء ظهوره [وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا] لسان الصّدق عبارة عن الثّناء الجميل على لسان الخلق ، والمراد بالعلىّ الثّناء البالغ المرتفع، اوالمراد بالعلىّ علىّ بن ابى طالب(ع) فانّه كان لسان صدق له فى الآخرين لم يكن لسان صدق اشرف منه ، والتّعبير باللّسان عن الثّناء لكونه صادراً منه وجارياً عليه ، نسب الى علىّ(ع) انّه قال : لسان الصّدق للمرء يجعله الله فى النّاس خير من المال يأكله ويورّثه [وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا] قرئ بكسر الّلام وفتحها يعنى انّه اخلص عبادته عن الاشراك ، اواخلصه الله لعبادته اولنفسه [وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا] تكرار كان للاشارة الى انّ كلّاً شرف له بنفسه والمراد بالنّبىّ الرّفعة او النّبوّة وكان تأكيداً للرّسول فانّ الرّسول متضمّن للنّبوّة ومستلزم للرّفعة وقد سبق الفرق بين الرّسول والنّبىّ والامام والمحدّث عند قوله وانمهما اكبر من نفعهما من سورة البقرة ، وذكر هناك معنى حديث انّ الرّسول يسمع الصّوت ويرى فى المنام ويعاين الملك فى اليقظة ، والنّبىّ هو الّذى يرى فى المنام ويسمع الصّوت ولايعاين الملك ، والمحدّث هو الّذى لايرى ولايعاين ويسمع الصّوت [وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ] وصف للجانب فانّ المراد بحسب التّأويل من الطّور هو الصّدر المنشرح بالاسلام، وجانبه الايمن هو الجهة الّتى تلى العقل والغيب [وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا] حال عن الفاعل او المفعول اوكليهما فانّ النّجىّ مصدر ووصف مطلق على المفرد والاكثر من المفرد [وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا] و هذا تشريف له [أَخَاهُ هَارُونَ] لمعاضدته وموازرته ولاجابة دعوته من قوله واجعل لى وزيراً من اهلى هارون اخى [نَبِيًّا] حال كونه نبيّاً بالاستقلال اومشاركاً للنّبىّ لا انّه كان نبيّاً بالاستقلال وكان هارون اسنّ من موسى(ع) ، وورد انّ موسى(ع) عاش مائة وستّة وعشرين سنة، وعاش هارون مائة وثلاثة وثلاثين سنة [وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ] بن ابراهيم(ع) [إِنَّهُ كَانَ

صَادِقَ الْوَعْدِ] لانـّه كما فى الخبر وعد رجلاً وانتظره سنة ً لانّ الرّجل نسى ، ونقل انـّه انتظره ثلاثة ايـّام وقيل : انّ اسماعيل بن ابراهيم (ع) مات قبل ابراهيم (ع) وهذا اسماعيل بن حزقيل بعثه الله الى قومه فأخذوه فسلخوا فرقة رأسه ووجهه فأتاه ملك فقال : انّ الله جلّ جلاله بعثنى اليك فمرنى بما شئت فقال : لى اسوة بالانبياء (ع) او بالحسين بن علىّ (ع) [وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلٰوةِ وَالزَّكٰوةِ] قد مضى فى اوّل البقرة تحقيق الصّلوة والزّكوة ولمّا كان الاهتمام بامر من كان تحت اليد امراً مهتمّاً به مرغوباً فيه مندوباً شرّفه بذكر هذه الخصلة ولشرافة هذه الخصلة عقّبه بقوله [وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا] كأنّه قال ولذلك كان عند ربّه مرضيّاً [وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِدْرِيسَ] اسمه اخنوخ فى التّوراة وكان سبط شيث (ع) وجدّ ابى نوح (ع) وكان اوّل من خاط اللّباس وألهمه الله تعالى علم الحساب والهيئة والنّجوم، وقيل: سمّى ادريس لكثرة دراسته ولعلّه كان فى لغتهم بهذا المعنى والّا فان كان عربيّاً مشتقّاً من الدّرس كان منصرفاً [إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا] بحسب الرّتبة اوبحسب المكان كما ورد انّ الله تعالى رفعه حيّاً الى السّماء الرّابعة اوالسّادسة وهو حىّ اوقبض روحه فى السّماء الرّابعة [أُولٰئِكَ] الّذين تقدّم ذكرهم [الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ] بالولاية واستتبع الولاية النّبوّة والرّسالة وسائر النّعم بها تصير نعمة فانّ النّعمة حقيقةً هى الولاية وكلّما اتّصل بالولاية سواء كان بسبب البيعة الولويّة اوبطلب تلك البيعة كان نعمةً ، وما لم يتّصل سواء كان من النّعم الصّوريّة الدّنيويّة اومن النّعم الصّدريّة الاخرويّة من الاذواق والوجدانات ومن العلوم والمشاهدات والمعاينات الصّوريّة كان نقمةً الّا اذا اتّصلت بالولاية فانقلبت نعمةً ، فأصل النّعم هو الولاية وفرعها هو هى ايضاً؛ انّ ذكر الخير كنتم بولايتكم اصله وفرعه ومعدنه ومنتهاه، واولئك مبتدء والجملة جواب لسؤال مقدّر وخبره الّذين أنعم الله اوهو صفته او مبتدءٌ ثان وقوله تعالى [مِنَ النَّبِيِّينَ] خبر اوحال وقوله تعالى [مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ] خبر اوهو حال اوبدل ، وقوله تعالى اذا يتلى عليهم (الى آخره) خبر ومن فى قوله تعالى: من النّبيّين بيانيّة اوتبعيضيّة، وهكذا من فى قوله من ذرّيّة آدم تبعيضيّة اوبيانيّة [وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ] عطف على من ذرّيّة آدم والمقصود من ذرّيّة من حملنا لكنّه اسقط الذّرّيّة ههنا تشريفاً لهم لانّه يشعر بانّ المحمول مع نوح (ع) لم يكن منظوراً اليه بنفسه فى الحمل بل كان المنظور اليه فى الحمل هو تلك الذّرّيّة فكأنّه لم يكن المحمول محمولاً لانّه لم يكن منظوراً اليه وكان المنظور اليه من الذّرّيّة محمولاً [وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرٰهِيمَ وَإِسْرٰائِيلَ] وكلّ هذه من قبيل عطف الخاصّ على العامّ لتشريف الخاصّ بالاختصاص بكثرة الانساب الشّريفة فانّ الكلّ كانوا من ذرّيّة آدم (ع) واختصّ عنهم بهذه النّسبة ادريس (ع) وبعد ادريس كان الكلّ من ذرّيّة المحمولين مع نوح وامتاز عنهم بهذه النّسبة ابراهيم (ع) وبعد ابراهيم كان الكلّ من ذرّيّة ابراهيم فانّ اسحاق (ع) واسرائيل وموسى وهارون واسماعيل وزكريّا ويحيى وعيسى (ع) كانوا من ذرّيّة ابراهيم (ع) واسرائيل وامتاز عنهم بالاختصاص بابراهيم (ع) اسحاق واسماعيل (ع) واذا كان المراد بقوله تعالى وهبنا لهم من رحمتنا محمّداً (ص) وكان المراد بقوله لسان صدق عليّاً محمّداً (ص) وعليّاً (ع) كما اشير اليه فى الخبر كانا ايضاً ممتازين بالاختصاص بابراهيم (ع) [وَمِمَّنْ هَدَيْنَا] عطف على من النّبيّين اوعلى من ذرّيّة آدم ولفظ من للتّبعيض او للتّبيين والتّقدير من ذرّيّة من هدينا واسقاط الذّرّيّة لما ذكر فى ممّن حملنا اوليست الذّرّيّة مقدّرة [وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلٰى] قرئ بالتّاء وبالياء وهو خبرٌ كما سبق اوحال اومستأنف لبيان حالهم وانّهم مع علوّ نسبهم وشرف النّبوّة والرّسالة لهم كمال التّضرّع والالتجاء

الى الله ، اوممّن هدينا قائم مقام المبتدأ ، وذا تتلى خبرعنه يعنى بعض ممّن هدينا و اجتبينا اذاتتلى [عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا] لكمال خضوعهم لله وتواضعهم لآياته [وَبُكِيًّا] لكمال خوفهم من الله ولالتجائهم اليه وقرئ بِكيّاً بضمّ الباء على الاصل ، وبكسرها على الاتّباع [فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ] الخلف بالسّكون يقال للعقب السّوء وبالتّحريك للحسن ،ويستعمل كلٌّ فى كلٍّ [أَضَاعُوا الصَّلٰوةَ] بتركها اوتأخيرها عن مواقيتها كما اشير اليه فى الخبر [وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ] قيل فى بيان اتّباع الشّهوات كانوا شرّابين للقهوات، ركّابين للشّهوات، متّبعين للذّات ،تاركين للجماعات ،وعن اميرالمؤمنين (ع) فى بيانه من بنى الشّديد(١) وركب المنظور ولبس المشهور .

اعلم ، انّ الصّلوة والزّكوة كما حقّق فى اوّل الكتاب فى اوّل سورة البقرة عبارة عن اللّبس والخلع ،وهما ثابتان للانسان من اوّل استقرارنطفته فى الرّحم الى آخرعمره ، لكنّ الخلع واللّبس الى مقام التّكليف والقرب له يكونان بالتّكوين الآلهىّ وعلى الطّريق الانسانىّ وفى مقام التّكليف اذاكانا بالامر الآلهىّ كانا فى الطّريق الانسانىّ، واذا لم يكونا بالامر الآلهىّ لم يكونا فى الطّريق الانسانىّ بل كانا فى الطّريق النّفسانىّ وبمداخلة الشّهوات النّفسانيّة وكلّ فعل اوقول اوحال له جهة آلهيّة وجهة نفسانيّة بمعنى انّه ان كان بمحض الامر الآلهىّ حصل منه فعليّة آلهيّة ولبس فى الطّريق الانسانيّة وحصل طرح لفعليّةٍ نفسانيّة بواسطة طرح انانيّة من النّفس ، والفعليّة الآلهيّة يعنى اللّبس فى الطّريق الانسانيّة هى الصّلوة حقيقة وطرح اقتضاء النّفس وانانيّتها هى الزّكوة حقيقة ، فعلى هذا كان **اضاعة الصّلوة** عبارة عن الغفلة عن الامر الآلهىّ فى الفعل، اىّ فعل كان ، **واتّباع الشّهوات** عبارة عن لحاظ اقتضاء النّفس فى الفعل، اىّ فعلٍ كان، فانّ المصلّى اذاكان صلوته صادرة من اقتضاء نفسه سواء كان ذلك الاقتضاء امضاء عادةٍ كماهو حال اكثر النّاس اومراياةً اواعجاباً اوجلب نفعٍ فى الدّنيا اودفع ضرٍّ فيها اودخول الجنّة ، اوعدم دخول النّار، اوقربة من الله ، اوكونه مرضيّاً من الله كان مضيعاً للصّلوة ، ومتّبعاً للشّهوة ؛ وان كان فاعلاً لصورة الصّلوة ، واذاكان القاضى لشهوته من حلاله ناظراً الى امر ربّه واباحته كان مصلّياً، وان كان قاضياً لشهوته فالمقصود من الصّلوة هو جهة الافعال لاصورة الاعمال ، وهكذا الحال فى اتّباع الشّهوات ، وحديث علىٍّ (ع) فى بيان اتّباع الشّهوات يشعر بذلك [فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا] فى الآخرة بناءً على تجسّم الاعمال ، اوجزاء غىٍّ ، اوالمراد بالغىّ الشّرّ والخيبة ، اوالغىّ وادٍ فى جهنّم [إِلَّا مَنْ تَابَ] عن اتّباع الشّهوات فى الافعال [وَآمَنَ] بالبيعة العامّة اوالخاصّة، اواذعن انّ الاعمال لها جهة آلهيّة وجهة نفسانيّة [وَعَمِلَ صَالِحًا] طبق ما اخذ عليه فى بيعته اوعمل صالحاً يعنى بالامر الآلهىّ حتّى يصير صالحاً ، واقامة للصّلوة لااضاعةً اواتّباعاً للشّهوات [فَأُولٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ] قرئ بضمّ الياء وفتح الخاء وبفتح الياء وضمّ الخاء [وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا] بنقص شيءٍ من ثواب اعمالهم [جَنَّاتِ عَدْنٍ] بدلٌ من الجنّة ولامنع فى ابدال الجمع عن المفرد اذاكان المفرد فى معنى الجمع ، اومنصوب بفعلٍ محذوفٍ مقطوع عن التّبعيّة للمدح ، والجنّات طبقات وكلّ طبقةٍ منهما جنّات ، وجنّة عدن آخرة الجنّات الّتى لاتجاوز عنها لمن وصل اليها ؛ ولذلك سمّيت بجنّة عدن فانّ العدن بمعنى الاقامة بخلاف سائر الجنّات فانّها ليست محلّ اقامة لكلّ من وصل اليها [الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ] حال لكون الجنّات بالغيب ، اوحال لكون الرّحمن بالغيب ، اوحال لكون العباد بالغيب من الله بمعنى كون الله غائباً عنهم [إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا] جواب سؤالٍ ناشٍ

---

(١) اى البناء المحكم و ركب ماينظر اليه النّاس لحسنه ولبس ما يشتهر بالحسن وهذا معنى لباس الشّهرة .

من قوله فاولئك يدخلون الجنّة اومن قوله وعدالرّحمن عباده [لَايَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا] حال اومستأنف [إِلَّا سَلَامًا] استثناء من اللّغو مبالغة فى عدم اللّغو فيها يعنى لغو الجنّات هو السّلام من قبيل قول الشّاعر:

ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب

اوالاستثناء منقطع [وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ] اللائق بحالهم ومقامهم [فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا].

بيان لتعدّد الافلاك والشّموس والاقمار

اعلم، انّ الشّمس الحقيقيّة الّتى هى حقيقة شمس عالم الطّبع تنزّلت عن مقام غيبها بفعل البارى تعالى، ثمّ تنزّلت وظهرت بالعقول بمراتبها، ثمّ ظهرت بالنّفوس بمراتبها، ثمّ ظهرت فى عالم الطّبع بصورة هذه الشّمس المحسوسة، وكما انّ هذه الشّمس المحسوسة حركتها فى عالمها دوريّة، وعالمها كرويّة، وبكرويّة عالمها ودوريّة حركتها يظهر البكرة والعشىّ كذلك الشّمس الحقيقيّة حركتها فى كلّ من عوالمها الّتى حدّدوها تارةً بسبعين الف عالم، وتارة بالف الف عالم دوريّة، وكلٌّ من عوالمها كرويّة لكنّ كرويّته معنويّة لامحسوسة فانّ كلّاً مشتمل على قوسى النّزول والصّعود، وبعد وصول النّور الحقيقىّ الى اواسط قوس النّزول يختفى وتدريجاً الى اواسط قوس الصّعود وحينئذٍ يظهر تدريجاً وحين شروعه فى الاختفاء يكون العشىّ بحسب ذلك العالم وحين الشّروع فى الظّهور يكون البكرة بحسبه، ولااختصاص للبكرة والعشىّ بعالم الطّبع ولابجنّات الدّنيا كما قيل، وقد ورد فى الاخبار الاشعار بتعدّد الافلاك والشّموس والاقمار كما ورد انّ وراء عين شمسكم هذه تسعاً وثلاثين عين شمسٍ، ووراء قمركم هذا تسعة وثلاثين قمراً؛ وقيل بالفارسيّة:

آسمانهاست در ولايت جان كار فرماى آسمان جهان

[تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا].

اعلم، انّ الانسان الكامل ذونشأت وفى كلّ نشأة له اموال واقرباء وكما انّ صحّة النّسب الجسمانيّة مبتنيةٌ على مااسّسه الشّارعون فى كلّ شريعةٍ وملّةٍ لتصحيحها كذلك النّسبة الرّوحانيّة مبتنيةٌ صحّتها على مااسّسوه من عقد الايمان، وكما انّ النّسبة الجسمانيّة اذا لم تكن مبتنيةً على مااسّسوه لم تكن مؤثّرة فى ترتّب آثار النّسبة من الميراث وغيرها كذلك النّسب الرّوحانيّة اذا لم تكن مبتنيةً على ما اسّسوه لم تكن مؤثّرةً، وكما انّ المنتسب بالنّسبة الجسمانيّة اذا لم يكن له مايصحّح نسبته كان لغية كذلك المنتسب بالنّسبة الرّوحانيّة اذا لم يكن له مايصحّح نسبته كان منتحلاً، وقد مضى تحقيق تامّ للنّسبة الجسمانيّة والرّوحانيّة والفرق بينهما وشرافة النّسبة الرّوحانيّة بالنّسبة الى الجسمانيّة فى سورة البقرة عند قوله وبالوالدين احساناً، وكما انّ الانسان مادام يكون فى عالم الطّبع كان له اموال واذا انصرف من هذا العالم كان الاحقّ بأمواله قراباته بحقّ النّسبة الجسمانيّة كذلك المتخلّف عن الكامل فى العوالم الرّوحانيّة كان الاحقّ به قراباته الرّوحانية، وكما انّ المتخلّف عن مرتبته الجسمانيّة لاحقّ لقراباته الرّوحانيّة فيه كذلك المتخلّف عن مرتبته الرّوحانيّة لاحقّ لقراباته الجسمانيّة فيه فانّ كلّ خلّة وكلّ نسبة منقطعة يوم القيامة الّا الخلّة والنّسبة فى الله، ولمّا كان اصل الكاملين وابو الآباء الرّوحانيّة علىّ بن ابى طالب (ع) وكان منصرفاً عن جميع العوالم ومتمكّناً فى مقام المشيّة الّتى هى فوق الامكان كان جميع عوالم الامكان متخلّفة عنه وميراثاً لاولاده المنتسبين اليه بالنّسبة الصّحيحة بقدر مراتبهم فى النّسبة، وان كانوا فى الدّنيا مغصوباً منهم امواله كما قال تعالى: قل هى للّذين آمنوا بالايمان الخاصّ وعقد الايمان مع علىّ (ع) مغصوباً عليها فى الدّنيا خالصة يوم القيامة وهذا معنى ايراث الفردوس، وامّا ايراث منازل اهل النّار للمؤمنين فهو عبارة عن ايراث ماكان اهل النّار يستحقّونه لو لم يقطعوا نسبتهم الى علىٍّ (ع) فانّ كلّ الموجودات لها نسبة فطريّة الى علىّ (ع) وقد يقطع الانسان نسبته الفطريّة

الى الولاية فيترك منازله واموالهِ الّتى كانت مقرّرة له بحكم الولاية التّكوينيّة فيرثها ذووانسابه الآخرون مثل الجنين الّذى يترك من اموال الميّت قسط له فان تولّد حيّاً وبلغ اخذ قسطه وان ولد ميّتاً اولم يبلغ كان قسطه لسائر الورثة بحكم النّسبة ، اذاعرفت ذلك ، فلاحاجة لك الى التّكلّفات الّتى ارتكبوها فى تصحيح اطلاق الارث على ماذكر ، **ومن عبادنا** ظرف لغومتعلّق بنورث والمعنى نورث الجنّة من مال عبادنا المخصوصين الّذين خرجوا من رقيّة انفسهم وصاروا بتمام وجودهم خالصين لنافصاروا كاملين ومكمّلين ومالكين بتمليكنا درجات الآخرة ، وبعد ما تخلّفت منهم بتوجّههم ونقلهم الى مافوقهم اورثنا تلك الدّرجات منهم عباداً كانوا اتقياء بان دخلوا فى الولاية فانّ التّقوى الحقيقيّة لاتتصوّر الّا بالدّخول فى الولاية اومن عبادنا ظرف مستقرّحال ممّن كان تقيّاً والمعنى حينئذٍ نورث الجنّات من كان تقيّاً حالكونه صارمن عبادنا بان اشترى الله منه ماله ونفسه بانّ له الجنّة ، وفائدة التّقييد بالحال الاشعار بانّ التّقوى الحقيقيّة لاتحصل الّا بالبيعة الولويّة او النّبويّة [وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ] كلام من الملك الحاكى من الله تعالى معطوف على المحكىّ من الله فقد ورد انّ رسول الله (ص) قال لجبرئيل (ع) : مامنعك ان تزورنا؟ـ فنزلت [لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا] اى الدّنيا اوعوالم الآخرة [وَمَا خَلْفَنَا] يعلم بالمقايسة [وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ] اى العالم الّذى نحن واقعون فيه [وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا] تاركاً لك ترك المنسىّ ،اوماكان موصوفاً بالنّسيان حتّى يتوهّم انّه غفل عنك ، وفيه اشعار بانّ سرعة نزوله وبطوءه انّما هومنوطٌ بحكمه [رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا] وصف لربّك اوخبر مبتدءٍ محذوفٍ وتعليل لامتناع النّسيان عليه [فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ] لمّا كان الصّبر على العبادة اصعب اقسام الصّبر اتى فيه بصيغة المبالغة [هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا] خطاب خاصّ بمحمّدٍ (ص) اوعامّ لمن يتأتّى منه الخطاب ، والمراد بالسّمىّ المماثل فى شيءٍ من صفاته لا المسمّى بشيءٍ من أسمائه [وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ] اى هذا النّوع من الحيوان وان كان القائل بعض افراده [أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا] .

اعلم ، انّ الانسان مادام يكون محصوراً ادراكه على المحسوسات ولايدرك من نفسه الّا مقام جسميّته كان اقراره ببعثه تقليداً محضاً من غير تصوّر لنفسه وموته وبعثه وكان انكاره تحقيقاً لاتقليداً فانّ النّاظر الى البدن والى انّ النّفس جسم لطيف متكيّف سارٍ فى البدن كسائر اجزاء البدن او كيفيّة خاصّة فى البدن ، وانّ البدن بالموت يفنى كيفيّة حيوته وجميع اجزائه ، خصوصاً ان كان بصيراً بالطّبيعيّات وكيفيّاتها لا يتأتّى له الاقرار بالبعث بعد الموت والاعادة بعد الفناء ، وروى انّ ابىّ بن خلف اخذ عظاماً باليةً ففتّها وقال : يزعم محمّد (ص) انّا نبعث بعد مانموت [أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ] اى قبل وجوده اوقبل موته [وَلَمْ يَكُ شَيْئًا] لافى العوالم العالية ولافى العالم الدّانى بان خلقناه فى عوالم علمنا حين لم يكن مقدّراً ولا موجوداً طبيعيّاً ، اولم يك شيئاً فى العالم الطّبيعىّ [فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ] الموكّلة عليهم ، لمّا كان الكلام ملقىً على المنكر اكّده بتأكيداتٍ ، وروى انّ الكفرة تحشرون مع قرنائهم من الشّياطين الّذين اغووهم كلّ مع شيطانه .

اعلم ، انّ الانسان الّذى هو عالم صغير اذا هبط آدم (ع) وحوّاء (ع) من الجنّة فيه وتوالدا وأتى لواحدٍ من ولديهما بحوريّة ولآخر بجنّيّةٍ وتوالدوا فى العالم الصّغير كان ماتولّد من الحوريّة سنخاً للملائكة وبتلك السّنخيّة يجذب الملك ، وما تولّد من الجنّيّة كان سنخاً للجنّة والشّياطين ، وبتلك السّنخيّة يجذب الشّيطان الى عالمه الصّغير من العالم الكبير ، وما ورد انّ لكلّ انسانٍ ملكاً يزجره وشيطاناً يغويه اشارة الى ما ذكر ، ولكلّ من الملك و الشّيطان المجذوبين اليه جنود و اعوان فيصير الملك الموكّل مع جنوده ملائكةً كثيرةً و الشّيطان المنجذب

شياطين عديدةٌ، واذا حشر الانسان حشر معه كلّ شيطان كان معه، اوالمعنى لنحشرنّهم و الشّياطين من غير نظر الى الشّياطين الموكّلة بخصوصهم [ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا] ضمير المفعول فى لنحضرنّهم وفى نحشرنّهم راجع الى مطلق البشر المؤمنين والكافرين، وحضور المؤمنين حول جهنّم مثل ورودهم عليها، اوراجع الى الكافرين، والجثىّ جمع الجاثى اصله جثو، وقرئ بضمّ الجيم وكسرها [ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ] طائفة شاعت نبيّاً اواماماً فى الهداية اواماماً فى الضّلالة [أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمٰنِ عِتِيًّا] اصله عتوٌ مصدر عتى عتوّاً وعتيّاً بضمّ العين وعتيّاً بكسرها استكبر وجاوز الحدّ والمعنى لننزعنّ من كلّ فرقة مؤمنة وكافرة اعتاهم، ونعفو من غير اعتاهم، اولننزعنّ من كلّ فرقة اعتاهم فندخلهم فى اسفل الجحيم ثمّ لننزعنّ العاتين منهم فندخلهم المداخل المترتّبة من الجحيم على ترتيب عتوّهم حتّى يبقى المؤمنون، وايّ موصولة مبنيّة على الضّمّ على قراءة ضمّ الياء لحذف صدر صلتها ومنصوبة مفعول لننزعنّ على قراءة فتح الياء، اواستفهاميّة مبتدء وخبر والجملة حاليّة بتقدير القول، اومستأنفة بتقدير القول جواب لسؤال مقدّر و مفعول لننزعنّ محذوف، او من كلّ فرقه مفعوله لكون من اسماً، او لكون الظّرف قائماً مقام الموصوف لقوّة معنى البعضيّة فى من [ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلٰى بِهَا صِلِيًّا] مصدر مثل العتىّ من صَلِىَ النّار كرضى قاساها [وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا].

اعلم، انّ دركات الجحيم واقعة فى الآخرة ولايدخلها الّا من خرج عن الدّنيا وعن عقبات البرزخ ووصل الى الاعراف وبقى عليه فعليّة مناسبة للنّار، وامّا قبل ذلك فلايدخل احد النّار وكانت ابواب الجحيم مغلقة ولذلك يقال: حينئذ ادخلوا ابواب الجحيم، وقال تعالى: حتّى اذا جاؤها فتحت ابوابها فرتّب فتح الابواب على مجيء اهلها لانّها كانت مغلقة قبل المجيء واهل الجنّة بعد الوصول الى الاعراف لايبقى عليهم الّا فعليّة مناسبة للجنّة فلايدخلون النّار لكن نقول: الدّنيا انموذجة من الجحيم والاخلاق الذّميمة والاوصاف الرّديّة كلّها انموذجة منهما، ومشتهيات النّفس والآلام والاسقام من فوران الجحيم، والبرزخ بوجهٍ هوجحيم الدّنيا كما انّه بوجهٍ هوجنّة الدّنيا، والواردون على الاعراف كلّهم واردون على الجحيم بمعنى انّهم مشاهدون لها وكلّ النّاس مؤمنهم وكافرهم لابدّ لهم من العبور على الدّنيا والاتّصاف بمشتهياتها والعبور عن الرّذائل والاوصاف الرّديّة ومشتهيات النّفس، وقلّما ينفكّ الانسان عن علّةٍ مااوالمٍ ما، ولابدّ للكلّ من العبور على البرزخ اختياراً اواضطراراً لكنّ العبور يتفاوت بتفاوت الاشخاص والاحوال و الكلّ واردون على الاعراف و واردون على جحيم الآخرة بمعنى انّهم مشاهدون لها، اذاعرفت ذلك، عرفت وجه الجمع بين الاخبار المتخالفة الواردة فى هذا الباب وعرفت انّ المراد بالنّسخ فيما ورد انّ هذه الآية منسوخة بآية انّ الّذين سبقت لهم منّا الحسنى اولئك عنها مبعدون هو النّسخ الجزئىّ الّذى يكون بحسب الاشخاص والاحوال لا النّسخ الكلّىّ فانّ هذا الورود من لوازم وجود الانسان وكيفيّة خلقته ولذلك قال تعالى بعد الاخبار به [كَانَ] ذلك [عَلٰى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا] مؤكّداً بتأكيداتٍ لكن قد يعرض الانسان جذبة من جذبات الرّحمن لاتبقى عليه اثراً من الدّنيا ونيرانها ولا من البرازخ وعقباتها، ولا من الاعراف ومشاهداتها فكان الورود المحتوم منسوخاً ومرتفعاً فى حقّه، وما ورد انّ النّار تقول للمؤمن يوم القيامة: جُزيا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى؛ كان اشارة الى الدّنيا ومشتهيات النّفس او الاخلاق الرّذيلة او البرازخ، وكذلك قول المعصوم جُزناها وهى خامدة [ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا وَإِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا] التّدوينيّة مطلقة اوفى ولاية علىّ(ع) [بَيِّنَاتٍ] واضحاتٍ اوموضحاتٍ رسالتك اوقدرة الله على الاحياء بعد الامانة اوولاية

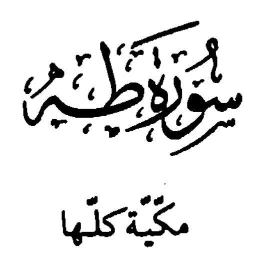
علىّ(ع) [قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالله اوبرسالتك اوبولاية علىّ(ع) [لِلَّذِينَ آمَنُوا] لاجلهم اومخاطبين لهم استهزاء بالله اوبدينك اوبعلىٍ (ع) [أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ] ممّن اقرّبالله اوبالرّسالة اوبولايةعلىّ (ع) وممّن انكر ذلك [خَيْرٌ مَقَامًا] مكاناً اوموضع قيام ، وقرئ بضمّ الميم [وَأَحْسَنُ نَدِيًّا] مجلساً ومجتمعاً يعنى انّهم لمّا سمعوا الآيات الدّالّات على حقّيّة دينك وقدرة الله اوولاية علىّ(ع) وعجزوا عن المعارضة وردّها افتخروا بما لهم من حسن الحال فى الدّنيا وزعموا انّ حسن حالهم انّما هولحقّيّة انكارهم ورداءة حال المؤمنين لبطلان اقرارهم كما هوشأن اهل الزّمان فى كلّ زمان ، وهذا زعم فاسد فانّ حسن الحال وزيادة الحظّ فى الدّنيا مانعة عن حصول حظوظ العقبى ومهلكة فى العقبى كالشّهد الّذى فيه سمّ غيرمحسوسٍ ، وعن الصّادق(ع) انّه قال: كان رسول الله (ص) دعا قريشاً الى ولايتنا فنفروا وانكروا فقال الّذين كفروا من قريشٍ للّذين آمنوا الّذين اقرّوا لأمير المؤمنين(ع) ولنا اهل البيت(ع) اىّ الفريقين خيرٌ مقاماً واحسن نديّاً؛ تعييراً منهم فقال الله تعالى ردّاً عليهم ، وقرء الآية الآتية [وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا] قرئ رِءْياً بكسر الرّاء المهملة وسكون الهمزة ورِيّاً بكسر الرّاء وتشديد الياء ورِيّاً بكسر الرّاء وتخفيف الياء وزِيّاً بكسر الزّاء المعجمة وتشديد الياء ، والكلّ بمعنى المنظر اوما يتجمّل به [قُلْ] لهم ردّاً على زعمهم انّ حسن الحال فى الدّنيا جالبة لحسن الحال فى الآخرة [مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا] اداه بصيغة الامر للاشعار بانّ هذا امر كأنّه واجب على الله لا تخلّف عنه فلا تغترّوا بامداد الله فى الدّنيا واجتماع اسباب التّنعّم لكم فانّه استدراج ومورث للهلاكة ابداً [حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ] بالقتل والاسر والنّهب والاجلاء والبلايا الواردة من الله من الاسقام والآلام البدنيّة والنّفسانيّة [وَإِمَّا السَّاعَةَ] ساعة الموت وعذابها [فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا] فانّه وقت العذاب لا ينفع مال ولابنون ، ولايدفع جند ولا الاقربون ، ووقت الموت ينقطع كلّ موصول ولا يدفع كلّ دافع ولاينفع الّا الله، فمن انقطع عن الكلّ واتّصل بالله بالبيعة الولويّة مع خلفائه كان حينئذٍ احسن نديّاً فانّ مجتمعه كان من جند الله ، ومن لاينقطع عن الغير ولايتّصل بالله بالبيعة مع علىّ(ع) كان اردء نديّاً لانقطاع كلّ ممّن كان فى مجتمعه عنه وعن مجتمعه [وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى] عطف على من كان فى الضّلالة فليمدد وتغيير الجملة الثّانية بالفعليّة للاشعار بانّ الامداد والاستدراج عرضىّ تابع لاستعداد العباد وافعالهم بخلاف فضل الهداية فانّه فضل محض وذاتىّ له تعالى وليس تابعاً لفعلٍ واستعدادٍ وقد تكرّر سابقاً انّ الهداية ليست الّا ولاية علىٍّ (ع) والتّوجّه اليه ، عن الصّادق(ع) انّه قال: كلّهم كانوا فى الضّلالة لايؤمنون بولاية امير المؤمنين (ع) ولا بولايتنا فكانوا ضالّين مضلّين فيمدّ لهم فى ضلالتهم وطغيانهم حتّى يموتوا فيصيّرهم الله شرّاً مكاناً واضعف جنداً [وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ] وقد سبق بيان الباقيات الصّالحات فى سورة الكهف [خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا] ممّا تمتّعوا به من الاثاث والرّأى [وَخَيْرٌ مَرَدًّا] مرجعاً ممّا توهّموه من الاموال والاولاد ، وصيغة التّفضيل ههنا لمجرّد التّفضيل اوللتّفضيل على ما زعموه خيراً باعتقادهم [أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا] واعظمها علىّ(ع) [وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا] يعنى فى الآخرة،ورد انّه كان لبعض المؤمنين دين على بعضهم فجاءه يتقاضاه فقال: الستم تزعمون انّ فى الجنّة الذّهب والفضّة والحرير؟ـ قال: بلى، قال: فموعد ما بينى وبينك الجنّة فو الله لاوتينّ فيها خيراً ممّا اوتيت فى الدّنيا [أَطَّلَعَ الْغَيْبَ] فرأى فى الغيب انّ له فى الآخرة مالاً وولداً [أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا] فانّه لايعلم ذلك الّا بالمشاهدة والتّحقيق، اوبتعهّد

الصّادق والتّقليد وعلم الغيب منتفٍ عنه والعهد ليس الّا بالبيعة مع علىّ(ع) وهوينكر ذلك [كَلَّا سَنَكْتُبُ ما يَقُولُ] لنجزيه عليه فانّه افتراء واستهزاء [وَنَمُدُّ لَهُ] عوض ماتصوّره من المال والولد [مِنَ الْعَذابِ مَدًّا وَنَرِثُهُ ما يَقُولُ] يعنى المال والولد الّذى يدّعى انّه يؤتى فى الآخرة منهما بان نهلكه ونأخذ ماكان له فى الدّنيا من المال والولد [وَيَأْتِينا] يوم القيامة [فَرْدًا] ممّا له فى الدّنيا فلايكون له ماكان له فى الدّنيا ولايحصل له مايدّعيه فى الآخرة [وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً] عطف على قال لاوتينّ اوعلى كفر بآياتنا، وجمع ضميره باعتبار المعنى فانّ المراد من الّذى كفر هو الجنس لاالفرد المخصوص [لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا] اى ليكون الآلهة للّذين كفروا سبب عزّ فانّ العزّ والعزّة بكسرهما والعزازة بالفتح مصدر عزّ بمعنى صار عزيزاً، اوليكون الكفّار لاجل الآلهة اعزّاء [كَلَّا] ردع لهم عن هذا الزّعم [سَيَكْفُرُونَ] اى الالهة اوالكفّار [بِعِبادَتِهِمْ] والضّمير المضاف اليه يحتمل الوجهين على كلّ من الوجهين [وَيَكُونُونَ] اى الآلهة اوالكفّار [عَلَيْهِمْ] اى على الكفّار اوعلى الآلهة [ضِدًّا] ولمّا كان المنظور من كلّ منظور هو الولاية والوفاق والخلاف معها كان المراد انّ الكافرين بالولاية اتّخذوا مطاعين من دون علىّ(ع) ليكونوا لهم عزّاً، كلّا سيكفرون بطاعتهم لهم ويكونون عليهم ضدّاً، حين ما يرونهم فى الاعراف اوفى القيامة اوفى النّار اوحال الاحتضار اذ لاء مردودين ويرون عليّاً(ع) فى اعلى مراتب العزّ وقد اشير اليه فى الخبر، ولمّا كان الرّسول(ص) متحزّناً عليهم وعلى انحرافهم وكأنّه عزم على الدّعاء عليهم قال تعالى تسليةً له(ص) وتبطئة عن الدّعاء [أَلَمْ تَرَ] برؤيتك الباطنيّة [أَنَّا] لاغيرنا [أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ] فاذاترى انّا ارسلنا الشّياطين فما لك تتحسّر اوتعجّل بالعذاب [تَؤُزُّهُمْ أَزًّا] ازّت القدر من باب نصر وضرب اشتدّ غليانها، وازّت السّحابة صوّتت من بعيد، وازّ النّار اوقدها، والشّيء حرّكه شديداً، والازّ ضربان العروق؛ فاذا ترى انّا ارسلنا الشّياطين عليهم [فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ] بالعذاب [إِنَّما نَعُدُّ لَهُمْ] الايّام اوالانفاس [عَدًّا] ويقال: هذه الكلمة حين يراد الاشارة الى قلّة الايّام وفى الخبر انّما هو عدّ الانفاس والّا فالآباء والامّهات يعدّون الايّام اوالمراد انّا نعدّ اعمالهم عدّاً [يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ وَفْدًا] وعلى هذا فيوم نحشر المتّقين ظرف لنعدّ، ويجوز ان يكون ظرفاً لقوله لا يملكون اويكون مفعولاً لاذكر مقدّراً.

اعلم، انّ التّقوى الحقيقيّة لاتحصل الّا بالولاية ومن تولّى عليّاً كان تقيّاً استشعر بتقواه ام لا، ويوم الاعراف الّذى هو آخر البرازخ يحشر شيعة علىّ(ع) الى مقاماتهم الاخرويّة ونعيمهم وازواجهم على ما نقل فى الاخبار من التّفاصيل واختيار اسم الرّحمن، لانّ شيعة علىّ(ع) اذا وصل الى الاعراف لم يبق عليه شيءٌ من اوصاف النّفس ويطهّر من كلّ ما ينبغى ان يطهّر عنه من نسبة الافعال والصّفات الى نفسه بل من نسبة الانانيّة الى نفسه ويحصل له الفناء التّامّ الّذى هو آخر مقامات التّقوى، وبعد الفناء التّامّ لا يكون بقاء الّا ببقاء الله وبعد البقاء يصير الباقى مبقياً لاهل عالمه ومملكته وهذا الابقاء هو الرّجعة فى العالم الصّغير وهو انموذج رحمة الله الرّحمانيّة وبهذا الاعتبار قال: نحشرهم الى الرّحمن وبحسب السّلوك اذا تمّ السّفر الثّانى للسّالك وانتهى تقواه الى الفناء الذّاتىّ وسار بالحقّ فى الحقّ ان ادركته العناية الآلهيّة وابقته بعد فنائه يصير السّالك ايضاً باقياً ببقاء الله ومبقياً لاهل مملكته واهل الملك الكبير ويصير عادلاً بعدل الله ومعطياً لكلّ حقّه وهذا من خواصّ اسم الرّحمن ولهذا قال: نحشر المتّقين الى الرّحمن؛ ووفداً جمع مثل ركب وصحب حال من المتّقين، اومصدر بمعنى الجمع الوصفىّ وحال اومصدر

مفعول مطلق من غير لفظ الفعل او بتقدير حشر وفد [وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ اِلٰى جَهَنَّمَ وِرْدًا] الورد مصدر بمعنى الاشراف على الماء دخل ام لم يدخل ، واسم جمع بمعنى الجماعة الواردة على الماء ، وهو حال اومصدر مثل الوفد، وفى استعمال لفظ الحشر هناك والسّوق الّذى ليس الّا للبهائم ههنا مالايخفى من التّشريف والتّوهين، وقرئ يحشر ويساق بالغيبة مبنيّين للمفعول والمتّقون والمجرمون مرفوعين [لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ] اى العباد المطلق المستفاد من ذكر القسمين اوالمجرمون [اِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْدًا] استثناء من فاعل يملكون اومن الشّفاعة بتقدير شفاعة من اتّخذ عندالرّحمن عهداً ، اواستثناء مفرّغ اى لايملكون لاحدٍ الشّفاعة الّا لمن اتّخذ عندالرّحمن عهداً ، و الشّفاعة اعمّ من المصدر المبنىّ للفاعل و المفعول اوهو مبنىّ للفاعل والمعنى لا يملكون شفاعتهم للغير اوشفاعة الغير لهم وقداشير فى الاخبار الى الكلّ ، والعهد المأخوذ عندالرّحمن هوعهد البيعة وقد فسّر فى الاخبار بعهد الولاية والبيعة مع علىٍّ (ع) فانّ اخذ العهد عندالرّحمن من دون مظاهره وخلفائه لايتصوّر لاحد،وقدورد عن الصّادق (ع) انّه قال الّا من دان الله بولاية اميرالمؤمنين (ع) والائمّة من بعده فهو العهد عندالله ، وورد عنه ايضاً انّه قال: لايشفع لهم ولايشفعون الّا من اتّخذ عندالرّحمن عهداً ؛ الّا من اذن له بولاية اميرالمؤمنين (ع) والائمّة (ع) من بعده فهو العهد عندالله ، والولاية قدتكرّر فى مطاوى ما سلف انّها البيعة لاغير، وقد ذكر فى الاخبار لبيان العهد بحسب الظّاهر امورٌ اخر من عهد الوصيّة وغيره [وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا] عطف على كفر بآياتنا وقرئ ولداً جمعاً،عن الصّادق (ع) انّه قال هذا حيث قالت قريش: انّ الله عزّوجلّ اتّخذ ولداً من الملائكة اناثاً [لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا اِدًّا] جواب سؤال اوحال بتقدير القول والادّ والادّة بكسرهما والادّة بفتح الهمزة، العجب والامر الفظيع والدّاهية والمنكر [تَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ] صفة لشيئاً بعدصفة اوحال منه اومستأنفة [وَتَنْشَقُّ الْاَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا] الخرّ السّقوط مطلقاً اومن علوٍ والهدّ الهدم الشّديد والكسر [اَنْ دَعَوْا] بدل من الضّمير فى منه [لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِى لِلرَّحْمٰنِ اَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا] لانّه واحد احد لاضدّ له ولاندّ ولاثانى ولو كان له ولدٌ كان ثانياً له ولو كان له ثانٍ لانهدم وحدته وبانهدام وحدته ينهدم وجوبه فسبحان من مقتضى ذاته عدم الثّانى له [اِنْ كُلُّ مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ] جواب سؤال فى موضع التّعليل [اِلَّا آتِى الرَّحْمٰنِ عَبْدًا] يعنى كلّ من فى السّموات والارض يأتى يوم القيامة او آتٍ فى حال وجودهم عبداً للرّحمن خارجاً من انانيّته لامقابلاً له وثانياً حتّى يسمّى ولداً ذكراً اواناثاً، ولمّا كان المراد بالعبديّة العبديّة التّكوينيّة وليس كلّ افراد الانسان عبيداً لاسمائه اللّطفيّة ومظاهرها بل يكون بعضها عبيداً لاسمائه القهريّة ومظاهرها فى الدّنيا والآخرة اختار من الاسماء اسم الرّحمن الّذى هو مجمع اسمائه اللّطفية والقهريّة [لَقَدْ اَحْصٰيهُمْ] جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: هل يعلمهم مع كثرتهم؟ـ فقال: لقد احصاهم من حيث ذواتهم و اجزائها و مالها و ما عليها [وَعَدَّهُمْ] من حيث اعداد رؤسهم وافعالهم واقوالهم واحوالهم واخلاقهم وجميع حركاتهم ولمحاتهم [عَدًّا] خارجاً من نحو تعداد كم الموقوف على الزّمان والتّجسّس [وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَرْدًا] عمّا يحسب انّه له ممّن يعتمد عليه فى الدّين والدّنيا ومن جميع الاموال والقوى والاعضاء ومن جميع النّسب والاضافات ومن الاخلّاء والاحباب [اِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا] جواب سؤال مقدّر كأنّه قيل: كلّهم مؤمنهم وكافرهم يأتيه فرداً، فقال: انّ المؤمنين يكونون بوصف الحبّ اومع محبّيهم غير منقطعى النّسبة عن اخلّائهم فانّ كلّ نسبة وخلّة منقطعة الّا النّسبة والخلّة فى الله وقدتعدّد

الاخبار بأنّ الرّسول (ص) قال لعليّ (ع) يا عليّ، قل اللّهمّ اجعل لى فى قلوب المؤمنين ودّاً، فقال عليّ (ع) ذلك ونزلت الآية ، وفى بعض الاخبار ولاية امير المؤمنين (ع) هى الودّ الّذى قال الله تعالى، والودّ بتثليث الواو مصدر ودّ من باب علم ومنع او وصف منه والمناسب هو معناه الوصفىّ فانّ المقصود انّا سنجعل لهم محبّاً هو محبوبهم عند الرّجوع الينا، فانّ نورهم يعنى امامهم يسعى حينئذٍ بين ايديهم وبايمانهم وان كان المراد به معناه المصدرىّ فالمقصود هو هذا المعنى، فانّ الحبّ الحقيقىّ هو ملكوت الامام الّذى يظهر على صدر السّالك وهذا يشير الى ما قاله الصّوفيّة من الفكر والحضور والسّكينة وهو ظهور الامام بملكوته على السّالك وانّ السّالك ينبغى ان يكون تمام اهتمامه بظهور الشّيخ عليه وانّه البغية القصوى والقنية العظمى [فَاِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ] الفاء عاطفة دالّة على شرافة الحكم الآتى والهاء للقرآن اوقرآن ولاية علىّ (ع) اوجعل الودّ الّذى هو ملكوت علىّ (ع) [بِلِسَانِكَ] بلغتك فانّ اللّسان يستعمل كثيراً فى اللّغة اوعلى لسانك اوفى لسانك [لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ] الّذين اتّقوا بالولاية الطّرق المنحرفة النّفسانيّة [وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا] جمع الالدّ وهو الخصم الشّحيح الّذى لايزيغ الى الحقّ [وَكَمْ اَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ] بيان لجهة من جهات الانذار [هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ] حال ممّا بعده [مِنْ اَحَدٍ] لفظة من زائدة [اَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا] صوتاً يعنى لاترى منهم عيناً ولاتسمع منهم صوتاً .



مكّيّة كلّها



[طه] قد سبق بيان تامّ لامثاله وقد ورد فيه بخصوصه انّه من اسماء النّبىّ (ص) [مَا اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْاٰنَ لِتَشْقٰى] بل لتسعد فانّ المفاهيم فى مقام الخطابة معتبرة، والشّقاء بمعنى العناء والتّعب ، وقد ورد بطرق متعدّدة انّ الرّسول (ص) كان يقوم على اطراف اصابع قدميه حتّى تورّمت قدماه (ص) واصفرّ وجهه (ص)، ويقوم اللّيل جمع حتّى عوتب فى ذلك فقال الله تعالى: طه ماانزلنا عليك القرآن لتشقى [اِلَّا تَذْكِرَةً] استثناء منقطع او استثناء مفرّغ ومفعول له لتشقى اومفعول له لما انزلنا بشرط ان جعل لتشقى حالاً من القرآن اومن مجرور عليك اواستثناء مفرّغ حال من فاعل انزلنا اومن مجرور عليك او من القرآن او من فاعل تشقى [لِمَنْ يَخْشٰى] الخوف بالمعنى الخاصّ من صفات النّفس مالم تصر عالمة تحقيقاً فاذا صارت عالمة تبدّل خوفها بالخشية كما انّها اذا صارت مكاشفة ومشاهدة صارت خشيتها هيبة [تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْاَرْضَ وَالسَّمٰوَاتِ الْعُلٰى] تنزيلاً مفعول مطلق لفعله المحذوف ، اومنصوب على المدح بفعل المدح ، اومفعول مطلق نوعىّ لما انزلنا ، اومفعول به ليخشى ، اومفعول

له لتذكرة ، اومنصوب بنزع الّلام وتعليل لتشقى اوليخشى ، ووجه افراد الارض وجمع السّماوات وبيان مصاديق كلّ قد مضى فى اوّل الانعام ، وتقديم الارض على السّماوات مع انّها اشرف واقدم من الارض لمراعاة رؤس آلاى، ولانّ الآية لبيان تشريف التّنزيل باضافته الى من هو وسيع الخلق قوىّ القدرة وهذا المعنى يقتضى التّرقّى من الادنى الى الاقوى، ولتقدّم الارض على السّماوات فى العالم الصّغير وفى الانظار الحسّيّة [اَلرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوٰى] قرئ الرّحمن مرفوعاً مبتدءً وعلى العرش خبره ويكون الجملة حالاً اومستأنفاً اويكون على العرش متعلّقاً باستوى واستوى خبره وعلى الاوّل فاستوى مستأنفة اوحال اوخبر بعد خبر، وقرئ مرفوعاً مقطوعاً عن الوصفيّة خبراً لمبتدءٍ محذوفٍ، وحينئذٍ يكون على العرش حالاً اوخبراً بعد خبرٍ، اوجملة بتقدير مبتدءٍ، و مستأنفة ، وهكذا الحال فى استوى وقرئ بالجرّ صفة لمن خلق الارض، وعلى العرش حينئذٍ يكون حالاً اومتعلّقاً باستوى، اوجملة مستأنفة بتقدير مبتدء محذوفٍ ويجرى الوجوه السّابقة فى استوى ، وقد مضى فى سورة الاعراف بيان تامّ لاستواء الرّحمن على العرش ولوجه خلق السّماوات والارض فى ستّة ايّام [لَهُ مٰا فِى السَّمٰوٰاتِ وَمٰا فِى الْاَرْضِ وَمٰا بَيْنَهُمٰا وَمٰا تَحْتَ الثَّرٰى] الجملة مستأنفة فى موضع التّعليل فانّه لمّا ذكر انّه خالق السّماوات والارض وانّه مستوى النّسبة الى الجليل والقليل والكثير والحقير اجمالاً اراد ان يعلّل ذلك بنحو التّفصيل فقال، لانّ له بدواً وغايةً وملكاً السّماوات جميعاً وما فيها والارض وما فيها لانّه سبق مكرّراً انّ نسبة شيءٍ الى مظروف تشتمل النّسبة الى الظّرف خصوصاً اذا كان المظروف اشرف من الظّرف وما بينهما من عالم البرزخ اومن النّفوس المتعلّقة بهما الغير المنطبعة فيهما ويكون المراد بما فيهما المنطبعات والمكمونات فيهما وما تحت الثّرى من عالم الجنّة اومن القوى والاستعدادات البعيدة المكمونة الّتى لايعلمها الّا الله [وَاِنْ تَجْهَرْ] يا محمّد (ص) اويا من يتأتّى منه الخطاب وهو عطف على قوله له ما فى السّماوات وتعليل آخر لشمول علمه وسعته وتصريح باحاطة علمه بعد التّلويح اليه اوجملة حاليّة والمعنى ان تجهر [بِالْقَوْلِ] بعلمه [فَاِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَاَخْفٰى] فكيف لايعلم الجهر ، والسّرّ ما اخفيته فى نفسك، واخفى ما خطر ببالك ثمّ نسيته كما فى الخبر، اوالسّرّ ما كان مخفيّاً عن غيرك ، وأخفى ما كان مكموناً عن نفسك ولم تطّلع انت ولا غيرك عليه [اَللّٰهُ لٰا اِلٰهَ اِلّٰا هُوَ] استيناف وتعليل وحصر للآلهة فيه تصريحاً بعد ما افاده تلويحاً [لَهُ الْاَسْمٰاءُ الْحُسْنٰى] تعليل آخر لعموم جملة صفاته المستفاد اجمالاً فانّه ان لم يكن جملة الصّفات الكماليّة ثابتة له اوكان بعض صفاته غير محيطة كان اسم تلك الصّفة و اسم كمال هذه مسلوباً عنه فلم يكن الاسماء الحسنى محصورةً فيه [وَهَلْ اَتٰيكَ حَدِيثُ مُوسٰى] عطف على ما انزلنا لانّ الاستفهام للتّقرير فهو بمنزلة قد اتيك اومستأنفة، والمقصود تذكيره (ص) بحكاية موسى (ع) حتّى يكون تسليةً له (ص) عن اذى قومه وحملاً له على الصّبر على متاعبهم وتجرئةً على دعوتهم من غير تأمّلٍ فى قبولهم وردّهم ، ومن غير خوفٍ من لومهم وايذائهم، وتقويةً لتوكّله واعتماده على ربّه (ص) وترغيباً فى التّوسّل به والانقطاع من كلّ من سواه يعنى تذكّر حكاية موسى (ع) [اِذْ رَاٰ نٰاراً] بدل من حديث موسى (ع) اوظرفٌ له وسيجيء فى سورة القصص حكاية حال موسى (ع) وتولّده ونشؤه وفراره الى مدين وتزويج ابنة شعيب (ع) ورجوعه الى مصر [فَقٰالَ لِاَهْلِهِ امْكُثُوا] فانّه بعد رجوعه من مدين ضلّ الطّريق فى ليلٍ مظلمٍ واصابهم برد شديدٌ وريح وتفرّقت غنمه واخذ زوجته الطّلق فرأى ناراً فقال لاهله : امكثوا [اِنِّى اٰنَسْتُ نٰاراً] اى رأيتها بحيث اطمأنّ قلبى وسكن وحشتى [لَعَلِّى اٰتِيكُمْ مِنْهٰا بِقَبَسٍ] بقطعة [اَوْ اَجِدُ عَلَى النّٰارِ

هُدىً] ما يهتدى به من طريق اواثرمعمورة اوانسان يدلّنى على الطّريق وكان موسى (ع) غيوراً لا يمشى مع الرّفقة لئلّا يرى زوجته الاجنبىّ فلمّا دهمه ظلمة اللّيل وتفرّق ماشيته واصابهم برد شديد وابتليت زوجته بمرض الطّلق واراد ان يوقد النّار ولم ينقدح زنده و اضطرب اضطراباً شديداً و رأى ناراً استأنس بها و قال لاهله تسلية لها انّى آنست ناراً وترك الماشية واهله وذهب الى النّار [فَلَمَّا أَتيٰهَا] متعلّقاً قلبه بأهله وماشيته لانّه تركها بحال لايجوّز العقل تركها بتلك الحال [نُودِيَ يَا مُوسىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ] قرئ بفتح همزة انّى وكسرها [فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً] الوادى المفرج بين الجبال والتّلال والآكام وطوى قرئ منصرفاً وغير منصرف باعتبار كونه علماً للوادى وعلماً للبقعة وسمّى مقدّساً لانّه بورك فيه بسعة الرّزق والخصب كما قيل ، اولانّه كان مطهّراً من عصيان بنى آدم، اولانّه قدّست فيه الارواح واصطفيت فيه الملائكة وكلّم الله موسى تكليماً كما فى الخبر، وسمّى طوى لانّه كان مطويّاً فيه العلوم، اوالملائكة والبشر، اوالخير والبركة ، اوعالم الطّبع والكثرات ، اوالخلق والحقّ وامره بخلع نعليه لانّ الحفاء اقرب الى التّواضع ، ولان يلاصق قدمه الوادى فتتبرّك به ولانّ النّعلين كانتا كناية عن الاهل، اوعن الاهل والمال كما يعبّران فى الرّؤيا بالمنكوحة ، اولانّهما كانتا كناية عن خوف ضياع ماله واهله ، اوعن خوف ضياع اهله وخوف فرعون فأمره بخلع حبّ الغير اوخوف الغير من قلبه ، وما نقل من طرق العامّة من انّهما كانتا من اهاب الميتة فأمره الله بخلعها ؛ ورد صريحاً تكذيبه من طريقنا .

اعلم ، انّ الانسان من اوّل طفوليّته مبتلىً بمشتهياته الحيوانيّة ومقتضياته النّفسانيّة فهو بعد البلوغ امّا يقف عليها ولايعرف من الدّين والملّة سوى مااخذه واعتاده من الآباء والاقران،اويظهر فى وجوده زاجرا لهيٌ فيزجره عن الوقوف على الحيوانيّة وهو امّا يقف على هذه الحالة ويتحيّر فى امره حتّى يدركه الموت وهو حال اغلب النّاس او يصل بهيجانه و انزجاره الى زاجرٍ آلهىّ ظاهرىّ من نبىٍّ او خليفته و يسلّم نفسه له و يقبل منه الاحكام القالبيّة الظّاهرة فى اىّ دينٍ وملّة كان ، وهو امّا يقف عن طلبه ويكتفى بالاتّصال بالزّاجر الآلهىّ وظواهر الاحكام القالبيّة وهو حال اغلب الملّيّين ، اويتهيّج لطلب بواطن الاحكام القالبيّة ويطلبها ؛ وهو امّا يقف ويتحيّر حتّى يدركه الموت، اويصل الى من يدلّه على طريق معرفة بواطن الاحكام ؛ وهذا امّا يكتفى بالوصلة البشريّة والبيعة الولويّة ، اويزداد بذلك شوقه الى معرفة البواطن وشهود الغيب ؛ وذلك امّا يقف على هذه الحال حتّى يدركه الموت اوتدركه العناية الآلهيّة وتوصله الى مقامٍ من النّفس يرى فيه مظاهر الله ويسمع صوت الله من مظاهره وهذا اوّل مقام الاطّلاع على الغيب والالتذاذ ببواطن الشّرع ، وهذا اوّل مقامٍ يصلح العبد لان يرجعه الله الى الخلق للدّعوة والتّكميل فانّ دعوته هناك تكون على بصيرةٍ ويصير العبد من اتباع محمّدٍ (ص) الّذين اشار اليهم بقوله تعالى : قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرةٍ انا و من اتّبعنى؛ سواء كان من امّة محمّدٍ (ص) اومن الامم الماضية ، ولمّا كان الانسان مفطور التّعلّق بالكثرات ولايبلغ الى هذا المقام الّا من طرح الكثرات وازال الانانيّات كان الله تعالى اذا اراد ان يبلغ عبده الى هذا المقام ابتلاه بالبلايا الواردة النّفسيّة والبدنيّة والحقّيّة والخلقيّة حتّى ينزجر غاية الزّجرة ويستوحش غاية الوحشة وينصرف من الكثرة الى الوحدة ولذلك يظهر قبل ظهور صاحب الامر الدّجّال والسّفيانىّ ، وقبل خراب الدّنيا يأجوج ومأجوج، ولمّا اراد الله تعالى ان يبلّغ موسى (ع) الى هذا المقام وكان شديد الاهتمام بالكثرات وحقوقها سلّط عليه البرد وظلمة اللّيل وتفرّق الماشية ومخاض المرأة وعدم انقداح الزّندة وضلال الطّريق حتّى دهش غاية الدّهشة واستوحش غاية الوحشه ، ثمّ اراه نوره بصورة النّار وبلّغه الى ذلك الوادى وذلك الوادى واقع بين جبلى

انانيّة اللّه و انانيّة العبد و مطوىّ فيه الخيرات و البركات و مجتمع للملك و البشر و الخلق و الحقّ، و مطوىّ فيه انموذجات العلوم كلّها و الآيات جلّها، و هذا هو طور النّفس و مرتفعها و فناء دار التّوحيد فانّ الطّور اسم للجبل و لفناء الدّار كما انّه علمٌ لجبل قرب ايلة يضاف الى سينا و سينين و علم جبل بالشّام، و قيل: هو يضاف الى سينا و سينين، و علم جبل بالقدس عن يمين المسجد، و آخر عن قبلته به قبر هارون، و جبلٌ برأس العين، و جبلٌ مشرفٌ على الطّبريّة و علم كورة بمصر، و علم بلد بنواحي نصيبين [وَأَنَا اخْتَرْتُكَ] يعنى للرّسالة و الوحى، و قرئ انّا اخترناك بفتح الهمزة و تشديد نون انا، و اخترنا بصيغة المتكلّم مع الغير [فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ] للوحى او للّذى يوحى اليك [إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ] بيان لما يوحى [لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا] لمّا كان اساس الرّسالة و اصل الاصول و الفروع فى الدّين هو التّوحيد كان اللّه تعالى يوحى بتوحيده الآلهة و العبادة اوّل ما يوحى [فَاعْبُدْنِي] اى صر عبداً لى بخروجك من رقّيّتك لنفسك و للشّيطان و من شراكة نفسك و الشّيطان للّه فى عبديّتك او اعمل لى عمل العبيد [وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي] اى لان اذكرك و لاشرف اشرف منه يعنى انّ الصّلوة ذكرك لى و ذكرك لى مستعقب لذكرى لك، او لان تذكرنى او لمحض ان تذكرنى من غير شوب غرض آخر فيها، او المعنى اقم الصّلوة لحصول ذكرى بمعنى انّك كلّما تذكّرتنى فتوجّه توجّهاً تامّاً حتّى تقيم الصّلوة و لا تكن كمن يذكرنى ذكراً ناقصاً من غير توجّه و التفات، او بمعنى انّك كلّما ذكرت الصّلوة المنسيّة بان ذكرتنى و ذكرت امرى و تذكّرت نسيان الصّلوة المنسيّة فأقمها، او بمعنى انّى ذاكرٌ لك بالذّكر العامّ مداماً و يقتضى ذلك ان تكون متوجّهاً الىّ توجّهاً تامّاً و قد سبق فى اوّل البقرة معانى الصّلوة، و تحقيق اقامتها، و انّ اقامة الصّلوة عبارة عن ايصال الصّلوة القالبيّة بالصّلوة الذّكريّة القلبيّة و ايصال الصّلوة الذّكريّة بالصّلوة الفكريّة الصّدريّة، و ايصال الصّلوة الفكريّة بالصّلوة القلبيّة الحقيقيّة، و ايصال الصّلوة القلبيّة بالصّلوة الرّوحيّة.

واعلم، انّ الذّكر كما سبق بيانه فى سورة البقرة عند قوله تعالى فاذكرونى اذكركم له مراتب و درجات و انّ الذّكر الحقيقىّ و حقيقة الذّكر هو خليفة اللّه فى الارض، فانّه و ان كان بحسب ملكه مختفياً كونه ذكر اللّه لكنّه بملكوته ذكر جلىّ للّه بحيث يلتبس على غير ذى البصيرة التّامّة انّه هو اللّه لظهور المحكىّ به بحيث يختفى البينونة و يغلب حكم الظّاهر على المظهر، و انّ المقصود من الاذكار و الاعمال الّتى يقرّرها صاحب هذا الامر على السّالك هو حصول هذا الذّكر فانّه غاية الغايات و نهاية النّهايات، فالمعنى على هذا اقم الصّلوة و اوصل مراتبها كلّاً بالاخرى لتحصيل هذا الذّكر او لحصوله يعنى ان لم يكن هذا الذّكر حاصلاً لك فاقم الصّلوة ليحصل لك لانّه هو البغية العظمى و الغنية القصوى، و ان كان هذا الذّكر حاصلاً لك فاقم الصّلوة شكراً لهذه النّعمة و استتماماً لتلك البركة [إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ] تعليلٌ لقوله: اقم الصّلوة لذكرى فانّ السّاعة فسّرت فى الاخبار بساعة ظهور القائم (ع)، و بساعة الموت، و بالقيامة، و هذه الثّلاث فى العالم الصّغير متّحدة فانّ ظهور الامام (ع) بملكوته لا يكون الّا عند الموت الاختيارىّ كما انّه لا يكون الموت الاختيارىّ الّا عند ظهور الامام (ع) و عند الموت يكون القيامة الصّغرى، و كما يكون ظهور الامام (ع) فى الموت الاختيارىّ يكون فى الموت الاضطرارىّ ايضاً كما فى الاخبار فعلى هذا كان المعنى اقم الصّلوة منتظراً لظهور الامام (ع) بملكوته لانّ ساعة ظهوره آتية لا محالة فانتظرها [أَكَادُ أُخْفِيهَا] قرئ بضمّ الهمزة من الاخفاء بمعنى جعل الشّيء خفيّاً، او بمعنى سلب الخفاء عن الشّيء، و قرئ بفتح الهمزة من خفاه بمعنى اظهره، و لكن فى الاخبار اشارة الى معنى السّتر، و لمّا كان ظهور السّاعة من الامور الخفيّة الّتى لا يطّلع عليها النّفوس الضّعيفة بل الكاملة الّا صاحب الولاية المطلقة الّذى يطّلع على دقائق الامور و خفيّاتها و لذلك قال علىّ (ع):

قد خصّصت بعلم المنايا والبلايا؛ فانّ المراد بالمنايا انواع موتات الانسان فى السّلوك وفى البرازخ، وانواع ظهورات السّاعة والقائم عجّل الله فرجه والمراد بالبلايا انواع الامتحانات للخلاص من حجب ظهور السّاعة والامتحان لظهور السّاعة فرع العلم بكيفيّة ظهورها ووقت اتيانها وفى اخبارنا: اكادا خفيها من نفسى، وقيل: اكادا خفيها من نفسى هكذا نزلت، وانّه فى قراءة ابىّ كذلك، وهذه الكلمة تقال عند المبالغة فى اخفاء شيء من غير اعتبار واخفاء من النّفس، اوالمراد بقوله تعالى: من نفسى: من خليفتى، فانّ خليفته فى الارض بمنزله نفسه [لِتُجْزٰى كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا تَسْعىٰ] تعليل لقوله: انّ السّاعة آتية، لانّ ظهور القائم (ع) يوجب اعطاء كلّ ذى حقّ حقّه، اوتعليل لقوله: اكادا خفيها لانّ فى الاخفاء وعدم الاظهار يحصل الابتلاءات والامتحانات والتّخليصات للسّالكين فى الدّنيا وللمسيئين فى البرازخ بعد الموت على ان يكون المراد بالسّاعة القيامة الكبرى والقيام عند الامام بعد الخلاص ممّا عليه من شوائب المساوى والابتلاءات جزاء مافعله العبد باقتضاء نفسه ومشتهياتها، اوتعليل لكليهما على سبيل التّنازع، والجزاء امّا بعين ما تسعى بناءً على تجسّم الاعمال، اوبجزاء ما تسعى، و فى الآية على ما فسّرت اخيراً دلالة على ما قالته الصّوفيّة من انّ السّالك يتبغى ان يكون منتظراً لظهور صاحب الامر (ع) وان لايكون منظوره من جملة اعماله الّا ظهور صاحبه، وفى قوله: اقم الصّلٰوة لذكرى ايماء الى حصر المقصود من الاعمال فى الذّكر باعتبار مفهوم القيد [فَلٰا يَصُدَّنَّكَ عَنْهٰا] اى عن اقامة الصّلٰوة لذكرى اوعن الصّلٰوة لذكرى اوعن السّاعة اى عن ساعة ظهور الامام عجّل الله فرجه [مَنْ لٰا يُؤْمِنُ بِهٰا] فى مرجع هذا الضّمير ما فى مرجع ضمير عنها [وَاتَّبَعَ هَوٰاهُ] من قبيل عطف العلّة اوالمعلول [فَتَرْدىٰ] فانّ فى الصّدّ عنها صرفاً عنها وفى الصّرف عنها توجّهاً الى الدّار السّفلى وحركةً فيها لانّ النّفس متحرّكةٌ وخارجة بالتّدريج من القوّة الى الفعل، واذا انصرفت عن الدّار العليا توجّهت لامحالة الى الدّار السّفلى وتحرّكت فى دركاتها وفيها هلاكتها [وَمٰا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يٰا مُوسىٰ] لمّا صار موسى (ع) فى غاية الوحشة والدّهشة والاضطراب من خوف ضياع ماله وعياله ورؤية غرائب لم يكن يرى قبل ذلك مثلها من اشتعال نار بيضاء من شجرة خضراء من اصلها الى فرعها لم تكن تضرّ النّار بخضرتها واهواء النّار اليه كلّما اراد ان يأخذ منها وتكلّم متكلّم من النّار، سأل تعالى عن احبّ الاشياء اليه حتّى يشتغل به ويأنس من وحشته ويسكن من اضطرابه فانّ الاشتغال يسكّن الاضطراب خصوصاً اذا كان فى حقّ المحبوب ومع من كان الاضطراب منه ولذا بسط موسى (ع) فى الجواب و [قٰالَ هِيَ عَصٰايَ] وزاد على قدر الجواب قوله [أَتَوَكَّأُ عَلَيْهٰا] اى اعتمد فى المشي اوحين اريد ان أقوم على غنمى [وَأَهُشُّ بِهٰا] اى اخبط الورق من الاشجار [عَلىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهٰا مَآرِبُ أُخْرىٰ] مثل سوق الغنم بها ودفع الذّئب حين تعرضه، والاستظلال بسببه بان كان يركزها فى الشّمس ويعرض الزّندين على شعبتيها ويلقى عليها كساءه، وتطويل حبل الدّلو بها اذا قصر، وغير ذلك، واجمل المآرب مع انّه كان اقتضاء بسط الجواب ان يبسط المآرب امّا للاستحياء، اولعدم مساعدة قلبه على اكثر من ذلك لشدّة اضطرابه، وايضاً لمّا اراد الله ان يجعل عصاه آية نبوّته وآية انّ الكلام رحمانىٌّ لاشيطانىّ اذقيل: انّ موسى (ع) شكّ فى انّ الكلام شيطانىّ اورحمانىٌّ، وقيل: انّه (ع) بعد ما سمع انّى انا الله من الشّجرة قال: ما الدّليل على ذلك؟ - سئل من عصاه حتّى يتنبّه انّه جمادميّت ويتذكّر ذلك فلا يشكّ اذا صارت حيّة حيّةً فى انّه آلهىٌّ لاشيطانىٌّ [قٰالَ] الله تعالى [أَلْقِهٰا يٰا مُوسىٰ فَأَلْقٰاهٰا فَإِذٰا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعىٰ] تتحرّك سريعةً، قيل: إنّما القيها صارت حيّةً بغلظ العصى فعظمت وصارت ثعباناً عظيماً، ولذلك سمّاها جانّاً تارةً، وثعباناً اخرى، اوصارت من اوّل الامر بعظم الثّعبان لكنّها تتحرّك سريعاً مثل الجانّ، ولمّا

رأى موسى (ع) انّها صارت حيّة عظيمة تسعى خاف منها وادبر يعدو من خوفه [قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ] اى هيئتها الاولى [وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ] الجناح اليد والعضد والابط والجانب [تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ] اى من غير علّة برص وكان موسى (ع) شديد السّمرة فأخرج يده من جيبه فاضاءت له الدّنيا [آيَةً أُخْرَىٰ] على صدق كلامى وانّه رحمانىّ وعلى صدق رسالتك عند من اريد ان ارسلك اليه [لِنُرِيَكَ] متعلّق بتخرج او باضمم اوظرف مستقرّ خبر مبتدء محذوف، واللّام للتّبيين او متعلّق باذهب والمعنى لنريك [مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ] يعنى المقصود الاهمّ من ارسالك اليه تكميلك فى ذاتك حتّى تستعدّ لرؤية الكبرى من الآيات وهى مشاهدة نور الولاية العلويّة، والكبرى امّا صفة للآيات والمفعول محذوف ومن آياتنا قائم مقامه، اومن بنفسه مفعول ثان لنريك لكون من اسماً او لقيامه مقام المفعول لقوّة معنى البعضيّة فيه، اوالكبرى مفعول ثان لنريك [إِنَّهُ طَغَىٰ] تجاوز عن الحدّ حتّى استكبر على خلفاء الله [قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي].

اعلم، انّه قد تكرّر قصّة موسى (ع) وقومه وقصّته مع فرعون باختلاف يسير فى الالفاظ ووجه التّكرار انّ حكاية موسى (ع) من اوّل انعقاد نطفته الى آخر حياته كلّها عبرة ونصح ووعد ووعيد وانذار وتبشير وتسلية للرّسول (ص) وللمؤمنين، وتقوية لتوكّلهم وصبرهم على مانالوه من الدّهر والاعداء، وفيها آيات كثيرة دالّة على علمه تعالى وقدرته ولطفه ورحمته ونكاله وعقوبته، وعلى قوّة قلب موسى (ع) وسعة صدره وزيادة تحمّله لما نال من قومه الّذين كانوا اشدّ حمقاً من امم جميع الانبياء، وشدّة صبره على مداراة الاعداء ليكون اسوة له (ص) وللمؤمنين فى جميع ذلك، وكفى فى قوّة قلبه وسعة صدره فى مقام المناجاة الّذى قلّما ينفكّ المناجى عن الغشى والانسلاخ من الكثرات ومن الشّعور بها بقاء التفاته الى الكثرات بحيث لم يكن يهمل من حقوقها شيئاً، فانّه بعد ما امره الله تعالى وشرّفه بالرّسالة استشعر بانّ الرّسول ينبغى ان يكون طليق اللّسان حتّى يمكنه الدّعوة والمجادلة اللّازمة للدّعوة ودفع الخصم وشبهاته وكان بلسانه لكنة لايمكنه ذلك، وينبغى ان يكون وسيع الصّدر حتّى يمكنه تحمّل متاعب الرّسالة، ولا ينزعج بكلّ مكروه فانّ الرّسالة يلزمها المكاره الّتى يسلم اكثر النّاس منها، وكان ضيّق الصّدر شديد الغضب سريع الانزعاج من كلّ مكروه، وينبغى ان يكون محبوباً للخلق لامبغوضاً وكان (ع) مبغوضاً لهم لقتله منهم نفساً، ولذلك اعتذر واستعفى وقال كما فى سورة الشّعراء: ربّ انّى اخاف ان يكذّبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فارسل الى هارون ولهم علىّ ذنب فاخاف ان يقتلون، ولعلّه كان الكلام والامر والرّدع من الله والاعتذار والاستعفاء والمسئلة من موسى (ع) مكرّراً وكان استعفاؤه كما فى سورة الشّعراء اوّل ما اجابه فلمّا ردعه الله عنه سأل منه تعالى شرح صدره كما حكى الله عنه فقال: اذا لم يكن بدّ من ارسالى فاشرح لى صدرى [وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي] حتّى لا يردّونى ولا يبغضونى فيصعب علىّ دعائى لهم لانّى قتلت منهم نفساً ويقبلوا منّى [وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي] الظّاهر ولسانى الباطن [يَفْقَهُوا قَوْلِي] فانّه كان بلسانه لكنة من جمرة ادخلها فاه حين امتحان فرعون تميزه ورشده [وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي] قوّتى [وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي] قرئ اشدد بضمّ الهمزة واشركه بفتح الهمزة على صيغة الامر وقرئ الاوّل بفتح الهمزة والثّانى بضمّها على صيغة المضارع المتكلّم فان كانا امرين كانا تأكيداً لقوله: اجعل لى وزيراً ولذلك لم يأت باداة الوصل، وان كانا مضارعين كانا مجزومين فى جواب الامر، وفى قوله: اشركه فى امرى، دلالة على انّه

لم يرد بكونه وزيراً محض المعاونة فى الامر بل اراد ان يكون شريكه فى الرّسالة ايضاً حتّى يكون اهتمامه بالامر مثل اهتمام موسى (ع) [كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً] لمّا كان عماد امر الرّسالة والعبادة هو التّسبيح والتّحميد بل كان اساس جملة الامور على الطّرح والاخذ والخلع واللّبس الّذين صورتهما الزّكوة والصّلوة والتّسبيح والتّحميد والتّبرّى والتّولّى، جمع فى غاية مسؤله بينهما وجعل غاية سؤال الموازرة ذلك للاشعار بانّ منظوره من السّؤال ليس الّا ما هو ملاك جملة الامور؛ وفيه اشعار بانّ الاجتماع اذا كان على سبيل الموافقة يعين على جهة العبادة [إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً] اعتذار عن سؤال وزارة هارون بأنّك بصير باحوالنا وانّى منفرداً لا اقدر على امضاء هذا الامر وانّ هارون اولى من غيره لوزارتى وانّى لم ارد من هذا السّؤال الّا تكثير التّسبيح والذّكر، او استدراك لنقصان سؤاله بمعنى لكنّك كنت بنا بصيراً فان تعلم انّه لايصلح لى هذا المسؤل، اولا يصلح هارون للوزارة، اولا خير لى فى شرح صدرى وتيسير امرى فلا تجب مسؤلى [قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ] قيل فى هذا دلالة على انّه اراد بقوله واحلل عقدةً من لسانى العقدة الباطنيّة لانّ لكنة لسانه الظّاهر كانت باقيةً بدليل قوله تعالى حكاية عن فرعون: لايكاد يبين [وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ] كما مننّا عليك فى هذه المرّة بتشريف الرّسالة وباجابة مسؤلك [إِذْ أَوْحَيْنَا] ظرف لمننّا او بدل من مرّةٍ اخرى ان اعتبر فيها معنى الظّرفيّة فانّ المرّة بمعنى الفعلة من الفعل السّابق عليها لكنّها قد يعتبر فيها معنى الظّرفيّة بتقدير الزّمان قبلها [إِلَىٰ أُمِّكَ] حين تولّدك وخوفها من قتلك [مَا يُوحَىٰ] ما ينبغى ان يوحى ولا يترك لترتّب المصالح العديدة عليه من انجاء بنى اسرائيل من القبطىّ، واهلاك اعداء الله، واحياء العالم بانتشار صيت الرّسالة والوحى كان الهاماً، او على لسان نبىّ وقتها او كان بتحديث الملك فى المنام او فى اليقظة [أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ] ان تفسيريّة وتفسير لما يوحى او مصدريّة وبدل من ما يوحى يعنى اوحينا اليها ان تصنع تابوتاً لاينفذ الماء فيه وان تلقيك فيه [فَاقْذِفِيهِ] اى التّابوت او موسى (ع) [فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ] تكرار عدوّ لمطلوبية تكرار الذّمائم عند الذّمّ ولانّ جهة عداوة كلّ غير جهة عداوة الآخر [وَأَلْقَيْتُ] عطف على اوحينا والتّفاوت فى المسند اليه امّا لانّ الوحى لايكون الّا بواسطة اووسائط، والقاء المحبّة ليس الّا بلاواسطة، او للاشارة الى تشريفٍ له بانّه تعالى بنفسه القى المحبّة اليه دون الوحى الى امّه اولمحض التّفنّن وتجديد النّشاط [عَلَيْكَ مَحَبَّةً] عظيمةً او حقيرةً [مِنِّي] صفة لمحبّة بمعنى القيت عليك محبّتى فصرت محبوباً لى، ومن صار محبوباً لى يصير محبوباً للكلّ لانّ محبّة كلّ الموجودات رقيقة من محبّتى فاذا تعلّق محبّتى بشيءٍ تعلّق بذلك الشّيء محبّة جميع الموجودات لميل كلّ المحبّات الى اصلها الّذى هو محبّتى، او بمعنى القيت عليك محبّة النّاس من قبلى لا من جانب الاسباب مثل الجمال والكمال، او بمعنى القيت عليك محبّتك لى فصرت محبّاً لى فصرت محبّاً لك لانّ كلّ محبوبٍ يحبّ محبّه، او بمعنى القيت عليك محبّتك للنّاس فصرت محبّاً للنّاس فصار النّاس محبّاً لك ومنّى ظرف لغو متعلّق بالقيت بهذين المعنيين وكان موسى (ع) بحيث كلّما راه راءٍ احبّه؛ ولذلك اجاب فرعون زوجته آسية فى قولها: قرّة عينٍ لى ولك لاتقتلوه [وَلِتُصْنَعَ] عطف على محذوفٍ اى لتصير محبوباً ولتصنع او متعلّق بمحذوفٍ معطوفٍ على القيت اى فعلت ذلك لتصنع [عَلَىٰ عَيْنِي] يقال فلان على عينى اى يكرم عندى، او المراد على ديدبانى يعنى مكرّماً على ديدبانى الموكّل بك ولتشريف موسى (ع) بالنّسبة الى سفينة نوح (ع) قال ههنا على عينى وهناك اصنع الفلك باعيننا [إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ] متعلّق بالقيت او بتصنع يعنى

لتربّى وتكمل على عينى وقت وقوعك فى يد فرعون ومحبّته لك وطلبه مرضعة لك وعدم التقامك ثدياً وانتظارهم وتوقّعهم ارتضاعك وحاجتهم الشّديدة الى مرضعة ترضعك اذتمشى اختك [فَتَقُولُ] لهم [هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ] وسألوامن اختك الدّلالة عليها واحضر فرعون امّك وسلّمك اليها للارضاع باجرة ومؤنة [فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ] امّك اوانت [وَقَتَلْتَ نَفْسًا] عطف على اوحينا والمرادبقتل النّفس قتل القبطىّ الّذى كان منازعاً مع السّبطىّ فبطشه كما سيأتى [فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ] بان الهمناك ودللناك على الخروج من مصر [وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا] ابتليناك من اوّل انعقاد نطفتك بانواع البلايا لتكون عبرةً للنّاظرين والسّامعين لها وحجّةً على الجاحدين المنكرين لقدرةالله الخادعين مع الله بان جعلنا انعقاد نطفتك على باب قصر فرعون فى ليل كان فرّق بين نساء بنى اسرائيل ورجالهم، وحملت بك امّك فى عام كان فرعون وكّل فيه بنساء بنى اسرائيل نساءً من القبطىّ يفتّش النّساء لاستظهار الحمل، ويستحيين حيائهنّ ولم يظهر حملك عليهنّ، وولدت فى عام كان فرعون يقتل كلّ مولود ذكر اسرائيلىّ فيه فألقيت على المرأة الموكّلة بأمّك محبّة لك حتّى قالت لأمّك لا تحزنى واصنعى به ما شئت ولم تخبر بك، والقتك أمّك فى البحر فسلّمتك من الغرق وسائر آفات البحر، وسلّمتك الى فرعون وألقيت محبّتك فى قلبه، وربّيتك فى حجر عدوّك حتّى استدعى من امّك ان ترضعك باجرة، وابتليتك بان همّ فرعون بقتلك غير مرّة فسلّمتك، وبان قتلت نفساً منهم ففررت خوفاً منهم من غير رفيق وزاد وراحلة الى مدين فسلّمتك الى مدين والى نبىّ شعيب وزوّجتك ابنته، وابتليتك بان آجرت نفسك عشر سنين لرعى ما شيته بان صرت محبوساً بتلك الاجارة وكان كمالك فى ذلك الحبس، وبعد ما خرجت من مدين ابتليتك ببرد شديد وظلمة شديدة وضلال الطّريق وتفرّق الماشية ومخاض المرأة وعدم انقداح الزّند حتّى اخلصتك لمناجاتى وكلامى بذلك [فَلَبِثْتَ سِنِينَ] عشراً [فِي أَهْلِ مَدْيَنَ] على ما روى انّه اتمّ ابعد الاجلين [ثُمَّ جِئْتَ] من مدين الىّ اوالى ههنا اوالى مصر مشتملاً [عَلَىٰ قَدَرٍ] اى مبلغ يبلغ الرّجال فيه الى الكمال، اوعلى طاقة لحمل أعباء الرّسالة، اوعلى قوّة فى بدنك ونفسك، اوعلى ما قدّر لك من فضل الرّسالة [يَا مُوسَىٰ] فى تكرار النّداء لطف من الله والتذاذ للمنادى [وَاصْطَنَعْتُكَ] مبالغة فى الصّنع يعنى خلقتك وربّيتك وأكملتك كمالاً ينبغى بحال الكمّل من الرّجال خاصّاً [لِنَفْسِي] هذاغاية تشريف وتكريم له(ص)، ولمّا كان مراده ان يرسله الى من هو خائف منه ذكر قبل ذلك مامنّ به عليه مرّات عديدةً ليكون على ذكر من ذلك ويتسلّى بذلك عن خوفه ويكون على قوّة من القلب حين الذّهاب الى فرعون وقال تعالى [اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ] كما سألته [بِآيَاتِي] الى فرعون وقومه اسقطه ههنا بقرينة السّابق واللّاحق [وَلَا تَنِيَا] لاتفترا [فِي ذِكْرِي] الّذى اخذتماه من شيخكما للدّوام عليه اوفى تذكّرى والتوجّه الىّ بقلوبكما حيثما تقلّبتم، اوحين الدّعاء الىّ، اوفى رسالتى، اوفى ذكرى بألسنتكم عند فرعون [اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ] تأكيدٌ للاوّل ولذلك لم يأت بأداة الوصل [إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا] قولاً بمعناه المصدرىّ، اوبمعنى المقول مفعول مطلق اومفعول به [لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ] عن الكاظم(ع) وامّاقوله: لعلّه يتذكّر اويخشى، فانّماقال ذلك ليكون أحرص لموسى(ع) على الذّهاب وقد علم الله عزّوجلّ انّ فرعون لا يتذكّر ولا يخشى الّا عند رؤية البأس، والتّذكّر كناية عن الرّجاء، والخشية هى الخوف [قَالَا] يعنى قال موسى(ع) قالاً وهارون(ع) حالاً، اوقال موسى(ع) وضمير التّثنية للتّغليب، اوقالا بعد رجوع موسى(ع) الى مصر واعلام هارون(ع) بالرّسالة [رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ

يَفْرُطَ عَلَيْنا] اى يسبقنا ويسبق آياتنا بقوّته وعقوبته اويسرف علينا، وقرئ يفرط مبنيّاً للمفعول وللفاعل من افرطه اذا حمله على المعاجلة ، اومن افرط اذا اسرف [اَوْ اَنْ يَطْغى] يعنى نخاف من قساوته وعن ملكه ان يسبقنا بالعقوبة، اويظهر بالنّسبة اليك مالانرضاه ولانتحمّله [قالَ لا تَخافا اِنَّنى مَعَكُما] معيّة خاصّة غير المعيّة المطلقة الّتى تكون لى مع كلّ شيء فتمنعه معيّتى لكما عن الاسراف عليكما وعن الطّغيان علىّ [اَسْمَعُ] منه مالاتسمعاه [وَاَرى] منه مالاتر ياه منه فاصرف عنكما شرّه فى كلّ حال وانصركما من حيث لاترون ولايرى [فَأْتِياهُ] اى اذا كنت معكما اسمع وارى فأتياه من غير خوف منه متّكلين على نصرتى [فَقُولا اِنّا رَسُولا رَبِّكَ] تثنية الرّسول ههنا وافراده فى الشّعراء للاشارة الى وحدة الرّسالة وتعدّد الرّسولين [فَأَرْسِلْ] اى اطلق من الاستعباد وارسل [مَعَنا بَنى اِسْرائيلَ] الى مانشاء من البلاد ، اوارسل من العذاب معنا بنى اسرائيل سواء كنّا فى مصر اوفى غيرها [وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْناكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ] جواب سؤال مقدّر اومذكور حين التّكلّم محذوف حين الحكاية كأنّه قال: وهل لكما ما يدلّ على صدقكما؟ـ فقالا: قد جئنا بآية دالّة على صدقنا فى رسالتنا من ربّك، وتكرار ربّك للاشعار بانّه مربوب وليس برب كما ادّعاه ، وهذا جزء مقول القول الّذى امرا به اوكلام منهما والتّقدير فجاءا وقالا له ماقاله تعالى فقال: ماالدّليل؟ـ قالا : قد جئناك(الى آخر الآية) [وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى] يعنى أظهرا دعواكما عنده وأظهرا انّ لكما آية على دعوتكما ، ثمّ حيّياه بتحيّة المتاركة بنحو التّعريض بضلاله ودعائه الى اتّباع الهدى ، اوقولا له : السّلامة على من اتّبع الهدى ، وعلى هذا فقوله [اِنّا قَدْ اُوحِيَ اِلَيْنا اَنَّ الْعَذابَ عَلى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلّى] كان فى موضع تعليل ، وعلى الاوّل كان جواباً للسّؤال عن حالهما فى رسالتهما ، هذا اذا كان قوله : قد جئناك محكيّاً بالقول، واذا كان منهما حين الورود على فرعون كان قوله : والسّلام على من اتّبع الهدى (الى آخر الآية) من قولهما ، وارتباطه بسابقه كان ظاهراً [قالَ فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسى] نادى موسى (ع) لانّه كان الاصل وهارون (ع) كان فرعاً، اواراد ان يتكلّم موسى (ع) حتّى يظهر على الحاضرين عجزه عن التّكلّم ووهنه فى ادّعائه ، ويدلّ عليه قوله ام انا خير من هذا الّذى هو مهين ولا يكاد يبين [قالَ] موسى (ع) لمّا خصّه بالنّداء اجاب هو عنه فقال [رَبُّنَا الَّذى اَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ] قرئ بسكون اللّام مفعولاً ثانياً لاعطى ، اومفعولاً اوّلاً اى اعطى كلّ شيء خلقه وايجاده اوخلقه وصورته اللّائقة به، اواعطى كلّ شيء نظيره فانّ كلّ شيء من الحيوان له نظير من الذّكر اوالانثى، وهكذا من النّبات والمعدن حتّى العناصر فانّ الارض نظيرها المرافق لها هو الماء مثلاً ،وقرئ خلقه فعلاً ماضياً صفة لشيء والمعنى اعطى كلّ شيء من الاعيان الثّابتة والتّعيّنات الظّاهرة فى مقام علمه كلّ ما يحتاج اليه من الوجود ولوازمه من الكمالات الاوّليّة اللّائقة بحال كلّ والكمالات الثّانية ويكون قوله خلقه [ثُمَّ هَدى] بياناً وتفصيلاً لقوله اعطى كلّ شيء ، ومعنى خلقه اعطاه وجوده وكمالاته الاوّليّة ، ثمّ هداه بالاراءة اوالايصال الى الطّريق اوالى المطلوب الى كمالاته الثّانويّة الاختياريّة فى المختارين، اوالاضطراريّة فى المضطرّين ، والتّعبير عن اعطاء الكمالات الثّانويّة بالهدى للاشعار بانّ الوصول الى الكمالات الثّانويّة غير محتوم بل قد يكون وقد لايكون ، وقد اجابه (ع) بجواب لايمكنه التّلبيس والتّمويه على الحاضرين فانّه اجابه بعموم الرّبوبيّة الّتى لايمكنه انكاره ولانسبة مثله بالتّمويه الى نفسه كما قال نمرود : أنا أحيى وأميت ؛ ولذلك بهت ولم يحر جواباً بالنّقض والحلّ ، وانتقل الى سؤال آخر و [قالَ فَما

بٰالُ الْقُرُونِ الْاُولٰى] ماحالهم بحسب البقاء والفناء؟ والخير والشّرّ؟ والنّعمة والنّقمة؟ والمنازل والامكنة؟ اعرض عن السّؤال الاوّل وسأل عمّا يعجزه فى الجواب لانّه ان كان يجيب ببيان احوالهم يصر عاجزاً عن اقامة دليل عليه يفهمه السّامعون ولهذا أجابه بما لم يطالبه فرعون بدليل عليه و [قٰالَ عِلْمُهٰا عِنْدَ رَبّى] يعنى انّ حالهم من الغيب الّذى لايطلع الله احداً عليه الّا من ارتضاه ولوكنت اعلم منه شيئاً باعلام الله لايمكننى افهامك وافهام امثالك [فى كِتٰابٍ لٰا يَضِلُّ رَبّى] هوصفة كتاب بتقدير العائد اى لايضلّ عنه وعن طريقه قبل العلم [وَلٰا يَنْسىٰ] بعد العلم به اومستأنف جواب لسؤال مقدّرٍ، ولمّا اعرض فرعون عن جواب سؤاله الاوّل ولم يتعرّض له بالرّدّ والقبول ادّى موسى (ع) جواب سؤاله الثّانى بحيث انجرّ الى الجواب الاوّل حتّى اضطرّ الى القبول اوبهت كما بهت اوّلاً حتّى يظهر عجزه على الحاضرين فقال [اَلَّذى جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فيهٰا سُبُلًا] تهتدون بها الى غير بلادكم لتحصيل منافعكم وما تحتاجون اليه ، وسبلاً لتحصيل معايشكم من الزّراعات والتّجارات والصّناعات ، وسبلاً لتحصيل منافعكم الاخرويّة من الانبياء(ع) وشرائعهم وخلفائهم (ع) [وَاَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ] من جهة العلو [مٰاءً فَاَخْرَجْنٰا بِهِ] قيل: هو التفات من الغيبة الى التّكلّم وهو صحيح اذاكان المتكلّم هو المتكلّم وليس كذلك ، وقيل: هو كلام من الله مربوط بكلام موسى (ع) بان يكون هو من كلام الحاكى مربوطاً بكلام المحكىّ عنه ومثله كثير فى المخاطبات لكن نقول: انّ الرّسول (ع) حين رسالته وتبليغها قد ينسلخ من انانيّته بحيث لايبقى فى وجوده الّا انانيّة المرسل وحينئذٍ يجوز ان يظهر بشأن المرسل ويتكلّم بكلامٍ خاصٍّ بالمرسل بعد ان كان يتكلّم بكلامه من حيث رسالته ويكون الكلامان متّصلين بحيث يظنّ انّهما من واحد فيجوز ان يكون الكلام التفاتاً من الغيبة الى التّكلّم بهذا الاعتبار كأنّه صار الرّسول مرسلاً فقال : فاخرجنا به [اَزْوٰاجًا] اى اصنافاً وانواعاً فانّ كلّ صنفٍ ونوعٍ من النّبات له كالحيوان قسمان مثل الذّكر والانثى من الحيوان، او اطلاق الازواج باعتبار أنّ كلّ صنفٍ من اصناف النّبات له نظير او نظائر من نوعه ، او باعتبار انّ كلّ صنفٍ بملاحظة تركّبه من العناصر زوج ، او بملاحظة تعيّنه ووجوده زوج [مِنْ نَبٰاتٍ شَتّٰى] متفرّقة مختلفة فى الشّكل واللّون والزّهر والحبّ والثّمر والمزاج والخاصيّة ووقت النّبت ووقت الحبّ والثّمر وغير ذلك قائلين [كُلُوا وَارْعَوْا اَنْعٰامَكُمْ اِنَّ فى ذٰلِكَ لَاٰيٰاتٍ] عديدة دالّة على علمه تعالى وقدرته وحكمته البالغة وعلى اهتمامه بشأن المواليد الارضيّة ولاسيّما بالاشرف منها وهو الانسان وعلى انّه لايهمل الانسان بحسب بقائه فى الآخرة الّذى هو المقصود من خلقه فى الدّنيا بدون تهيّة اسباب بقائه وبدون من يدلّه على بقائه وما به بقاؤه بنحو المرضىّ له وليست الآيات لكلّ الموجودات لانّ بعضهم غنىّ عن اظهار الآيات كالملائكة، وبعضهم لا يدركون منها كونها آيات بل للانسان وليست لكلّ فرقة منه بل [لِاُولِى النُّهٰى] الّذين حصّلوا بقبول الولاية واتّباع شروط عهده عقلاً يكون مرجعاً ومنتهى لكلّ الاعضاء والجوارح بحسب افعالها، ولكلّ القوى والمدارك بحسب آثارها، وناهياً للكلّ عمّا لا ينبغى، ومنتهى لعلوم السّابقين، وقد اشير فى الخبر الى كلّ وعلم من ذلك وجه تسمية هذا العقل بالنّهية ، ولا يحصل هذا العقل الّا بالولاية ، لانّ من لم يتول ولىّ امره تمكّن الشّيطان من عنقه ، ومن تمكّن الشّيطان من عنقه لم يدعه على حالٍ ولم يذره على شأنٍ فلم يكن له جهة وحدة يرجع الكلّ اليها فكان كرجلٍ متشاكسٍ فيه رجالٌ والاصل فى الاتّصاف بالنّهى هم الائمّة (ع) ولذلك فسّروا اولى النّهى بانفسهم بطريق الحصر، والفرع فى ذلك شيعتهم وليس لغيرهم منه حظّ ونصيبٌ ، وورد عن النّبىّ (ص) انّ خياركم اولو النّهى قيل : يارسول الله ومن اولوا النّهى ؟ ـ قال : هم اولوا الاخلاق الحسنة والاحلام الرّزينة ، وصلة الارحام والبررة بالامّهات والآباء

والمتعاهدون للفقراء والجيران واليتامى ويطعمون الطّعام ويفشون السّلام فى العالم ويصلّون والنّاس نيام غافلون [مِنْهٰا خَلَقْنٰاكُمْ] .

اعلم ، انّ المخاطب من كلّ مخاطب هو الفعليّة الاخيرة الّتى هى الصّورة الّتى هو بها هو ، لا الفعليّة السّابقة الفانية المستهلكة تحت الفعليّة الاخيرة لكنّ الفعليّة الاخيرة بحكم الاحاطة والمعيّة مع كلّ الفعليّات السّابقة كانت متّحدة ، ويجوز ان يجرى عليها حكم تلك الفعليّات فصحّ ان يخاطب الانسان ويحكم عليه بحكم مادّته الّتى هى مخلوقة من الارض باعتبار غلبة جزئها الارضىّ والّا فهى مخلوقة من العناصر الاربعة ، وخلق مادّة الانسان من الارض وعودها اليها ظاهرٌ ، وخروجها منها بعد عودها اليها باعتبار كونها مادّة لهذا الانسان خفىّ غير ظاهر ، نعم مادّة الانسان تخرج من الارض وتجعل مادّة لمواليد اُخر اولاناسىّ آخرين تارات اخر بل كرّات غير متناهية لكن نقول: انّ الانسان له مراتب دانية طبيعيّة ومراتب عالية روحانيّة ، والانسانيّة لسعتها واحاطتها متّحدة مع الكلّ وصادقة عليها كما انّ القرآن له مصاديق دانية طبيعيّة ومصاديق عالية روحانيّة ، وانّ المنظور من الانسان كالقرآن هى المصاديق الرّوحانيّة والمصاديق الطّبيعيّة منظورة بالتّبع وكما انّ المرتبة الطّبيعيّة من الانسان خلقت من الارض الطّبيعيّة كذلك المرتبة البرزخيّة والمثاليّة منه خلقت من التّراب العلّيّينىّ البرزخىّ المثالىّ او السّجّينىّ البرزخىّ ، فصحّ ان يقول الله تعالى : من الارض البرزخيّة اوالمثاليّة خلقناكم [وَفِيهٰا نُعِيدُكُمْ] بعد موتكم الطّبيعىّ [وَمِنْهٰا نُخْرِجُكُمْ تٰارَةً أُخْرىٰ] بعد الانتهاء الى الاعراف من البرزخ ، وقد ورد انّه سئل ابو ابراهيم (ع) عن الميّت لم يُغسّل غسل الجنابة؟ـ فقال: انّ الله تبارك وتعالى أعلى وأخلص من ان يبعث الاشياء بيده انّ لله تبارك وتعالى ملكين خلّاقين فاذا اراد ان يخلق خلقاً امر اولئك الخلّاقين فأخذوا من التّربة الّتى قال الله عزّ وجلّ فى كتابه: منها خلقنا كم وفيها نعيد كم ومنها نخرجكم تارةً اخرى فعجنوها بالنّطفة المسكنة فى الرّحم فاذا اعجنت النّطفة بالتّربة قالا: ياربّ ما نخلق؟ـ قال (ع) فيوحى الله تبارك وتعالى ما يريد ذكراً اوانثى مؤمناً اوكافراً اسود اوابيض شقيّاً اوسعيداً ، فاذا مات سالت عنه تلك النّطفة بعينها لاغير ، فمن ثمّ صار الميّت يغسّل غسل الجنابة ، وهذا الخبر يشعر بما ذكرناه من التّربة البرزخيّة فانّ التّربة الّتى تعجن بالنّطفة فى الرّحم اوبعد اربعين يوماً من نزولها فى الرّحم ليست الّا التّربة البرزخيّة فانّ النّطفة لها كيفيّة استعداديّة لحصول الجسد البرزخىّ والمثالىّ فيها ، وبهذا الاستعداد يخلق الانسان الّذى هو امر روحانىّ فيها ، ولولا هذا الاستعداد لكان النّطفة غير قابلة للصّورة الانسانيّة ولا لروحانيّتها ، والموت صفة طارية لبدن الانسان والّا فجهاته الرّوحانيّة حيّة لا يطروها الموت والخارج من بدن الانسان حين موته ليس الّا روحه واستعداد النّطفة لقبول روحه والتّربة المثاليّة فقوله (ع) فى الخبر: فاذا مات يعنى اذا مات مرتبة الانسان الطّبيعيّة وقوله : سالت عنه ، يعنى عن تلك المرتبة الطّبيعيّة تلك النّطفة يعنى تلك المعجونة بالتّربة البرزخيّة من حيث اعتجانها واستعدادها لا من حيث ارضيّتها الطّبيعيّة وقد ورد بمضمون هذا الخبر عنهم (ع) [وَلَقَدْ أَرَيْنٰاهُ] بواسطة موسى (ع) [آيٰاتِنٰا] من جعل العصا حيّة حيّة ، واليد البيضاء والآيات السّابقة على رسالة موسى (ع) من حين ولادته الى خروجه من مصر الدّالّة على علمنا وقدرتنا ، وان لا مانع من امضاء مقاديرنا ، وانّ الماكر معنا يمكر بنفسه ، فيغلب من حيث مكره ، اواعلمناه آياتنا الدّالّة على قدرتنا وعلمنا ، وغلبتنا فى اليقظة والمنام من المعجزات وغيرها [كُلَّهٰا] عموم الآيات وتأكيد العموم بالكلّ اضافىّ لا حقيقىّ يعنى الآيات الّتى يمكن اراءتها له [فَكَذَّبَ] موسى (ع) اوفكذّب الآيات [وَأَبىٰ] من الايمان بنا وبرسولنا وزعم انّ موسى (ع) مثل ابناء الزّمان طالب للملك الدّاثر و [قٰالَ أَجِئْتَنٰا لِتُخْرِجَنٰا مِنْ

اَرْضِنا بِسِحْرِكَ] فانّه حمل الآيات على السّحر مثل خوارق العادات الّتى كان السّحرة يأتون بها [يا مُوسى فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا] زمان وعدٍ اومكان وعدٍ اووعداً [لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا اَنْتَ مَكانًا] حال عن موعداً اووصف له اوبدلٌ عنه بدل الكلّ او الاشتمال، اومفعول اوّل اوثانٍ لاجعل اومفعول فعلٍ محذوفٍ [سُوىً] قرئ بضمّ السّين وكسرها وهما وصفان بمعنى المستوى اى مكاناً يكون مستوى الدسافة الينا واليك، اويكون مستوياً لاتلال فيه ولا وهاد حتّى يكون جميع النّظّار ناظرين الينا واليك من غير حجابٍ [قالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزّينَةِ] وكان ذلك اليوم يوم عيدٍ لهم كانوا يتزيّنون فيه ولذلك سمّى يوم الزّينة، وقرئ يوم الزّينة بالنّصب وانّما وعد ذلك اليوم ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل على رؤس الاشهاد بحيث لايخفى على الحاضر والغائب ولذلك قال [وَاَنْ يُحْشَرَ النّاسُ ضُحىً] عطف على الزّينة اوعلى اليوم بتقدير مضافٍ وقرئ مبنيّاً للمفعول ومبنيّاً للفاعل بصيغة الخطاب اوالغيبة [فَتَوَلّى فِرْعَوْنُ] عن موسى (ع) اوالى جمع السّحرة واسباب السّحر [فَجَمَعَ كَيْدَهُ] ما يكاد به من السّحرة واسباب سحرهم [ثُمَّ اَتى] الى الموعد [قالَ لَهُمْ] اى لفرعون وقومه اوقال للسّحرة [مُوسى وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللّهِ كَذِبًا] مفعولٌ به بناءً على تجريد الافتراء عن الكذب اومفعول مطلق من غير لفظ الفعل وكأنّهم ادّعوا انّ سحرهم من الله كما قال موسى (ع) انّ آياتى من الله اوسمّى موسى (ع) نفيهم لكون آياته من الله افتراءً على الله بجعل القضيّة السّالبة المدّعاة موجبة معدولة كأنّهم قالوا: انّ الله ليس يرسل هذه الآيات [فَيُسْحِتَكُمْ] قرئ من باب منع ومن باب الافعال اى يستأصلكم [بِعَذابٍ] عظيمٍ على ان يكون التّنوين للتّهويل [وَقَدْ خابَ مَنِ افْتَرى] يعنى خاب عن مأموله فى افترائه كما خاب فرعون عن مأموله الّذى هو بقاء ملكه فى افترائه السّحر، اوخاب عمّا يرجوه فطرة الانسان من المقام مع المقرّبين [فَتَنازَعُوا] اى السّحرة اوقوم فرعون او السّحرة وقوم فرعون جمعاً اوفرعون وقومه اوفرعون وقومه والسّحرة، او الجميع، اوبعضهم مع موسى (ع) وهارون (ع) فى انّ امرهما سحر اوا آلهىٌّ اوالسّحرة مع موسى (ع) وهارون (ع) فى تقديم الالقاء [اَمْرَهُمْ] يعلم مرجع هذا الضّمير بالمقايسة [بَيْنَهُمْ وَاَسَرُّوا النَّجْوى] اى السّحرة بينهم اوقوم فرعون بينهم اوالسّحرة اوقوم فرعون ناجوا فرعون واسرّوا النّجوى عن موسى (ع) وهارون (ع) اوعن آخرين [قالُوا] بيان لاسرّوا النّجوى ولذلك لم يأت باداة الوصل [اِنْ هذانِ لَساحِرانِ] قرئ ان بتشديد النّون وهذان بالالف وعليها قيل: انّ بمعنى نعم من غير تقديرٍ، وقيل: بمعنى نعم بتقدير مبتدءٍ بعد اللّام ليكون دخول اللّام على المبتدأ، وقيل: انّ ملغاة عن العمل، وقيل: تقديره انّه لهذان بتقدير ضمير الشّأن، وقيل: انّ هذه الالف ليست الف التّثنية وانّما لحق بالف هذا نون التّثنية، وفى الكلّ ضعف من وجهٍ اووجوهٍ، وقيل: اجرى التّثنية بالالف على لغة من يجرى التّثنية بالالف مطلقاً فانّ القرآن نزل باللّغات المتفرّقة، وقرئ انّ هذان بتخيف نون ان نافية كانت واللّام بمعنى الّا اومخفّفة من المثقّلة واللّام فارقة، وقرئ انّ هذين ولا اشكال، وقرئ بتشديد نون هذان بجعل تشديد النّون عوضاً عن الالف المحذوفة من هذا، وقرئ ماهذان لساحران، وروى عن بعضهم ان ذان الّا ساحران [يُريدانِ اَنْ يُخْرِجاكُمْ مِنْ اَرْضِكُمْ] بالاجلاء اوبالاستيلاء عليها والتّملّك لها وقطع تصرّفكم عنها [بِسِحْرِهِما وَيَذْهَبا بِطَريقَتِكُمُ الْمُثْلى] اى الفضلى بمحو هذا الدّين الّذى انتم عليه ونشر مذهبٍ غير مألوفٍ وغير امثل حتّى يترأّسا على النّاس به [فَاَجْمِعُوا]

قرئ بقطع الهمزة من باب الافعال وبوصلها اى اجمعوا [كَيْدَكُمْ] المتفرّق فى باب المقابلة مع موسى (ع) [ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا] فانّ الاتّفاق والاصطفاف فى المناظرة ارعب واشدّ هيبة فى الانظار، قيل: كانوا سبعين الفاً مع كلّ عصا وحبل [وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلٰى] وغلب قيل: هذا كان قول فرعون للسّحرة، وقيل: قول بعضهم لبعضٍ، اوقول قوم فرعون للسّحرة [قَالُوا يٰامُوسٰى إِمّٰا اَنْ تُلْقِيَ وَإِمّٰا اَنْ نَكُونَ اَوَّلَ مَنْ اَلْقٰى] خيّروه مراعاة للادب وحفظاً لتوقيره لمّا علموا انّه آلهىٌ وليس فعله سحراً ولذلك قدّموه على انفسهم فى التّخيير، قيل: لهذا الادب والتّوقير هداهم الله ولم يكلهم الى انفسهم [قَالَ مُوسٰى بَلْ أَلْقُوا] فانّه (ع) لم يكترث بما فعلوا وقال القوا حتّى يلقوا ويؤتوا بغاية جهدهم ليظهر على الكلّ غلبته اتّكالاً على ربّه [فَأَلْقَوْا] ما صنعوا، وقيل: كانوا قد ملأوا الميدان وكان اوسع ما يكون من الاعمدة والحبال [فَإِذٰا حِبٰالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ اَنَّهٰا تَسْعٰى] قرئ يخيّل بياء الغيبة مبنيّاً للمفعول وبتاء التّأنيث مبنيّاً للفاعل [فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسٰى] ورد انّه لم يخف على نفسه وانّما خاف على مغلوبيّته وغلبة الباطل، والايجاس احساس امرٍ خفيّ كأنّه اشار بلفظ الايجاس الى خفاء الخيفة بحيث لم يظهر على غيره، ولمّا كان الكامل هو الّذى كمل فى جميع مراتبه، وكمال المرتبة البشريّة ان يأكل ويشرب وينكح ويصحّ ويمرض ويرجو ويخاف لم يكن خيفة موسى (ع) دالّة على نقصٍ بنا فى مقام رسالته الكاملة [قُلْنٰا] بطريق الوحى [لاٰ تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلٰى] اكّد الجملة بمؤكّدات لانّ خوفه (ع) كان بمنزلة الشّكّ [وَأَلْقِ مٰا فِي يَمِينِكَ] اى العصا [تَلْقَفْ] قرئ بالجزم وبالرّفع، وقرئ من الثّلاثىّ المجرّد، ومن باب التّفعيل، ومن باب التّفعّل بادغام تاء المضارع فى تاء المطاوعة، ولقف من باب علم ولقّف من التّفعيل وتلقّف من التّفعّل بمعنى بلع، واستعمل لقّف من التّفعيل فى الابلاع، ويجوز ان يكون تلقّف خطاباً لموسى (ع) وان يكون منسوباً الى الضّمير المؤنّث الرّاجع الى العصا يعنى تبلّع [مٰا صَنَعُوا] بالحيل الطّبيعيّة من التّصرّفات الطّبيعيّة اوبالحيل الشّيطانيّة من تمزيج القوى الرّوحانيّة مع القوى الطّبيعيّة وترتيب آثارٍ خارقةٍ للعادة عليه، وقد مضى فى سورة البقرة عند قوله تعالى: يعلّمون النّاس تحقيق وتفصيل تامّ للسّحر ومعانيه [إِنَّمٰا صَنَعُوا كَيْدُ سٰاحِرٍ] وقرئ كيد سحرٍ بدون الالف [وَلاٰ يُفْلِحُ السّٰاحِرُ حَيْثُ أَتٰى] يعنى وان بلغ المقامات العالية من سحره [فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا] يعنى لمّا القى موسى (ع) عصاه فلقفت جميع ماصنعوا وادارت حول قبّة فرعون واحاطت بفكّيها قبّته و احدث فرعون وهامان كما سنذكر، ورأوا انّ ذلك ليس الّا آلهيّاً اضطربوا والتجأوا ولم يتمالكوا كأنّهم القاهم ملقٍ فالقوا سجّداً تعظيماً لله وتفخيماً لما رأوا [قَالُوا آمَنّٰا بِرَبِّ هٰارُونَ وَمُوسٰى] كأنّهم من دهشتهم وتحيّر قلوبهم لم يمكنهم مراعاة الادب والرّتبة فقدّموا هارون (ع) على موسى (ع) لذلك، ولمراعاة رؤس الآى ولم يستأذنوا فرعون وآمنوا قبل ان يقولوا له انّه لحقّ ولا يجوز انكاره ولذلك [قَالَ] فرعون [آمَنْتُمْ لَهُ] قرئ بهمزةٍ واحدةٍ على صورة الاخبار، وقرئ بهمزتين على الاستفهام الانكارىّ [قَبْلَ اَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ] رئيسكم ومعلّمكم فى هذا الفنّ وكنتم مطّلعين عليه وتواطئتم على ذلك [الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ] نقل انّهم ايقنوا قبل هذا بانّ موسى (ع) آلهىّ لكنّهم ارادوا بذلك ظهوره على رؤس الاشهاد [فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاٰفٍ] اليد اليمنى والرّجل اليسرى اوبالعكس [وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ] جمع الجذع وهواصل

الشّجرة اواصل اغصانها [وَلَتَعْلَمُنَّ اَيُّنا] يعنى اىّ منّا ومن موسى (ع)، اومنّى ومن ربّ موسى (ع) [اَشَدُّ عَذاباً وَاَبْقى قالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلى ما جاءَنا مِنَ الْبَيِّناتِ] المعجزات الواضحات والدّلائل الظّاهرات [وَالَّذى فَطَرَنا] عطف اوقسم [فَاقْضِ ما اَنْتَ قاضٍ] فامض اىّ شيء تريدامضاءه من القتل والقطع والصّلب والحبس، اوفاحكم ماتريد من الاحكام لانّا لا نبالى بعد ماارانا ربّنا مقامنا وحجّتنا، قيل: انّهم حين سجدوا اراهم الله منازلهم فى الجنّة [اِنَّما تَقْضى هذِهِ الْحَيوةَ الدُّنْيا] انّما تصنع اوتحكم فى هذه الحيوة الدّنيا ولاصنع لكٓ ولاحكم فى الحيوة الآخرة، والحيوة الآخرة هى المطلوبة الباقية لا الدّنيا، اوهذه الحيوة الدّنيامفعول به والمعنى انّماتمضى وتُذهب هذه الحيوة الدّنيا، والآخرة خيرٌ وابقى وقداخترنا الآخرة على الدّنيا ولاتسلّط لكٓ عليها [اِنّا آمَنّا بِرَبِّنا] استيناف فى مقام التّعليل لقوله لن نؤثرك [لِيَغْفِرَ لَنا خَطايانا] الماضية [وَ] الخطيئة الحاضرة الّتى هى [ما اَكْرَهْتَنا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ] فى معارضة الآيات الآلهيّة، روى انّهم قالوا لفرعون: ارنا موسى (ع) نائماً فوجدوه يحرسه العصا، فقالوا: ما هذا بسحرٍ فانّ السّاحر اذا نام بطل سحره فأبى فرعون الّا ان يعارضوه [وَاللّهُ خَيْرٌ وَاَبْقى] منكٓ اومن الحيوة الدّنيا او المقصود انّ الله خيرٌ منكٓ ثواباً وابقى منكٓ عقاباً، ويدلّ عليه قولهم فى مقام التّعليل [اِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً] وعلى الاوّل يكون تعليلاً لقوله انّا آمنّا بربّنا [فَاِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فيها وَلا يَحْيى] هذه العبارة صارت مثلاً فى العرب والعجم لمن ابتلى ببليّة عظيمة لايكون له مخلص عنها والمقصود من هذا المثل انّه لايموت عن الحيوة الانسانيّة حتّى يصير العذاب عذباً له، ولايحيى بالحيوة الانسانيّة حيوةً خالصةً عن شوائب الظّلمات الشّيطانيّة فيخرج منها [وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصّالِحاتِ فَاُولئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ الْعُلى] الاتيان باسم الاشارة البعيدة للتّفخيم [جَنّاتُ عَدْنٍ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهارُ] قد مضى مكرّراً انّ المراد بجريان الانهار تحت الجنّات جريانها تحت عماراتها اوتحت اشجارها اوتحت قطعها، وانّ التّحقيق انّ الوجود وصفاتها بمنزلة الانهار الجارية من الغيب الى عوالم الامكان وانّ كلّ مرتبةٍ عالية من العالم باعتبارٍ جنّة وباعتبارٍ محلّ للجنّة، وانّ افاضات الحقّ الّتى هى بمنزلة الانهار تصل اوّلاً الى العالم الاعلى وتفيض من تحت ذلكٓ العالم الى العالم الادنى [خالِدينَ فيها وَذلِكَ جَزاءُ مَنْ تَزَكّى] من الكفر والمعاصى وممّا يشوب انسانيّته من شوائب البهيميّة والسّبعيّة والشّيطانيّة، ولاقبال نفوسهم على الآخرة ونعيمها وقوّة جانب الرّجاء بسطوا فى جانب الوعد، ويجوز ان يكون الآيات مستأنفة من الله تعالى [وَلَقَدْ اَوْحَيْنا اِلى مُوسى] يعنى بعدمامكث فيهم اربعين سنة اواكثر يدعوهم الى الله ويظهر لهم الآيات ويزيد فى طغيانهم اوحينا اليه [اَنْ اَسْرِ بِعِبادى] بنى اسرائيل من مصر على طرف البحر [فَاضْرِبْ لَهُمْ] اى فاطلب من ضرب المجد كسبه وطلبه، اوفاضرب بعصاكٓ البحر يظهر لهم [طَريقاً] اى طرقاً بارادة الجنس من الطّريق دون الوحدة، فانّ الطّرق الظّاهرة كانت اثنى عشرةً اوطريقاً منشعباً باثنتى عشرة شعبته [فِى الْبَحْرِ يَبَساً] وهذا التّقدير اوفق بقوله تعالى فى الشّعراء فأوحينا الى موسى (ع) ان اضرب بعصاكٓ البحر فانفلق فكان كلّ فرقٍ كالطّود العظيم [لا تَخافُ] حال اومستأنف اوصفة ثانية لطريقاً اى طريقاً لاتخاف فيه [دَرَكاً] ولحوقاً من العدوّ اومن الغرق [وَلا تَخْشى] تأكيد لا تخاف، اوالمراد لاتخشى من العدوّ اوالغرق غيرما اريد من لا تخاف حتّى يكون تأسيساً، اوالمعنى لا تخاف ممّا يصدمكم ولاتخشى على اصحابكٓ فانّ الخشية تكون متعلّقة بمن يشفق عليه ويهتمّ بأمره كما انّ الخوف يكون ممّن يهرب عنه، وقرئ لا تخف بالجزم ولا تخشى بالالف، وحينئذٍ

يكون لا تخف مجزوماً جواب الامر، اوحالاً من فاعل او حيناً ، اوعن فاعل اضرب بتقدير القول، و لا تخشى يكون مجزوماً معطوفاً عليه ويكون الالف للاطلاق مثل قوله تعالى : وتظنّون باللهالظّنونا ، اويكون مستأنفاً اوحالاً بتقدير مبتدء [فَأَتْبَعَهُمْ] اى ادركهم [فِرْعَوْنَ بِجُنُودِهِ] مع جنوده ، اولفظ الباء للتّعدية، اوالهمزة للتّعدية والمعنى اتبعهم فرعون نفسه مع جنوده فانّ اتبع استعمل لازماً ومتعدّياً، وقرئ اتبعهم من باب الافتعال وحينئذ يكون الباء بمعنى مع اوللتّعدية وفى الكلام ايجاز فى وضوح، فانّ المعنى فأسرى موسى (ع) بنى اسرائيل ووصل الى البحر وضرب بعصاه البحر فأظهر لهم طريقاً يبساً فدخل هو وقومه ولحقهم فرعون بجنوده فدخل البحر فلمّا كان آخر من خرج من بنى اسرائيل من البحر وآخر من دخل البحر من جنود فرعون انطبق الطّرق [فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ] اى غشيهم ماء لايمكن ان يعرّف من عظمته، وقرئ فغشّاهم ما غشّاهم من باب التّفعيل اى غشّاهم الله اوغشّاهم فرعون ماغشّاهم من الماء [وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ] عطف ماهدى للتّأكيد والاشعار بانّ الاضلال كان مستمرّاً له وماتغيّر والمقصود انّه اضلّهم عن الحقّ او اضلّهم فى البحر وهو ردّ على قول فرعون وما اهديكم الّا سبيل الرّشاد . روى انّ جبرئيل (ع) قال لرسول الله (ص) انّما قال فرعون لقومه انا ربّكم الاعلى حين انتهى الى البحر فرآه قد يبست فيه الطّريق فقال لقومه ترون البحر قد يبس من فرقى فصدّقوه لمّا راوا ذلك فذلك قوله تعالى فأضلّ فرعون قومه وما هدى [يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ] مربوطٌ بسابقه جواب لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول وحكاية لما قاله تعالى لهم بعد انجائهم كأنّه قيل: فما فعل بهم بعد غرق فرعون وقومه ؟ وماقال الله تعالى لهم ؟ ـ فقال: قال لهم : يا بنى اسرائيل ، اومنقطع عن سابقه واستيناف وخطاب منه تعالى للحاضرين منهم فى زمان الرّسول (ص) [قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ] باغراق فرعون [وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ] لمناجاة موسى (ع) وانزال التّوراة فانّه تعالى اخبر موسى (ع) ووعده التّوراة فى بيان شرائعهم واحكامهم ووعد موسى (ع) قومه فعدّ تعالى وعد موسى (ع) وعدهم ، اوالمقصود واعدنا جانب الطّور الّذى هو الصّدر المنشرح بالاسلام جانبه الايمن الّذى يلى القلب بشرط وفائكم بشروط عهدكم وميثاق بيعتكم [وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ] فى التّيه وقدمضى هذه بالتّفصيل فى اوّل البقرة، وقرئ الافعال الثّلاثة بالمتكلّم وحده قائلين [كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ] طغى يطغى من باب علم، وطغى يطغو من نصر، وطغى يطغى من منع جاوز القدر، وارتفع وعلا فى الكفر، واسرف فى المعاصى والظّلم، وكلّ المعانى راجعة الى الخروج من انقياد العقل الخارجىّ اوالدّاخلىّ ومعنى لا تطغوا فيه لاتتجاوزوا فى مارزقناكم عمّا حدّه الله من مقدار الاكل وجهة تحصيل المأكول وآداب الاكل وغاياته والتّسمية عليه والشّكر عليه من ملاحظة المنعم فى النّعمة ، اولاتسرفوا بكثرة الوان المأكول اوكثرة الأكل اواطعام غير الاهل منه ، اوبغير ذكر الله ، اولاتطغوا فى الاكل بان يكون الضّمير راجعاً الى الاكل الّذى فى ضمن كلوا ، اولاتطغوا بسبب الاكل ، اوبسبب ما رزقناكم ، اولاتطغوا حالكونكم ثابتين فى بين ما رزقناكم ، اوفى الاكل [فَيَحِلَّ] قرئ بضمّ الحاء وكسرها كما قرئ يحلل بضمّ اللّام الاولى وبكسرها [عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ] تردّى وهلك، اوسقط من سماء الانسانيّة الى الارض السّابعة الّتى هى دار الجنّة والاشقياء .

اعلم، انّ الله تبارك وتعالى لاينتقل من حالٍ الى حالٍ ولايتغيّر فى وصفٍ ولاحالٍ بل هو تعالى صرف الرّحمة وبرحمته اوجد كلّ الموجودات وأبقاها وليس شيء الّا وهو متقوّم ومتحقّق برحمته الرّحمانيّة وهذه الرّحمة فى اكثر الموجودات تظهر بحيث تكون موافقةً لفطرة نوعها سوى الانسان والجانّ فانّ الانسان لكونه مجمع العوالم

وفيه انموذج جميع الموجودات بنصّ علّم آدم الاسماء كلّها قد تصير تلك الرّحمة فى وجوده مخالفة الانسانيّة وصورة نوعه لانّ قوى جميع الموجودات مودعة فى الانسان بحيث اذا خرجت قوّة منها الى الفعل كانت مسخّرة لانسانيّة الانسان فاذا صارت فعليّة من تلك الفعليّات مقابلة للانسانيّة او مسخّرة لها كانت مخالفة لها و مخالفة لخلقتها، واذا صارت مسخّرة للانسانيّة كانت موافقة لها وموافقة لخلقتها ، وتلك المخالفة والموافقة كلتا هما ظهور الرّحمة الرّحمانيّة وصورتاها ؛ فالغضب والرّضا المعبّر عنه بالرّحمة الرّحيميّة من طوارى فعله لا من صفات ذاته وطروّهما لفعله من جهة القابل لا من جهة الفاعل من دون مدخليّة القابل [وَإِنِّي لَغَفَّارٌ] عطف على كلوا بجعله فى جملة مقول القول المقدّر او على قد انجيناكم او حال من واحدة من الجمل السّابقة واجزائه يعنى قلنا قد انجيناكم وقلنا انّى لغفّار [لِمَنْ تَابَ] على ايدى خلفائنا بالانزجار عن النّفس ومشتهياتها [وَآمَنَ] بالبيعة العامّة النّبويّة الّتى هى الاسلام [وَعَمِلَ صَالِحًا] موافقاً لامر من باع على يده البيعة العامّة [ثُمَّ اهْتَدَى] الى ولاية وليّ امره بالبيعة الخاصّة الولويّة والمعنى انّى لغفّار لمن تاب التّوبة الخاصّة الولويّة على يد وليّ امره بالانزجار عن الوقوف على ظاهر الاحكام القالبيّة وطلب بواطنها وانموذج معانيها وآمن بالبيعة الخاصّة الولويّة وعمل صالحاً موافقاً لشروط بيعته ثمّ اهتدى الى ظهور الامام عجّل الله فرجه وبروز ملكوته على صدره ودخوله فى بيت قلبه، فانّه ما لم يظهر القائم عجّل الله فرجه لم يظهر المغفرة التّامّة ، وورد فى اخبار كثيرة بالفاظ مختلفة ومتوافقة انّ المراد الاهتداء الى الولاية ، وانّه لا ينفع عمل بدون الولاية ، وانّ العبد لو اجهد نفسه فى عبادة ربّه بين الرّكن والمقام حتّى يصير كالشّنّ البالى ما قبل الله منه اولأكبّه الله على منخريه فى النّار، وفى اخبار كثيرة انّ الاسلام بنى على خمس واسناها واشرفها الولاية ، وانّ الله فرض على خلقه خمساً فرخّص فى اربع مشيراً الى الصّلوة والزّكوة والحجّ والصّوم ولم يرخّص فى واحد مشيراً الى الولاية ، وفى خبر عدّ انتظار القائم عجّل الله فرجه من اركان الدّين ، والاخبار الدّالّة على انّ الاسلام غير الايمان وانّ الاسلام لا يتجاوز اثره عن الدّنيا وانّ منفعته حفظ الدّم والعرض وجواز التّناكح والتّوارث وانّ الاجر على الايمان تدلّ على انّ ملاك الامر لا الامر الآخرة هو الولاية لا غير، وقوله تعالى : ولمّا يدخل الايمان فى قلوبكم ؛ يدلّ على انّ الايمان الّذى هو الولاية الّتى هى البيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة بها يدخل كيفيّة ممّن يبايع معه فى قلب البائع بها يصير البائع ابناً لمن بايع معه ، وبها يستحقّ الكرامة عند الله، وبها لا يضرّه سيّئة ولو اتى بذنوب الثّقلين، وبها يستحيى الله ان يعذّبه ولو كان فاجراً ، وبدونها لا يستحيى ان يعذّبه ولو كان فى اعماله بارّاً ، وبها يرث منازل اهل النّار ويؤخذ طينته السّجّينيّة مع اعماله السّيّئة الّتى هى من لوازم الطّينة السّجّينيّة وتعطى لعدوّه ويؤخذ طينة عدوّه العلّيّينيّة مع اعماله الحسنة الّلازمة لطينته العلّيّينيّة وتعطى له ، وبها يصدق عليه العلوىّ والفاطمىّ والهاشمىّ والعالم والمتعلّم والعارف والمؤمن والعابد والمتّقى، وبها يسمّى وليّاً لله ، وفى خبر ضلّ اصحاب الثّلاثة وتاهوا تيهاً عظيماً مشيراً الى التّوبة العامّة والبيعة العامّة الاسلاميّة والاعمال الصّالحة القالبيّة ، والاخبار الدّالّة على انّ : من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهليّة ، تدلّ على انّ البيعة العامّة بدون الاهتداء الى الولاية لا تنفعه فى الآخرة ، وفى خبر : من اصبح من هذه الامّة لا امام له من الله ظاهر عادل اصبح ضالاً تائهاً ، وان مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق ، وهو ايضاً يدلّ على انّ الاسلام واحكامها لا يكفى فى النّجاة بدون الاهتداء الى الامام الظّاهر العادل والبيعة معه البيعة الخاصّة ، والاخبار الدّالّة على انّ الحجّة لا تقوم على النّاس الّا بامام حيّ يعرف ، تدلّ على لزوم الاهتداء الى الامام ، والآيات الدّالّة على لزوم الكون مع الصّادقين ولزوم ابتغاء الوسيلة الى الله ولزوم الاقتداء وكون الرّسالة ليست الّا الانذار والهداية للولاية والاخبار الدّالّة على انّ المعرفة والعبادة والعلم لا تكون الّا بالائمّة (ع) ،

وانّ الولاية هى دليل المعرفة ، وانّ الرّسالة واحكامها حجاب الله تدلّ على لزوم الاهتداء الى الامام(ع) ، والاخبار الدّالّة على وجوب النّفر بعد وفاة الامام(ع) وانّ النّافرين فى عذر ما داموا فى الطّلب ، والمنتظرين فى عذر ماداموا فى الانتظار تثبت المدّعى، والاخبار الدّالّة على منع التّفسير بالرّأى ومنع العمل بالرّأى ومنع الرّأى والقياس ترشد اليه، [وَمٰا اَعْجَلَكَ] عطف على قوله تعالى: يابنى اسرائيل فانّه على كونه حكاية قوله تعالى الماضى كان بتقدير القول كأنّه قال: قلنا يا بنى اسرائيل، وقلنا ما اعجلك ، اوعطف على كلوا سواء كان النداء الاوّل للماضين اوللحاضرين كأنّه قال: انجيناكم من عدوّكم قائلين كلوا وقائلين ما اعجلك [عَنْ قَوْمِكَ يٰا مُوسٰى] قيل: كانت المواعدة ان يوافى الميعاد هو وقومه ، وقيل: مع جماعة من وجوه قومه فتعجّل هو وسبقهم الى الميقات وهم كانوا على اثره جائين الى الميقات ، وهذا موافق لظاهر قوله [قٰالَ هُمْ أُولٰاءِ عَلٰى اَثَرِى] اوكان المواعدة ان يوافق هو وقومه وسبقهم موسى(ع) وخلّف عليهم هارون(ع) فتخلّف القوم من اوّل الامر عن اللّحوق به ، اوالمعنى مااعجلك الى الميقات مفارقاً عن قومك ومتجاوزاً عنهم فانّ بقاءك بينهم وتوجّهك اليهم يحفظهم من شرّ الشّيطان ويبقيهم على الدّين ، ورفعك يدك عنهم يخلّ بهم ويفسدهم ، وعلى هذا كان معنى قوله تعالى: قال هم اولاء على اثرى هم باقون على سنّتى وكأنّه (ع) خرج من غير تعيين الله وقتاً للميعاد ولم ينتظر (ع) تعيين الله فلامه تعالى وانكر عليه تعجيله ورفع يده عن قومه فى غير وقته فأجاب (ع) عن رفع يده عنهم بانّهم باقون على سنّته اوجاؤون على عقبه يعنى ماعليهم من بأس من رفع يده عنهم خصوصاً مع استخلاف هارون عليهم ، وقدّم الجواب عن خروجه من بين القوم لانّ النّبىّ شأنه الاهتمام بأمر القوم ومراقبة احوالهم، ورفع اليد عنهم والخروج من بينهم خلاف شأن نبوّته ، واللّوم عليه فيه اشدّ من كلّ شيء واجاب عن عجلته بانّ العجلة كانت للشّوق الى رضا ربّه لامن غمّ الوقوف فى قومه ومن هوى نفسه بطلب كونها مرضيّة عند ربّه والاوّل مرضىّ للربّ مقبول ، والثّانيان مبغوضان غير مقبولين فقال [وَعَجِلْتُ اِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضٰى قٰالَ] الله تعالى [فَاِنّٰا قَدْ فَتَنّٰا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ] اى من بعد خروجك من بينهم يعنى صار عجلتك سبباً لفتنة قومك باستحقاقهم لذلك باختيارهم الغواية لعدم كونك فيهم وعدم بقاء حافظيّتك لهم وقد مضى فى سورة البقرة وسورة الاعراف حكايتهم وحكاية السّامرىّ وعجله [وَاَضَلَّهُمَ السّٰامِرِىُّ] يعنى اضللناهم بسبب السّامرىّ لكنّه اسنده الى السّامرىّ للاشعار بصحّة نسبة الاضلال الى السّبب مثل صحّة نسبته الى الفاعل ولانّه افاد بنسبة الفتنة الى نفسه نسبة الاضلال الى نفسه [فَرَجَعَ مُوسٰى اِلٰى قَوْمِهِ غَضْبٰانَ اَسِفًا] وانّما غضب لله لانحرافهم عن الله وتحسّر عليهم لابطالهم بضاعتهم الّتى هى الايمان لانّ كلّ نبىّ اب شفيق لامّته والامّة اولاد اعزّاء عليه وايمانهم بمنزلة الصّحّة الكاملة لهم ، ونقصان ايمانهم وبطلانه بمنزلة المرض والهلاكة وحال النّبى فى الصّحّة والمرض والهلاكة لامّته حال الاب الشّفيق بالنّسبة الى اولاده بل اشدّ منه بمراتب عديدة [قٰالَ يٰا قَوْمِ] اشفاقاً عليهم [اَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا] بان اخبركم بوعده وانّه وعدنى اعطاء التّوراة الّتى فيها جميع ما تحتاجون اليه [اَفَطٰالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ] المراد بالعهد الوعد المذكور اى افطال مدّة الوعد ؟ اوالمراد به عهد الملاقاة اى افطال عليكم فراق العهد ؟ فأسقط الفراق لوجود القرينة [اَمْ اَرَدْتُمْ] بل ليس الامر كذلك واردتم [اَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ] استعمال الارادة فى ما لايراد اصلاً اشعار بانّ اعمالكم آثار ارادة ما لايريده عاقل وكناية عن عدم العقل والشّعور [فَاَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِى] الاخلاف فى المستقبل كالكذب فى الماضى والمعنى اخلفتم عن الطّور

الّذی کان موعدی وموعدکم ، علی ان یکون القوم اجمعهم اووجوههم وعدوه اللّحوق به فی الطّور کما مضی فی معنی هم اولاء علی اثری، اوالمعنی اخلفتم وعدکم لی باللّحوق بی ، اوبالثّبات علی الدّین واتّباع هارون، اوبحسن الخلافة لی بعدی حتّی ارجع الیکم [قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا] قرئ بفتح المیم وضمّها وکسرها والثّلاثة مصادر ملک یعنی لوخلّینا ومالکیّتنا واختیارنا لما اخلفنا لکنّ السّامریّ بتسویله اخذ منّا تملّکنا واختیارنا [وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا] قرئ بضمّ الحاء وتشدید المیم وفتحها وتخفیف المیم [أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ] یعنی حمّلنا اثقالاً هی بعض من حلیّ القبط الّتی استعرناها للعرس اوللعید ثمّ خرجنا من دون ردّها اواخذناها ممّا القاه البحر علی السّاحل بعد غرقهم ، اوحمّلنا اثقالاً وآثاماً لاجل حلیّ القوم الّتی اعرناها وخنّا فی عدم ردّها فخدعنا بسبب الخیانة عن ادیاننا فسألنا السّامریّ ان نقذفها فی النّار لیصنع لنا آلهاً [فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ] ای مثل القائنا الحلیّ فی النّار [أَلْقَى السَّامِرِيُّ] ما معه لنظنّ انّه منّا ، اوکذلک القی السّامریّ قبلنا لنتبّعه فاتّبعناه ، والقینا ، وقیل: انّه کلام من الله معطوف علی کلامهم ویؤیّده قوله تعالی [فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا] فانّه لوکان من کلامهم لکان ینبغی ان یقولوا فأخرج لنا، اوهومن کلامهم وقوله : فأخرج لهم عجلاً جسداً من کلام الله، وفی ابدال جسداً اشعار بانّ العجل لم یکن عجلاً حقیقة بل کان جسداً مثل جسد العجل بلاروح [لَهُ خُوَارٌ] ای صوت البقر [فَقَالُوا] ای السّامریّ ومن کان شریکه [هَٰذَا] العجل [إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ] عطف علی هذا الهکم ومن کلام السّامریّ وشرکائه ای نسی موسی انّه آلهه وآلهکم وذهب یطلب الآله، اونسیه ههنا وذهب یطلبه فی موضع آخر، اونسی الآله انّه وعد موسی(ع) ان یظهر علیه من الشّجرة فی الطّور وظهر ههنا من العجل،اوهومن قول الله ومعطوف علی قالوا،اواخرج لهم عجلاً والمعنی نسی السّامریّ ایمانه بموسی(ع) اودلائل نبوّة موسی(ع) وآلهیّة الا له ، اونسی دلالة حدوث العجل علی انّه مصنوع غیرمعبود [أَفَلَا يَرَوْنَ] استفهام للتّوبیخ علی عبدة العجل یعنی الّا یتفکّرون فلا یرون [أَلَّا يَرْجِعُ] ای انّه لایرجع [إِلَيْهِمْ قَوْلًا] وجواباً [وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا] قیل: انّ السّامریّ بعد ما مضی من ذهاب موسی (ع) عشرون یوماً قال : هذه الاربعون الّتی وعدکم موسی(ع) عشرون لیلاً وعشرون یوماً و أخطأ موسی (ع) ولم یرجع الیکم وخدعهم ، وقیل : لمّا تأخّر عن الثّلاثین خدعهم لانّه کان موعده الثّلاثین ، وقیل: انّه بعد ما مضی من ذهابه خمسة وثلاثون خدعهم وصنع لهم العجل فی السّادس والثّلاثین والسّابع والثّامن ودعاهم الی عبادته فی التّاسع وجاء موسی(ع) بعد استکمال الاربعین ، وقیل: کان السّامریّ من اهل کرمان وکأن مطاعاً فی بنی اسرائیل ، وقیل: کان من قریة یعبدون البقرفکان حبّ ذلک فی قلبه ، وقیل: کان من بنی اسرائیل فلمّا جاوز البحرنافق فلمّا قالوا : اجعل لنا الهاً کما لهم آلهة اغتنمها واخرج لهم العجل ودعاهم الیه [وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ] ای من قبل عود موسی (ع) الیهم ، اومن قبل دعوة السّامریّ الی عبادته حین ظهوره ، اومن قبل عبادتهم له بعد دعوة السّامریّ [يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ] الفتن الاحراق ، والفتنة الاختبار، والاعجاب بالشّیء، والضّلال ، والاثم ، والکفر، والفضیحة ، والعذاب ، واذابة الذّهب ، والاضلال ، والجنون ، والمحنة ، والایقاع فی الاختلاف ، والایقاع فی الفتنة ، والکلّ مناسب ههنا الّا انّه لابدّ فی بعض المعانی من جعل الماضی بمعنی المستقبل [وَإِنَّ رَبَّكُمُ] الّذی یستحقّ العبادة [الرَّحْمَٰنُ] الّذی قوام کلّ شیء ووجوده وبقاؤه ووجود ما یحتاج الیه به

[فَاتَّبِعُونِي] كما استخلفني عليكم موسى (ع) [وَأَطِيعُوا أَمْرِي] فانّي من جانب هذا الرّحمن ادعوكم و آمركم والمقصود اعتبار مفهوم المخالفة من تعليق الفعل على المفعول الخاصّ بقرينة المقام كأنّه قال: فاتّبعوني لا السّامريّ واطيعوا امري لا امر السّامريّ [قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ] اى ثابتين على العجل يعني على عبادته [حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى] فننظر انّ هذا هو آلهه كما قال لنا السّامريّ، اوليس هذا آلهه وقد كذب لنا السّامريّ،وكان هارون (ع) بعد ما نصحهم ولم يقبلوا منه قد اعتزلهم فى اثنى عشر الف فلمّا رجع موسى (ع) وسمع الصّياح منهم اذ كانوا يرقصون حول العجل ويضربون الدّفوف والمزامير واستقبله هارون (ع) القى الالواح من شدّة الغيظ وعاتب هارون واخذ برأسه ولحيته كما فى الآية يجرّه اليه و [قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَنْ لَا تَتَّبِعَنِ] من ان تتّبعني ولفظة لا مزيدة نظيرة ما منعك ان لا تسجد يعني ما منعك من اتّباعي فى البغض فى الله والمقاتلة مع عابدى العجل بعد ان لم يقبلوا نصحك اومن اللّحوق بى والمفارقة عنهم [أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي] لك بالخلافة والاصلاح وعدم اتّباع سبيل المفسدين ، ولمّا كان موسى (ع) اخذه البغض فى الله ولم يكن الباقون قابلين للومه (ع) وعتابه (ع) توجّه الى هارون (ع) وعاتبه على فعل القوم وفى الحقيقة عتابه كان عتاباً لهم فان لومه (ع) هارون (ع) على عدم مفارقتهم لومٌ وتعييرٌ لهم على حالهم الّتى تستدعى الخروج من بينهم [قَالَ] هارون (ع) [يَا ابْنَ أُمَّ] كان اخاه لامّه وابيه لكنّه اضافه الى الام استعطافاً [لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ] ان كنت لحقت بك اوقاتلتهم [فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ] يعنى لوكنت فارقتهم اوقاتلتهم لتفرّقوا باللّحوق بى والبقاء على عبادة العجل [وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي] بالخلافة والاصلاح، ولمّا سكت عنه الغضب وكسر سورته باستعطاف هارون (ع) والاعتذار عمّا رآه موسى (ع) خلافاً اقبل على السّامريّ و [قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ] اى ما صنعك ؟ وكيف صنعته؟ـ فهو سؤال عن كيفيّة صنعه ولذلك اجابه بهاو [قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ] من اجزاء الملكوت اوالملك المحكوم بالملكوت [فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ] يعنى انّى بصرت بجبرئيل وعالمه فقبضت قبضةً من عالمه الّذى هو الملكوت من تراب قدم جبرئيل اومن تراب قدم رمكة[1] جبرئيل من عالم الملكوت اومن عالم الملك لكنّه صار بعد التّأثّر بقدم جبرئيل اوقدم رمكته محكوماً بحكم الملكوت وكان تأثيره ان يحيى ويتحرّك كلّ ما ذرّ ذلك التّراب عليه [فَنَبَذْتُهَا] فى العجل فتحرّك وخار [وَكَذَٰلِكَ] اى مثل القبض من اثر الرّسول والحال انّه لاينبغي لى ان اقبض وسوّلت لى نفسى ذلك حتّى قبضتها [سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي] فى صنع العجل وذرّ التّراب عليه وزينته لى [قَالَ] اذا سوّلت لك نفسك [فَاذْهَبْ] من عندى ، اومن دينى ، اومن البلد ، اومن بين النّاس [فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ] الدّنيا [أَنْ تَقُولَ] اذا رأيت احداً من النّاس [لَا مِسَاسَ] عقوبةً على فعلك وذلك لانّه اذا ماسّك احد حممت انت و من مسّك كما قيل، وقيل: كان هذا باقياً فى اولاده اذا ماسّ واحداً منهم احد من النّاس حمّا، وقيل: انّ موسى (ع) امر النّاس بامر الله تعالى ان لايخالطوه ولا يؤانسوه ولا يؤاكلوه تضييقاً عليه فصار السّامريّ يهيم فى البرّيّة مع الوحش والسّباع [وَإِنَّ لَكَ] اى لعذابك [مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ] يعنى لن يخلف الله ذلك الوعد لك ، هذا على قراءة البناء للمفعول وامّا على قراءة البناء للفاعل من باب الافعال فالمعنى لن تخلف انت ذلك الموعد وتنجزه ، وقرئ بالنّون على حكاية قول الله تعالى، اوعلى جعل نفسه (ع) بمنزلة الله تعالى لكونه رسولاً منه وكون قوله

---

(١) ـ الرّمكه = الفرس ـ الانثى من البراذين .

وفعله قول الله وفعله [وَانْظُرْ اِلٰى اِلٰهِكَ الَّذى ظَلْتَ عَلَيْهِ عاكِفًا] اى مقيماً على عبادته [لَنُحَرِّقَنَّهُ] قرئ من باب التّفعيل بمعنى احراقه بالنّار، وقرئ لنحرقنّه من حرقه يحرقه من باب نصر بمعنى برده وحكّ بعضه ببعض وعلى الاوّل يدلّ الاحراق على انّه صار حيواناً كما روى انّه بعدما ذرّ التّراب عليه تحرّك واشعروا وبروخار، وعلى الثّانى يدلّ برده على انّه كان باقياً على ذهبيّته [ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ] لنذرينّه [فِى الْيَمِّ نَسْفًا اِنَّمآ اِلٰهُكُمُ اللهُ] مستأنفة جواب للسّؤال عن علّة الحكم والمعنى نحرقه لانّه ليس آلهاً وانّما آلهكم الله اى المسمّى بالله الدّائر على السنة الجميع [الَّذى لآ اِلٰهَ اِلّا هُوَ] وهو صفة بيانيّة وتصريح بحصر الا لهة فيه ونفى الا لهة من غيره [وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا] وهو كناية عن احاطة علمه بالاشياء ولمّا كان علمه تعالى ذا مراتب ومرتبة منه عين ذاته وهى مرتبة الغيب الّتى لاخبر عنها ولا اثر فلا كلام لنا فيها، ومرتبة منه فعله الّذى يعبّر عنها بالمشيّة والحقّ المخلوق به وتلك جامع لجميع الموجودات بوجوداتها لا بحدودها وتعيّناتها، فانّ الحدود والتّعيّنات اعدام لاطريق لها الى ذلك العالم ومرتبة منه الاقلام العالية وحكمها حكم المشيّة، ومرتبة منه النّفوس الكلّيّة، ومرتبة منه النّفوس الجزئيّة، ومرتبة منه الوجودات الطّبيعيّة، وكلّ مرتبة من المراتب العالية علم له تعالى بجميع مادونها فأنّ جميع مادونها مجتمعة بوجوداتها لا بحدودها فى المرتبه العالية، وكما انّها علم بجميع ما دونها علم له تعالى بنفس تلك المرتبة، وكونها علماً بما دونها هو العلم السّابق على المعلوم، وكونها علماً بنفسها هو العلم الّذى يكون مع المعلوم، وعالم الطّبع بوجوده علم له تعالى بالعلم الّذى يكون مع المعلوم فكلّ شيء معلوم له تعالى بالعلوم السّابقة ومعلوم له تعالى بوجوده الخاصّ به الّذى هو علمه تعالى به [كَذٰلِكَ] القصص الّذى قصصناه عليك [نَقُصُّ] بعد ذلك [عَلَيْكَ مِنْ اَنْبآءِ ما قَدْ سَبَقَ] اى انباء الوقائع الّتى سبقت من وقائع الانبياء(ع) وغيرهم [وَقَدْ اٰتَيْناكَ مِنْ لَدُنّا ذِكْرًا] اى سبب تذكّر للامور الماضية وهو الولاية الّتى بها يتذكّر جميع مراتب الوجود وجميع ما فى كلّ مرتبة يعنى نقصّ عليك والحال انّا اعطيناك الولاية الّتى بها تستغنى عن القصص، او المراد بالذّكر القرآن، او الصّيت والذّكر الجميل، او المراد بالذّكر قصص الاخبار الماضية والمقصود انّا آتيناك هذا الذّكر من لدنّا لا من لدن الوسائط [مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ] من موصولة اوشرطيّة والجملة صفة ذكراً اوحال اومستأنفة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ والضّمير المجرور راجع الى الذّكر بمعانيه، او الى القصص، او الى الله تعالى لانّ من أعرض عن كلّ [فَاِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وِزْرًا] الوزر بالكسر الاثم والثّقل والحمل الثّقيل [خالِدينَ فيهِ] جمع الضّمير وافراده فى سابقه باعتبار لفظ من ومعناه، والمراد انّهم خالدون فى عذاب ذلك الوزر والنّار اللّازمة له [وَسآءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ حِمْلًا] يعنى انّ الانسان واقع بين دارى الرّحمن والشّيطان ومن توجّه الى الولاية خرج من القوّة الى الفعليّات الولويّة الرّحمانيّة المورثة لدخول الجنان، ومن أعرض عن الولاية خرج من القوّة الى الفعليّات الشّيطانيّة لخروجه لامحالة من القوّة الى الفعليّات بالتّدريج وعدم الفصل بين الفعليّات الولويّة والفعليّات الشّيطانيّة، والفعليّات الشّيطانيّة حمل ثقيل على الانسان سائق له الى النّيران فبئس الحمل تلك الفعليّة يوم القيامة حملاً [يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ] بدل من يوم القيامة ويكون المراد بالنّفخ نفخ الاحياء وقرئ ينفخ بالياء مبنياً للمفعول ومبنياً للفاعل، وننفخ بالنّون اسناداً للفعل الى الامر تفخيماً للفعل اوللفاعل، والصّور قرن له بعدد كلّ نفس ثقبة [وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمينَ] وقرئ بالياء مبنياً للمفعول والمجرمون بالرّفع وهو عطف على يحمل، واكتفى عن العائد باظهار المجرمين فانّ المراد بهم هو من أعرض

عن الذّكر ووضع الظّاهر موضع المضمر تصريحاً بوصف ذمّ لهم واشعاراً بعلّة الحكم، اوعطف على ساء لهم حملاً، اوعلى ينفخ فى الصّور، ويكون قوله تعالى [يَوْمَئِذٍ] حينئذ تأكيداً فانّه يكون التّقدير يوم نحشر المجرمين يومئذ [زُرْقًا] اى زرق العيون فانّ الزّرقة اسوء الوان العين، اوعمياً فانّ الزّرقة تستعمل بمعنى العمى، وقيل: عطاشاً فانّ العطشان يميل لون عينيه الى الزّرقة [يَتَخافَتُونَ] اى يتسارّون والجملة حال مترادفة اومتداخلة اوصفة لزرقاً اومستأنفة اى يقولون سرّاً [بَيْنَهُمْ] لشدّة الخوف وعدم قدرة نفوسهم على اجهار الصّوت اولخوف اطّلاع الحفظة على مكالمتهم لانّهم لايتكلّمون الّا من اذن له الرّحمن، اولشدّة الخوف والدّهشة يظنّون انّ الاجهار يصير سبباً لعذاب آخر [إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا] اى فى الدّنيا، اوفى القبور، اوبين النّفختين ينسون مدّة لبثهم، اويقلّلون مدّة لبثهم فى تلك المذكورات لطول مدّة عذابهم، والتّعبير بالعشر للتّقليل لعدم يقينهم بالعشر ولذلك يقول الامثل منهم: ان لبثتم الّا يوماً [نَحْنُ أَعْلَمُ] منهم ومن الحفظة [بِمَا يَقُولُونَ] بقولهم تخافتوا او اجهروا، اوبالّذى يقولونه من تعيين مدّة لبثهم [إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ] اى افضلهم [طَرِيقَةً] سيرة لكونه اعقلهم فانّ السّيرة الفاضلة لا تكون الّا عن العقل الكامل [إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا] لانّ ايّام الدّنيا وان كانت بالنّظر الى عرض الزّمان متعدّدة متكثّرة وكذلك ايّام القبر والبرزخ والايّام بين النّفختين لكنّها بالنّظر الى مافوقها فى الطّول ليست الّا يوماً واحداً ولذلك نسبه الى الامثل، لانّ حدود الكثرات ترتفع وتستهلك بالنّظر الى مافوقها [وَيَسْأَلُونَكَ] عطف على قوله كذلك نقصّ فانّه يشعر بسؤاله (ص) اوسؤالهم عن انباء ما قد سبق فكأنّه قال: تسأل عن أنباء ما قد سبق ويسألونك [عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ] هو جواب شرط مقدّر اوبتقدير فعل بعد الفاء حتّى لايلزم عطف الانشاء على الخبر والتّقدير اذا سألوك فقل اويسألونك فأقول قل فى جوابهم [يَنْسِفُهَا] يقطعها اويدكّها فيجعلها كالرّمال تذروها الرّياح [رَبِّي نَسْفًا] عظيماً لايبقى منها اثر، قيل: انّ رجلاً من ثقيف سأل كيف تكون الجبال يوم القيامة فانّه ينبغى ان يسأل عنها خصوصاً بعد ما اشتهر بينهم انّ الارض يوم القيامة تكون مستوية ليس فيها تلال ووهاد [فَيَذَرُهَا] الضّمير راجع الى الجبال باعتبار محلّها من قبيل الاستخدام، اوراجع الى الارض المستفادة بالالتزام [قَاعًا] القاع الارض المطمئنّة السّهلة قد انفرجت عنها الجبال والآكام [صَفْصَفًا] الصّفصف المستوية من الارض [لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا] انحداراً بسبب الوهاد [وَلَا أَمْتًا] اى مرتفعاً، والعوج ما انخفض من الارض، والأمت ما ارتفع منها [يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ] الّذى يدعوهم الى الجنّة والجحيم بخلاف يوم الدّنيا فانّه لايتّبع اكثرهم فيه الدّاعى ومن يتّبع منهم للدّاعى لايكون اتّباعه اووجوده اوالدّاعى فى نظره الّا معوجّاً [لَا عِوَجَ لَهُ] الجملة حاليّة اومستأنفة، وعلى تقدير الحاليّة فهو حال من الدّاعى اومن فاعل يتّبعون، والضّمير المجرور امّا للاتّباع اوللدّاعى ولابدّ من تقدير العائد اذا كان حالاً من فاعل يتّبعون اومن الدّاعى، وكان ضمير المجرور للاتّباع، فانّ الدّاعى يومئذ لايكون فيه عوج لافى نفس الامر ولافى انظارهم، واتّباعهم يكون غير معوجّ والمدعوّون ايضاً لا اعوجاج فيهم فانّهم كالاراضى يكونون مستوين برفع جبال الانانيّات عنهم وارتفاع النّفاق عن وجودهم، فانّه كما يندكّ جبال الارض الطّبيعيّة يومئذ يرتفع جبال الانانيّات والتّقيّدات عن العالم الصّغير [وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ] قد مضى تحقيق معنى الخشوع والفرق بينه وبين الخضوع والتّواضع وانّ الكلّ متقارب المفهوم وانّ الخشوع حالة حاصلة من امتزاج المحبّة وادراك الهيبة بالنّسبة الى من يتخشّع له لكنّ

المحبّة واللّذة فى الخشية غالبة وفى الخضوع غير غالبة ، وفى التّواضع العظمة والهيبة غالبة ، وقد ينسب الخشوع الى الصّوت لظهوره به وقد ينسب الى البدن لذلك والجملة عطف على قوله لاعوج له اوعلى يتّبعون الدّاعى والتّفاوت بالاسميّة والفعليّة ، اوبالاستقبال والمضىّ للاشعار بانّ الاصوات كانت خاشعة للرّحمن فى الدّنيا كما صارت خاشعة فى ذلك اليوم لكن ما كان خشوعها ظاهراً فى الدّنيا وفى ذلك اليوم ظهر خشوعها ، اوالجملة حال بتقدير قد [لِلرَّحْمٰنِ فَلٰا تَسْمَعُ اِلّٰا هَمْسًا] الهمس الصّوت الخفىّ وكلّ خفىّ اواخفى ما يكون من صوت القدم [يَوْمَئِذٍ لٰا تَنْفَعُ الشَّفٰاعَةُ] الجملة مستأنفة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ اوحال [اِلّٰا مَنْ اَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ] اى الّا شفاعة من اذن اولا تنفع الشّفاعة احداً الّا من اذن فى شفاعته اومن احدٍ الّا ممّن اذن اولا احدٍ الّا لمن اذن له الرّحمن ، وقد مضى فى سورة البقرة وغيرها احتياج الشّفاعة الى الاذن من الله اومن خلفائه المأذونين منه بلا واسطةٍ اوبالواسطة؛ وانّ الامر بالمعروف والنّهى عن المنكر والفتيا للنّاس والقضاوات والمحاكمات وامامة الجماعة والجمعة وغير ذلك ممّا يرجع الى العلماء كلّها شفاعات ولاتصح الّا ممّن اذن له الرّحمن ، والمتصدّى لها من غير اجازةٍ واذنٍ من الله ابغض الخلق الى الله ، اعاذنا الله من شرور نفوسنا [وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا] الجارّ والمجرور امّا لغو وصلة رضى اى رضى لاجله قولاً من الشّافع او فى حقّه قولاً من الشّافع ، اولاجله قولاً منه فى الشّفاعة ، اومستقرّ حال من قولاً اى رضى قوله سواء كان شافعاً اومشفّعاً له ، وتنكير قولاً لتغليب جانب الرّجاء يعنى اذا كان الانسان بحيث يرضى الله منه قولاً حقيراً ينفع الشّفاعة فى حقّه اوينفع شفاعته فى حقّ الغير [يَعْلَمُ] الله [مٰا بَيْنَ اَيْدِيهِمْ] اى ما بين ايدى المتّبعين للدّاعى اوما بين ايدى من اذن له الرّحمن [وَمٰا خَلْفَهُمْ] من احوالهم الآتية والماضية ومن الدّنيا والآخرة اومن الآخرة والدّنيا على اختلاف تفسير هما بالدّنيا والآخرة اوبالآخرة والدّنيا [وَلٰا يُحِيطُونَ بِهِ] اى بالله اوبما بين ايديهم وما خلفهم [عِلْمًا وَعَنَتِ الْوُجُوهُ] خضعت اوصارت اسيراً بمعنى انّ صاحبى الوجوه قد ذلّوا وخضعوا لكنّه ادّاه بالوجوه لظهور الاستسلام والانقياد بالوجوه [لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ] علّق الفعل على وصف الحيوة والقيّوميّة المطلقة للاشعار بانّ الحيوة المطلقة خاصّة به ، وكذا القيّوميّة المطلقة ، وللاشارة الى علّة الحكم فانّ الحىّ المطلق والحيوة المطلقة تقتضى الاحاطة بجميع اصناف الحيوة الجزئيّة والقيّوميّة تقتضى الاحاطة والتّسخير لجميع ما تقوّم بالمقوّم [وَقَدْ خٰابَ] عمّا رجاه عباد الله من ثوابه وقربه [مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا] عظيماً هو جحود الولاية اوالاشراك بها بقرينة قوله فى مقابله [وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصّٰالِحٰاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ] بالايمان الخاصّ والبيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة فانّ الايمان العامّ وقبول الدّعوة الظّاهرة لايتجاوز اثره عن الدّنيا وانّما الثّواب على الايمان الخاصّ وقبول الولاية ، ولا شكّ انّ الخيبة ليست الّا من الثّواب فى الآخرة فيكون قوله تعالى [فَلٰا يَخٰافُ ظُلْمًا وَلٰا هَضْمًا] مشيراً الى الظّلم والهضم فى الآخرة ، والهضم الهجوم ، والهبوط ، والظّلم ، والغصب ، والكسر ، وقرئ فلايخف مجزوماً [وَكَذٰلِكَ] اى مثل انزالنا اخبار القيامة والوعيد منها بالقرآن العربىّ [اَنْزَلْنٰاهُ] اى القرآن جملةً اوقرآن هذه السّورة [قُرْآنًا عَرَبِيًّا] بلغة العرب اومشتملاً على الآداب والعلوم لاعجمياً ولا اعرابياً لايكون فيه آداب وعلوم والجملة عطف على جملة عنت الوجوه [وَصَرَّفْنٰا] كرّرنا [فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ] بالفاظٍ مختلفةٍ ومتوافقةٍ وامثالٍ متكثّرةٍ متخالفةٍ [لَعَلَّهُمْ] اى المجرمين اوالعرب اوالنّاس [يَتَّقُونَ] يصيرون صاحبى تقوى او يتّقون ما يوعدون او المعاصى

[اَوْ يُحْدِثُ] القرآن العربيّ [لَهُمْ ذِكْرًا] اى تذكّر الامور الآخرة واشتياقاً اليها.

اعلم، انّ الانسان بل جلّ الحيوان خروجه من القوى الى الفعليّات بل بقاءه فى هذه الحيوة ليس الّا بالخوف والرّجاء والتّوبة والانابة والزّكوة والصّلوة والبراءة والولاية والخلع واللّبس والتّصرّم والتّكوّن والادبار والاقبال والتّخلية والتّحلية والبغض والحبّ والدّفع والجذب والتّقوى والطّاعة وغير ذلك من الاسماء الدّالّة على هذين المعنيين، فقوله تعالى: لعلّهم يتّقون، اشارة الى البراءة وقوله تعالى او يحدث لهم ذكراً اشارة الى الولاية [فَتَعَالَى اللّٰهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ] عطف على قوله عنت الوجوه وتفريع عليه والمقصود انّه بقيّوميّته مستعلٍ على كلّ شيءٍ وهو الملك المالك على الاطلاق والحقّ الّذي لاشوب بطلان فيه لاقتضاء القيّوميّة ذلك فلاتسأل منه شيئاً فانّه بقيّوميّته وعلوّه يعلم ويعطى كلّ ما ينبغى ان يسأل سئل ام لم يسأل [وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ] مخصوصاً [مِنْ قَبْلِ اَنْ يُقْضٰى اِلَيْكَ وَحْيُهُ] يعنى لاتسأل القرآن قبل ان نوحيه اويقرءه جبرئيل (ع) فانا اعلم بمصالح نزوله ووقته، اولاتعجل بقراءته مع الملك الموحى قبل اتمام الملك قراءته، اولا تعجل بقراءته على اصحابك قبل اتيان وقت حكمه اوقبل بيان مجمله [وَقُلْ رَبِّ زِدْنى عِلْمًا] بوقت حكم القرآن وبيانه، اوبتفصيل اجماله اومطلقاً [وَلَقَدْ عَهِدْنَا] عطف على قوله كذلك انزلناه، والمقصود انّا انزلناه قرآناً عربيّاً وصرّفنا فيه من الوعيد لعلّهم يتّقون لكنّهم ينسون لانّا قد عهدنا الى آدم (ع) ابيهم نهو عطف فيه معنى التّعليل اوعطف على لا تعجل باعتبار القسم المقدّر فانّ هذه اللّام هى اللّام المشعرة بالقسم والمعنى لا تعجل بالقرآن ولاتنس العهد والوصيّة الّتى اوحيناك بالتّوانى لانّا قد عهدنا [اِلٰى آدَمَ مِنْ قَبْلُ] اى من قبل هذا الزّمان، اومن قبل خلق بنى آدم، اومن قبل نزوله الى الدّنيا [فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا] فابتلى ببلاءٍ عظيمٍ فلاتنس فتبتلى مثل ابتلائه والمراد بالعزم الثّبات والتّمكّن فى الامر [وَ] اذكر [اِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ] حتّى تعلم تكريمنا له وابتلاءنا له بسبب النّسيان حتّى تكون على حذر من النّسيان وعدم العزيمة [فَسَجَدُوا اِلَّا اِبْلِيسَ اَبٰى] عن السّجود اوعن المطاوعة [فَقُلْنَا يَا آدَمُ اِنَّ هٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا] يعنى فلاتكونا بحيث تؤثّر وسوسته فيكما فانّ المراد نهيهما لانهيه [مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقٰى] افرد الضّمير للاشعار بانّ شقاء المرأة وسعادتها تابعتان لشقاء المرء وسعادته، ولمحافظة رؤس الآى، اولانّ المراد بالشّقاء التّعب فى طلب المعاش فانّ وسوسته صارت سبباً لهبوطهما الى الارض واحتياجهما الى المأكول والمشروب والملبوس والمسكون، وتعب ذلك كلّه على الرّجال لا النّساء ويؤيّد هذا المعنى قوله تعالى [اِنَّ لَكَ اَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرٰى وَاَنَّكَ لَا تَظْمَؤُ فِيهَا وَلَا تَضْحٰى] قرئ انّك بفتح الهمزة عطفاً على ان لاتجوع، وقرئ انّك بكسر الهمزة عطفاً على انّ لك ان لا تجوع، وقوله انّ لك ان لا تجوع، استيناف بيانىّ فى مقام التّعليل [فَوَسْوَسَ اِلَيْهِ الشَّيْطَانُ] القى اليه وسوسته [قَالَ] بيان لوسوسته [يَا آدَمُ هَلْ اَدُلُّكَ عَلٰى شَجَرَةِ الْخُلْدِ] اى الشّجرة الّتى صار الاكل منها سبباً للخلد فالاضافة لادنى ملابسة [وَمُلْكٍ لَا يَبْلٰى] عطف على شجرة الخلد اوعلى الخلد فقبلا قوله وغرّا به [فَاَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا] قد سبق فى سورة البقرة عند قوله تعالى ولا تقربا هذه الشّجرة تحقيق الشّجرة المنهيّة وكيفيّة اغترارهما بقول ابليس [وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ] اى يلصقان على بدنهما من ورق اشجار الجنّة [وَعَصٰى آدَمُ رَبَّهُ] خالف امر ربّه امره التّكوينىّ اوامره التّكليفىّ

الّذي كان اولى له [فَغَوىٰ] فضل الطّريق الّذي كان بالفطرة عليه .

اعلم ، انّ نسبة العصيان الى آدم (ع) مع انّه كان نبيّاً معصوماً عن الخطاء انّما كانت بملاحظة انحرافه عن فطرة التّوحيد الّتي كانت الاشياء كلّها مفطورة عليها ، وهذا ليس معصية منافية للعصمة لانّه كان بأمره تعالى ورضاه اوكانت بملاحظة تركه دار التّوحيد وتوجّهه الى الكثرات وقد امره الله تعالى بالبقاء على التّوحيد وعدم الالتفات الى الكثرات لكونه اولى به من الالتفات الى الكثرات وان كان الاولى بنظام العالم وايجاد بني آدم توجّهه الى الكثرات ، وتسميته عصياناً لمخالفته الامر الاولويّ الّذي كان اولى بالنّسبة الى حاله ، وهذا ايضاً لا ينافي عصمته، وفي خبرٍ: انّ نهيه كان في الجنّة لا في الدّنيا وقبل كونه حجّة لا بعده والمنافي لعصمته هو عصيانه في الدّنيا وبعد كونه حجّة ، وفي خبرٍ: انّ المنافي للعصمة هو الكبيرة او الصّغيرة بعد كونه حجّة لا الصّغيرة قبل كونه حجّة، وفي خبرٍ: انّ الله نهى عن قرب شجرة بعينها ووسوس الشّيطان اليه في شجرة اُخرى من جنسها، وعصيانها كان بغروره بقول الشّيطان، [ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا] يعني قبل الاجتباء فانّ توبته كانت في الدّنيا ، وهبوطه اليها كان قبل توبته ، وقد سبق في البقرة هذه الآية هكذا: قلنا اهبطوا منها جميعاً بضميمة الشّيطان والحيّة او الذّريّة اليهما ، ولمّا كانا هما الاصلين في الخطاب خصّهما ههنا بالخطاب واشار الى الشّيطان والحيّة او الذّريّة بقوله [بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ] بخطاب الجمع [فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ] الضّلال في الدّنيا والشّقاء في الآخرة ، اوكلاهما في كليهما ، ويكون الشّقاء بمنزلة النّتيجة للضّلال والمراد بالشّقاء ضدّ السّعادة او العناء والتّعب [وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا] قد فسّر الهدى في اخبارٍ عديدة بولاية أمير المؤمنين (ع) وبعليٍّ (ع) نفسه وهكذا فسّر الذّكر والمراد بالمعيشة الضّنك امّا الضّيق في ما يحتاج اليه في الدّنيا من المأكول والملبوس وغيرهما وبهذا الاعتبار فسّرت بالضّيق في الرّجعة في اخبارٍ كثيرةٍ وانّهم يأكلون العذرة وفسّر في بعض الاخبار بعذاب القبر وضنكه ؛ والتّحقيق انّ الرّاحة وضعها الله تعالى في الآخرة الّتي قلب الانسان انموذج منها ، وسعة العيش والرّاحة للانسان ليست الّا من طريق القلب الّذي هو طريق الولاية وطريق الآخرة وضيق العيش وعناؤه ليس الّا من الدّنيا الّتي هي انموذج الجحيم وطريقها ومن أعرض عن الذّكر الّذي هو الولاية الّتي هي طريق القلب وطريق الآخرة توجّه الى الدّنيا الّتي هي طريق الجحيم وفيها العناء والضّيق، ومن توجّه الى الدّنيا سدّ باب الرّاحة على نفسه وفتح باب الضّيق والتّعب عليها ، وكان في ضيق استشعر به ام لم يستشعر ، ومن تولّى عليّاً (ع) وفتح طريق القلب فتح طريق الرّاحة على نفسه فان دخل في باب القلب والآخرة دخل في السّعة والرّاحة، وان لم يدخل كان في عناء لبقائه بعدُ في الدّنيا لكنّه كان في طريق الوصول الى الرّاحة وضيق العيش في الدّنيا وضيق الصّدر وضيق القبر وضيق العيش في الرّجعة كلّها لازم لسدّ طريق القلب [وَنَحْشُرُهُ] قرئ بالرّفع وقرئ في الشّواذّ بالجزم [يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ] عن الولاية والامام والآيات ونعيم الآخرة [قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا] قيل يحشر من قبره بصيراً و اذا اتى المحشر يصير اعمى [قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا] العظمى الّتي هم الانبياء والاولياء (ع) ، وآياتنا الصّغرى الّتي هي آيات الآفاق والانفس [فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ] اي تركتها ولم تتبعها وكذلك اليوم تترك ولا يعتنى بك [وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ] في التّوجّه الى الدّنيا زائداً على قدر الواجب والنّدب [وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ] الّتي هم الانبياء والاولياء (ع) [وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ

اَشَدُّ وَاَبْقٰى] من النّسيان والحشر اعمى ومن ضيق المعيشة حتّى انّها تعدّ فى مقابل عذاب الآخرة نعمة ، وقد مضى قصّة آدم(ع) فى سورة البقرة وفى سورة الاعراف مع اختلاف يسير فى بعض الفقرات بحسب اللّفظ مع ما ذكر ههنا [اَ] لم ينههم [فَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ] والتّقدير الم ينبّههم فا لم يهد لهم على الخلاف فى الهمزة والعاطف انّها بتقدير المعطوف عليه قبل الهمزة والهمزة على تقدير التّأخير من العاطف اوبتقدير المعطوف عليه بعد الهمزة والهمزة فى محلّه وفاعل لم يهد ضمير الله او الرّسول (ص) وحينئذٍ يكون جملة [كَمْ اَهْلَكْنَا] فى محلّ المفعول معلّقاً عنها الفعل على جواز التّعليق فى غير الفعل القلبىّ اوعلى جعل لم يهد بمعنى لم يعلم ، اوفاعل لم يهد ضمير مجمل يفسّره مضمون جملة كم اهلكنا ، اوالفاعل نفس الجملة بمضمونها ، وقرئ نهد بالنّون اى افلم نهد نحن كم اهلكنا [قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ] يعنى اهلاك الامم الماضية ينبغى ان يكون عبرةً لهم وهادياً لهم الى اليقين باهلاك انفسهم والتّزوّد لما بعد هلاكهم [يَمْشُونَ فِى مَسَاكِنِهِمْ] حال اومستأنف جواب للسّؤال عن حالهم اوعن علّة الهداية [اِنَّ فِى ذٰلِكَ] الاهلاك بانواع الاهلاك [لَاٰيَاتٍ لِاُولِى النُّهٰى] لذوى العقول النّاهية اوالمنتهى اليها لكلّ موجود فى العالم الصّغير اوفى العالم الكبير وقد فسّر اولو النّهى بالائمّة (ع) اينما وقع [وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ] اى كلمة الوعد بتأخير العذاب للامّة المرحومة اوبعدم العذاب مع كون محمّدٍ (ص) فيهم [لَكَانَ] ذلك الاهلاك بانواع الاهلاك [لِزَامًا] اى لازماً واللّزام بكسر اللّام اسم مصدرٍ اومصدر لازم وصف به مبالغة [وَاَجَلٌ مُسَمًّى] لاعمارهم وامد بقائهم فى الدّنيا اولعذابهم وهو يوم القيامة اويوم بدرٍ اواحد اوفتح مكّة وهو عطف على كلمةٌ والفصل للاشعار باستقلال كلّ منهما بنفى لزوم العذاب [فَاصْبِرْ] اى اذاكان عذابهم بسبب وعد الامهال وانقضاء الاجل مؤخّراً فاصبر [عَلٰى مَا يَقُولُونَ] فى دينك اوفى الخداع بك اوفى وصيّك وغصب حقّه ومنعه منه [وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ] قد مضى انّ المراد بالتّسبيح سواء علّق على الله او الرّبّ اواسم الرّبّ ، وسواء عدّى باللّام اوبنفسه او اطلق ، وسواء كان اللّام بعده للتّعليل اوللتّقوية كان المراد تنزيه اللّطيفة الانسانيّة عن تشبّث التّعيّنات والتّعلّق بالكثرات وتلك اللّطيفة هى الرّبّ فى العالم الصّغير وهى اسم الرّبّ وبتنزيهها ينزّه الله عمّا لا ينبغى ان يعتقد فى حقّه ، ولمّا كان تنزيه الله تعالى راجعاً الى سلب النّقائص الّتى هى حدود الوجود وهى راجعة الى سلب السّلوب كان تنزيهه عبارة عن سلب السّلوب ، وسلب السّلوب ، ليس الّا سعة الوجود ، وسعة الوجود راجعة الى سعة صفاته تعالى بحيث لا يشذّ وجود ولا صفة وجود من وجوده وصفاته وكان تسبيحه عين تحميده ولذلك قلّما يذكر تسبيح الّا ومعه الحمد بلفظه اوبمعناه وامره (ص) بالتّسبيح بسبب الحمد او بالاشتغال بحمده اومتلبّساً بحمده لذلك يعنى نزّهه (ع) عن حدود الكثرات فى عين ملاحظة كمالات الكثرات له تعالى والّا لم يكن تسبيحك تسبيحاً له بل كان تنقيصاً له [قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ] ان كان المراد بهذا التّسبيح التّسبيح الّذى كان فى ضمن الصّلوات كان المراد بالتّسبيح قبل طلوع الشّمس صلوة الفجر [وَقَبْلَ غُرُوبِهَا] يعنى صلوة العصر [وَمِنْ اٰنَاءِ اللَّيْلِ] الآناء جمع الانى بكسر الهمزة وفتحها وجمع الانو بكسر الهمزة وسكون النّون فى الجميع بمعنى السّاعات يعنى صلوة المغرب والعشاء ونوافل اللّيل [فَسَبِّحْ وَاَطْرَافَ النَّهَارِ] صلوة الظّهر ونوافلها ، وتسمية وقتها بالاطراف لكونه طرفى نصف النّهار ، اوالمراد مطلق صلوة التّطوّع فى النّهار ، وان كان المراد مطلق التّسبيح كان المراد استغراق الاوقات

وذكرقبل طلوع الشّمس وقبل غروبها للاهتمام بهذين الوقتين [لَعَلَّكَ تَرْضىٰ] قرئ مبنيّاً للفاعل ومبنيّاً للمفعول [وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلىٰ مٰا مَتَّعْنٰا بِهِ] من اصناف النّعم الصّوريّة ومستلذّات القوى الحيوانيّة وهوخطاب لمحمّدٍ(ص) على ايّاك اعنى واسمعي ياجارة ، ويجوز ان يكون الخطاب عامّاً على بُعدٍ [أَزْوٰاجاً مِنْهُمْ] هو مفعول به لمتّعنا و المعنى لا تمدّنّ عينيك الى ما متّعنا اصنافاً من النّاس اوهوحال من ما اومن ضميربه والمعنى لاتمدّنّ عينيك الى ماتمتّعنا به حالكونه اصنافاً من النّعم والمستلذّات ومنهم حينئذ يكون مفعولاً به سواء جعلت من التّبعيضيّة اسماً اوقائماً مقام الموصوف المحذوف لقوّة معنى البعض فيه [زَهْرَةَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] منصوب على الذّمّ اوبدل من محلّ ما متّعنا ووجه الاتيان به التّصريح بفناء ما متّعهم به وذمّه وذمّهم والاشعار بانّ المنهيّ النّظر الى مايتمتّع به فى الدّنيا ، وامّا نعيم العقبى اوقرب المولى فينبغى ان يكون مطمح الانظار [لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ] لنعذّبهم اونختبرهم لانّ كثرة الاموال سبب لعذاب صاحبه لاهتمامه بجمعها وحفظها حتّى انّهم يحرّمون على انفسهم الحظوظ البدنيّة لاجل حفظها وجمعها واستنمائها ولخوف فنائها وسرقتها حتّى انّهم يحرمون طيب المنام لخوف زوالها ولانّ كثرة المال تورث كثرة الحقوق والتّعبّد باداثها فرضاً وندباً والتّقييد به ذمّ آخر وتسلية اخرى للمؤمنين [وَرِزْقُ رَبِّكَ] الّذى اعطاك اوتترقّبه [خَيْرٌ] امّا مجرّد عن التّفضيل اوالمقصود تفضيل رزق الرّبّ على زعم من طمح نظره الى متاع الدّنيا وعدّه خيراً، اومتاع الدّنيا خير بشرط ان يكون مع الايمان [وَأَبْقىٰ] هذا ايضاً على زعمهم والّا فلا بقاء لمتاع الدّنيا [وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلٰوةِ] يعنى اجعل رزق ربّك مطمح نظرك ولاتكتف بنصيب نفسك منه بل اجعل اهلك متوجّهين اليه وطالبين له وأمرهم بالصّلوة الّتى هى انموذج ذلك الرّزق حتّى يطلبوه ويتوجّهوا اليه،واهله(ص) كلّ من انتسب اليه بالبيعة العامّة او الخاصّة ، ومن انتسب اليه بالبيعتين وبالنّسبة الجسمانيّة اولى باهليّته ممّن لم يكن له نسبة جسمانيّة، ومن انتسب بالبيعتين اولى ممّن انتسب بالبيعة العامّة فقط ، وعليّ(ع) وفاطمة(ع) والحسن(ع) والحسين(ع) كانوا اولى من غيرهم ولذلك كان(ص) بعد نزول هذه الآية يأتى باب عليٍّ(ع) الى تسعة اشهروقت كلّ صلوة و يقول : الصّلوة رحمكم الله ، اوالمراد باهله اصحاب الكساء ولذلك كان يأتى باب عليٍّ (ع) دون غيره ، وقال ابوجعفر (ع) : امره الله تعالى ان يخصّ اهله دون النّاس ليعلم النّاس انّ لاهله عندالله تعالى منزلةً ليست للنّاس فأمرهم مع النّاس عامّة ثمّ امرهم خاصّة [وَاصْطَبِرْ عَلَيْهٰا] لمّا كان ادامة الصّلوة امراً صعباً لا يتيسّر الّا لمن كان متمكّناً فى مقامات الآخرة امره (ص) خاصّة بالصّبر عليها دون اهله ، واتى بالصّيغة الدّالّة على المبالغة والتّكلّف [لَا نَسْئَلُكَ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه(ص) قال: كيف اصطبر على الصّلوة وقد كلّفت رفع حاجتى فى المأكول والمشروب والملبوس لنفسى ولغيرى من عيالى؟- فقال لانسألك [رِزْقاً] لنفسك ولغيرك [نَحْنُ] لاغيرنا [نَرْزُقُكَ وَالْعٰاقِبَةُ لِلتَّقْوىٰ] عن الاشتغال عن الصّلوة بغيرها،ولمّا كثراستعمال العاقبة فى العاقبة المحمودة صارت بحيث كلّما اطلقت يتبادر منها العاقبة المحمودة [وَقٰالُوا] عطف على نفتنهم والتّفاوت بالمضىّ والمضارعة للاشارة الى انّ هذا القول وقع منهم ، اوعطف باعتبار المعنى كأنّه قال تعالى فتنّاهم به و قالوا [لَوْلَا يَأْتِينٰا] محمّد(ص) فى ادّعاء نبوّته [بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ] دالّة على صدقه فى نبوّته كأنّهم لم يعتدّوا بما رأوا منه اوحملوه على السّحر [أَ] تركهم بلابيّنة [وَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مٰا فِى الصُّحُفِ الْأُولىٰ] يعنى انّه اتى بالقرآن الّذى هو مبيّن

جميع مافى الصّحف الاولى من العقائد والاخلاق والعبادات والسّياسات والحال انّ محمّداً (ص) امىّ لايعرف كتاباً وما اختلف الى عالم يعلّمه الكتب الماضية يعنى لا يريدون بقولهم هذا الدّلالة على صدقه وقبول نبوّته بل يريدون الزامه امراً يعجز عن الاتيان به اوالاستهزاء به [وَلَوْ اَنّٰا اَهْلَكْنٰاهُمْ بِعَذٰابٍ مِنْ قَبْلِهِ] اى من قبل محمّد (ص) اوالقرآن اومن قبل الاحتجاج بمحمّد (ص) وكتابه [لَ] ادلوا حجّتهم علينا و [قٰالُوا رَبَّنٰا لَوْلٰا اَرْسَلْتَ اِلَيْنٰا رَسُولًا] يدعونا اليك وينبّهنا من غفلتنا ويخرجنا من جهلنا [فَنَتَّبِعَ اٰيٰاتِكَ] اى رسلك وخلفاءك وكتبك واحكامك [مِنْ قَبْلِ اَنْ نَذِلَّ] نهون بالعذاب فى الدّنيا [وَنَخْزٰى] فى الآخرة، اومن قبل ان نذلّ فى الانظار ونخزى فى انفسنا، اومن قبل ان نذلّ ونستحيى من اعمالنا عندك [قُلْ كُلٌّ] منّا ومنكم [مُتَرَبِّصٌ] لما نؤل اليه ولما يظهر من العاقبة [فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ اَصْحٰابُ الصِّرٰاطِ السَّوِيِّ] منّا ومنكم اى سيظهر عليكم من كان من اصحاب الصّراط وكائناً فى الصّراط اعنى المتحقّق بالولاية وصاحب القلب [وَمَنِ اهْتَدٰى] الى الصّراط وصار مقامه مقام القاء السّمع واكتفى بمفهوم المخالفة عن التّصريح بمخالفه يعنى من لم يكن كذلك.

سورة الانبياء

مكّيّة كلّها وهى مائة واثنتا عشرة آيةً

[الجزء السّابع عشر]

بسم الله الرحمن الرحيم

[اِقْتَرَبَ] قرب منه ككرم وقربه كسمع واقترب بمعنًى لكن فى اقترب معنى المبالغة [لِلنّٰاسِ حِسٰابُهُمْ] نسبة القرب والبعد الى الافعال ليست الّا باعتبار اوقاتها، ووقت الحساب هو وقت القيامة، ولمّا كانت القيامة واقعة فى طول الزّمان لافى عرضه وكانت مقوّمةً له لا من ابعاضه لم يكن قربها وبعدها بحسب الزّمان بل كانت قريبة من الزّمان وان كانت الزّمانيّات متفاوتة النّسبة اليها بانّ بعضها يكون قريباً منها وبعضها بعيداً ولهذا التّفاوت قال (ص): بعثت انا والسّاعة كهاتين؛ بخلاف سائر الانبياء [وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ] عن الحساب وعن التّهيّؤ له [مٰا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ] للحساب [مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ] فى باطنهم بزجر الملك الزّاجر ونهى العقل النّاهى والواردات النّفسانيّة من الهموم والغموم والمنامات المنذرة والمبشّرة، وفى الخارج بالواردات الخارجة من الابتلاءات والامتحانات والدّوائر الدّائرة الّتى قلّما يخلوا الانسان منها، وبتذكيرات الانبياء والاولياء (ع) والعلماء رضى الله عنهم من الانذارات والتّبشيرات [اِلَّا اسْتَمَعُوهُ] بآذانهم الباطنة اوالظّاهرة [وَهُمْ يَلْعَبُونَ] به بان يجعلوه كالاسمار الّتى لاحقيقة لها

اوبغيره لعدم الاعتداد به [لَاهِيَةً] مشغولة [قُلُوبُهُمْ] بغيره، اولاهية من اللّهو، والفرق بينه وبين اللّعب انّ اللّعب هو الفعل الّذى لايكون له غاية عقلانيّة ويكون له غاية خياليّة ، واللّهو ما لا يكون له غاية عقلانيّة ولاخياليّة وان لم يكن خالياً عن الغاية فى نفس الامر غير مستشعر بها [وَاَسَرُّوا النَّجْوَى] عطف على اقترب والنّجوى السّرّ وجمع النّجى بمعنى المسارّين وتعليق الاسرار بها للمبالغة فى الاخفاء اولانّهم اخفوا مناجاتهم كما اخفوا ما تناجوا به ، وانّما اخفوا التّكلّم فى رسالته لانّهم كانوا فى شكّ من امره والشّاكّ لايمكنه التّسليم حتّى لايتكلّم ولا يمكنه الاجهار بالرّدّ والقبول لعدم اقباله على شيء منهما، اولانّهم خافوا اطّلاع المؤمنين وافتضاحهم به [الَّذِينَ ظَلَمُوا] بدل من الضّمير اوفاعل والواو علامة الجمع ، اومنصوب على الذّمّ، اوالاختصاص، ووجه الاتيان به التّصريح بوصف ذمّ لهم والتّسجيل عليهم بالظّلم [هَلْ هٰذَا اِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ] فلايكون رسولاً فما يصدر منه ممّا هو خارج عن المجرى الطّبيعىّ ليس الّا سحراً [اَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ] اى تقبلونه وتقبلون عليه [وَاَنْتُمْ تُبْصِرُونَ] انّه بشر لا يجوز رسالته وانّ ما يأتى به سحر او انتم البُصراء الحكماء لا ينبغى ان تغترّوا بدعوى يكون برهان بطلانها معها [قَالَ] لهم اسرّوا القول اواجهروا به فانّه لايخفى على الله لانّ [رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْاَرْضِ] ظرف المقول اوليعلم اوحال من القول اومن فاعل يعلم [وَهُوَ السَّمِيعُ] لكلّ مسموع لاسميع سواه [الْعَلِيمُ] بكلّ معلوم لاعليم سواه فيسمع اقوالهم سواء اسرّوا بها اواجهروا ، ويعلم احوالهم وضمائرهم اخفوها ام لم يخفوها، [بَلْ قَالُوا] عطف على اسرّوا (الى آخرها) فانّه فى معنى قالوا ان هذا الّا بشر مثلكم ، وكلامه الّذى اتى به سحر، واضراب عنه الى قولهم الّذى هو ابعد من القرآن [اَضْغَاثُ اَحْلَامٍ] اى القرآن صور الخيالات الّتى رآها المخبّط الّذى لاعقل له كالخيالات الّتى يراها النّائم من غير حقيقة لها [بَلِ افْتَرَيٰهُ] اختلقه من عند نفسه ونسبه الى الله تعالى وهذا عطف على قالوا اضغاث احلام بتقدير قالوا واضراب فى الحكاية عن القول الا بعد الى الابعد منه ، اوعطف على اضغاث احلام واضراب فى المحكىّ وكان من قولهم فحكى الله ذلك لنا وعلى اىّ تقدير فهو انتقال من الابعد الى الابعد من القرآن فانّ خيالات المخبّط لاتكون مطابقة للواقع ولكن لم تكن قرينة لقصدٍ من القائل بخلاف الاختلاق [بَلْ هُوَ شَاعِرٌ] اى مموّه يظهر مالاحقيقة له بصورة الحقّ بتمويهه وهذا ابعد فانّ الشّعر يزيد على الاختلاق بكونه قريناً لتصرّف فى اظهاره وهذا ايضاً عطف على قالوا بتقدير قالوا اوعلى المحكىّ [فَلْيَأْتِنَا بِاٰيَةٍ] ان كان صادقاً [كَمَا اُرْسِلَ الْاَوَّلُونَ] بالآيات الظّاهرة مثل العصا واليد البيضاء والنّاقة واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص [مَا اٰمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ اَهْلَكْنَاهَا] يعنى باقتراحهم للآيات بقرينة ذكره بعد اقتراحهم الآيات [اَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ] ان اتاهم محمّد(ص) بما اقترحوا [وَمَا اَرْسَلْنَا قَبْلَكَ اِلَّا رِجَالًا] ردّ لانكارهم كون البشر رسولاً كما انّ الفقرة الاولى كانت ردّاً لاقتراحهم [نُوحِي اِلَيْهِمْ] كما نوحى اليك، قرئ يوحى بالياء وبالنّون [فَاسْئَلُوا اَهْلَ الذِّكْرِ اِنْ كُنْتُمْ لَاتَعْلَمُونَ] قد مضى فى سورة النّحل تفصيل وتفسير لهذه الآية [وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَايَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ] بل كانوا كلّهم معرضاً للموت غير خالدين فى الدّنيا، ردّ لقولهم مالهذا الرّسول يأكل الطّعام ويمشى فى الاسواق ؟! ولاستغرابهم طروّ المرض والموت على الرّسول المشعر به قولهم هل هذا الّا بشر مثلكم [ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ] اى وعدنا لهم بالنّصر فى قولنا انّا لننصر رسلنا وبالمنّ والامامة وايراث

ما فى الارض فى قولنا : ونريد ان نمنّ على الّذين استضعفوا (الآية) وبالاستخلاف فى الارض والتّمكين فى الدّين وتبديل خوفهم امناً فى قولنا وعدالله الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات (الآية) وبالانجاء من اعدائهم والظّفر عليهم وغير ذلك [فَأَنْجَيْنٰاهُمْ وَمَنْ نَشٰاءُ وَاَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ] الاسراف ضدّ القصد والقصد استعمال الاموال والاعضاء والقوى والمدارك فيما ينبغى بقدر ما ينبغى لاناقصاً منه ولازائداً عليه، فالاسراف بهذا المعنى اعمّ من التّقتير والتّبذير، وقد يستعمل الاسراف فى مقابل التّقتير والتّبذير فانّ التّبذير صرفها فيما لاينبغى صرفها فيه، والتّقتير التّقصير فى صرفها فيما ينبغى اوعلى قدرما ينبغى، والاسراف صرفها فيما ينبغى زائداً على قدر ماينبغى؛ والمعنى الاوّل هو المراد ههنا لانّ المراد بالاسراف ههنا عدم الانقياد للانبياء (ع) والتّقتير فى صرف المدارك والقوى فى جهة الانقياد لهم و فيه ترغيب للانقياد للنّبىّ و تهديد عن المخالفة له (ص) [لَقَدْ اَنْزَلْنٰا اِلَيْكُمْ كِتٰابًا] بعد ما اتمّ التّرغيب والتّخويف خاطب قريشاً اوالعرب [فِيهِ ذِكْرُكُمْ] اى صيتكم وشرفكم اوسبب ذكركم بين الخلق اوسبب تذكّركم للآخرة [أ] تعرضون [فَلٰا تَعْقِلُونَ] انّ فيه ذكركم اولاتصيرون عقلاء فتصيرون ظالمين [وَكَمْ قَصَمْنٰا] الجملة حاليّة وكم خبرية اواستفهاميّة والقصم الكسر وهو كناية عن الاهلاك سواء اريد من قوله تعالى [مِنْ قَرْيَةٍ] اهل القرية باستعمالها مجازاً فى اهلها، اوبتقدير من اهل قرية، اواريد نفس القرية ويكون كسرها كناية عن هلاك اهلها [كٰانَتْ ظٰالِمَةً] صفة قرية اوجواب للسّؤال عن حال القرية ، اوعن علّة القصم وعلى اىّ تقدير فهو يفيد التّعليل [وَاَنْشَأْنٰا بَعْدَهٰا قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمّٰا اَحَسُّوا بَأْسَنٰا] عطف على كم قصمنا من قبيل عطف التّفصيل على الاجمال [اِذٰا هُمْ مِنْهٰا يَرْكُضُونَ] اى يهربون [لٰا تَرْكُضُوا] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول كأنّه قيل: فماينبغى ان يقال لهم؟- قال تعالى يقال توبيخاً وتهكّماً : لاتهربوا [وَارْجِعُوا اِلٰى مٰا اُتْرِفْتُمْ فِيهِ] اترفته النّعمة اطغته ، واترف فلان على البناء للفاعل اصرّ على البغى ، و اُترف فلان على البناء للمفعول تُرك ونفسه يصنع ما يشاء ، اوتنعّم لايمنع من تنعمّه، اوتجبّر [وَمَسٰاكِنِكُمْ] وقيل: انّ الملائكة بعد نزول العذاب بهم من القتل وغيره قالوا ذلك استهزاءً [لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ] اى يسألكم السّائلون من دنياكم كما كانوا يسألونكم قبل ذلك، اولعلّكم تسألون عن نعمكم كيف فعلتم بها ، او تسألون عن نعمكم مالها لا تدفع العذاب عنكم ؟ او لعلّكم يسألكم الانبياء (ع) الايمان بهم كما كانوا قبل ذلك يسألونكم ، وعلى اىّ تقديرٍ فهو للاستهزاء بهم [قٰالُوا يٰا وَيْلَنٰا] بعد احساس العذاب قالوا ذلك، والويل الفضيحة اوهو كلمة تفجّع ،اوالوقوع فى الهلكة وحلول الشّرّ وهو منادى بجعله كذوى العقول ، اوالمنادى محذوف والتّقدير يا قوم انظروا ويلنا [اِنّٰا كُنّٰا ظٰالِمِينَ] استيناف فى مقام التّعليل يعنى اعترفوا بعد معاينة العذاب بظلمهم لانفسهم اولانبيائهم اوللخلق بمنعهم عن الانقياد للانبياء (ع) اوبغير ذلك ولا ينفعهم ذلك بعد معاينة العذاب [فَمٰا زٰالَتْ تِلْكَ] الدّعوى الّتى هى نداء الويل [دَعْوٰيهُمْ حَتّٰى جَعَلْنٰاهُمْ حَصِيدًا] كالنّبت الحصيد ولذلك لم يجمع اوشبّههم بالزّرع الواحد المشتمل على ساقاتٍ عديدةٍ فوحّد الحصيد [خٰامِدِينَ] وصف لحصيداً اومفعول بعدمفعولٍ لكون مفعول جعل خبراً فى الاصل كناية عن الاستيصال ،قيل : كانت الآية فى اهل قريةٍ من اليمن ارسل الله اليهم نبيّاً فقتلوه فسلّط الله عليهم بختنصّر فهزموا من ديارهم فردّهم الملائكة فقتل صغارهم وكبارهم حتّى لم يبق لهم اسم ورسم ، وذكر فى اخبارٍ: انّ هذه الآية نزلت فى ظهور القائم (ع) فانّه اذا خرج الى بنى اميّة بالشّام و هربوا الى

الرّوم فيقول لهم الرّوم : لاند خلكم حتّى تتنصّروا فيعلّقون فى اعناقهم الصّلبان فيدخلونهم فاذا حضر بحضرتهم اصحاب القائم (ع) طلبوا الامان والصّلح فيقول اصحاب القائم (ع) : لانفعل حتّى تدفعوا الينا من قبلكم منّا، فيدفعونهم اليهم فذلك قوله تعالى: وارجعوا الى ما اترفتم ومسا كنكم لعلّكم تسألون يسألونهم عن الكنوز وهو اعلم بها فيقولون: يا ويلنا انّا كنّا ظالمين فما زالت تلك دعويهم حتّى جعلناهم حصيداً خامدين [وَمٰا خَلَقْنَا السَّمٰاءَ وَالْأَرْضَ وَمٰا بَيْنَهُمٰا لاٰعِبِينَ] غير ناظرين الى غاية عقلانيّة وحكم ودقائق متقنة فانّ اللّعب هو الفعل الّذى يكون له غاية لكن غايته لم تكن الّا خياليّة كلعب الاطفال كما انّ اللّهو هو الفعل الّذى لم يكن له غاية خياليّة ظاهرة والمقصود انّ السّماء والارض ومابينهما من كثرة الحكم والدّقائق فى خلقها وكثرة المصالح المترتّبة عليها لايمكن احصاء غاياتها المتقنة المحكمة فليس خلقتها لعباً بل كانت لتكميل النّفوس واتمام فعليّاتها حتّى تستحقّ الجزاء من الثّواب والعقاب [لَوْ اَرَدْنٰا اَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنٰاهُ مِنْ لَدُنّٰا] شرطيّة فرضيّة يعنى لواردنا اتّخاذ اللّهو لاتّخذناه بطريقٍ احسن من هذا بحيث لا يطّلع عليه غيرنا ولم نتّخذ السّماء والارض المشهودتين لكلّ احدٍ لهواً، وفسّر اللّهو بالزّوج ردّاً على من جعل بينه وبين الجنّة نسباً وصهراً ، وبالولد ردّاً على من اثبت له الولد ، ويؤيّد هذا التّفسير ما يأتى كما يأتى [اِنْ كُنّٰا فٰاعِلِينَ] تأكيد للشّرطيّة الاولى والجزاء محذوف ، وقيل : ان نافية [بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبٰاطِلِ] يظنّ انّ الانسب بتوافق المتعاطفين ان يقول بل قذفنا بالحقّ على الباطل لكن نقول انّ المراد بالحقّ هو الحقّ المخلوق به الّذى هو المشيّة المسمّاة بالولاية المطلقة ، والسّماء اعمّ من سماء عالم الطّبع ، وسماء عالم الارواح ، ونفس عالم الارواح فى العالم الكبير والصّغير ، وهكذا الارض وما بينهما اعمّ ممّا فى الكبير والصّغير ، وكما انّ المشيّة الّتى هى اضافة الله الاشراقيّة حقّ لاشوب باطل فيها كذلك جميع التّعيّنات والمهيّات باطلة لا شوب حقّ فيها وانّ الله تعالى بمضمون قوله تعالى: بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء على سبيل الاستمرار يطرد باضافته الاشراقيّة بطلان التّعيّنات والمهيّات وبطلان القوى والنّقائص والاستعدادات ويفنيه وكما انّه تعالى يطرد بخلقه سماوات الارواح واراضى الاشباح بطلان المهيّات بقذف الحقّ عليها ابتداءً كذلك يطرد ذالك عنها استمراراً فانّها من انفسها فى فناء لابقاء لوجودها آنين ، ومن موجدها فى بقاءٍ بسبب تجدّد اضافات الوجود عليها ، وكما يطرد بخلقتها البطلان ابتداءً واستمراراً عن المهيّات يطرد بخلقتها البطلان والنّقائص عن القوى والاستعدادات الّتى تكون فى عالم الاكوان ، و للاشارة الى انّه تعالى يطرد البطلان عن المهيّات والاستعدادات استمراراً اتى بالمتعاطفين متخالفين ، و لفظ القذف اشعار بانّه تعالى لقوّة قدرته لا مانع يمانعه عن ايصال الحقّ [فَيَدْمَغُهُ] دمغه كمنع و نصر شجّه حتّى بلغت الشّجّة الدّماغ فهلك [فَاِذٰا هُوَ زٰاهِقٌ] مضمحلّ [وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمّٰا تَصِفُونَ] الله به اومن وصفكم الله باللّعب فى فعاله من دون ترتّب غاياتٍ محكمة عليها، وبالصّاحبة والولد [وَلَهُ مَنْ فِي السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ] يعنى انّه تعالى خالقهم ومالكهم وغايتهم فكيف يكونون شركاءه اوصاحباته اوولده وهوحال فى موضع التّعليل ومؤيّد كون المراد بنفى اللّهو نفى الولد والصّاحبة [وَمَنْ عِنْدَهُ] يعنى الملائكة المقرّبين الّذين لهم مقام العنديّة بالنّسبة اليه تعالى ، وهو عطف على من فى السّماوات عطف المفرد اومبتدءٌ خبره قوله [لاٰيَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ] وعلى الاوّل يكون لا يستكبرون حالاً عن من فى السّماوات ومعطوفه، اوحالاً عن من عنده فقط والمراد بمن عنده هم المقرّبون المجرّدون عن السّماوات والارض الطّبيعتين، وتأدية ما فى السّماوات والارض عن الّتى هى لذوى العقول من باب التّغليب ، اولانّه يستفاد كون غيرهم له بطريقٍ

اولى والمعنى لايستكبرون عن عبادته فكيف يكونون معبودين كما قال بعض اوبنات له تعالى اوبنين [وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ] حسر كضرب وفرح اعيا كاستحسر، وكنصر وضرب كشف وانكشف [يُسَبِّحُونَ] ينزّهون الله عن النّقائص بلسان حالهم وقالهم وبفطرة وجودهم ولعدم جامعيّة الملائكة اقتصر على التّسبيح ولم يذكر الحمد لهم [اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ] اى فى اللّيل و النّهار يعنى دائماً فانّ غذاءهم التّسبيح ، و عالم الملائكة المقرّبين مشتمل على ليل و نهار لائقين به وان كان مجرّداً عن اللّيل والنّهار المحسوسين فانّ الملائكة المقرّبين بجهاتهم الوجوبيّة وجهاتهم الامكانيّة وبوجوداتهم وتعيّناتهم نهار وليل، ويسبّحون الله بجميع جهاتهم وجميع مراتبهم [لَا يَفْتُرُونَ] لا يضعفون عن التّسبيح فانّ التّسبيح كما قيل جعل لهم كالانفاس لنا [أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ] يعنى هذه حال من فى السّماء من انّهم لايدّعون الآلهة لانفسهم ولا ينبغى لهم لانّهم عباد اذلّاء تحت قدرة الله بل هؤلاء المشركون اتّخذوا آلهة من الارض يصحّ لهم الآلهة ويدّعون الالهة [هُمْ يُنْشِرُونَ] يعنى يفعلون فعل الآلهة، والاتيان بالضّمير المتقدّم للاشارة الى الحصر الاضافىّ بالنّسبة الى من فى السّماء، والنّشر بمعنى الحيوة والاحياء ، والانشار الاحياء وقرئ ينشرون بفتح الياء وضمّها [لَوْ كَانَ فِيهِمَا] اى فى السّماء كما يقول من يقول بآلهة الملائكة والكواكب، والارض كما يقول من يقول بآلهة الاصنام والعجل وبعض الاناسىّ وابليس، وكما يقول الثّنويّة [آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ] ليست الّا استثنائيّة لعدم صحّة الاستثناء لفظاً ومعنىً لعدم شمول الالهة لكونه جمعاً منكّراً فى الايجاب، وللزوم جواز صحّة تعدّد الالهة مع الله بحسب مفهوم مخالفة الاستثناء [لَفَسَدَتَا] لكون الآلهة حينئذٍ تامّى القدرة والّا لم يكونوا الهة واقتضاء تماميّة القدرة صحّة تدافع كلٍّ وتمانعه عن مراد الآخر، فان قيل انّ مرادهما يكون قريناً للحكمة فيكون مراد كلٍّ مراداً للآخر فلايكون تدافع، **يقال** : الاستدلال بصحّة التّدافع لابوقوعه ، وصحّة التّدافع مستلزمة لصحّة الفساد فيهما ، وهذا هو استدلال المتكلّمين وبيانهم للآية وهو كما ترى .

والتّحقيق فى بيان الآية ان يقال: انّها اشارة الى برهان تامّ يسمّى برهان الصّدّيقين وطريقهم و هو برهان الفرجة الّذى اشار اليه الصّادق(ع) من لزوم الفرجة واستلزام فرض آلهين آلهة ثلاثة واستلزام الثّلاثة خمسة وهكذا فانّه لو فرض الهين فامّا ان يكونا قديمين قويّين اوحادثين ضعيفين، اويكون احدهما قديماً قويّاً والآخر حادثاً ضعيفاً، والاخيران خلاف الفرض ومثبتان للتّوحيد ، وان كانا قديمين واجبين والوجوب من صفات الوجود، والوجود كما سبق فى اوّل الكتاب متأصّل فى التّحقّق، وتحقّق كلّ متحقّق يكون بتحقّقه، وسبق انّ الوجود حقيقة واحدة لاتكثّر فيه بوجهٍ من وجوه التّكثّر، وانّ تكثّره لايكون الّا بضمائم، فاذا كان القديمان واجبين بالذّات كانا مشتركين فى حقيقة الوجود، وتعدّدهما وافتراقهما لايكون الّا بضميمةٍ ولااقلّ من انضمام ضميمةٍ الى واحدٍ منهما حتّى يصحّ الافتراق بالاطلاق والانضمام ولايكون الضّميمة من سنخ المهيّات والّا لزم ان يكون الكلّ ممكناً حادثاً هذا خلاف الفرض، بيان الملازمة انّ المركّب تابع لاخسّ اجزائه والمهيّة من حيث ذاتها لاتكون الّا ممكنةً ، والممكن لايكون الّا حادثاً فالكلّ الّذى صارت المهيّة جزءً له لايكون الّا ممكناً حادثاً ولا تكون من سنخ العدم وهو واضح فيكون من سنخ الوجود فيصير المفروض آلهين ثلاثةً ولمّا كانت الثّلاثة مشتركة فى حقيقة الوجود فلايكون التّعدّد الّا بضمائم واقلّها ضميمتان فيصير الثّلاثة خمسةً ، وننقل الكلام الى الخمسة فتصير تسعةً وهكذا الى ما لانهاية له وهذا البرهان بعد اتقان المقدّمات من اسدّ البراهين واتمّها لانّه يؤخذ من النّظر الى نفس حقيقة الوجود من غير اعتبار شيء آخر معها، وكما لايحصل المعرفة التّامّة بالله الّا برفع الحجب والمظاهر ونفى الاسماء والصّفات وكشف سبحات الجلال

من غير اشارة وذات للعارف كما ورد عنهم (ع) اعرفوا الله بالله يعني لا بمظاهره و اسمائه وصفاته لا يحصل العلم التّامّ بالله الّا برفع النّظر عن المعاليل والتّوجّه الى الله وتحقيق حقيقته واخذ البرهان عليه من نفس حقيقته حتّى يقال علمت الله بالله، والحاصل انّه لو كان الواجب متعدّداً لزم انقلاب الواجب ممكناً وفيه بطلان العالم وفساد السّماوات والارض لانّها ممكنة والممكن مالم يستند الى واجب لم يوجد، او صيرورة المتعدّد واحداً وهو المطلوب، او عدم انتهاء عدد الواجب الى حدّ وهو خلاف المدّعى [فَسُبْحَانَ اللهِ] يعني اذا كان التّعدّد مورثاً لابطال السّماوات والارض فتنزّه الله تنزّهاً [رَبِّ الْعَرْشِ] الّذى هو جملة المخلوقات [عَمَّا يَصِفُونَ] اى عن الّذى يصفونه به من الشّريك او عن وصفهم له بالشّريك [لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ] حال اوجواب لسؤال مقدّر او معترضة والمقصود انّه لا يحكم عليه بالسّؤال عنه فى افعاله ليكون دليلاً على آلهته [وَهُمْ يُسْئَلُونَ] يعنى يحكمون عليهم ليكون دليلاً على عدم آلهتهم والضّمير راجع الى المعبودين او الى العابدين والمعبودين، او الى العابدين فقط للتّهديد، او المعنى لا ينبغى ان يسأل عمّا يفعل لانّه لا يفعل ما يفعل الّا لحكم و مصالح عديدة متقنة لا يمكن احصاؤها وهم ينبغى ان يسألون بجهلهم بالغايات وعدم اهتدائهم الى المصالح [اَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً] دون بمعنى تحت وفوق وبمعنى امام ووراء من الاضداد وبمعنى غير وبمعنى المكان القريب من الشّيء والمناسب ههنا ان يجعل دون بمعنى امام او عند يعنى بمعنى المكان القريب حتّى يكون تأسيساً، فانّ قوله تعالى له من فى السّماوات والارض ومن عنده ابطل تجويز كون شيءٍ فى العالم الهاً عبد ام لم يعبد، وقوله تعالى ام اتّخذوا آلهة من الارض ابطل تجويز جعل شيءٍ بالمواضعة من عند انفسهم آلهاً فان اتّخاذ الالهة من الارض سواء جعل من الارض صفة لآلهة او متعلّقاً باتّخذوا يشعر بكون الاتّخاذ بالمواضعة من عند انفسهم، لا من عند الله، وقوله تعالى ام اتّخذوا من دونه آلهة يشعر بكون الاتّخاذ بالمواضعة الآلهيّة وباذنه واجازته كما اذا قيل جعلوا اميراً لهم من ملكهم، وقيل: جعلوا اميراً لهم من عند الملك، فانّ الاوّل يدلّ على انّ الجعل كان بالمواضعة من عند انفسهم، والثّانى يدلّ على كون ذلك باذن الملك وتقديم من دونه ههنا على الآلهة لشرافته باضافته الى الله تعالى وهو حال من آلهةٍ او متعلّق باتّخذوا [قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ] لمّا كان الاتّخاذ بالمواضعة من عند انفسهم يستدعى صحّة الالهة فى نفس الامر للمأخوذ آلهاً ابطل آلهة المأخوذين آلهة اوّلاً بقوله على سبيل الانكار هم ينشرون وابطل آلهة مطلق ما يتصوّر آلهاً ثانياً بقوله لو كان فيهما (الآية) بعد ما ابطل الآلهة مطلقاً قبل ذلك بقوله: وله من فى السّماوات (الى آخرها) ولمّا كان الاتّخاذ بالمواضعة الآلهيّة لا يستدعى صحّة الآلهة فى نفس الامر بل يكفى صحّة كون المأخوذ آلهاً باذن الله مظهراً لآلهة الله بخروجه من حدود نفسه وظهور ربّه فيه قال قل هاتوا برهانكم على اذن الله فى آلهة شيءٍ ممّا اخذتموها آلهة، ولمّا كان الامر للتّعجيز والمقصود منه نفى البرهان على المدّعى قال [هٰذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ] فى مقام التّعليل لعدم البرهان يعنى هذا القرآن ذكر من معى موجود واحكامهم [وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي] ولم يكن فى احكام من معى ولا فى احكام من قبلى ما يدلّ على اذنه تعالى فى اتّخاذ ما اخذتموه الهةً [بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ] الاوّل تعالى وصفاته حتّى يعلموا اذنه وترخيصه فى آلهة شيءٍ اولا يعلمون الحقّ الثّابت فيتفوّهون بما يتخيّلون من غير علم بحقّيّته كالمجنون، والتّقييد بالاكثر لانّ الاقلّ منهم يعلمون بطلان الالهة ويقولون بالهتها لاغراضٍ نفسانيّة، وقرئ الحقّ بالرّفع خبر مبتدءٍ محذوفٍ، او مبتدء خبرٍ محذوفٍ [فَهُمْ مُعْرِضُونَ] عن الحقّ لذلك [وَمَا اَرْسَلْنَا] جملة حاليّة [مِنْ قَبْلِكَ مِنْ

رَسُولٍ اِلّا نُوحِي اِلَيْهِ اَنَّهُ لا اِلٰهَ اِلّا اَنَا فَاعْبُدُونِ] لمّا كان الوحى خاصّاً بالرّسول والعبادة عامّة له ولامّته افرد ضمير اليه وخاطب الجميع فى الامر بالعبادة ، ويجوز ان يكون قوله وما ارسلنا عطفاً باعتبار المعنى ويكون فيه معنى الاضراب والتّرقّى كأنّه تعالى قال حين قال هاتوا برهانكم هذا ذكر من معى وذكر من قبلى ليس لهم برهان على الاتّخاذ لانّ برهان هذا المطلب ليس الّا الوحى وليس فى الوحى اذن وترخيص فى اتّخاذ آله سواه بل ما ارسلنا قبلك من رسول الّا نوحى اليه بالتّوحيد وخلع الانداد لا بالاشراك واتّخاذ الانداد [وَقَالُوا] عطف باعتبار المعنى كأنّه قال: قالوا اتّخذنا آلهة، اوجعل الله لنا آلهة وقالوا [اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا] يعنى القائلين بانّ الملائكة بنات الله والقائلين بانّ عُزيراً ابن الله ، والمسيح ابن الله [سُبْحَانَهُ] تنزّه تنزّهاً عن الصّاحبة والولد [بَلْ] الملائكة والمسيح وعُزير [عِبَادٌ] لله [مُكْرَمُونَ] .

اعلم، انّ الاشياء كماسبق مكرّراً حقائقها وذواتها عبارة عن فعليّاتها الاخيرة، واسماؤها واحكامها جارية على تلك الفعليّات ، وانّ الانسان اذا بايع البيعة الخاصّة الولويّة يحصل له فعليّة هى فعليّته الاخيرة ، وتلك الفعليّة تنعقد بالولاية كانعقاد اللّبن بالانفحة ، وبذلك الانعقاد يحصل له نسبة الى صاحب الولاية والبيعة ويعبّر عن تلك النّسبة بالبنوّة والابوّة وبحكم المنطوق الصّريح من قوله تعالى: انّ الّذين يبايعونك انّما يبايعون الله ، يصدق على تلك النّسبة انّها نسبة بين العبد وبين الله ، وبهذا الاعتبار قالت اليهود : نحن ابناء الله ، وبهذا الاعتبار وباعتبار انّ النّسبة الجسمانيّة والاضافة المعبّر عنها بالابوّة والبنوّة كانت منتفية عن المسيح ، وباعتبار انّ بدنه صار محكوماً بحكم روحه قالت النّصارى: المسيح ابن الله ولم يقولوا فى غيره ذلك، وهكذا الحال فى عُزير، ولمّا كان الاتباع تفوّهوا بهذا القول من غير تحقيق وتحصيل ولم يدركوا من الولادة الّا الولادة الجسمانيّة المستلزمة لمفاسد كثيرة فى حقّه تعالى ردّ الله تعالى عليهم واثبت العبديّة لهم لا الولادة والسّنخيّة [لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ] الباء بمعنى فى اوللسّببيّة [وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ] كان الاوفق بالمعطوف عليه ان يقول ويعملون بامره لكنّه اراد الحصر فى المسند اليه وحصر عملهم فى كونه بأمره فغيّر الاسلوب [يَعْلَمُ مَا بَيْنَ اَيْدِيهِمْ] المراد بما بين ايديهم كما اسلفنا مكرّراً امّا الدّنيا او الآخرة [وَمَا خَلْفَهُمْ] يعلم بالمقايسة وهو جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: هل يعلم الله جهة دنياهم وجهة آخرتهم حتّى يجوز له الامر فيما يحتاجون اليه فى دنياهم وآخرتهم؟ـ فقال: يعلم ذلك منهم [وَلا يَشْفَعُونَ اِلّا لِمَنِ ارْتَضٰى] الله طينته فانّ الشّفاعة غير مقصورة على من آمن او المعنى الّا لمن ارتضى الله ان يشفع له (ص) فيكون فى معنى من ذا الّذى يشفع عنده الّا باذنه [وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ] لا من غير خشيته [مُشْفِقُونَ] الخشية كماسبق خوف مع ترحّم فانّها حالة ممتزجة من لذّة الوصال والاستشعار بالفراق، او الفوات والاشفاق كذلك الّا انّه قد يلاحظ الهيبة فى الخشية والاعتناء فى الاشفاق والمعنى انّهم لاجهة خوف فيهم سوى جهة الخشية من الله فعلى هذا يكون من للتّعليل، والتّقديم للحصر، او المعنى انّهم لاجل الخشية من الله مشفقون فى اهلهم ، او على خلق الله ، او المعنى انّهم على خشيته مشفقون يعنى انّهم بواسطة ادراك لذّة الوصال فى الجملة فى الخشية يحبّون الخشية ويخافون فوتها فيكون لفظ من صلة للاشفاق فانّه قد يتعدّى بعلى اذا لوحظ فيه جهة التّرحّم ، وقد يتعدّى بمن اذا لوحظ فيه معنى الخوف [وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ] من الخلق اومن العباد المكرمين [اِنّي اِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ] ظرف لغو متعلّق بيقل اى من يقل من غير اذنه انّى اله بمعنى المربّى فى الطّاعة ولذلك فسّر انّى آله بانّى امام، او ظرف مستقرّ صفة لآله ولفظة من للتّبعيض اى آله ثابت بعضاً من غيره

[فَذٰلِكَ] اسم الاشارة البعيدة لتوهينه وتبعيده عن ساحة الحضور [نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الظّالِمِينَ] لآل محمّد (ص) بغصب حقّهم او الظّالمين بمنع الحقّ عن المستحقّ واعطائه لغيره فانّه لايكون الّا عن الانانيّة الّتى هى نحوا آلهة فى مقابل الله تعالى ومغايرة له تعالى [أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا] التّقدير الم ينظر الّذين كفروا ولم يروا [أَنَّ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ كٰانَتٰا رَتْقًا فَفَتَقْنٰاهُمٰا] يعنى انّ السّماوات والارض الطّبيعيّتين كانتا منضمّتين مجتمعتين فى وجودٍ واحدٍ جمعىّ فى مقام المشيّة، ثمّ فى مقام العقول، ثمّ فى مقام النّفوس ففتقناهما فى مقام الطّبع وفصّلناهما، اوسماوات الارواح واراضى الاشباح كانتا رتقاً فى مقام المشيّة والعقول والنّفوس ففصّلناهما، اوالسّماوات والارض الواقعتين فى العالم الصّغير كانتا رتقاً فى النّطفة والجنين ففتقناهما، او السّماوات والاراضى كانتا رتقاً غير ممطرةٍ وغير منبتةٍ ففتقناهما بالمطر والنّبات، وعلى بعض التّفاسير استعمال الرّؤية امّا بجعلها بمعنى العلم، اوبادّعاء انّ الرّتق والفتق من الحسيّات اوكالحسيّات، وعدم الرّؤية من عدم الالتفات [وَجَعَلْنٰا مِنَ الْمٰاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ] عطف على فتقنا والتّقدير جعلنا من مائها كلّ شيءٍ حيٍّ بالحيوة الحيوانيّة او بالحيوة النّباتيّة والحيوانيّة وخلق الحيوان من الماء الّذى هو النّطفة الّتى هى مادّة له وخلق النّبات من الماء الّذى هو سبب لخلقه وانباته، او التّقدير جعلنا بعد الفتق من الماء كلّ شيءٍ حيٍّ [أَ] يعرضون عن تلك الآيات الّتى هى آيات علمه وحكمته وقدرته وتصرّفه تعالى فى الجليل والحقير [فَلاٰ يُؤْمِنُونَ] ولا يذعنون به [وَجَعَلْنٰا فِي الْأَرْضِ رَوٰاسِيَ] بعد فتقهما [أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ] قد سبق الآية بتنزيلها وتأويلها [وَجَعَلْنٰا فِيهٰا فِجٰاجًا] جمع الفجّ الطّريق الواسع بين الجبلين، اومطلقاً كالفجاج بالضّمّ ويستفاد من تنزيل الآية السّابقة وتأويلها بيان هذه [سُبُلًا] بدلٌ من فجاجاً [لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ] الى معايشهم ومصالحهم ومنافعهم ودفع مضارّهم والى بلادهم الصّوريّة ومواطنهم الحقيقيّة [وَجَعَلْنَا السَّمٰاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا] من الاندراس والفناء الى الوقت المعلوم، اومن الوقوع على الارض، اومن استراق السّمع [وَهُمْ عَنْ آيٰاتِهٰا مُعْرِضُونَ] فانّ الآيات الدّالّة على وجود الصّانع وعلمه وحكمته واعتنائه بخلقه وقدرته كثيرة وهم مثل اهل زماننا كانوا لايعتبرون بها بل كانوا عنها معرضين [وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهٰارَ] الّذين هما من آياتها وبهما يناط اكثر الآثار السّفليّة، والجملة عطف على قوله: هم عن آياتها معرضون، اوحال عن الفاعل المستتر فى معرضون اوعن آياتها، كما انّ قوله وهم عن آياتها معرضون حال عمّا سبق والمعنى جعلنا السّماء سقفاً محفوظاً كثير الآيات والحال انّهم معرضون عن آياتها غير ناظرين اليها والحال انّا خلقنا اللّيل والنّهار اللّذين هما مشهودان لهم وهما من آيات السّماء ويترتّب عليهما حكم ومصالح كثيرة ولاينبغى الغفلة والاعراض عنهما [وَ] خلقنا [الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ] اللّذين هما من اعظم آياتها ولايتكوّن متكوّن الّا بتأثيرهما، وكلّ من نظر اليهما بالتّأمّل الّذى هو من شأن الانسان يدرك انّهما اعظم قدراً واكثر اثراً واشدّ ظهوراً من ان يغفل عنهما اولايدرك منهما دلالتهما على مبدءٍ عليمٍ حكيمٍ قدير [كُلٌّ] من الشّمس والقمر [فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ] كان الظّاهر ان يقول: كلّ فى فلكٍ يسبح ان قدّر كلّ منهما اويسبحان اويسبح ان قدّر كلّهما بمعنى كليهما لكنّه تعالى للاشعار بكثرة افراد كلّ من الشّمس والقمر طولاً كما ورد: انّ وراء عين شمسكم هذه تسعاً وثلاثين عين شمس، ووراء قمركم هذا تسعة وثلاثين قمراً، وبكثرة افرادهما عرضاً كما شاع فى زماننا من حكماء الافرنج انّ الكواكب بعضها شموس منيرة بذاتها، وبعضها اقمار مستنيرة من غيرها، اتى بالعبارة هكذا ليكون المعنى كلّ جماعة من افراد الشّمس وافراد القمر فى نوعٍ من الفلك روحانىّ اوجسمانىّ يسبحون فانّ

الافلاك كالكواكب كما تكون طبيعيّة تكون روحانيّة كما قيل:

آسمانهاست در ولايت جان — كار فرماى آسمان جهان

والاتيان بضمير ذوى العقول للاشارة الى انّها ذووشعور وعلم كما قيل:

خر مگس خنفساحمار قبان — همه با جان و مهرومه بى جان

واستعمال السّباحة لتشبيه الفلك بالبحر والنّهر وتشبيه الكواكب بالسّابح [وَمٰا جَعَلْنٰا] التفات من الغيبة الى التّكلّم كما كان ما قبله التفاتاً من التّكلّم الى الغيبة وهو عطف اوحال عن سابقه وانكار لما قالوا من انّا نتربّص به ريب المنون كأنّه قال: وخلفنا اللّيل والنّهار المفنيين بتعاقبهما كما هو مشهود لك وللجميع جميع النّفوس والمواليد وما جعلنا [لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ] خارجاً من سنّة افناء اللّيل والنّهار حتّى تترقّب اويترقّبوا لك الخلود [أَ] ينتظرون موتك دون موتهم [فَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخٰالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذٰائِقَةُ الْمَوْتِ] تعليل لانكار الخلود [وَنَبْلُوكُمْ] عطف على كلّ نفس ذائقة الموت، اوعلى ما جعلنا و الاختلاف بالاسميّة و الفعليّة او بالمضىّ والاستقبال للاشعار بانّ الاختبار مستمرّ من الماضى الى الاستقبال [بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ].

اعلم، انّ الانسان ذومراتب ولكلّ مرتبة منها شرّ وخير خاصّان بها فانّ المرتبة الحيوانيّة خيراتها ملائمات شهواته وغضباته، والمرتبة البشريّة خيراتها ملائمات هذه لكن مع عدم الخروج عن انقياد العقل، والمرتبة القلبيّة ملائماتها العلوم والاوصاف الجميلة، وشرور كلّ منافراته؛ وهكذا، وقد يكون خير مرتبة شرّاً لمرتبة اخرى، وقد يكون خيراً وقد لايكون شرّاً ولاخيراً، ومعنى الابتلاء الاختبار والخلاص ممّا لاينبغى ان يكون مع الانسان، والاختبار بشرّ المراتب واضح والاختبار بخيرها بان ينظر هل يشكر ويتوجّه فى الخير الى مفيض الخير اويطغى ويلهو عنه، فانّ فى الشّكر خلاصاً للطّيفة الانسانيّة من الشّوائب وللنّفس من الرّذائل، وفى الطّغيان خلاصاً للّطيفة السّجّينيّة من شوائب العلّيّين وللنّفس من شوب الخصائل [فِتْنَةً] مصدر من غير لفظ الفعل [وَإِلَيْنٰا تُرْجَعُونَ] وعد ووعيد وهو عطف على كلّ نفس ذائقة الموت، ومفيد للتّعليل لانكار الخلود مثل سابقه، روى انّ امير المؤمنين (ع) مرض فعاده اخوانه فقالوا: كيف نجدك يا امير المؤمنين (ع)؟ - قال: بشرّ، قالوا: ما هذا كلام مثلك! قال (ع): انّ الله تعالى يقول ونبلوكم بالشّرّ والخير فتنة؛ فالخير الصّحّة والغنى، والشّرّ المرض والفقر [وَإِذٰا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالله اوبك اوبعلىّ (ع) [إِنْ يَتَّخِذُونَكَ] هو جواب لاذا ولم يأت بالفاء فى الجواب مع لزوم الفاء فى الجواب المنفىّ بان امّا لتقدير الفاء اولحذف الجواب بقرينة هذه الجملة والتّقدير اتّخذوك هزءً ان يتّخذونك [إِلّٰا هُزُواً] مهزوّاً به وهو مصدر بمعنى اسم المفعول [أَهٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ] حال بتقدير القول اى قائلين: اهذا الّذى كان بيننا وكان ضعيفاً فينا هو الّذى يذكر آلهتكم بسوءٍ ويعيبهم؟! والحال انّهم اولى بالاستهزاء لانّهم معرضون عن الله وعن خلفائه [وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمٰنِ هُمْ كٰافِرُونَ] تكرار المسنداليه بالضّمير للتّأكيد وللحصر الادّعائى كأنّهم لاكافر سواهم، وتقديم الظّرف على عامله لشرافته بالاضافة الى الرّحمن وللحصر ايضاً يعنى انّ للاشياء جهتين؛ جهة ذكر الرّحمن وجهة ذكر الشّيطان وهوى النّفس وانت تعيب عليهم الهتهم بجهتها الشّيطانيّة لا بجهتها الرّحمانيّة فانت اولى بالتّصديق والتّبجيل وهم كافرون من الاشياء جهة ذكرها للرّحمن ناظرون الى جهة ذكرها للشّيطان، فهم اولى بالاستهزاء واحقّ بالتّوهين، اوالمراد بالذّكر القرآن اوالرّسالة اوالولاية فانّ الكلّ ذكر لله، والباء فى قوله بذكر الرّحمن سببيّة اوصلة كافرون [خُلِقَ الْإِنْسٰانُ مِنْ عَجَلٍ] جملة منقطعة عن سابقها لفظاً ومعنىً، اومرتبطة معنىً جوابٌ لسؤال

كان مذكوراً اومقدّراً كأنّه(ص) قال: اوامّته قالوا مستبطئين لمؤاخذتهم الى مَ تمهلهم؟- فقال: خلق الانسان من عجل وهذه عبارة دائرة فى العرب والعجم اذا أرادوا المبالغة فى امر يقولون: انّه خلق من هذا الامر كأنّه جعل ذلك الامر مادّة خلقته، وفى الخبر انّ آدم(ع) لمّا نفخ فيه الرّوح اراد ان يقوم قبل اتمام النّفخ فقال تعالى: خلق الانسان من عجلٍ [سَأُرِيكُمْ آيَاتِي] فى مؤاخذة المستهزئين [فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ] فى حلول العذاب بهم، وهذه الآية بهذا التّفسير تدلّ على انّ قوله خلق الانسان من عجلٍ مرتبط معنىً بسابقها [وَيَقُولُونَ] عطف على قوله اهذا الّذى يذكر آلهتكم فانّه فى التّقدير يقولون: اهذا الّذى يذكر آلهتكم كما اشرنا اليه ويقولون استهزاءً بنحوٍ آخر [مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ] الّذى تعدون من وعد القيامة اووعد العذاب [إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] فى وعدكم [لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا] اتى بالاسم الظّاهر تصريحاً بكفرهم و اشعاراً بعلّة الحكم [حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ] حين مفعول يعلم ولو للشّرط والجزاء محذوفٌ والمعنى لو يعلمون وقت احاطة النّار بهم فى الجحيم اوفى البرزخ وعدم قدرتهم على دفعها لعلموا ايٌّ منهم ومنكم احقّ بالاستهزاء اولما استهزؤا اولما استعجلوا الوعد، اولو للتّمنّى وحين ظرف والمعنى لو يكون لهم علمٌ فى وقت احاطة النّار بهم يعلمون ما حلّ بهم من العذاب اولو للتّمنّى وحين على الوجهين [وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ] يعنى لا يقدرون على دفع العذاب بأنفسهم ولا يعينهم معين آخر [بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً] اضراب عن عدم علمهم المستفاد من لو يعلمون اواضراب عن عدم كفّهم والضّمير للنّار اوللعدة اوللقيامة المعهودة بينهم [فَتَبْهَتُهُمْ] اى تحيّرهم بحيث لا يبقى لهم شعور وتدبير لدفعها [فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا] عن انفسهم [وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ] لتدبير دفعها اولتوبة ومعذرة، اولجبران مافات منهم بالأعمال الصّالحة [وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ] تسلية له(ص) عن استهزاء قومه [فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ] اى القول والعمل الّذى كانوا به يستهزؤن، اوالعذاب الّذى كانوا به يستهزؤن [قُلْ] ردّاً عليهم فى اتّخاذ الآلهة [مَنْ يَكْلَؤُكُمْ] اى يحفظكم [بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ] اى من عقوبته اومن قبله ان ارادبكم سوءً والمقصود حملهم على الاقرار بعجز الآلهة، وهذه الآية مثل سوابقها تعريض بمن اتّخذ من دون علىّ(ع) اولياء [بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ] تذكّر ربّهم المطلق اوربّهم المضاف اوعمّا يذكّرهم به ربّهم من الآيات الآفاقيّة والانفسيّة والآيات العظمى الّتى أعظمها علىّ(ع)، اوالمراد بذكر ربّهم القرآن اومحمّد(ص) اوعلىّ(ع) ابتداء [مُعْرِضُونَ] ولهذا لا يتذكّرون انّ آلهتهم عاجزون وان ليس الحافظ من سخط الله الّا الله [أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ] عطف باعتبار المعنى كأنّه قال: الهم آلهة تكلؤهم من عقوبة الرّحمن او حالكونها من قبل الرّحمن ام لهم آلهة [تَمْنَعُهُمْ] من عذابنا اومن حوادث الزّمان حالكونها [مِنْ دُونِنَا] من غيرنا اوحالكونها من عندنا [لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ] استيناف جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: فماشأن آلهتهم؟- فقال: لا يستطيعون نصر انفسهم فكيف بغيرهم [وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ] اى يحفظون من: اصحب فلاناً واصطحبه اى حفظه ومنعه، والمعنى انّ آلهتهم لا يستطيعون نصر انفسهم وليسوا بأنفسهم محفوظين من قبلنا، اوليسوا محفوظين من عذابنا لا بأنفسهم ولا بغيرهم [بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ] يعنى ليس لهم آلهة بل متّعنا هؤلآء [وَآبَاءَهُمْ] بالاموال و الاولاد و الاعمار و الصّحّة و الامن [حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ] فاغترّوا بتمتيعنا واتّبعوا اهواءهم [أَ] اغترّوا بتمتيعنا و غفلوا عن الرّجوع الينا

[فَلَايَرَوْنَ اَنَّا نَأْتِي الْاَرْضَ] برسلنا [نَنْقُصُهَا مِنْ اَطْرَافِهَا] باذهاب النّفوس النّازلة من عالم الارواح اليها المثقّلة لها الّتى تزيدها عن قدرها ، ولمّا كان النّفوس السّفليّة الشّيطانيّة كأنّها لاتنقل من الارض بالموت فسّر نقصان الارض بموت العلماء فى اخبارنا ، وقيل: انّ المعنى ننقصها من اطرافها بظهور المسلمين على الكافرين بنقصان ديار المقاتلين واراضيهم و ازدياد ديار المسلمين و اراضيهم لكن هذا لايناسب سوق العبارة فى المقام [اَفَهُمُ الْغَالِبُونَ] على امرنا وحكمنا وقد مرّت الآية فى سورة الرّعد [قُلْ اِنَّمَا اُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ] بسبب وحى الله الىّ بالانذار لابسبب الهوى كما انّ تخويفاتكم تكون بالهوى اوانذركم بما أوحى الىّ لابما اتخيّل من نفسى مثلكم ولكن لاينفعكم انذارى لانّكم صمّ [وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ] اى النّداء [اِذَا مَا يُنْذَرُونَ] فلا ينتفعون [وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ] يعنى انّهم يستعجلون بالعذاب ولئن مسّتهم نفحة من عذاب ربّك، النّفحة الدّفعة من نفح الطّيب ونفح الرّيح بمعنى هبّت ، ونفح العرق نزا والنّفحة من العذاب القطعة منه [لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا] كالعاجز عن الدّفع والاستنصار من غير توسّل بالا لهة [اِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ] يعنى اعترفوا بظلمهم فى اتّخاذ الآلهة من دون الله اوالاولياء من دون ولىّ الامر [وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ] الميزان مايوزن ويقاس به مقدار الشّيء وحاله سواء كان ذلك ذا الكفّتين اوالقبّان اوالزّرع اومقياس البنّاء والمسّاح، اواحكام الشّرائع والملل، اوآداب الطّريق والسّلوك ، اوكتب الله السّماويّة، اووجود خلفاء الله تعالى بأعمالهم وأقوالهم وأحوالهم وأخلاقهم ومراتب وجودهم ، ولمّا كان الموازين فى الآخرة كثيرة بحسب النّشآت ومراتب الاشخاص جمع الموازين بالجمع الدّالّ على الكثرة وقد سبق فى اوّل سورة الاعراف تحقيق وتفصيل للوزن والميزان ، والقسط بمعنى العدل ومن المصادر الّتى يوصف بها ، يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنّث والمذكّر [لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ] اى فى يوم القيامة ، اوللنّاس فى يوم القيامة ، اولحساب يوم القيامة [فَلَا تُظْلَمُ] بنقص ثواب اوزيادة عقاب، اوبثواب فى موقع العقاب ، اوبعكس ذلك [نَفْسٌ شَيْئًا] هو مفعول ثانٍ لتظلم اوقائم مقام المصدر [وَاِنْ كَانَ] العمل [مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ] اى مقدار حبّة من خردل ، وقرئ مثقال حبّة بالرّفع على جعل كان تامّة [اَتَيْنَا بِهَا] وقرئ بالمدّ من باب الافعال اوالمفاعلة [وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ] الجملة معطوفة على قوله لئن مسّتهم ، اوعلى قوله ونضع الموازين ، والاوّل اولى لتوافق المتعاطفين فى الانشاء ، فانّ لام لقد آتينا موطّئة للقسم، والثّانى اوفق بحسب تناسب المعنى فانّ وضع الموازين ليوم القيامة يناسب اتيان الفرقان لموسى لانّه ايضاً ميزان فكأنّه قال : نضع الموازين القسط ليوم القيامة وآتينا موسى فى الدّنيا الميزان القسط الّذى هو التّوراة الفارقة بين الحقّ والباطل [وَضِيَاءً وَذِكْرًا] من قبيل عطف اوصافٍ عديدةٍ لشيءٍ واحدٍ على ان يكون الفرقان والضّياء والذّكر اوصافاً للتّوراة ، اومن قبيل عطف المتباينات ان اريد بالفرقان التّوراة اوفلق البحر، اوسائر المعجزات وبالضّياء والذّكر غيرها [لِلْمُتَّقِينَ] متعلّق بآتينا، وكون الفرقان للمتّقين لكونهم منظورين من اتيانه ومنتفعين به ، اوصفة لضياء وذكراً ، اولذكراً فقط [اَلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ] صفة بيانيّة للمتّقين ، وبالغيب حال من ربّهم اومن فاعل يخشون ، والباء للظّرفيّة، اوللمصاحبة، اوالباء للسببيّة ، والظّرف لغو متعلّق بيخشون اى يخشون بسبب غيب اعمالهم من حيث الصّحّة والبطلان اوبسبب غيب جزاء اعمالهم ، اوبسبب غيب موارد وعده ووعيده عنهم [وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ] قد مضى قبيل هذا بيان الخشية والاشفاق [وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ] كثير البركة

والخيرات وهو ميزان اهل هذا الزّمان فى الدّنيا [اَنْزَلْناهُ] قد مضى انّ الاتيان بالايتاء فى وصف كتاب موسى (ع) وبالانزال والتّنزيل فى وصف كتاب محمّد (ص) تشريف للقرآن [اَفَاَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ] بعد وضوح صدقه وحجّته وبعد كونه ذا نظير فى السّابقين [وَلَقَدْ آتَيْنا اِبْراهيمَ رُشْدَهُ] ما به رشده من الحجج والبراهين او الرّشد اللّائق بحاله من الاهتداء الى كمالاته [مِنْ قَبْلُ] اى من قبل القرآن اومن قبل موسى [وَكُنّا بِهِ] اى برشده اوبابراهيم [عالِمينَ اِذْ قالَ] ظرف لآتينا اولعالمين [لِاَبيهِ وَقَوْمِهِ ما هذِهِ التَّماثيلُ] جمع التّمثال بالكسر وهو الصّورة والاغلب استعماله فيما لاروح له [الَّتى اَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ] اللّام بمعنى على اوللتّقوية فانّ العكوف يتعدّى بنفسه ويكون بمعنى الحبس ، وبعلى ويكون بمعنى الاقبال ، ويجوز ان يتضمّن معنى العبادة فيكون اللّام للتّقوية ايضاً [قالُوا] فى الجواب مثل اهل كل زمان [وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدينَ] فانّ النّاس لغلبة المدارك الحسيّة عليهم لايتجاوزون عن المحسوس ولا يتأمّلون فى المحسوس وفى صحّته وبطلانه خصوصاً فيما رأوه من اوّل التّميز من الآباء والامّهات والكبار من القوم ويتلقّونه بالقبول ويتمسّكون به من غير حجّة ولذلك اكتفوا فى الجواب بذكر تقليد الآباء من غير ابراز حجّة فانّ السّؤال وان كان بلفظ ما الدّالّ على طلب الحقيقة لكنّ المقصود كان انكار عبادتها وينبغى ان يجيبوا بما يصحّح العبادة لها .

اعلم ، انّه كما نقل كان بين اوصياء آدم وشيث وبين نوح رجال صالحون كان النّاس يأنسون بهم فلمّا ارتحلوا دخل النّاس حزن شديدٌ فصنع بعض الصّلحاء لأنس النّاس ورفع حزنهم تماثيل اولئك الصّلحاء وكانوا يزورونها ويأنسون بها ، فلمّا تمادى الزّمان وارتحل الآباء وبقى التّماثيل للاولاد واولاد الاولاد جاء الشّيطان اليهم وقال : كان آباؤكم يعبدون هذه التّماثيل واغترّوا بها وبعبادتها ، **وقيل:** كان تلك التّماثيل تماثيل الكواكب كانوا يزورونها ويتوسّلون بها فى حوائجهم كما انّ شريعة العجم المنسوبة الى مهاباد كانت على ذلك ، [قالَ] ابراهيم (ع) ردّاً لهم فى عبادتهم وفى تقليدهم [لَقَدْ كُنْتُمْ اَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ فى ضَلالٍ مُبينٍ قالُوا اَجِئْتَنا بِالْحَقِّ اَمْ اَنْتَ مِنَ اللّاعِبينَ] يعنى تصدُق ام تمزح ؟ - [قالَ] بعد انكار ربوبيّتها لحصر الرّبوبيّة فى الله [بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمواتِ وَالْاَرْضِ الَّذى فَطَرَهُنَّ] ادّى الدّعوى بحيث يدلّ عقد الحمل على صحّتها ، وتوصيف المحمول بالّذى فطرهنّ يدلّ على صحّة عقد الحمل [وَاَنَا عَلى ذلِكُمْ مِنَ الشّاهِدينَ] يعنى ليس قولى هذا عن مزاحٍ ولعبٍ بل عن جدٍّ ومواطاة قلبٍ [وَتَاللهِ لَاَكيدَنَّ اَصْنامَكُمْ] اى لأفعلنّ بها فى خفيةٍ مالايلائمها [بَعْدَ اَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرينَ] حال مؤكّدة اومقيّدة باعتبار انّ التّولية بمعنى الاقبال والادبار ، وهكذا التّولّى ، قيل: انّما قال ذلك فى السّرّ من اصحاب نمرود ولم يسمع ذلك الّا رجلٌ منهم فأفشاه ، وقيل : كان موعد عيدٍ لهم فكرهوا خروج ابراهيم (ع) معهم ووكّلوه ببيت الاصنام ، اوانّه تمارض كما فى الآية وتخلّف عنهم فخرجوا صغيرهم وكبيرهم الى عيدٍ لهم فدخل بيت الاصنام وأخذ القدوم وكسر الاصنام [فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً] الجذاذ بتثليث الجيم اسم من الجذّ بمعنى القطع والاستيصال وقرئ ههنا بالضّمّ والكسر [اِلّا كَبيراً لَهُمْ] فى الخلقة اوفى التّعظيم وعلّق الفاس فى عنقه وخرج [لَعَلَّهُمْ اِلَيْهِ] اى الى ابراهيم او الى الكبير [يَرْجِعُونَ] فيسألون ابراهيم عن حال الاصنام وكسرهنّ وليتنبّههم على جهلهم بذلك اويسألون الكبير فيتنبّهون انّه ليس قابلاً للسّؤال فضلاً عن العبادة [قالُوا] جوابٌ

لسؤال مقدّر كأنّه قيل: فما قالوا بعد ما رجعوا الى الاصنام ووجدوها مكسّرة؟ـ فقال: قالوا [مَنْ فَعَلَ هٰذٰا بِـاٰلِهَتِنٰا] ان كان من استفهاميّة فالوقف ههنا، وان كان موصولة فقوله [إِنَّهُ لَمِنَ الظّٰالِمِينَ] خبره، وان كان شرطيّة فهو جزاؤه لكن بتقدير الفاء و المقصود انّه ظالم على نفسه بجعلها عرضةً للقتل والسّياسة، او ظالم على آلهتنا [قٰالُوا سَمِعْنٰا] يعنى قال بعضهم فى جواب هذا القائل: سمعنا قبل ذلك [فَتىً يَذْكُرُهُمْ] ويعيب فيهم [يُقٰالُ لَهُ إِبْرٰهِيمُ قٰالُوا] اى قال القوم للجماعة الّذين قالوا سمعنا فتىً يذكرهم [فَأْتُوا بِهِ عَلىٰ أَعْيُنِ النّٰاسِ] فاكشفوه بالاتيان به على اعين جميع النّاس حتّى يعرفوه [لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ] بما سمعتم منه اولعلّهم يشهدون على اقراره بان يقرّ بهذا الفعل فشهدوا على اقراره او لعلّهم يحضرون عذابه وعقوبته فجاؤا به و ساءلوه [قٰالُوا] فى حمله على الاقرار [ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هٰذٰا بِـاٰلِهَتِنٰا يٰا إِبْرٰهِيمُ قٰالَ] ما انا فعلته [بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذٰا] لمّا كان السّؤال عن الفاعل بعد كون الفعل مسلّم الوقوع كان الموافق للجواب ان يقول: بل كبيرهم فعل ليكون اثباتاً للفعل المسلّم للكبير ونفياً له عن غيره لكنّه قدّم الفعل لانّه اراد ان يبرز الفعل مبرز المفروض، لانّ هذه القضيّة من القضايا الفرضيّة المتداولة فى العرب و العجم، و الانسب بالقضايا الفرضيّة ان يكون الفعل فرضيّاً ايضاً فانّها فى التّقدير هكذا بل فعله كبيرهم ان كان ما تقولون من انّهم آلهة حقّاً لانّ كسر الآله لا يتمشّى الّا من الآله ولانّ الكبير ينبغى ان ينفى الغير عن الآلهة ويكسره لاقتضاء كلّ منهم التّفرّد بما فيه كماله ، وقيل: انّها قضيّة مفروضة وشرطها قوله ان كانوا ينطقون ، وقيل: انّ المراد به التّعجيز و الالزام وليس باخبارٍ حتّى يكون كذباً، وقيل: انّ الوقف على فعله و كبيرهم ابتداء كلام وهو بعيدٌ لفظاً ومعنىً فانّ التّقدير حينئذٍ فعله من فعله ويكون جواباً بالفعل عن السّؤال عن الفاعل ويكون حذفاً للفاعل او اضماراً له من غير قرينة ومرجع ، وروى انّه ما فعله كبيرهم وما كذب وقد علم وجهه ونسب الى الخبر انّ ابراهيم كذب ثلاث كذبات قوله : انّى سقيم ، وقوله: بل فعله كبيرهم، و قوله فى سارة لمّا اراد الجبّار اخذها وكانت زوجته انّها اختى [فَاسْئَلُوهُمْ] يعنى فاسئلوا جميعهم [إِنْ كٰانُوا يَنْطِقُونَ] والامر للالزام والاقرار بعدم النّطق حتّى يقرّوا بعدم الآلهة، والاتيان بضمائر ذوى العقول كان موافقاً لاعتقادهم اوللاستهزاء [فَرَجَعُوا إِلىٰ أَنْفُسِهِمْ] يعنى صرفوا وجوههم عن ابراهيم (ع) وتوجّه بعضهم الى بعضٍ ، اورجعوا الى عقولهم من عاداتهم وادركوا بعقولهم صدق مقالته [فَقٰالُوا] اى قال بعضهم خطاباً لجميعهم [إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظّٰالِمُونَ] فى نسبة الآلهة الى ما لا يقدر على دفع الضّرّ عن نفسه ولا على النّطق ، اوفى نسبة الظّلم الى من كسر الاصنام ، اوفى ارادة السّوء بمن كسرها ، اوفى السّؤال عن ابراهيم لا عن الاصنام وليس ابراهيم ظالماً كما تفوّهتم به بقولكم : من فعل هذا بآلهتنا انّه لمن الظّالمين [ثُمَّ] انتقلوا من عقولهم الى انفسهم وعاداتها واهويتها و [نُكِسُوا عَلىٰ رُؤُسِهِمْ] شبّههم فى الانصراف من العقول الى عادات النّفوس بمن نكس عن الاستقامة فجعل رأسه فى الاسفل ورجليه فى الاعلى واعترفوا بما هو حجّة عليهم قائلين [لَقَدْ عَلِمْتَ] يا ابراهيم [مٰا هٰؤُلٰاءِ يَنْطِقُونَ] يعنى بعد ما اعترفوا بانّهم هم الظّالمون حاجّوه بما هو حجّة عليهم [قٰالَ] ابراهيم (ع) [أَ] تجهلون اولا تعقلون [فَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مٰا لٰا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا] هو فى محلّ المصدر او منصوب بنزع الخافض [وَلٰا يَضُرُّكُمْ] يعنى بعد ما علم انّهم لا يقدرون على دفع الضّرّ عن انفسهم علم انّهم لا يقدرون على جلب النّفع ودفع الضّرّ عن الغير، وما لا ينطق ولا ينفع ولا يضرّ لا يستحقّ العبادة [أُفٍّ

لَكُمْ] بعد ما بان قبح صنيعهم بحيث لايمكنهم انكار قبحه اظهر الانزجار منهم ومن معبوداتهم، واُفٍّ كلمة انزجار وبه يظهر التضجّر [وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ اَفَلَا تَعْقِلُونَ قَالُوا] بعد العجز عن الحجّة كما هو ديدن اهل كلّ زمان من التّوسّل بالقتل والشّتم وسائر التّهديدات مثل التّكفير والتّفسيق بعد العجز عن الحجّة والعلم بالخطيئة من انفسهم [حَرِّقُوهُ] يعنى بعد ما استشار نمرود منهم قالوا : حرّقوه ولذلك قال الصّادق (ع) : انّ فرعون ابراهيم (ع) و اصحابه كانوا لغير رشده وكان فرعون موسى و اصحابه لرشده ، فانّه لمّا استشار اصحابه فى موسى (ع) قالوا : ارجه واخاه وارسل فى المدائن حاشرين [وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ] يعنى لاتنظروا الى مقالته فانّكم لاتقدرون على محاجّته وانصروا آلهتكم ، قيل: فجمعوا له الحطب حتّى انّ الرّجل منهم ليمرض فيوصى من ماله لاشتراء الحطب والمرأة تغزل فتشترى به حطباً فلمّا، ارادوا ان يلقوا ابراهيم فى النّار ولم يقدروا على قربها لشدّتها جاء ابليس ودلّهم على المنجنيق وهو اوّل منجنيق صنعت فوضعوه فيها ثمّ رموه فى النّار فلمّا رموه فيها [قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا] فانّ النّار وان كانت بالنّسبة الينا جماداً لايصحّ خطابها وامرها لكنّها بالنّسبة اليه تعالى عاقلة شاعرة مأمورة [وَسَلَامًا] فى الخبر انّ ابراهيم بعد ما قال الله كونى برداً اضطربت اسنانه حتّى قال وسلاماً [عَلَى اِبْرَاهِيمَ] لو لم يقل على ابراهيم لصارت برداً و سلاماً الى آخر الابد على كلّ احد و لذلك كانت تحرق غير ابراهيم و فى الخبر لمّا وضعوه فى المنجنيق التقى معه جبرئيل فى الهواء فقال : يا ابراهيم هل لك الىّ من حاجة ؟ ـ فقال ابراهيم : امّا اليك فلا ، و امّا الى ربّ العالمين فنعم ، و انحطّ جبرئيل و جلس معه يحدّثه فى النّار و نظر اليه نمرود فقال: من اتّخذ الهاً فليتّخذ مثل آله ابراهيم ، فقال عظيم من عظماء اصحاب نمرود انّى عزمت على النّار ان لا تحرقه فخرج عمود من النّار نحو الرّجل فأحرقه فآمن له لوط ، نقل انّه بعد ما اتى بابراهيم (ع) الى نمرود وعلم نمرود انّه ابن آزر فقال لآزر : خنتنى وكتمت هذا الولد عنّى ، فقال : هذا عمل امّه فدعا نمرود امّه فقال لها : ما حملك على ان كتمتنى امر هذا الغلام حتّى فعل بآلهتنا ما فعل ؟ ـ فقال : ايّها الملك نظراً منّى لرعيّتك قال: وكيف ذلك ؟ ـ قالت رأيتك تقتل اولاد رعيّتك فكان يذهب النّسل فقلت: ان كان هذا الّذى يطلبه دفعته اليه ليقتله ويكفّه عن قتل اولاد النّاس، وان لم يكن يبق لنا ولدنا وقد ظفرت فشانك فكفّ عن اولاد النّاس وصوّب رأيها ، ووجه عدم احراق النّار لابراهيم (ع) مااشرنا اليه فى اوّل سورة بنى اسرائيل وفى غيرها من غلبة الملكوت على الملك وبعد غلبة الملكوت على الملك يرتفع حكم الملك فلايحرق النّار الملكيّة الجسم الملكوتىّ [وَ] من تلك الغلبة يقع طىّ الارض والسّير على الماء والهواء من غير غرق وسقوط و [اَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْاَخْسَرِينَ] لانّهم فعلوا ما يطفؤن به نور الله فى الارض فجعلنا غاية جهدهم حجّة صدق ابراهيم ودليل خسرانهم ، و لمّا رأوا انّه لم يحرقه النّار امر نمرود ان ينفوه من بلادهم و ان يمنعوه من الخروج بما شيته و ماله فحاجّهم ابراهيم عند ذلك فقال : ان اخذتم بما شيتى ومالى فانّ حقّى عليكم ان تردّوا علىّ ماذهب من عمرى فى بلادكم واختصموا الى قاضى نمرود فقضى على ابراهيم (ع) ان يسلّم اليهم جميع ما اصاب فى بلادهم وقضى على اصحاب نمرود ان يردّوا على ابراهيم (ع) ما ذهب من عمره فى بلادهم فأخبر بذلك نمرود فأمرهم ان يخلّوا سبيله وسبيل ما شيته وماله وان يخرجوه، وقال: انّه ان بقى فى بلادكم افسد دينكم واضرّ با لهتكم [وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا اِلَى الْاَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ] يعنى نجّيناهما الى الشّام، قيل: بركته العامّة انّ اكثر الانبياء بعثوا منه فانتشرت بركاتهم الدّنيويّة

والاخرويّة فى العالم وانه اشرف بقاع الارض من حيث النّعم الصّوريّة [وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحٰقَ] بعد خروجه الى الشّام وبقائه فيها مدّة مديدة [وَيَعْقُوبَ نافِلَةً] عطيّة فانّ النّافلة العطيّة والغنيمة والنّفل النّفع [وَكُلًّا] اى كلّ الاربعة او الثّلاثة او الاثنين [جَعَلْنا صالِحِينَ وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا] لا بأمر الشّيطان ولا بأمر انفسهم ولا بشراكة شيء منهما [وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ] مثل الوحى الى رسلنا فانّهم كانوا رسلاً [فِعْلَ الْخَيْراتِ] مطلقة [وَإِقامَ الصَّلٰوةِ] مخصوصة اسقط التّاء عن المصدر لقيام المضاف اليه مقامه [وَإِيتاءَ الزَّكٰوةِ] مخصوصة لكون الصّلوة والزّكوة اهمّ الخيرات بل لان ليس الخيرات الّا الصّلوة والزّكوة ولذلك صرّح بهما بعد ذكرهما عموماً [وَكانُوا لَنا عابِدِينَ] لا لغيرنا من الشّيطان والنّفس والهوى ، اشارة الى مقام الاخلاص الّذى هو قرّة عين السّالكين [وَلُوطاً] عطف على كلّاً اوعلى مفعول جعلناهم عطف المفرد ، اومنصوب من باب الاشتغال ، والجملة معطوفة على جملة كلّاً جعلنا صالحين [آتَيْناهُ حُكْماً] حكمة عمليّة [وَعِلْماً] تنكير الحكم والعلم للاشارة الى انّ ما آتاه كان يسيراً من كثير [وَنَجَّيْناهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كانَتْ تَعْمَلُ الْخَبائِثَ] فى اسناد عمل الخبائث الى القرية مجازٌ عقليٌّ اوفى اطلاق القرية على اهلها مجاز لغوىّ ، اوهو مجاز فى الحذف [إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ] بفتح السّين اسم من المساءة ، واضافة القوم اليه للاشعار بالمبالغة فى مساءتهم كأنّهم صاروا قوماً له ومنتسبين اليه [فاسِقِينَ وَأَدْخَلْناهُ فِي رَحْمَتِنا] فى دار رحمتنا اوفى رحمتنا الّتى هى الولاية بان حقّقناه بها [إِنَّهُ مِنَ الصّالِحِينَ] المستعدّين لذلك فلم يكن فعلنا جزافاً من غير سبب [وَنُوحاً] عطف على لوطاً، اوعلى مفعول نجّينا، اوبتقدير سمعنا اوشرّفنا اواذكر اوذكّر [إِذْ نادىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَنَجَّيْناهُ وَأَهْلَهُ] تكرار نجّينا للتّأكيد ولعطف اهله على المفعول ، ولتعيين مانجّى منه فانّه نجّى [مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ] الّذى لم يبتل احدٌ من الانبياء به وهو غرق تمام الدّنيا واهلها او شدّة اذى قومه [وَنَصَرْناهُ] اى نجّيناه بالنّصرة [مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا] الآفاقيّة من الآيات العظام والصّغار والانفسيّة من الواردات الالٰهيّة والزّجرات العقلانيّة والملكيّة والمنامات المنذرة والمبشّرة [إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِينَ وَداوُدَ] عطف على نوحاً اوهو بتقدير فعلٍ محذوف مثل نوحاً [وَسُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِي الْحَرْثِ] فى الزّرع اوالكرم [إِذْ نَفَشَتْ] بدل من اذ يحكمان اوظرف ليحكمان [فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِينَ] جملة حاليّة بتقدير قد اومعطوفة على يحكمان اونفشت والاتيان بالمضارع بعد اذ وفى القضايا الماضية لجعل اذ منسلخة عن المضىّ اولتصوير الماضى بصورة الحال المشهودة ، والمقصود من قوله وكنّا لحكمهم شاهدين اى عالمين اوحاضرين انّ حكمهم لم يكن فى غيبةٍ منّا حتّى لايتميّز الحقّ من الباطل عندنا ، او كانا عالمين حين الحكم بانّهما كانا فى مشهدنا فلم يتفوّها بآرائهما بل بوحيٍ منّا فلايقول احد انّهما حكما بالاجتهاد وخالفا احدهما الآخر كما قيل ذلك ، والاتيان بضمير الجمع فى قوله لحكمهم للاشعار بانّ الحاكمين كانا متعدّدين لانّ داود (ع) جمع جميع اولاده للامتحان، ويجوز ارجاع الضّمير الى المتحاكمين والى مجموع الحاكمين والمتحاكمين [فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ] يعنى اوحينا الى سليمان الحكومة اوالغنم من حيث حكم الاضرار بحسب اقتضاء الوقت فكان حكمه ناسخاً لما كان سابقاً فلم يكن تفهيمنا سليمان تجهيلاً لداود (ع)

ولذلك قال [وَ كُلّاً آتَيْنا حُكْماً وَ عِلْماً] عن الصّادق (ع) انّه كان اوحى الله عزّ وجلّ الى النّبيّين (ع) قبل داود الى ان بعث الله داود (ع) ايّ غنم نفشت فى الحرث فلصاحب الحرث رقاب الغنم ولا يكون النّفش الّا باللّيل فانّ على صاحب الزّرع ان يحفظ زرعه بالنّهار وعلى صاحب الغنم حفظ الغنم باللّيل فحكم داود بما حكم به الانبياء من قبله فأوحى الله عزّ وجلّ الى سليمان (ع) ايّ غنم نفشت فى زرع فليس لصاحب الزّرع الّا ما خرج فى بطونها وكذلك جرت السّنّة بعد سليمان وهو قول الله تعالى وكلّاً آتينا حكماً وعلماً فحكم كلّ واحد منهما بحكم الله عزّ وجلّ، وفى خبر آخر عنه (ع): اوحى الله الى داود اتّخذ وصيّاً من اهلك فانّه قد سبق فى علمى ان لا ابعث نبيّاً الّا وله وصىّ من اهله وكان لداود اولاد عدّة؛ وفيهم غلام كانت امّه عند داود وكان لها محبّاً فدخل داود عليها حين اتاه الوحى فقال لها: انّ الله اوحى الىّ يأمرنى ان اتّخذ وصيّاً من اهلى، فقالت له امرأته فليكن ابنى، قال: ذلك اريد وكان السّابق فى علم الله المحتوم عنده انّه سليمان فأوحى الله تبارك وتعالى الى داود ان لا تعجل دون ان يأتيك امرى فلم يلبث داود ان ورد عليه رجلان يختصمان فى الغنم والكرم واوحى الله عزّ وجلّ الى داود ان اجمع ولدك فمن قضى بهذه القضيّة فأصاب فهو وصيّك من بعدك، فجمع داود ولده فلمّا ان قصّ الخصمان قال سليمان يا صاحب الكرم متى دخلت غنم هذا الرّجل كرمك؟ـ قال: دخلته ليلاً، قال: قد قضيت عليك يا صاحب الغنم باولاد غنمك واصوافها فى عامك هذا، ثمّ قال له داود فكيف لم تقض برقاب الغنم وقد قوّم ذلك علماء بنى اسرائيل فكان ثمن الكرم قيمة الغنم، فقال سليمان: انّ الكرم لم يجتثّ من اصله وانّما اكل حمله وهو عائد فى قابل فأوحى الله عزّ وجلّ الى داود انّ القضاء فى هذه القضيّة ما قضى سليمان به، يا داود اردت امراً واردنا امراً غيره فدخل داود على امرأته فقال: اردنا امراً و اراد الله تعالى امراً غيره ولم يكن الّا ما اراد الله فقد رضينا بامر الله عزّ وجلّ وسلّمنا، وكذلك الاوصياء ليس لهم ان يتعدّوا بهذا الامر فيجاوزوا صاحبه الى غيره، وورد غير ذلك باختلاف فى اللّفظ وفى المعنى [وَ سَخَّرْنا] التّسخير قد مضى فى سورة البقرة انّه جعل ارادة المسخّر تابعة لارادة المسخّر [مَعَ داوُدَ الْجِبالَ] ظرف لغو متعلّق بسخّرنا او مستقرّ حال من الجبال، و امّا تعلّقه بيسبّحن فانّه بعيد للزوم تخلّل الاجنبىّ بين المعمول المقدّم و العامل، و تعلّقه بسخّرنا يدلّ على انّ داود مثل الجبال مسخّر له تعالى، و جعله حالاً من الجبال يشعر بكون الجبال مسخّرة لداود (ع) [يُسَبِّحْنَ] حال او مستأنفة، قيل: يجوز ان يكون من التّسبيح ومن السّباحة [وَ الطَّيْرَ] عطف على الجبال او مفعول معه، وقرئ بالرّفع على انّه مبتدء محذوف الخبر، اوعطف على المرفوع المتّصل على ضعف [وَ كُنّا] من قبل ذلك [فاعِلِينَ] امثال ذلك فلا يبعد ان نفعل بداود ذلك وامثاله [وَ عَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ] اى ما يلبس، و المراد به الدّرع بقرينة قوله تعالى [لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ] وهو بدل من لكم نحو بدل الاشتمال، وقرئ ليحصنكم بالياء التّحتانيّة و الضّمير حينئذٍ لداود او للبوس او لله بطريق الالتفات، و قرئ بالتّاء الفوقانيّة و الضّمير للصّنعة اوللبوس باعتبار المعنى فانّ معناه الدّرع، وقرئ بالنّون [فَهَلْ أَنْتُمْ شاكِرُونَ] يعنى اذا كان الامر على هذا المنوال فاشكروا لله تلك النّعمة العظيمة [وَ] سخّرنا [لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً] شديدة الهبوب بحيث كان غدوّها شهراً ورواحها شهراً مع انّها كانت رخاءً وتحريكها كان فى لين [تَجْرِي بِأَمْرِهِ] بامر سليمان [إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها] اى الشّام، قيل: كان سليمان يسير من الشّام بكرة و اليه رواحاً [وَ كُنّا بِكُلِّ شَيْءٍ عالِمِينَ]

فكان اعطاؤنا ما نعطى لمن نعطى وامساكنا ما نمسك ممّن نمسك عن علم بالاعطاء والامساك والمصالح المترتّبة عليهما [وَمِنَ الشَّياطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ] اظهار نعمة اخرى لسليمان وهى تسخير الشّياطين والجنّة له، ومن معطوف على الرّيح اومبتدء خبره من الشّياطين كانوا يغوصون فى البحار لاخراج الجواهر النّفسيّة لسليمان (ع) [وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذٰلِكَ] كبناء المدن والقصور العجيبة وعمل الجفون العظيمة كالجواب واختراع الصّنائع الغريبة وصنع ما يشاء من محاريب وتماثيل [وَكُنّا لَهُمْ حافِظِينَ] حتّى لايخرجوا من امره ولايفسدوا عليه ملكه واهل مملكته [وَأَيُّوبَ] عطف اوبتقدير فعل مثل نوحاً [إِذْ نادىٰ رَبَّهُ أَنّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ] اى بانّى مسّنى الضّروقرئ بكسر الهمزة بتقدير القول او تضمين النّداء معنى القول [وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ] اكتفى باظهار حاله المقتضية للرّحمة وتوصيف ربّه بغاية الرّحمة عن سؤال العافية وهوابلغ فى مقام الطّلب وأقرب الى الحياء واكمل فى حفظ حرمة المسؤل منه، قيل: كان ايّوب (ع) روميّاً من ولد عيص بن اسحق (ع) استنبأه الله وكثّر ماله وولده فابتلاه الله بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله وبالمرض فى بدنه ثمانى عشرة سنةً اوثلاث عشر اوسبعاً وسبعة اشهر، وانّ امرأته كانت رحمة بنت افرائيم بن يوسف، وفى خبر كانت بنت يوسف بن يعقوب (ع)، وقيل: كان ايّوب فى زمان يعقوب، وتزوّج ليّا بنت يعقوب فقالت له يوماً: لودعوت الله فقال: كم كانت مدّة الرّخاء؟ ـ فقالت: ثمانين سنةً، فقال: استحيى من الله ان ادعوه وما بلغت مدّة بلائى مدّة رخائى؛ هكذا قيل: وسيجيء فى سورة ص تفصيل حاله، [فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَكَشَفْنا ما بِهِ مِنْ ضُرٍّ] من الاوجاع والامراض [وَآتَيْناهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ] نسب الى الخبر انّه تعالى احيى له من ماتوا من أهله فى زمان البلاء ومن ماتوا قبل بآجالهم وكذلك ردّالله عليه امواله ومواشيه بأعيانها وأعطاه مثلها معها، وقيل: انّه تعالى خيّر ايّوب (ع) فاختار احياء اهله فى الآخرة ومثلهم فى الدّنيا فأوتى على ما اختار، وقيل: ولد له ضعف ماكان، وقيل: احيى ولده وولد له منهم نوافل، وقيل: كان له سبع بنات وثلاثة بنين، وقيل: سبع بنات وسبعة بنين [رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا] عليه لامن استحقاق له ولامن عند المظاهر [وَذِكْرىٰ لِلْعابِدِينَ] يعنى تذكرة لهم بانّ الصّبر على العبادة فى الرّخاء والشّدّة كما صبر ايّوب (ع) فى الحالين مورث للنّعم الدّنيويّة والاخرويّة وموجب للفرج والسّرور [وَإِسْماعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ] عطف اوبتقدير فعل مثل ماسبق [كُلٌّ مِنَ الصّابِرِينَ] فانّ **اسماعيل (ع)** صبر فى بلد لازرع به ولا انيس من اوّل الصّبا، **وادريس (ع)** صبر على دعاء القوم مع شدّتهم فى الانكار لانّه كان اوّل من بعث اليهم، **وامّا ذوالكفل** فقداختلف فيه فقد نسب الى الرّضا (ع) انّه يوشع بن نون، وقيل: انّه الياس (ع)، وقيل: انّه زكريّا (ع)، وقيل: كان رجلاً صالحاً ولم يكن نبيّاً تكفّل لنبىّ وقته بصوم النّهار وقيام اللّيل وان لايغضب ويعمل بالحقّ فوفى بذلك، وقيل: كان نبيّاً ولم يقصّ الله خبره، وقيل: هو اليسع كان مع الياس وليس اليسع الّذى ذكره الله فى القرآن تكفّل لملك جبّار ان هو تاب دخل الجنّة ودفع اليه كتاباً بذلك وكان اسمه كنعان فسمّى ذاالكفل، ونسب الى الخبر انّه كان من الانبياء المرسلين وكان بعد سليمان (ع) بن داود (ع)، والكفل بمعنى الضّعف لضعف ثوابه بالنّسبة الى اهل زمانه لشرفه وبمعنى النّصيب وبمعنى الكفالة والكلّ مناسب [وَأَدْخَلْناهُمْ فِي رَحْمَتِنا إِنَّهُمْ مِنَ الصّالِحِينَ وَذَا النُّونِ] هومثل ما سبق فى العطف والتّقدير، والنّون بمعنى الحوت سمّى به لابتلائه ببطن الحوت وهو يونس (ع) بن متّى [إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً] لقومه اولربّه فانّ غاضبنى فلان بمعنى اغضبنى واغضبته، وكان حاله مع قومه كذلك، فانّه بعث اليهم حين كونه ابن ثلاثين وكان فيه حدّة فدعاهم ثلاثاً وثلاثين ولم يقبل منه سوى تنوخا العابد وروبيل الحكيم فغضب لذلك ودعا الله على قومه حتّى

وعده الله نزول العذاب على قومه بعد ما امره بالتّأنّي والصّبر فلم يقبل واصرّ على الدّعاء فأخبر قومه بنزول العذاب بعد المشورة مع روبيل وسؤال روبيل عنه ان يراجع ربّه ويسأل دفع العذاب عنهم وابائه عن المراجعة فلمّا صار موعد العذاب وقد اخرجوا يونس (ع) وتنوخا من بلدتهم وكانت البلدة نينوا من اعمال موصل ورأى عدم نزول العذاب عليهم غضب لذلك وغاضب قومه اوغاضب ربّه خصوصاً على ماورد انّه وكله الله تعالى الى نفسه طرفة عين [فَظَنَّ اَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ] اى لن نضيّق اولن نقضى عليه ماقضيناه عليه ، اولن نكون قادرين على اخذه كماورد انّه وكّل الى نفسه فظنّ ذلك ، و معنى ما ورد انّه (ع) وكله الله الى نفسه فخطر على باله ذلك و سمّى الخطرة ظنّاً ولا ينا فى الخطرة مقام النّبوّة فانّ توبة الانبياء من حيث ولايتهم ، وتوبة الاولياء من خطرات القلوب، فنادى اى فضيّقنا عليه فى الطّريق فدخل سفينة فساهم اهل السّفينة فخرج السّهم باسمه فألقوه فى البحر فابتلعه الحوت [فَنَادٰى فِى الظُّلُمَاتِ] ظلمة اللّيل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت ، وقيل: انّ الحوت ابتلعه حوت آخر [اَنْ لَا اِلٰهَ اِلَّا اَنْتَ] ان مخفّفة من المثقّلة اوتفسيريّة [سُبْحَانَكَ اِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ] تبرّى اوّلاً من انانيّته بعدما رأى انّ انانيّته ورأيه صارت سبباً لهلاكته واثبت الا لهة والرّأى له تعالى ثمّ نزّهه عمّا يورث نقصاً فى رأيه ووجوده ، ثمّ اعترف بانّ دعاءه على قومه وانانيّته فى مقابلة انانيّة الله كانت ظلماً منه على قومه وعلى نفسه ، ولمّا كان ذلك منه كناية عن سؤال النّجاة قال تعالى [فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ] يعنى من بطن الحوت اوغمّ الخطيئة والمغاضبة [وَكَذٰلِكَ] الانجاء من بطن الحوت بسبب التّبرّى من الانانيّة والاستقلال بالرّأى واثبات الانانيّة لله وتنزيهه من معرفة البشر والاعتراف بالظّلم فى اثبات الانانيّة والمعرفة للنّفس [نُنْجِى الْمُؤْمِنِينَ] قرئ ننجى بنونين من باب الافعال، وقرئ نجّى بنون واحدة وتشديد الجيم وسكون الياء على انّه مضارع من باب الافعال وادغم النّون الثّانية فى الجيم، اوعلى انّه من باب التّفعيل وحذف النّون الّتى كانت فاءً اوعلى انّه ماض مجهول منسوب الى المصدر، وسكونه بنيّة الوقف كما قيل ، روى عن النّبىّ (ص) : ما من مكروب يدعو بهذا الدّعاء الّا استجيب له لانّ المؤمن اذاخرج من انانيّته فى جنب انانيّة الله واعترف بانّ رؤية الانانيّة فى جنب انانيّة الله ظلم ودعا الله فى هذه الحال استجيب له لامحالة لانّه يكون حينئذٍ مصداقاً لقوله تعالى: اجيب دعوة الدّاع اذادعان ، وفى خبرٍ عن الصّادق (ع) : عجبت لمن اغتمّ كيف لا يفزع الى قوله تعالى: لااله الّا انت سبحانك انّى كنت من الظّالمين فانّى سمعت الله يقول بعقبها : فاستجبنا له ونجّيناه من الغمّ وكذلك ننجى المؤمنين [وَزَكَرِيَّا] مثل ماسبق فى العطف او التّقدير [اِذْنَادٰى رَبَّهُ رَبِّ] قائلاً ربّ [لَاتَذَرْنِى فَرْدًا] بلاولد ولاعقبٍ يرثنى [وَاَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ] استدراك لمايتوهّم من انّه فى دعائه الولد بقوله: لاتذرنى فرداً صرف النّظر عن الله ومعيّته معه [فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيٰى وَاَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ] فانّها كانت قطع حيضها لكبرها وكانت عقيمة قبل الهرم فأصلح الله رحمها وحاضت وحملت اوكانت هرمة فجعلها الله شابّة حسنة شهيّة ، اوكانت سيّئة الخلق فصيّرها الله حسنة الخلق [اِنَّهُمْ كَانُوا] استيناف فى مقام التّعليل والضّمير لزكريّا (ع) وزوجه ويحيى (ع) اوللانبياء (ع) المذكورين من اوّل القصص فانّ كلّهم كانوا [يُسَارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ] الّتى كانت بينهم وبين الله وبينهم وبين الخلق فى العالم الصّغير والكبير [وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا] ذوى رغبٍ اودعاء رغبٍ او راغبينَ اوللرّغبة والرّهبة ، والرّغب محرّكةً من رغب اليه اجتهد فى دعائه اوتضرّع عليه وهذا نظير قوله تعالى: ادعوا ربّكم تضرّعاً وخيفةً ، وهذه العبارة يجوزان يراد بها انّ بعضهم

يدعوه رغباً ، وبعضهم يدعوه رهباً ، وان يراد انّهم يدعونه فی وقتٍ رغباً وفی وقتٍ رهباً ، وانّهم يدعونه جامعين للوصفين وهذا هوالمراد ههنا فانّ الكامل يكون دائماً بين الخوف والرّجاء والرّهبة والرّغبة .

اعلم، انّ الانسان بل مطلق الحيوان من اوّل استقرار نطفته ومادّة وجوده فی مقرّها واقع بين قوّة قبول الفناء والبقاء والاستنزال والاستكمال والنّقصان والزّيادة ، وكلّ موجود بفطرة وجوده راغب فی بقائه واستكماله وازدياده هارب من فنائه واستنزاله و نقصانه ، و اذا كان الموجود شاعراً بالشّعور البسيط كاكثر انواع الحيوان او بالشّعور التّركيبیّ كافراد الانسان كان بحسب شعوره ايضاً حين عدم الغفلة هارباً عن منافياته ، راغباً فی ملائماته ، والكامل هو الّذی لم يكن غافلاً عن منافياته وملائماته ، ومن لم يكن غافلاً عن ذلك المذكور كان دائماً فی الرّهب والرّغب والهرب والطّلب والخوف والرّجاء والخيفة والتّضرّع والفرار والالتجاء والتّوبة والانابة ، والتّبرّی والتّولّی ، وقد يصير الانسان غافلاً بحسب الشّعور التّركيبیّ عن وجوده وكمال وجوده و نقصانه وقد يكون مغترّاً وقد يكون آئساً والثّلاثة مذمومة فانّ الممدوح هو السّير والسّلوك بين الخوف والرّجاء والكمال هو استواء الخوف والرّجاء بحيث لا يزيد احدهما على الآخر كما فی الخبر [وَكَانُوا لَنَا] لا لغيرنا [خَاشِعِينَ] قد مضی معنی الخشوع، والفرق بينه وبين الخضوع والتّواضع فی سورة البقرة عند قوله تعالی: وانّها لكبيرة الّا علی الخاشعين [وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا] عطف او بتقدير فعل كسوابقه وهی مريم (ع) كانت حفظت نفسها من ان ينظر الی عوراتها ومن ان يتصرّف فيها بالحلال اوالحرام [فَنَفَخْنَا فِيهَا] ای فی الّتی احصنت فرجها بان نفخ رسولنا الّذی هو بمنزلة انفسنا فی جيب مدرعتها كما فی الخبر بعضاً [مِنْ رُوحِنَا] الّتی هی ربّ نوع الانسان واضافتها الی نفسه تعالی لتشريفها اومنفوخاً ناشئاً من روحنا [وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً] دالّة علی علمنا وقدرتنا وحكمتنا بان حملت من غير فحلٍ ومن دون زوال بكارتها وتكامل الجنين فی رحمها فی ساعةٍ واحدةٍ مثل كمال الجنين فی تسعة اشهر، وتكلّم ابنها وشهادته علی طهارة امّه وعدم تولّده من السّفاح فی اوّل تولّده وشهادته علی نبوّته فی ذلك الزّمان [لِلْعَالَمِينَ] لعدم حاجتها الی عقل او تذكّر او تأمّل ونظر اوتسليم و انقياد اوتطهير اولبٍّ اواعتبار [إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل : ما قلت لهؤلآء الانبياء اوالعباد بعد بعث الانبياء ؟ ـ فقال قلت لهم : انّ هذه امّتكم ، اوحال عن الافعال السّابقة علی سبيل التّنازع وكلا الوجهين بتقدير القول ای قلنا للانبياء بعد قبول امرهم و اجتماع جمعٍ علی شريعتهم : هذه امّتكم ومؤتمّون بكم ، او قلنا للخلق او لمن اتّبعهم : هؤلآء الانبياء مأمومكم ، او قلنا للانبياء او للاتباع : هذه الطّريقة الّتی هی التّوحيد و التّسليم طريقتكم ، او هو جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ او حال بتقدير القول ، و خطاب للحاضرين فی زمان محمّد(ص) والمعنی انّ هذه الجماعة من الانبياء المذكورين ائمّتكم واسوتكم ، اوهذه الطّريقة طريقتكم [أُمَّةً وَاحِدَةً] جماعة واحدة من حيث الطّريقة اوطريقة واحدة غير متفرّقة [وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ وَتَقَطَّعُوا] عطف علی القول المقدّر ای قلنا انّ هذه امّتكم امّة واحدة وتقطّعوا [أَمْرَهُمْ] ای امر دينهم اوامر امامتهم بان جعل كلّ لنفسه ديناً وطريقاً او اماماً و مقتدیً ، اوامر اتباعهم بان جعل كلّ منهم اتباعهم لأهويةٍ عديدةٍ [بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ ووعدٌ ووعيدٌ كأنّه قيل: ما يصير حالهم؟ـ قال: كلّ الينا راجعون اوحال مفيدة لهذا المعنی يعنی رجوع الكلّ الينا فنجازيهم علی حسب امرهم وطريقهم، وصيغة تقطّعوا للمبالغة فی الفعل، و بينهم ظرف لغو متعلّق بتقطّعوا ، اومستقرّ حال من امرهم والمعنی فرّقوا امر دينهم اوامر امامتهم اواتّباعهم بينهم [فَمَنْ يَعْمَلْ]

الفاء للترّتيب فى الاخبار [مِنَ الصّالِحاتِ] بعضاً من الصّالحات [وَهُوَمُؤْمِنٌ] بالايمان العامّ والبيعة العامّة النّبويّة اوبالايمان الخاصّ والبيعة الخاصّة الولويّة [فَلاكُفْرانَ لِسَعْيِهِ] كفران السّعى كناية عن ضياعه علّق عدم ضياع السّعى على عمل شيءٍ من الصّالحات به يظهر اثر الايمان على البدن او النّفس مقيّداً بقبول الدّعوة الظّاهرة اوالدّعوة الباطنة واذا اعتبر مفهوم القيدين صار المعنى: من لم يعمل شيئاً من الصّالحات سواء لم يعمل شيئاً من السّيّئات اوعمل بعضها اوكلّها ، وسواء كان مؤمناً اوكافراً ، ومن عمل شيئاً من الصّالحات اوجميعها ولم يكن مؤمناً ضاع سعيه وهو هكذا كمايدلّ عليه الاخبار ، فليس الامر كما يقوله القلندريّة من انّك اذا عرفت فاعمل ماشئت ، فلاتصغوا اخوتى الى اقاويل البطّالين من المتصوّفة والقلندريّة واعملوا بلوازم ايمانكم ما قدرتم ثمّ تفوزوا ان شاءالله بنتائج ايمانكم واعمالكم [وَإِنّالَهُ] اى لذلك البعض من الصّالحات اولسعيه [كاتِبُونَ] اولاجل من يعمل من الصّالحات كاتبون فى صحائف عمله ما يعمله [وَحَرامٌ] قرئ حرامٌ بفتح الفاء والمدّ وحِرم بكسر الحاء وسكون الرّاء ، وحرم بصيغة الفعل المبنىّ للمفعول [عَلى قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لايَرْجِعُونَ] قرئ انّهم بفتح الهمزة وكسرها وحرام خبر مقدّم اومبتدء مكتفٍ بمرفوعه عن الخبر وأنّهم مبتدء مؤخّر اوفاعل مغنٍ عن الخبر ، اوحرام خبر مبتدءٍ محذوفٍ والمراد بالقرية اهلها بطريق المجاز فى الحذف او المجاز فى اللّفظ والمعنى ممتنع على اهل قرية اهلكناهم عن الحيوة الانسانيّة عدم رجوعهم الى جزائنا وعقوبتنا اورجوعهم الى ثوابنا على ان يكون لازائدةً اوالى الانسانيّة اوالى الدّنيا اوذلك المذكور من عدم ضياع السّعى حرام على قرية اهلكناها لانّهم لايرجعون الى الانسانيّة اوالى دار الثّواب ، اواهلكناها لانّهم لايرجعون عن غيّهم على ان يكون تعليلا لاهلكناها وكون انّهم بتقدير اللّام موافق معنى لقراءة كسر همزة انّ وكان الاوفق بمقابلة القرين الاوّل بحسب الظّاهر ان يقول تعالى: ومن عمل من السّيّئات اومن لم يعمل من الصّالحات سواء كان مؤمناً ام لا اومن لم يؤمن سواء عمل من الصّالحات اولم يعمل فلاشكر لسعيه لكنّه عدل عنه واداّه بحيث افاد هذاالمعنى مع شيءٍ زائد وهو هلاكتهم عن الانسانيّة واهلاك الله لهم وامتناع رجوعهم الى الانسانيّة اوالى دار الثّواب [حَتّى إِذافُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ] غاية لعمل الصّالحات اولعدم كفران السّعى اولحرمة الرّجوع اولحرمة عدم الرّجوع اولعدم الرّجوع عن الغىّ والمراد بانفتاح يأجوج ومأجوج انفتاح سدّهم وقد سبق فى سورة الكهف بيان يأجوج ومأجوج وتأويلهما ووجه منع صرفهما [وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ] مرتفع من الارض [يَنْسِلُونَ] اى يسرعون والضّمير ليأجوج ومأجوج اوللنّاس ، وقرئ من كلّ جدثٍ ينسلون وهو يؤيّد ارجاع الضّمير الى النّاس فانّ الجدث بمعنى القبر.

اعلم ، انّ امثال هذه من الرّموز الّتى رمزوها الاقدمون من الانبياء و الحكماء والمنظور من حكاياتها ليس الّا التّنبيه على المرموز اليه وليس النّظر من الله تعالى ولا من خلفائه الى صورة السّمر ، والمراد بيأجوج ومأجوج فى العالم الصّغير جنود ابليس المتولّدة من الجنيّة الّتى أتى بها لابن آدم وبقبول الولاية يجعل صاحب الولاية سدّاً بينهم وبين بنى آدم الّذين تولّدوا من الحوراء الّتى اتى بها لابنه الآخر ، واذا قرب السّاعة انفتح السّدّ وخرج يأجوج ومأجوج واستغرقوا تمام صفحة النّفس واكلوا ما وجدوا فيها وهرب بنو آدم من صفحة النّفس فراراً منهم فلايبقى تلّ ووهد الّا كان يأجوج ومأجوج مسرعين فيه وكان النّاس مسرعين منه [وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ] يعنى ساعة الاحتضار وظهور القائم عجّل الله فرجه والقيامة الصّغرى [فَإِذا هِيَ] الاتيان بالفاء واذا المفاجاة لتأكيد لصوق الجزاء بالشّرط ، و الضّمير للقصّة اومبهم يفسّره الابصار [شاخِصَةٌ] مبتدء مكتفٍ بالمرفوع عن الخبر اوخبر مقدّم

[أَبْصارُ الَّذينَ كَفَرُوا] لا الّذين آمنوا فانّهم عن الاهوال ذلك اليوم آمنون فانّ الكفّار لهول ذلك اليوم وعدم انسهم به يبقى ابصارهم مفتوحةً لاتطرف ، وامّا المؤمن فانّه لانسه بالآخرة وبما يرى فى ذلك اليوم كأنّه لا يرى امراً هائلاً غريباً ولايكون له امرهائل اذا كان كاملاً ، وغير الكامل قد يرى اهوال ذلك اليوم لكن لامن حيث ايمانه بل من حيث كفره [يا وَيْلَنا] بتقدير القول اى قائلين يا ويلنا [قَدْ كُنّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذا] الوعد ولم نكن نتفكّر فيه ونقبله ونستعدّ له [بَلْ كُنّا ظالِمينَ] بل لم نكتف بالغفلة من هذا وكنّا عاملين لضدّ هذا وقد خلقنا الله تعالى للعمل لهذا والانس به [اِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ] مستأنف جواب لسؤال مقدّرٍ بتقدير القول كأنّه قيل: ما يقال لهم؟- فقال الله تعالى نقول: انّكم وماتعبدون [مِنْ دُونِ اللّهِ] اى حالكون ما تعبدون بعضاً من غير الله اوما تعبدون من دون اذن الله ، وفائدة التّقييد اخراج المطاعين باذن الله كالانبياء و اوصيائهم [حَصَبُ جَهَنَّمَ] و الحصب الحطب ومطلق ما يرمى به فى النّار، اولايكون الحطب حصباً حتّى يسجر به [اَنْتُمْ لَها وارِدُونَ] لام لها زائدة للتّقوية والجملة تأكيد للجملة الاولى والمراد بالخطاب المخاطبون وما يعبدون بطريق التّغليب [لَوْ كانَ هٰؤُلاءِ آلِهَةً ما وَرَدُوها] مستأنف جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ ناشٍ من سابقه كأنّه قال: فما حال هؤلاء الآلهة ؟- فقال: لوكانوا آلهةً ما وردوها ، اومستأنف منقطع عن سابقه لفظاً ومعنىً وردٌ من الله على الحاضرين المخاطبين بعد التّسجيل على الآلهة بالورود فى النّار، اوجواب لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول كأنّه قيل: مايقال حين الورود ؟- فقال تعالى: يقال لهم: لوكان هؤلآء آلهةً ماوردوها [وَكُلٌّ] من العابدين والمعبودين [فيها خالِدُونَ لَهُمْ فيها زَفيرٌ] تنفّس شديد لشدّة التّعب [وَهُمْ فيها لا يَسْمَعُونَ] لشدّة الهول وعدم استشعارهم بالاصوات اولصممهم اولايسمعون ماينفعهم ويريحهم، و الاشكال بانّ المعبودين سوى الله لا يكون كلّهم مستحقّين للنّار فانّ الشّمس والقمر وسائر النّجوم والملائكة وعيسى(ع) قدعبدوا وليسوا مستحقّين للنّار ولاراضين بعبادة النّاس لهم مدفوع بانّ الخطاب لعابدى الاصنام اوبأنّهم مستثنون من هذا الحكم بقوله : اِنّ الّذين سبقت فانّه بمنزلة الّا الّذين سبقت كما اشير الى هذا الوجه فى الخبر، اوبانّ المعبود حقيقة فى تلك العبادات هو الشّيطان المعنوىّ والجنّىّ الّذى كان قرين العابد فى عبادته كما قال تعالى خطاباً للملائكة اهؤ لاءِ ايّاكم كانوا يعبدون، قالوا سبحانك انت وليّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجنّ اكثرهم بهم مؤمنون [اِنَّ الَّذينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنّا الْحُسْنٰى] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ ولذلك اكّده استحساناً [اُولٰئِكَ] تكرار المبتداء باسم الاشارة البعيدة تفخيمٌ لشأنهم [عَنْها مُبْعَدُونَ] اى عن عذابها ومسيس ألمها حتّى لا ينا فى قوله وان منكم الّا واردها ، وماقيل: انّ هذه ناسخة لتلك بعيدٌ جدّاً [لا يَسْمَعُونَ حَسيسَها] الحسيس صوت يحسّ به والجملة حالٌ اومستأنفة جواب لسؤالٍ مقدّر اوخبرٌ بعد خبرٍ [وَهُمْ فيما اشْتَهَتْ اَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْاَكْبَرُ] فزع القيامة الكبرى فانّه افزع من فزع القيامة الصّغرى ، وقيل: هو النّفخة الاخيرة ، وقيل: هوحين يؤمر بالعبد الى النّار وهما راجعان الى الاوّل ، وقيل: هوعذاب النّار اذا اطبقت على أهلها وهوعقيب القيامة الكبرى [وَتَتَلَقّيهُمُ الْمَلائِكَةُ] قائلين [هٰذا يَوْمُكُمُ] اى دولتكم اويوم ثوابكم [الَّذي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ] .

اعلم انّ الحسن المطلق هو الولاية المطلقة وكلّ ماكان متّصلاً بالولاية اومنتهياً اليها من فعلٍ اوقولٍ اوخلقٍ

اوحال اوعلم اولاعتقاد اووجدان اوشهود فهوحسن بحسنها، فمعنى قوله انّ الّذين سبقت لهم منّا الحسنى انّ الّذين فاقت وغلبت على فعليّاتهم فعليّة الولاية الّتى هى الحسنى وتقدّمت على كلّ فعليّاتهم، اوانّ الّذين سبقت على وجودهم الطّبيعىّ فى العوالم العالية لانتفاعهم منّا الحسنى الّتى هى الولاية بان قدّرنا لهم ذلك ومنّا لغو متعلّق بسبقت اومستقرّ حال من الحسنى وعلى المعنى الاوّل كان من غلب على فعليّاته فعليّة الولاية محكوماً عليه بالبعد من النّار دون من لم يغلب فعليّة الولاية فى وجوده وهذا هو الموافق لاعتقاد الشّيعة ومذهبهم، فانّ من لم يغلب الولاية على فعليّاته يردّ فى البرازخ على نار الدّنيا وعلى اىّ تقدير كان المراد من تولّى عليّاً (ع) وعليه اخبار كثيرة فعن النّبىّ (ص) انّه قال لعلىّ (ع) : يا على انت و شيعتك على الحوض تسقون من احببتم وتمنعون من كرهتم وانتم الآمنون يوم الفزع الاكبر فى ظلّ العرش، يفزع النّاس ولاتفزعون ويحزن النّاس ولاتحزنون وفيكم نزلت هذه الآية: انّ الّذين سبقت منّا الحسنى (الآية) وفيكم نزلت : لايحزنهم الفزع الاكبر (الآية) وبهذا المضمون عدّة اخبار وفى بعض الاخبار فالحسنة ولاية علىّ (ع)، وفى خبر عن الصّادق (ع) يبعث شيعتنا يوم القيامة على ما فيهم من ذنوب وعيوب مبيضّة مسفرة وجوههم مستورة عوراتهم آمنة روعاتهم، قد سهلت لهم الموارد وذهبت عنهم الشّدائد ، الحديث ، وفى حديث طويل عن النّبىّ (ص) مخاطباً لعلىّ (ع) : وفيكم نزلت هذه الآية: انّ الّذين سبقت منّا الحسنى [يَوْمَ نَطْوِى السَّمآءَ] ظرف للايحزنهم، اولتتلقّيهم اولتوعدون اوحال عن اليوم، اوعن العائد المحذوف من توعدون اومعمول لاذكر مقدّراً [كَطَىِّ السِّجِلِّ] اى الصّحيفة الّتى يكتب فيها الحساب اوالملك الّذى يرفع اليه كتب الاعمال اوهو اسم لكاتب للنّبىّ (ص)، وقرئ السّجل كالدّلو والسُجُل كالعتل وهما لغتان فيه [لِلْكُتُبِ] قرئ بالافراد والجمع واللّام للتّعليل اى لاجل الكتابة، اوللتّقوية اى للمكتوب اوللمكتوب فيه، وطىّ السّماء عبارة عن افنائها اولفّها كلفّ الطّومار [كَمابَدَأْنا اَوَّلَ خَلْقٍ نُعيدُهُ] لفظة ماكافّة اومصدريّة ولافرق بينهما فى المعنى ، والخلق بمعناه المصدرىّ، اوبمعنى المخلوق ، وليس المقصود فرداً لاعلى التّعيين من الخلق اوالمخلوق بل المراد جنس الخلق اوجميع افراده واوّل خلق مفعول لبدأنا اولنعيد المقدّر الّذى يفسّره المذكور، اوظرف لبدأنا اولنعيده المؤخّر والمعنى كما بدأنا الخلق فى اوّل مراتب الخلق اونعيد الخلق فى اوّل مراتب الخلق والمراد اوّل مراتب الخلقة اواوّل افراد الخلق، واوّل مراتب الخلقة فى جملة العوالم مرتبة المشيّة ، واوّل افراد الخلق هو الّذى يكون فى المشيّة المسمّى بالفرد اللّاهوتىّ ، واوّل الخلق فى عالم الخلق مقابل الامر هو المادّة المستعدّة المتميّزة من بين الموادّ لشىءٍ مخصوص كالنّطفة المستقرّة فى الرّحم وضمير نعيده راجع الى الخلق ان كان بمعنى المخلوق ، اوالى المخلوق المستفاد من الخلق ، اولفظة ما موصولة والعائد محذوف، واوّل خلق حال عن العائد المحذوف، اومفعول به اوفيه لبدأنا اولنعيد المقدّر والمعنى كالّذى بدأناه حالكونه اوّل خلق ، اوكالّذى بدأناه فى اوّل مراتب الخلق، اوكالكيفيّة الّتى بدأنا بها اوّل الخلق نعيده ، والمنظور تشبيه الاعادة بالابداء فى جواز تعلّق الارادة والامكان ، اوتشبيه المعاد بالمبتدء فى كونه عارياً ممّا خوّله الله ايّاه [وَعْدًا] مفعول مطلق لمحذوف [عَلَيْنا] انجازه اوثابتاً حتماً علينا [اِنّا كُنّا فاعِلينَ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ مؤكّد استحساناً [وَلَقَدْ كَتَبْنا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ اَنَّ الْاَرْضَ يَرِثُها عِبادِىَ الصّالِحُونَ] الزّبور كتاب داود (ع) والكتاب السّماوىّ ومطلق الكتاب والالواح العالية من اللّوح المحفوظ ولوح المحو والاثبات ، والذّكر مصدر بمعنى التّذكّر وكلّ ما يتذكّر به من الاقلام العالية و الالواح الرّوحانيّة والجسمانيّة والكتب السّماويّة، والانسان الكامل والولاية والنّبوّة والتّوراة، ومن بعد الذّكر متعلّق بكتبنا اوظرف

مستقرّ حال من الزّبور، اوخبرمقدّم وانّ الارض (الى آخر الآية) مبتدء مؤخّر والجملة مفعول كتبنا لكونه بمعنى القول، وهذا بعيد جداً ووجوه اعتبار المعنى فى كلّ من وجوه اعتبار اللّفظ بحسبه، والعباد الصّالحون شيعة علىّ (ع) فانّهم يملكون ارض العالم الصّغير حين ظهور القائم (ع) بالموت الاضطرارىّ اوالاختيارىّ، ويملكون ارض الفردوس كذلك، ويملكون ارض العالم الكبير بالتّصرّف فيها باىّ نحوٍ شاؤا بعد ظهور القائم (ع) ولذلك فسّر الآية باصحاب القائم عجّل الله فرجه [إِنَّ فِي هٰذَا] الوعد بايراث الارض اوفى هذا القرآن اوفى هذا الزّبور اوفى هذا المذكور من الوعيد والوعد [لَبَلَاغًا] اى كفاية اوبلوغاً الى المقصود [لِقَوْمٍ عَابِدِينَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ] عطف اوحال وفيه معنى الاستدراك فانّه توهّم من قوله لقومٍ عابدين اختصاص الكتاب والنّصح والمواعظ بالعابدين فاستدرك هذا التّوهّم وقال: ارسلناك رحمةً للعالمين فمن تعرّض لها اخذ نصيباً منها ومن اعرض عنها حرم منها، والعابد متعرّض لها وذكر فى الاخبار فى وجه كونه رحمةً للعالمين انّه (ص) بعث بالتّعريض لا بالتّصريح، وانّ قومه امهلوا ولم يتوعّدهم العذاب ولم يصرّح لهم بأمرٍ كانوا يخالفونه فيعذّبوا كولاية علىّ (ع) وانّه رفع المسخ والخسف من هذه الامّة، والتّحقيق انّ وجود خلفاء الله فى الارض رحمة من الله على اهل الارض وبركة ورفع لبلائهم لانّهم بفنائهم من انانيّاتهم وبقائهم بوجودٍ الهىٍّ اخروىّ صاروا عين الرّحمة الالهيّة، وكونهم فى الارض عبارة عن وجود تلك الرّحمة فى الارض على جملة موجودات الارض [قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ] منقطع عن سابقه لفظاً لكنّه مرتبط معنىً كأنّه قال: اذا كنت رحمة للعالمين فقل لهم انّما يوحى [إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ] وبلّغهم التّوحيد الّذى هو اصل جميع انواع الرّحمة والحصر اضافىّ اوادّعائىّ كأنّه لا يعدّ سائر اقسام الوحى من الوحى [فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ] مخلصون العبادة من الاشراك لله تعالى، وقرئ فى قراءة اهل البيت مسلّمون بتشديد اللّام بمعنى مسلّمون الوصيّة لعلىٍّ (ع)، وعلى هذا يجوز ان يقال فى تفسير الآية: انّما آلهكم بحسب مظاهره وخلفائه آله واحد من دون تعدّد وشراكة لغيره فهل انتم مسلّمون الولاية لهذا الاله الواحد الّذى هو علىّ (ع) [فَإِنْ تَوَلَّوْا] عن التّوحيد اوتولّوا عن وصيّتك وولاية خليفتك [فَقُلْ] لهم [آذَنْتُكُمْ] اى اعلمتكم الحرب [عَلَىٰ سَوَاءٍ] اى حال كونكم على استواءٍ معنا فى الاعلام حتّى تتأهّبوا مثلنا للقتال اواعلمتكم التّوحيد اوالولاية حال كونكم متساوين فى ذلك الاعلام، والاختلاف انّما نشأ من قبلكم لا من عدم تسويتى بينكم اوحملتكم باعلام الولاية على سواء الطّريق اوعلى امرٍ مستوى النّسبة الى جميع الامور وهو الولاية [وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ] اى الحرب الّتى توعدونها اوالقيامة اوعذاب الآخرة اوايراث الارض [إِنَّهُ يَعْلَمُ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: افلا يعلم الله ذلك؟ـ فقال: انّه يعلم [الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ] فى نفوسكم من القول، اوجوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ عن علّة عدم علمه (ص) فقال: لانّ الله لا غيره يعلم الجهر من القول والخفايا منه، وهذا من المخفيّات المغيبات، والمراد بالجهر من القول هو الكلام المجهور والمكتوم ضدّه، اوالمراد بالمجهور مطلق القول الّذى يظهر على اللّسان، والمكتوم ماكان من قبيل حديث النّفس، اوالمجهور مطلق ما يظهر على النّفس سواء كان بطريق حديث النّفس اوجارياً على اللّسان، والمكتوم مالم يظهر على النّفس بعد، اوالمجهور مطلق مايظهر على الاعضاء من الافعال والاقوال، والمكتوم ما لم يظهر على الاعضاء من الاحوال والاخلاق والعلوم، اوالمجهور مطلق ما ظهر على النّفس من الافعال والاقوال والصّفات والاحوال والعلوم، والمكتوم ما لم يظهر على النّفس بعد من المكمونات الّتى لم يطّلع الانسان

عليها [وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ] اى لعلّ امر الولاية اوعليّاً (ع) اوماتوعدون، اوجهالة وقت ماتوعدون، اوتأخير العذاب امتحان لكم، اوضلال ، اوفضيحة ، اواذابة وتخليص [وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ] اى تمتّع اومايتمتّع به يعنى هو جامع بين الوصفين اوفتنة لبعضٍ ومتاعٌ لبعضٍ الى وقت يقتضيه مشيّته وهومدّة كونكم فى حجب التّعيّنات وقيد الحيوة الدّنيا [قُلْ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ] يعنى اخرج من مشيّتك وكل امورك الى ربّك واسأله الاصلاح بالحقّ، وقرئ قال على الماضى وربّ بضمّ الباء و احكم على وزن التّفضيل واحكم على الماضى [وَرَبُّنَا الرَّحْمٰنُ] المتساوى الرّحمة بالنّسبة الى الحقير والخطير والبرّ والفاجر [الْمُسْتَعَانُ] الّذى يستعين به الجامد والنّامى، والشّاعر وغير الشّاعر، والمطيع والعاصى فى جميع الامور خصوصاً [عَلٰى مَا تَصِفُونَ] من تكذيبى وعدّ كتابى من الاساطير، اومن الاشراك بالله، اومن انكار البعث اومن انكار الولاية والاتّفاق على ان لاتتركوا هذا الامر لعليٍّ (ع) وقرئ يصفون بالغيبة.

سورة الحجّ

مكّيّة الّا آيات ، وقيل : مدنيّة غير آياتٍ نزلت فى السّفر ، وقيل : غير ستّ آياتٍ ، وقيل : غير اربع آياتٍ ، وورد فى فضلها عن النّبىّ (ص) : انّ من قرأ سورة الحجّ اعطى من الاجر كحجّةٍ حجّها ، وعمرةٍ اعتمرها بعدد من حجّ واعتمر فيما مضى وفيما بقى ، وعن ابى عبدالله (ع) : من قرأها فى كلّ ثلاثة ايّام لم يخرج من سنة حتّى يخرج الى بيت الله الحرام وان مات فى سفره دخل الجنّة



[يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ] اى سخط ربّكم وعقوبته بترك مخالفة اوامره ونواهيه [إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ] استينافٌ فى مقام التّعليل والمراد بالسّاعة ساعة ظهور القائم عجّل الله فرجه عند الاحتضار بالموت الاختيارىّ اوالاضطرارىّ وساعة القيامة الصّغرى اوساعة القيامة الكبرى وظهور الولاية الكلّيّة كما اشير الى الكلّ فى الخبر [شَيْءٌ عَظِيمٌ] فانّ حال الاحتضار وزلزلته فى العالم الصّغير امر لايتحمّله النّفوس البشريّة والمدارك الحيوانيّة لانّها لخراب النّفوس البشريّة والمدارك الحيوانيّة والمبانى الدّانية [يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ] لغاية الدّهشة والوحشة [كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ] مع انّ المرضعة تجعل نفسها فداء لرضيعها [وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ

حَمْلَهٰا] والمرادبذات الحمل كلّ ماكان فيه شيء آخر مكموناً لانّه يوم تخرج الارض اثقالها ومكموناتها [وَتَرَى النّٰاسَ سُكٰارىٰ] زائلي العقول من غاية الحيرة والوحشة [وَمٰاهُمْ بِسُكٰارىٰ] حتّى يكونوا ملتذّين بلذّة السّكر وكيفه [وَلٰكِنَّ عَذٰابَ اللهِ شَدِيدٌ] فلذلك يزول عقولهم لا لكيف المسكر [وَمِنَ النّٰاسِ مَنْ يُجٰادِلُ] جملة حاليّة اومستأنفة على مجيء الواو للاستيناف اومعطوفة على مقدّر كأنّه قال: فمن النّاس من يسلّم ويخاف ويسلّم من هولها ومن النّاس من لايسلّم ويجادل [فِي اللهِ] اى فى ذاته وصفاته واحكامه ومظاهره وخلفائه، ومنها المجادلة فى احكام العباد والنّظر فيها بالرّأى والاستحسان من دون اذن من الله واجازة من خلفائه [بِغَيْرِ عِلْمٍ] فانّ العلم بالله وصفاته واحكامه وخلفائه لايحصل الّا بالشّهود والوجدان وهم قاصرون فيه اوبالتّقليد لصاحب الشّهود والوجدان وهم مستنكفون منه [وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطٰانٍ مَرِيدٍ] عطف فيه معنى التّعليل يعنى يجادل بغير علم لانّه يتّبع كلّ شيطان عات طاغ وباتّباعه لايحصل له الّا الجهل والعتوّ فلا يحصل له علم ولاتقليد لاهل علم [كُتِبَ عَلَيْهِ] مستأنف اوصفة بعدصفة اوحال بتقدير قد [أَنَّهُ مَنْ تَوَلّٰاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلىٰ عَذٰابِ السَّعِيرِ] ثمّ خاطب الزّنادقة من منكرى البعث بعد التّحذير عن وحشة البعث فقال [يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ] قد مضى انّ الرّيب هو التّزلزل فى الاعتقاد الثّابت والاضطراب فيه وهو مقدّمة الشّكّ وكثيراً ما يستعمل فى الشّكّ [مِنَ الْبَعْثِ] اى بعث الاموات واحيائهم فى يوم الحساب فتفكّروا فيما سلف عليكم من الاحوال حتّى تعلموا جواز البعث فانّكم قدعلمتم النّشأة الاولى فلولاتذكّرون [فَإِنّٰا خَلَقْنٰاكُمْ مِنْ تُرٰابٍ] يعنى انظروا فى مادّة خلقتكم فانّ جزءها الاعظم كان التّراب الّذى هو اخسّ العناصر ثمّ استكمل ذلك التّراب فى مراتب استكماله وكلّ استكمال كان موتاً لكم عن صورة وبعثاً فى صورة اخرى حتّى بلغتم الى اقصى مراتب الكمال البشرىّ وموتكم عن البشريّة وبعثكم بالملكيّة مثل موتاتكم السّابقة وبعثاتكم [ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ] قطعة دم جامدة [ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ] قطعة لحم غير متماسك الاجزاء كاللّحم الّذى يمضغ، وادخال من على المادّة يدلّ على انّ المادّة ليست هى الانسان ولاجزء منه بل الانسان اسم للفعليّة الاخيرة الّتى هى الرّوح وانّ النّفس الانسانيّة جسمانيّة الحدوث كما عليه الفلاسفة لا انّها قديمة اوخلقت سابقة على الابدان كما عليه جمع من المتكلّمين والفقهاء، وماورد من خلق الارواح قبل الابدان انّما هو بحسب نشأتها المجرّدة لا بحسب نشأتها المتعلّقة وليس التّعلّق وصفاً عرضيّاً للنّفوس كما قيل بل هو مرتبة من مراتب ذواتها ونشأة من نشآت وجوداتها [مُخَلَّقَةٍ] تامّة الخلقة ويدلّ عليه وزن التّخليق الدّالّ على المبالغة [وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ] غير تامّة الخلقة، اوباقية الى تمام زمان خلقته فى الرّحم وهو الزّمان المعهود للجنين فى الرّحم وغير باقية بل ساقطة اوخارجة سالمة قبل تسعة اشهر [لِنُبَيِّنَ لَكُمْ] كيفيّة بعثكم من هذا البعث المشهود لكم، وحذف المفعول ليذهب ذهن السّامع كلّ مذهب ممكن كأنّه قال لنبيّن لكم حكمتنا وقدرتنا وعلمنا ورأفتنا وتوانينا فى الامور واماتاتنا واحياءاتنا وبعثكم ونشركم وجزاءكم وحسابكم [وَنُقِرُّ] قرئ بالرّفع والنّصب من باب الافعال ومن الثّلاثىّ المجرّد بالتّكلّم والغيبة وليكن الثّلاثىّ المجرّد المتكلّم مأخوذاً من قررت الماء اذاصببته، والمرفوع منه معطوف على خلقنا اوحال بتقدير مبتدء اومستأنف والمنصوب معطوف على نبيّن كأنّه قال: غرضنا فى التّأنّى والتّدريج فى الخلقة بيان حكمتنا وقدرتنا على البعث وتقرير نطفكم [فِي الْأَرْحٰامِ] مدّة ليكون دليلاً على بقائكم

فى البرازخ وقبل البعث مثل بقائكم فى الارحام [مَانَشَاءُ] اى مدّة مشيّتنا ، اونقرّ الّذى نشأ من النّطف ونزيل مانشاء من الارحام [اِلٰى اَجَلٍ مُسَمًّى] اقلّه ستّة اشهر واكثره تسعة اشهر ، وفى خبرٍ اذا حاضت المرءة فى حملها زاد ايّام الحمل على التّسعة بقدر ايّام الحيض ، وفى خبر آخر : اذا جاءت به لاكثر من سنةٍ لم تصدّق ولو ساعةً واحدةً ، وعن العامّة اكثره آخر اربع سنين [ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا] حال عن المفعول وافراده امّا على تقدير نخرج كلّ واحدٍ منكم اوبلحاظ انّه اسم جنسٍ يطلق على الواحد والاكثر ، اوباعتبار انّه فى الاصل مصدر مطلق على الواحد والكثير [ثُمَّ لِتَبْلُغُوا] عطف على محذوفٍ اى لتبقوا وترضعوا وتنموا ثمّ لتبلغوا ، اومتعلّق بمحذوفٍ اى ثمّ ننميكم ونبقيكم لتبلغوا [اَشُدَّكُمْ] كما لكم فى القوّة والعقل ، قد مضى انّ الاشدّ هووقت كمال جميع القوى البدنيّة والنّفسانيّة وهو من ثمانى عشرة سنةً اومن اوّل البلوغ الى ثلاثين اواربعين وهومفرد على لفظ الجمع ، اوجمع لاواحد له من لفظه ، اوواحده الشّدّة بالكسر كالنّعمة والانعم ، اوالشّدّ كالكلب والاكلب اوالشّدّ كالذّئب والاذؤب لكنّه لم يسمع هذان [وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفّٰى] جملة حاليّة اوعطف باعتبار المعنى كأنّه تعالى قال : منكم من يقرّ بمادّته فى الارحام ، ومنكم من يسقط ، ومنكم من يتوفّى قبل البلوغ اوحين البلوغ [وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ اِلٰى اَرْذَلِ الْعُمُرِ] اى ارذل اوقات العمر وهووقت الخرافة وعدم التّفطّن بدقائق المقصود والمصنوع وهو يختلف بالنّسبة الى الاشخاص فربّ معمّرٍ لايصير خرفاً فى المائة اواكثر ، وربّ رجلٍ يصير خرفاً فى الخمس والسّبعين ولذلك اختلف الاخبار فى بيان وقت ارذل العمر [لِكَيْ لَايَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا] اللّام للغاية لانّ عدم العلم بعد العلم من الغايات العرضيّة لا انّه علّة غائيّة لانّ العلّة الغائيّة للابقاء هى الاستكمال بالعلم والعمل ، لازوال العلم بعد الاستكمال به ، اوهو علّة غائيّة بمعنى انّ العلوم الدّنيويّة والادراكات البشريّة الحاصلة بالمدارك الدّنيويّة من الموذيات فى الآخرة ويبقى الله بعض عباده لان يضعف مداركه الدّنيويّة ويزول عنها مدركاتها ليكون على راحةٍ منها فى الآخرة ولذلك كان خيرابن آدم فى ان يبقى بعد البلوغ الى الشّيخوخة كما فى الخبر لانّ بقاء الادراكات الدّنيويّة موذٍ لصاحبها فى الآخرة، ونعم ماقيل:

سينهٔ خود را برو صد چاك كن دل از اين آلودگيها پاك كن

[وَتَرَى الْاَرْضَ هَامِدَةً] خالية عن النّبات والجملة خطاب لغير معيّنٍ وعطف على الجزاء ، اوعلى الشّرط والجزاء ، كأنّه خاطبهم جميعاً فى مقام الاستدلال على جواز البعث فقال : وترون الارض هامدة (الآية) اوالخطاب لمحمّدٍ (ص) وعطف باعتبار المعنى وتعريض بالمنكرين للبعث كأنّه قال : ترى النّطفة وتقليباتها واماتاتها واحياءاتها فكيف تنكر البعث وترى الارض هامدة؟! [فَاِذَا اَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ] تحرّكت ونشطت ، شبّه الارض فى استسقاء الماء وتحريك الحبوب والعروق للنّبت والنّموّ بمن شرب ونشط وتحرّك نشاطاً [وَرَبَتْ] انتفخت وارتفعت بالنّبات [وَاَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ] اى صنفٍ [بَهِيجٍ] حسن رائقٍ [ذٰلِكَ] المذكور من تقليبات النّطفة وطروّ حالاتها واماتاتها واحياءاتها وحيوة الارض بعد موتها بانزال الماء عليها [بِاَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ] يعنى بانّ للعالم مبدءً قادراً عليماً حكيماً ذاعنايةٍ ورأفةٍ بخلقه ولولاذلك المبدء لما وقع هذه التّقليبات الّتى يعجز عن ادراك دقائقها وادراك نضد اسبابها الحكماء العقلاء [وَاَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتٰى] يعنى بسبب انّ عادته تعالى احياء الموتى اىّ ميّتٍ كان فاذا لم يدع الارض الميتة ولا النّطفة الميتة ويحييهما فكيف يدع الانسان الّذى هو اشرف الكلّ

ولايحييه بعد موته [وَإِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] يعنى ذلك بسبب انّ شيمته احياء الموتى مع انّه قادرعلى ذلك فلايدع البتّة الانسان ميّتاً [وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ] يعنى ذلك بسبب انّ عالم المادّة برُمّتها متجدّدة ذاتاً وصفة من النّقص الى الكمال وهذا معنى كون الكون فى التّرقّى والمتجدّد من النّقص الى الكمال يخرج لا محالة من حجبه الّتى هى الحدود المانعة من الحضور عند ربّه والخارج من الحدود يقوم عند الرّبّ وليست السّاعة الّا القيام عند الرّبّ المضاف الّذى هو قائم آل محمّد (ص) [لَا رَيْبَ فِيهَا] لاينبغى الرّيب فيها اولايبقى الرّيب فيها بعد ملاحظة ترقّيات النّطف والحبوب والعروق اوجنس الرّيب منفىّ عنها بمعنى انّ من تصوّر السّاعة لا يرتاب فيها ، ومن ارتاب فيها لم يتصوّر السّاعة فالسّاعة غير مرتاب فيها ، والمرتاب فيها غير السّاعة [وَإِنَّ اللَّهَ] شيمته انّه [يَبْعَثُ] لامحالة [مَنْ فِي الْقُبُورِ] كما ترى من بعثه جميع القوى المكمونة فى النّطف والاراضى فكيف يدع الانسان الّذى هو اشرف الموجودات ولايبعث الارواح والقوى المكمونة فى بدنه [وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ] جملة حاليّة اومستأنفة اومعطوفة على مقدّر مثل سابقتها ، وتكريرها للاستغراق بكلّ منهما من جهة غير جهة الاخرى فتكون كلّ لافادة معنى غير مفاد الاخرى [بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ] .

اعلم ، انّ الانسان ذومراتب وادراكه فى كلّ مرتبة غير الادراك الّذى فى المرتبة الاخرى فانّه فى مقام نفسه المحتجبة عن المعانى الغيبيّة لايكون ادراكه الّا بصور المعلومات المغايرة للمعلومات المحتملة للمطابقة لها ولعدم المطابقة وفى هذه المرتبة تسمّى ادراكاته بالتّصوّر والاوهام والشّكوك والظّنون والعلوم العاديّة والتّقليديّة واليقينيّة ولكن فى عرف الشّرع تسمّى جملة تصديقاته الظّنّيّة واليقينيّة بالظّنون لماتكرّر سابقاً انّ العلوم فى تلك المرتبة لمّا كانت مغايرة للمعلومات ومنفكّة عنها وجائزاً زوالها كالظّنون تسمّى ظنوناً ، فان كان ادراكه بجولان نفسه وترتيب مقدّمات وفكر ونظر من نفسه يسمّى علماً برهانيّاً ، وان كان بالتّسليم والاخذ من الغير يسمّى تقليديّاً، والتّقليد امّا يكون بالاستماع من المقلّد اوبمشاهدة كتاب منه ، والى الثّلاثة اشار بقوله بغير علمٍ ولا هدىً ولا كتاب منيرٍ ، وقدّم العلم لانّه اشرف من التّقليد من حيث نفسه وان كان التّقليد من حيث الخروج عن الانانيّة والتّسليم اشرف منه فانّ العلم الحصولى لايخلو من شوب الانانيّة الّتى هى نحو من التّفرعن وادّعاء الآلهة ، وادّى العبارة بالهدى والكتاب المنير للاشعار بانّ التّقليد ان كان ممّن يصحّ تقليده بان يكون مجازاً من الله ومعلوماً صدقه يصحّ التّوسّل به والاعتماد عليه فى التّكلّم والجدال، وامّا ان كان ممّن لايصحّ تقليده من امثاله واقرانه ومن آبائه ومعلّميه فلايجوز الاعتماد عليه، ويجوز ان يراد بالكتاب المنير العلم الشّهودىّ الحضورىّ الّذى يكون فى مرتبة القلب والرّوح لصاحب الشّهود والعيان فانّ المشهود فى تلك المرتبة كالمكتوب الحاضر فى صفحة عند النّفس فى الاعيان، وعلى هذا يكون الاقسام الثّلاثة بترتيب الاشرف فالاشرف [ثَانِيَ عِطْفِهِ] كناية عن الاعراض والاستكبار [لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ] قرئ يضلّ من باب الافعال ، ومن الثّلاثىّ المجرّد ، وسبيل الله هو الولاية ، والنّبوّة ايضاً سبيل الله لانّها سبيل الولاية [لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ] بليّة فضيحة لانّ حال الجدل وارادة الغلبة على عباد الله والاستكبار عن العباد بلاء عظيم ولظى من جحيم وهولانهماكه فى غيّه لايستشعر بألمه [وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ] واختلاف المتعاطفتين بالاسميّة والفعليّة للاشعار بانّ الخزى لازم جداله غير محتاج الى جعل جاعلٍ وانّه ثابت له فى الدّنيا من دون اعتبار تجدّدٍ بخلاف عذاب الآخرة فانّه محتاج الى الجعل ومتجدّد كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها قائلين له

[ذٰلِكَ] الخزى والعذاب [بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ] بسبب الّذى قدّمته يداك، اوبتقديم بديكث شنائع الاعمال وليس بدون استحقاق واستعداد منكث فيكون ظلماً، ولمّا كان اكثر الاعمال جارية على اليدين نسب جميع الشّنائع من الافعال والاقوال والاحوال والاخلاق الى اليدين [وَأَنَّ اللّٰهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ] عطف على ما قدّمت يداك، ونفى الظّلم كناية عن العدل يعنى ذلكث بسبب انّه عادل والعدل يقتضى اعطاء كلّ مستحقّ حقّه وانّكث استحققت الخزى والعذاب، والظّلّام للنّسبة كالتمّار لاللمبالغة [وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللّٰهَ عَلٰى حَرْفٍ] الحرف الطّرف والجانب، شبّه العابد الشّاكّ فى امره المتزلزل فى عبادته بالغازى الغير العازم على القتال الشّاكّ المتزلزل من امر الغلبة الّذى يكون دائماً على طرف من الجنود فان كان فتح وغلبة يوافق الجند والّا يفرّ وصحّ تفسيره بالشّاكّ فى الله وبمن اقرّ بالله وشكّث فى محمّد (ص)، وبمن تزلزل فى امره وترقّب الخير والشّرّ بحسب دنياه كما قال [فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلٰى وَجْهِهِ] والمراد بالخير الخيرات البدنيّة وبالفتنة الشّرور البدنيّة، ويجوز ان يراد بالحرف الكسب يعنى من النّاس من يعبد الله مشتملاً على كسب منه للدّنيا والخيرات البدنيّة فى عبادته يعنى يجعل عبادته وسيلةً لدنياه فان اصابها اطمأنّ والّا انقلب مكبّاً على وجهه [خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ] خسر بمعنى ضلّ وصار مغبوناً وباع بنقصان رأس المال ونقص المال مثل اخسر فى الاخير، ونصب الدّنيا والآخرة على الظّرفيّة فى الجميع، اوعلى الظّرفيّة فى غير الاخير وعلى كونه مفعولاً به فى الاخير، اوعلى التّشبيه بالمفعول به فى الجميع، اوفى غير الاخير مثل حسن الوجه بنصب الوجه، وخسرانه فى دنياه بانفاد عمره الّذى هو بضاعته الثّمينة بلاعوض فانّ العوض فى الدّنيا هو التّلذّذ بمناجاة الله وفراغ القلب عمّا يشوّشه وطهارته عن الحقد والحسد والبخل وسائر الرّذائل، وفى الآخرة نعيمها وجنّاتها ورضوان من الله وهو اكبر، وهذا العابد محروم من الكلّ، على انّه لايستلذّ بمستلذّاته الحيوانيّة ايضاً فى الدّنيا لعدم اطمينانه واضطرابه فى كلّ حال [ذٰلِكَ] الخسران الّذى هو الحرمان عن مستلذّات الانسان فى الدّنيا والآخرة، وعن مستلذّات الحيوان [هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ] اى من دون اذن الله اومن للتّبعيض والظّرف مستقرّ حال من قوله [مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ] لانّ مدعوّه ومعبوده فى الحقيقة هوى نفسه وهويزعم انّه يعبد الله فى طرف من الدّين وهوى نفسه لا يقدر على ضرّه ولاعلى نفعه والآية تعريض بمن اقرّ بمحمّد (ص) ورسالته ولم يقرّ بقوله فى علىّ (ع) ولابعلىّ (ع) [ذٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ] نسبة البعد الى الضّلال مجاز عقلىّ والحصر ههنا وفى قوله ذلك هو الخسران المبين حقيقىّ اوادّعائىّ [يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ] يدعو بتضمين يقول، ولمن ضرّه مبتدء واللّام موطّئة للقسم وقوله [لَبِئْسَ الْمَوْلٰى] خبره ولامه لام جواب القسم اخّرت الى الخبر كراهة الجمع بين اللّامين كما قيل، اوخبر الموصول محذوفٌ اى يقول من ضرّه اقرب من نفعه مولاى ولبئس المولى ابتداء كلام، اوبتضمين يزعم اويعلم ويكون الجملة بجزئيها مفعولين له يعنى بعد ما يظهر له فى الآخرة امر مدعوّه يقول اويعلم من ضرّه اقرب من نفعه بئس المولى ويكون الفعل اذا كان بمعنى يزعم اويعلم ويكون الجملة بجزئيها مفعولين له يعنى بعد مايظهر له فى الآخرة امر مدعوّه يقول اويعلم من ضرّه اقرب من نفعه بئس المولى ويكون الفعل اذا كان بمعنى يزعم اويعلم معلّقاً عن مفعوليه بواسطة اللّام، اويدعو تأكيد ليدعوا السّابق واللّام موطّئة مثل السّابق الّا انّه لاتعلّق حينئذ للجملة بيدعو [وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ] المعاشر المصاحب [إِنَّ اللّٰهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] كان الاوفق بالمقابلة ان يقول: ومن النّاس من يؤمن بالله

ويعمل الصّالحات لكنّه عدل الى هذه العبارة لافادة هذا المعنى وجزائهم بعبارة واحدة ولتشريفهم بالابتداء بجزائهم وبعدم جعلهم قريناً ومقابلاً لغيرهم من الاصناف الماضية كأنّهم اشرف من ان يذكروا مقابلين لهم والمراد بالايمان الايمان العامّ الّذى هو بمعنى الاسلام الّذى لايحصل الّا بالبيعة العامّة النّبويّة وقبول الدّعوة الظّاهرة فيكون العمل الصّالح اشارة الى البيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة والايمان الخاصّ الّذى لايحصل الّا بالبيعة الخاصّة، او المراد به الايمان الخاصّ فيكون العمل الصّالح اشارة الى العمل بما اخذ عليه فى بيعته فانّ الله يدخل الّذين آمنوا بالبيعة على يد علىّ (ع) ودخول الايمان فى قلبه وامتيازه عن غيره بحصول فعليّة الولاية فى وجوده [جَنّٰاتٍ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰارُ] قد مرّ مراراً بيان كيفيّة جريان الانهار من تحت الجنّات [اِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مٰا يُرِيدُ] لا مانع له من مراده وقد مرّ هذه الآية مع تفصيل تامّ فى بيانها عند قوله تعالى: ولكنّ الله يفعل ما يريد من سورة البقرة [مَنْ كٰانَ يَظُنُّ اَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللّهُ فِى الدُّنْيٰا وَالْاٰخِرَةِ] اى من كان من النّاس يظنّ ان لن ينصره الله فيغيظه ذلك او من يطرؤ عليه مايغيظه فيظنّ ان لن ينصره الله [فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ] اى بحبل [اِلَى السَّمٰاءِ] سماء بيته ليختنق نفسه [ثُمَّ لْيَقْطَعْ] نفسه بالاختناق [فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ] فى اختناق نفسه [مٰا يَغِيظُ] اى مايغيظه اوفليمدد بسبب اى حبل الى السّماء الدّنيا فليجتهد فى الوصول الى السّماء ثمّ ليقطع اى ليستعمل تميزه فلينظر هل يذهبنّ كيده وحيلته مايغيظ، اومن كان من المؤمنين يظنّ ان لن ينصره الله محمّداً (ص) فيغيظ لذلك فليمدد بسبب الى سماء بيته لاختناق نفسه او السّماء الدّنيا الحيلة نصر محمّد (ص) ثمّ ليقطع نَفَسَهُ اوليميز فلينظر، اومن كان من الكافرين او المنافقين يظنّ ان لن ينصره الله محمّداً (ص) وكان يغيظ لظنّ نصره فليمدد بسبب الى سماء بيته لاختناق نفسه، اوالى السّماء الدّنيا لدفع نصره فلينظر (الى آخر الآية) [وَكَذٰلِكَ] الانزال فى بيان البعث مع البرهان الواضح على بيانه وفى بيان حال المجادل فى الله بغير دليل والعابد على حرف من الدّين والمؤمن الثّابت على الدّين [اَنْزَلْنٰاهُ] اى القرآن [اٰيٰاتٍ بَيِّنٰاتٍ] واضحات اوموضحات لحال النّاس وصفات الله وخلفائه [وَاَنَّ اللّهَ يَهْدى مَنْ يُرِيدُ] عطف على كذلك بتقدير اللّام اوعطف على الضّمير المفعول اى انزلنا اليك انّ الله يهدى من يريد، وفاعل يريد ضمير للموصول او لله [اِنَّ الَّذِينَ اٰمَنُوا] اى اسلموا بالبيعة على يد محمّد (ص) فانّ الايمان صار اسماً للاسلام فى بدو الاسلام لكون المسلم مشرفاً على الايمان [وَالَّذِينَ هٰادُوا] كانوا على اليهوديّة [وَالصّٰابِئِينَ] الخارجين عن الدّين وهم الّذين عبدوا الكواكب، وقيل: انّهم يزعمون انّهم على دين نوح (ع) [وَالنَّصٰارىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ اَشْرَكُوا] الاصنام اوغيرها بالله [اِنَّ اللّهَ يَفْصِلُ] اى يميّز [بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ] وان كانوا فى الدّنيا متشابهين غير ممتازين وانّ الثّانية مع مدخولها خبر لانّ الاولى [اِنَّ اللّهَ عَلىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ] استيناف فى مقام التّعليل [اَلَمْ تَرَ] منقطع عن سابقه لفظاً ومعنىً اومرتبط بسابقه جواب لسؤال مقدّر فى مقام التّعليل للتّميز بين الفرق المختلفة ولقدرته على كلّ شيء كأنّه قيل: هل يقدر على التّمييز بين النّفوس الكثيرة المتشابهة مع كثرتها وشدّة تشابهها؟- فقال: يقدر على ذلك لانّك ترى كلّ النّفوس البشريّة بل كلّ الموجودات العلويّة والسّفليّة مع كثرتها وتشابهها مسخّرة له ساجدة له، والخطاب لمحمّد (ص) وحينئذ يكون الرّؤية على معناها والاستفهام للانكار والتّقرير على المنفىّ، او الخطاب لغير معيّن ويكون الاستفهام للتّوبيخ يعنى لاينبغى لك ان لاترى [اَنَّ اللّهَ يَسْجُدُ لَهُ] اى يخضع

غاية الخضوع، والخضوع فی كلّ بحسبه، وغاية الخضوع للمختارين ان يخرجوا من اراداتهم واختياراتهم وانانيّاتهم، ويدخلوا تحت اختيار المسجود له وانانيّته، ولمّا كان السّقوط على التّراب ظهور ذلك الخروج سمّى سجدة الصّلوة سجوداً، ولمّا كان كلّ الموجودات بفطرة وجودها مسخّرة تحت امر الحقّ تعالى كان الكلّ ساجدة له بفطرة وجودها فيسجد له [مَنْ فِي السَّمٰوٰاتِ] جملة تكويناً واختياراً [وَمَنْ فِي الْأَرْضِ] تماماً تكويناً وبعضهم اختياراً ايضاً [وَالشَّمْسُ] بجريها [وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبٰالُ وَالشَّجَرُ] مطلق ماينبت من الارض اوخصوص ماله ساق كما هو معناه اللّغوىّ [وَالدَّوٰابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النّٰاسِ] عطف على من فی السّموات فيكون المعنى وكثير من النّاس اختياراً، اومبتدء خبره ما بعده والجملة معطوف على جملة الم تر [وَكَثِيرٌ] ابتداء كلام على ان يكون كثير من النّاس من عطف المفرد، اوتكرير وتأكيد للاوّل [حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذٰابُ] خبر للاوّل اوالثّانى [وَمَنْ يُهِنِ اللّٰهُ فَمٰالَهُ مِنْ مُكْرِمٍ] جملة معطوفة اوحاليّة [إِنَّ اللّٰهَ يَفْعَلُ مٰايَشٰاءُ] فی مقام التّعليل قد مضى فی سورة البقرة عند قوله تعالى ولكن اللّه يفعل مايريد بيان تامّ لهذه الآية [هٰذٰانِ خَصْمٰانِ] مستأنف جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: ما حال من يجادل فی اللّه والمؤمنين الّذين يجادلون الكفّار معهم فی اللّه؟- فقال: هذان خصمان والخصم فی الاصل مصدر يطلق على المؤنّث والمذكّر والمثنّى والمجموع، اوهو وصف كذلك وقد يثنّى ويجمع كماهنا [اخْتَصَمُوا] اى تجادلوا [فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا] يعنى الّذين يجادلون فی اللّه بغير علم [قُطِّعَتْ] كناية عن الخياطة واستعمله ههنا تهكّماً واستهزاءً [لَهُمْ ثِيٰابٌ مِنْ نٰارٍ] واتى بالماضى للاشعار بتحقّق وقوعه [يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ] الحميم الماء الحارّ والماء البارد ضدّ [يُصْهَرُ بِهِ] اى يشوى اويذاب به [مٰافِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ] يعنى يصل اثره من ظاهرهم الى باطنهم فيشوى باطنهم وظاهرهم، وتقديم الباطن للاهتمام به فی مقام التّهديد [وَلَهُمْ] اى خاصّة بهم [مَقٰامِعُ] جمع المقمَعة كالمكنسة العمود من الحديد وجمع المقمع كالمكحل الخشبة الّتى يضرب بها رأس الفيل [مِنْ حَدِيدٍ] التّقييد به للتّصريح بانّه جمع المقمعة لا المقمع [كُلَّمٰا أَرٰادُوا اَنْ يَخْرُجُوا مِنْهٰا] اى من النّار اومن المقامع بمعنى الخروج من عذابها [مِنْ غَمٍّ] لا من شوق فانّهم ان اشتاقوا وارادوا الخروج من شوق الى المراتب العالية خرجوا لامحالة فانّ قائد الشّوق يقودهم ولايدعهم فی الجحيم [أُعِيدُوا فِيهٰا] بتلك المقامع [وَ] يقال لهم [ذُوقُوا عَذٰابَ الْحَرِيقِ] اى النّار الحريق المحرقة على ان يكون الحريق اسماً للمصدر اووصفاً يستوى فيه المذكّر والمؤنّث، اوعذاب الماء الحميم الحريق [إِنَّ اللّٰهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ] كان حقّ العبارة ان يقول والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات قطّعت لهم ثياب من النّعيم اولهم جنّات (الى آخرها) لكنّه عدل الى هذه العبارة تشريفاً للمؤمنين بجعلهم ارفع شأناً من ان يجعلوا قريناً للكافرين، وافادة لهذا المعنى مع تشريفهم بنسبة معاشرة الجزاء الى اللّه، واشعاراً بانّ جزاء الكافرين من لوازم اعمالهم وجزاء المؤمنين بمحض التّفضّل من اللّه، ولم يقتصر على الايمان كما اقتصر فی جانب الكفّار على الكفر لانّ الكفر كان فی العقوبة بخلاف الاسلام فانّه ان لم يقترن بالعمل الصّالح الّذى هو الولاية اومن جملته الولاية لم يكف فی الجزاء بل كان صاحبه مثل المرجين لامر اللّه غير محكوم عليه بشيءٍ الى وقت الموت بخلاف من تولّى عليّاً فانّهم محكوم عليهم بأنّهم يدخلهم اللّه [جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ] قد مضى مكرّراً انّ المراد

من تحت عماراتها اواشجارها اوقطعها او المراد بالانهار الانهار المعنويّة تجرى من كلّ مرتبة على مادونها من مراتب الجنان الى عالم الطّبع [يُحَلَّوْنَ فيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً] قرئ بالنّصب وبالجرّ [وَلِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ وَهُدُوا اِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ] يعنى ارشدهم الله الى الاقوال الّتى يطيب بهانفوسهم من الاذكار والتّحيّات والافكار والتّخيّلات وهومثل جملة لباسهم فيها حرير عطف على تجرى، اويحلّون ان لم يكن جملة يحلّون صفةً بعدصفة، اوهما مع جملة يحلّون احوال مترادفة اومتداخلة، واذاكان معناه يهدون فيها الى الطّيّب من القول فالاتيان بالماضى لتحقّق وقوعه، وان كان معناه هدوافى الدّنيافهو على معناه [وَهُدُوا اِلى صِراطِ] الله [الْحَميدِ] اتى بعنوان الحميد للاشارة الى انّ المؤمن العامل بالصّالحات لاستكماله فى اوصافه الحميدة وجنوده الكثيرة يهدى الى الله من حيث محموديّته بخلاف المجذوب الغير العامل فانّه يهدى اليه من حيث سبّوحيّته وقدّوسيّته ولذلك قال تعالى خطاباً لنبيّه (ص) قل ان كنتم تحبّون الله فاتّبعونى يعنى فاستنّوا بسنّتى واعملوا بعملى تصيروا مثل الله متّصفين بالصّفات الحميدة ويحببكم الله حينئذ لاتّصافكم بصفاته وكان المشايخ الحقّة من السّلف والخلف يأمرون السّلاك بحفظ النّواميس الشّرعيّة والعمل بجميع الفرائض والسّنن الواردة فى الشّريعة فلايصغى الى ماقالته المتصوّفة من القلندريّة الاباحيّة انّ الشّريعة حجاب، وانّ العارف لاحاجة له الى العمل، وانّ الواصل اذاعمل كان العمل منه قبيحاً [اِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا] منقطع لفظاً ومعنىً عن سابقه، اوجواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: قد عرفنا حال الكافر المطلق والمؤمن فما حال الكافر الصّادّ عن سبيل الله؟ـ فقال: انّ الّذين كفروا [وَيَصُدُّونَ] اتى بالمضارع اشعاراً بانّ الكفر امر وحدانىّ ثابت بخلاف الصّدّ فانّه امر متجدّد الحصول، وللاشارة الى انّ الكافر يصير شيمته الصّدّ على سبيل الاستمرار التّجدّدى [عَنْ سَبيلِ اللهِ] هوسبيل القلب الّذى تكوينيّةٌ ولاية تكوينيّة وتكليفيّةٌ ولاية تكليفيّة ولا سبيل لله سواه، وكلّما عدّ سبيل الله اوفسّر سبيل الله به فهوسبيل الله لكونه سبيلاً الى سبيل القلب [وَالْمَسْجِدِ الْحَرامِ] الصّورىّ اوالمعنوىّ و هوالقلب [الَّذى جَعَلْناهُ لِلنّاسِ سَواءً] مفعول ثان لجعلنا اوحال وقوله [الْعاكِفُ فيهِ] مرفوعه سواء جعل سواء وصفاً اومصدراً فى معنى الوصف وقد مضى وجه كون الكعبة موضوعاً لانتفاع النّاس فى آل عمران، وقرئ سواء بالرّفع فيكون خبراً مقدّماً اومبتدءً مكتفياً بمرفوعه عن الخبر [وَالْبادِ] باسقاط الياء فى الوقف واجرائه حال الوصل على الوقف والمراد بالبادى مطلق المسافر يعنى الخارج الى البادية سواء سكن البادية ام لا، والمراد بالمسجد الحرام الحرم وما حواه اومكّة اوالمسجد نفسه وفى اخبارنا تصريحات بانّ المراد مكّة ودورها لايجوز اخذ الاجر عليها ولايجوز ان يجعل عليها ابوابٌ وانّ اوّل من جعل على داره مصراعين معاوية وانّه صاحب السّلسلة الّتى قال الله تعالى: فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً، وكان الطّارين اذا قدموا نزلوا على الحاضرين فى دورهم، وقرئ العاكف بالجرّ بدلاً من النّاس وحذف خبر انّ اتّكالاً على جزاء مايأتى من قوله [وَمَنْ يُرِدْ فيهِ] اى من يرد فى المسجد اوفى سبيل الله شيئاً حذف المفعول لارادة التّعميم [بِاِلْحادٍ بِظُلْمٍ] بدل من قوله بالحاد اوصلة للالحاد اوهما حالان متداخلان اومترادفان، او بالحاد صلة يرد وبظلم حال، وقرئ يرد بفتح الياء من ورد [نُذِقْهُ مِنْ عَذابٍ اَليمٍ وَاِذْ بَوَّأْنا] واذكر اوذكّر قومك اذ بوّأنا [لِاِبْراهيمَ] اى عيّنّا على ما ورد انّ الله أرسل ريحاً فكنس مكان البيت فظهر اسّ البيت الّذى نزل لآدم (ع) من الجنّة فبنى ابراهيم (ع) البيت على ذلك اولام لابراهيم زائدة [مَكانَ الْبَيْتِ] اى بيت الكعبة ولمّا كان الظّاهر عنوان الباطن فابواء ابراهيم (ع) مكان البيت

اوتعيينه له كان عنواناً لايوائه الى القلب وتعيين محلّ القلب له لينجذب اليه ويخلص التّوحيد له ولذلك قال تعالى [أَنْ لَاتُشْرِكْ] انتفسيريّة لكون بوّأنا فى معنى القول اومصدريّة بتقدير اللّام [بِى شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِىَ] الظّاهر والباطن من الاصنام الظّاهرة والباطنة ومن النّجاسات الظّاهرة ولوث الرّذائل الباطنة [لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ] الدّاعين لله فى القيام وبالقيام عنده او القائمين بامور العباد الكافين لهم [وَالرُّكَّعِ] الخاضعين لله او المنحنين لمرمّة معاشهم والمكبّين على وجوههم غير مرتفعين رؤسهم، او المفتقرين المحتاجين بحسب الدّنيا او الآخرة [السُّجُودِ] المتواضعين غاية التّواضع او المبتلين بمرمّة معاشهم بحيث لا يمكنهم الخلاص منها فى الكبير او الصّغير [وَأَذِّنْ] بالغ فى الاعلام [فِى النَّاسِ] لم يقل اذّن النّاس للاشعار بانّ اعلامه لم يكن للجميع بل لمن شاءالله ان يسمعه نداء ابراهيم فانّه روى انّ ابراهيم (ع) صعدابا قبيس فقال : ياايّها النّاس حجّوا بيت ربّكم فأسمعه الله من فى اصلاب الرّجال وارحام النّساء فيما بين المشرق والمغرب ممّن سبق فى علمه ان يحجّ وليس المراد من كان فى زمانه فى اصلاب الرّجال وارحام النّساء بل من كان يقع فى اصلاب الرّجال وارحام النّساء الى يوم القيامة وذلك انّ ابراهيم (ع) نادى بلسانه الملكوتىّ وندائه الملكوتىّ وسمع من سمع باذنه الملكوتىّ وكلّ النّاس كانوا قبل هذا العالم فى العوالم العالية من العوالم الملكوتيّة والجبروتيّة من النّفوس والعقول، فمن سمع فى تلك العوالم بتلك الآذان اجاب ، ومن لم يسمع وكان اصمّ من ذلك النّداء فى تلك العوالم لم يجب ولم يحجّ فى هذا العالم ، وعلى هذا جاز تفسير اصلاب الرّجال وأرحام النّساء بالعوالم العالية من العقول والنّفوس وان يكون وجودهم فى الاصلاب والارحام كناية عن وجودهم الاجمالىّ فى العقول و النّفوس من دون تفصيلٍ و تمييزٍ ، و روى انّه لمّا امر ابراهيم و اسماعيل ببناء البيت وتمّ بناؤه قعد ابراهيم (ع) على ركن ثمّ نادى : هلمّ الحجّ فلو نادى هلمّوا الى الحجّ لم يحجّ الّا من كان يومئذٍ انسيّاً مخلوقاً ولكن نادى هلمّ هلمّ الحجّ الحجّ فلبّى النّاس فى اصلاب الرّجال لبّيك داعى الله لبّيك داعى الله ، فمن لبّى عشراً حجّ عشراً ، ومن لبّى خمساً حجّ خمساً ، ومن لبّى اكثر فبعدد ذلك ، ومن لبّى واحدةً حجّ واحدةً ، ومن لم يلبّ لم يحجّ ، وفى خبرٍ فأسمع من فى اصلاب الرّجال وارحام النّساء الى ان تقوم السّاعة ، وورد فى الخبر انّ الخطاب فى قوله تعالى اذّن فى النّاس لمحمّدٍ (ص) فعن الصّادق (ع) انّ رسول الله اقام بالمدينة عشر سنين لم يحجّ ثمّ انزل الله تعالى واذّن فى النّاس بالحجّ (الآية) فأمر المؤذّنين ان يؤذّنوا بأعلى اصواتهم بانّ رسول الله (ص) يحجّ فى عامه هذا ، فعلم به من حضر بالمدينة واهل العوالى والاعراب واجتمعوا لحجّ رسول الله وانّما كانوا تابعين ينظرون ما يؤمرون به فيتّبعونه او يصنع شيئاً فيصنعونه [بِالْحَجِّ] اى بقصد البيت للمناسك المخصوصة [يَأْتُوكَ] لم يقل يأتوا البيت للاشارة الى انّ المقصود من تشريع الحجّ زيارة القلب وصاحبه لا زيارة البيت واحجاره كما انّ فى قوله و اجعل افئدة من النّاس تهوى اليهم اشارة الى ذلك، والى هذا اشار الباقر (ع) حين رأى النّاس يطوفون حول الكعبة بقوله: هكذا كانوا يطوفون فى الجاهليّة انّما امروا ان يطوفوا ثمّ ينفروا الينا فيعلمونا ولايتنا و مودّتهم و يعرضوا علينا نصرتهم [رِجَالًا] اى مشاة قرئ بكسر الرّاء و تخفيف الجيم وضمّها وتخفيف الجيم وتشديده وكسكارى [وَ] محمولين بانفسهم واحمالهم [عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ] لمّا كان ما حول مكّة برار بعيدة خالية من الماء والعشب وكان كلّ فرس اوجمل اواستر اوحمار يأتى الى مكّة بضمر ويلصق بطنه بظهره

ادّاه بلفظ الضّامر، ولمّا لم يكن الآتون يستوعبون بافرادهم جميع الضّامرات الّتى فى العالم وصفه بقوله [يَأْتِينَ] يعنى يأتين لقصد صاحبيهنّ مكّة [مِنْ كُلِّ فَجٍّ] اى طريق واسع وهو فى الاصل الطّريق الواسع بين الجبلين لكن اتّسع واستعمل فى مطلق الطّريق [عَمِيقٍ] اى بعيد يعنى من كلّ فجّ فى اطراف مكّة لا فى العالم، وهذه التّقييدات خلاف ظاهر الآية ولابدّ منها لتصحيح تنزيلها، فانّ ظاهر الآية هكذا اذّن فى النّاس جميعاً فانّ اللّام فى مثله ليس الّا للاستغراق يأتوك باجمعهم رجالاً وركباناً على كلّ ضامر فى العالم يأتين من كلّ فجّ عميق فى العالم، والحال انّه مااتوا اولايأتى جميع النّاس ولاكلّ الضّامرات يأتين ولاكلّ الضّامرات الآتيات يأتين الى مكّة ولاكلّ الآتيات الى مكّة مركوبات للحاجّين ولاكلّ المركوبات للحاجّين يأتين من كلّ فجّ عميق فى العالم، لكنّه لمّا اراد التّنبيه على التّأويل ادّى الآية بهذه العبارة فانّها باطلاقها وعمومها فى جميع الفاظها صحيحة بحسب التّأويل؛ لانّه اذا اذّن ابراهيم (ع) الّذى فى العالم الصّغير اومحمّد(ص) فيه بلسان الرّسالة اوالولاية فى النّاس فى العالم الصّغير بحجّ بيت الله الحرام الّذى هو القلب اسمع الله تعالى نداءه لجميع القوى الانسانيّة الموجودة والمكمونة المجرّدة عن الاختلاط بالقوى الحيوانيّة والمختلطة بها البعيدة من حرم الصّدر المنشرح بالاسلام المحتاجة فى سيرها الى مكّة القلب الى ركوب القوى الحيوانيّة، وهيّج الله بعد الاسماع جميع القوى الانسانيّة الّتى هى افراد الانسان فى العالم الصّغير واتوا الى القلب وصاحبه وكان الحاضرون حول حرم الصّدر وبيت القلب مشاة فى مجيئهم لعدم اختلاطهم بالقوى الحيوانيّة وعدم احتياجهم الى ركوبها، وكان المتباعدون عن الحرم والبيت راكبين ومختلطين بالقوى الحيوانيّة ولذلك كان الحجّ ماشياً لاهل الحرم افضل ويتدرّج الى الفعليّة القوى المكمونة الغير الخارجة من القوّة الى الفعل، وبعد الخروج من القوّة الى الفعليّة تأتى الى بيت الله وتطوف حول القلب مشاةً وركباناً [لِيَشْهَدُوا] اى ليحضروا [مَنَافِعَ لَهُمْ] دينيّة ودنيويّة فانّ الآتى الى مكّة يعمّه الرّحمة الالهيّة الّتى تنزل من الحقّ على الحاجّين والمغفرة والبركات النّازلة ايّام الحجّ وبواسطتها يحصل له البركات الدّنيويّة وينتفع بلحوم الاضاحى، وتنكير المنافع للاشعار بانّ المراد المنافع الحاصلة فى ايّام الحجّ [وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ] قيل هى العشر الاوّل من ذى الحجّة وهى الايّام المعيّنة لمناسك الحجّ، وقيل: هى ايّام التّشريق يوم النّحر وثلاثة بعده، وقيل: انّ المراد بالذّكر ههنا التّسمية على الاضحيّة، وقيل: المراد بالذّكر الذّبح لانّ صحّة الذّبح بالذّكر فسمّى به، والحقّ انّ المراد مطلق ذكر الله سواء كان بالتّلبية فى الاحرام اوبالتّضرّع والدّعاء فى ايّام الحجّ، اوبتذكّر القيام عند الله فى القيامة بواسطة مشاهدة حال الاحرام الّذى هو تذكير للقيام عند الله فى المحشر، اوبالذّكر عند الذّبح، اوبالتّكبيرات عقيب الصّلوات الخمس عشرة اوّلها صلوة الظّهر من يوم النّحر، والايّام المعلومات هى ايّام الحجّ من اوّل الاحرام بالحجّ الى آخر ايّام التّشريق لانّ من احرم بالحجّ علم انّه لايفرغ من مناسكه الّا بعد ايّام التّشريق فى النّفر الاوّل اوفى النّفر الثّانى [عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ] وقد مضى فى اوّل سورة المائدة بيان لبهيمة الانعام، وتقييد الذّكر بقوله على ما رزقهم من بهيمة الانعام يشعر اشعاراً ما بانّ المراد الذّكر على الذّبح [فَكُلُوا مِنْهَا] اباحة اوندب للاكل وليس الامر للوجوب [وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ] المراد منه هو الواقع فى الشّدّة لفقره ولذلك اضاف اليه [الْفَقِيرَ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ] التّفث الشّعث والاغبرار وقضاؤه ازالته بالغسل والحلق وقلم الاظفار والطّيب، اوالمراد بالتّفث مناسك الحجّ اوالاحلال من الاحرام، اوما يلزم الانسان فى الاحرام من تبعة قول اوفعل، وقضاؤه تداركه بما يكفّره، اوالمراد بالتّفث التّعلّقات النّفسانيّة الباقية على الانسان فى الاحرام وقضاؤه بلقاء الامام(ع) فانّ من

لقى امامه بملكه اوملكوته ينسلخ من تعلّقاته ، وفى الاخبار اشارة ما الى كلّ [وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ] الّتى نذروها فى ايّام الحجّ اوقبل الحجّ للحجّ ، اوقبل الحجّ مطلقاً ، او المراد بالنّذور الكفّارات الّتى تلزم مرتكبى المنهيّات فى ايّام الحجّ او المراد مطلق الكفّارات ، او المراد المناسك فانّها كالنّذور تلزم الانسان بعد الشّروع بوجه [وَلْيَطَّوَّفُوا] اى ليبالغوا فى طواف البيت اوليكثروا الطّواف بالبيت بعد ما تطهّروا بحسب الظّاهر من الشّعث اللّازم للاحرام وحلقوا وازالوا الوسخ الظّاهر والوسخ الباطن من الكفّارات والتّعلّقات بلقاء الامام بملكه وبلقائه بملكوته فانّ لقاء الامام بملكوته وهو المعرفة بالنّورانيّة باب الوصول الى القلب الّذى هو بيت الله فليطّوّفوا [بِالْبَيْتِ] الظّاهر والباطن ولا يدخلوا الّا بعد الطّواف به الطّواف الواجب [الْعَتِيقِ] القديم فانّه اوّل بيتٍ وضع للنّاس بظاهره كما فى الاخبار انّه نزل من الجنّة لآدم(ع)، وبباطنه فانّ القلب الصّنوبرىّ فى ملك البدن العنصرىّ اوّل بيتٍ وضع للنّاس فى العالم الصّغير، والقلب الرّوحانىّ كذلك ، اوالعتيق من الغرق والعتيق من الكثرات وتعلّقاتها ، اوالعتيق من تسلّط الجبابرة عليه فى الصّغير والكبير [ذٰلِكَ] خبر مبتدءٍ محذوفٍ اومبتدء خبرٍ محذوفٍ اى الامر ذلك او ذلك كذلك اومفعول فعلٍ محذوفٍ اى خذ ذلك [وَمَنْ يُعَظِّمْ] عطف اوحال [حُرُمٰاتِ اللهِ] جمع الحرمة اوالحرم بالضّمّ والسّكون اوالحرم بالضّمّتين الّذى هو جمع الحرام، اوالحرم بكسر الحاء اوالحرمات جمع الحرمة بضمّتين، اوالحرمة كالهمزة ، وحرمات الله مايحرم انتهاكه من امرٍ ونهىٍ ومكانٍ وزمانٍ وغيرها كالحرمين والاشهر الحرم والايّام المتبركة والشّرائع الالهيّة والكتب السّماويّة والاخبار النّبويّة والولويّة والبيعة النّبويّة و الولويّة ، والمشاهد المشرّفة و المؤمن و نفس الايمان و خلفاء الله من الانبياء و اوصيائهم (ع) ، و ما ورد و قيل من اختصاصها ههنا بمناسك الحجّ اوالبيت الحرام والبلد الحرام والشّهر الحرام بقرينة ذكرها فى ذيل آية الحجّ انّما هو بيان للمنظور و تخصيص له والّا فمفهومها عامّ وبعمومه ورد ، لكنّ المقصود المنظور فى ذلك المقام هو هذه المذكورات [فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ] اى فالتّعظيم خيرٌ له من ترك التّعظيم لامن هتك الحرمة فانّه شرٌّ له اوالخير منسلخ عن معنى التّفضيل [عِنْدَ رَبِّهِ] لانّ تعظيم الحرمات قلّما ينفكّ فى الدّنيا عن تلف الاموال اوتعب الانفس [وَاُحِلَّتْ لَكُمُ الْاَنْعٰامُ] اى الازواج الثّمانية [اِلّٰا مٰا يُتْلٰى عَلَيْكُمْ] اى تحريمه من الميتة وما اهلّ لغير الله به والمنخنقة (الى آخر الآية) ومن البحيرة والسّائبة (الى آخر الآية) [فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ] الرّجس بكسر الرّاء وسكون الجيم وبالتّحريك وبفتح الرّاء وكسر الجيم القذر والمأثم وكلّ ما استقذر من العمل ، والعمل المؤدّى الى العذاب والشّكّ والعقاب والغضب ويصحّ التّفسير بكلٍّ ، ويكون معنى من فى قوله تعالى [مِنَ الْاَوْثٰانِ] فى كلٍّ مناسباً له ، وفسّر الرّجس من الاوثان فى الخبر بالشّطرنج [وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ] تكرار الامر بالاجتناب للاشعار بانّ كلّاً مأمور باجتنابه على حياله ، والزّور بالضّمّ الكذب والشّرك بالله ومجلس الغناء ونفس الغناء وما يعبد من دون الله وقد فسّر الآية بشهادة الزّور وبمطلق القول الكذب وبما كان المشركون يقولونه فى تلبيتهم من قولهم لبّيك لاشريك لك الّا شريكاً هو لك تملكه وماملك وبالغناء وسائر الاقوال الملهية، وفى الاخبار تصريح ببعضها والحقّ انّه لااختصاص للوثن بالصّنم المصنوع بل كلّما ينظر اليه ويتعلّق القلب به فهو وثن للنّفس بل كلّ هوىً واقتضاءٍ من النّفس وكلّ رأيٍ وانانيّةٍ منها صنمها ، ولااختصاص للقول المسبّب اوالسّبب للزّور والانحراف عن الحقّ بالغناء وشهادة الزّور بل افعال القوى لنّباتيّة والحيوانيّة والانسانيّة وآثار الاعضاء البدنيّة وادراك المدارك الظّاهرة والباطنة والاحوال والاخلاق النّفسانيّة

والخطرات القلبيّة وتصرّفات الواهمة كلّها اقوال القوى ، فاذاكان هذه على سبيل الاستقامة الانسانيّة يعنى كانت متّصلة بطريق الولاية اومنتهية اليها كانت اقوال الصّدق ، واذا لم تكن على ذلك كانت اقوال الزّور كائنة ماكانت؛ وعلى هذا كان المعنى فاجتنبوا الرّجس الّذى هو انانيّة النّفس الّتى هى صنمها الحقيقى وكلّما يتبعها من الاهوية الكاسدة والمعبودات الباطلة والمنظورات الفانية ، واجتنبوا كلّ قولٍ اوفعلٍ اوخاطرٍ اوخيالٍ اوتخيّلٍ يكون سبب الانحراف عن الحقّ اومسبّباً عن الانحراف ، ولـمّا كان الاجتناب قيداً وريناً للنّفس وحاصلاً لها من انانيّةٍ ما ، وموروثاً لانانيّةٍ اخرى اذاكان بالتفاتٍ من النّفس وهوىً منها والمطلوب التّجرّد من الانانيّة مطلقة والتّطهّر من الهوى ولوكان هوى التّقرّب الى الله قال تعالى [حُنَفَاءَ] اى خالصين من الانانيّة والهوى ولوكان هوى الخلاص من الهوى [لِلّٰهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ] تأكيد لحنفاء [وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللّٰهِ] باىّ نحو من الاشراك حتّى الاشراك بهوى الاجتناب من الهوى [فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ] تشبيه للمعقول بالمحسوس لانّ الانسان من سماء الاطلاق وبالاشراك والتّقيّد ينزّل عن سماء الاطلاق الى ارض التّقيّد [فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ] اى طير الاهوية والآمال [أَوْ تَهْوِى] عطف على خرّ اوعلى تخطفه وهو الاوفق [بِهِ الرِّيحُ] اى ريح الشّهوات والغضبات والجهالات الشّيطانيّة [فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ] اى بعيد شبّه المشرك فى حالاته بمن سقط من السّماء فانّ اللّطيفة السّيّارة الانسانيّة بالاشراك والانانيّة تسقط من سماء الاطلاق الى ارض التّحدّد وبعد سقوطه الى مقام التّعيّن والانانيّة امّا يتصرّف فيها الآمال والبخل والحسد وامثالها الّتى هى تتولّد فى الانسان من تركّب الشّهوة والغضب والشّيطنة ، اوتتصرّف فيها الشّهوة ، اوالغضب ، اوالشّيطنة الّتى هى كالبسائط فشبّه المتصرّف فيه الآمال والحسد وامثالها الّتى هى كالمواليد بمن تخطفه الطّير والمتصرّف فيه الشّهوة وامثالها الّتى هى كالعناصر فى البساطة بمن تهوى به الرّيح فلفظة او للتّنويع لا للتّخيير فى التّشبيه [ذٰلِكَ] مضى هذه الكلمة قبيل هذا [وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللّٰهِ] نظير من يعظّم حرمات الله وتأكيد له وقد مضى فى سورة البقرة بيان للشّعائر وهى كالحرمات مطلق ماله تعلّق بالدّين وله حرمة وقدفسّرت مثل الحرمات ههنا بملاحظة المقام بمناسك الحجّ وبالهدى مخصوصاً والحقّ انّه على عمومه وردلكن النّظر الى المناسك اوالى الهدى بقرينة المقام [فَإِنَّهَا] اى الشّعائر [مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ] من قبيل اقامة السّبب مقام الجزاء فانّ التّقدير من يعظّم صار من المتّقين لانّها من تقوى القلوب ، وكون الشّعائر من تقوى القلوب مع انّ اكثرها من الكثرات الشّاغلة للقلوب عن الله باعتبار انّ للقلب وجهين وجهاً الى الكثرات ووجهاً الى الوحدة وبهذين الوجهين يصحّ منه السّلوك ويقع منه الجذب ، وبسلوكه المشار اليه بقوله تعالى فاتّبعونى يحببكم الله يكون التّقوى منه بحفظ الكثرات واعطاء الحقوق لاهلها ، واعطاء الحقوق لاهلها ليس الّا بالتزام اوامره تعالى ونواهيه فى الكثرات وبجذبه المشار اليه بقوله تعالى : ان كنتم تحبّون الله يكون التّقوى منه بطرح الكثرات وترك الالتفات الى ماسوى الله فيكون تعظيم الشّعائر الّتى هى اوامر الله ونواهيه القالبيّة والقلبيّة وانبياؤه واولياؤه (ع) بقوالبهم الملكيّة والملكوتيّة كلّها من تقوى القلوب لا الاشتغال بالحضور فقط وطرح ما سوى الحضور [لَكُمْ فِيهَا] اى فى الشّعائر يعنى البُدُن الّتى تُهدى الى مكّة [مَنَافِعُ] من ظهورها واوبارها والبانها ونتائجها [إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى] الى ان يجعل هدياً فانّ المنافع تنقطع بعد ذلك كما قيل: اوالى وقت النّحر ، اولكم فى مناسك الحجّ منافع فى الدّنيا بكثرة البركات وفى الآخرة بكثرة الاجور ، اولكم فى مطلق العبادات منافع دنيويّة بحفظ الدّماء والاموال والاعراض وصحّة التّوارث والتّناكح ، وفى الآخرة بالاجور

وحينئذٍ يكون قوله الى اجل مسمّى قيداً لتحصيل الانتفاع لالنفس المنافع [ثُمَّ مَحِلُّهٰا] اى محلّ البُدن اومناسكٌ الحجّ [اِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ] يعنى مكّة وما حولها فانّ البيت ههنا اعمّ من الحرم اومحلّ العبادات وانتهاء حلولها ونزولها الى البيت العتيق المعتق القديم الّذى هو البيت المعمور [وَلِكُلِّ اُمَّةٍ جَعَلْنٰا مَنْسَكًا] يعنى لا بدع فى الأضحيّة كما يقوله العجم وتنكر اذى الحيوان ولافى مناسك الحجّ كمايقول من لاخبرة له : انّ هذه الافعال ليست من افعال العقلاء ، ولافى مطلق العبادات كما يقوله المتصوّفة الاباحيّة لانّا جعلنا لكلّ امّة منسكاً خاصّاً من القرابين والاضحيّات ومن المناسك المخصوصة فى ايّام مخصوصة اومن العبادات والاوامر والنّواهى القالبيّة والقلبيّة والرّياضات البدنيّة والنّفسيّة [لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللّٰهِ عَلٰى مٰا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْاَنْعٰامِ] قد مرّ بيان لبهيمة الانعام فى اوّل سورة المائدة، والتّعليل به للاشعار بانّ المقصود من جميع العبادات وجميع الانتفاعات والالتذاذات هو تذكّر المعبود لاغير [فَاِلٰهُكُمْ] يعنى ان كان متعبّداتكم متخالفاتٍ فلاينبغى لكم التّخالف والتّباغض بسبب انّا لهكم [اِلٰهٌ وٰاحِدٌ] وهذا يقتضى الاتّفاق لا الاختلاف [فَلَهُ اَسْلِمُوا] اى انقادوا اواجعلوا انفسكم ذوات سلامة من الآفات اوالقيود الّتى تورثكم اللّجاج والعناد [وَبَشِّرْ] خطاب لمحمّد(ص) اولكلّ من يتأتّى منه الخطاب فيكون فى معنى وبشّروا عطفاً على اسلموا اى اسلموا له وبشّروا [الْمُخْبِتِينَ] من الخبت بمعنى المكان المتّسع اومن الخبيت بمعنى الحقير ولعلّ التّوصيف بالاوصاف الآتية كان باعتبار المعنيين وفسّر بالخاشعين باعتبار تحقير النّفس وبالمطمئنّ الى الله باعتبار معنى الاتّساع،وقوله تعالى [الَّذِينَ اِذٰا ذُكِرَ اللّٰهُ] عندهم [وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ] ناظر الى معنى الحقارة، وقوله [وَالصّٰابِرِينَ عَلٰى مٰا اَصٰابَهُمْ] ناظر الى معنى الاتّساع فان اتّساع القلب يورث تحمّل البلايا من غير جزع [وَالْمُقِيمِي الصَّلٰوةِ وَمِمّٰا رَزَقْنٰاهُمْ يُنْفِقُونَ] لمّا كان الصّبر هو البقاء على الحال الاولى من دون حدوث شيءٍ وتجدّد، واقامة الصّلوة عبارة عن دوام التّوجّه الى الحقّ الاوّل تعالى شأنه كان المناسب فيهما الاتيان باسم الفاعل ، ولمّا كان المطلوب من الانفاق تجدّده على سبيل الاستمرار اتى به مضارعاً دالّاً على التّجدّد الاستمرارىّ [وَالْبُدْنَ] البدن بالضّمّ والسّكون والبدن بالتّحريك والبدن ككتب جمع البدنة كالخشبة وهى سمينة من النّوق الّتى تهدى الى مكّة اومن النّوق والبقر [جَعَلْنٰاهٰا لَكُمْ مِنْ شَعٰائِرِ اللّٰهِ] من جملة علائم دينه اومناسك بيته [لَكُمْ فِيهٰا خَيْرٌ] مثل لكم فيها منافع [فَاذْكُرُوا اسْمَ اللّٰهِ عَلَيْهٰا صَوٰافَّ] اى قياماً للنّحر مقيّدة على سنّة محمّدٍ(ص) وهى ان تعقل احدى يديها وتقوم على ثلاثٍ اوان تربط يداها مابين الرّسغ الى الرّكبة [فَاِذٰا وَجَبَتْ جُنُوبُهٰا] سقطت على الارض كناية عن خروج الرّوح منها [فَكُلُوا مِنْهٰا] ولوبقدر اكلة وليس الامر للوجوب فهو امّا للاستحباب او الاباحة فانّ القوم فى الجاهليّة كانوايحرّمون الاكل منها، وقيل الامر للوجوب [وَاَطْعِمُوا الْقٰانِعَ] الّذى يقنع بما اعطى وبما فى يده ولايسأل [وَالْمُعْتَرَّ] اى المعترى الّذى يتعرّض للمعروف ولايسأل [كَذٰلِكَ] التّسخير للذّبح والاكل [سَخَّرْنٰاهٰا لَكُمْ] فى سائر منافعكم [لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] نعمة تسخيرها اولتذكّروا انعامنا عليكم فتشكرونا على جميع نعمنا [لَنْ يَنٰالَ اللّٰهَ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ فانّه تعالى لمّا قال: ومن يعظّم شعائر الله فانّها من تقوى القلوب وكان المنظور من شعائر الله ههنا الاضحيّات وكان الاضحيّة ما يهراق دمه و يؤكل لحمه ووصفها الله تعالى بالاقتران بتقوى القلوب صار المقام مقام ان يسأل هل يصل الى الله لحومها و دماؤها؟ـ فقال جواباً له:

لن ينال الله [لُحُومُها وَلا دِماؤُها وَلٰكِن يَنالُهُ التَّقْوىٰ مِنْكُمْ] وقيل: كانوا فى الجاهليّة اذا ذبحوا استقبلوا الكعبة بالدّماء فلطّخوا حول البيت بها قربة الى الله [كَذٰلِكَ سَخَّرَها لَكُمْ] كرّر هذه الكلمة تأكيداً ومقدّمة لغاية اخرى هى قوله [لِتُكَبِّرُوا اللّٰهَ عَلىٰ ما هَديٰكُمْ] الى تسخيرها، اوالى مناسكك بيته، اوالى معالم دينه، اوالى ذبح القوى البهيميّة من النّفس، اوالى ولىّ امركم [وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ] عطف على مقدّر اوباعتبار المعنى كأنّه قيل: فكبّر الله وبشّر المحسنين فى اعمالهم، اوالعاملين كأنّهم يرون الله اوالمحسنين الى خلق الله، اوالّذين شيمتهم الاحسان، اوالمؤمنين بالايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الولويّة فانّ اصل الاحسان هو الولاية الّتى هى البيعة الخاصّة الولويّة الّتى يعبّر عنها بالايمان [اِنَّ اللّٰهَ يُدافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ واقع موقع التّعليل للتّبشير والتّنزيل انّه يدافع الكفّار الّذين يقاتلونهم والمقصود التّعميم لدفعه تعالى الكفّار والبلايا ومكر الماكرين واذى الموذين وجنود الجهل من الجنّة والشّياطين عن المؤمنين، وفى لفظ يدافع اشعار بانّ الكفّار والبلايا والموذين وجنود الشّياطين يتهجّمون على المؤمنين ولكنّ الله يدافعهم عنهم [اِنَّ اللّٰهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوّانٍ كَفُورٍ] يعنى يبغضهم، هذا ايضاً فى مقام التّعليل كأنّه قال: انّ الله يحبّ المؤمنين ويبغض الكافرين والماكرين وجنود الشّياطين لكنّه اتى بلفظ الخوّان الكفور اشعاراً بانّ من يهجم على المؤمنين فهو خوّان كفور كائناً من كان [اُذِنَ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: اذا كان الله يدافع عن المؤمنين فلا ينبغى للمؤمنين ان يقاتلوا، فقال تعالى: اذن [لِلَّذِينَ يُقاتِلُونَ] من المؤمنين، قرئ اذن مبنيّاً للمفعول ومبنيّاً للفاعل وعلى كلٍّ من القراءتين قرئ يقاتلون مبنيّاً للمفعول ومبنيّاً للفاعل [بِاَنَّهُمْ ظُلِمُوا] ذكر فى نزول الآية انّه كان المشركون يؤذون المسلمين لا يزال يجيء مشجوج ومضروب الى رسول الله (ص) ويشكون ذلك الى رسول الله (ص) فيقول لهم: اصبروا فانّى لم اؤمر بالقتال حتّى هاجر فأنزل الله عليه هذه الآية وهى اوّل آية نزلت فى القتال [وَاِنَّ اللّٰهَ عَلىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ] جملة حاليّة اومعطوفة على الفعليّة اوعلى انّ الله لا يحبّ كلّ خوّان كفور [اَلَّذِينَ اُخْرِجُوا] بدل اوصفة للّذين يقاتلون اوللّذين آمنوا، اومبتدء خبره الّذين ان مكنّاهم اوخبر مبتدءٍ محذوفٍ اومبتدء خبرٍ محذوفٍ، اومفعول فعلٍ محذوفٍ [مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ اِلّا اَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللّٰهُ] من قبيل استثناء المديحة من الذّمائم المنفيّة للمبالغة فى المدح والمراد بمن اخرجوا فى الكبير المؤمنون حيث أخرجوا الى الحبشة اوّلاً ثمّ الى المدينة ثانياً وتجرى الآية فى الائمّة كالحسين (ع) واصحابه كما فى الاخبار وفى المؤمنين بشرائط الجهاد والدّفاع المقرّرة فى الكتب الفقهيّة [وَلَوْلا دَفْعُ اللّٰهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ] قرئ دفع الله من الثّلاثىّ المجرّد ودفاع الله من المفاعلة والجملة حاليّة اومعطوفة وفيها معنى التّعليل لقوله اذن للّذين يقاتلون وقد سبق فى آخر سورة البقرة بيان وجوه هذه الآية عند قوله تعالى: لولا دفع الله النّاس بعضهم ببعضٍ لفسدت الارض [لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ] معابد النّصارى لرهبانهم قدّمها على سائر المعابد فى الذّكر لكونها حقّة الى زمان الرّسول (ص) ولشيوعها فى ذلك الزّمان ولاختصاصها بمن لم يكن له شغل سوى العبادة [وَبِيَعٌ] معابدهم المشتركة [وَصَلَواتٌ] معابد اليهود اصلها ثلوتا بالعبريّة فعرّب وجعل صلوة وجمع على الصّلوات، وقيل: الصّوامع معابد النّصارى فى الجبال والبرارى، والبيع معابدهم فى القرى، والصّلوات معابد اليهود لكونها يصلّى فيها، وقيل: الصّوامع معابد النّصارى، والبيع معابد اليهود، والصّلوات ايضاً معابد اليهود، وقيل: المراد بالصّلوات صلوات شريعة محمّدٍ (ص) من الصّلوات

الخمس وغيرها [وَمَسَاجِدُ] يعنى لولا دفع الله النّاس بالوجوه السّابقة فى سورة البقرة لفسدت الارض وهُدّم ماكان يعبد فيه فى زمان كلّ نبىّ [يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً] وصف للمجموع او للمساجد خاصّة كأنّ غيرها لا يذكر فيها اسمه تعالى لاجل كون الشّرائع السّالفة منسوخة [وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ] عطف على قوله تعالى: لولا دفع الله النّاس فانّه فى معنى وليد فعن الله، و نصرة العباد لله لا يكون الّا بنصرة خلفائه فى العالم الكبير بطاعتهم والاقتداء بهم وتعظيمهم وتعظيم شرائعهم والّا بنصرة خلفائه تعالى فى العالم الصّغير من الملك الزّاجر والعقل النّاهى والآمر واللّطيفة الانسانيّة الّتى هى خليفة الله فى الارض حقيقةً، ونصرة الله تعالى للعباد بالتّوسعة فى قلوبهم والتّوفيق لطاعاته وتهيّة اسباب الظّفر على اعدائه وعلى أعدائهم الظّاهرة والباطنة، ولمّا كان افعال العباد واوصافهم فعل الله الظّاهر فى مظاهر العباد كان نصرة العباد لله هى بعينها نصرة الله للعباد وجالبة لنصرة اخرى من الله كما انّ خذلان العباد للطّيفة الانسانيّة بعينه خذلان من الله للعباد وجالب لخذلان آخر [إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ] فى مقام التّعليل لنصرة يعنى انّه قادر غير ضعيف عن النّصر [عَزِيزٌ] غالب لا مانع له من نفاذ امره [الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ] صفة اوبدل من الّذين آمنوا اومن الّذين يقاتلون، اومن الّذين اخرجوا، اوممّن ينصره، اوخبر للّذين اخرجوا، اوخبر مبتدء محذوف، اومبتدء خبر محذوف، اومفعول فعل محذوف والمراد بالتّمكين فى الارض الاقدار على التّصرّف فيها باىّ نحو شاؤوا [أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ] قد مضى فى اوّل البقرة تحقيق تامّ للصّلوة واقامتها وللزّكوة وايتائها [وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ] قد أسلفنا فى سورة البقرة عند قوله تعالى اتأمرون النّاس بالبرّ بياناً وافياً للامر بالمعروف والنّهى عن المنكر، ولمّا كان معاملة العبد الكامل بينه وبين الله مقصوراً على الصّلوة والزّكوة كما اسلفنا هناك، ومعاملته بينه وبين العباد محصوراً على الامر بالمعروف والنّهى عن المنكر اذا عمّم الامر والنّهى للقولىّ والفعلىّ بالصّراحة اوالالتزام حتّى يشمل الاحسانات والتّحيّات والنّصيحات اتى فى مديحتهم بهاتين الصّفتين ولم يتجاوز عن الصّنفين [وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ] جملة حاليّة ومديحة اخرى، ولام الامور عوض عن المضاف اليه والمعنى اقاموا الصّلوة فى حال كون امورهم المذكورة اومطلق امورهم لله ليس فيها شوب قصد للنّفس غير الله، اوهى عطف اوحال، ووعد للمحسن ووعيد للمسيء من غير نظر الى المؤمنين اوغيرهم [وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ] عطف على مقدّر تقديره فان يصدّقوك فهو المطلوب وان يكذّبوك فلاتحزن فانّ التّكذيب شيمة الانسان مالم يخرج من انانيّته [فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ] امهلتهم واطلت عمرهم [ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ] اى انكارى عليهم ما فعلوا وتبديلى نعمتهم بالنّقمة، اوكيف كان نقلى ايّاهم من حال تسرّهم الى حال تسوءهم [فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ] خالية مشتملة [عَلَىٰ عُرُوشِهَا] اى سقوفها اوقصورها اواسرّتها، اوساقطة خربة على عروشها يعنى خربة جدرانها على سقوفها، اوابنيتها الدّانية على قصورها العالية، اوساقطة على سرر سلاطينها [وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ] عطف على قرية اى كأيّن من بئر معطّلة اهلكنا اهلها [وَقَصْرٍ مَشِيدٍ] اهلكناها وقد فسّر البئر المعطّلة بالعالم الّذى لا يرجع اليه، والقصر المشيد بالعالم الّذى يرجع اليه اوالجاهل الّذى يتشبّه بأهل العلم فيرجع اليه، وفسّر بالامام الصّامت والامام النّاطق، وبالامام الغائب والامام الظّاهر، وبفاطمة (ع) وولدها (ع) المعطّلين عن ملكهم

وحقّهم ، وبأمير المؤمنين (ع) وأولاده (ع) المنتشرة في الخلق فضائلهم، وبعلم آل محمّد (ص) الّذي كان معطّلاً لايجدون له اهلاً، وبمجدهم وسائر صفاتهم المشهورة لكلّ احد ، وبولاية عليّ (ع) ونبوّة محمّد (ص)، وبحقيقة الدّين الّتي كانت معطّلة في كلّ شريعة ، وبالملّة الّتي كانت مرتفعة في زمان كلّ نبيّ وبعده [أ] يتثبّطون عن المشي بالارجل اوعن السّير بالانظار [فَلَمْ يَسِيرُوا] بأرجلهم اوبأنظارهم [فِي الْأَرْضِ] اى ارض العالم الكبير، اوالصّغير او ارض القرآن والاخبار، اوارض السّير واحوال الماضين فينظروا الى احوال الماضين محسنيهم ومسيئيهم فيكون ذلك النّظر مورثاً لتفكّرهم وحصول العقول لهم [فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا] يعني فيحصل لهم مقام التّحقيق اومقام التّقليد والانقياد فان كلّاً منهما كمال تامّ للانسان [فَإِنَّهَا] الضّمير للقصّة اومبهم يفسّره الابصار [لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ] الّتي في الرّؤس بترك السّير والنّظر [وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ] اولاتعمى الابصار ان عميت لانّ لها كوّة الى الدّنيا وكوّة الى الآخرة ، واذا عميت عميت منها الكوّة الّتي الى الدّنيا وليس المقصود ابصارها بل المقصود ابصار الكوّة الّتي الى الآخرة ولكن تعمى القلوب ان عميت يعني تعمى الكوّة الّتي الى الآخرة ان عميت القلوب، في خبر عن السّجّاد (ع) : انّ للعبد اربع اعين عينان يبصر بهما دينه ودنياه ، وعينان يبصر بهما امر آخرته؛فاذا أراد الله بعبد خيراً فتح له العينين اللّتين في قلبه فأبصر بهما الغيب وامر آخرته ، واذا أراد الله به غير ذلك ترك القلب بما فيه ، وعن الصّادق (ع) : انّما شيعتنا اصحاب الاربعة الاعين؛عينان في الرّأس وعينان في القلب ، الا وانّ الخلائق كلّهم كذلك الّا انّ الله عزّ وجلّ فتح ابصاركم واعمى أبصارهم،وعن الباقر (ع) : انّما العمى عمى القلب ثمّ تلا الآية [وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ] المتوعّد به وذلك انّ رسول الله (ص) اخبرهم انّ العذاب أتاهم فقالوا: فاين العذاب ؟ والجملة عطف على لم يسيروا [وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ] تقرير لتأنّيه وامهاله وبيان لسبب تأنّيه اوتهديد عن طول العذاب وطول ايّامه وقد مضى في بني اسرائيل وسيجيء في سورة السّجدة تحقيق لسعة الايّام الرّبوبيّة [وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا] امهلت اهلها كما امهلت قومك [وَهِيَ ظَالِمَةٌ] مثل قومك [ثُمَّ أَخَذْتُهَا] في الدّنيا قبل الاحتضار بأنواع المؤاخذة وحين الاحتضار بحضور ملائكة العذاب وملك الموت [وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ] فأُعذّبها في الآخرة بأنواع العذاب الموعودة في الآخرة [قُلْ] بعد تسليته (ص) بانّ له في تكذيب قومه اسوة بالانبياء وانّ المكذّبين مؤاخذون وانّ المستعجلين بالعذاب يمهلون لكن يؤاخذون في الدّنيا والآخرة امره (ص) ان يعلن دعوته وان ينادي قومه ولايكترث بتكذيبهم فقال قل [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ] ظاهر الحجّة والصّدق اومظهر لصدقي وانذاري [فَالَّذِينَ آمَنُوا] بالايمان العامّ والبيعة العامّة النّبويّة وهو عطف من الرّسول (ص) اومن الله على قول الرّسول وهذا هو الظّاهر من قوله والّذين سعوا في آياتنا [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] الّتي اخذوها منّي بعد البيعة [لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ] الكريم من كلّ شيء مايجمع فضائله [وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا] بالرّدّ والابطال والمنع والجحود [مُعَاجِزِينَ] من عاجز عدوّه اذا تسابقا في الدّفع والتّعجيز [أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ] عطف على يستعجلونك بالعذاب وتسلية اخرى له (ص) [مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ] في قراءة اهل البيت (ع) ولامحدّث وقد سبق تحقيق وتفصيل لمراتب الانسان والفرق بين المحدّث والنّبيّ والرّسول في سورة البقرة عند قوله

واثمهما اكبر من نفعهما و لقد بيّنا هناك الاخبار الواردة فى الفرق بين الرّسول و النّبىّ والمحدّث والامام بانّ الرّسول يسمع الصّوت ويرى فى المنام ويعاين الملك فى اليقظة ، وانّ النّبىّ يسمع الصّوت ويرى الملك فى المنام ولايعاين ، وانّ المحدّث والامام يسمع صوت الملك ولايرى ولايعاين [إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ] شيئاً من مشتهيات القوى الحيوانيّة اوالانسانيّة من جهة الدّنيا اومن جهة الآخرة [أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِ] شيئاً خلاف متمنّاه اذاحصل اوقرب حصوله والآية تسلية للرّسول (ص) ممّا فعله منافقوا امّته اويفعلونه به وبشريعته وكتابه وخليفته وعترته فانّ امنيّته (ص) ان لايخالف امره ، ولايعصى ربّه ، ولايغيّر شريعته وكتابه ، وان يتّبع خليفته ، ويودّ عترته ؛ فانّه روى بطريق الخاصّة عن امير المؤمنين (ع) فى حديثٍ فيذكر جل ذكره لنبيّه (ص) ما يحدثه عدوّه فى كتابه من بعده بقوله: وما ارسلنا من قبلك (الآية) انّه مامن نبىّ تمنّى مفارقة مايعاينه من نفاق قومه وعقوقهم والانتقال عنهم الى دار الاقامة الّا ألقى الشّيطان المعرض بعداوته عند فقده فى الكتاب الّذى انزل عليه ذمّه والقدح فيه والطّعن عليه فينسخ الله ذلك من قلوب المؤمنين فلا تقبله ، ولايصغى اليه غير قلوب المنافقين والجاهلين ، ويحكم الله آياته بان يحمى اوليائه من الضّلال والعدوان ومشايعة اهل الكفر والطّغيان الّذين لم يرض الله ان يجعلهم كالانعام حتّى قال بل هم اضلّ ، وروى عن ابن عبّاس وغيره بطريق العامّة انّ النّبىّ (ص) لمّا تلاسورة و النّجم وبلغ الى قوله افرأيتم اللّات والعزّى ومنوة الثّالثة الاخرى ألقى الشّيطان فى تلاوته تلك الغرانيق العلى وانّ شفاعتهنّ لترجى فسرّ بذلك المشركون فلمّا انتهى الى السّجدة سجد المسلمون وسجد ايضاً المشركون لمّا سمعوا من ذكرا لهتهم ماأعجبهم ، وقيل: انّ تمنّى بمعنى تلا يعنى مامن نبىّ الّا اذاتلا آيات كتابه ألقى الشّيطان فى تلاوته فانّه يستعمل تمنّى الكتاب بمعنى قرأه ، وهذا الخبر المروىّ منهم ان صحّ فهو مؤوّل بمالاينافى مقام النّبىّ ، والغرانيق جمع مفرده الغرنيق بضمّ الغين وفتح النّون اوكزنبور اوكقنديل اوكسموئل اوكفردوس اوكقرطاس والكلّ بمعنى الشّابّ الحسن الابيض [فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ] اى المبدّلون فى كتابه اوشريعته بان ينسخ ما ارادوا ممّا ألقوا من القلوب اومايلقى الشّيطان اوالكفّار فى تلاوته بان ينسخ اثره من القلوب اومايلقى الشّيطان فى متمنّاه حين تمنّى علىّ (ع) وفاطمة (ع) اومايلقى الشّيطان فى متمنّياته من الجهة الدّنيويّة الحيوانيّة بان ينسخ تلك الجهة من نظره [ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ] بان لاتتغيّر ولاتتبدّل ولاتزول عن قلوب المؤمنين ولاعن نظر النّبىّ (ص) [وَاللَّهُ عَلِيمٌ] يعلم صلاح عباده فى ان يخلّى الشّيطان حتّى يلقى مايريد فى متمنّى النّبىّ (ص) ليختبر بذلك الخالص والمغشوش فيتميّز المؤمن عن المنافق [حَكِيمٌ] لايفعل الّا لغايات متقنة والّا بالنّظر الى استعدادات مكمونة قدّم المعطوف قبل تمام المعطوف عليه لئلّا يتوهّم متوهّم انّ هذا الجعل خالٍ من الحكمة [لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ] يعنى ليس مايلقى الشّيطان خارجاً عن اختيارنا وان كان غير مرضىّ لنا وانّما خلّينا بينه وبين ماارادالقاءه لنجعل مايلقى الشّيطان [فِتْنَةً] الفتنة الاختبار والضّلال والاثم والكفر والفضيحة والعذاب والاضلال واذابة الذّهب والفضّة والمحنة والاختلاف فى الآراء ، والكلّ مناسب ههنا فانّ الكلّ يمكن ان يراد [لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ] الّذين لم يبق لقلوبهم استعداد الصّحّة [وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ] الجملة حاليّة والمراد بالظّالمين الصّنفان المذكوران ، ووضع الظّاهر موضع المضمر اشارة الى وصف ذمّ آخر لهم والمعنى ألقى الشّيطان ذلك لنجعل مايلقيه فتنةً والحال انّهم لايرجى لهم الخير لكونهم فى معاداة اوخلافٍ بعيدٍ [وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ] الّذى هو نورٌ يقذفه الله فى قلب من يشاء اوالعلم الّذى هو تميز دقائق الكثرات

واحكامها [إِنَّهُ] اى الالقاء اوالملقى هو [الْحَقُّ] النّازل [مِنْ رَبِّكَ] بصورة الباطل وعلى لسان الشّيطان اويده او الضّمير راجع الى كتاب النّبىّ (ص) اودينه اواستخلافه ويكون التّعريض بالقرآن اودين محمّد (ص) او استخلافه اوخليفته [فَيُؤْمِنُوا بِهِ] اى يذعنوا به وينقادوا له اويبيعون معه البيعة الخاصّة او العامّة [فَتُخْبِتَ] اى تتّبع وتطمئنّ اوتخشع وتتواضع [لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللّٰهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] مقابل انّ الظّالمين لفى شقاقٍ بعيدٍ يعنى انّ الله لهادى الّذين اسلموا الى ولاية علىٍّ (ع) فانّ الصّراط المستقيم هو الولاية تكويناً وتكليفاً، اوانّ الله لهادى الّذين آمنوا بقبول الولاية والبيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة ودخول الايمان فى القلب الى صراط مستقيم فى كلّ الامور حتّى فى القرآن وما يلقيه الشّيطان فى مايتمنّاه الرّسول (ص) وما يلقيه الشّيطان [وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالله اوبك اوبكتابك اوبما قلت فى خليفتك اوبالولاية فى مرية [مِنْهُ] الضّمير راجع الى مرجع ضمير انّه الحقّ من ربّك [حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ] يعنى ساعة الموت وهى ساعة ظهور القائم (ع) وقيام القيامة الصّغرى [بَغْتَةً] اى فجاءةً [أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ] قيل المراد يوم بدرٍ لانّه لم يكن فيه خير للكفّار فكان عقيماً من الخير، اولم يكن مثله للكفّار فى الشّدّة وخلاف الحسبان فكان عقيماً من المثل، وقيل: المراد به يوم القيامة وسمّى عقيماً لانّه لا ليل له اولانظير له، اولانّه لايلد خيراً للكفّار ولاشرّاً للابرار [الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ] يوم الاحتضار اويوم القيامة وهو المناسب لما بعده فلابدّ ان يفسّر السّاعة اواليوم العقيم بيوم القيامة [لِلّٰهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ] تفصيل لحكمه تعالى [وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ] لمّا كان المقام مقام التّشديد على الكفّار ومن يلقى فى متمنّى المؤمنين اتى فى جانب الكفّار بالفاء فى الخبر واتى باسم الاشارة فيه [وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ] بعدما آمنوا [ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللّٰهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللّٰهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ] لاجتماع جهات الخير فيه لانّه مالك لجميع الارزاق ومعطٍ لما يستحقّه المرزوق، وبقدر مايحتاج اليه، ولعلمه بحاجات المرزوق جملةً، ولاعطائه بلاعوضٍ ولاغرضٍ من المرزوق وغيره، ولاعطائه ما يحتاج المرتزق فى ارتزاقه كما قيل :

لقمه بخشى آيد از هركس بكس	حلق بخشى كار يزدانست و بس
حلق بخشد جسم را و روح را	حلق بخشد بهر هر عضوى جدا
كوه طور اندر تجلّى حلق يافت	تا كه مى نوشيدو مى را بر نتافت
اين گهى بخشد كه اجلالى شود	از دغا و از دغل خالى شود

ولانّ الرّزق ليس الّافى يده ولانّ رزقه فوق مايتصوّر المتصوّرون فى الحسن والالتذاذ به اتى بهذه الجملة معطوفةً اوحالاً بعد توصيف الرّزق بالحسن تفخيماً لشأن رزقه وتأكيداً لحسنه [لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا] مفعول به اومفعول مطلقٌ والمفعول به محذوف، وقرئ مد خلًا من المجرّد ومن باب الافعال [يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللّٰهَ لَعَلِيمٌ] باحوال المقاتلين لهم وباحوالهم لكنّه [حَلِيمٌ] لا يعجل بعقوبة المقاتلين ويرضى من عباده الحلم وعدم تعجيل المكافاة ممّن اساء اليهم اوقاتلهم، اتى به ههنا عطفاً اوحالاً مقدّمة لمابعده [ذَٰلِكَ] قد مضى قبيل هذا نظيره [وَمَنْ عَاقَبَ] اى جازى الظّالم [بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ] اى بمثل ماظلم به سمّاه عقاباً مع انّ العقاب يستعمل فى الجزاء

بمشاكله قوله: من عاقب [ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ] اى على من عاقب مكافاة اوعلى من ظلم ابتداءً فانّه وان لم يذكر صريحاً لكنّه مذكور بالالتزام [لَيَنْصُرَنَّهُ اللّٰهُ] اى لينصرنّ الله المعاقب او الظّالم ابتداء [اِنَّ اللّٰهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ في مقام التّعليل يعني ينصر الله المعاقب المقتصّ الّذى بغي عليه لانّه عفوٌّ لز لانه الّلازمة له من اتّباعه الهوى في الاقتصاص حيث كان المرضيّ منه العفو او ينصر الظّالم بعد البغي عليه لانّه يعفو عن ظلمه بعد ما عوقب بمثل ظلمه [ذٰلِكَ] يعنى الاذن في القصاص و النّصر للمقتصّ ان بغي عليه او للظّالم بعد الاقتصاص منه ان بغي عليه [بِـ] سبب [اَنَّ اللّٰهَ] لاغيره [يُوْلِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهٰارِ] اى يدخل ليل الاقتصاص مكان نهار العفو، او ليل الظّلم مكان نهار العدل، اوينقص من ليل الرّذائل ويزيد في نهار الخصائل [وَيُوْلِجُ النَّهٰارَ فِي اللَّيْلِ] ويدخل اوينقص من نهار الخصائل ويزيد في ليل الرّذائل فاقتصاص المقتصّ وظلم الظّالم كلاهما كانا بتسخير الله وامره التّكوينيّ فان فعل بأحدهما زائداً على قدر التّرخيص يعاقب بنصر من بغي عليه وقد مضى في سورة آل عمران تفصيل للّيل والنّهار في نظير الآية [وَاَنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ] لما يقوله الباغي والمقتصّ والمقتصّ منه [بَصِيرٌ] بما يفعله [ذٰلِكَ] الايلاج والسّمع والبصر [بِاَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ] الكامل في الحقيّة بحيث لايشوبه باطل [وَاَنَّ مٰا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ] من الاهوية والآمال الدّاعية للاصنام والاصنام والكواكب والعناصر وخصوصاً رؤساء الضّلالة [هُوَ الْبٰاطِلُ] الكامل في البطلان بحيث لايشوبه حقّ، والحقّ الّذى لا يشوبه بطلان لا يعزب عن حيطة وجوده وعلمه وقدرته شيءٌ من الاشياء فيبصر كلّ المبصرات ويسمع كلّ المسموعات ويقدر على كلّ المقدورات [وَاَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْعَلِيُّ] الّذى يعلو كلّ شيءٍ ويحيط به فيعلمه ويقدر على التّصرّف فيه بأيّ نحوٍ شاء [الْكَبِيرُ] الّذى كلّ كبير حقير عنده ومطيعٌ ومنقادٌ لأمره [اَلَمْ تَرَ اَنَّ اللّٰهَ اَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً] تقرير لعلوّه وكبره واحاطة علمه وسمعه وبصره [فَتُصْبِحُ الْاَرْضُ مُخْضَرَّةً] لايخفى تعميم الماء والسّماء والارض واخضراره بين الصّوريّة والمعنويّة في الكبير والصّغير [اِنَّ اللّٰهَ لَطِيفٌ] في ذاته فلا يدركه مدركٌ لطيف في صفاته لطيف في فعاله فلا يدرك دقائق صنعه والغايات المترتّبة عليه والحكم المودعة فيه الّاهو [خَبِيرٌ] يعلم بخبرته دقائق كلّ موجودٍ ومصالح كلّ مصنوع [لَهُ] بدواً ورجوعاً وملكاً [مٰا فِي السَّمٰوٰاتِ] يعنى السّماوات ومافيها كماسبق مكرّراً انّه اذاقيل لزيدٍ : ما في الصّندوق؟- يقصد الصّندوق وما فيها خصوصاً اذاكان ما في الصّندوق نفيساً [وَمٰا فِي الْاَرْضِ وَاِنَّ اللّٰهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ] بذاته من غير حاجةٍ له الى ما في السّماوات ومافي الارض في ذاته او في محموديّته [اَلَمْ تَرَ اَنَّ اللّٰهَ سَخَّرَ لَكُمْ مٰا فِي الْاَرْضِ] تقرير لمالكيّته ومبدئيّته وغنائه عمّا في الارض وانّ ايجاد مافي الارض وتسخيره للانسان والخطاب لمحمّد(ص) اولكلّ من يتأتّى منه الخطاب [وَالْفُلْكَ] قرئ بالنّصب عطفاً على مافي الارض اوعلى اسم انّ، وبالرّفع مبتدءًا [تَجْرِي] مستأنفٌ اوحالٌ اوخبرٌ [فِي الْبَحْرِ بِاَمْرِهِ] التّكوينيّ فانّ طفوّ الاخشاب وخرقها للماء وتحريك الرّياح اوالبخار لها كلّها بأمره التّكوينيّ [وَيُمْسِكُ السَّمٰاءَ] من الافلاك والكواكب والسّحاب وامطارها كلّها في احيازها ومراكزها [اَنْ تَقَعَ عَلَى الْاَرْضِ] اى من الوقوع عليها [اِلّٰا بِاِذْنِهِ] يعنى اذا اذن الله في وقوعها على الارض تقع عليها فلابدّ من تعميم السّماء والارض حتّى يصحّ هذا بان يقال : انّ الله يمسك السّماء من الافلاك

وكواكبها وآثارها، ومن النّفوس والعقول والارواح وآثارها من الوقوع على أرض التّراب وعلى اراضى الموادّ من جملة العناصر والافلاك والنّطف والبذور والعروق وجملة المواليد الّا باذنه فان لم يأذن لم يتّصل اثرٌ بذى اثرٍ ولاقوّة بذى قوّةٍ ولاطبع بذى طبع، ولانفس وعقل بذى نفسٍ وعقلٍ [اِنَّ اللهَ بِالنّاسِ لَرَؤُفٌ رَحيمٌ] تعليل لتسخيره الاشياء للانسان وامساك السّماء، والفرق بين الرّأفة والرّحمة بان يجعل احداهما سجيّة الرّحمة والاخرى اثرها الظّاهر على الاعضاء وان كان يستعمل كلّ فى كلّ كسائر السّجايا [وَهُوَ الَّذى اَحْياكُمْ] من الجماديّة بالحيوة الحيوانيّة، اومن الحيوانيّة بالحيوة البشريّة، اومن البشريّة بالحيوة الانسانيّة [ثُمَّ يُميتُكُمْ] عن الحيوة الحيوانيّة والبشريّة عند الموت، اوعن الحيوة الانسانية ايضاً عند النّفخة الاولى [ثُمَّ يُحْييكُمْ] بالحيوة الانسانيّة اوالبهيميّة اوالسّبعيّة اوالشّيطانيّة عند الرّجعة [اِنَّ الْاِنْسانَ لَكَفُورٌ] نعمة الاحياء الاوّل، ولذلك لايتنبّه لنعمة الاحياء الثّاني وهو جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ماحال الانسان ايشكر ام يكفر؟ـ اوانّ الانسان لجحود يعني سجيّة الجحود لانّه يجحد الاعادة والمبدء مع الادلّة الواضحة على الابداء والاعادة [لِكُلِّ اُمَّةٍ] كلام منقطع عن سابقه لفظاً ومعنىً اوجواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: هل جعل الله طريقاً الى ادراك الاحياء بعد الاماتة اوالى الوصول الى خيراته بعد الاحياء الثّاني؟ـ فقال: لكلّ امّة [جَعَلْنا مَنْسَكًا] عبادة اوشرعة من العبادات اوذبيحة يتقرّبون بها، اومكان عبادة، اومحلّ ذبحٍ وقربانٍ [هُمْ ناسِكُوهُ فَلايُنازِعُنَّكَ فِى الْاَمْرِ] اى امر عبادتك اوامر حجّك اوشريعتك اومساجدك اوذبيحتك فانّ كلّ امّةٍ كان ذلك لهم وقد اختلفوا فى الكلّ بحسب اقتضاء الوقت والمكان والحال يعني لاينبغى لهم ان ينازعوك ولا ينبغي لك ان تضطرب بمنازعتهم و تتوانى فى دعوتهم فاثبت على ما انت عليه [وَادْعُ اِلى رَبِّكَ اِنَّكَ لَعَلى هُدًى مُسْتَقيمٍ] الجملة استيناف جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ فى مقام التّعليل [وَاِنْ جادَلُوكَ] فى امر الذّبيحة اوفى مكانها اوفى اكل الذّبيحة دون الميتة بقوله: مالكم تأكلون ماتقتلون بأيديكم ولا تأكلون مايقتله الله؟ اوفى سائر مافسّر المنسك به [فَقُلِ] على سبيل المتاركة وعدم التّعرّض للمجادلة [اللهُ اَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ اللهُ يَحْكُمُ] استيناف فى مقام التّعليل كأنّه قيل: لم تركت الجواب والتّعرّض للجدال؟ـ فقال: لانّ الله يحكم [بَيْنَكُمْ] اى بيننا وبينكم اوبينكم ايّها المتخالفون [يَوْمَ الْقِيمَةِ فيما كُنْتُمْ فيهِ تَخْتَلِفُونَ] اى فيما كنتم تخالفون معى اوفيما كنتم تختلفون بينكم [اَلَمْ تَعْلَمْ] من جملة ما امر الرّسول (ص) ان يقوله لهم، اوابتداء كلامٍ من الله معهم والخطاب عامّ اوخاصّ بالرّسول (ص) [اَنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما فِى السَّماءِ وَالْاَرْضِ] فيعلم اختلافكم فيحكم بينكم [اِنَّ ذلِكَ فى كِتابٍ] تأكيدٌ لعلمه تعالى اوتعليلٌ له [اِنَّ ذلِكَ عَلَى اللهِ يَسيرٌ] جواب سؤالٍ عن حاله تعالى اوعن علّة ثبته ذلك فى الكتاب [وَيَعْبُدُونَ] عطف على جملة ان جادلوك كأنّه قال : ويجادلونك ويعبدون [مِنْ دُونِ اللهِ] ظرف لغو متعلّق بيعبدون، ولفظة من ابتدائيّة اى يعبدون من دون اذن الله اوحال من قوله [ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطانًا] ولفظة الباء سببيّة، اوبمعنى مع، اوبمعنى فى، والسّلطان بمعنى الحجّة والبرهان، اوبمعنى الاستقلال والسّلطنة، والقيد تقييد لابيان يعني يعبدون عبادة اعمّ من عبادة عبوديّة وعبادة طاعة معبوداً ومطاعاً لم ينزل معه برهاناً على جواز طاعته اوعبادته من الاصنام والكواكب والعناصر والمواليد من النّبات والحيوان والانسان يعني انّهم ان عبدوا ماكان معه حجّة آلهيّة واذن آلهيّ فى معبوديّته و مطاعيّته لم يكونوا مذمومين، نسب الى موسى بن

جعفر (ع) انّه قال: لمّا نزلت هذه الآية لكلّ امّةٍ جعلنا منسكاً جمعهم رسول الله (ص) ثمّ قال: يامعشر الانصار والمهاجرين انّ الله تعالى يقول: لكلّ امّة جعلنا منسكاً هم ناسكوه والمنسك هو الامام، ولكلّ امّة نبيّها حتّى يدركه نبيّ الاوان؛ لزوم الامام وطاعته هو الدّين وهو المنسك، وعليّ بن ابى طالبٍ (ع) امامكم بعدى فانّى ادعوكم الى هداه فانّه على هدىً مستقيمٍ فقام القوم يتعجّبون من ذلك ويقولون واذن لنتنازعنّ ولا نرضى طاعته ابداً وكان رسول الله (ص) يضيق به فأنزل الله عزّ وجلّ ادع الى سبيل ربّك (الى آخر الآيات) وعلى هذا فليفسّر الآيات هكذا لكلّ امّة جعلنا اماماً هم مقتدون به وجعلنا لامّتك عليّاً (ع) اماماً يقتدون به فلاينازعنّك فى امر امامته وادع الى ربّك فى الولاية انّك لعلى هدىً مستقيم فى ولاية عليّ (ع) واستخلافه وان جادلوك فى ولاية عليّ (ع) فلا تجادل معهم وقل: الله اعلم بما تعملون بعدى فى حقّ عليّ (ع) الله يحكم بينكم اى بين عليّ (ع) واتباعه وبينكم فيما كنتم فيه من امر الولاية تختلفون، ويعبدون بعد وفاتك عبادة طاعة من دون اذن الله تعالى خليفة لم ينزّل الله على خلافته حجّة اولم يجعل فى وجوده سلطنة على غيره [وَمٰا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ] اى خليفة ليس لهم به من جهة خلافته ومطاعيّته [عِلْمٌ] يعنى انّ المطاع لابدّ وان يكون مأذوناً من الله وان يحصل للمطيع علم بكونه مأذوناً من الله فمن اطاع مطاعاً علم انّه لم يكن مأذوناً من الله او مطاعاً لم يعلم انّه مأذون اوغير مأذون كان مشركاً وظالماً، لانّه وضع طاعته الّتى هى اعظم الحقوق فى غير موضعها الّذى هو من لم يكن مأذوناً من الله اولم يُعلم مأذونيّته ومنعها عن ذيحقّه الّذى هو الامام المأذون من الله [وَمٰا لِلظّٰالِمِينَ] الّذين وضعوا طاعتهم غير موضعها [مِنْ نَصِيرٍ] فى امر الآخرة فانّ النّصير هو الامام اومن نصبه الامام للنّصرة [وَإِذٰا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آيٰاتُنٰا] فى ولاية عليّ (ع) [بَيِّنٰاتٍ] واضحات اوموضحات لولايته [تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا] بولايته [الْمُنْكَرَ] المنكر من كلّ شيءٍ مالايرضاه العقل اوالعرف [يَكٰادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيٰاتِنٰا] لشدّة غيظهم [قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكُمُ] الخبر الشّديد المورث لغيظكم [النّٰارُ] قرئ بالرّفع خبراً لمحذوف اومبتدء خبرما بعده، وقرئ بالنّصب على الاختصاص وبالجرّ بدلاً من شرّ [وَعَدَهَا اللّٰهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ] نسب الى الكاظم (ع) انّه قال فى قول الله تعالى: واذا تتلى عليهم آياتنا (الآية) كان القوم اذا نزلت فى امير المؤمنين (ع) آية فى كتاب الله فيها فرض طاعته اوفضيلة فيه اوفى اهله سخطوا ذلك وكرهوا حتّى همّوا به وارادوا به وارادوا برسول الله (ص) ايضاً ليلة العقبة غيظاً وخنقاً وغضباً وحسداً حتّى نزلت هذه الآية يعنى الآية السّابقة [يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ] بعد ما اوعد الكفّار بولاية عليّ (ع) نادى النّاس عموماً فقال [ضُرِبَ مَثَلٌ] لبيان حالهم وحال عليّ (ع) [فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبٰاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ] بالتّعاون مثل حال منافقى الامّة بحال الاصنام الّتى لاتقدر على احقرما يكون [وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبٰابُ] الّذى هو مثل عليٍّ (ع) فى ضعف حاله وفى كونه كرّاراً غير فرّار كلّما ذُبّ آب [شَيْئاً لاٰ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطّٰالِبُ] الّذى يدعو مثل هذا المدعوّ الّذى لايقدر على شيءٍ حقيرٍ [وَالْمَطْلُوبُ] الّذى لايقدر على خلق احقر ولادفعه عن نفسه [مٰا قَدَرُوا اللّٰهَ] حال اومستأنف جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ والمقصود بقرينة المقابلة ما قدروا عليّاً (ع) [حَقَّ قَدْرِهِ] حيث عدلوا به مثال الاصنام الّتى

لاتقدرعلى شيءٍ [اِنَّ اللهَ] فى مظهر خليفته الّذى هو علىّ(ع) [لَقَوِىٌّ] ذوقدرة على اىّ مقدورٍ اراد [عَزِيزٌ] لا يمنعه مانعٌ من مراده فكيف تشركون بهذا القوىّ العزيز مثل هذا الضّعيف العاجز الّذى لا يمنع مثل الذّباب عن السّلب منه، ولو لم يكن هذاالتّمثيل مراداً وكان المراداًن الاصنام الّتى تلطّخونها بالزّعفران لاتقدرعلى خلق مثل الذّباب وان يسلبها الذّباب الزّعفران لا يستنقذوه منه لماكان لقوله ضرب مثل فاستمعوا له مساغاً، وعلى ماذكرنا لم يكن حاجة الى تأويل فى قوله ضرب مثل ولا بيان لقوله ضعف الطّالب والمطلوب وقد اشير فى الخبر الى ما ذكرنا [اَللهُ يَصْطَفِى مِنَ الْمَلٰائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النّٰاسِ] يعنى انّ اصطفاء الرّسل(ع) سواء كانوا من الملائكة ام من النّاس مقصورٌ على الله فمالكم لاتكلون امر الخلافة الّتى هى رسالة من الله الى الله وتختلقون بآرائكم خليفة [اِنَّ اللهَ سَمِيعٌ] باقوال جميع العباد من الملائكة والنّاس فله ان يصطفى للرّسالة لانّه يسمع مايقوله الرّسول والمرسل اليهم [بَصِيرٌ] بدقائق مكمونات الكلّ فلايخفى عليه شيءٌ من المكمونات حتّى تقع خيريّة على غير الاصلح ويقع الخطاء فى اختيار الخليفة بخلافكم، ويجوز على مافسّرنا الآية السّابقة ان يفسّر هذه الآية هكذا الله فى مظهر خليفته الّذى هو علىّ(ع) يصطفى من الملائكة رسلا مرسلا الى الانبياء والاوصياء(ع) والى العوالم من عالم الطّبع والملكوتين لتدبير امورها وقضاء مايلزم قضاؤه، ومن النّاس رسلاً الى العباد من الانبياء والرّسل ومن اوصيائهم ومشايخهم انّ الله فى مظهر علىّ(ع) سميع بصير، وقد تكرّر فيما مضى انّ علياً(ع) بعلويّته هو المشيّة وهى تسمّى بوجهها الى الخلق بعلىٍّ(ع) وبوجهها الى الغيب بالله [يَعْلَمُ مٰا بَيْنَ اَيْدِيهِمْ] يعنى يعلم فى مظهره الّذى هو علىّ(ع) ما بين ايديهم اى ما بين ايدى النّاس او ما بين ايدى الملائكة والنّاس من الدّنيا او الآخرة او من الماضى او المستقبل [وَمٰا خَلْفَهُمْ وَاِلَى اللهِ] فى مظهره [تُرْجَعُ الْاُمُورُ] وقد ورد فى خطبة منه(ع) ايابُ الخلق الىّ وحسابهم علىّ ثمّ نادى علياً(ع) ورسله الّذين هم المؤمنون حقيقةً تلطّفاً وتشريفاً لهم وتفخيماً لشأنهم بذكر اوصافهم الفخيمة وفضله العظيم بالنّسبة اليهم فقال: [يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا] ركوع الصّلوة اوتواضعوا لربّكم [وَاسْجُدُوا] سجدة الصّلوة اوتواضعوا غاية التّواضع لربّكم [وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ] اى اخرجوا من انانيّاتكم بركوعكم وسجودكم وصيروا احراراً من عبوديّة انفسكم وعبيداً لربّكم [وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] قد مضى مكرّراً انّ التّرجّى من الله واجب. اعلم انّ الآية الشّريفة اشارة الى مراتب السّالكين واسفارهم فانّ اسفارهم وان كانت لاحدّ لها ولا نهاية لكنّها بحسب الامّهات محصورة فى اربعة كما اسلفنا ذلك مكرّراً؛ الاوّل السّفر من الخلق الى الحقّ وفى هذا السّفر ينكسر الانانيّة الّتى هى من الخلق بحيث لم يبق نسبة الفعل الى نفس السّالك بل يرى الفعل من الفاعل الظّاهر فى وجوده وحينئذٍ ينتهى سفره من الخلق الى الحقّ، وبعد هذا يكون السّفر من الحقّ الى الحقّ وفى هذا السّفر ينكسر انانيّته الّتى هى رؤية الوجود لذاته ورؤية ذاته ومادام ذاته تكون باقية يكون سفره من الحقّ الى الحقّ ولم يكن عبداً لبقاء انانيّةٍ ما عليه فاذا انتهى فى هذا السّفر بحيث لم يبق له ذات واثر من ذاته صار عبداً لله فانياً من ذاته ويكون سفره بعد ذلك فى الحقّ، فان ادركته العناية الآلهيّة وابقاه بعد فنائه يصير محسناً وفاعلاً للخيرات فانّه فى السّفر الاوّل والثّانى بواسطة بقاء الانانيّة لم يكن فعله خيراً على الاطلاق، وفى السّفر الثّالث لم يكن فعله منه حتّى يكون فاعلاً لشيءٍ وفى هذا السّفر وهو السّفر بالحقّ فى الخلق يكون له انانيّة بانانيّة الله وفاعليّة بفاعليّة الله ويكون فعله خيراً على الاطلاق والى هذه الاربعة اشارت الآية فانّه تعالى اشار بقوله: اركعوا الى السّفر من الخلق الى الحقّ، وبقوله: اسجدوا الّذى هو خروج من الانانيّة حتّى من

نسبة الذّات الى النّفس الى السّفر من الحقّ الى الحقّ، وبقوله: واعبدوا ربّكم الى السّير بالحقّ فى الحقّ، وبقوله: وافعلوا الخير الى السّير بالحقّ فى الخلق، ولا ينافى ذلك الخطاب كمال الكامل حتّى ينافى تفسير الآية بالائمّة (ع) فانّ الكامل لكونه جامعاً لجميع المراتب يكون له على سبيل الاستمرار سير من الخلق الى الحقّ وسير مع الحقّ فى الخلق، وقد اشرنا فى المقدّمات وفى تفسير الفاتحة وفيما بعدها الى الاسفار وكيفيّة السّلوك فيها [وَجَاهِدُوا فِي اللّهِ حَقَّ جِهَادِهِ] لمّا كان الخطاب لآل محمّد (ص) خاطبهم بهذا الخطاب والّا فمثل هذا التّكليف لغيرهم تكليف بما لايطاق بل يقال لهم: جاهدوا فى الله حقّ جهادكم لاحقّ جهاده فانّ حقّ الجهاد فى الله على الاطلاق وحقّ الجهاد اللّائق بالله ان لايبقى شيءٌ من انانيّة العبد ويبقى بعد فنائه بحيث يلاحظ الحقّ فى الخلق والخلق فى الحقّ من دون نقصان لشيءٍ منهما، ولحاظ الوحدة والكثرة على ما ينبغى لايتيسّر الّا لصاحب الجمع المطلق يعنى صاحب الولاية الكلّيّة والرّسالة الكلّيّة كما قيل:

جمع صورت باچنين معنىّ ژرف نيست ممكن جز زسلطان شگرف

[هُوَ اجْتَبَيكُمْ] استيناف فى مقام التّعليل [وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ] عطف على قوله هو اجتبيكم ويفيد التّعليل ايضاً والدّين كما سبق مكرّراً عبارة عن صورة الملّة الّتى هى الاحكام القالبيّة الاسلاميّة، وعن احكام الايمان القلبيّة، وعن طريق النّفس الى القلب، والقلب الى الرّوح، والرّوح الى العقل، وهكذا، وما جعل الله لاحدٍ فى شيءٍ من ذلك حرجاً فانّ التّكليف بقدر الوسع، واذا بلغ السّالك الى الطّريق كان له وسعة لايتصوّر سعة مثلها فانّه مادام يكون سالكاً الى الطّريق يكون فى ضيقٍ وحرجٍ وقبضٍ وقلقٍ، واذا بلغ الى الطّريق الى الله وهو مثال شيخه وملكوته تبدّل ضيقه بالسّعة وقبضه بالبسط وقلقه بالاطمينان، وتعبه بالرّاحة؛ رزقنا الله وجميع المؤمنين [مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ] فى هذا اشارة الى انّ تنزيل الآية لاهل بيت محمّد (ص) كما فسّروها لنا واذا اريد بالابوّة الابوّة الرّوحانيّة كان التّفسير صرفاً من التّنزيل الى التّأويل وتصدق هذه النّسبة على من صار منتسباً الى ابراهيم (ع) بالبنوّة، وهذا الانتساب لايكون الّا اذا صدق الاتّصال بالبيعة العامّة ان لم نقل بلزوم البيعة الخاصّة الولويّة فى صدق هذه النّسبة [هُوَ] اى ابراهيم (ع) اوالله [سَمَّيكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ] يعنى من قبل هذا الزّمان اومن قبل القرآن اومن قبل هذا العالم فى العوالم العالية [وَفِي هَذَا] الزّمان اوالقرآن اوالعالم، وتسمية ابراهيم (ع) لهم مسلمين فى هذا الزّمان بواسطة بقاء هذا الاسم لهم منه فى هذا الزّمان [لِيَكُونَ] تعليل للاوامر السّابقة، اوللمدائح اللّائقة، اوللمجموع يعنى جاهدوا ليكون [الرَّسُولُ] واجتبيكم ليكون الرّسول (ص) [شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ] هذا ايضاً يدلّ على اختصاص الآية بالائمّة (ع) [فَأَقِيمُوا الصَّلوٰةَ وَآتُوا الزَّكوٰةَ] قد مضى فى اوّل البقرة بيان الصّلوة واقسامها واقامتها وبيان الزّكوة واطوارها وايتائها [وَاعْتَصِمُوا بِاللّهِ] بالاعتصام بالولاية فانّ الاعتصام بالله باعتبار مقام الغيب لايتصوّر للانسان ماكان شاعراً بذاته فالمراد الاعتصام بخلفائه والاعتصام بطريقه الّذى هو طريق الولاية [هُوَ مَوْلَيكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى] يعنى اذا كان موليكم فنعم المولى [وَنِعْمَ النَّصِيرُ] هو.

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

وهى مائة وثمانى عشرة آية اوتسع عشرة آية

[الجزء الثّامن عشر]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ] بالايمان الخاصّ والبيعة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة فانّ المؤمن بمعنى المسلم ان كان واقفاً على اسلامه غيرسالك اوواصل الى الايمان لم يكن له فلاح ولم يكن منفعته سوى المنافع الرّاجعة الى الدّنيا من حفظ الدّم وجواز التّناكح والتّوارث والمعاملة نحو معاملة المسلمين من عدم جواز غيبته وهتك عرضه وغير ذلك، والتّوصيف بالاوصاف الآتية يدلّ على ارادة الايمان الخاصّ [اَلَّذِينَ هُمْ فِي صَلٰوتِهِمْ خٰاشِعُونَ] الصّلوة بمعنى الدّعاء اى دعاء الله للحضور عند الدّاعى وبمعنى كلّ ما به يدعى الله من فعل اوقول اوهيئة اوفكر اوتخيّل ولمّا كانت الصّلوة المشروعة القالبيّة مركّبة من هيأت وافعال واقوال كلّها ما به يدعى الله للحضور عنده سمّيت صلوة، وكذلك الذّكر المأخوذ من صاحب الاجازة سواء كان جليّاً ام خفيّاً، وهكذا الفكر المصطلح للصّوفيّة من تمثّل ملكوت الشّيخ عند السّالك سواء كان بتعمّل من السّالك اوبغير تعمّل منه، ولمّا كان المقصود من دعاء الله بايّ صورة كان دخوله فى بيت قلب الدّاعى اوحضور الدّاعى عنده، وحضور السّالك عند الله لا يكون الّا بكسر انانيّته والخروج من وجوده ولا يكون ذلك الّا بالمحبّة لله واستشعار الهيبته منه قال الّذين هم فى صلوتهم خاشعون لانّ الخشوع حالة حاصلة من محبّة من يخشع له واستشعار الهيبة منه ولا تكون هذه الحال الّا مع كسر انانيّة الخاشع فلو لم يخشع الدّاعى فى دعائه كان دعاؤه لغواً فالمصلّى بالصّلوة القالبيّة الشّرعيّة لمّا كان قيامه فى الصّلوة قيام من يقوم عند الملك المقتدر، وتكبيره اظهاراً واستشعاراً بعظمة الله بمعنى ان ليس فى ذكره سوى الله ولذلك سمّى بتكبيرة الاحرام وكان اقواله كلّها دعاءً وتضرّعاً على الله وركوعه وسجوده تواضعاً لعظمة الله كان هذا العمل منه لغواً واستهزاءً بالله ان لم يكن حاله موافقاً لفعله، ولذلك عقّب قوله الّذين هم فى صلوتهم خاشعون بقوله [وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ] مقدّماً على قوله [وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكٰوةِ فٰاعِلُونَ] مع انّ الانسب بذكر الصّلوة ان يكون الزّكوة عقيبها، واللّغو فعل اوقول لا يعتدّ به ولا يترتّب عليه فائدته المطلوب منه، ولمّا كان فائدة الصّلوة الخروج من الانانيّة والعروج الى الملكوت والحضور عند المعبود وكان الاشتغال بالغير والتفات الخيال الى الكثرات منافياً لتلك الفائدة ومسقطاً لها كان الصّلوة بهذه الحال لغواً؛ فعلى هذا كان قوله: الّذين هم عن اللّغو معرضون تأكيداً لمفهوم قوله الّذين هم فى صلوتهم خاشعون، وقد سبق فى اوّل البقرة تفصيل تامّ للصّلوة واقسامها والزّكوة وانواعها، والنّلام

فى قوله للزّكوة فاعلون زائدة للتّقوية او هى للتّعليل، و الزّكوة ههنا بمعنى النّماء او الطّهارة او الصّلاح او التّنعّم او فضول المال الّذى تخرجه لتطهّر باقيه ولم يقل للزّكوة مؤتون ليذهب ذهن السّامع الى كلّ المعانى والمحتملات [وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ] جمع الفرج بمعنى العورة وهى كلّ سوأة من المرء والمرأة ينبغى حفظها عن النّظر اليها والمراد حفظها عن الوطى اوعن النّظر اليها [إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ] لمّا جعل متعلّق الحفظ مثل الاطلاق والاسترسال استثنى المجرور بعلى نحو الاستثناء المفرّغ يعنى الّذين هم حافظون فروجهم عن الاطلاق وعدم الامساك الّا على ازواجهم يعنى لايحفظونها عن الاطلاق على ازواجهم ، وقيل: انّ لفظة على ههنا مثل على فى قوله : احفظ علىّ عنان فرسى فانّ الحبس على الازواج يفيد هذا المقصود [أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ] من الاماء لا العبيد وجاء بما للاشعار بانّهنّ من تلك الحيثيّة كسائر الحيوان فى معاملتهنّ معاملة غير ذوى العقول ، والآية مجملة فانّها مطلقة عن بيان الحالات الّتى تحرم الازواج والاماء فى تلك الحالات [فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ] نفى اللّوم عنهم مع انّ المضاجعة ان كانت بأمر الله ومن الجهة الّتى ارتضاها الله كان صاحبها مأجوراً لانّ اكثر النّاس لم تكن مضاجعتهم الّا محض تشهّى النّفس كسائر افعالهم فلم يكن لهم اجرٌ فيها [فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ] المذكور من الاسترسال على الازواج والمماليك [فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ] اى الظّالمون او المتجاوزون عن حدود الله [وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ] الامانات كما فى سورة النّساء وسيأتى فى سورة الاحزاب عبارة عن كلّ ما استودع عند انسان ليكون محفوظاً سالماً نامياً لصاحبه، واذا طالبه صاحبه سلّمه له، وتصدق على الامانات الصّوريّة الّتى يستودعها بعض النّاس عند بعض وعلى الامانات الّتى استودعها الله عند عباده وامائه تكويناً من الامانة الاصليّة الّتى هى اللّطيفة السّيّارة الانسانيّة الّتى عرضها الله على السّماوات والارض والجبال فأبين من حملها وحملها الانسان ومن سائر ما انعم الله به على عباده من الاعضاء والجوارح والقوى والمدارك والعلوم والمناسك التّكوينيّة ، ومن الامانات الّتى استودعها الله عند عباده بتوسّط خلفائه ومظاهره من الاحكام القالبيّة النّبويّة، والقلبيّة الولويّة، والاذكار الجليّة والخفيّة، وودائع الوصاية الّتى استودعها كلّ امام لامام آخر والمراد بالعهد كما سبق مكرّراً هو البيعة العامّة والخاصّة فانّ العهد المنظور اليه والمسؤل عنه هو الميثاق الّذى يحصل بين الانسان وبين الله بتوسّط مظاهره بالبيعة على ايديهم و سائر العهود والعقود مثل النّذور والعهود وسائر العقود الواقعة بين العباد مقصودة تبعاً، ومراعاة الامانة بان لايقصّر فى حفظها وانمائها ان كانت صاحبة نماء وبتحمّل ما تحتاج اليه من المأكول والمشروب او المخزن واغلاق الباب والنّقل من مكان الى مكان ان كانت ممّا تحتاج الى ذلك، ومراعاة العهد بان لايتركه ولايترك شروطه ولاينقضه [وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ] قرئ مفرداً وجمعاً [يُحَافِظُونَ] ولمّا كان المفرد المضاف الغير المراد به فرداً معيّناً او فرداً ما مفيداً للعموم لم يكن بين الجمع والمفرد فرق، والمحافظة المواظبة على الشّيء بالذبّ عنه والحفظ له عن الضّياع والمحافظة على الصّلوات القالبيّة والصّدريّة والقلبيّة بالذّبّ عنها ودفع الشّياطين الجنّيّة والانسيّة عن المداخلة فيها وحفظ اوقاتها وحفظ حدود كلّ منها والدّوام عليها على كلّ بحسبه بان لايترك الصّلوة القالبيّة فى اوقاتها ولايغفل عن الصّلوات الصّدريّة والقلبيّة الذّكريّة والفكريّة ، وكرّر ذكر الصّلوة بذكرها اوّلاً بوصف الخشوع فيها الّذى هو من احكامها الباطنة ، واخيراً بوصف الحفظ عليها الّذى هو اعمّ من حفظ صورتها واحكامها الظّاهرة وحفظ معنيها واحكامها الباطنة للاهتمام بشأنها، وللاشارة الى انّها ينبغى ان تكون مفتتح الكلّ ومختتمها ، والاتيان بالمضارع ههنا للاشارة الى انّ مختلّات الصّلوة الباطنة والظّاهرة متجدّدة الحدوث استمراراً والمحافظة عليها من اخلال مختلّاتها ينبغى

ان تكون متجدّدة الحدوث استمراراً بخلاف سائر الاوصاف [أُولٰئِكَ] العظماء المحضرون باوصافهم العظيمة [هُمُ الْوارِثُونَ] حقيقة لاغيرهم فانّ وراثة غيرهم ان كانت من قبيل وراثة الاموال الصّوريّة او الدّركات الاخرويّة الجحيميّة لم تكن معدودة من الوراثة، وان كانت من قبيل وراثة درجات الجنان لم تكن وراثة بل كانت تطفّلاً لاولئك العظام فأتى باسم الاشارة البعيدة اشارةً الى تفخيمهم واحضاراً لهم باوصافهم الحميدة، واتى بضمير الفصل تأكيداً للحكم واشعاراً بالحصر، وتعريف المسند ايضاً يفيد الحصر [الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ] لم يقل هم الوارثون للفردوس لايهام انّهم هم الوارثون لجميع مايمكن ان يورّث ليكون ابلغ فى مدحهم، والفردوس يطلق على الاودية الّتى تنبت ضروباً من النّبت، والبستان الّذى يكون فيه جميع مايكون فى البساتين، وعلى طبقات الجنان، وعلى الطّبقة العليا منها ويؤنّث ويذكّر وهو عربىّ اورومىّ اوسريانىّ معرّب [هُمْ فِيها خالِدُونَ] اتى به اشارةً الى تمام النّعمة فانّ تمامها بعدم زوالها.

اعلم، انّ الانسان من بدو خلقته الّتى هى خلقة نطفته واولى مادّته وقرارها فى قرار مكين يكون بالقوّة فى جميع مايمكن ان يحصل للانسان وكلّ آن يحصل له فعليّة من فعليّات الانسانيّة الّتى هى فعليّات الولاية، وكلّ فعليّة تحصل له تكون مرتبة من الولاية التّكوينيّة الّتى هى سارية فى جميع الموجودات وبكلّ بعد من مرتبة المادّة وقرب من الولاية يحصل له فعليّة من فعليّات الولاية ويخلع عنه نقص وعدم من اعدام المادّة، وحصول كلّ فعليّة له نحو وراثة من ابيه الّذى هو الولاية المطلقة الّتى هى المشيّة وهذا الخلع وتلك الوراثة مستمرّان له الى اوان المراهقة وزمان البلوغ وتميز الخير والشّرّ الانسانيّين، فاذا وصل الى ذلك وقع بين تصرّف الملك والشّيطان وبين النّسبة الى الرّحمن والنّسبة الى الشّيطان بالقوّة فاذا تصرّف فيه الشّيطان صار نسبته اليه بالفعل وكلّما حصل له فعليّة من تصرّف الشّيطان صار تلك الفعليّة ارثاً له من الشّيطان، وكلّما زاد تصرّف الشّيطان اشتدّ فعليّة النّسبة الى الشّيطان واشتدّ بحسبها الفعليّات الحاصلة له من الشّيطان حتّى اذا حصل له جميع الفعليّات المناسبة لدركات النّيران وتمكّن فى اتّباع الشّيطان فيصير وارثاً لجميع مال الشّيطان وجميع مراتبه بحيث يصير الشّيطان من اجزائه واظلاله، واذا تصرّف فيه الرّحمن صار نسبته اليه بالفعل وكلّما حصل له فعليّة من تصرّف الرّحمن صار تلك الفعليّة ارثاً له من الرّحمن، لكن لمّا كان الشّيطان اقرب اليه حين البلوغ من الرّحمن جعل الله وسائط بينه وبين خلقه من الانبياء والاوصياء(ع) حتّى يكونوا بظاهر بشريّتهم موافقين للعباد ويكون العباد مدركين لهم بمداركهم الحيوانيّة حتّى يأنسوا بهم ويتوسّلوا الى الله بالتّوسّل بهم ويكون الرّسل(ع) وخلفاؤهم معاونين لهم فى قبول تصرّف الرّحمن، فمن توسّل بهم بالبيعة العامّة او البيعة الخاصّة تعرّض لتصرّف الرّحمن وحصّل النّسبة بينه وبين الرّحمن وبتلك النّسبة يصير ابناً لمن بايع معه البيعة العامّة او الخاصّة وكلّما حصل له من جهة تلك النّسبة من الفعليّات كان فعليّة الولاية والرّحمن وكان ارثاً له من صاحب الولاية المطلقة حتّى حصل له جميع فعليّات الولاية المطلقة من طبقات الجنان، والفرق بين هذا الارث والارث الدّنيوىّ الصّورىّ انّ الارث الصّورىّ لايحصل للانسان مادام المورّث لم يرفع يده بالموت عن المال الموروث وعن الوارث، وما لم ينقطع النّسبة بينه وبين الوارث، وانّ الارث المعنوىّ لايحصل للانسان مالم يشتدّ النّسبة بينه وبين الوارث وما لم يضع المورّث يده على الوارث و بحسب اشتداد النّسبة وقوّة وضع اليد يكون زيادة الارث وكثرة المال الموروث وهذا الارث موجب لسعة المورّث وكثرة ماله بخلاف الارث الصّورىّ، ولمّا كان لكلّ انسان قوّة فعليّة الجحيم والجنان وكان دركات الجحيم ودرجات الجنان الّتى كان للانسان قوّة الوصول اليها بمنزلة ماله المملوك له بالقوّة، واذا وصل الى احديهما ترك الاخرى ترك الميّت ماله لوارثه، وردانّ منازل اهل الجنان فى الجحيم

يرثها اهل الجحيم ومنازل اهل الجحيم فى الجنان يرثها اهل الجنان يعنى يرث كلّ من المتناسبين منازل الآخر وبهذا التّناسب يصحّ اطلاق التّوارث فعلى ماذكر كان معنى الآية الّذين يرثون الفردوس من صاحب الولاية المطلقة اومن متناسبيهم من اهل الجحيم [وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ] عطف على قد افلح المؤمنون ووجه المناسبة بينهما انّ فلاح المؤمن عبارة عن خلاصه عن نقائص المادّة وشوائب العدم وخروجه عن القوّة الى الفعليّة واوّل مراتب خلقته ايضاً خلاص من العدم وعن نقائص المادّة وخروج من القوى الى الفعليّات فكأنّه علّل صحّة فلاحه بهذا العطف وقال: انّ فلاحه مثل خلقته المشهودة لكم بحسب آثارها فانّ النّشأة الآخرة مثل النّشأة الدّنيا، ويجوز ان يكون حالاً بهذا المعنى ، والسّلالة ما انسلّ من الشّيء ونكّر السّلالة والطّين للاشعار بانّهما كانا نوعين خاصّين من السّلالة والطّين ، ومن الاولى ابتدائيّة متعلّقة بخلقنا والثّانية بيانيّة اوتبعيضيّة متعلّقة بمحذوف صفة لسلالة ، اوابتدائيّة متعلّقة بسلالةٍ ، اوبمحذوف صفة لسلالة، اوهى مع مابعدها بدل من قوله من سلالة، والمراد بالانسان الجنس وبالسّلالة النّطفة قبل انفصالها من الاصلاب والتّرائب وقبل ان تسمّى نطفةً، وبالطّين طين آدم اوالغذاء مطلقاً اوالغذاء المهضوم فى المعدة اوالكبد اوالعروق اوالاعضاء فانّ الكلّ بوجهٍ تراب خليط بالماء خلطة اتمّ وابلغ من الطّين المعروف ، وقيل: المراد بالانسان آدم (ع) ابو البشر، وبالسّلالة التّراب المأخوذ من اديم الارض [ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً] مستقرّاً [فِي قَرَارٍ] القرار والقراره بفتحهما مايستقرّ فيه الشّيء [مَكِينٍ] من المكان بمعنى الموضع اومن المكانة بمعنى المنزلة عند الملك، اومن التّمكّن بمعنى الاقتدار، والمراد بالقرار المكين الرّحم [ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ] اى صيّرنا النّطفة [عَلَقَةً] اوخلقنا من النّطفة علقةً [فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً] اتى بثمّ فى الفقرة الاولى للاشارة الى امتداد الزّمان من اوّل استقرار النّطفة فى الرّحم الى صيرورتها دماً منعقداً بخلاف صيرورة العلقة مضغةً فانّه لاتراخى بين العلقة والمضغة [فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا] يعنى صيّرناوصوّرنا اوّلاً صورة العظام فانّه ما لم يتميّز العظام فى بدن الجنين لايتصوّر تصوير اللّحوم فانّ اللّحوم فى كلّ موضع بنحوٍ مخصوصٍ وليس تميّزها وخصوصيّاتها الّا بتميّز محالّها الّتى هى العظام وخصوصيّاتها [فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ] اتى بثمّ للاشعار بتراخى مرتبة الانشاء عن الخلق فانّ الخلق يستعمل فى المكوّنات المادّيّات، والانشاء فى المجرّدات، وقد يخصّ الخلق بمايحتاج الى مادّة ومدّة كالمواليد، والاختراع بمايحتاج الى المادّة دون المدّة كالسّماوات والعناصر، والانشاء بالمتقدّرات المجرّدة عن المادّة والمدّة، والابداع بالمجرّدات عن الكلّ وبكلا المعنيين يكون الانشاء اعلى درجةً من الخلق ، وللاشارة الى انّ انشاء نفس الانسان ليس كصيرورة العلقة مضغةً بلافرجة بل لايكون انشاء نفس الانسان ممتازة عن بدنه الّا آخر ايّام الحمل اواوّل ايّام الوضع فيكون بين كسوة العظام لحماً وبين انشائه نفساً تراخٍ [فَتَبَارَكَ اللَّهُ] بمعنى تنزّه وتقدّس وهذه كلمة خاصّة بالله بهذا المعنى يقال فى مقام التّعجّب من الشّيء وتعظيمه وان كان اصله من البركة بمعنى النّماء والزّيادة فى الخيرات ، عقّب الانشاء بهذه الكلمة للاشارة الى انّ انشاء نفس الانسان امرعظيم ينبغى ان يتعجّب منه وينزّه منشئه عن وصمة النّقص، والتفت من التّكلّم الى الغيبة ولم يقل تباركنا لانّ هذه الكلمة صارت كالامثال فى مخاطباتهم ولاتتغيّر [أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ] يعنى انّ الخالقيّة الحقيقيّة ان كانت منحصرة فى الله فوسائطه لخلقه من الملائكة والقوى والصّنّاع كثيرة والله تعالى احسن الكلّ لعدم احتياجه فى خلقه الى شيءٍ من مثالٍ سابقٍ ومادّةٍ ومددٍ وآلةٍ وقوىً وجوارح واعضاء [ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ] وجه الاتيان

بثم ظاهر [ثُمَّ اِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ تُبْعَثُونَ وَلَقَدْ خَلَقْنٰا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرٰائِقَ] جمع الطّريقة بمعنى السّماء لانّ كلّ سماءٍ طريقة ومطارقة اى مطابقة للاخرى، اولانّ السّماوات مسير للكواكب اوبمعنى الاخدودة فى الارض شبه الطّربق والمقصود انّكم شاهدتم طبقات الارض الّتى مررتم عليها من المراتب المذكورة وقد خلقنا فوقكم طبقات السّماء ولابدّ لكم من المرور عليها قبل الموت اوبعد الموت فأعدّوا انفسكم للمرور عليها واطلبوا الانفسكم دليلاً للمرور عليها فانّكم بها اجهل منكم بطرق الارض [وَمٰا كُنّٰا عَنِ الْخَلْقِ] اى المخلوق اوايجاد الخلق [غٰافِلِينَ] حتّى نهمل ما يحتاج الخلق اليه ولم نخلقه لهم فاطلبوا ما تحتاجون اليه فى السّير على طرق السّماء تجدوا [وَاَنْزَلْنٰا] عطف فيه معنى التّعليل [مِنَ السَّمٰاءِ] اى من جهة العلو اومن السّحاب [مٰاءً بِقَدَرٍ] بحيث تنتفعون به ولا يفسد اماكنكم ولازراعاتكم به ولا نمنعكم بحيث لايحصل ما به معاشكم ومدد حيوتكم فانّه لوكان المطر متتالياً متكاثراً افسد الابنية والزّروع، وهكذا القنوات والعيون والسّيول والبحار لوكثرت مياهها بحيث احاطت بوجه الارض لافسدت واهلكت ولو لم يكن ماء اصلاً لم تكن حيوة ابداً، وانزال الماء بقدرٍ دليل عدم غفلتنا عن الخلق، ولا يذهب عليك انّ انزال ماء الحيوة الحيوانيّة والبشريّة من سماء الارواح واسكانه فى ارض البدن الحيوانىّ والانسانىّ منظور ايضاً [فَأَسْكَنّٰاهُ فِى الْاَرْضِ] ليستقى به زراعاتكم وبهائمكم وتنتفعون به فى سائر منافعكم [وَاِنّٰا عَلىٰ ذَهٰابٍ بِهِ لَقٰادِرُونَ] فأبقيناه فى الارض ترحّماً عليكم [فَأَنْشَأْنٰا لَكُمْ بِهِ جَنّٰاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَاَعْنٰابٍ لَكُمْ فِيهٰا فَوٰاكِهُ كَثِيرَةٌ] الفاكهة الثّمر بأنواعها رطبها ويابسها [وَمِنْهٰا] اى من الجنّات اومن الفواكه [تَأْكُلُونَ] خصّ الجنّات من بين مايحصل بسبب الماء ثمّ خصّ من الجنّات النّخيل والاعناب بالذّكر لاعجاب العرب بالجنّات وبالنّخيل والاعناب منها وعدم معرفتهم من الجنّات شيئاً تعتدّ به سواها [وَشَجَرَةً] قرئ بالنّصب عطفاً على جنّات وبالرّفع خبر مبتدءٍ محذوفٍ اى من المنشأت شجرة، اومبتدء خبره تنبت بالدّهن [تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنٰاءَ] قرئ بفتح السّين والمدّ وبكسر السّين والمدّ والقصر، والطّور الجبل اوفناء الدّار والمراد به الجبل الّذى تاجى موسى ربّه فيه، وسيناء اسم الموضع الّذى به هذا الجبل، اواسم حجارة مخصوصة فى ذلك الموضع، وقيل: المراد بالسّيناء الجبل المشجّر يعنى الكثير الشّجر، وقيل: المراد الجبل الحسن، وقيل: السّيناء بمعنى البركة، ومعنى طورسيناء جبل البركة وهومابين مصروايلة، وقيل: طورسيناء جبل بالشّام، وفى اخبارنا اشارة الى انّ طورسيناء نجف الكوفة، وانّه الموضع الّذى فيه مشهد امير المؤمنين (ع) فعن الباقر (ع) انّه كان فى وصيّة امير المؤمنين (ع) ان اخرجونى الى الظّهر فاذا تصوّبت اقدامكم واستقبلتكم ريحٌ فادفنونى فهو اوّل طورسيناء، وعن الصّادق (ع): الغرىّ قطعة من الجبل الّذى كلّم الله عليه موسى (ع) تكليماً، وقدّس عليه عيسى (ع) تقديساً، واتّخذ عليه ابراهيم (ع) خليلاً، واتّخذ محمّداً (ص) حبيباً، وجعله للنّبيّين مسكناً، فوالله اسكن بعد ابويه الطّيّبين آدم ونوح (ع) اكرم من امير المؤمنين (ع)، والمراد بالشّجرة الّتى تخرج من طورسيناء شجرة الزّيتون وخصّها بالذّكر لانّها كثيرة النّفع للعرب فانّها [تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ] قرئ من الثّلاثىّ المجرّد وحينئذٍ يكون الباء للتّعدية اوللمصاحبة، وقرئ تُنبت من الانبات بمعنى النّبت اومتعدّياً، ويكون المفعول محذوفاً اى تنبت الثّمر بالدّهن [وَصِبْغٍ] اى ادام فانّ ثمرها ادام [لِلْآكِلِينَ] قيل: المراد شجرة الزّيتون وهومثل رسول الله (ص) وامير المؤمنين (ع) فالطّور الجبل والسّيناء الشّجرة [وَاِنَّ لَكُمْ فِى الْاَنْعٰامِ لَعِبْرَةً] اعتباراً واستدلالاً على عنايته تعالى بكم وكمال حكمته وقدرته والجملة معطوفة على قوله:

لقد خلقنا، اوعلى قوله : انزلنا من السّماء فانّهما فى معنى ان يقال : انّ لكم فى خلقكم ، وانّ لكم فى انزال الماء من السّماء لعبرة [نُسْقِيكُمْ] قرئ بضمّ النّون وفتحها والجملة مستأنفة اوحاليّة [مِمّا فِى بُطُونِها] من الالبان [وَلَكُمْ فِيها مَنافِعُ كَثِيرَةٌ] بسبب تسخيرها لكم من الظّهور والاصواف والشّعور والاوبار والتّجمّل بها [وَمِنْها تَأْكُلُونَ] اى من لحومها وشحومها [وَعَلَيْها وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ] فى البرّ والبحر لمّا كان المراد تعداد النّعم بنحو الاعتبار بها اضاف الى الانعام الفلك [وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ] لمّا ذكر صنعه فى خلق الانسان وتدبيره لامكان بقائه ونبّهه على بقائه بعد موته ذكر غاية النّعم واصلها واشرفها وهى ارسال الرّسل للهداية الى خير السّبل ليكون بقاؤه اتمّ بقاء وعلى اشرف انحاء البقاء [فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ] قرئ غيره بالرّفع والجرّ [أَفَلا تَتَّقُونَ] اى اتعبدون الاصنام فلا تتّقون سخطه [فَقالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ] يعنى قال الرّؤساء للاتباع [ما هذا إِلّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ] يعنى لا فرق بينه وبينكم حتّى يكون مستحقّاً للتّفضّل عليكم ويستحقّ الرّسالة دونكم [يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ] فيجعلكم اتباعاً لنفسه [وَلَوْ شاءَ اللّهُ] ان يرسل علينا رسولاً [لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً] للرّسالة [ما سَمِعْنا بِهذا] اى بارسال رسول من البشر اوبما يدعوننا اليه من التّوحيد [فِى آبائِنَا الْأَوَّلِينَ] حتّى لا نستغرب منه ولا ننكره [إِنْ هُوَ إِلّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ] جنون [فَتَرَبَّصُوا بِهِ] فاحتملوا منه وانتظروا افاقته [حَتّى حِينٍ قالَ] الرّسول [رَبِّ انْصُرْنِى] عليهم [بِما كَذَّبُونِ فَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ] بعد دعائه واجابتنا له وامهالنا لهم مدّة متمادية حتّى رجع عنه من كان داخلاً فى دينه [أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا] جمع العين بمعنى الباصرة اوبمعنى الدّيدبان ، والباء بمعنى فى اى اصنعها فى حضرة اعيننا ، اوللسّببيّة والمعنى اصنعها بسبب امداد ملائكتنا، وعلى الاوّل يكون الظّرف لغواً متعلّقاً باصنع اومستقرّاً حالاً من المفعول اوالفاعل [وَوَحْيِنا] بتعليمك صنعها [فَإِذا] صنعتها و [جاءَ أَمْرُنا وَفارَ التَّنُّورُ] الّذى جعلت فورانه بالماء علامة لاهلاك قومك وغرقهم [فَاسْلُكْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ] قرئ كلّ منوّناً وبالاضافة اى من كلّ نوع من الحيوان مشتمل على الذّكر والانثى [اثْنَيْنِ] ذكراً وانثى لئلّا يستأصل النّوع [وَأَهْلَكَ إِلّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخاطِبْنِى فِى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ] قد سبق الآية فى سورة هود [فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى نَجّانا مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ] لمّا كان المنقطع الفطرة كالعضو الفاسد الّذى يؤذى صاحبه ويفسد ما يجاوره وبقطعه يسلم سائر الاعضاء ويستريح البدن وصار قومه بعد كمال شقاوتهم كالاعضاء الفاسدة وبقطعهم واستيصالهم يستريح الملائكة وخلفاء الله امره تعالى بالحمد على نعمة استيصالهم والّا فنوح (ع) كما كان يجادل الله فى دفع العذاب عن قومه كان يحزن على هلاكهم لا انّه كان يشكر على استيصالهم [وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِى] من السّفينة ومن مقام الحضور والاطلاق الى مقام الغيبة والكثرات [مُنْزَلًا] قرئ من الانزال ومن النّزول وهو مصدر اواسم مكان اواسم زمان [مُبارَكاً] بالبركة لى فى مالى واولادى واعوانى [وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ] قد ورد قراءة هذه الآية وقت النّزول فى منزل [إِنَّ فِى ذلِكَ] القصص اوفى ارسال نوح (ع) ودعوته واهلاك قومه [لَآياتٍ] عديدة على المبدء وتوحيده وعلمه و قدرته و توانيه بالنّسبة الى العاصين من خلقه و رحمته و تدبيره

[وَإِنْ كُنَّا] اى انّه كنّا [لَمُبْتَلِينَ] يعنى كنّا قديماً ممتحنين عبادنا بالشّر والخير اوكنّا ممتحنين فى ارسال نوحٍ (ع) و توانينا فى اهلاك قومه [ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ] هم قوم هودٍ او قوم صالحٍ [فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ] هو هود او صالح [أَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ] ان تفسيريّة و تفسير لارسلنا لانّ فيه معنى القول [مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ] مضى الآية قبيل هذا [وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ] قولاً كمنكرى البعث اوفعلاً وحالاً كأكثر أهل كلّ زمانٍ [وَأَتْرَفْنَاهُمْ] أنعمنا عليهم بنعمة أبطرتهم [فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هٰذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ] ذكروا الجملتين لتأكيد التّشابه واستغراب التّفضيل [وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ] لضياع بضاعتكم الّتى هى عقولكم باطاعة بشر مثلكم [أَيَعِدُكُمْ] استبعاد لهذا الوعد لعدم اقرارهم بالمعاد [أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ] انّكم الثّانى تأكيدٌ للاوّل اتى به لطول الكلام و الفصل بين انّ الاولى وخبرها ، اوانّكم الثّانى مبتدء خبره الظّرف المتقدّم والجملة خبر انّ الاولى ، اوانّكم الثّانى فاعل فعل محذوف جواب للشّرط ،اوهو مبتدء محذوف الخبر و الجملة جواب للشّرط بتقدير الفاء،اوهو فاعل للظّرف و الظّرف خبر انّ الاولى، اوخبر انّ الاولى محذوف و انّ الثّانية مع خبرها تأكيد لانّ الاولى وخبرها [هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ] قرئ هيهات بتثليث التّاء منوّناً وغير منوّنٍ وبسكون التّاء وبابدالها هاءً ساكنةً وفى هيهات اثنتان وخمسون لغة هيهات وايهات، وهيهان وايهان، وهايهات وهايهان، وآيهات وآيهان، مثلّثات الاخر منوّناتٍ وغير منوّناتٍ،وهيهات ساكنة الآخر بالتّاء وبالهاء وايها وايئات وهى اسم للبُعد ، اواسم فعلٍ بمعنى بعد سواء جعل مفرداً اوجمعاً لهيه وهوكلمة طردٍ وزجرٍ،واذاكان اسماً للبعد كان [لِمَا تُوعَدُونَ] خبره، واذاكان اسماً للفعل كان ضمير الفاعل مستتراً فيه وكان لام لما توعدون للتّبيين [إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ فى مقام التّعليل [نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللّٰهِ كَذِباً وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ] اى مذعنين اولقوله موقنين [قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ قَالَ] الله اجابة لدعائه [عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً] الغثاء ما احتمل السّيل من الزّبد والهالك والبالى [فَبُعْداً] بعدوا بعداً حذف الفعل واقيم المصدر مقامه والقياس فبعداً لهم لكنّه وضع المظهر موضع المضمر للاشعار بعلّة الحكم وذمّ آخرلهم فقال [لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] و الّلام للتّبيين وهواخبار اودعاء عليهم و المعنى انّ الهلاكة ثابتة للقوم الظّالمين [ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُوناً آخَرِينَ] فأهلكوا فى موعدهم المقدّر لهم فانّ قوله [مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ] كناية من اهلاكهم فى موعد اهلاكهم وتهديد للحاضرين [ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ] هو من الوتر ضدّ الشّفع والتّاء مبدل من الواو كتاء تقوى وهو وصف اومصدر والالف للتّأنيث مثل التّقوى او للالحاق وعليهما قرئ غير منوّنٍ ومنوّناً والمعنى ارسلنا رسلنا واحداً واحداً لكنّ المواترة لاتستعمل الّا اذاكان بين الاشياء تعاقب بتراخٍ فانّه اذا لم يكن بينها تراخ يقال بينها مداركة و مواصلة [كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً] فى العقاب والاهلاك [وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ] يتحدّث بهم ويسمر بقصصهم وهو

جمع الاحدوثة اوجمع الاحداث جمع الحديث ، اوجمع الحديث ابتداء مع شذوذ وحمل الاحاديث عليهم اذا كانت جمع الحديث للمبالغة في استيصالهم كأنّهم لم يبق منهم في النّاس الّا حديثهم [فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ] مضى نظيره قبيل هذا [ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا] التّسع اوبمعجزاتنا اوبأحكامنا [وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ] ظاهر اومظهر والمراد بالسّلطان عصاه اوبرهانه القوليّ اوسلطنته على قهر الاعداء [إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ] اى قومه مطلقاً اوخواصّه [فَاسْتَكْبَرُوا] عن موسى (ع) وقبول دينه [وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ] بحسب الدّنيا بسبب غلبتهم على اهل ارضهم وعلوّهم على من كان في مصر [فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ] يعني ليس لهما فضل بانفسهما ولابقومهما والعاقل لايفضّل من لاجهة فضل فيه بل لناعليهما الفضل باستعباد قومهما لانّ القبطيّ كانوا يستعبدون السّبطيّ في الاعمال اولانّ السّبطيّ كانوا يعبدون فرعون مثل القبطيّ [فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا] بعد التّكذيب بلافرجة [مِنَ الْمُهْلَكِينَ] عن الحيوة الانسانيّة دون الحيوانيّة اوصاروا من المهلكين بالاغراق لكن بعدحين ، والاتيان بالفاء لانّ الفاء في كلّ شيء بحسبه والاهلاك المتعقّب للرّسالة بلافرجة ان تتمّ الرّسالة واحتجاجاتها [وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ] كتاب النّبوّة واحكامها اوالتّوراة [لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ] اى لعلّ قومه اولعلّ فرعون وقومه وهذا يوافق تفسير الكتاب بالنّبوّة واحكامها [وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً] فانّ مريم (ع) كانت من اوّل بلوغها آية لله لانّها كانت متعبّدة غير ملتفتة الى الدّنيا وملاذّها ، يأتيها رزقها من الله يأتيها فاكهة الصّيف في الشّتاء وفاكهة الشّتاء في الصّيف وحملت من غير مسيس بشر ، وكان مدّة حملها اقصر مدّة ؛ ساعة او اكثر بيسير ، فانّها لم يظهر على احد انّها كانت حاملة وحملت من غير زوال بكارتها وكون عيسى (ع) آية لاحاجة فيه الى التّفصيل [وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ] مكان مرتفع ، وقرئ الرّبوة بضمّ الرّاء وفتحها ، وقرئ رباوة بضمّ الرّاء وكسرها ، والرّبوة والرّباوة بتثليث الرّاء فيهما المرتفع من الارض [ذَاتِ قَرَارٍ] للماء بانبساطها واستوائها اوللنّاس بسبب انّ من كان فيها ومن دخلها يستقرّون فيها لحسن مكانها ووفور النّعم فيها [وَمَعِينٍ] اى ذات ماء جار من معن الماء اذا جرى ، اومن الماعون بمعنى المعروف ، اواسم مفعول من العين بمعنى المدرك بالعيون لظهورها وارتفاعها والمراد بها بيت المقدس اودمشق اورملة فلسطين اومصر ، وعن ابى جعفر (ع) وابى عبدالله (ع) انّها حيرة الكوفة وسوادها والقرار مسجد الكوفة والمعين الفرات [يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ] حال بتقدير القول اوجوابٌ لسؤال مقدّر بتقدير القول كأنّه قيل: ما قال الله الرّسل سواء كان الخطاب لمجموعهم دفعة في عالم الجمع وهو عالم الارواح ، اوكان الخطاب لكلّ واحد واحد في زمانه لكنّه تعالى جمعهم في الحكاية ، وقيل: انّه خطابٌ لمحمّد (ص) من دون تقدير القول والاتيان بالجمع لجريه على طريقة العرف في مخاطبة الواحد مخاطبة الجمع ، وقد مضى مكرّراً انّ الاكل لااختصاص له بما يعرفه العرف اكلاً بل ادراك كلّ مدرك وفعل كلّ عضو وتحريك كلّ محرّك وتحرّك كلّ متحرّك اكل له ولمّا كان مراتب الانسان كثيرة كان طيّبات كلّ مرتبة من جهتها الخلقيّة ما كانت ملائمة ملذّة لها ومن جهتها الحقيّة ما كانت مباحة مكسوبة بأمر الله مرضيّة لله سواء كانت موافقة لسائر المراتب اولم تكن [وَاعْمَلُوا صَالِحًا] ليس المراد به فرداً ما الاعلى التّعيين فانّ الانبياء ان لم يكونوا مأمورين بجميع الصّالحات كانوا مأمورين باكثرها ، ولم يكتف تعالى من سائر عباده بفرد ما من الصّالحات فكيف بالانبياء فالمراد اعملوا صالحاً عظيماً فانّ التّنوين والتّنكير في امثاله بعد ما علم انّه ليس المراد به فرداً ما امّا ان يكون للتّحقير اوللتّعظيم ، والتّحقير ايضاً منافٍ لامر الانبياء (ع) فالمراد هو التّعظيم

والصّالح العظيم الّذى لاصالح الّا بصلاحه هو الولاية فعلى هذا ينبغى ان يفسّر الآية هكذا : يا ايّها الرّسل كلوا من الطّيّبات الّتى هى ارزاق الاعضاء والقوى والمدارك من الاعمال القالبيّة الشّرعيّة والنّفسانيّة النّبويّة واعملوا صالحاً عظيماً هو الولاية والتّوجّهات والاستعدادات والالهامات والمشاهدات المتعلّقة بها [إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ] من الاعمال القالبيّة والقلبيّة [عَلِيمٌ] ويجوز ان يكون الخطاب للرّسل ويكون المقصود بالحكم اممهم من قبيل ايّاك اعنى واسمعى ياجارة ، اويكون الامم مقصودين معهم [وَإِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ] اى دينكم اوجماعتكم الآمّون لكم المؤتمّون بكم وسوق العبارة يقتضى ان يقال: هذه اممكم لكنّه تعالى لمّا جمع فى حكاية الخطاب اوجمعهم فى اصل الخطاب فى العوالم العالية جمع الامم ايضاً فى لفظ الامّة فانّه يطلق على الواحد والكثير، وقرئ انّ مفتوحة الهمزة مشدّدة ومخفّفة بالعطف على ما تعملون اوبتقدير اللّام لتعليل قوله فاتّقون ، وقرئ انّ مكسورة الهمزة بالعطف على انّى بما تعملون عليم [أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ] والمقصود من الآية انّا ارسلنا الرّسل وبعد ما بلّغوا واجاب لهم اممهم ووقعوا بيننا وبين عبادنا وصاروا ذوى اضافتين اضافة الينا واضافة الى عبادنا قلنا لهم : يا ايّها الرّسل انتم ائمّة لعبادنا فاعملوا الاعمال القالبيّة المرضيّة للنّفوس ولناحتّى يتأسّى بكم اممكم ولا ينزجروا منكم ولا ينفروا عنكم وعن دينكم، واعملوا الاعمال القلبيّة الّتى بها توجّهكم الينا واستفاضتكم منّا حتّى يتمّ تربيتكم لعبادنا بحسب الظّاهر والباطن، لانّى بما تعملون من الاعمال القالبيّة والقلبيّة عليم، ولانّ هذه امّتكم فليكن المنظور من اعمالكم صلاح حالهم وانا ربّكم الّذى افيض عليكم ما به قوامكم وما به صلاحكم وصلاح اممكم فاتّقون فى عدم مراقبة حال الامم وعدم التّوجّه الىّ لاخذما به صلاح الامم [فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ] يعنى كان امّة كلّ رسول فى زمانه امّة واحدة بواسطة مراقبة الرّسول (ع) واجتماعهم على ملّته ففرّقوا امر دينهم بعد ذهاب رسولهم باستبداد بعضهم بالرّأى وعدم انقيادهم لوصىّ رسولهم واختيار كلّ مذهباً ومسلكاً كما وقع ذلك فى امّة محمّد (ص) اوتفرّقوا بفرق مختلفة لاجل امر دينهم [زُبُرًا] جمع الزّبور بمعنى الفرقة، وقرئ زبراً بفتح الباء جمع الزّبرة بمعنى القطعة مثل الغرفة والغرف يعنى فرّقوا امر دينهم قطعاً مختلفة ، اوتفرّقوا حال كونهم فرقاً مختلفة ، اوهو جمع الزّبور بمعنى الكتاب يعنى جعلوا دينهم كتباً يتوسّلون بها وينصرفون عن صاحب دينهم وقالوا : كفانا كتابنا كما جعل امّة محمّد (ص) امر دينهم مستنداً الى الكتاب السّماوىّ الّذى جمعوه والى كتبهم الّتى دوّنوها لتصحيح دينهم وعلى التّقادير صحّ جعل زبراً مفعولاً ثانياً وحالاً [كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ] استيناف جواب لسؤال مقدّر فى مقام التّعليل يعنى تفرّقوا لانّ كلّ حزب منهم كانوا بما عندهم من العلوم والمسائل والآراء معجبون فارادوا رواج ما عندهم واستنكفوا عن صاحب دينهم [فَذَرْهُمْ] يعنى اذا كان حال الامم على ما ذكر وحال امّتك تصير الى ما ذكر فذر الامم ومنافقى امّتك [فِي غَمْرَتِهِمْ] فلا تتعرّض لهم بالرّدّ والقبول [حَتَّىٰ حِينٍ] اى حين العذاب على يدك او بدخليفتك اوحين الموت وظهور علىّ (ع) [أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ] فيستنكفون لذلك عن وصيّك [بَلْ لَا يَشْعُرُونَ] انّه استدراج لهم ومكر ولذا يحسبون ويستنكفون [إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ] جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل : لم لا ينبغى هذا الحسبان ؟ - فقال : لانّا نسارع فى الخيرات لهؤلاء لا لاولئك وقد مضى بيان هذه الكلمة فى سورة الانبياء عند قوله تعالى: وهم من خشيته مشفقون [وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ] يعنى بجملة آياته خصوصاً آياته العظمى من الانبياء والاولياء (ع) يذعنون ، اوالّذين

يؤمنون بآيات ربّهم بالبيعة العامّة او الخاصّة او الّذين يؤمنون بالبيعة العامّة او الخاصّة بسبب آيات ربّهم بان صارت الآيات الآفاقيّة والانفسيّة سبباً لان يتوجّهوا الى الانبياء (ع) فأسلموا على ايديهم بالبيعة العامّة، او الى الاولياء فآمنوا على ايديهم بالبيعة الخاصّة والّذين هم بعد الاسلام اوالايمان [بِرَبِّهِمْ] المضاف وهو ربّهم فى الولاية [لَا يُشْرِكُونَ] بان بايعوا على ايدى غيرهم او توجّهوا الى غيرهم او اطاعوا غيرهم او اتّبعوا اهواءهم [وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا] يعطون ما اعطوا من الصّدقات او من جملة الاعمال الالهيّة و قرئ يأتون ما اتوا من الثّلاثىّ المجرّد يعنى يأتون بما اتوا اى يفعلون ما فعلوا [وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ] خائفة من تقصيرهم فى الاعمال لانّهم يعملون انّهم لا يستطيعون ان يجاهدوا فى الله حقّ جهاده ولا يجاهدون فيه حقّ جهادهم وفسّر فى اخبارنا هكذا وهو خائفٌ راجٍ، ونقل انّ المؤمن جمع احساناً وشفقةً والمنافق جمع اساءةً وامتناناً [أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ] يعنى قلوبهم وجلة بسبب انّهم كانوا فى الرّجوع والسّلوك الى الله او الى ربّهم المضاف، او قلوبهم وجلة من انّهم يرجعون بعد الى الله او الى ربّهم المضاف مع تقصير، او قلوبهم وجلة من فوت الرّجوع الى ربّهم ومن انّه لا يمكنهم الرّجوع الى الحضور عند الرّبّ المضاف بالفكر المصطلح للصّوفيّة الّذى هو تمثّل صورة الشّيخ عند السّالك، او قلوبهم وجلة لانّهم كانوا فى السّلوك الى ربّهم المضاف وكلّما قربوا منه استشعروا بعظمته اكثر من السّابق وكلّما استشعروا بعظمته اشتدّت الخشية والهيبة منه عليهم وفى خبرٍ عن امير المؤمنين ثمّ قال: ما الّذى آتوا، آتوا والله الطّاعة مع المحبّة والولاية وهم فى ذلك خائفون ليس خوفهم خوف شكٍّ ولكنّهم خافوا ان يكونوا مقصّرين فى محبّتنا وطاعتنا [أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ] فى مقابل ايحسبون انّما نمدّهم به من مالٍ وبنين نسارع لهم فى الخيرات وانّما نسب الفعل ههنا اليهم للاشعار بانّ عملهم واوصافهم المذكورة وان لم تكن سبباً فاعليّاً للخيرات ومسارعتها لكنّها سبب قابلىّ لها وانّهم ان وصلوا الى خيرٍ كان ذلك بعملهم بخلاف المسارعة هناك لانّها كانت هناك عبارةً عن الامداد بالمال والبنين وليس ذلك الّا من الله وليس مسارعة فى الخيرات بل استدراجاً ومسارعة من الله فى العقوبة انّما يريد الله ليعذّبهم بها فى الحيوة الدّنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون [وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ] اى لاجلها متّصفون بالسّبق، او سابقون النّاس فى القرب عند الله او سابقون النّاس الى الطّاعة او الثّواب او الجنّة او هم آخذون لها قبل الآخرة او قبل النّاس وعلى هذا يكون اللّام زائدةً للتّقوية [وَلَا نُكَلِّفُ] عطف فيه رفع توهّم فانّه قد يتوهّم متوهّم انّه لا يمكن الجمع بين تلك الاوصاف بحقائقها، او يتوهّم انّ الفرحين بما عندهم لا يقدرون على الاقدام على الاوصاف فرفع ذلك بقوله لا نكلّف [نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا] الوسع مثلّثة الواو الجدة والطّاقة يعنى لا نكلّف نفساً الّا بقدر طاقتها او ما يسعه طاقتها بان يكون دون طاقتها [وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ] رفع توهّمٍ آخر فانّه قد يتوهّم انّ الامداد بالاموال والبنين ابطرهم فلا ينبغى ان يمدّهم الله فقال: انّ امدادنا واستدراجنا كان بسوء فعلهم ولدينا كتاب هو كتاب اعمالهم الّذى يكتبه الحفظة او كتاب هو الكتاب السّابق على وجودهم من الالواح العالية ينطق بالحقّ، نسبة النّطق الى الكتاب مجاز او لانّ الكتب العالية كلّها حيوة وعلم وشعور ونطق [وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ] بزيادة العقاب او بالعقوبة من دون استحقاق [بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ] فى غفلةٍ غامرةٍ [مِنْ هَٰذَا] الكتاب او ممّا ذكر من اوصاف الاخيار السّابقين او من اتّصاف الاخيار بتلك الاوصاف او من القرآن كما فى تفسير القمّىّ [وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ] التفرّق

فى الدّين والفرح بما لديهم والاعجاب بآرائهم اومن دون ذلك الجهل والغمرة [هُمْ لَها عامِلُونَ] ممّا يكون عبادة للهوى سواء كان بصورة العبادات اوبصورة المعاصى [حَتّى اِذا اَخَذْنا مُتْرَفيهِمْ] متنعّميهم [بِالْعَذابِ] غاية لعملهم اولكون قلوبهم فى غمرة، وخصّ المترفين لانّهم كانوا منشاءً لكفرهم وكفر غيرهم؛ ولانّ المترفين لا يتنبّهون ولا يتضرّعون بمؤاخذة غيرهم ، والمراد بالعذاب عذاب الموت والآخرة ، اوعذاب الدّنيا ، وفسّر بقتلهم يوم بدرٍ وبالاخذ بالجوع حين دعا عليهم رسول الله (ص) فقال: اللّهمّ اشدد وطأتك على مُضَر(١) واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف (ع) فابتلاهم بالقحط حتّى اكلوا الجيف والكلاب [اِذا هُمْ يَجْأَرُونَ] جأر كمنع رفع صوته بالدّعاء وتضرّع واستغاث [لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ] بتقدير القول جواب لسؤال مقدّر [اِنَّكُمْ مِنّا لا تُنْصَرُونَ] اى لا تنتصرون من قبلنا اولا تنصرون من عذابنا [قَدْ كانَتْ اياتى تُتْلى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلى اَعْقابِكُمْ تَنْكِصُونَ] اى ترجعون والنّكص لا يكون الّا فى الرّجوع عن الخير وقد مضى انّ النّاس كلّهم مفطورون على الخير وذاهبون على فطرة الخير ويشبّه الرّاجع عن الدّين والخير ما لم يقطع فطرته بمن يرجع عن المقصد رجوع القهقرى على عقبيه لانّه ببقاء فطرته كان وجهه الى مقصده وان كان يتنزّل عمّا كان فيه من الخيرات الحاصلة له بفطرته اوبكسبه [مُسْتَكْبِرينَ بِهِ] اى بالبيت اوببلد مكّة ، وشهرة افتخارهم واستكبارهم بالبلد الحرام والبيت الحرام اغنت عن ذكره سابقاً، اوبالقرآن فانّ تلاوة الآيات تدلّ عليه ، او بمحمّد (ص) فانّ كونه جارياً على السنتهم فى محافلهم قرينة له ، و لفظ الباء على الاوّلين للسّببيّة، اوصلة مستكبرين بتضمين مثل معنى التّكذيب ، ويجوز ان يكون متعلّقاً بتهجرون، والباء للظّرفيّة على ان يكون الضّمير للبيت اوالحرم، اوللسّببيّة اوللالصاق على ان يكون الضّمير للقرآن اولمحمّدٍ (ص) [سامِراً] اسم لجماعة السّامرين اى المتحدّثين باللّيل بما لا فائدة فيه اواسم لمحلّ السّمر [تَهْجُرُونَ] اى تقطعون عن محمّدٍ (ص) اوتهزأون اوتستهزئون اوتفحشون قرئ بفتح التّاء وضمّ الجيم وبضمّ التّاء وكسر الجيم [اَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ] اى الم يكثر ثوابك وبادّعائك الرّسالة فلم يدبّروا القرآن اولم يدبّروا قولك حتّى يعلموا انّه ليس من هوىً نفسانىٍّ وامراضٍ قلبيّة واغراضٍ دنيويّة [اَمْ جاءَهُمْ ما لَمْ يَأْتِ اباءَهُمُ الْاَوَّلينَ] من الكتاب والشّريعة و الرّسول حتّى كانوا لم يعرفوا ولم يسمعوا بمثله و لذلك ينكرونه [اَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ] بالنّسب والحسب وبالصّدق والامانة من اوّل نشوه [فَهُمْ لَهُ] لا للشّريعة والكتاب [مُنْكِرُونَ] لعدم معرفتهم بحاله [اَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ] جنون ولذلك ينكرونه [بَلْ] ليس شيءٌ من ذلك فانّ الشّريعة والرّسالة و الكتاب كانت سيرة آلهيّةً جاريةً من لدن آدم وكان رسولهم معروفاً لهم بالحسب و النّسب و الصّدق و الامانة بحيث لقّبوه محمّداً الامين وكان فيهم ما لم يدّع الرّسالة اعقلهم ولكن [جاءَهُمْ بِالْحَقِّ] الّذى لم يكن سنخاً لهم لانّهم كانوا باطلين وسنخاً للباطل [وَاَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ] لعدم سنخيّتهم له وعدم موافقته لاهوائهم [وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ اَهْواءَهُمْ] الحقّ المطلق هو الله، والحقّ المضاف مشيّته وهى فعله تعالى ثمّ الولاية ثمّ النّبوّة ثمّ الرّسالة ثمّ كلّ ما كان الحقيّة فيه غالبةً والبطلان مغلوباً [لَفَسَدَتِ السَّمواتُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فيهِنَّ] لانّ اهواءهم لا تتجاوز عمّا فيه مشتهى نفوسهم من غير ملاحظة غايةٍ لذلك المشتهى ومن غير ملاحظة حقوق من فى عالمهم الصّغير ومن فى العالم

(١) مُضَر كزفر ابو قبيلةٍ ولقّب بمضر الحمراء لانّه ورث من ابيه الذّهب ، اولانّهم كانوا رفعوا فى الحرب رايةً حمراء .

الكبير ولو لم يراع الحقوق لفسدت السّماوات والارض ومن فيهنّ في العالم الصّغير وفسد من في العالم الكبير وفسد سماوات العالم الكبير وارضه لفساد غايتهما الّتي هي صلاح من فيهما [بَلْ اَتَيْنٰاهُمْ بِذِكْرِهِمْ] يعني انّ انكار الحقّ الّذي جاء به محمّد(ص) امر عظيم وهؤلاء لخروجهم عن الفطرة الانسانيّة انكروا انكاراً اعظم منه وهو انكارهم ذكرهم وشرفهم اووعظهم ونصحهم وقد آتينا نحن ذلك لهم فهو اضراب من الادنى الى الاعلى، والمراد بالذّكر الرّسول اوالقرآن اوالشّريعة اوالسّلطنة [فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ] الّذي اتيناهم نحن به [مُعْرِضُونَ اَمْ تَسْأَلُهُمْ] يعني بل ليس المانع شيئاً من ذلك ولكن تسألهم [خَرْجًا] فيثقل ذلك الخرج عليهم فينكرون رسالتك لذلك فلا تسألهم ذلك ان كنت تسألهم [فَخَرٰاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ] لك من كلّ خراج فانّ خراجه كلّ ماسواه [وَهُوَ خَيْرُ الرّٰازِقِينَ] قد سبق بيان كونه خير الرّازقين في سورة الحجّ [وَاِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ اِلٰى صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ] جملة حاليّة يعني ليس انكارهم لانّك تدعوهم الى صراط معوجٍّ فلم يقبله عقولهم كأنّه قال ام تدعوهم الى صراط معوجٍّ [وَاِنَّ الَّذِينَ لاٰيُؤْمِنُونَ بِالْاٰخِرَةِ] وضع الظّاهر موضع المضمر لتعليل الحكم، وللاشارة الى ذمٍّ آخر لهم وهو في معنى لكن الّذين لايذعنون بالآخرة [عَنِ الصِّرٰاطِ لَنٰاكِبُونَ] اى عادلون ولذلك ينكرون وقد فسّر الصّراط المستقيم في الآية بولاية عليّ (ع) وعدولهم عن الصّراط بعد ولهم عن عليّ (ع) اوعن الامام، وعن امير المؤمنين (ع) انّ الله تبارك وتعالى لوشاء لعرّف العباد نفسه ولكن جعلنا ابوابه وصراطه وسبيله والوجه الّذي يؤتى منه، فمن عدل عن ولايتنا اوفضّل علينا غيرنا فانّهم عن الصّراط لناكبون [وَلَوْرَحِمْنٰاهُمْ وَكَشَفْنٰامٰابِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا] لداموا على الخصومة [فِي طُغْيٰانِهِمْ يَعْمَهُونَ] في طغيانهم متعلّق بلجّوا اوبيعمهون اي يتردّدون فانّ العمه بمعنى التّردّد في الضّلال والتّحيّر في الطّريق، روى انّهم قحطوا حتّى اكلوا العلهر[1] فجاء ابوسفيان الى رسول الله (ص) فقال: أنشدك الله والرّحم الست تزعم انّك بعثت رحمةً للعالمين قتلت الاباء بالسّيف والابناء بالجوع فنزلت [وَلَقَدْ اَخَذْنٰاهُمْ بِالْعَذٰابِ] يعني القتل يوم بدر اوالجوع والقتل والخوف [فَمَا اسْتَكٰانُوا لِرَبِّهِمْ] استكان استفعل من الكون بمعنى الذّلّ، اوافتعل من السّكون اشبع فتحة الكاف وله النّظير في لغتهم مثل المنتزاح في المنتزح يعني انّهم ما استكانوا حين الابتلاء [وَمٰايَتَضَرَّعُونَ] والحال انّ المقصود من ارسال الرّسل وانزال العذاب تضرّع العباد واستكانتهم لربّهم فكيف يتضرّعون حين رفع العذاب عنهم وقد فسّر الاستكانة بالدّعاء وبالخضوع والتّضرّع بالدّعاء وبرفع اليدين بالدّعاء [حَتّٰى اِذٰا فَتَحْنٰا عَلَيْهِمْ بٰابًا ذٰا عَذٰابٍ شَدِيدٍ] يعني انّ شيمتهم العتوّ في كلّ حال حتّى اذا انفتح عليهم باب من جهنّم اوباب عذاب آخر مثل عذاب فتح مكّة اوباب الى العذاب حين الموت اوحين الرّجعة كما في الخبر [اِذٰاهُمْ فِيهِ] اى في الباب اوفي العذاب [مُبْلِسُونَ] متحيّرون آئسون عن الخير اومبتلون بالشّرّ [وَهُوَ الَّذِي اَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْاَبْصٰارَ وَالْاَفْئِدَةَ] التفات من التّكلّم الى الغيبة بالنّسبة الى المتكلّم، ومن الغيبة الى الخطاب بالنّسبة الى المخاطبين وصرف للخطاب من محمّد (ص) اليهم والجملة حال اومعطوفة والمقصود انّه تعالى لم يمنعهم ما به يتدبّروا القول فلم يكن منه تعالى اهمال لما يحتاجون اليه في تدبير القول لكنّهم لكفرانهم بانعم الله كفروا بمثل هذه النّعم الّتي هي اصل جميع النّعم ولم يستعملوها لما خلقت لاجله من

---

(١) العلهر كزبرج طعام يتّخذ من الدم والوبر كانوا في المجاعة يتّخذونه .

النّظر والعبرة وتمييز الحقّ عن الباطل والمبطل من المحقّ ولذلك قال [قَلِيلاً مَا] اى شكراً قليلاً [تَشْكُرُونَ] فلاتستعملون النّعم فى وجهها، ولمّا كان المقصود انّه لامانع من قبله فى قبولهم الرّسالة اتى بهذه الثّلاث الّتى هى المحتاج اليها فى التّدبير والتّميز دون سائر المدارك والقوى [وَهُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى الْأَرْضِ] اى خلقكم فيها [وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ] يعنى انّه مبدؤكم ومعادكم فلاينبغى ترك النّظر فى نعمه وترك التّدبّر فى امره ونهيه [وَهُوَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ] اى تعاقبهما او زيادة كلّ منهما ونقصانه او اختلاف كلّ مع الآخر بالزّيادة والنّقصان او فى الكيفيّة او فى الاظلام والاضاءة والمراد باللّيل والنّهار صورتهما المشهودة فانّ تعيّش الانسان واسباب تعيّشه منوطة بهما، او اعمّ منهما كأنّه قال: وهو الّذى يجعل سائر المتضادّات بين العباد كما انّه يحيى ويميت ويوجد هذين المتضادّين بين عباده، واللّام فى مثله يجوز ان يكون هى اللّام الدّاخلة على المبدأ او الغاية او المملوك [أَفَلَا تَعْقِلُونَ] ذلك فتعلّموا انّ من بيده ذلك كلّه حقيق بان يتضرّع عليه ويسأل منه وينقاد له [بَلْ قَالُوا] يعنى انّهم لايتفكّرون حتّى يعلموا انّ الله هو المبدئ المعيد بل قلّدوا آباءهم الجهلة واسلافهم الضّالّين فقالوا [مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ] يعنى استغربوا البعث الّذى ينبغى ان يقرّوا به [لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِنْ قَبْلُ] ولو كان حقّاً لظهر اثره فى تلك المدّة المديدة [إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ] الاساطير الاحاديث الّتى لانظام لها جمع الاسطار والاسطير بكسر الهمزة فيهما والاسطور بضمّها وقد يلحق التّاء بالثّلاثة بمعنى الحديث الّذى لانظام له، وامّا الاساطير جمع الاسطار جمع السّطر بمعنى الخطّ والكتابة فغير مناسب [قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] يعنى انّهم يقرّون انّ الخالق هو الله فذكّرهم الاقرار ثمّ نبّههم على انّ الابداء اصعب من الاعادة [سَيَقُولُونَ لِلَّهِ] يعنى انّهم يظهرون فى جوابك اقرارهم بانّه المبدء فنبّههم بعد ذلك و [قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ] انّ الاعادة اسهل من الابداء [قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ] يعنى من خالقهما ومدبّر امورهما مع عظمهما وكثرة مافيهما من الملائكة والكواكب [سَيَقُولُونَ لِلَّهِ] وقرئ: سيقولون الله، وهو اوفق بالسّؤال [قُلْ] لهم بعد الاقرار بانّ الله خالقهما ومدبّرهما [أَفَلَا تَتَّقُونَ] سخطه فى مخالفته ومخالفة رسوله (ص) فى انكار الاعادة او مطلقاً [قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ] يعنى من بيده تدبير كلّ شيء والتّصرّف فيه والتّسلّط عليه فانّ الملكوت هو باطن الاشياء المسلّط عليها والمتصرّف فيها باىّ تصرّف شاء [وَهُوَ يُجِيرُ] اى يغيث [وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ] يعنى لا احد يغيث مغضوبه [إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ] وقرئ بدون اللّام [قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ] اى كيف يخيّل اليكم الحقّ باطلاً مع وضوحه اوكيف تعمون عن صحّة الاعادة مع ظهور الادلّة اوكيف تخدعون [بَلْ] ليس انكارهم وقولهم ذلك عن خفاء دليل المدّعى ولا عن ظهور دليل الانكار لكن [أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ] الّذى هو الولاية فى مظهر الرّسول (ص) الّذى ليس فى وجوده الّا الحقّ والبعث والحشر، والاقرار بالرّسول ليس الّا من آثار الحقّ [وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ] مطلقاً ليس فى وجودهم جهة صدق حتّى يصحّ تقييد كذبهم بغيرها ومن لم يكن فى وجوده جهة حقّ وصدق لايصدّق الحقّ الّذى اتيناهم به [مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ] جواب سؤال مقدّر كأنّه قيل: قد علم حال منكرى البعث فما حال من جعل لله ولداً ومن

جعل معه الهة اخرى اصحيح هذا منهم ام لا ؟ـ فقال : مااتخذالله من ولد لانّ الولد مايكون مماثلاً للوالد فى الذّات ولوازمهافلوكان لله ولدلكان مثله آلهاً ولوكان مثله آلهاً آخرلزمه مالزم كون الا لهة معه ولذلك لم يأت ببرهان بطلانه واكتفى ببرهان تعدّدالآلهة [وَمٰا كٰانَ مَعَهُ مِنْ اِلٰهٍ اِذاً لَذَهَبَ] اذاً ظرف لمحذوف والتّقديرلوكان معه آله اذاً لذهب [كُلُّ اِلٰهٍ بِمٰا خَلَقَ وَلَعَلاٰ بَعْضُهُمْ عَلٰى بَعْضٍ] يعنى لوكان الاله اثنين لا يخلواماّ ان يكونا قادرين قويّين اوعاجزين ضعيفين، اويكون احدهماقادراً قويّاً والآخر عاجزاً ضعيفاً ، فان كان احدهما قويّاً والآخر عاجزاً يكون الآله واحداً ، وان كاناضعيفين لم يكن شيءٌ منهما آلهاً للضّعف الظّاهر فيهما، وان كاناقويّين قديرين لزم ان يكون كلّ منهما قادراً عاجزاً غالباً مغلوباً، وهومحال، وذلك لانّ اقتضاء الآلهة القدرة التّامّة واقتضاءالقدرة التّامّة ان يكون كلّ ماسواه مقدوراً له فلوفرض الآله اثنين لزم ان يكون كلّ واحد منهماقادراً لفرض الآلهة فيه مقدوراً لغيره لفرض الآلهة غيره ، فهذه الحجّة من الله تعالى برهان تامّ لوانضمّ اليه بعض المقدّمات المذكورة المعلومة من عنوان الا لهة ويكون معنى قوله لعلا بعضهم على بعض لعلا كلّ بعض منهم على كلّ بعض بجعل اضافة البعض للاستغراق [سُبْحٰانَ اللّٰهِ] بمنزلة النّتيجة للسّابق [عَمّٰا يَصِفُونَ] من الولدوالشّريك [عٰالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهٰادَةِ فَتَعٰالٰى عَمّٰا يُشْرِكُونَ] .

اعلم ، انّ العلم كما مضى فى اوّل الكتاب وفى سورة البقرة قد يكون بحضورذات المعلوم عندالعالم ويسمّى علماً حضوريّاً وهذا علم حقيقة ولايكون هذا العلم الّا باحاطة العالم على المعلوم وصيرورة المعلوم من شؤن العالم واظلاله، وقديكون بحصول صورة من المعلوم عندالعالم تكون تلك الصّورة هى المعلومة حقيقة والمعلوم يكون معلوماً بالعرض لابالذّات، وان كان مقصوداً بالذّات، وهذاالعلم يسمّى بالظّنّ لانفكاك معلومه عنه وجواز عدم مطابقته له ، وعلم البارى تعالى شأنه بالاشياء من القسم الاوّل لانّ صفحة الاعيان بالنّسبة اليه تعالى كصفحة الاذهان بالنّسبة الينا،ونسبة جميع الموجودات اليه تعالى كنسبة الصّور الذّهنيّة الينا،فكما انّ الصّور الذّهنيّة محاطة لناومنوطة بارادتنا والتفاتنا اذااردنا بقاءها كانت باقية واذااردنا فناءهاصارت فانية، كذا الموجودات المعلومات له تعالى بالنّسبة اليه والمراد بالغيب والشّهادة عالم الغيب الغائب عن المدارك الحيوانيّة وعالم الشّهادة المدرك بها ، ولمّا كانت الموجودات بحكم العقل محصورة فيهمافقوله عالم الغيب والشّهادة بمنزلة عالم جميع الموجودات، ولمّا كان علمه بجملة الموجودات بنحو الاحاطة والتّسلّط على الابقاء والافناء كان قوله عالم الغيب والشّهادة بمنزلة محيط بجملة الموجودات قاهر على الكلّ ولذلك اتى بقوله فتعالى عمّا يشركون بنحو التّفريع واتى ههنا بفاء التّفريع دون قوله سبحان الله عمّا يصفون مع انّ كلّاً منهما تفريع ونتيجة لسابقه،لانّ فى قوله سبحان الله معنى التّعجّب فانّه قلّما يستعمل خالياً من التّعجّب والمناسب لانشاء التّعجّب القطع عن السّابق بخلاف تعالى عمّا يشركون فانّه خال عن التّعجّب واخبار بنتيجة السّابق [قُلْ رَبِّ اِمّٰا تُرِيَنّى] ان ترنى [مٰا يُوعَدُونَ رَبِّ فَلاٰ تَجْعَلْنى فِى الْقَوْمِ الظّٰالِمينَ] وضع الظّاهرموضع المضمرلذمّ آخروالجملة تهديد لهم بترقّب نزول العذاب عليهم [وَاِنّٰا عَلٰى اَنْ نُرِيَكَ مٰا نَعِدُهُمْ لَقٰادِرُونَ اِدْفَعْ] جواب لسؤال مقدّركأنّه قال: فما افعل بهم؟ـ قال: ادفع [بِـ] الخصلة [الَّتى هِىَ اَحْسَنُ] اوبالحسنة الّتى هى احسن اوبالدّفعة الّتى هى احسن [السَّيِّئَةَ] اى سيّئة نفسك اوسيّئة غيرك والخطاب لمحمّد(ص) لكن امّته مقصودة بالخطاب وهذا تأديب حسن له ولامّته .

بيان في الدّفع بالاحسن الى المسيء

اعلم ، انّ رفع اساءة المسيء يتعقّل بالاساءة اليه بما يتعقّل الاساءة اليه من قتله و قطع اطرافه وشقّها وضربه زائداً على قدر اساءته اومساوياً اوناقصاً منه، والعفوعنه والصّفح اى تطهير القلب من الحقد عليه والاحسان اليه ، والخصلة الحسنى على الاطلاق هي الاحسان الى المسيء فانّه يترتّب عليه المحبّة والوداد و يتعقّبه ما فى قوله تعالى فاذا الّذى بينك وبينه عداوة كأنّه ولّي حميم ، ولمّا لم يكن الافعال حسنها وقبحها الّا باضافتها الى مباديها وغاياتها ، وان كانت متعدّية اعتبرت اضافتها الى من وقعت عليه بل قد يعتبر فيهما الاضافة الى المكان والزّمان والآلة والحاضرين وغيرها لم يكن المراد الدّفع بالاحسن مطلقاً بل الدّفع بالاحسن بالاضافة الى الفاعل و المنفعل والمكان والزّمان وغير ذلك لانّ صاحب النّفس الّتى لم ترض من الجاني الّا بقتله او باضعاف جنايته لم يكن الدّفع منه بالاحسن الّا بالاقتصاص، ومن يقدر على كظم الغيظ كان الدّفع بالاحسن منه بكظم الغيظ ، ومن يقدر على الصّفح كان الصّفح منه احسن، ومن يقدر على الاحسان الى المسيء كان الاحسان منه احسن ، والاحسان الى الجاني الّذى يزيد الاحسان فى طغيانه لم يكن حسناً بل كان قبيحاً و هكذا ترك التّعرّض لمن يزيد عدم التّعرّض فى اعتدائه، وهكذا الحال بالنّسبة الى الزّمان والمكان والآلات والسّامعين والشّاهدين فعلى هذا كان معنى الآية انظر الى المسيء وحالاته وزمان رفع اساءته ومكانه فادفع بالّتى هى احسن بالنّظر الى جميع ما يضاف الدّفع اليه السّيّئة سواء كانت تلك السّيّئة من جنودك وقواك اومن انسان سواك ، اومن حيوانٍ سوى الانسان فاقتل من ينبغي ان يقتل واقطع من ينبغي ان يقطع اطرافه ، واقتصّ ممّن ينبغي أن يقتصّ منه واضرب من ينبغي ان يضرب ، وادّب لساناً من ينبغي ان يؤدّب لساناً ، واحسن الى من ينبغي ان يحسن اليه ، وقوله تعالى : فاذا الّذى بينك و بينه عداوة كأنّه ولىٌّ حميمٌ اراد بالاحسان فيه فعلاً يلائم ويوافق مرتبة المسيء من غير نظرٍ الى حال الفاعل ولا الى حال المسيء كما يجوز ان يكون المراد بالاحسان ههنا ايضاً ذلك بقرينة قوله تعالى [نَحْنُ اَعْلَمُ بِمٰا يَصِفُونَ] فانّ معناه ولا تتعرّض لهم بالزّجر والمكافاة لانّا نحن اعلم بما يصفون، و لفظة ما مصدريّة اوموصولة [وَقُلْ] اذا ازعجك الشّيطان للاساءة الى المسيء [رَبِّ اَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزٰاتِ الشَّيٰاطِينِ] الهمز الغمز والضغط والطّرد و الدّفع والضّرب و العضّ و الكسر، وهمزات الشّياطين زعجاتهم وضغطاتهم [وَاَعُوذُ بِكَ رَبِّ اَنْ يَحْضُرُونِ] فانّ حضورهم ليس الّا للمناسبة مابيني وبينهم ويتولّد من حضورهم مناسبة اخرى فاعذني من حضورهم يعني من مناسبتي لهم وتولّد مناسبة اخرى منهم [حَتّٰى اِذٰا جٰاءَ اَحَدَهُمُ الْمَوْتُ] غاية ليصفون اولكاذبون اولقوله قالوا مثل ماقال الاوّلون [قٰالَ رَبِّ ارْجِعُونِ] اتى بارجعون جمعاً امّا لتشريك الملائكة معه تعالى اولتعظيم الرّبّ [لَعَلّٰي اَعْمَلُ صٰالِحًا] فرداً من الاعمال الصّالحة او صالحاً عظيماً هو ولاية علىّ بن ابى طالب (ع) لانّه يظهر حينئذ انّ الرّبّ المضاف كان عليّاً (ع)، وان لا يقبل عملٌ الّا بولايته وان لا صالح الّا هى، وانّ كلّ صالح صالح بها [فِيمٰا تَرَكْتُ] اى فى الدّنيا الّتى تركتها اوفى الاعمال الّتى تركتها ، اوفى الولاية الّتى تركتها وقد فسّر فى الاخبار المتروك بالزّكوة المتروكة [كَلّٰا] جواب وردع لسؤالٍ مقدّر كأنّه قيل: هل يجيب الله سؤالهم؟ـ فقال: كلّا وارندع عن هذا السّؤال اوكأنّه قيل: هل يعمل صالحاً ان رجع الى الدّنيا ؟ـ قال: كلّا [اِنَّهٰا كَلِمَةٌ هُوَ قٰائِلُهٰا] وليس اجابة لها اوليس يعمل صالحاً ان رجع [وَمِنْ وَرٰائِهِمْ] امامهم اوخلفهم فانّ الكفّار حين الرّجوع الى الآخرة يكونون مقبلين على الدّنيا ومدبرين عن الآخرة لتعلّق قلوبهم بالدّنيا ووراء بتثليث الآخر مبنيّة، والوراء معرّفة باللّام بمعنى قدّام وخلف [بَرْزَخٌ اِلٰى يَوْمِ يُبْعَثُونَ] للحساب اوللجنّة والنّار والمراد بيوم القيامة

ويوم انتهاء البرزخ وانتقال اهل الجنّة الى الجنّة واهل النّار الى النّار.

بيان لترقّى الارواح فى البرزخ

والبرزخ هو الحاجز بين الشّيئين ويسمّى مابين عالم الطّبع وعالم المثال برزخاً لكونه بين الدّنيا والآخرة فانّ الدّنيا دار ابتلاء وامتحان والآخرة دار راحة وقرار، والبرزخ بينهما هو الّذى يدخله الانسان بعد الموت ولا يستقرّ فيه بل يجوزه سريعاً او بطيئاً بتعب او براحة، وهو الّذى يسمّى بهورقوليا وبعده جابلسا كما انّ قبله جابلقا وهو المدينة الّتى لها الف الف باب ويدخله كلّ يوم ما لا يحصى من خلق الله ويخرج منه كلّ يوم مثل ذلك وقد سبق الاشارة اليه فى سورة البقرة عند قوله تعالى: فسجدوا الّا ابليس وفى غيرها، وقد اختلف الاقوال فى انّ للانسان بعد الموت ترقّياً وتنزّلاً فقيل: انّ التّرقّى والتّنزّل والخروج من القوّة الى الفعل لا يكون الّا فى الدّنيا لانّ حامل القوّة وهو المادّة لا يكون الّا فى الدّنيا وبعد الموت والانفصال من المادّة لا يكون قوّة حتّى يكون خروج من القوّة الى الفعليّة العلويّة او السّفليّة فلا يكون التّرقّى والتّنزّل، والمأثور من الانبياء(ع) واتباعهم انّ عالم البرزخ عالم فيه يتخلّص النّفوس عن شوائبها الغريبة فان كانت النّفوس سجّينيّة تخلّصت من شوائب العلّيّين حتّى اذا بلغت الى الاعراف لم يكن عليها من العلّيّين شيء، واذا كانت علّيّينيّة تخلّصت من شوائب السّجّين، فاذا بلغت النّفوس الى الاعراف خالصة من الشّوائب الغريبة دخلت كلّ منها مقرّها من الجحيم والجنان وهذا فى الحقيقة طرح للغرائب وظهور لما هو ذاتىّ وليس خروجاً من القوّة الى الفعليّة بل ظهور للفعليّة الحاصلة فلا منافاة بين ما ورد فى الشّرائع الآلهيّة وبين ماقاله الحكماء من طريق الموازين العقليّة وليس الوقوف فى البرازخ لكلّ احد بل الخارج الى الفعليّات السّفليّة من غير بقاء اثر من الفعليّات العلويّة عليه، والخارج الى الفعليّات العلويّة من غير بقاء شوب من الفعليّات السّفليّة عليه اذا ماتا دخلا مقرّهما من غير وقوف، وما ورد انّ بعض النّاس يمرّ على الصّراط كالبرق الخاطف، اشارة اليهما، وغير هذين الصّنفين له وقوف فى البرازخ قليلاً اوكثيراً معذّباً او غير معذّب حتّى يخلص من الشّوائب الغير الذّاتيّة ويدخل مقرّه، ولا شكّ فى انّ المسلم قد يكون له برزخ، وامّا المؤمن الّذى بايع البيعة الخاصّة وقبل الولاية ودخل الايمان فى قلبه ودخل هو فى امر الائمّة فاكثر الاخبار تدلّ على ان ليس له برزخ ويكون برزخه وخلاصه من الشّوائب قبل الموت، وعند الموت لا يكون عليه شوب حتّى يحتاج الى الوقوف فى البرازخ، وفى بعض الاخبار دلالة على انّ المؤمن ايضاً قد يوقف فى البرازخ وشهود اهل الشّهود يدلّ على ذلك لكن هذا الوقوف لقليل من المؤمنين الضّعيف الايمان، واكثرهم لا وقوف لهم فى البرازخ، والتّحقيق انّ المؤمن اذا خرج من حدود نفسه اولم يخرج لكن كان فى وجوده قوّة مهيّجة له على الخروج لا يوقف فى البرازخ، واذا لم يخرج من حدود نفسه ولم يكن له قوّة مهيّجة على الخروج وكان راضياً ببيت نفسه مطمئناً بارض طبعه يوقف لا محالة فى البرازخ بحسب تفاوت غرائبه وتفاوت تشبّثها وقد شوهد لبعض المؤمنين تكرار الموت ونزع الرّوح فى البرزخ، فاتّقوا اخوانى وقوفات البرزخ وموتاتها، ولتنظر نفس ماقدّمت لغد، فما ورد من انّ المؤمن لا يخرج من الدّنيا الّا بعد طهارته من الذّنوب؛ انّما هو لمن كان خارجاً من حدود نفسه اومن كان فيه قوّة مهيّجة، وما اشعر بوقوفه فى البرزخ كان لمن لم يخرج ولم يكن فيه قوّة مهيّجة

[فَاِذَا نُفِخَ فِى الصُّورِ فَلَا اَنْسَابَ بَيْنَهُمْ] الصّور بضمّ الصّاد وسكون الواو القرن الّذى ينفخ فيه.

شرح فى نفخ الصّور

وورد فى الاخبار انّه قرن من نور ينفخ فيه اسرافيل وله رأس وطرفان فينفخ فيه اسرافيل فيخرج الصّوت من الطّرف الّذى يلى الارض فيموت اهل الارض، ويخرج الصّوت من الطّرف الّذى يلى السّماوات فيموت اهل السّماوات ثمّ يمكث الارض والسّماوات خالية من اهلها وسكّانها ماشاء الله بعدما امات الله جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ثمّ ينفخ الله فى الصّور او يبعث الله اسرافيل فيأمره فينفخ فى الصّور مرّة اخرى وله ثقب بعدد ارواح الخلائق فيخرج الصّوت من احد طرفيه الّذى يلى السّماوات فلا يبقى فى السّماوات

احد الّا حيى وقام كما كان ويعود حملة العرش ويحضر الجنّة والنّار وتحشر الخلائق للحساب ، **وقيل:** انّ الصّور ههنا وفي غير هذا الموضع ممّا ذكر من امثال الآية جمع الصّورة ويؤيّد هذا قراءته بضمّ الصّاد وفتح الواو وبكسر الصّاد وفتح الواو فانّهما ليسا الّا جمع الصّورة بمعنى الشّكل والهيئة ، ونسب الى السّجّاد (ع) انّه سئل عن النّفختين كم بينهما؟ـ قال: ماشاءالله ، قيل: فأخبرني يابن رسول الله (ص) كيف ينفخ فيه ؟ـ فقال: امّا النّفخة الاولى فانّ الله عزّوجلّ يأمر اسرافيل فيهبط الى الدّنيا ومعه الصّور وللصّور رأس واحد وطرفان وبين رأس كلّ طرف منهما الى الآخر مثل مابين السّماء الى الارض ، فاذا رأت الملائكة اسرافيل قد هبط الى الدّنيا ومعه الصّور قالوا : قد اذن الله تعالى في موت اهل الارض وفي موت اهل السّماء ، قال: فيهبط اسرافيل بحظيرة بيت المقدّس وهو مستقبل الكعبة فاذا رآه اهل الارض قالوا : قد اذن الله تعالى في موت اهل الارض فينفخ نفخة فيخرج الصّوت من الطّرف الّذى يلي الارض فلايبقى في الارض ذوروح الّا صعق ومات ، ويخرج الصّوت من الطّرف الّذى يلي السّماوات فلايبقى في السّماوات ذوروح الّا صعق ومات الّا اسرافيل ، قال (ع): فيقول الله لاسرافيل: يااسرافيل مُت ؛ فيموت اسرافيل، فيمكثون في ذلك ماشاءالله، ثمّ يأمر السّماوات فتمور، ويأمر الجبال فتسير؛ وهو قوله تعالى يوم تمور السّماء موراً ، و تسير الجبال سيراً يعني يبسط ويبدّل الارض غير الارض يعني بأرض لم تكسب عليها الذّنوب بارزةً ليس عليها جبال ولانبات كما دحاها اوّل مرّة ويعيد عرشه على الماء كما كان اوّل مرّة مستقلّاً بعظمته وقدرته قال (ع) : فعند ذلك ينادي الجبّار تبارك وتعالى بصوت من قبله جَهْوَرِيٍّ يسمع اقطار السّماوات والارضين: لمن الملك اليوم؟ـ فلايجيبه مجيب فعند ذلك يقول الجبّار عزّوجلّ مجيباً لنفسه : لله الواحد القهّار ، وانا قهرت الخلائق كلّهم وامتّهم انّي انا الله لا آله الّا انا وحدي، لاشريك لي ولا وزير ، وانا خلقت خلقي بيدي، وانا امتّهم بمشيّتي، وانا احييهم بقدرتي، قال (ع) : فينفخ الجبّار نفخة اخرى في الصّور فيخرج من احد الطّرفين الّذى يلي السّماوات فلايبقى في السّماوات احد الّا حيّي وقام كما كان ، ويعود حملة العرش ويحضر الجنّة والنّار ويحشر الخلائق للحساب ، وقد ورد غير ذلك من الاخبار مفصّلاً من اراد فليرجع الى المفصّلات . ولمّا كانت النّسب الجسمانيّة من التّناسب والمصاهره وهكذا ولاء العتق لا تحصل الّا بتوسّط المادّة الجسمانيّة والاعتبارات الجرمانيّة سواء حصل التّناسب بين النّفسين بتلك النّسبة الجسمانيّة اولم يحصل ، وبالنّفخة الاولى يخلص النّفوس من المادّة الجرمانيّة سواء صارت متعلّقة بابدان مثاليّة اوكانت مجرّدة عن ذلك، وبالنّفخة الثّانية لاتعود المواد بل الاجسام مجرّدة عن موادّها كان كلّ نسبة وخلّة جسمانيّة منقطعة في النّفختين الّا النّسب الرّوحانيّة الّتي تحصل للانسان باحدى البيعتين او بالسّنخيّة والتّوادد بين المتناسبين فلايبقى انساب جسمانيّة بينهم [يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ] امّا في النّفخة الاولى فظاهر وامّا في النّفخة الثّانية ففي موقف الحساب لا في جميع المواقف فانّ في بعض المواقف يُقبل بعضهم على بعض يتساءلون [فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ] قد مضى تحقيق الوزن والميزان وبيان الموازين في اوّل سورة الاعراف في نظير الآية [فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ] لانّهم ضيّعوا بضاعتهم الّتي هي فطرتهم الانسانيّة ومدّة عمرهم من غير اكتساب كمالٍ لنفوسهم فأنفدوا بضاعتهم من غير عوضٍ [فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ] لعدم بقاء الفطرة الّتي تكون غير ملائمة للجحيم ومخرجة منها [تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ] لفح النّار بحرّها احرقت، والجملتان خبران بعد خبرٍ اوالّذين خسروا انفسهم صفة وفي جهنّم خالدون خبره ، اوفي جهنّم خالدون حال وتلفح وجوههم خبر، اوالجملتان حالان مترادفتان اومتداخلتان اومستأنفتان [وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ] كلح كمنع

كلوحاً وكلاحاً بضمّهماتقلّص شفتاه فى عبوس سواء كان فى تبسّم اوغيره وهذه الجملة حاليّة اومعطوفة [أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ] جملة مستأنفة بتقدير القول وجواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: مايقال لهم حينئذ ؟ـ فقال: يقال: لتأنيبهم: الم تكن آياتى تتلى عليكم [فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ قَالُوا] هذا ايضاً جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: فما يقولون ؟ـ فقال: يقولون لكنّه عدل الى الماضى لتحقّق وقوعه [رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا] فلم تدعنا نتّبع آياتك وقادتنا الى تكذيب الآيات وسوء العاقبة [وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ] بحسب الفطرة [رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا] الى ماكنّا فيه [فَإِنَّا ظَالِمُونَ] كأنّهم اعتذروا عن تكذيب الآيات فى الكرّة الاولى بكونهم مقهورين للشّقوة وعدم رادع لهم من اتّباع الشّهوة لامن انفسهم ولامن الخارج لانّهم كانوا ضالّين عن الطّريق فما امكن لهم التّوسّل بآثار الطّريق لعدم ظهورها عليهم وما بلغ اسماعهم دلالة صاحب الطّريق لضلالهم عنه وتمنّوا الرّجوع الى الدّنيا لما علموا الطّريق وعقباتها ، وقالوا : ان رجعنا لانكذّب لما علمنا الطّريق وآثارها وعقباتها فلا نخرج ولا نضلّ عن الطّريق ، واذا لم نضلّ عن الطّريق لم نضلّ عن صاحبها ، واذا لم نضلّ عن صاحبها لانكذّب وان نكذّب كنّا حينئذ ظالمين بوضعنا التّكذيب الّذى لاينبغى لناموضع التّصديق الّذى كان من شأننا ، واماّ التّكذيب السّابق فكأنّه كان مقتضى ضلالتنا ولم يكن ظلماً منّا [قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا] اخسأ كلمة تقال لزجر الكلب [وَلَا تُكَلِّمُونِ] هاتان الكلمتان اظهار لغاية السّخط عليهم وردع لهم عن ساحة حضوره ومحلّ خطابه [إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ] حالاً وقالاً [رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ] يعنى انّ جماعة من عبادى وهم الّذين تولّوا عليّاً (ع) بالبيعة الخاصّة توسّلوا بى وتضرّعوا علىّ والتجأوا الىّ [فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا] قرئ بضمّ السّين وكسرها [حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ] يعنى صاروا بسبب اشتغالكم باستهزائهم اسباباً لنسيانكم [ذِكْرِي] واسباباً لضلالكم لانّكم كنتم ضالّين بفطرتكم [وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ] وهؤلاء كانوا اوليائى وكان الاستهزاء بهم استهزاءً بى فجزيتكم ذلك الجزاء واكرمتهم غاية الاكرام [إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا] على استهزائكم وايذائكم [أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ] قرئ بفتح الهمزة مفعولاً لجزيتهم ، وبكسر الهمزة مستأنفاً فى مقام التّعليل يعنى جزيتهم احسن الجزاء بان جعلتهم مخصوصين بالفوز والنّجاة ، اوفائزين بمراداتهم ، اوفائزين بكمالات الانسان ولذائذه مطلقاً [قَالَ] اى قال الله او الملك الموكّل بهم وقرئ قل: على ان يكون امراً للملك الموكّل بهم [كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ] اى حين الحيوة الدّنيا اوفى ارض القبور بعد الموت [عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ] فانّهم لدهشتهم ووحشتهم استقلّوا مدّة لبثهم فى الدّنيا اوفى القبور [فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ] اى الملائكة الموكّلين بحفظ الاعوام والشّهور والايّام علينا يستشهدون الملائكة على صدق مقالتهم اوكأنّهم يلتفتون انّهم مخالطون متحيّرون فى تعيين الايّام والشّهور ويقولون: لاعلم لنا بما نقول فاسئل الملائكة [قَالَ] الله او الملك وقرئ: قل مثل سابقه [إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] لما خالطتم اولفظة لو للتمنّى [أَفَحَسِبْتُمْ] اى اما تأمّلتم اواهملتم فحسبتم [أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا] عبث كفرح لعب وكضرب خلط [وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ] وهذه الجملة مستأنفة جواب لسؤال مقدّر بتقدير القول اى نقول: افحسبتم انّما خلقناكم من غير استكمال لكم ومن غير استبقاء فكذّبتم واتّبعتم اهواءكم وأعرضتم عن رسلنا وخلفائنا [فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ] الّذى لايشوبه باطل عن العبث

والفعل الّذى لم يكن له غاية [لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ] فلاحاجة له الى من يعضده فيخلق خلقاً يعضدونه ثمّ يهلكهم من غير غاية [رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ] ومن كان ربّاً للعرش وهو جملة الموجودات لم يكن له حاجة الى الخلق بل يخلقهم ليجود عليهم [وَمَنْ يَدْعُ] جملة حاليّة اومعطوفة على لا اله الّا هو [مَعَ اللّٰهِ] الّذى لا آله الّا هو [اِلٰهاً آخَرَ] من الاصنام والكواكب والظّلمة واهريمن اومن يدع مع علىّ(ع) اماماً آخر [لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ] لانّ من يدعوا آلهاً له على آلهته برهان كمن يدعوا الانبياء والاولياء(ع) لظهور برهان صدقهم فى ادّعائهم فهو موحّد لامشرك ومثاب لامعاقب ولكنّ الّذى يدعوا آلهاً اواماماً لابرهان له على صدقه [فَاِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ] كناية عن شدّة العقاب وسوء الحساب [اِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ] جواب لسؤال عن العلّة كأنّه قال : فانّه كافر ولايفلح الكافرون [وَقُلْ] خطاب لمحمّد(ص) اوعامّ وعطف على مقدّر كأنّه قال: تذكّر اوذكّر ماذكرناو توسّل بنا واسئلنا وقل [رَبِّ اغْفِرْ] مساوينا الّتى يلزمنا من الاشتغال بكثرات وجودنا والكثرات الخارجة من وجودنا من اتّباع اهويتنا والنّظر الى غيرك فى فعالنا [وَارْحَمْ] بعد التّفضّل بالمغفرة [وَاَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ] جملة حاليّة وذكر له تعالى باتّصافه بكمال مسؤله استرحاماً منه .

سُورَةُ النُّور

وهى مدنيّة كلّها بلاخلافٍ وهى اربع وستّون آيةً ، روى انّ رسول الله (ص) قال: لاتنزلوهنّ الغرف ولا تعلّموهنّ الكتابة وعلّموهنّ المغزل وسورة النّور ، وعن الصّادق(ع): حصّنوا اموالكم وفروجكم بتلاوة سورة النّور، وحصّنوا بها نساءكم فانّ من أدمن قراءتها فى كلّ ليلة اوفى كلّ يوم لم يزن احد من بيته ابداً حتّى يموت



[سُورَةٌ] قد مضى فى اوّل الفاتحة بيان السّورة وقرئ ههنا مرفوعاً مبتدءً اوخبراً لمحذوفٍ اومبتدءٌ و [اَنْزَلْنَاهَا] خبره.ومسوّغ الابتداء به كون التّنوين للتّفخيم اوللتّنويع ، وقرئ بالنّصب مفعولاً لمحذوفٍ من غير مادّة الفعل المذكور، اولمحذوفٍ يفسّره قوله انزلناها [وَفَرَضْنَاهَا] اى وقّتناها وعيّنّاها واوجبنا على النّاس ما فيها أوفصّلناها وميّزناها وميّزنا ما فيها من الاحكام اوأعطيناها [وَاَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ] تدوينيّة [بَيِّنَاتٍ] اى بيّنات المعانى اومبيّناتٍ للمقاصد اواحكام تكليفيّة فى صورة الكلمات والحروف ظاهرات المصالح [لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ] حكمها ومصالحها فتعملون بها، ثمّ شرع فى بيان الآيات فقال [الزّانِيَةُ وَالزّانِى] اى منهما حكمهما او الزّانية مبتدء وقوله [فَاجْلِدُوا] خبره ، ودخول الفاء بتقدير امّا او توهّمها لكون المقام للتّفصيل او لتضمّن المبتدا معنى الشّرط لانّه بمعنى الّتى زنت ، وقرئ بنصبهما بتقدير فعل ناصب لهما من مادّة الفعل المتأخّر اى اجلدوا اومن مادّة اخرى اى اذكروا أو احضروا الزّانية ، وتقديم الزّانية مع انّ الرّجل اولى بالتّقديم لانّ الزّنا منها اقبح ولانّ شأنها بفطرتها ان تمنع الرّجال من نفسها فاذا مكّنت الرّجل منها كانت اولى بالعقاب ولذلك كان حدّها مساوياً لحدّه وقال تعالى فاجلدوا [كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ] مع انّ شأنها فى الحدود ان يخفّف عليها بالنّسبة الى الرّجال [وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما] متعلّق بلا تأخذكم والباء للسّببيّة او للآلة او متعلّق بقوله [رَأْفَةٌ] وتقديمه على المصدر لكونه ظرفاً [فِي دِينِ اللّهِ] ظرف لغو متعلّق باجلدوا او بلا تأخذكم او برأفة شبّه دين الله بمكان مخصوص او ظرف مستقرّ حال من فاعل اجلدوا اومن مفعوله وجعله حالاً من مفعوله يفيد انّهما لا يجلد ان اذا لم يكونا فى دين الله، او حال من مفعول لا تأخذكم او صفة لرأفة وفائدة التّقييد به التّنبيه على الخلوص من شوب الهوى [إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ] قيد للجلد او لعدم أخذ الرّأفة والشّرط للتّهييج [وَلْيَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] اى جماعة اقلّها الثّلاثة وقيل: اقلّها الواحد ، وقيل: اقلّها ههنا اربعة لانّ اقلّ ما يثبت به الزّنا شهادة الاربعة، وقيل: منوط عددهم برأى الامام والمقصود من احضار طائفة فى عذابهما تنكيلهما بالتّفضيح علاوة على تنكيلهما بالعذاب ليكون تعذيباً شديداً لهما وعبرة لغيرهما ، وهذه الآية فى بيان حدّ الزّانيين مجملة؛ فانّ الزّانيين امّا يكون كلاهما اواحدهما من اهل الذّمّة اويكونان مسلمين محصنين اوغير محصنين، بكرين اوغير بكرين، حرّين اوعبدين، ولكلّ حكم وهذا حكم الحرّين المسلمين الغير المحصنين الغير البكرين ، روى انّ عمر اتى بخمسة نفر أخذوا فى الزّنا فامر ان يقام على كلّ واحد منهم الحدّ ، وكان امير المؤمنين (ع) حاضراً فقال: ياعمر ليس هذا حكمهم ، قال: فأقم انت الحدّ عليهم فقدّم واحداً منهم فضرب عنقه ، وقدّم الآخر فرجمه ، وقدّم الثّالث فضربه الحدّ ، وقدّم الرّابع فضربه نصف الحدّ ، وقدّم الخامس فعزّره ؛ فتحيّر عمر وتعجّب النّاس من فعله ، فقال له عمر : يا اباالحسن خمسة فى قضيّة واحدة اقمت عليهم خمسة حدود وليس شيء منها يشبه الآخر؟! فقال امير المؤمنين (ع) : امّا الاوّل فكان ذمّيّاً فخرج عن ذمّته ولم يكن له حدّ الّا السّيف ، وامّا الثّانى فرجل محصن حدّه الرّجم ، وامّا الثّالث فغير محصن حدّه الجلد ، وامّا الرّابع فعبد ضربناه نصف الحدّ ، وامّا الخامس فمجنون مغلوب على عقله ، ونقل ستّة نفر وقال: واطلق السّادس ثمّ قال : وامّا الخامس فكان منه ذلك الفعل بالشّبهة فعزّرناه وادّبناه ، وامّا السّادس فمجنون مغلوب على عقله سقط منه التّكليف، وتفصيل الزّانيين وحكمهما يطلب من الكتب الفقهيّة [اَلزّانِى لا يَنْكِحُ إِلّا زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إِلّا زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ] قدّم الزّانى ههنا لانّ المقام لبيان حكمهما والرّجل مقدّم على المرأة واولى بالحكم منها ، قيل: هو ردّ على من يستحلّ التّمتّع بالزّوانى والتّزويج بهنّ وهنّ المشهورات المعروفات فى الدّنيا لا يقدر الرّجل على تحصينهنّ ، وفى الخبر عن الصّادق (ع) : هنّ نساء مشهورات بالزّنا ورجال مشهورون بالزّنا شهروا به وعرفوا به والنّاس اليوم بتلك المنزلة فمن اقيم عليه حدّ الزّنا اوشهر بالزّنا لم ينبغ لاحد ان يناكحه حتّى يعرف منه التّوبة ، وفى خبر انّما ذلك فى الجهر ولو انّ انساناً زنى ثمّ تاب تزوّج حيث شاء ، وفى خبر: لم يسمّ الله الزّانى مؤمناً ولا الزّانية مؤمنة وذلك لانّه تعالى جعلهما فى قبال المؤمنين وقرينين للمشرك والمشركة، فعلى ما ذكر فى الاخبار كانت الآية نهياً فى صورة الاخبار وهو آكد من الاتيان بصورة النّهى وهو كناية عن نهى المؤمن

والمؤمنة عن نكاح الزّانية والزّانى والمشركة والمشرك فانّ الاخبار عن الزّانى والزّانية بانحصار نكاحهما فيهم يدلّ على انّ عنوان الزّنا يقتضى حصر نكاحهما فيهم فكلّ عفيف وعفيفة رضى بنكاحهما منهم كان بمنزلة الزّانى والزّانية، والعفيف والعفيفة لايرضيان بجعلهما بمنزلة الزّانى والزّانية فلا ينكحا من الزّانى والزّانية والمشرك والمشركة ولذا صرّح بهذا المكنّى وقال [وَحُرِّمَ ذٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ] يعنى المؤمنين والمؤمنات لكنّه اكتفى بالمؤمنين تغليباً، وقيل: انّ المعنى انّ الّذى زنى لايجامع فى حال الزّنا الّا الّتى كانت شريكة له فى الزّنا اوكانت مشركة وهى اسوء من الزّانية يعنى المرأة شريكة له فى الزّنا اوكانت اسوء حالاً من الزّنا ، وقيل: هذا الحكم كان ثابتاً لكلّ زانٍ وزانيةٍ وكان نكاح غير الموصوف بالزّنا حراماً عليهما سواء كانا مشهورين به ام لا، ثمّ نسخ هذا الحكم بقوله تعالى: وانكحوا الايامى منكم (الآية) اوالمعنى على الاخبار والمقصود انّ الزّانى لايرغب ولايعقد الّا على الزّانية لعدم السّنخيّة بينه وبين الصّالحات فيكون الاخبار عن الكلّ باعتبار الغالب [وَالَّذِينَ يَرْمُونَ] لمّا بيّن حكم الزّانى والزّانية وحدّهما وغلّظ عليهما اراد ان يبيّن انّ نسبة الفاحشة الى العباد امر عظيم مستحقّ قائلها للعذاب مثل عذاب الزّانى والزّانية غاية الامر انّ عذابه دون مرتبة عذابهما بدرجةٍ وان يبيّن انّ اثبات الفاحشة للعباد ليس مثل اثبات سائر الحقوق يكتفى فيها ببيّنتين حتّى لا يجرأ النّاس على نسبة الزّنا الى العباد فقال: والّذين يرمون [الْمُحْصَنَاتِ] الّلاتى احصنّ فروجهنّ بالعفاف والاسلام والحرّيّة والبلوغ والعقل فانّ المراد بالاحصان ههنا هذه [ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً] هذه الآية مجملة كاكثر الآيات فانّ ظاهرها اختصاص الرّامين بالرّجال والمرميّ بالنّساء والحال انّه لافرق فى الرّامىّ والمرمىّ بين الرّجل والمرأة ، والعبد والحرّ، والمحصن وغير المحصن، والبكر وغير البكر، ولابين ان يكون الرّمى فى حضور المرمىّ اوفى غيابه بلاخلافٍ فى اكثر المذكورات، ولابين كون الرّمى بالصّراحة اوبالكناية الغير المحتملة غيرها ولكن ينبغى ان يكون الرّامى عارفاً بمعنى الكلمة فلو قال: انت تزنى او ابوك زنى بك اويا ابن الفاعلة اوانت المفعول وانت تعمل عمل قوم لوطٍ ، اولست من ابيك ، اوامّى ما زنت فى مقامٍ لا يحتمل سوى التّعريض ، اوانا لست من الزّنا تعريضاً بالغير فى مقامٍ لايحتمل غير التّعريض، اوقال فى مقام السّبّ ما صريحه الرّمى مع قصد الرّمى مثلاً امرأتك الفاعلة اومثل النّسبة الى الدّيّاثة مع قصد الرّمى كان رمياً ولو لم يقصد بلفظة الرّمى ، اولم يكن صريحة الرّمى مثل ان يقول : ولدت من الحرام فانّه مشترك بين الرّمى والتّوليد من الغذاء الحرام والانعقاد حال الحيض لم يكن رمياً ، نعم لو قال امثال ذلك فى حضور المسلم كانت هتكاً لحرمته وكان قائلها مستحقّاً للتّعزير ، ولمّا جعل تعالى حكم زنا المحصنين وحكم اللّواط والسّحق القتل اعتبر فى اثباتها اربع رجالٍ من دون اعتبار النّساء عوضهم منفردات اومنضمّات ليكون اثباتها صعباً وجعل على من نسب هذه الى احدٍ من دون الاتيان باربعة رجال حدّاً حتّى لايجترء احد على نسبة هذه الى النّاس ولو رآهم عليها لايجترء على ابرازها لئلّا يفتضح المسلمون من غير جرمٍ اوليتوب المجرم ولايفتضح ولا يزهق روحه بجرمٍ يمكن ان يتوب عنه ويعبدالله بعده ، ولئلّا يفترى العامّة على الخاصّة ، ولئلّا يجترؤا على الاظهار اذا رأوهم على المتعة فانّ الله قد علم انّهم سينكرونها ويأخذون عليها فجعل الشّاهد للزّنا اربعة رجال فقط لئلّا يجترء من رأى احدهم على التّمتّع بالمتعة على الاظهار فانّه قلّما يتّفق اطّلاع اربعة رجال على الوطى ولو كان حلالاً ، روى عن الصّادق (ع) انّه سئل لم جعل فى الزّنا اربعة شهود وفى القتل شاهدان ؟ ـ فقال : انّ الله احلّ لكم المتعة وعلم انّها ستنكر عليكم فجعل الاربعة الشّهود احتياطاً لكم لولا ذلك لاتى عليكم، وقلّما تجتمع اربعة شهادة بامرٍ واحدٍ ، وفى رواية قال (ع) : الزّنا فيه حدّان ولايجوز ان يشهد

كلّ اثنين على واحد لانّ الرّجل والمرأة جميعاً عليهما الحدّ، والقتل انّما يقام الحدّ على القاتل ويدفع عن المقتول [وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ] عطف فيه معنى التّعليل، نسب الى الباقر (ع) انّه نزل بالمدينة والّذين يرمون المحصنات قال فبرّأ الله المفترى ما كان مقيماً على الفرية من ان يسمّى بالايمان قال الله عزّ وجلّ افمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون، وجعله الله منافقاً فقال الله: انّ المنافقين هم الفاسقون، وجعله الله من اولياء ابليس قال: الّا ابليس كان من الجنّ ففسق عن امر ربّه، وجعله ملعوناً فقال: انّ الّذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدّنيا والاخرة [إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] روى انّ الصّادق (ع) سئل: كيف تعرف توبته؟ - فقال: يكذّب نفسه على رؤس الخلائق حين يضرب ويستغفر ربّه؛ فاذا فعل ذلك فقد ظهرت توبته، وفى خبر عن الصّادق (ع) القاذف يجلد ثمانين جلدةً ولا تقبل له شهادة ابداً الّا بعد التّوبة، او يكذّب نفسه وان شهد ثلاثة وابى واحد يجلد الثّلاثة ولا تقبل شهادتهم حتّى يقول اربعة رأينا مثل الميل فى المكحلة، ومن شهد على نفسه انّه زنى لم يقبل شهادته حتّى يعيد اربع مرّات كلّ مرّة بازاء شاهدٍ، وعلى هذا يكون قوله: الّا الّذين تابوا استثناءً من قوله: لا تقبلوا لهم شهادة ابداً، او من قوله: اولئك هم الفاسقون، ويجوز ان يكون المراد بالتّوبة التّوبة الخاصّة الجارية على ايدى خلفاء الله فانّه اذا حصل هذه التّوبة جبّت جميع ماسلف، وعلى هذا يجوز ان يكون الاستثناء من قوله فاجلدوهم ثمانين جلدة، والمراد بالاصلاح بعد التّوبة والرّمى اصلاح نفوسهم بالاعمال الصّالحة او استرضاء المرمىّ وتكذيب نفسه عند من رمى عنده وهتك حرمة المرمىّ فى حضوره، اوتسليم نفسه لاجراء الحدّ من دون ان يجد فى قلبه حرجاً ممّا قضى عليه [وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ] لمّا ذكر حكم قذف الاجنبيّة اراد ان يبيّن حكم رمى الازواج حتّى لا يتوهّم انّ رمى الازواج كرمى الاجنبيّة [وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ] فى الاتيان بهذا الاستثناء اشعار بانّ الرّمى قد يكون عن ظنّ وتخمينٍ وحدسٍ، وقد يكون عن شهودٍ وعيانٍ، وهذا الحكم لمن شهد لا لمن حدس [فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ] مكان اربع شهودٍ، قرئ اربع شهادات بالنّصب مفعولاً مطلقاً وحينئذٍ يكون شهادة احدهم مبتدءً محذوف الخبر اى واجبة اوعليهم اوخبراً محذوف المبتدأ اى الواجب او المعتبر او حكم الله شهادة احدهم، وقرئ بالرّفع وحينئذٍ يكون شهادة احدهم مبتدءً واربع شهاداتٍ خبره، او يكون شهادة احدهم على الوجوه السّابقة واربع شهادات بدلاً منه والمراد من احدهم واحد لا على التّعيين حتّى يفيد العموم البدلىّ اى شهادة كلّ واحد منهم اربع شهادات [بِاللَّهِ] متعلّق بشهادات اوبشهادة احدهم اومتنازع فيه [إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ] اى فيما رماها والجملة مفعول لشهادة احدهم اولشهادات والعامل معلّق عنها اوهى خبر عن الشّهادة ووجه جواز حملها على الشّهادة لكون الشّهادة فى معنى القول اومستأنفة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ما يقول اوما يشهد؟ - فقال: يقول: انّه لمن الصّادقين [وَالْخَامِسَةُ] اى الشّهادة الخامسة [أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ] قرئ بتخفيف نون ان ورفع لعنة الله وتشديد نون ان ونصب لعنة الله [عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ] وهذا لعان الرّجل وحكمه سقوط حدّ القذف عنه ولزوم الفرقة بينه وبينها [وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ] اى عذاب الرّجم [أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ] فيما رماها به [وَالْخَامِسَةَ] قرئ برفع الخامسة مبتدء وبنصبها عطفاً على اربع شهاداتٍ بالنّصب [أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ] قرئ بتخفيف النّون وغضب

فعلاً ماضياً وبالتّخفيف وغضب الله مصدراً مرفوعاً، وقرئ بتشديد النّون وغضب الله مصدراً منصوباً [عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ] فيما رماها به، عن الصّادق (ع) في جواب من سأله عن هذه الآية انّه القاذف الّذى يقذف امرأته فاذا قذفها ثمّ اقرّ انّه كذب عليها جلد الحدّ وردّت اليه امرأته وان ابى الّا ان يمضى فليشهد عليها اربع شهادات بالله انّه لمن الصّادقين، والخامسة يلعن فيها نفسه ان كان من الكاذبين، وان ارادت ان تدرأ عن نفسها العذاب والعذاب هو الرّجم شهدت اربع شهادات بالله انّه لمن الكاذبين، والخامسة انّ غضب الله عليها ان كان من الصّادقين، فان لم تفعل رجمت وان فعلت درأت عن نفسها الحدّ ثمّ لا تحلّ له الى يوم القيامة، قيل: ارأيت ان فرّق بينهما ولها ولد فات؟- قال: ترثه امّه وان ماتت امّه ورثه اخواله، ومن قال: انّه ولد زنا جلد الحدّ، قيل: يردّ اليه الولد اذا اقرّ به؟- قال: لا ولا كرامة ولا يرث الابن ويرثه الابن، وفي خبرٍ: انّ الآية نزلت في رجلٍ من المسلمين جاء الى رسول الله (ص) وادّعى انّه رأى رجلاً مع امرأته، وفي خبرٍ انّ عويمر بن ساعدة العجلانىّ رأى ذلك وجاء الى رسول الله (ص) وتلاعنا، وفي خبرٍ انّ هلال بن اميّة قذف زوجته بشريك بن السّمحاء، وعن الصّادق (ع) اذا قذف الرّجل امرأته فانّه لا يلاعنها حتّى يقول رأيت بين رجليها رجلاً يزني بها، وعن الباقر (ع) يجلس الامام مستدبر القبلة فيقيمهما بين يديه مستقبلاً القبلة بخذاء ويبدأ بالرّجل ثمّ المرأة واذا شهد مرّتين اوثلاث مرّات ونكل جلد الحدّ، ولا يفرّق بينه وبين امرأته، واشير في الخبر الى انّه لمّا جعل الله للزّوج مدخلاً لم يجعله لغيره جعل الله شهادته اربع شهاداتٍ بالله مكان اربع شهود بخلاف غيره من اب وولد واخٍ وغيره، ولو قال غيره ذلك قيل له: وما أدخلك المدخل الّذى ترى هذا فيه وحدك انت متّهم [وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ] قد مضى مكرّراً انّ المراد بالفضل الرّسالة وأحكامها والرّسول، وبالرّحمة الولاية وآثارها وعلىّ (ع) [وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ] و لفضحكم اوعاجلكم بالعقوبة حذف الجواب تفخيماً للعقوبة كأنّها لا يمكن ان تجرى على اللّسان وليذهب ذهن السّامع كلّ مذهبٍ ممكنٍ، ولانّه تعالى جرى على طريقة مخاطبات العرف فانّ الغضوب اذا اشتدّ غضبه غاية الاشتداد لا يفى شدّة غضبه باطالة الكلام واتمام الخطاب فيحذف منه بعضه وان كان اصل الغضب يقتضى اطالة الكلام وتغليظه [إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُا بِالْإِفْكِ] افك كضرب وعلم افكاً بالكسر والفتح والتّحريك كذب كأفّك بالتّشديد وافكه عنه كضرب صرفه وقلبه اوقلب رأيه [عُصْبَةٌ] اى جماعة [مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ] الضّمير للافك اوالاتيان بالافك المستفاد من جاؤا بالافك [بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ] لانّ افكهم لا يورث ضرراً عليكم بل ينفعكم لانّه يكون كفّارةً لذنوبكم وتخفيفاً لاثقالكم [لِكُلِّ امْرِءٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ] فانّ من هؤلآء العصبة من يقول افتراءً مع علم بانّه افتراء، ومنهم من يقوله ظنّاً وتخميناً، ومنهم من يقول تقليداً، ومنهم من يستمع، ومنهم من يسمع، ولكلّ منهم قدر ما اكتسب من الاثم [وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ] معظم الاثم كعبدالله بن ابىّ سلول فانّه كان رأس اصحاب الافك كانوا يجتمعون عنده وكان يحدّث النّاس بحديث الافك ويشيع ذلك بين النّاس ويقول باتت امرأة نبيّكم مع رجلٍ حتّى اصبحت ثمّ جاء يقودها والله ما نجت منه ومانجا منها، وقيل: المراد مسطح بن اثاثة، وقيل: حسّان بن ثابت، اوالمعنى الّذى تولّى كبرياءه وتأنّف عن انقياد الرّسول (ص) وتوقيره [مِنْهُمْ] اى من هؤلآء العصبة [لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ] قد نقل في تفاسير الخاصّة والعامّة انّ الآيات نزلت في عائشة، وسبب نزولها انّ الرّسول (ص) خرج بها في غزوة بنى المصطلق وكان الرّسول (ص) اذا اراد ان يخرج باحداهنّ في غزوةٍ اقرع بينهنّ وبعد مارجع من تلك الغزوة ودنى من المدينة قامت عائشة حين اذنوا بالرّحيل ومشت حتّى جاوزت الجيش فلمّا قضت شأنها اقبلت الى الرّحل فلمست صدرها

فلم تجد عقدها فرجعت فی التماسها عقدها فحبسها ابتغاؤه واقبل الرّهط الّذین یحملون هودجها فحملوا هودجها ظنّاً منهم انّها فیه ووجدت عقدها، ورجعت فلم یجد فی المعسکر داعیاً ولامجیباً فبقیت فی المنزل الّذی کانت فیه ظنّاً منها انّ القوم سیفقدونها، وکان صفوان بن المعطّل السّلمیّ جاء من وراء الجیش فأصبح عند منزلها فعرفها فأناخ راحلته فرکبتها فقادها حتّی اتیا الجیش ، فقال المنافقون ماقالوا فی حقّها ، فأنزل الله تلک الآیات لتبرئتها ، ونقل عن الخاصّة انّها نزلت فی ماریة القبطیّة ومارمتها به عائشة، روی عن الباقر (ع) انّه قال لمّا هلک ابراهیم بن رسول الله (ص) حزن علیه رسول الله (ص) حزناً شدیداً فقالت له عائشة ما الّذی یحزنک علیه فما هو الّا ابن جریح فبعث رسول الله (ص) علیّاً (ع) وامره بقتله فذهب علیّ (ع) ومعه السّیف وکان جریح القبطیّ فی حائطٍ فضرب علیّ (ع) باب البستان فأقبل الیه جریح لیفتح له الباب فلمّا رأی علیّاً (ع) عرف فی وجهه الغضب فأدبر راجعاً ولم یفتح باب البستان فوثب علیّ (ع) علی الحائط ونزل الی البستان واتبعه وولّی جریح مدبراً، فلمّا خشی ان یرهقه صعد فی نخلة وصعد علیّ (ع) فی اثره فلمّا دنی منه رمی بنفسه من فوق النّخلة، فبدت عورته فاذا لیس له ماللرّجال ولا له ماللنّساء، فانصرف علیّ (ع) الی النّبیّ (ص) فقال له یارسول الله اذا بعثتنی فی الامر اکون فیه کالمسمار المُحمی فی الوبر امضی علی ذلک ام اتثبّت؟- قال: لا بل تثبّت ، قال: والّذی بعثک بالحقّ ماله ماللرّجال وماله ماللنّساء فقال: الحمد لله الّذی صرف عنّا السّوء اهل البیت ، وروی حکایة رمی الماریة بنحوٍ آخر [لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا] عدل عن الخطاب الی الغیبة اشعاراً بانّ الایمان یقتضی ظنّ الخیر بالمؤمن فانّ الایمان الّذی بمعنی الاسلام یقتضی التّسلیم وعدم الاستبداد بالرّأی وعدم التّفوّه بما یقتضیه الهوی وظنّ التّسلیم والانقیاد بالمؤمنین ومع ظنّ التّسلیم بالمؤمن لایبقی ظنّ اتّباع الهوی والفاحشة به ، وقدّم الظّرف لانّ المقصود التّوبیخ علی عدم ظنّ الخیر حین سماع الافک والتّحضیض علی ظنّ الخیر حینئذٍ والّا ففی غیر زمان الافک یکون ظنّ الخیر مسلّماً مفروغاً عنه، والمراد من المؤمنین والمؤمنات صفوان وعائشة اوماریة وجریح ، اوالمراد جملة المؤمنین والمراد من انفسهم من ذکر لکنّه ادّاهم بقوله بأنفسهم للاشعار بانّ المؤمنین ینبغی ان یکون کلّ بمنزلة نفس الآخر [وَقَالُوا] عطف علی ظنّ المؤمنون [هَٰذَا إِفْكٌ مُبِينٌ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ] وهذا من جملة مقول القول اوابتداء کلام من الله واشارة الی انّ المدّعی اذا لم یکن علیه البیّنة المعتبرة فیه مکذّب عندالله ویترتّب علیه حکم الکذب [وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ] کرّر هذه الکلمة لانّ الاوّل فی رمی الزّوج وهذا فی قضیّة خاصّة هی رمی ماریة اوعائشة [لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ] ذکر الجواب ههنا جاریاً علی اقتضاء الغضب التّطویل والتّغلیظ وتصریحاً بعظم العذاب وبانّ سبب هذا الغضب وتغلیظ العذاب هو الخوض فی هذا الافک [إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ] یعنی لا بقلوبکم یعنی تدیرونه بینکم من غیر تحقیقٍ له کأنّ السنتکم تأخذه وتقبل مایلقیه غیرکم من غیر اطّلاع ذواتکم وقلوبکم یقال تلقّی القول بمعنی قبله ، وقریٔ: تتلقّونه بالتّائین علی الاصل وتلقونه بالتّخفیف من لقیه بمعنی تناوله وتلقونه بکسر حرف المضارعه من هذه المادّة وتُلقونه من القاه ، وتلقونه من ولق بمعنی کذب، وتألقونه من الق بمعنی کذب، وتثقفونه من ثقف اذا طلب ووجد ، وتقفونه من وقف بمعنی تبع [وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ] من غیر اطّلاع قلوبکم واعتقادها [مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا] سهلاً لا اثم فیه ولا تبعة له [وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ] .

اعلم، انّ الازمان متشابهة واهل كلّ زمانٍ حالهم تشابه حال اهل الزّمان السّالف والآتى فانّ اهالى الازمنة السّالفة على ما وصل الينا من سيرهم كانوا مثل اهل هذا الزّمان، كانوا ينتحلون الدّين لاغراضٍ نفسانيّة لا لغاياتٍ انسانيّة وكانوا يغتابون ويتّهمون من كان داخلاً فى الدّين مثلهم وكانوا يتجسّسون عوراتهم ويعيبون عليهم ويلمزون بعضهم بعضاً بالالقاب و يسرّون بظهور سوءات اخوانهم، ويسائون بظهور محاسنهم، وكلّ ذلك كان منافياً للدّين بل مناقضاً للغايات المقصودة من التّديّن [وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ ما يَكُونُ] ما يصحّ [لَنا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهذا سُبْحانَكَ] لولا قلتم سبحانك تعجّباً من الجرأة على مثل هذا القول اوتنزيهاً لله من ان يكون حرم نبيّه (ص) فاجرة لانّ فى فجورها كراهة النّاس له وكراهتهم ينافى دعوته [هذا بُهْتانٌ عَظِيمٌ] فى نفسه فانّ نسبة الفجور اعظم بهتان، وبالنّسبة الى المبهوت عليه فانّها حرم الرّسول (ص) [يَعِظُكُمُ اللهُ] ينصحكم ويطلب الخير لكم [أَنْ تَعُودُوا] لئلّا تعودوا، اوكراهة ان تعودوا، اوفى ان تعودوا، اويمنعكم بالوعظ من ان تعودوا [لِمِثْلِهِ أَبَداً] ما دمتم فى الدّنيا [إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] شرط للتّهييج لانّ الايمان يقتضى عدم التّفوّه بمثله فى حقّ من كان فى دينه [وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآياتِ] اى علامات الاحكام وآثارها اوالآيات التّدوينيّة الدّالّة على الاحكام التّكليفيّة القاليّة والقلبيّة [وَاللهُ عَلِيمٌ] يعلم ما ينبغى وما لاينبغى لكم وما يترتّب على افعالكم [حَكِيمٌ] لايشرع لكم حكماً ولا يمنعكم من امرٍ الّا لحكمةٍ مقتضيةٍ ذلك [إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ] الفاحشة الزّنا اومايشتدّ قبحه، اوكلّ ما نهى الله عزّوجلّ عنه [فِي الَّذِينَ آمَنُوا] متعلّق بتشيع والمعنى الّذين يحبّون ان تكثر الزّنا اوسائر الفواحش فى الّذين آمنوا، اوالّذين يحبّون ان يكثر ذكر الفاحشة فى الّذين آمنوا، اوظرف مستقرّ حال من الفاحشة، والمعنى انّ الّذين يحبّون ان تظهر الفاحشة الثّابتة فى المؤمنين ويكثر ذكرها [لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيا] بالحدّ المقرّر له فى الشّريعة اوبالعذاب عند الاحتضار اوبالخوف من الافتضاح اوباستيحاش المؤمنين منهم [وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ] انّ لهم عذاباً فى الدّنيا والآخرة ولذا يمنعكم عن العود [وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ] ولذا تحبّون ولا تخافون والجملة معطوفة على جملة انّ الّذين يحبّون، اوعلى اسم انّ وخبرها وكلتاهما فى مقام التّعليل لقوله يعظكم الله اوجملة الله يعلم حاليّة مفيدة للتّعليل، وعن الصّادق (ع) انّه قال: من قال فى المؤمن مارأته عيناه وسمعته أذناه فهو من الّذين قال الله عزّوجلّ: انّ الّذين يحبّون (الآية) وعن الكاظم (ع) انّه قيل له: الرّجل من اخوانى بلغنى عنه الشّيء الّذى اكرهه فأسأله عنه فينكر ذلك وقد أخبرنى عنه قوم ثقاة؟ـ فقال: كذّب سمعك وبصرك عن اخيك وان شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولاً فصدّقه وكذّبهم ولا تذيعنّ عليه شيئاً تشينه به وتهدم به مروّته فتكون من الّذين قال الله تعالى: انّ الّذين يحبّون (الآية) وعن رسول الله (ص) من اذاع فاحشة كان كمبتديها [وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ] تكرار هذه الكلمة اشارة الى نهاية قبح هذا القول وشدّة الغضب لاجله ونهاية قبح حبّ شياع الفاحشة فى المؤمنين، وحذف الجواب ههنا للاشعار بشدّة القبح وشدّة الغضب على حبّ شياع الفاحشة [يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] ناداهم اظهاراً للّطف بهم وترغيباً لهم فى استماع خطابه [لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ] فى اشاعة الفاحشة ورمي البريء وغير البريء وقد مضى فى سورة البقرة عند قوله لا تتّبعوا خطوات الشّيطان تحقيق الخطوات [وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطانِ] يضلّ ويشقى [فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ] البالغة فى القبح [وَالْمُنْكَرِ]

مالا يعرفه العقل والعرف حسناً وهو ما لا يكون بالغاً فى القبح [وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ما زَكى مِنْكُمْ مِنْ اَحَدٍ اَبَداً] زكى يزكو زكوزكاءً نما كا زكى وزكى الرّجل صلح وتنعّم وصفا من الكدورات [وَلٰكِنَّ اللهَ يُزَكّي مَنْ يَشاءُ] باستعداد من قبله بسبب قوله اوفعله [وَاللهُ سَميعٌ] لاقواله المقاليّة والحاليّة [عَليمٌ] بافعاله واحواله ونيّاته واستعداداته المكمونة الغير الظّاهرة عليه وعلى غيره [وَلا يَأْتَلِ] الا الواً كالضّرب و الوّاً كالقعود و اليّاً كالمضيّ وائتلى قصّر وأبطأ وتكبّر وآلى وائتلى حلف، وقيل فى نزول الآية: انّه آلى جماعة من الصّحابة على ان لا يتصدّقوا على رجل تكلّم بشيء من الافك ولا يواسوهم، وقيل: نزلت الآية فى ابى بكر ومُسطح بن اثاثة وكان ابن خالة ابى بكر وكان من المهاجرين ومن البدريّين وكان فقيراً ويتحمّل نفقته ابو بكر وكان من رؤساء اصحاب الافك فلمّا خاض فى الافك قطع عنه وحلف ان لا ينفعه بنفع فلمّا نزل: ولا يأتل [اُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ] عاد الى مواصلته والمراد بالفضل هو السّعة الّتى تفضل عمّا يحتاج اليه الانسان فى انفاقه ، والسّعة اعمّ منه وممّا كان بقدر حاجة الانفاق بنحو السّعة ، اواحدهما مخصوص بالمال والآخر بسعة القلب من حيث العلم والاخلاق [اَنْ يُؤْتُوا] كراهة ان يؤتوا اوعلى ان لا يؤتوا ، اوفى ان يؤتوا؛ وهذا على ان يكون لا يأتل بمعنى لا يحلف وان كان بمعنى لا يقصّر فهو بتقدير فى اى لا يقصّر اولوا الفضل منكم فى ان يؤتوا [اُولِى الْقُرْبى] اى اولى قرباهم اواولى قربى الرّسول (ص) [وَالْمَساكينَ وَالْمُهاجِرينَ فى سَبيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا] قرئ ان تؤتوا وهذان بالغيبة والخطاب وقد مضى مكرّراً انّ العفو عبارة عن ترك الانتقام سواء كان قريناً لحقد القلب على المسيء اولم يكن ، والصّفح عبارة عن تطهير القلب عن الحقد عليه لكنّهما كالفقراء والمساكين اذا افترقا اجتمعا واذا اجتمعا افترقا ، والآية اشارة الى كيفيّة حسن العمل مع المسيء خصوصاً على ما نقل من سبب نزولها فكأنّه قال : وليعفوا عن المسيء وليصفحوا ولا يأتل اولوا الفضل فى الاحسان اليه اذا كان اهلاً للاحسان [اَلا تُحِبُّونَ اَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ] ترغيب فى المراتب المذكورة بأحسن وجهٍ يعنى انّ الله يغفر للمسيء ومن اراد ان يغفر الله له فليشاكل الله فى العفو عن المسيء فانّ المشاكل لله يغفر الله له لا محالة [وَاللهُ غَفُورٌ رَحيمٌ] يغفر لمن يغفر عن المسيء ويرحم من يحسن الى المسيء [اِنَّ الَّذينَ يَرْمُونَ الْمُحْصِناتِ الْغافِلاتِ] ممّا قذفن به [الْمُؤْمِناتِ لُعِنُوا فِى الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظيمٌ] كرّره لانّ الاوّل لبيان العقوبة الصّوريّة والحدود الدّنيويّة وهذا لبيان العقوبة الاخرويّة والحدود الباطنيّة وللتّنبيه على عظم الذّنب [يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ] قرئ بالتّاء والياء [اَلْسِنَتُهُمْ وَاَيْديهِمْ وَاَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ يَوْمَئِذٍ يُوَفّيهِمُ اللهُ دينَهُمُ] اى جزاءهم [الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ اَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبينُ] روى انّه ليست تشهد الجوارح على مؤمن انّما تشهد على من حقّت عليه كلمة العذاب [اَلْخَبيثاتُ لِلْخَبيثينَ وَالْخَبيثُونَ لِلْخَبيثاتِ وَالطَّيِّباتُ لِلطَّيِّبينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّباتِ] المراد بالخبيثات والطّيّبات الاقوال الخبيثة والطّيّبة بقرينة ذكرها عقيب الافك، اوالاعمال الخبيثة والطّيّبة سواء كانت من سنخ الافعال والاقوال، اوالعلوم والاخلاق والاحوال، اوالمراد بها النّساء الخبيثات والطّيّبات بقرينة ذكرها عقيب افك عائشة اومارية ، اوالمراد مطلق ماتسمّى بالخبيثات والطّيّبات سواء كانت من سنخ الاقوال والاوصاف ، اومن سنخ الذّوات من المطعومات والمشروبات والملبوسات والمنظورات والمسكونات والمنكوحات، وعلى تعميم الخبيثات ينبغى تعميم الخبيثين للرّجال والنّساء بطريق التّغليب،

وعن الحسن المجتبى (ع) انّه قال بعد ما حاجّ معاوية و اصحابه و قام من مجلسه : الخبيثات للخبيثين و الخبيثون للخبيثات هم والله يامعاوية انت و أصحابك هؤلآء و شيعتك، و الطيّبات للطيّبين الى آخر الآية هم علىّ بن ابى طالب و اصحابه وشيعته [أُولٰئِكَ] يعنى صفوان و عائشة اوجريح و مَارية و امثالهما او الطيّبون و الطيّبات [مُبَرَّؤُنَ مِمّٰا يَقُولُونَ] فيهم من الافك اومما يقوله الخبيثون يعنى من ان يقولوا مثل قولهم [لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ] لطيوبتهم وطيبوبة هذين [يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَدْخُلُوا بُيُوتاً] مسكونة [غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتّٰى تَسْتَأْنِسُوا] استأنس ذهب توحّشه ، واستأنسه استأذنه ، واستأنس استعلم واستأنس طلب الانس اى الانسان ، وقيل لرسول الله (ص) : يا رسول الله ما الاستيناس ؟- قال : يتكلّم الرّجل بالتّسبيحة والتّحميدة والتّكبيرة ويتنحنح على اهل البيت ، وهذا يناسب الاستيناس مقابل الاستيحاش والاستعلام، وقيل: اطّلع رجل فى حجرة من حجر رسول الله ، فقال رسول الله (ص) ومعه مدرىً يحكّ به رأسه لوأعلم انّك تنظر لطعنت به فى عينيك انّما الاستيذان من النّظر [وَتُسَلِّمُوا عَلىٰ أَهْلِهٰا] بيان للاستيناس على بعض معانيه وحكم آخر على بعض آخر [ذٰلِكُمْ] الاستيناس او الدّخول بالاستيناس [خَيْرٌ لَكُمْ] وقلنا لكم ذلك اوانزلنا عليكم هذا الحكم [لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] مصالحه [فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهٰا أَحَداً فَلاٰ تَدْخُلُوهٰا] لانّه قد يوجد فى بيوت غيركم مالا يجوز لكم الاطّلاع عليه ومايكره صاحب البيت اطّلاع الغير عليه [حَتّٰى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا] ولا تلجّوا ولا تكرهوا فانّه قد يكون صاحب البيت بحال لايجوز للغير الاطّلاع عليه [هُوَ أَزْكىٰ لَكُمْ] انمى لكم او اصفى اوانفع لكم [وَاللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ] فان ترجعوا عن طيب نفوسكم يعلمه الله ويجازكم به [لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنٰاحٌ] جواب لسؤال مقدّر [أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ] من غير استيناس وتسليم [فِيهٰا مَتٰاعٌ لَكُمْ] اى تمتّع واستمتاع، فى الخبر انّها الحمّامات و الخانات و الارحية وامثالها، وقيل: المراد الخربة يدخل الانسان فيها لقضاء حاجة ، وقيل: المراد بيوت التّجّار و الصّنّاع الّتى يفتح ابوابها لمعاملة النّاس ، وقيل: انّها منازل المسافرين، والحقّ انّه اذا اريد بالمتاع التّمتّع كان المراد بالبيوت مطلق البيوت الّتى يكون اذن عامّ من الشّارع اومن مالكيها فى الدّخول فيها ، وان كان المراد بالمتاع الاجناس الّتى يتمتّع بها كان المراد مطلق البيوت الّتى يكون فيها امتعتكم سواء كانت البيوت مملوكة لكم غير مسكونة لكم ولغيركم، اومملوكة لغيركم غير مسكونة لكم و لغيركم [وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مٰا تُبْدُونَ وَمٰا تَكْتُمُونَ] من الافعال و الاحوال و الاخلاق و النّيّات والاستعدادات الّتى لم تشعروا بها بعد فيعلم دخولكم فى بيوت غيركم ونيّاتكم فى دخولكم فلاتدخلوا من غير استيناس حتّى يتّهمكم غيركم بالفاحشة اوقصدها ولايقع انظاركم على مالايجوز النّظر اليه من حريم صاحبى البيوت فيريبكم ولاتقدروا على منع نفوسكم من الفاحشة ، وهذا تحذير ممّا يجعل الانسان معرضاً للتّهمة وممّا يريبه فانّه لمّا شدّد على الزّانى والزّانية وغلّظ على من رمى غيره بالفاحشة، حذّر المؤمنين عن مواقع الرّيبة ومواضع التّهمة حتّى لايقعوا فى الرّيبة و الفاحشة و يستحقّوا عقوبة الفاحشة ولا يوقع النّاس فى سوء الظّنّ و رمى الفاحشة فيستحقّوا عقوبة المفترين، كما انّه حذّرهم بالآية الآتية عمّا يريبهم اويريب غيرهم من النّظر الى فروج غيرهم اومن ان ينظر الى فروجهم وحذّر النّساء من ذلك ومن ابداء زينتهنّ لمن لا يجوز له النّظر بالرّيبة فقال : [قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصٰارِهِمْ] قد مضى مكرّراً انّه تعالى مايأتى بالمقول فى امثاله للاشعار بانّ قوله (ص) لقوّة نفسه يؤثّر فيهم بحيث يصير سبباً لمايذكر بعده من غير اعتبار المقول فى جزم الجواب، وغضّ طرفه غضاضاً بالكسر وغضّاً وغضاضاً وغضاضةً بفتحهنّ حفظه وتحمّل المكروه ، وغضّ من بصره نقص منه ووضع من قدره ، وقيل: من هنا زائدة والمعنى يحفظوا

ابصارهم وانظارهم من النّظر الى ما لا يحلّ لهم النّظر اليه ، اومن النّظر الى ما لا ينبغى لهم النّظر اليه سواء كان عدم استحقاق النّظر من باب الحرمة اومن باب الكراهة اومن النّظر الى ماسوى الله وآياته كما يجيء [وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ] من ان ينظر اليها من لايحلّ له النّظر اليها كما فى الخبر ، اومن مطلق النّظر اليها سواء كان النّاظرون انفسهم اوغيرهم حلالاً كان النّظر اوغير حلال على ان يكون النّظر الى الفروج مكروهاً ممّن يحلّ له النّظر اليها كنظر صاحبى الفروج ونظر الازواج الى عوراتهم ويكون الامر المقدّر اعمّ من الوجوب والاستحباب ، اويحفظوا فروجهم من الوطى الغير الحلال اويحفظوا فروجهم من الوطى الغير الحلال ومن النّظر الغير الحلال ، اويحفظوا فروجهم من النّظر والوطى مطلقاً على ان يكون الحكم للبايعين البيعة الخاصّة الولويّة ويكون الوطى والنّظر الى الفروج وكون الفروج منظوراً اليها ممنوعاً فى حقّهم ، فانّ السّالك الى الله حكمه حكم المحرم مالم يتمّ سلوكه ولم يحلّ من احرامه للحجّ الحقيقىّ فلم يحلّ لرجالهم التّمتّع بالنّساء وبسائر ملاذّ النّفس ولا لنسائهم التّمتّع بالرّجال وبسائر ملاذّ النّفس بل لايجوز لهم الالتفات الى ماسوى الله وماسوى مقصدهم [ذٰلِكَ أَزْكىٰ لَهُمْ] اطهر لهم اواصلح اوانمى لانّه ابعد من الرّيبة والاشتغال بملاهى النّفس [إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمٰا يَصْنَعُونَ] من النّظر وترك النّظر فيجازيهم بحسبه [وَقُلْ لِلْمُؤْمِنٰاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصٰارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلٰا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ] هذا ايضاً مجمل محتمل لوجوه ومراد بكلّ وجوهه فانّه يجوز ان يفسّر ابداء الزّينة بابداء نفس الزّينة لمن لايجوز له النّظر الى جسدهنّ من غير المحارم، وان يفسّر بابداء مواضع الزّينة لانّ الزّينة ممّا يجوز للاجانب النّظر اليها ، وان يفسّر بمطلق ابداء الزّينة اومطلق ابداء مواضع الزّينة من غير النّظر الى ناظر ونظرة محرّم اوغير محرّم بان يكون نفس ابداء الزّينة بحيث لونظر ناظر لرآها حراماً نظر ناظر ام لم ينظر، وهذا على ان يجعل النّهى للبايعات البيعة الخاصّة الولويّة ويكون حكم السّالكات عدم الالتفات الى ما سوى الله ما لم يحللن من سلوكهنّ و احرامهنّ فيكون التفاتهنّ الى الزّينة و ابداؤها حراماً عليهنّ [إِلّٰا مٰا ظَهَرَ مِنْهٰا] من الثّياب الظّاهرة وزينة المواضع المستثناة ونفس تلك المواضع الّتى ليست بعورة فى النّساء كالخاتم والسّوار والكحل والخدّين والكفّين والقدمين .

اعلم ، انّ نهى النّساء عن ابداء زينتهنّ ونهى الرّجال عن النّظر الى زينتهنّ انّما هو لكون الزّينة وابدائها والنّظر اليها مقدّمة للفساد ومورثاً للرّيبة وموجباً للافتتان وقد ورد عن النّبىّ (ص) خطاباً لعلىّ (ع) : ياعلىّ اوّل نظرة لك والثّانية عليك لا لك يعنى ان افتتنت بالنّظرة وعدت الى الثّانية كانت وبالها عليك ، وفى رواية لكم اوّل نظرة الى المرأة فلا تتسحبّوها بنظرة اخرى واحذروا الفتنة فعلى هذا لوخيف من الرّيبة والافتتان بالنّظر الى الوجه والكفّين والقدمين وزينتها لم يجز للمرأة ابداؤها ولا للمرء النّظر اليها ، ولو لم يخف من الرّيبة جاز ابداء الزّينة الظّاهرة والمواضع المستثناة وجاز للاجنبىّ النّظر اليها ولو لم يخف من الرّيبة جاز النظر الى غير الزّينة الظّاهرة من الزّينة الباطنة وغير المواضع المستثناة مثل الرّأس والشّعر والسّاق والذّراع اذا لم تكن من المسلمات اللّواتى لهنّ الحرمة والرّفعة كالاماء و اهل البد واللّاتى لا يمكنهنّ التّحفّظ عن الاجانب ولا يمكن لمعاشريهنّ الاحتراز عن النّظر اليهنّ ، واختلاف الاخبار ناظر الى اختلاف الاحوال والاشخاص فى الرّيبة وعدمها والحرمة وعدمها وامكان التّحفّظ وعدمه [وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ] جمع الخمار بالكسر كالخمر بالسّكون ، والخمار المقنعة الّتى هى غطاء رأس المرأة المتسدّل على جنبيها ، كانت النّساء يلقين مقانعهنّ على ظهورهنّ و تبدو صدورهنّ فقال تعالى : وليلقين خمرهنّ [عَلىٰ جُيُوبِهِنَّ] حتّى لاتبدو صدورهنّ فانّ الصّدور اشدّ شيء فى الافتتان بها [وَلٰا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ] تكرار

هذه الكلمة لتفصيل الاجمال السّابق [اِلّا لِبُعُولَتِهِنَّ] فانّ الزّينة لم تكن الّا لهم بل النّساء مأمورات بالزّينة وابدائها للازواج ليتحرّك ميلهم اليهنّ [اَوْ اٰبائِهِنَّ] فانّه لايتصوّر الرّيبة والفتنة منهم [اَوْ اٰباءِ بُعُولَتِهِنَّ اَوْ اَبْنائِهِنَّ اَوْ اَبْناءِ بُعُولَتِهِنَّ اَوْاِخْوانِهِنَّ اَوْبَنِي اِخْوانِهِنَّ اَوْبَنِي اَخَواتِهِنَّ] نسب الى الباقر (ع) انّه قال: الزّينة الظّاهرة الثّياب والكحل والخاتم وخضاب الكفّ والسّوار، والزّينة ثلاث: زينة للنّاس وزينة للمحرم وزينة للزّوج، فامّا زينة النّاس فقد ذكرناها، وامّا زينة المحرم فموضع القلادة فما فوقها، والدّملج وما دونه، والخلخال وما اسفل منه، وامّا زينة الزّوج فالجسد كلّه، وعن النّبىّ (ص) انّه قال: للزّوج ما تحت الدّرع، وللابن والاخ مافوق الدّرع، ولغير ذى محرم اربعة اثواب، درع وخمار وجلباب وازار [اَوْنِسائِهِنَّ] يعنى النّساء المؤمنات فانّ الاضافة الى ضمير المؤمنات تفيد تخصيصاً للنّساء وبعد اعتبار حيثيّة الايمان فى الاضافة يعلم انّ المراد بهنّ المخصوصات بالمؤمنات بوصف الايمان لا بالقرابة لعدم اعتبار حيثيّة الايمان فى القرابة ولا بالمملوكيّة لهنّ لعدم اعتبار تلك الحيثيّة فى المملوكيّة ولذكر المملوكة بعد ذلك، روى عن الصّادق (ع) انّه لاينبغى للمرأة ان تنكشف بين اليهوديّة والنّصرانيّة فانّهنّ يصفن ذلك لازواجهنّ [اَوْمامَلَكَتْ اَيْمانُهُنَّ] من الاماء الغير المسلمة اومن العبيد والاماء فانّه لابأس ان يرى المملوك شعر مولاته وساقها اذا كان مأموناً كما فى الخبر، وفى خبر: لا يحلّ للمرأة ان ينظر عبدها الى شيء من جسدها الّا الى شعرها غير متعمّد لذلك [اَوِ التّابِعينَ] الّذين من شأنهم ان يكونوا تابعين كالخادم والخادمة، والسّقّاء والسّقاءة، والاجير والاجيرة، والشّيخ والشّيخة، والابله والبلهاء، والمولّى عليهما، والمجنون والمجنونة [غَيْرِاُولِي الْاِرْبَةِ] اى غير ذوى الحاجة الى النّساء يعنى ان لم يكن لهم شهوة النّساء والّا فلايجوز لهم النّظر ولا لهنّ ابداء الزّينة لهم [مِنَ الرِّجالِ اَوِ الطِّفْلِ الَّذينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلٰى عَوْراتِ النِّساءِ] اى لم يطّلعوا على عوراتهنّ من حيث انّها عورات بان لم يكن فيهم شهوة النّساء حتّى يتميّز العورة منهنّ عندهم من غيرها، والطّفل جنس فى معنى الجمع ولذلك وصف بالجمع [وَلايَضْرِبْنَ] لمّا كان المتبادر من ابداء الزّينة ابداءها على الابصار دون ابدائها على الآذان قال: ولايضربن [بِاَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ] بسماع صوت الزّينة من الخلخال وغيره [مايُخْفينَ مِنْ زينَتِهِنَّ] فانّ صوت الخلخال واللّباس ممّا يهيّج ميل الرّجال [وَتُوبُوا] لمّا نهى النّساء من ابداء ما يريب الرّجال من لباسهنّ وزينتهنّ وابدانهنّ امر الرّجال بالانصراف عمّا يريبهم والتّوجّه الى ربّهم، اولمّا امر الرّجال بغضّ الابصار وحفظ الفروج وامر النّساء كذلك امر النّساء والرّجال بالانصراف ممّا يهيّج الشّهوات وبالتّوجّه الى الله بطريق التّغليب فقال: توبوا [اِلَى اللهِ جَميعًا] لفظ الجميع وان كان بمعنى المجتمع لكنّه يستعمل لمحض تأكيد العموم من دون اعتبار الاجتماع فى زمان الحكم [اَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ] رسم فى المصاحف كتابة ايّها هذه بدون الالف الاخيرة وقرئ ايه المؤمنون بفتح الهاء وضمّها تشبيهاً للهاء بعد اسقاط الالف بحرف آخر الكلمة واجراء لحركة ضمّ المنادى عليها [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] ولمّا امر المؤمنين والمؤمنات بغضّ البصر وحفظ الفروج وكان ذلك شاقّاً على ذوى العزوبة قال تعالى [وَأَنْكِحُوا الْاَيامٰى] مقلوب ايايم جمع الايّم مشدّد الياء من لازوج له من الرّجال والنّساء فالمعنى انكحوا من لازوجة له من الرّجال ومن لازوج لها من النّساء [مِنْكُمْ] حال كونهم منكم من حيث الايمان فانّ الخطاب للمؤمنين بعنوان الايمان ومفهوم مخالفته لاتنكحوا الايامى من غيركم من حيث الايمان

سواء كانوا منكم من حيث النّسب اولم يكونوا [وَالصّالِحينَ] اى المؤمنين فانّ المراد بالصّلاح ههنا الاسلام اوالمتعفّفين فانّه ايضاً صلاح النّفس [مِنْ عِبادِكُمْ وَاِمائِكُمْ] فانّهم ان كانوا متزوّجين ومزوّجات كانوا اسلم من الرّيبة واصلح للخدمة [اِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ] الضّمير راجع الى الايامى فقط اواليهم والى الصّالحين على القول بتملّك العبيد والاماء، اوعلى ان يكون المراد بهم العبيد والاماء الّذين أعتقهم مواليهم ويكون الله تعالى أمر المسلمين بتزويجهم وعدم التّأنّف منهم لكونهم عبيداً واماءً، اوالمعنى ان يكونوا محتاجين الى الازواج بغلبة الشّبق والعزوبة، اوالمراد ان يكونوا فقراء الى الله تعالى محتاجين اليه فى الخلاص من الكثرات والالتذاذ بالتّوحيد [يُغْنِهِمُ اللهُ] عن الكثرات [مِنْ فَضْلِهِ] بحيث لايكون الكثرات حجباً لهم ويكونون مشاهدين لله فى الكثرات فانّ رفع حجاب الكثرة وان كان بالعزلة اسهل ومشاهدة جمال التّوحيد فى الوحدة اكمل لكنّ المعتزل كلّما اشتغل بالكثرات للضّرورة الدّاعية اليها لانّه خلق محتاجاً اليها كانت الكثرات حجباً بل يكون سترها اقوى واشدّ ولذلك ترى المرتاضين المعتزلين قلّما يتحمّلون واردات المعاشرة مع الخلق ولايمكنهم المعاملة مع الخلق والاقامة فيهم [وَاللهُ واسِعٌ] لايعجز من التّوسعة عليهم ولايخاف من عولهم [عَليمٌ] بالتّسبيبات الخفيّة فيعلم انّ النّكاح سبب للغناء وان لم تعلموا انتم ذلك، اوعليم باستعداد كلّ وصلاحه فان لم يغن بعضاً بالنّكاح كان يعلم منه باستعداده وبانّ صلاحه فى فقره فلايقول قائل: نرى بعض من تزوّج لا يصير غنيّاً، اوعليم بكم فيعلم انّ النّكاح يزيد فى فقركم وحاجتكم فيزيله عنكم بعد ما نكحتم بأمره، ولمّا بيّن حكم اولياء الايامى وشركائهم فى الايمان بيّن حكم الايامى انفسهم مع اشعار ما بانّ الواجب على المؤمنين رفع المانع من نكاح الايامى اذا كان المانع من قبلهم مثل التّأنّف وملاحظة الكفاءة فى الحسب والنّسب وملاحظة الفقر وعدم القدرة على الانفاق اوعلى التّعيّش لاتهيّة الاسباب مثل الصّداق والنّفقة والكسوة فقال [وَلْيَسْتَعْفِفِ] الايامى من الرّجال والنّساء [الَّذينَ لايَجِدُونَ نِكاحًا] بعدم وجدان الازواج لرجالهم ونسائهم اوعدم وجدان مايحتاجون اليه فى نكاحهم من الصّداق والنّفقة والكسوة والمسكن اوبمنع الاولياء من النّكاح وعدم القدرة على مخالفتهم [حَتّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ] من فقر الدّنيا فيجدوا ما يتيسّر لهم النّكاح اومن الفقر الى وجدان الازواج فيجدوا لانفسهم ازواجاً اومن الفقر الى رفع منع الاولياء اويغنيهم الله من النّكاح بان انسى طبائعهم توليد النّطفة و أطفى حرارة النّطفة الموجودة فلا توذى بدغدغتها ولا بامتلاء الاوعية بها اوبان جعل قلوبهم بسبب الاستعفاف معلّقة بالملأ الاعلى ونفوسهم تابعة لها فلايشتغلون بالطّبيعة ولوازمها وملاذّها فيغنيهم [مِنْ فَضْلِهِ] عن النّكاح، والمعنى وليستعفف بالتّزويج الايامى من الرّجال والنّساء الّذين لا يجدون نكاحاً ووطياً بان لم يكن لهم ازواج ولم يتزوّجوا مخافة الفقر حتّى يغنيهم الله بالنّكاح الّذى يخافون الفقر بسببه، وعلى هذا يكون الآية الاولى امراً للمؤمنين واولياء الاعزاب بتزويج الايامى، والآية الثّانية امراً للاعزاب انفسهم بالتّزويج كما نسب الى الصّادق(ع) فى هذه الآية انّه قال: يتزوّجون حتّى يغنيهم الله من فضله، وعنه(ع): من ترك التّزويج مخافة العيلة فقد اساء الظّنّ بربّه لقوله سبحانه: ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله، ونسب الى النّبىّ(ص) انّه قال: من احبّ فطرتى فليستنّ بسنّتى، ومن سنّتى النّكاح، وقال(ص): يامعشر الشّباب من استطاع منكم الباءة فليتزوّج فانّه اغضّ للبصر واحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصّوم فانّه له وجاء، والوجاء كناية عن قطع الشّهوة فانّه بمعنى رضّ الانثيين الّذى يذهب بشهوة الجماع، ونسب اليه (ص) انّه قال: من ادرك له ولد وعنده ما يزوّجه فلم يزوّجه فأحدث فالاثم بينهما، ونسب

اليه (ص) ايضاً انّه قال: اربع لعنهم الله من فوق عرشه وامّنت عليه ملائكته الّذى يحصر نفسه فلايتزوّج ولا يتسرّى لئلّايولد له، والرّجل يتشبّه بالنّساء وقدخلقه الله ذكراً، اوالمرأة تتشبّه بالرّجال وقدخلقهاالله انثى، ومضلّل النّاس يقول للمسكين: هلمّ اعطك فاذا جاء يقول ليس معى شيءٌ، ويقول للمكفوف: اتّق الدّابة وليس بين يديه شيءٌ، والرّجل يسأل عن دار القوم فيضلّله [وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ] مصدر كاتبه من الكتابة فانّه يجعل بين السيّد والعبد اوالامة كتاباً مشتملاً على نجوم مال الكتابة واجله وشروط المكاتبة، اواسم بمعنى الصّحيفة المكتوب فيها، اوبمعنى القدر، اوبمعنى الفرض، اوهو مصدر من المجرّد اوالمزيد فيه من الكتاب بواحد من المعنيين الاخيرين فانّهما يقدّران مال الكتابة، اوالمولى يفرض على نفسه عتق عبده باداء مال الكتابة [مِمَّا مَلَكَتْ] اى من العبيد والاماء الّذين ملكتهم [أَيْمَانُكُمْ] وانّما اتى بلفظ ما دون من للاشعار بانّهم من حيث المملوكيّة فى حكم غير ذوى العقول [فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا] أى مالاً اوحرفة اوقدرة على كسب المال اوامانة حتّى لايكتسبوا بالحرام مثل السّرقة والسّؤال والزّنا اوصلاحاً حتّى لايفرّوا من مال الكتابة [وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ] اى حطّوا من مال الكتابة اوردّوا عليهم ممّا اخذتموه من نجوم مال الكتابة شيئاً ايّها الموالى، اوأعطوهم من الزّكوة اعانة على اداء مال الكتابة ايّها الموالى اوايّها المؤمنون [وَلَا تُكْرِهُوا] ايّها الموالى [فَتَيَاتِكُمْ] اى امائكم الشّابّات [عَلَى الْبِغَاءِ] اى الزّنا [إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا] بيان للاكراه على البغاء فانّه لايتحقّق الّا بارادتهنّ التّحصّن على انّ مفهوم الشّرط لوكان قيداً لم يكن حجّة [لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا] بكسبهنّ واجرة البغاء [وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ] لهم اذا تابوا اوغفور لهنّ ما يلزمهنّ من السّوأة الّلازمة لهذا الفعل ولوكان بالاكراه اومن السّوأة الّلازمة لهنّ بعد الاكراه اذا رغبن فى الفعل بمقتضى طبيعتهنّ [رَحِيمٌ] يرحمهم اويرحمهنّ فضلاً عن المغفرة، وقرئ فانّ الله من بعد اكراههنّ لهنّ غفور رّحيم [وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ] موضحات اوواضحات قرئ بكسر الياء وفتحها، وبان وابان وبيّن وتبيّن واستبان كلّها لازم ومتعدّ والمعنى انزلنا اليكم آيات واضحات الاحكام اوالمقاصد اوالحكم والمصالح، اوالبراهين؛ مثل القضايا الّتى قياساتها معها، اوالصّدق والمراد بها معنى اعمّ من الآيات التّدوينيّة والتّكوينيّة الآفاقيّة والانفسيّة من الانبياء والاولياء والعقول ووارداتها [وَمَثَلًا] اى حجّة اوحديثاً اوشبيهاً [مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ] ويجوزان يراد بالآيات الآيات التّدوينيّة وبالمثل علىّ (ع) اوبالآيات محمّد (ص) والعقول فانّ محمّداً (ص) من حيث النّبوّة نازل من الله وبالمثل علىّ (ع) فانّه من حيث الولاية نازل من الله، ومحمّد (ص) من حيث النّبوّة آية بل آيات من الله، وعلىّ (ع) من حيث الولاية شبيه للماضين جميعاً [وَمَوْعِظَةً] اى تذكيراً ونصحاً وترغيباً وتخويفاً، ويجوزان يكون الآيات والمثل والموعظة اوصافاً لذات واحدة ويكون المراد علياً (ع) فانّه باوصافه واخلاقه وعلومه ومكاشفاته وقدرته وتصرّفاته آيات عديدة دالّة على صفات الحقّ الاوّل تعالى مبيّنة لذاته وصفاته كما انّه مثل لجميع الانبياء والاولياء (ع) الماضين وهو بذاته وسائر صفاته موعظة [لِلْمُتَّقِينَ] متعلّق بموعظة اوبانزلنا اوالّلام للتّبيين والظّرف مستقرّ خبر لمبتدءٍ محذوف اوحال وانّما قال للمتّقين لانّ غيرهم لاينتفعون بذلك.

آية النّور

[اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] اعلم انّ الله كماسبق مكرّراً اسم للذّات الواجب الوجود باعتبار مقام ظهوره الّذى هو مقام المشيّة وهى اضافته الاشراقيّة الى الاشياء وهى فعله وفيضه

ونوره المنبسط على جميع الاشياء وبها يخرج الاشياء من اللّيس المحض الى الايس، ومن العدم الى الوجود، ومن الظّلمة الى النّور، ومن الخفاء الى الظّهور، وانّ الذّات الاحديّة بدون هذا العنوان غيب محض لااسم له ولا رسم ولاخبر عنه ولذلك سمّى فى الاخبار بالعمى، وقد فسّر الله تعالى فى الآيات بسائر مظاهره من الانبياء والاولياء (ع) فانّه فسّر الكفر والشّرك بالله تعالى فى الاخبار بالكفر والشّرك بخلفائه ، وانّ النّور اسم للضّياء سواء كان ضياء الشّمس او القمر اوسائر الكواكب، وسواء كان ضياء النّار والسّراج اوالجواهر اوغيرها ، اوهو اسم لشعاع الضّياء ، اوهو اعمّ وقدنار نوراً وانار واستنار ونوّر وتنوّر كلّها بمعنى اضاء اللّازم، وجاء انار ونوّر متعدّيين ايضاً ، والنّور اسم لمحمّد (ص) او نبوّته او رسالته او ولايته او اسم لعلىّ (ع) او خلافته او ولايته ، وقد يطلق على الّذى يبيّن الاشياء مطلقاً ضياءً وشعاعاً كان ، اودليلاً وبرهاناً ، اوعلامة وآثاراً ، وبهذا المعنى يطلق على الكتب السّماويّة والخلفاء الالهيّة ، وقد يطلق على الهدى ومابه الهدى وبهذا المعنى ايضاً يكون الكتب السّماويّة والرّسالات والنّبوّات والولايات والاقوال والافعال والاحوال والاخلاق الحسنة كلّها انواراً وانّه لااختصاص للاسماء بمصاديقها العرفيّة بل المعتبر فى صدقها هى المعانى المطلقة الحاصلة فى جميع العوالم وجميع المراتب من دون اعتبار خصوصيّة من خصوصيّات المصاديق و العوالم فيها ، فانّ النّور اسم للظّاهر بذاته من دون وساطة امر آخر المظهر لغيره ، والنّور العرضىّ الّذى لا يبقى آنين وليس ظاهراً الّا على الابصار ولايكون ظهوره على الابصار الّا بعد اجتماعه فى سطح كثيف غليظ لا ينفذ فيه ولايظهر الّا السّطوح والالوان والاشكال ولايُظهر الّا على الابصار دون سائر المدارك احد مصاديقه من دون اعتبار تلك الخصوصيّات فى صدقه ، بل نقول : معنى الظّاهر بذاته المظهر لغيره ليس حقيقةً الّا لحقيقة الوجود الّذى هو واجب لذاته وموجب لغيره، وامّا سائر الانوار العرضيّة والحقيقيّة الّتى هى وجودات الاشياء وانوار الرّسالة والنّبوّة والولاية والهداية فهى وان كانت بوجهٍ ظاهرةً بذواتها بمعنى انّه لاحاجة لها الى نورٍ آخر تظهر هى به لكنّها محتاجة الى علّة تخرجها وتظهرها والى ماتقع عليه من سطوح المهيّات والصّدور والقلوب والارواح ومن سطوح الاجسام المادّيّات فهى ليست فى الحقيقة ظاهرة بذواتها، وانّ السّماوات لااختصاص لها بالافلاك الطّبيعيّة والكرات العلويّة بل كلّما كان فيه جهة علوٍّ وفاعليّة بالنّسبة الى مادونه فهو سماء بالنّسبة اليه فالعقول الكلّيّة الطّوليّة والعرضيّة والنّفوس الكلّيّة والجزئيّة والافلاك الطّبيعيّة كلّها سماوات ، والارض اسم لماله تسفّلٌ وقبولٌ ولااختصاص لاسم الارض بالارض الغبراء بل عالم الطّبع بشراشره وعالما المثال السّفلىّ والعلوىّ كلّها ارض، وقد مضى فى اوّل سورة الانعام وجه جمع السّماوات وافراد الارض وانّ السّماء والارض اسمان للموجود منهما الممتاز بتعيّن السّماوىّ والارضىّ، اواسمان لنفس مهيّاتهما من دون اعتبار الوجود معها فعلى هذا صحّ ان يقال فى بيان الآية : انّ الله ذونور السّماوات والارض موافقاً لما نسب الى امير المؤمنين (ع) انّه قرء : الله نوّر السّماوات والارض على صيغة الماضى من التّفعيل سواء اريد من النّور النّور المحسوس العرضىّ اوالوجود، اوالهدى وصحّ ان يقال: انّ الله مبيّن السّماوات والارض ومخرجهما من خفاء العدم الى الوجود، وصحّ ان يقال : انّ الله وجود السّماوات والارض سواء اريد منه وجود وجودهما على ان يراد من السّماوات والارض الموجودان منهما واعتبر قيد الحيثيّة فى اضافة النّور اليهما اواريد منه نفس وجودهما ، فانّ الله باعتبار مقام ظهوره الّذى هو المشيّة قوام وجودات الاشياء وفاعلها وروحها بوجهٍ ونفس وجودات الاشياء بوجهٍ كما انّ الفصول فاعل وجودات الاجناس وقوامها بوجه اخذها بشرط لا ، ونفس وجوداتها بوجه اخذها لابشرطٍ ، فانّ فعل الحقّ الّذى هو المشيّة هو صورة الاشياء وقوامها وفاعلها ، وصحّ ان يقال انّ الله بحسب مظهره الّذى هو العقل الكلّىّ اوالرّوح الكلّىّ الّذى هو ربّ النّوع الانسانىّ نور السّماوات والارض بالوجوه المذكورة اوبحسب مظهره الّذى هو النّفس الكلّيّة اوبحسب مظهره الّذى هو عالم المثال نور السّماوات والارض اوبحسب

مظاهره الّذين هم انبياؤه واولياؤه (ع) هدى اهل السّماوات والارض اومبيّنون لاهل السّماوات والارض اوبحسب مظاهره الّتى هى لطائف الولاية، والنّبوّة والرّسالة نور السّماوات والارض فى العالم الكبير اوفى العالم الصّغير بالوجوه السّابقة اوبحسب مظاهره الّتى هى الارواح والعقول والقلوب والنّفوس البشريّة والنّفوس الحيوانيّة نورالسّماوات والارض فى العالم الصّغير بالوجوه السّابقة، اوبحسب مظهره الّذى هوضياء الشّمس نور السّماوات والارض الطّبيعيتين بالمعنى المدرك لكلّ احد، اوبحسب مظهره الّذى هومثال اوليائه الظّاهر فى صدور السّالكين نور السّماوات والارض فى العالم الصّغير ان لم يكن ذلك المثال قويّاً على انارة خارج عالم السّالك، اوفى العالم الصّغير والكبير ان صار المثال قويّاً على انارة الخارج ايضاً، والى هذا الوجه اشار العارف الرّبّانىّ قدّس سرّه بقوله:

كرد شهنشاه عشق در حرم دل ظهور　　　قد ز ميان برفراشت رايت الله نور

اوبحسب مظهره الّذى هوقوّة الواهمة والمتخيّلة والخيال، اوبحسب مظهره الّذى هو المدارك الباطنة اوهو المدارك الظّاهرة [مَثَلُ نُورِهِ] اى صفته اوحديثه [كَمِشْكٰوةٍ] اى كصفة مشكوة اوحديث مشكوة وقد مضى سابقاً انّ التّشبيهات التّمثيليّة لايلزم فيها ذكر جميع اجزاء المشبّه ولاذكر جميع اجزاء المشبّه به ولاالتّرتيب بين اجزائهما ولاذكر جزء مخصوص عقيب اداة التّشبيه ولاالاتيان بلفظ المثل فى جانب المشبّه ولافى جانب المشبّه به ولاالاتيان باداة التّشبيه، واضاف النّور الى ضمير الله مع انّ المناسب ان يقول مثله لانّه جعله نفس النّور للاشارة الى انّ الذّات بحسب مقام الغيب ومقام الذّات الاحديّة لاخبر عنه ولاحكم عليه وانّما الخبر والحكم عليه بحسب مقام ظهوره بمراتب ظهوره كما اشرنا اليه والمشكوة الكوّة الغير النّافذة [فِيهٰا] اى فى المشكوة الّتى لاينفذ النّور منها [مِصْبٰاحٌ] اى سراج [اَلْمِصْبٰاحُ فِى زُجٰاجَةٍ] فى تكرار المصباح ظاهراً معرّفاً تفخيم وتعجيب من شأنه كما انّ تنكيره اوّلاً يفيد التّفخيم [اَلزُّجٰاجَةُ كَاَنَّهٰا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ] قرئ بضمّ الدّال وكسرها مشدّد الياء ومهموز الآخر منسوباً الى الدّرّ اوفعّولاً مشدّد العين مضموم الفاء اوفعّيلا مشدّد العين مضموم الفاء اومكسورها من الدّرء بمعنى الدّفع وعلى اىّ تقدير فهو بمعنى شديد التلألؤ [يُوقَدُ] قرئ بالياء التّحتانىّ وبالتّاء الفوقانىّ مبنيّاً للمفعول من اوقد، وقرئ توقّد ماضياً مبنيّاً للفاعل من التّوقّد [مِنْ شَجَرَةٍ مُبٰارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ] فانّ فى الزّيتونة كثرة نفع للعرب من حيث انّها طعام وشراب وفاكهة وادام ودهن، وتوقّد الكواكب اوالزّجاجة اوالمصباح من تلك الشّجرة باعتبار توقّد فتيلة المصباح بدهن ثمرتها [لاٰ شَرْقِيَّةٍ] لاتكون فى مشرق الحائط حتّى لايقع عليها الشّمس مدّة من اوّل النّهار [وَلاٰ غَرْبِيَّةٍ] لا تكون فى مغرب الحائط حتّى لا يقع عليها الشّمس مدّة من آخر النّهار فيكون زيتها اصفى وثمرها اشهى لكونها بارزة للشّمس طول النّهار، اوالمعنى انّها ليست من شجر الدّنيا فانّ شجر الدّنيا لاتكون الّا شرقيّة اوغربيّة اوشرقيّة وغربيّة جميعاً بالاضافة الى الجهات المتخالفة، اوالمعنى انّها لا تكون منسوبة الى شروق الشّمس بحيث لايقع عليها ظلّ فيحترق ثمرها ولامنسوبة الى غرب الشّمس بحيث لايكون الشّمس غاربة عنها دائماً فلاينضج ثمرها، اوالمعنى انّها ليست من الشّجر الواقع فى جهة الشّرق اوجهة الغرب من المعمورة فانّ هاتين الجهتين لشدّة حرارة الشّمس فيهما يحترق ثمر شجرهما بل تكون واقعة فى وسط المعمورة فيكون ثمرها اتمّ نضجاً غير محترق من حرّ الشّمس وغيرنىّ من برد الهواء [يَكٰادُ زَيْتُهٰا يُضِىءُ] لفرط صفائه ولطافته [وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نٰارٌ].

تطبيق اجزاء المثل بالممثّل له على الاحتمالات الاربعة عشر فيه على عدد آل محمّد (ص)

اعلم ، انّ تطبيق هذا المثال على الممثّل له اذا علمت انّ الممثّل له هو المشيّة او العقل الاوّل اومطلق العقول او ربّ النّوع الانسانيّ اومطلق ارباب الانواع او النّفوس الكلّيّة اوالجزئيّة اوعالم المثال اوروح الانسان اوعقله اوقلبه اونفسه اوالنّفس الحيوانيّة اومثال خلفاء الله الظّاهر على صدر السّالك المسمّى بالسّكينة والفكر عندهم سهل عليك تطبيق اجزاء المثل على الممثّل له، فانّه اذا اريد بالنّور المشيّة كان المشكوة عالم الطّبع والزّجاجة عالم الارواح مطلقاً والمصباح نفس المشيّة من وجهها الى العالم الّذى يسمّى بالكرسىّ والفيض المقدّس وكانت الشّجرة هى المشيّة ايضاً بوجهها الى الله الّذى يسمّى بالعرش والفيض الاقدس، اوكانت الشّجرة هى المادّة الاولى اومطلق المادّة ، اوكانت المشكوة عالم المثال اوعالم النّفوس وباقى اجزاء المثال كما سبق ، واذا اريد العقول اوالنّفوس اوعالم المثال بالنّور الممثّل له كانت المشكوة عالم الطّبع اوعالم المثال والزّجاجة عالم النّفوس والمثال اوعالم النّفوس فقط ، والشّجرة مطلق عالم المشيّة اوجهتها الآلهيّة اوجهتها الخلقيّة اوالمادّة الاولى اوالمادّة المطلقة ، واذا اريد النّفوس من النّور كانت المشكوة عالم الطّبع اوعالم البرزخ والزّجاجة عالم المثال والشّجرة هى المشيّة بماذكر فيها من الوجوه ، اوالعقول اوالمادّة ، واذا اريد عالم المثال كانت المشكوة عالم الطّبع والزّجاجة عالم البرزخ ، والشّجرة يجوز ان تكون كلّ ما سبق عليه وان تكون هى المادّة ، واذا اريد بالنّور الممثّل له الولاية اوالنّبوّة اوالرّسالة اوالاسلام اوالايمان اوالرّوح اوالعقل اوالقلب اوالنّفس البشريّة اومثال الشّيخ كان تطبيق سائر الاجزاء ظاهراً ، واذا اريد النّبىّ (ص) اوالولىّ (ع) اوالرّسول (ص) اوالمؤمن كان المشكوة ابدانهم الطّبيعيّة اوصدورهم المنشرحة بالاسلام ، وبالرّسالة وخلافتها اوقلوبهم المنقوشة فيها احكام النّبوّة وآثار الولاية والزّجاجة نفوسهم اوقلوبهم اوعقولهم والمصباح بحسبها، والشّجرة هى المشيّة اوالعقول الكلّيّة وارباب الانواع اوالنّفوس الكلّيّة، اوجهة الايحاء وافاضة العلوم اللّدنيّة اوولايتهم اونبوّتهم، ويجوز ان يراد بالنّور الممثّل له الرّوح النّفسانىّ اوالرّوح الحيوانىّ اوالنّفس النّباتيّة ويكون الزّجاجة الرّوح الحيوانىّ اوالنّفس النّباتيّة اوالطّبع الجمادىّ والمشكوة النّفس النّباتيّة اوالبخار المتكوّن فى القلب اوفيه وفى الشّرائين اوالطّبع الجمادىّ اوالقلب الصّنوبرىّ اوهو مع الشّرائين اوجملة البدن، وفى الاخبار اشير الى بعض الوجوه والى بعض وجوه اُخر فعن الصّادق (ع) هو مثل ضربه الله تعالى لنا، وعنه (ع) الله نور السّماوات والارض قال: كذلك الله عزّ وجلّ مثل نوره قال: محمّد (ص) كمشكوة قال: صدر محمّد (ص) فيها مصباح ، قال: فيه نور العلم يعنى النّبوّة ، المصباح فى زجاجة قال: علم رسول الله (ص) صدر الى قلب علىّ (ع) الزّجاجة كأنّها قال: كأنّه كوكب درّىّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقيّة ولا غربيّة قال : ذلك امير المؤمنين علىّ بن ابى طالب (ع) لا يهودىّ ولا نصرانىّ يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار قال: يكاد العلم يخرج من فم العالم من آل محمّد (ص) من قبل ان ينطق به ، نور على نور قال: الامام فى اثر الامام، وقد ورد عنهم (ع) مع اختلاف فى بيان الوجوه نظير هذا الخبر كثيراً، وعن الباقر (ع) انّه تعالى يقول: انا هادى السّماوات والارض مثل العلم الّذى اعطيته وهو النّور الّذى يهتدى به مثل المشكوة فيها المصباح فالمشكوة قلب محمّد (ص) والمصباح نوره الّذى فيه العلم ، وقوله : المصباح فى زجاجة يقول : انّى اريد ان اقبضك فاجعل الّذى عندك عند الوصىّ ، كما يجعل المصباح فى الزّجاجة كأنّها كوكب درّىّ فأعلمهم فضل الوصىّ يوقد من شجرة مباركة فأصل الشّجرة المباركة ابراهيم (ع) وهو قول الله عزّ وجلّ : رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انّه حميد مجيد وهو قول الله تعالى:

انّ الله اصطفى آدم و نوحاً و آل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرّيّةً بعضها من بعضٍ والله سميعٌ عليمٌ لاشرقيّة ولاغربيّة يقول لستم يهود فتصلّوا قبل المغرب ولاالنّصارى فتصلّوا قبل المشرق وانتم على ملّة ابراهيم (ع) وقد قال الله عزّوجلّ: ما كان ابراهيم يهوديّاً ولانصرانيّاً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين وقوله: يكاد زيتها يضيء يقول: مثل اولادكم الّذين يولدون منكم مثل الزّيت الّذى يعصر من الزّيتون يكادون ان يتكلّموا بالنّبوّة ولو لم ينزل عليهم ملك، وعن الصّادق (ع) عن ابيه فى هذه الآية: الله نور السّماوات والارض، قال بدأ بنور نفسه مثل هداه فى قلب المؤمنين كمشكوةٍ فيها مصباح، المشكوة جوف المؤمن والقنديل قلبه، والمصباح النّور الّذى جعله الله فيه، توقد من شجرةٍ مباركةٍ قال: الشّجرة المؤمن زيتونةٍ لاشرقيّة ولاغربيّة، قال: على سواء الجبل لاغربيّة اى لاشرق لها ولاشرقيّة اى لاغرب لها، اذا طلعت الشّمس طلعت عليها، واذا غربت غربت عليها، يكاد النّور الّذى جعله الله فى قلب المؤمن يضيء وان لم يتكلّم نورٌ على نورٍ فريضة على فريضةٍ وسنّة على سنّةٍ يهدى الله لنوره من يشاء، قال: يهدى الله لفرائضه وسننه من يشاء، ويضرب الله الامثال للنّاس قال: فهذا مثل ضربه الله للمؤمن، قال: فالمؤمن ينقلب فى خمسة من النّور مدخله نور، ومخرجه نور، وعلمه نور، وكلامه نور، ومصيره يوم القيامة الى الجنّة نور وقال الرّاوى: قلت لجعفر (ع) انّهم يقولون مثل نور الرّبّ قال سبحان الله ليس لله مثل اما قال: فلاتضربوا لله الامثال؟ [ويجوز ان يراد بالمصباح ولاية محمّد (ص) مخصوصاً فليكن الزّجاجة نبوّته والمشكوة رسالته، والشّجرة لطيفته السّيّارة الانسانيّة اومادّته الكاملة وجثّته العنصريّة اللّتين كانتا فى حاقّ الوسط غير مائلتين الى التّوحيد ولاالى التّكثير كعيسى وموسى (ع) فانّ احدهما مال الى التّوحيد والآخر الى التّكثير، ويجوز ان يراد بالمصباح نبوّة محمّد (ص) فليكن الزّجاجة رسالته والمشكوة صدره، والشّجرة لطيفته السّيّارة، اوولايته الكاملة اومادّته، وقيل: انّ المشكوة ابراهيم (ع) والزّجاجة اسماعيل (ع) والمصباح محمّد (ص) من شجرةٍ مباركةٍ يعنى ابراهيم (ع) لانّ اكثر الانبياء من صلبه لاشرقيّة ولاغربيّة لانصرانيّة ولايهوديّة يكاد زيتها يضيء اى يكاد محاسن محمّد (ص) تظهر قبل ان يوحى اليه، وقيل: المصباح القرآن، والزّجاجة قلب المؤمن، والمشكوة لسانه وفمه، والشّجرة شجرة الوحى يكاد حجج القرآن تتّضح وان لم تقرأ [نُورٌ عَلٰى نُورٍ] خبر بعد خبرٍ لمثل نوره يعنى صفة نوره الّذى هو المشيّة صفة نورٍ على نورٍ فى شدّة الاضاءة لتضاعف اضاءته بصفاء زيته وصفاء زجاجته، وجمع المشكوة لنوره على انّ المشيّة الّتى هى وجود مطلق مقوّمة لجميع الوجودات المقيّدة فهى وجود مطلق وارد على جميع الوجودات المقيّدة وهكذا سائر الوجوه المذكورة فى النّور، اوخبر لمبتدء محذوفٍ اى نور الرّبّ نورٌ على نورٍ بجميع الوجوه المذكورة فى النّور اوخبر بعد خبر لله اى الله بحسب مظاهره نورٌ على نورٍ، اومبتدء خبرٍ محذوفٍ اى فى المشكوة نورٌ على نورٍ، اوخبر بعد خبر للمصباح، اوخبر بعد خبر للزّجاجة، اوخبر بعد خبر لكأنّ، اوصفة لمصباح، اولكوكب، اوخبر مبتدء محذوفٍ اى الكوكب الدرّىّ نورٌ على نورٍ اومبتدء وعلى نور خبره ومسوّغه الوصف المقدّر اى نور عظيم على نورٍ اومبتدء وخبره [يَهْدِى اللّٰهُ لِنُورِهِ] وعائده تكرار المبتدأ اى نورٌ على نورٍ يهدى الله اليه [مَنْ يَشَاءُ].

وجوه اعراب آية النّور

وبيان اعراب الآية بنحو الاجمال ان يقال: الله مبتدء ونور السّماوات خبره كما هو الظّاهر او بدل منه اوصفته ومثل نوره كمشكوة جملة و خبر بعد خبر لله اوخبر له او حال اومستأنفة جواب لسؤالٍ مقدّر اومعترضة وفيها مصباح صفة لمشكوة اومستأنفة اومعترضة والمصباح فى زجاجةٍ صفة مصباح اوصفة مشكوةٍ اوحال من مشكوة والعائد على الاوّل تكرار الموصوف وعلى الاخيرين يكون

مقدّراً اى المصباح فيها فى زجاجة، اومستأنفة اومعترضة وفى زجاجة خبر المصباح اوحال منه والزّجاجة كأنّها كوكب صفة زجاجة اوصفة مصباح اوصفة مشكوة ، اوحال منهما والعائد مثل عائد جملة المصباح فى زجاجة اومستأنفة اومعترضة وكأنّها كوكبٌ درّىٌّ خبر الزّجاجة او حال منها ، ويوقد من شجرة مباركة صفة كوكب اوحال منه اوخبر بعد خبر لكأنّ ، اوخبر للزّجاجة اوخبر بعد خبر لها، اوحال من الزّجاجة، اومن ضمير كأنّها، اوصفة زجاجة اوحال منه اوخبر للمصباح اوخبر بعد خبر له، اوحال منه اومن المستتر فى قوله فى زجاجة اوخبر بعد خبر الله اوخبر له ابتداء اوحال منه اومن نور السّماوات اومستأنفة اومعترضة وتوفيق التّأنيث والتّذكير لمايحمل عليه ويوصف به موكول الى تفطّن النّاظر الخبير، ويكاد زيتها يضيء صفة للشّجرة اوحال منها اومستأنفة اومعترضة ، ونورٌ على نورٍ قد مضى وجوه اعرابه [وَيَضْرِبُ اللهُ الْاَمْثٰالَ لِلنّٰاسِ] يعنى يوصل الى طريق المقصود اويذهب اليه بمن يشاء ويضرب الامثال للتّنبيه على طريق المقصود لجميع النّاس ليهتدى من يهتدى ويضلّ من يضلّ ويحيى من حىّ عن بيّنةٍ ويهلك من هلك عن بيّنةٍ [وَاللهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ] عطف على الله نور السّماوات اوعلى جملة مثل نوره كمشكوة اوعلى جملة يهدى الله لنوره من يشاء ، اوعلى جملة يضرب الله الامثال [فِى بُيُوتٍ] متعلّق بعليم واشارة الى انّ مظاهره كما انّهم مظاهر له تعالى مظاهر لجميع اسمائه وصفاته ، وحجّة على انّ مظاهره انوار السّماوات والارض مثل مقام ظهوره لانّ المظاهر اذا كانوا مظاهر لعلمه الّذى هو من صفاته الحقيقيّة الّتى هى اشرف الصّفات كانوا مظاهر لاضافاته الّتى هى اضعف الصّفات والمعنى انّه كما يعلم بكلّ الاشياء فى مقام ذاته ومقام ظهوره عليم بكلّها فى مظاهره ، ويجوز ان يجعل فى بيوتٍ متعلّقاً بمحذوف يفسّره يسبّح المذكور بطريق باب الاشتغال ، ويجوز تعلّقه بالجمل السّابقة والمراد بتلك البيوت بيوت خلفاء الله من الانبياء والاولياء (ع) وصدورهم وقلوبهم وولايتهم ونبوّتهم وذوات الانبياء والاولياء (ع) ، ويجوز ان يراد بالبيوت الّتى [اَذِنَ اللهُ اَنْ تُرْفَعَ] المساجد الصّوريّة فانّ المساجد الصّوريّة يجوز ان ترفع على سائر البيوت ولايجوز ان ترفع البيوت عليها والمساجد الحقيقيّة اذن الله ان ترفع على كلّ الموجودات اذناً تكوينياً وارتفاعاً تكوينياً واذناً تكليفياً وارتفاعاً تكليفياً [وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ] قرئ مبنياً للمفعول ومبنياً للفاعل بالياء التّحتانىّ وبالتّاء الفوقانىّ ، واذا كان مبنياً للمفعول وبالياء التّحتانىّ كان مرفوعه واحداً من الظّروف الثّلاثة الآتية ، واذا كان بالتّاء الفوقانىّ كان مرفوعه السّبحة المستفادة من الفعل ، واذا كان مبنياً للفاعل كان مرفوعه رجالٌ ، وتأنيث الفعل باعتبار صورة الجمع المكسّر وجملة يسبّح [لَهُ فِيهٰا بِالْغُدُوِّ وَالْاٰصٰالِ] حاليّة اومستأنفة ، والغدوّ مصدرٌ استعمل بمعنى اوقات الصّبح ولذلك حسن مقابلته مفرداً مع الآصال جمعاً والمراد بالتّسبيح تنزيه اللّطيفة الانسانيّة عمّا يعاوقه عن السّلوك الى الرّبّ سواءٌ عدّى بنفسه الى الله اوالى اسم الله اوباللّام سواء كان اللّام للتّقوية اوللغاية، فانّ تلك اللّطيفة مظهر لله واسم له وتنزيهها ليس الّا لله [رِجٰالٌ] فاعل يسبّح المذكور ان قرئ مبنياً للفاعل وفاعل محذوف ان قرئ مبنياً للمفعول ، وفى اخبارنا انّ رجال خبر مبتدء محذوف كناية عن البيوت اى هم اى البيوت رجال ، ويجوز ان يكون رجال مبتدءاً خبره يخافون [لٰاتُلْهِيهِمْ تِجٰارَةٌ وَلٰابَيْعٌ] التّجارة مطلق المعاملة اوهى البيع والشّرى والبيع من الاضداد يستعمل فى الشّرى والبيع كالشّرى، فعلى هذا كان ذكر البيع بعد التّجارة من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ اومن قبيل ذكر المرادف بعد المرادف للتّأكيد ان كان البيع اعمّ من البيع والشّرى بطريق عموم الاشتراك ، اوالمراد بالتّجارة مطلق المكاسب سواء كان بطريق المعاملة

اوغيرها وبالبيع التّجارة المعهودة [عَنْ ذِكْرِ اللهِ] قد مضى فى سورة البقرة عند قوله فاذكرونى أذكركم تحقيق الذّكر واقسامه، والذّكر سواء كان لسانيّاً جليّاً اوجنانيّاً خفيّاً اوصدريّاً حقيقيّاً ويعبّر عنه بالسّكينة والفكر والحضور وهو مثال الشّيخ المتمثّل عند السّالك لقوّة اشتغاله بالذّكر المأخوذ منه اوكان تذكّراً لأمره ونهيه عند كلّ فعل لا ينافى الاشتغال بالمكاسب، بل اذا كان حال السّالك ملاحظة امره تعالى و نهيه عند فعاله و كان كسبه بلحاظ امره تعالى وعدم قعوده عن الكسب بلحاظ نهيه تعالى كان كسبه ذكراً بل كان من اشرف اقسام الذّكر كما مضى فى سورة البقرة، فانّ الذّكر اللّسانىّ والجنانىّ عبارة عمّا يجرى على اللّسان اوعلى الجنان ويذكر الانسان بسببه صفات الرّحمن وهذا الكسب بذلك اللّحاظ يذكر الانسان بسببه صفتى لطفه و قهره و اضافتى امره و نهيه ، فالرّجال لا يتركون الكسب لذكر الله بل يجعلون الكسب ذكراً لله [وَإِقَامِ الصَّلٰوةِ] قد مضى فى اوّل البقرة تحقيق وتفصيل للصّلٰوة واقسامها واقامتها [وَإِيتَاءِ الزَّكٰوةِ] قد مضى هناك بيان الزّكوة وايتائها مفصّلاً روى عن الصّادق (ع) انّهم كانوا اصحاب تجارة فاذا حضرت الصّلٰوة تركوا التّجارة وانطلقوا الى الصّلٰوة وهم أعظم اجراً ممّن لايتّجر، وفى خبر: هم التّجّار الّذين لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيع عن ذكر الله اذا دخل مواقيت الصّلٰوة ادّوا الى الله حقّه فيها، وسئل الصّادق (ع) عن تاجر فقيل: صالح ولكنّه قد ترك التّجارة ، فقال (ع): عمل الشّيطان، ثلاثاً؛ اما علم انّ رسول الله (ص) اشترى عيراً اتت من الشّام فاستفضل فيها ماقضى دينه وقسّم فى قرابته يقول الله عزّ وجلّ: رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله (الآية) يقول القصّاص: انّ القوم لم يكونوا يتّجرون ،كذبوا ولكنّهم لم يكونوا يدعون الصّلٰوة فى ميقاتها وهو افضل ممّن حضر الصّلٰوة ولم يتّجر [يَخَافُونَ] حال اوصفة بعد صفة لرجال اوخبر بعد خبر اى هم رجال يخافون اوخبر لرجال اوجواب لسؤالٍ مقدّرٍ فى مقام التّعليل [يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ] فى الاحوال من الحزن والسّرور والقبض والبسط و الخوف والرّجاء وغير ذلك من الاحوال المتضادّة و ذلك لكثرة ما ترى من اسباب ذلك فانّ ذلك اليوم يوم يعرض فيه الجنّة ونعيمها والجحيم وانواع عذابها على الخلق [وَ] تتقلّب [الْأَبْصَارُ] من الانفتاح والانغماز، والشّخوص والخشوع، و الدّوران و السّكون ، اوتتقلّب القلوب من اخسّ احوالها الى اشرفها ، اومن حالاتها الخسيسة الى اخسّها ، اوالابصار من ابصارها الى العمى اومن ضعف الابصار الى حدّته ، اوتتحرّك القلوب الى الحناجر والابصار يمنة ويسرة لكثرة المدهشات ، اوتتقلّب القلوب من الشّكّ الى اليقين والابصار ممّا رأته غيّاً فتراه رشداً [لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا] اللّام اشارة الى العاقبة اوالى العلّة الغائيّة وعلّة لقوله تعالى: يهدى الله لنوره من يشاء اوليضرب الله الامثال اولاذن الله اولترفع اوليذكر فيها اسمه، اوليسبّح اولقوله لا تلهيهم اولذكر الله واقام الصّلٰوة اوليخافون اولتتقلّب فيه القلوب، او للكلّ على سبيل التّنازع ، والجزاء باحسن ما عملوا امّا بان لا يجزى غيره سواء كان حسناً اوقبيحاً ، اوبان يجزى جميع الاعمال حسنها وأحسنها وقبيحها بجزاء احسنها ، وهذا هو المراد ، وقد مضى فى سورة التّوبة فى نظير الآية بيان لوجه جزاء جملة الاعمال بجزاء احسنها [وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ] من غير نظرٍ الى عمله واستحقاقه [وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ] عطف اوحال فى معنى التّعليل اوعطف فيه معنى الاضراب والتّرقّى فانّ الظّاهر من الزّيادة على قدر جزاء العمل ان تكون بقدر وحساب فأضرب عنه وقال بل يرزقهم بغير حسابٍ وانّما قال الله يرزق من يشاء بغير حسابٍ لافادة هذا المعنى والتّعليل عليه فكأنّه قال: بل الله يرزقهم بغير حسابٍ لانّهم يشاؤهم الله والله يرزق من يشاء بغير حساب [وَالَّذِينَ كَفَرُوا] عطف على

يهدى الله ومعادل ٌ له والمناسب للمعادلة ان يقول: ويضل ّ الله عن نوره من يشاء لكنّه للاشارة الى انّ الهداية من الغايات الذّاتيّة والاضلال من الغايات العرضيّة كأنّه ليس الّا من فعل العبد عدل عنه وقال والّذين كفروا بالنّور يعنى بعلىّ (ع) وولايته، أوعطف على جملة يسبّح له فيها ومعادل ٌ له والمعنى لايسبّح له فيها رجال [أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ] لكنّه عدل الى هذا للاشعار بانّ كون اعمالهم كسراب معلّل بكفرهم، وللاشارة الى انّ عدم التّسبيح مسبّب عن كفرهم ايضاً، اوعطف على جملة رجال على ان تكون خبراً لمحذوف، اوعطف على جملة يخافون على ان تكون مستأنفة [بِقِيعَةٍ] القيع والقيعة والقيعان بكسرهنّ جمع القاع وهى ارض سهلة مطمئنّة قد انفرجت عنها الجبال [يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللّهَ عِنْدَهُ فَوَفّيهُ حِسابَهُ] وهذا من التّشبيهات التّمثيليّة مثّل عمل الكافر الّذى يشبه الطّاعات الّتى تصدر عمّن قبل الولاية وصار ذا لبّ بتلقيح الولاية والبيعة الخاصّة الولويّة بسراب يلمع لمعان الماء الجارى فى بيداء بعيدة فى نضارة صورة عمله وخلوّها عن معنى الطّاعات وفنائها من غير بقاء اثر منها على النّفس وشبّه الكافر العامل لهذا العمل او النّاظر الى هذا العامل وعمله الّذى يطلب الحقّ وكان الحقّ مستوراً عنه ويفتتن بصورة هذا العمل بظمآن يفتتن بصورة السّراب، وشبّه توجّه العامل او النّاظر الى صورة هذا العمل وافتتانه به بافتتان الظّمآن واسراعه الى السّراب، وشبّه فناء العمل من غير اثر منه حين الحاجة اليه بفناء السّراب حين الاتيان اليه بعد شدّة الحاجة باشتداد الظّماء بسبب سرعة الحركة وتهيّؤ شرب الماء، وشبّه وجدانه الله فى القيامة ومحاسبة الله ايّاه ومطالبته باماناته الّتى اودعها عنده بوجدان ذلك الظّمآن المسرع الى السّراب مع خيبته من مرجوّه محاسباً قويّاً مطاعاً كان له على ذلك الظّمآن ديون ٌ ويطالبه بتلك الدّيون فوفّيه حسابه [وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ] تهديد للكافر والنّاظر الى صورة عمله فانّ سرعة الحساب كناية عن عدم فوات الجليل والحقير عنه [أَوْ كَظُلُماتٍ] يعنى انّ الّذين كفروا بالولاية امّا يكونون على صورة الاسلام ويكون عملهم صورة عمل المؤمن اولايكونون على صورة الاسلام ولايكون عملهم موافقاً لعمل المؤمن، بل يكون بخلاف الشّريعة وخلاف عمل المؤمن فيكون بصورته مظلماً كما انّه لايكون له لبّ مثل عمل الكافر السّابق الّذى كان على صورة الاسلام ولم يكن له ايمان، فشبّه اعمالهم المظلمة بظلمات اللّيل ونفوسهم المظلمة ببحر عميق اوبعيد السّاحل، واضطرابات نفوسهم بسبب كثرة الآمال والشّهوات وكثرة خوفهم بحسبان كلّ صيحة عليهم بالامواج المتتابعة والمتراكمة، وشبّه الاهوية السّاترة للحقّ عن نظره بالسّحاب السّاترة للشّمس الواقعة فوق البحر فانّها تصير سبباً لشدّة الظّلمة وكثرة الامواج خصوصاً اذا كان معها قطرات من المطر فقال أعمالهم كظلمات [فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشيهُ] اى يغشى البحر او العامل [مَوْجٌ] من البحر [مِنْ فَوْقِهِ] اى من فوق الموج او البحر او العامل [مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ] هذا الضّمير كالضّمير السّابق [سَحابٌ] قرئ بالاضافة ومنوّناً [ظُلُماتٌ] قرئ بالرّفع مبتدء ٌ ومسوّغه وصفه المستفاد من التّنوين، اوخبر مبتدء ٍ محذوف، وقرئ بالجرّ وهو على قراءة تنوين سحاب يكون بدلاً من ظلمات [بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ] وهى ظلمة البحر وظلمة اللّيل وظلمة الامواج وظلمة السّحاب [إِذا أَخْرَجَ] العامل اواذا اخرج مخرج [يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَريها] يعنى لايريها ولايقرب رؤيتها اويريها بعد جهد ٍ ومشقّة بعد ان لم يكد يريها فانّه قد يستعمل فى هذا المعنى [وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُوراً] يعنى من لم يهده الله لنوره، وهذا يدلّ على انّ قوله: والّذين كفروا (الى آخره) معادل ٌ لقوله يهدى الله لنوره من يشاء ولم يقل: من لم يهتد الى نوره؛ للاشعار بانّ الاهتداء الى النّور مسبّب من فعل الله بخلاف الكفر فانّه مسبّب من استعداد العبد والمراد بالنّور الّذى يجعله الله للعباد الولاية الّتى هى كالبذر فى ارض القلب وكالانفحة للبن الوجود وكاللّبّ

لجوز الاعمال ولوزها وفستقها، وبهايصير العباد اولى الالباب، والاعمال ذوات الالباب، وبدونها يكون وجود العباد واعمالهم كالجوز الخالى من اللبّ وهذه هى الّتى لاتدع العباد ان يخرجوا عن طاعة مشايخهم، وهى الّتى اذا قويت وصفّت النّفوس ظهرت بصورة مشايخهم فى قلوبهم وقوله تعالى: نورهم يسعى بين ايديهم وبأيمانهم اشارة الى هذا الظّهور فانّه فى القيامة تصفو النّفوس من حجب المادّة وتظهر ولايتهم بصورة امامهم، وبظهور هذا النّور يكون جميع الخيرات ويدفع جميع الشّرور، وتلك الولاية كسفينة نوح يكون المتوسّل بها آمنا من امواج الفتن وظلمات الزّمن، والى هذه الولاية اشار من قال:

بهر اين فرمود پيغمبر كه من — همچو كشتى ام بطوفان ز من

ما و اصحابيم چون كشتىّ نوح — هر كه دست اندر زند يابد فتوح

والى ذلك الظّهور اشار بقوله:

چون خدا مرجسم راتبديل كرد — رفتنش بى فرسخ و بى ميل كرد

چونكه باشيخى تودور از زشتئى — روز و شب سيّارى و در كشتئى

هين مپر الاّ كه با پرهاى شيخ — تا ببينى عون لشكر هاى شيخ

[فَمالَهُ مِنْ نُورٍ] لانّه من ذاته ان يكون ليس فى ذاته وصفاته، ومن الله ان يكون ايساً فى ذلك كلّه فكأنّه تعالى قال: لم يكن له نورٌ لانّه ماله من نورٍ من ذاته، وللاشارة الى بعض وجوه التّأويل ورد عن الصّادق (ع) شرح فى تأويل الآية حتّى قال: اذا اخرج يده المؤمن فى ظلمة فتنتهم لم يكد يريها ومن لم يجعل الله له نوراً اماماً من ولد فاطمة (ع) فماله من نورٍ امام يوم القيامة [اَلَمْ تَرَ اَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوٰاتِ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ نشأ من قوله يسبّح له فيها فانّ تقييد التّسبيح بكونه فى تلك البيوت وكونه من رجال مخصوصين يوهم انّه لايسبّح له فى غيرها فصار المقام مقام ان يسأل عن تسبيح غير الرّجال المذكورين والتّسبيح فى غير تلك البيوت فقال تعالى: الم تر خطاباً لمحمّد (ص) اولمن يتأتّى منه الرّؤية فانّ الرّائى اذا نظر بادنى تأمّلٍ رأى انّ جميع الذّرّات فى جميع الاحوال وجميع الافعال يكونون فى تسبيح الرّبّ والتّسبيح للرّبّ، فانّ الكلّ يكونون فى الاستكمال الفطرىّ على الدّوام وهذا الاستكمال تنزيه للطّيفة الّتى هى اسم الرّبّ ومرآته عن سمة النّقصان وحجب القوى واخراج لها من القوى الى الفعليّات، وهذا التّسبيح اتمّ من التّسبيح اللّسانىّ الاختيارىّ الّذى يكون اكثر الاوقات مشوباً بالاغراض النّفسانيّة وتدنيساً لتلك اللّطيفة وتركاً للتّسبيح فى الحقيقة وضدّاً له، وقد سبق مكرّراً انّ المراد بتسبيح الرّبّ سواء عدّى بنفسه الى الرّبّ او الى اسم الرّبّ اوعدّى بالباء او باللاّم الزّائدة للتّقوية او باللاّم التّعليليّة تنزيه تلك اللّطيفة عن شوب القوّة والاستعداد فانّ تلك اللّطيفة نازلة الرّبّ واسمه وتنزيهها ليس الاّ للرّبّ وبتنزيهها يكون تنزيه الرّبّ فالله تعالى شأنه يسبّحه ويسبّح لاجله جميع من فى السّماوات [وَ] جميع من فى [الْاَرْضِ] والمراد جميع الموجودات فيهما بطريق التّغليب ويكون ذكر الطّير بعدهما لكونها ممّا ليست فى الارض ولا فى السّماء فى الاغلب بل بينهما، او المراد بهما ذوو العقول خاصّة وذكر الطّير من بين سائر الحيوان لكونها اشرف من اكثر اصنافه واكثر تفطّناً [وَالطَّيْرُ صَافّٰاتٍ] اى حال كونها ذوات صفيف الاجنحة فى الجوّ، وهذا التّقييد يشعر بانّ ذكرها لكونها فى الجوّ [كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلٰوتَهُ] الصّلوة الدّعاء والرّحمة والعبادة المخصوصة الموضوعة فى كلّ ملّة ولكلّ امّة والكلّ مناسب فانّ الله يعلم دعاء كلّ والرّحمة اللاّئقة به وعبادته الخاصّة به، وكلّ من فى الارض والسّماء والطّير قد علم كيفيّة دعائه لله وطريق الرّحمة الخاصّة به والعبادة المخصوصة به، فانّ طريق رحمة كلّ وكيفيّة دعائه لله هو سيره على طريقه الخاصّة به وعدم الانحراف منها

وهو عبادته الخاصّة به فعلى هذا جاز ان يكون ضمير علم راجعاً الى الله والى كلّ [وَتَسْبِيحَهُ] كيفيّة تنزيهه لله بخروجه من قواه الى فعليّاته غاية الامر انّ غير ذوى العقول يعلم بالشّعور البسيط دون الشّعور التّركيبىّ كما فى قوله تعالى : وان من شيءٍ الّا يسبّح بحمده ولكن لا يفقهون تسبيحهم يعنى بالشّعور التّركيبىّ [وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ] فيجازيهم بحسب افعالهم ولايفوته شيءٌ من افعالهم حتّى لايجزيه [وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ] يعنى انّه تعالى خالقه ومالكه فكيف لايعلم افعال خلقه فيه [وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ] يعنى غاية ملك السّماوات والارض هو الله اورجوع افعال كلّ من فى السّماوات والارض اليه بمعنى انّ الفاعل فى الكلّ هو الله وانّ الوسائط بمنزلة الآلات كالقلم واليد والقوّة المحرّكة والقوّة الشّوقيّة والارادة للنّفس فاذا نظر النّاظر الى افعال العباد وانّها صادرة منهم لكن نظر الى انّهم مسخّرون لنفوسهم ونفوسهم مسخّرة لارادتها ، وارادتها نازلة اليهم من غيرهم علم انّ الافعال كلّها راجعةٌ بحسب الصّدور الى مسخّر ارادات العباد وليس الّا الله [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا] الجملة مستأنفة فى مقام التّعليل لقوله لله ملك السّماوات اولقوله الى الله المصير ، اوللمجموع والخطاب لمحمّد (ص) لانّه هو الرّائى لمثل ذلك لا المحجوب عن مشاهدة فعل الحقّ فى افعال العباد والطّبائع ، اولكلّ من يتأتّى منه تلك الرّؤية ، اولكلّ راء فانّ كلّ راءٍ ينبغى له ذلك ، والاستفهام على الاوّل والثّانى للتّقرير ، وعلى الثّالث للتّوبيخ ، والازجاء السّوق [ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ] اى بين قطعه المتفرّقة [ثُمَّ يَجْعَلُهُ] بعد جمع قطعه [رُكَامًا] متراكماً [فَتَرَى الْوَدْقَ] اى المطر [يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ] اى من السّحاب فانّ كلّ ماعلا مطبقاً فهو سماء [مِنْ جِبَالٍ فِيهَا] بدل من قوله من السّماء والمعنى ينزّل من السّحاب من القطع المعظمة المرتفعة فى السّحاب [مِنْ بَرَدٍ] بعضاً من برد والوجوه الاُخر فى اعراب الآية ومعناها ضعيفة جدّاً [فَيُصِيبُ بِهِ] اى بضرر البرد [مَنْ يَشَاءُ] من عباده فيهلك حرثه وماله ويخرب دوره [وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ] اى سنا برق السّحاب اوالبرد [يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ] لشدّة لمعانه [يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ماحال اللّيالى والايّام تكون ذوات غيم وبلاغيم؟ـ وذوات مطرٍ وبردٍ وبلامطر وبرد؟ !ـ فقال تعالى: يقلّب الله اللّيل والنّهار بان يجعل بعضهما حارّاً رطباً فيحصل فيه بخار فيتولّد منه سحاب ومطر وبرد ويجعل بعضهما حارّاً جدّاً اوبارداً جدّاً اويابساً فلايحصل فيه سحابٌ اوبان يجعل مكان اللّيل النّهار ومكان النّهار اللّيل اوبان يجعل اللّيل طويلاً وقصيراً وكذا النّهار [إِنَّ فِي ذٰلِكَ] التّقليب [لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ] الّذين يبصرون الاشياء من حيث حكمها ومصالحها ونضدها وترتيبها وغاياتها المترتّبة عليها ، فانّ هولآء يعتبرون باختلاف اللّيل والنّهار بالزّيادة والنّقيصة والبرودة والحرارة والنّور والظّلمة ، ويستدلّون بذلك الاختلاف والانتضاد فى الاختلاف والحكم المودعة فيه والغايات المترتّبة عليه من تربية جملة المواليد على انّ خالقهما عليمٌ حكيمٌ قادرٌ قوىٌّ وان ليس هذا الانتضاد فى الاختلاف الّا من مبدءٍ حكيمٍ وليس من الدّهر كما يقوله الدّهريّون ، ولا من الطّبع كما يقوله الطّبيعيّون ، ولا بمحض الاتّفاق كما يقوله القائلون بالبخت والاتّفاق [وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ] جملة حاليّة اومعطوفة على قوله : الم تر انّ الله يسبّح (الآية) بلحاظ المعنى فانّه فى معنى: الله يسبّح له من فى السّماوات ، والاستفهام والنّفى لايفيد الّا تأكيد هذا المعنى ، اوعلى قوله: لله ملك السّماوات والارض ، اوعلى قوله: والى الله المصير ، اوعلى: الم تر انّ الله يزجى ، بلحاظ المعنى ، اوعلى يقلّب الله اللّيل ، والمراد بالماء الّذى خلق الله منه الدّوابّ هو النّطفة ولذلك نكّر الماء اشارةً الى نوعٍ

خاصّ منه اوجنس الماء فانّه جزء مادّته وبه بقاؤه وحياته [فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ] كالحيّات والحيتان والديدان [وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ] كالاناسيّ والطّيور وبعض حشرات الارض [وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ] كذوات الاربع من الانعام والسّباع وغيرها، ولم يقل: ومنهم من يمشي على اكثر، لانّ اكثر مايمشي على اكثركان اعتماده على اربع، وماكان اعتماده في المشي على اكثر يكون نادراً، نسب الى ابى جعفر (ع) انّه قال: ومنهم من يمشي على اكثر [يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ] وهذا بمنزلة منهم من يمشي على اكثر وجوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: هل كان في الحيوان مايمشي على اكثر؟ـ فقال: يخلق الله مايشاء [إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] فيقدر على خلق ما يمشي على اكثر من الاربع فهو في مقام التّعليل لقوله تعالى: يخلق الله ما يشاء والاتيان بمن الّتي هي لذوى العقول في غير ذوى العقول لتغليب ذوى العقول والاقتران به [لَقَدْ أَنْزَلْنَا] من مقام المشيّة ومقام الاقلام والالواح [آيَاتٍ] تدوينيّة في صورة الآيات القرآنيّة الّتي تلوناها عليكم وآيات تكوينيّة في صور طبيعيّة من مثل تسبيح من في السّماوات وازجاء السّحاب وانزال الامطار وتقليب الايّام وخلق الدّوابّ كلّها من الماء وجعلها مختلفات في المشي وغيره [مُبَيِّنَاتٍ] واضحات اوموضحات [وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] بسبب تلك الآيات فلا غرو في عدم اهتداء بعض مع وضوح الآيات الهاديات فانّ الهداية بيدالله لاغير، والصّراط المستقيم هو الولاية وطريق القلب [وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ] عطف على الله يهدى سواء جعل معطوفاً على قد انزلنا اوحالاً اويقولون حال بتقدير المبتدأ [وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ] يعني انّ ايمانهم محض قول لمنافاة فعلهم له ولذلك قال [وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ] وهذا وجه آخر للدّلالة على عدم ايمانهم [إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ] وجه آخر للدّلالة على عدم ايمانهم وانّهم انّما توجّهوا اليه لجلب النّفع في دنياهم [أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ] فينصرفوا عنه مع يقينهم به بسبب ذلك المرض [أَمِ ارْتَابُوا] في نبوّته [أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] لاالله ورسوله (ص) حتّى يتوهّموا انّه يحيف عليهم [إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ عن حال المؤمنين الّذين لم يكن ايمانهم محض القول [إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا] هذا الدّعاء، اوسمعنا حكمه سواء كان لنا اوعلينا [وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ] قرئ يتّقه بكسر القاف والهاء بدون الاشباع على الاصل، وقرئ يتّقه بسكون القاف وكسر الهاء بلااشباع تشبيهاً له بالكتف في التّخفيف، وقرئ بكسر القاف وكسر الهاء مع الاشباع، وقرئ بكسر القاف وسكون الهاء تشبيهاً للضّمير بهاء السّكت [فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ وَأَقْسَمُوا] اى القائلون آمنّا بالله اوالّذين تولّوا [بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ] مفعول مطلق نوعيّ لاقسموا اى اقسموا مبالغة ايمانهم كماهو عادة الكذّاب يكثر الايمان ويؤكّدها ويغلّظها، اوجهد ايمانهم مفعول مطلق لمحذوف هوحال اى يجهدون جهد ايمانهم [لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ] بالخروج في الغزوات [لَيَخْرُجُنَّ قُلْ] لهم [لَا تُقْسِمُوا] اى لاحاجة الى القسم لانّ طاعتك [طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ] يرتضيها العقل والعرف، ونفعها عائد اليهم لااليك حتّى يحتاجوا الى الاظهار والقسم عليها [إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ قُلْ] لهم [أَطِيعُوا اللَّهَ] بالفعل لابالقول فقط [وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا]

ای تتولّوا لاتضرّوه شيئاً [فَإِنَّمَا عَلَيْهِ] ای علی الرّسول (ص) [مَا حُمِّلَ] من تبليغ رسالته وقد بلّغ لاهدايتكم الى الطّاعة حتّى يكون وبال تولّيكم عليه [وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ] من متابعته فضرر التّولّی عائد عليكم [وَإِنْ تُطِيعُوا تَهْتَدُوا] الى الايمان الّذی هو بضاعتكم لآخرتكم وهو ولاية علیّ (ع) [وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ] ای التّبليغ [الْمُبِينُ] الظّاهر بحيث لايخفى على احدٍ او المظهر للمقصود [وَعَدَ اللهُ] جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: ما لمطيع الرّسول؟ـ اوما لمن اهتدى الى الايمان الحقيقیّ؟ـ فقال: وعدالله ووعده لاخلف فيه [الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ] بالبيعة العامّة النّبويّة اوبالبيعة الخاصّة الولويّة [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] اللّازمات للايمان حتّى يستقرّ ايمانهم [لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ] يجعلهم خلفاء الماضين اوخلفاء نفسه [فِي الْأَرْضِ] ای ارض العالم الصّغير اوارض العالم الكبير بان يخرج الجبابرة المسلّطين عليها عنها اويجعلهم منقادين للاسلام طوعاً اوكرهاً [كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] فی الصّغير اوالكبير.

اعلم، انّ الفاظ القرآن لسعته لاتحمل على معنیً واحدٍ ولا على وجهٍ واحدٍ بل كان المنظور منها جميع معانيها بجميع وجوهها لسعة المتكلّم والمخاطب بها، فالايمان اذا اريد به الاسلام الحاصل بالبيعة العامّة النّبويّة يجوز ان يراد بالعمل الصّالح الاعمال اللّازمة للاسلام، وان يراد بالاستخلاف التّسلّط الصّوریّ والغلبة فی الدّنيا كما وردانّه لمّا قدم رسول الله (ص) واصحابه المدينة وآواهم الانصار رَمَتهم[1] العرب عن قوسٍ واحدة وكانوا لايبيتون الّا مع السّلاح ولايصبحون الّا فيه، فقالوا: ترون انّا نعيش حتّى نبيت آمنين مطمئنّين لانخاف الّا الله؟ـ فنزلت هذه الآية وصدقت بعد الغلبة على المدينة ونواحيها وانقياد العرب لهم اوبعد فتح مكّة كما قيل: انّها نزلت فی فتح مكّة، وفی رواية عن رسول الله (ص): زُوِيت لی الارض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امّتی مازوی لی منها، وفی خبرٍ عن المقداد عن رسول الله (ص) انّه لايبقى على الارض بيت مدرٍ ولا وبرٍ الّا ادخله الله تعالى كلمة الاسلام بعزّ عزيز اوذلّ ذليل امّا ان يعزّهم الله فيجعلهم من اهلها وامّا ان يذلّهم فيدينون لها وعلى هذا فمعنى قوله [وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ] ليسلّطنّهم على مخالفيهم حتّى يمكنهم اظهار كلمة الاسلام ولوازمها، ويجوز ان يراد بالعمل الصّالح البيعة الولويّة الايمانيّة وبالاستخلاف الاستخلاف فی العلم والتّصرّف بالنّسبة الى العالم الصّغير اوالى العالم الكبير، ويجوز ان يراد بالاستخلاف استخلاف لطيفتهم الولويّة الّتی تظهر بصورة ولیّ الامر فی ملكهم الصّغير، واذا قويت وتمكّنت صارت خليفةً لله فی العلم والعمل فی الصّغير والكبير، ويجوز ان يراد بالاستخلاف الاستخلاف فی النّبوّة اوالرّسالة بعد استخلاف اللّطيفة الولويّة، واذا اريد بالايمان الايمان الحاصل بالبيعة الولويّة يجوز ان يراد بالاستخلاف الاستخلاف فی الملك اوالاستخلاف فی العلم والعمل، اوالاستخلاف بظهور صورة ولیّ الامر، اوالاستخلاف فی النّبوّة والرّسالة، واذا اريد بالايمان الايمان الشّهودیّ الّذی لايكون الّا بشهود ملكوت ولیّ الامر جاز ان يراد بالعمل الصّالح البقاء على الحضور عنده، وبالاستخلاف الاستخلاف فی النّبوّة اوالرّسالة، والى هذه المعانی وتلك الوجوه اشير فی الاخبار فانّه فسّر الّذين آمنوا تارةً بالمسلمين وتارةً بالمؤمنين القابلين للولاية بالبيعة الخاصّة الولويّة، وتارةً بالكاملين فی الايمان من الائمّة الاطهار (ع)، والاستخلاف تارةً بالاستخلاف فی الملك وتارةً بالاستخلاف فی العلم والدّين والعبادة، وتارةً بالاستخلاف فی ظهور القائم (ع) من اراد الاخبار فليرجع

(۱) ای اتّفقوا على ايذائهم.

الى المفصّلات [وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ] من الاعداء الظّاهرة فى الكبير ومن الاعداء الباطنة فى الصّغير [أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي] بشيء من انواع الشّرك الصّورىّ اوالباطنىّ [شَيْئًا] من الاصنام والاهوية والشّركاء فى الولاية [وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ] الخارجون عن حكم الله و دينه فانّ من لم يبلغ الى هذا المقام وبقى استعداد للدّخول فيه كان كأنّه غيرخارج من طريق الانسانيّة وان لم يكن داخلاً فيها بالدّخول التّكليفىّ اوالسّلوكىّ بعد بخلاف من وصل الى هذا المقام وخرج بعد منه فانّه خرج من القوّة الى الفعل وبالخروج من هذا المقام يبطل الفعليّة ولايكون فيه قوّة واستعداد فيكون هوالفاسق حقيقةً، واذا اريد بالّذين آمنوا المؤمنون التّابعون للائمّة(ع) من الشّيعة كان انجاز الوعد فى حال الحيوة الدّنيا اوفى حال الاحتضار [وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ] لمّا كان قوله تعالى: وعد الله الّذين آمنوا تعريضاً بالحاضرين وامرهم بالايمان والعمل الصّالح فكان فى معنى آمنوا واعملوا الصّالحات، وكان عملوا الصّالحات مجملاً واراد ان يفصّل الاعمال الصّالحة عطف عليه قوله: اقيموا الصّلوة، اوقدّر آمنوا ولم يصرّح به لاستفادته بعينه من قوله وعدالله الّذين آمنوا بخلاف اقيموا الصّلوة فانّه لم يستفد من قوله عملوا الصّالحات فكأنّه قال فآمنوا واقيموا الصّلوة [وَآتُوا الزَّكٰوةَ] قد مضى فى اوّل البقرة بيان وتفصيل لاقامة الصّلوة وايتاء الزّكوة [وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ] فى سائرما أمركم به اوأطيعوه فى اقامة الصّلوة وايتاء الزّكوة بمعنى اجعلوا الدّاعى على صلوتكم وزكوتكم محض أمره(ص) دون غيره من المراياة والصّيت وامضاء العادة والمماثلة لامثالكم اوحفظ المال اوتحصيله اوحفظ العيال والعرض والجاه وغيرذلك ممّا يجعله صاحبوا النّفوس غايات لافعالهم وعباداتهم [لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ لَا يَحْسَبَنَّ] قرئ بالخطاب والغيبة، ويجوز ان يكون الخطاب لمحمّد(ص) وان يكون عامّاً وعلى قراءة الغيبة فالفاعل مستتر اى لايحسبنّ حاسب اوالفاعل [الَّذِينَ كَفَرُوا] والمفعول الاوّل محذوف اى لايحسبنّهم الّذين كفروا [مُعْجِزِينَ] الله عن ادراكهم [فِي الْأَرْضِ وَمَأْوٰيهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ] وهذا كلام منقطع عن سابقه لفظاً ومعنىً [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] كلام منقطع لتعليم ادب من الآداب [لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ] اى ملكتهم [أَيْمَانُكُمْ] فى خبر: هى خاصّة فى الرّجال دون النّساء، قيل: فالنّساء يستأذنّ فى هذه الثّلاث ساعات ؟- قال: لا ولكن يدخلن ويخرجن، وفى رواية اخرى: هم المملوكون من الرّجال والنّساء والصّبيان الّذين لم يبلغوا [وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلٰثَ مَرَّاتٍ] يعنى فى كلّ يوم وليلة [مِنْ قَبْلِ صَلٰوةِ الْفَجْرِ] يعنى فى الاوقات الّتى يكون الانسان فى الاغلب عارياً من الثّياب السّاترة للعورات ومن ثياب التّجمّل ودخول الموالى وغيرالبالغين المميّزين فى تلك الاوقات يوجب رؤية العورات والمساوى ويذهب بهيبة الشّخص من الانظار [وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلٰوةِ الْعِشَاءِ] لم يقل فى جوف اللّيل لانّه ليس وقت طواف ودخول اولانّ الامر بالاذن فى طرفى النّهار يكون لاستغراق اللّيل، اولانّ وجوب الاذن فى الطّرفين يوجب وجوبه فى وسطه بالطّريق الاولى [ثَلٰثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ] العورة الخلل فى الثّغر وغيره وكلّ مكمن للسّتر والسّوءة والسّاعة الّتى هى قمن من ظهور العورة فيها وهى المراد ههنا [لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ] فى ترك الاستيذان والدّخول من غير اذن ان شاؤا [طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ] استيناف جواب لسؤال مقدّر فى مقام التّعليل بتقدير مبتدء محذوف اى هؤلآء لاجل حاجتكم اليهم فى خدمتهم وفى تربيتهم كثير الطّواف

عليكم، ويكون الاستيذان عسراً عليكم وعليهم [بَعْضُكُمْ عَلٰى بَعْضٍ] بدل من الضّمير واشعار بأنّهم كالاجزاء والابعاض منكم فلا حاجة لهم ولا لكم الى الاستيذان فى غير وقت ظهور العورات ، او بعضكم فاعل فعل محذوف اومبتدء خبر محذوف [كَذٰلِكَ] التّبيين من تبيين الاحكام مع الاشارة الى عللها وحكمها [يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمُ الْاٰيَاتِ] الاُخر والاحكام القالبيّة والقلبيّة مع حكمها وعللها [وَاللّٰهُ عَلِيمٌ] يعلم مصالح ما يجعله شريعة لكم [حَكِيمٌ] ينظر الى دقائق الحكم ويشرع ما يترتّب عليه دقائق الحكم [وَإِذَا بَلَغَ الْاَطْفَالُ مِنْكُمُ] لانّ من المماليك فانّ حكم اطفالهم وقت البلوغ حكم انفسهم فى الاستيذان فى الاوقات الثّلاثة [الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا] فى جميع الاوقات فانّه المستفاد من اطلاق الاستيذان ومن مقابلته مع غير البالغين الّذين كان حكمهم الاستيذان فى الاوقات الثّلاثة [كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] اى الّذين كانوا بالغين ومستأذنين من قبلهم [كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ اٰيَاتِهِ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ] التّكرار لمحض التّأكيد والمبالغة فى امر الاستيذان [وَالْقَوَاعِدُ] اللّاتى قعدن من طلب النّكاح ليأسهنّ من رغبة الرّجال اليهنّ وعدم ميل الرّجال اليهنّ لكبرهنّ [مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا] لعدم طمعهنّ فيه وعدم طمع الرّجال فيهنّ [فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ] الجملة خبر الموصول ودخول الفاء فى الخبر امّا لكون اللّام موصولاً، اولوصف القواعد باللّاتى، اولتوهّم امّا اولتقديره ، ولمّا امر بالاستيذان وقت ظهور العورة وطرح الثّياب استفيد منه لزوم لبس الثّياب وستر العورات خصوصاً للنّساء اللّاتى يكون جميع بدنهنّ عورة قال امّا العجائز فليس عليهنّ جناح [أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ] يعنى بعض ثيابهنّ وهو الجلباب والخمار كما قرئ ان يضعن من ثيابهنّ فانّ اظهار غير الكفّين والقدمين والوجه من البدن على غير المحارم كما كان حراماً لغير العجائز كان حراماً لهنّ ايضاً [غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ] اى بشيء من الزّينة ومواضعها فانّ اظهار الزّينة ومواضعها سواء كان من العجائز او غيرهنّ ممّا يريب الرّجال ، نعم ورد استثناء الشّعور منهنّ فانّه ان لم يكن الرّجال ينزجرون من رؤيتها لم يكونوا يرغبون فيها [وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ] بالسّتر وترك وضع الثّياب [خَيْرٌ لَهُنَّ] من الوضع [وَاللّٰهُ سَمِيعٌ] فلا يقلن للرّجال مايريبهم [عَلِيمٌ] بنيّاتهنّ فلا يضعن ثيابهنّ لقصد اراءة الرّجال [لَيْسَ عَلَى الْاَعْمٰى حَرَجٌ] استيناف منقطع عن سابقه لفظاً ومعنىً ولذلك لم يأت بأداة الوصل وبيان لادب آخر من آداب المعاشرة وذلك كما روى ونقل انّ المرضى كانوا يكرهون معاشرة الاصحّاء و مؤاكلتهم لتأنّف الاصحّاء عن معاشرتهم ولاحتمال انزجارهم من مؤاكلتهم ومعاشرتهم وكان الاصحّاء يكرهون مؤاكلتهم لعدم قدرتهم على الاكل مثلهم ، وكان الغازون اذا خرجوا الى الغزاء خلّفوا الزّمنى على بيوتهم وكره الزّمنى الاكل منها وكان اذا خرج سريّة كانوا يدفعون مفاتيح بيوتهم الى الغازين ليأخذوا ويأكلوا مايحتاجون اليه فيكرهون الاكل منها دون الاجتماع مع صاحبيها، وكانوا اذا ارادوا ان يطعموا المرضى ولم يكن فى بيوتهم مايطعمهم به ذهبوا بهم الى بيوت قراباتهم فكره المرضى الاكل منها وكان المرضى يتحرّجون بعدم الاستطاعة للجهاد وعدم القدرة على الطّاعة وعدم زيارة الرّسول (ص) والمؤمنين مثل الاصحّاء فرفع تعالى الحرج من ذلك كلّه بقوله ليس على الاعمى حرج [وَلَا عَلَى الْاَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ] وحذف المتعلّق ليذهب ذهن السّامع كلّ مذهب ممكن ، وقد مضى فى اوّل الكتاب انّ الوجوه المحتملة كلّها مقصودة من الفاظ القرآن فكأنّه قال: ليس على هؤلاء حرج فى المؤاكلة مع الاصحّاء والمعاشرة معهم، ولا فى الاكل من بيوت من خلّفوهم عليها ولا فى الاكل والاخذ من البيوت الّتى اعطاهم صاحبوها مفاتيحها ، ولا فى الاكل من بيوت اقرباء الدّاعين ولا فى التّخلّف

عن الجهاد ولا فى عدم الطّاعة والزّيارة مثل الاصحّاء، وكرّر لفظ حرج للاشارة الى عدم الفرق بين الثّلاثة فى ظنّ التّحرّج وعدمه [وَلَا عَلَىٰ اَنْفُسِكُمْ] حرج [اَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ] متعلّق بالمجموع اومختصّ بالاخير والمعنى ليس على انفسكم حرج فى ان تأكلوا منفردين اومع المعلولين من بيوت انفسكم ولمّا كان الولد وبيته للوالد جعل بيته داخلاً فى بيوتكم ولم يذكره منفرداً كما ورد فى حقّ ولد: انت ومالك لابيك، وورد: انّ اطيب ما يأكل المرء من كسبه، و انّ ولده من كسبه [اَوْ بُيُوتِ اٰبَائِكُمْ اَوْ بُيُوتِ اُمَّهَاتِكُمْ اَوْ بُيُوتِ اِخْوَانِكُمْ اَوْ بُيُوتِ اَخَوَاتِكُمْ اَوْ بُيُوتِ اَعْمَامِكُمْ اَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ اَوْ بُيُوتِ اَخْوَالِكُمْ اَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ اَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ] بكونكم وكلاء للمالك فى ضيعته اومخزنه اوداره، اواعطى المالك المفتاح عارية ، اوالمراد بيت المملوك فانّ المفاتح جمع المفتح بمعنى المخزن والسّيّد مالك للمولى ومملوكه [اَوْ صَدِيقِكُمْ] فانّ الصّداقة تقتضى السّرور بأكل الصّديق من بيته ولا اقلّ من الاذن ولكن كلّ ذلك مالم يعلم عدم الاذن من صاحبها، ومالم يؤدّ الى السّرف والافساد [لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا] مجتمعين مع صاحبى البيوت اومع المعلولين اومع انسان آخر اومع ضيف [اَوْ اَشْتَاتًا] متفرّقين منفردين فانّهم كما قيل كرهوا الأكل من البيوت المذكورة بدون صاحبيها وبعض البطون كان الرّجل منهم لايأكل وحده ويتحرّج بالأكل وحده وكانوا لايأكلون فى بيوت الفقراء فانّ الغنىّ كان يدخل بيت الفقير من ذوى قرابته اوصداقته فيدعوه الى طعامه فيتحرّج عن الأكل وكانوا اذا نزل بهم ضيف يتحرّجون الأكل الّا معه [فَاِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا] ادب آخر واتى بالفاء لانّه متعقّب للاذن فى دخول البيوت [فَسَلِّمُوا عَلَىٰ اَنْفُسِكُمْ] يعنى ليسلّم بعضكم على بعض فانّ المعاشرين كلّاً منهم بمنزلة نفس الآخر، اوسلّموا على اهل البيوت حتّى يردّوا السّلام عليكم فيكون سلامكم على اهل البيوت سلاماً على انفسكم ، اوسلّموا على انفسكم اذا لم تجدوا فيها احداً بان تقولوا : السّلام علينا وعلى عباد الله الصّالحين اوبان تقولوا : السّلام علينا من عند ربّنا [تَحِيَّةً] مفعول مطلق من غير لفظ الفعل [مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ] مشروعة من عند الله اونازلة من عند الله فانّ لسان المسلّم حين يسلّم بامر الله يكون مسخّراً لامر الله، والجارى على اللّسان المسخّر لله جارٍ من الله [مُبَارَكَةً] لانّها دعوة مؤمن لمؤمن بأمر الله ودعوة المؤمن للمؤمن بركة عليهما ، واذا كانت بأمر الله وكان الدّاعى ناظراً الى امره ضوعفت بركتها [طَيِّبَةً] لما فيها من صيرورة نفسى المسلّم والمسلّم عليه طيّبتين [كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمُ الْاٰيَاتِ] واحكام المعاشرة اوالآيات التّدوينيّة فى بيان احكام المعاشرة [لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] حكمها ومصالحها اولعلّكم تصيرون عقلاء اولعلّكم تعقلون الآداب اللّازمة فى المعاشرة وتفهمونها فتعملوا بها [اِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ] منقطع عن سابقه لفظاً ومعنىً اوهوجوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: اذا لم يمتثل المؤمنون تلك الاوامر هل كانوا مؤمنين؟ـ فقال: انّما المؤمنون [الَّذِينَ اٰمَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ] فلا يتخلّفون عمّا اُمروا به [وَاِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ اَمْرٍ جَامِعٍ] للمؤمنين كالجمعة والعيد والقتال والمشاورة [لَمْ يَذْهَبُوا حَتّٰى يَسْتَأْذِنُوهُ] للذّهاب [اِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ اُولٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ فَاِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ] يعنى انّ الامر مفوّض اليك [وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللّٰهَ] اى للمستأذنين فانّ الالتفات الى غيرك وغير الله اذا كانوا عندك معصية عظيمة لهم [اِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ] يغفر مايلحقهم من التّوجّه والنّظر الى غيرك حين لاينبغى ان ينظروا الّا اليك [رَحِيمٌ] يرحمهم بواسطة التّوجّه اليك والاستيذان

منك ، **نقل** انّ الآية نزلت فی حنظلة بن ابی عیّاش وذلک انّه تزوّج فی اللّیلة الّتی کانت فی صبیحتها حرب احد فاستأذن رسول الله (ص) ان یقیم عند اهله فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآیة فأقام عند اهله ، ثمّ اصبح وهو جنب فحضر القتال واستشهد فقال رسول الله (ص) : رأیت الملائکة تغسل حنظلة بماء المزن فی صفائح من فضّة بین السّماء والارض فکان سمّی غسیل الملائکة [لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ] ای دعاءکم ونداءکم للرّسول (ص) [بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا] بان تذکروا اسمه او کنیته او تنادوه بصوت رفیع بل اخفضوا من اصواتکم عنده ولا تذکروه باسمه وکنیته بل اذکروه بالفاظ التّعظیم مثل یا رسول الله (ص) ، ویا نبیّ الله (ص) ، وامثال ذلک ، ولا تقولوا : یا محمّد (ص) ، ویا ابا القاسم (ص) کما فی الخبر، نسب الی الصّادق (ع) انّه قال : قالت فاطمة (ع) : لمّا نزلت هذه الآیة هبت رسول الله (ص) ان اقول له : یا ابه ، فکنت اقول : یا رسول الله (ص) فأعرض عنّی مرّة او ثنتین او ثلاثاً ثمّ اقبل علیّ فقال : یا فاطمة (ع) انّها لم تنزل فیک ولا فی اهلک ولا فی نسلک، انت منّی وانا منک ، انّما نزلت فی اهل الجفاء ، والغلظة من قریش من اصحاب البَزَخ والکبر، قولی : یا ابه؛ فانّها احیی للقلب وارضی للرّبّ، والمعنی لا تجعلوا دعاء الرّسول (ص) لکم او علیکم بالخیر او الشّرّ کدعاء بعضکم بعضاً للغیر او علی الغیر فی جواز عدم الاجابة او کدعاء بعضکم الله لبعض او علی بعض ، او المعنی لا تجعلوا دعاء الرّسول (ص) لکم الی امر کجهاد وغیره کدعاء بعضکم بعضاً [قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ] لفظة قد للتّحقیق [الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ] انسلّ وتسلّل انطلق فی استخفاف یعنی یعلم الله الّذین ینطلقون من الجهاد فی استخفاف وهو ان یحیث لا یطّلع علیه احدٌ او ینطلقون من المسجد کذلک فانّه نقل انّ المنافقین کانوا یثقل علیهم خطبة النّبیّ (ص) یوم الجمعة فیلوذون ببعض اصحابه فیخرجون من المسجد استتاراً من غیر استیذان ، وقیل : کانوا یتسلّلون من الجهاد [لِوَاذًا] مفعول له او مفعول مطلق بحذف مضاف ای تسلّل لواذ او حال واللّوذ بالشّیء الاستتار والاحتصان به کاللّواذ مثلثّة واللّیاذ والملاوذة [فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ] ای عن امر الله او عن امر الرّسول (ص) [أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ] بلیّة او امتحان یظهر ما فی قلوبهم من النّفاق فی الدّنیا [أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] فی الآخرة او کلاهما فی الدّنیا او فی الآخرة او فی کلتیهما [أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] بعد ما حذّرهم بالعذاب علی مخالفة امره حقّق ذلک بأنّه قادر علیه ولا مانع له منه لکون الکلّ مملوکین له من غیر مانع [قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ] من الافعال والاحوال والاخلاق والنّیّات والخطرات والمکمونات الّتی لا استشعار لکم بها ، وهذا تعمیم لعلمه تعالی بعد تخصیصه بالّذین یتسلّلون وتأکید لتحذیرهم بانّه عالم بجمیع ما کنتم علیه [وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ] عطف علی محذوف ای یعلم الآن ویوم یرجعون او عطف علی ما انتم علیه او ظرفٌ لفعل محذوف بقرینة قوله [فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا] او ظرف لینبّئهم، وتخلّل الفاء امّا بتوهّم امّا، او بتقدیرها ، او لفظة الفاء زائدة فلا تمنع من عمل ما بعدها فی ما قبلها ، وعلی ایّ تقدیر یکون الکلام التفاتاً من الخطاب الی الغیبة

[وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ]

تعمیم آخر لعلمه تعالی.

سورة الفرقان

وهى سبع وسبعون آيةً ، مكّيّة كلّها ، وقيل: مكّيّة الّا ثلاث آياتٍ منها نزلت بالمدينة من قوله : والّذين لايدعون مع الله الٓهاً آخر (الى قوله) غفوراً رحيماً .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[تَبارَكَ الَّذى نَزَّلَ الْفُرْقانَ] هو اسم للقرآن باعتبار نزوله الى مقام الفرق وعالم الفصل، وباعتبار صدوره عن مقام قلب النّبىّ(ص) الّذى يعبّر عنه بالبيت المعمور فانّ المصدر الّذى هو قلب النّبىّ(ص) يكون حينئذٍ من عالم الفرق ، وباعتبار فرقه بين الحقّ والباطل والمحقّ والمبطل ، وباعتبار تفرّقه فى النّزول طول ثلاثٍ وعشرين سنة، وباعتبار محكماته الّتى هى مبيّنات المعنى ، وقد مضى فى سورة البقرة عند قوله : هدىً للنّاس وبيّناتٍ من الهدى والفرقان ، وفى اوّل آل عمران بيان اجمالىّ للفرقان والقرآن ، وقد سبق انّ اختيار التّنزيل على الانزال فى القرآن باعتبار انّه منزّل من مقام الاطلاق الى مقام التّقييد ومحتاج الى تعمّلٍ شديدٍ من قبل من ينزّل عليه بخلاف سائر الكتب السّماويّة فانّها منزلة من مقام التّقييد ولاحاجة فيها الى زيادة تعمّلٍ من قبل من ينزل عليه ، وتعليق تبارك على الموصول للاشعار باعتبار حيثيّة الصّلة فى الحكم كأنّه قال: كثر خيرات الّذى نزّل الفرقان من حيث انّه نزّل الفرقان وهو يدلّ على كثرة خيرات الفرقان وهو كذلك لانّ المتوسّل به يكثر خيراته الدّنيويّة وخيراته الاخرويّة كما فى الآيات والاخبار وكما يشهد به التّجربة والوجدان [عَلى عَبْدِهِ] يعنى محمّداً(ص) [لِيَكُونَ لِلْعالَمينَ] جمع العالم وهو ماسوى الله اوما فى جوف الفلك اوما اشتمل على كثرات متّحدات بالوحدة الطّبيعيّة كأفراد النّبات والحيوان والانسان اوما اشتمل على افراد كلّ واحدٍ من تلك الافراد مشتمل على كثراتٍ متّحداتٍ بالوحدة الطّبيعيّة كانواع النّبات والحيوان ونوع الانسان، اوهو اسم جمع لانّ شرط الجمع بالواو والنّون ان يكون مفرده علماً لمذكّرٍ عاقلٍ او وصفاً له، ولانّ العالمين مختصّ بذوى العقول والعالم اعمّ من ذوى العقول كماقيل، وعلى اىّ تقدير كان المقصود من العالمين المكلّفين من الانس والجنّ لانّ انذاره(ص) خاصّ بهم [نَذيراً] وللاشعار بانّ الانذار مختصٌّ بشأن الرّسالة المشعر به تنزيل الكتاب فانّ الكتاب لايكون الّا للرّسول(ص) اقتصر عليه ولم يذكر التّبشير الّذى هو من شؤن الولاية [اَلَّذى لَهُ مُلْكُ السَّمٰواتِ وَالْاَرْضِ] قد تكرّر فيما سلف انّ اللّام فى مثله يدخل على المبدء والغاية والمالك ، ولمّا كان المقصود ذمّ من اتّخذ من دون الله آلهاً ومن انكر الرّسول(ص) وكتابه وصف نفسه اوّلاً بكثرة الخيرات ثمّ بانزال الكتاب على محمّد(ص) ليكون كالبرهان على ذمّ من أنكرهما ثمّ وصف نفسه بخالقيّة ملك السّماوات والارض ليكون ردّاً على من زعم انّ للشّيطان ملكاً وهو منعزل عن الله ومقابلٌ ومعاندٌ له [وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً] وهذا ردّ على من زعم انّ عيسى(ع) اوعزيراً ابن الله ، وعلى من قال: نحن ابناء الله [وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَريكٌ فِى الْمُلْكِ] وهو ردّ

على من زعم انّ الاصنام او الكواكب او اهريمن شريك له فى الملك [وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ] ردّ على من قال بقدم الكواكب او الظّلمة او اهريمن [فَقَدَّرَهُ] اى قدّر ذاته واحواله وارزاقه وامد بقائه ووقته ومكانه واجله [تَقْدِيرًا وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ] اى من دون هذا الّذى ذكر بالاوصاف المذكورة [آلِهَةً] لا يوصفون بشيء من الاوصاف المذكورة بل يوصفون بأضدادها فانّهم [لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا] فضلاً عن ان يكونوا مالكين للسّماوات والارض [وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا] يعنى لا يملكون المنسوبات الاختياريّة ولا المنسوبات الغير الاختياريّة [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالله انكاراً لرسالة رسوله (ص) وكتابه [إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ] يعنى لمّا عجزوا عن معارضته ورأوا حسن نظمه أنكروه وقالوا: كان هذا بمعاونة معاونين له [فَقَدْ جَاءُوا] اى منكروا الرّسالة او منكروا الله والرّسالة جميعاً [ظُلْمًا] حيث انكروا ماحقّه الاقرار وعبدوا ماحقّه الجحود والانكار [وَزُورًا] اى رأياً وقولاً منحرفاً عن الصّواب [وَقَالُوا] هذا القرآن او هذه الاخبار الّتى يخبر محمّد (ص) بها [أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ] اى مكتوبات الاقدمين وصلت اليه او الاحاديث المتفرّقة الّتى لا نظام لها كانت من الاوّلين ووصلت اليه وقد مضى انّ الاساطير جمع الأسطار جمع السّطر، اوجمع الاسطار او الاسطير بكسر الهمزة فيهما ، اوجمع الاسطور بضمّ الهمزة وتستعمل الثّلاثة بالتّاء والمجموع بمعنى الاحاديث الّتى لا نظام لها [اكْتَتَبَهَا] مستأنف اوخبر لأساطير الاوّلين، واكتتب بمعنى كتب اواستكتب اواستملأ، وقرئ اكتتبها مبنيّاً للمفعول على ان يكون اصله اكتتب له الاساطير ثمّ حذف اللّام واتّصل الضّمير واستتر [فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا] يعنى تكرّر تلك الاساطير عليه حتّى يحفظه لانّه كان امّيّاً او تملى عليه لتكتب له [قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] من سماوات الاجسام والارواح وكذا ارضهما ، ومن يعلم السرّ الّذى لا يطّلع عليه احد من السّماوات والارض فى العالم الكبير يعلم السّرّ والجهر من سماوات الارواح وارض الاشباح منكم فاحذروا من ان تقولوا او تفعلوا فى الملأ او الخلأ او تخيّلوا او تنووا ما يليق بالله او بمحمّد (ص) او بكم [إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا] جواب لسؤالٍ مقدّر كأنّه قيل: فلم لا يؤاخذ العاصى والعاتى ؟ ـ فقال : انّه كان غفوراً يستر على المساوى ولا يؤاخذ مابقى فى العاصى استعداد التّوبة [رَحِيمًا] يرحمهم فضلاً عن ان لا يؤاخذهم [وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ] زعموا انّ الرّسالة تنافى البشريّة ولوازمها ولذلك قالوا : مالهذا الرّسول ليكون حجّة على انكارهم [وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ] لرفع الحاجات ظنّاً منهم انّ الرّسول (ص) لا ينبغى ان يكون محتاجاً وهذا خطأ منهم فانّ الرّسول لو لم يكن بشراً او كان بشراً ولكن لم يكن متّصفاً بلوازم بشريّته لما صحّ رسالته فانّ الرّسول (ص) هو الّذى يحفظ حقوق الكثرات ولو لم يكن فيه دقائق الكثرات ممتازة لما صحّ منه حفظ حقوقها [لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا] وهذا ايضاً خطأ منهم فانّ الملك لو كان يصحّ ان يراه البشر من غير سنخيّتهم معه لكان هو رسولاً بل الملك ان ظهر على البشر هلك او جنّ او غشى عليه فلا يصحّ نزول الملك اليه بحيث يشاهدوه [أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ] وهذا ايضاً خطأ فانّ مشيّة الله لم تقتض اجراء الاشياء الّا بالاسباب [أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا] لمّا حصروا الخيرات فى الخيرات الحسيّة قالوا امثال ذلك [وَقَالَ الظَّالِمُونَ] وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بظلمهم وبانّ هذه الاقوال منهم ليست الّا ظلماً [إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا]

سحر كمنع خدع وتباعد وكسمع تكبّر، والمسحور المفسد من المكان لكثرة المطر اوقلّة الكلأ [أُنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ] يعنى فى حقّك او مخاطباً لك فانّهم شبّهوا رسالته من الله بالرّسالة من ملك الرّوم تارةً ومن ملك الفرس اخرى ، وانّ رسول الرّوم او الفرس له خدم وحشم وخيام واموال وربّنا تعالى شأنه خالقهما فليكن رسوله اشرف من رسولهما [فَضَلُّوا] حيث انحرفوا عن طريق الآخرة وتوجّهوا الى الدّنيا وشبّهوا رسول الله (ص) فى الامور الاخرويّة برسول الملوك فى امور الدّنيا [فَلا يَسْتَطِيعُونَ] الى الآخرة اوالى الحقّ الواقع اوالمعنى فضلّوا عن طريق المحاجّة فلا يستطيعون [سَبِيلاً] بالغلبة فى المحاجّة، وقصّة عبدالله بن ابى اميّة المخزومىّ ومحاجّته مع الرّسول (ص) وتمثيله له ملك الرّوم والفرس مذكورٌ فى المفصّلات [تَبارَكَ الَّذِى إِنْ شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذٰلِكَ] لكنّه لم يشأ ذلك لمنافاته للرّسالة من الله وترغيب النّاس عن الدّنيا [جَنّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ] قد مضى فى آخر آل عمران فى ذيل قوله تعالى فالّذين هاجروا و اخرجوا من ديارهم بيان كيفيّة جريان الانهار من تحت الجنّات [وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً] والجملة على قراءة رفع يجعل معطوفة على قوله تبارك الّذى يعنى يجعل لك فى الآخرة قصوراً، وعلى قراءة الجزم معطوفة على الجزاء، ويصحّ عطفه على الجزاء على قراءة الرّفع ايضاً [بَلْ كَذَّبُوا بِالسّاعَةِ] اضراب من الادنى الى الاعلى يعنى كذّبوك فى رسالتك بل كذّبوا بالقيامة والآخرة الّتى هى متّفق عليها من الكلّ [وَأَعْتَدْنا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسّاعَةِ سَعِيراً إِذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً] التّغيّظ شدّة الحرّ اوهو من الغيظ بمعنى الغضب اواشدّه اوسورته وتغيّظ السّعير لكون عالم الآخرة بشراشره حيّاً عالماً شاعراً محبّاً لله مبغضاً لله [وَزَفِيراً] زفير النّار صوت توقّدها [وَإِذا أُلْقُوا مِنْها مَكاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنالِكَ ثُبُوراً] الثّبور الهلاك اوالويل [لا تَدْعُوا] جواب سؤال مقدّر بتقدير القول كأنّه قيل: مايقال لهم؟ فقال: يقال لهم: لاتدعوا [الْيَوْمَ ثُبُوراً واحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً قُلْ] لهم [أَذٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كانَتْ لَهُمْ جَزاءً] جوابٌ لسؤال مقدّر ورفع لتوهّم الامتنان بهذا الاحسان [وَمَصِيراً لَهُمْ فِيها ما يَشاؤُنَ خالِدِينَ] ولمّا كان تمام الاحسان الى الاضياف حضور ما يشاؤه كلّ احدٍ وعدم زوال النّعمة أتى بهما [كانَ عَلىٰ رَبِّكَ وَعْداً مَسْؤُلاً وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ] عطف على هنا لك سواء كان للزّمان اوالمكان ، اوعطف على قل بتقدير اذكر، اوظرف ليقول والفاء زائدة اوبتقدير امّا اوتوهّمها [وَما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ] من افراد البشر ومن سائر المواليد ومن الكواكب والاصنام اوما يعبدون عبادة طاعةٍ من دون ولىّ امرهم [فَيَقُولُ] خطاباً للمعبودين [أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبادِى هٰؤُلاءِ أَمْ هُمْ] بأنفسهم [ضَلُّوا السَّبِيلَ قالُوا] التّعبير بالماضى لتحقّق وقوعه اولوقوعه بالنّسبة الى محمّدٍ (ص) فانّه كان يشاهد كلّ ما لم يشاهده غيره من امر الآخرة [سُبْحانَكَ] عن كون امثالنا انداداً لك وشركاء فى المعبوديّة [ما كانَ يَنْبَغِى لَنا] يعنى للعابدين ولنا اوالمراد المعبودون فقط [أَنْ نَتَّخِذَ] قرئ بالنّون مبنيّاً للفاعل ومبنيّاً للمفعول [مِنْ دُونِكَ] من دون اذنك اوهو حال من اولياء ولفظ من للتّبعيض [مِنْ أَوْلِياءَ وَلٰكِنْ مَتَّعْتَهُمْ] من المشتهيات الدّنيويّة فاشتغلوا بها عن الآخرة [وَآباءَهُمْ] يعنى لم يكونوا فى ضيقٍ فى وقت كونهم مستقلّين بأمرهم ولا فى وقت كونهم عيالاً لغيرهم فلم يكن لهم اضطرار حتّى

يتذكّروا الآخرة وتكون فى ذكرهم [حَتّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ] الذكر يطلق على الكتب السّماويّة والشّرائع الآلهيّة، وعلى الرّسالة والولاية، وعلى الانبياء واوصيائهم (ع)، وعلى الولاية التّكوينيّة الّتى هى فطرة الله الّتى فطر النّاس عليها، وعلى الجهة الّتى بها يتذكّر الله من الاشياء [وَكانُوا] فى الذّرّ او باصل فطرتهم اوصاروا [قَوْماً بُوراً] هالكين مصدر وصف به ولذلك يطلق على الواحد والاثنين والجماعة والمذكّر والمؤنّث بلفظ واحد، اومشترك بين جمع بائر ووصف بار بمعنى هلك ومصدره يعنى انّهم كانوا هالكين من الحيوة الانسانيّة وغافلين عن اللّطيفة الالهيّة الّتى بها يكون تذكّر الانسان لله ولامور الآخرة فلم يتذكّروا من التّوجّه الينا امراً الهيّاً اخرويّاً بل كان توجّههم فى العبادة لنا الى الجهة النّفسانيّة منّا الموافقة لجهاتهم النّفسانيّة واهويتهم الكاسدة وشياطينهم المغوية فكانوا فى عبادتنا يعبدون الجنّ واهويتهم [فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ] عطف على قالوا بتقدير القول اى فيقال للعابدين: فقد كذّبكم المعبودون وصرف للخطاب من المعبودين الى العابدين [بِما تَقُولُونَ] الباء بمعنى فى اوللسّببيّة اوللتّعدية نظير كذّب بالآيات بمعنى كذّب الآيات، ويكون حينئذ بدلاً من المفعول والمعنى كذّبكم المعبودون فى قولكم انّهم آلهة اوفى قولكم انّكم عبدتموهم، اوفى قولكم ربّنا هؤلآء اضلّونا وقرئ بالغيبة والمعنى كذّبكم المعبودون بقولهم: سبحانك (الى آخرها) [فَما تَسْتَطِيعُونَ] ايّها المشركون [صَرْفاً] للعذاب عن انفسكم [وَلا نَصْراً] لانفسكم وقرئ بالغيبة فيكون المعنى لايستطيع المعبودون صرفاً ولانصراً لكم ثمّ صرف الخطاب الى المكلّفين الحاضرين فقال: [وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ] بالاشراك بالله اوباىّ ظلم كان لكن بشرط ان لايتوب [نُذِقْهُ عَذاباً كَبِيراً] والشّرط مطلق والوعيد غير مقيّد لكنّ الخلف فى الوعيد غير قبيح بل حسن ممدوح ثمّ صرف الخطاب الى محمّد (ص) فقال ردّاً على من أنكر اكل الرّسول (ص) ومشيه فى الاسواق [وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْواقِ وَجَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً] اختباراً و فساداً فانّ الله جعل الانبياء والاولياء (ع) فتنة وامتحاناً للمؤمنين، واختباراً وفساداً للمنافقين، وجعل المؤمنين ارتياضاً وامتحاناً بافعالهم الغير المرضيّة للانبياء والاولياء (ع) وبافعالهم الاخرويّة واتّصالهم بالرّسالة والولاية اختباراً وفساداً للمنافقين، وجعل المنافقين والكافرين امتحاناً للانبياء والاولياء (ع) بايذائهم القولىّ والفعلىّ وللمؤمنين كذلك، وعلى هذا كان اضافة بعض الى الضّمير لتعريف الجنس المفيد لفرد ما لا على التّعيين [أَتَصْبِرُونَ] استفهام فى معنى الامر اى اصبروا [وَكانَ رَبُّكَ بَصِيراً] جملة حاليّة فى معنى التّعليل سواء قلنا بلزوم قد فى الماضى الّذى وقع حالاً اولم نقل.

[الجزء التّاسع عشر]

[وَقالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا] اى لقاء حسابنا وثوابنا وعقابنا اولقاء مظاهرنا، وعدم رجاء اللّقاء امّا بعدم الاعتقاد به او بعدم الالتفات والتّوجّه اليه وعدم الطّلب له كحال اكثر المعتقدين للآخرة [لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ] لرسالة الرّبّ فانّ الملك اولى بالرّسالة من الله من البشر اولتصديق محمّد (ص) فى رسالته، اوالمعنى ان كان ينزل الملك على محمّد (ص) فلولا انزل علينا الملائكة فانّا ان لم نكن اولى بنزول الملك منه فلسنا بادون منه [أَوْ نَرىٰ رَبَّنا] فيخبرنا بنفسه بتكاليفنا اويخبرنا انّ محمّداً (ص) رسول منّى، اوان كان لنا ربّ يرسل رسولاً الينا فلم لايظهر علينا حتّى نريه؟ [لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ] عند أنفسهم [وَعَتَوْا] تجاوزوا الحدّ فى الاستكبار [عُتُوًّا كَبِيراً يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ] يعنى انّهم استدعوا نزول الملائكة وهم مجرمون متدنّسون بدنس المادّة والملائكة مجرّدون عن المادّة مطهّرون عن دنسها ولا يظهر المجرّد على المادّىّ

الّا هلك واذا هلك المادّىّ الغير المطهّر من ادناسها لم يكن له بشرى بل كان له العذاب ، ووضع المجرمين موضع المضمر ليكون كالعلّة للحكم [وَيَقُولُونَ] اى الملائكة [حِجْرًا مَحْجُورًا] حراماً محرّماً يعنى البشرى او الجنّة اورؤية الرّبّ او التّعوّذ فانّه لامعاذ لكم اويقول المجرمون ذلك [وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ] اىّ عمل كان ممّا يحسبونه ذخراً لآخرتهم من الصّدق والامانة والوفاء والدّيانة والانفاقات والصّلات والاعمال الّتى كانت على صورة ملّة الٓهيّة وعبّر بالماضى لايهام انّه واقع اواخبار عن وقوعه، اواخبار بانّ المخاطب حاله ومقامه حال من قامت قيامته ويرى ما سيقع بالنّسبة الى النّاقصين واقعاً [فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً] الهباء عبارة عن الغبار الّذى يرى فى شعاع الشّمس [مَنْثُورًا] صفة هباء اوخبر بعد خبر [أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ] يوم القيامة اويوم يرون الملائكة [خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا] اى افضل منزلاً [وَأَحْسَنُ مَقِيلًا] مستراحاً من هؤلآء فى الدّنيا اوليس التّفضيل مراداً [وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ] عطف على يومئذ اوعلى يوم يرون الملائكة او متعلّق بالحقّ، او بقوله للرّحمن والجملة معطوفة على سابقتها [بِالْغَمَامِ] حال كون السّماء متلبّساً بالغمام اوتشقّق بتراكم الغمام وقوّته كأنّ الغمام صار آلة التّشقّق اوتشقّق بخروج الغمام الّذى قال الله تعالى: هل ينظرون الّا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة [وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا] فانّ فى وقت الاحتضار يتشقّق سماء الارواح ويظهر الغمام الحاصل فى الرّوح من كدورات النّفس بالشّهوات والغضبات ويتزّل الملائكة رحمةً اونقمةً [الْمُلْكُ] هو بتثليث الميم مصدر ملكه واسمٌ للمملوك وهو مبتدء وقوله [يَوْمَئِذٍ] خبره سواء كان بمعناه المصدرىّ اوبمعنى المملوك لكن اذا كان بمعنى المملوك كان التّقدير عظمة الملك لئلّا يلزم الاخبار بظرف الزّمان عن الذّات وحينئذٍ يكون قوله [الْحَقُّ] خبراً بعد خبر و [لِلرَّحْمَٰنِ] كذلك اومتعلّق بالحقّ اوحال عن المستتر فيه اويومئذٍ متعلّق بالملك اوبالحقّ اوبقوله للرّحمن والحقّ خبره ، وللرّحمن مثل السّابق او الحقّ صفته و للرّحمن خبره والمراد بقوله يومئذٍ يوم الاحتضار والموت اويوم القيامة [وَكَانَ] ذلك اليوم [يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ] عطف على المستتر فى كان اوعلى يومئذٍ اوعلى يوم تشقّق السّماء ، اومتعلّق بيقول الآتى والجملة معطوفة على سابقتها وعضّ الظّالم [عَلَىٰ يَدَيْهِ] كناية عن غاية ندمه وتحسّره فانّ الغضوب اوالمتحسّر اذا بلغ الغاية فى الغضب اوالتّحسّر يعضّ على انامله ويده [يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا] طريقاً الى النّجاة اوطريقاً واحداً ولم يتفرّق بى الطّرق اوطريقاً عظيماً هو طريق الولاية وهذا هو المناسب لقوله [يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا] ان كان المنظور التّعريض بالامّة فالمراد بقوله فلاناً منافقو الامّة وان كان المنظور مطلق الظّالم فالمراد بقوله فلاناً مطلق الرّؤساء فى الضّلالة [لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ] عن الشّريعة اوالولاية اوالقرآن اوالنّبىّ اوالولىّ اوعلىّ (ع) اوالعقل اوالفطرة [بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي] الذّكر بلسان الرّسول (ص) اومطلقاً [وَكَانَ الشَّيْطَانُ] ابتداء كلام من الله اومن قول الظّالم [لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا] لانّه يدعو الانسان الى امرثمّ يتركه ولاينصره وقت حاجته فى الدّنيا اوفى الآخرة [وَقَالَ الرَّسُولُ] عطف على يقول يا ليتنى اوعلى يعضّ الظّالم اوعلى تشقّق السّماء وعلى التّقادير فالمعنى على الاستقبال اى يقول الرّسول (ص) فى ذلك اوعطف على قال الّذين لايرجون وحينئذٍ يكون على مضيّه يعنى قال الّذين لايرجون استهزاءً بالرّسول (ص) :

لولاانزل علينا الملائكة ، وقال الرّسول (ص) تشكياً منهم [يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هٰذَا الْقُرْاٰنَ] يعني جملة القرآن او قرآن ولاية عليّ (ع) [مَهْجُورًا] متروكاً، وفي خطبة عن امير المؤمنين (ع) فاناالذّكر الّذي عنه ضلّ ، والسّبيل الّذي عنه مال ، والايمان الّذي به كفر ، و القرآن الّذي ايّاه هجر ، والدّين الّذي به كذّب [وَكَذٰلِكَ] اى مثل جعل الاعداء لك مشتملاً على حكم و مصالح عديدة من سوق اتباعك الى دار الآخرة كما قيل :

اين جفاى خلق بر تو در جهان	گر بدانى گنج زر آمد نهان
خلق را با تو چنين بدخو كند	تا ترا ناچار رخ آنسو كند
آن يكى واعظ چو بر منبر بدى	قاطعان راه را داعى شدى
مى نكردى او دعا بر اصفيا	مى بكردى او خبيثان را دعا
مرو را گفتند كاين معهود نيست	دعوت اهل ضلالت جود نيست
گفت نيكوئى از اينها ديده ام	من دعاشان زين سبب بگزيده ام
چون سبب ساز صلاح من شدند	پس دعاشان برمن است اى هوشمند

ومن نشر فضلك في العالم وايصال صيتك الى اسماع بني آدم فانّ فضل الفاضل ينشره حسد الحاسدين ومن توجيه النّاس وترغيبهم الى رؤيتك وصحبتك فانّ النّفوس مفطورة على التّوجّه الى كلّ جديد ، ومن تمييز المؤمن عن الكافر والخالص عن المنافق ، ومن ظهور المعجزات عنك بسبب العداوة ومن تمكينك في دينك وتمكين اتباعك وتقوية قلوبكم وغير ذلك من المصالح [جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا] المراد بالعدوّ امّا الجنس المطلق على الواحد والكثير ، او المراد به معنى الجمع فانّه كان لكلّ نبيّ اعداء عديدة ولفظ العدوّ يطلق على الواحد والجمع [مِنَ الْمُجْرِمِينَ] لاالمؤمنين [وَكَفٰى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا] تسلية له (ص) ولامّته من شدّة الخوف من كثرة الاعداء [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْاٰنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً] يعني تارة يقولون : لولا انزل علينا الملائكة سخريّة بك، وتارة يقولون : ان كان مايقول حقّاً فلم لاينزل القرآن عليه مجموعاً؟ ولاىّ سبب ينزل عليه آية بعد آية؟! فانّ الله الّذي يدّعي هو الرّسالة منه قادر على انزال الكتاب جملةً وليس يحتاج الى تأمّل وتروّ ومُضيّ زمان لجمعه وتأليفه ، ووضع المظهر موضع المضمر لاحضارهم بصفتهم الفظيعة [كَذٰلِكَ] الانزال بالتّفريق انزلناه [لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ] فانّه كلّما نزل عليك آية من القرآن ازداد انسك بالرّحمن، وكلّما ازداد انسك ازداد ثبات قلبك على الدّين [وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا] عطف على انزلناه المقدّر، والتّرتيل القراءة بتؤدة [1] والمراد قرأناه عليك مفصولاً متفرّقاً في ثلاث وعشرين سنة [وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ] اى بحال شبيهة بحالك في ادّعاء الرّسالة مثل قولهم: هذا ملك الرّوم وملك الفرس اذا أرسلوا رسولاً كان له خدم وحشم وضياع وعقار وخيام وفساطيط ، وحالهم في الرّسالة شبيهة بحالك في ادّعاء الرّسالة من الله الّذي هو خالق الارض والسّماء ، بل حالك في هذا الادّعاء اجلّ وارفع من حالهم واذ ليس لك مثل مالهم فلم تكن رسولاً او بحال شبيهة بحالك في البشريّة مانعة من الرّسالة مثل قولهم: انّك تأكل وتمشي في الاسواق مثلنا وهذه الحالة تدلّ على الاحتياج ، والاحتياج بنا في الرّسالة من الغنيّ المطلق ، اوبحال شبيهة بحالك بل اشرف من حالك ولم ينزل الى صاحبها ملك ولم يصر رسولاً فلست انت برسول مثل قولهم : لولا أنزل الينا الملائكة فانّه في معنى قولهم ؛ نحن اشرف حالاً منه من حيث تربية الآباء وتعليم المعلّمين واكتساب الفضائل الانسانيّة فانّا قد تدرّسنا في مدارس العلم وأتعبنا أنفسنا في تحصيل العلوم والحكمة واكتسبنا الخطّ والكتابة ، ومن حيث الجدة والحسب ولم نصر رسلاً فكيف صار هو رسولاً من بيننا مع انّه لم ير أباً ولم يحصّل علماً

---

(١) التؤدة بضم التاء وفتح الهمزه اوسكونها .

وماكان ذامال ولم يقرأ ولم يكتب ، اوبحال شبيهة بحالك فى الرّسالة وعدم موافقة حالك لها مثل قولهم لولا انزل عليه القرآن جملةً واحدةً فانّه فى معنى قولهم: حاله فى الرّسالة شبيهة بحال الرّسل الماضية فلوكان رسولاً مثلهم لاتى بكتابه جملةً واحدةً مثل اتيانهم بكتبهم واذلم يأت به دفعةً مثلهم فليس برسول [اِلّاٰجِئْناٰكَ بِالْحَقِّ] بالجواب الحقّ الثّابت الدّافع لابطال امثلتهم المبطل لها المبقى لرسالتك من غيرمعارض و مبطل [وَاَحْسَنَ تَفْسيرًا] اى بياناً من بيانهم لابطال رسالتك [اَلَّذينَ يُحْشَرُونَ] بدل اوصفة من الّذين كفروا واظهار لذمّ آخر وفضيحة اخرى اومبتدء خبره الجملة الآتية اوخبر لمحذوف اى هم الّذين يحشرون [عَلٰى وُجُوهِهِمْ] يعنى ماشين على وجوههم كما يمشى المستقيم القامة على قدميه اومقبلين على وجوههم [اِلٰى جَهَنَّمَ] .

اعلم، انّ الانسان كما خلق ببدنه مستقيم القامة رأسه فى اعلى بدنه ورجلاه على الارض يمشى الى حاجاته البدنيّة برجليه خلقه بروحه كذلك رأسه المعنوىّ فى اعلى وجوده ورجلاه المعنويّتان فى اسفل وما بقى على فطرته الانسانيّة كان حاله الباطنيّة على هذا المنوال ، واذا ارتدّ عن فطرته صار رأسه ووجهه الباطنيّان منكوسين من اعلى وجوده الى اواسطه ويتدرّج فى الانحطاط والتّوجّه الى ان وصل رأسه الى مقام رجله وانقلب رجله الى مقام رأسه ، ولمّا كان صورته الاخرويّة وبدنه الملكوتىّ تابعة لنفسه بحيث لايكون نفسه بحال الّا ويصير بدنه بتلك الحال كان بدنه الاخروىّ منكوساً بحيث يكون مشيه على وجهه ورجلاه من اعلاه ، روى انّ رجلاً قال: يا نبىّ الله (ص) كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ـ قال: انّ الّذى أمشاه على رجليه قادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة ، وهذا معنى التّناسخ الملكوتىّ وقد يتقوّى ذلك بحيث يسرى اثره الى بدنه الملكىّ فيصير ممسوخاً [اُولٰئِكَ شَرٌّ مَكاٰناً وَاَضَلُّ سَبيلًا] قال كفّار مكّة لمحمّد (ص) واصحابه: هم شرّ خلق الله فنزل الآية يعنى ان زعموا انّ محمّداً (ص) واصحابه شرّ خلق الله فهم حين يسحبون الى النّار كانوا شرّاً منهم اوفى هذه الدّنيا كانوا شرّاً منهم واضلّ سبيلاً منهم [وَلَقَدْ اٰتَيْناٰ مُوسَى الْكِتاٰبَ] لمّا ذكر حال محمّد (ص) فى رسالته وحال الكفّار فى الانكار ذكر الرّسل الماضية وانكار المنكرين وتدميرهم ليكون تسليةً وتقويةً للرّسول (ص) والمؤمنين وتهديداً للمنكرين [وَجَعَلْناٰ مَعَهُ اَخاٰهُ هٰرُونَ وَزيرًا فَقُلْناَ اذْهَباٰ اِلَى الْقَوْمِ الَّذينَ كَذَّبُوا بِاٰياٰتِناٰ فَدَمَّرْناٰهُمْ تَدْميرًا] لمّا كان المقصود تسلية الرّسول (ص) والمؤمنين وتهديد المنكرين والمعاندين من ذكر رسالة موسى (ع) وهارون اقتصر على ذكر ارسالهما وانكار قومهما وتدميرهم من تفصيل كيفيّة ارسالهما و تدميرهم وكان حقّ العبارة ان يقول ثمّ دمّرناهم لكن اتى بالفاء لايهام انّ التّدمير كان عقيب الرّسالة بلامهلة ليكون ابلغ فى التّقوية والتّهديد والتّقدير فذهبا وبلّغا رسالتهما وداريا القوم مدّةً مديدةً وبالغ القوم فى الانكار حتّى انتهوا فى انكارهم الى ابطال فطرتهم فدمّرناهم [وَقَوْمَ نُوحٍ] عطف على مفعول دمّرناهم وقوله تعالى [لَمّاٰ كَذَّبُوا الرُّسُلَ] استيناف كلام جواب لسؤال مقدّر اومفعول لاذكر محذوفاً ومعطوف على قوله لقد آتينا موسى الكتاب فانّه فى معنى اذكر موسى (ع) وقومه وما بعده مستأنفٌ اومفعول لمحذوف يفسّره مابعده وليس من باب شريطة التّفسير لعدم جواز تسلّط مابعد لمّا على ماقبلها، ونسب تكذيب جميع الرّسل (ع) اليهم امّا لأنّهم كانوا انكروا الرّسالة اولانّهم انكروا نوحاً (ع) ومن سبق عليه اولانّ انكار واحدٍ من الرّسل مستلزم لانكار جميع الرّسل (ع) [اَغْرَقْناٰهُمْ] جميعاً [وَجَعَلْناٰهُمْ لِلنّاٰسِ اٰيَةً] دالّة على قدرتنا وسخطنا على من خالف رسلنا بحيث لايخفى على احدٍ [وَاَعْتَدْناٰ لِلظّاٰلِمينَ] يعنى لهم لكنّه وضع الظّاهر موضع المضمر للتّصريح

بانّهم فى تكذيب الرّسل (ع) ظالمون ، او المقصود تهديد مطلق الظّالمين [عَذاباً أَلِيماً] فى الآخرة كما انّ التّدمير والاغراق كانا فى الدّنيا [وَعاداً] عطف على مفعول دمّرناهم اوعلى مفعول جعلناهم اوعلى للظّالمين بطريق الحذف والايصال ، او بالعطف على محلّه او مفعول لاذكر محذوفاً اولاهلكنا محذوفاً [وَثَمُودَ وَأَصْحابَ الرَّسِّ] .

حكاية اصحاب الرّسّ

الرّسّ البئر المطويّة بالحجارة واسم لبئر كانت لبقيّة من ثمود والحفر والاخفاء ودفن الشّيء تحت الشّيء، واصحاب الرّسّ على ماروى عن مولانا امير المؤمنين (ع) كانوا يعبدون شجر الصّنوبر ،وكان لهم اثنتاعشرة قرية على نهر يقال له الرّسّ وسمّوا قراهم بأسماء الشّهور الفرسيّة وكان فى كلّ شهرٍ عيد لهم فى قرية من قراهم ، وأخذوا أسماء الشّهور من اسماء تلك القرى أخذوا لكلّ شهرٍ اسم القرية الّتى كان فى ذلك الشّهر عيد تلك القرية، وكان فى كلّ قريةٍ شجرة يعبدونها ويجتمعون عندها فى موسم العيد ، وكان الشّيطان يحرّك تلك الشّجرة بعد الاجتماع عندها وعبادتها ويتكلّم معهم ويصيح من ساقها قد رضيت عنكم عبادى فطيبوا نفساً ، واذاكان عيد قريتهم الكبيرة اجتمعوا عند الشّجرة العظيمة الّتى فيها اكثر ممّا اجتمعوا فى سائر القرى وذبحوا القرابين اكثر ممّا ذبحوا فى سائر القرى وكان الشّيطان يتكلّم من جوف تلك الشّجرة كلاماً جهوريّاً ويمنّيهم اكثر من السّابق،فلمّا تمادوا فى ذلك ارسل الله تعالى اليهم نبيّاً من ولد يهودا بن يعقوب فمكث يدعوهم الى التّوحيد زماناً طويلاً فلمّا رأى تماديهم فى الطّغيان دعا الله ان ايبس اشجارهم فيبست فلمّا رأوا أشجارهم قديبست صاروا فرقتين؛ فرقة قالوا سحر هذا آلهتكم ، وفرقة قالوا غضب آلهتكم حين رأت هذا الرّجل يصرف وجوه النّاس عنها ولم تغضبوا لها، واجمعوا على ان يدفنوه فى نهر الرّسّ تحت الشّجرة الكبيرة ودفنوه حيّاً تحت نهر الرّسّ، فسمّاهم الله اصحاب الرّسّ لكونهم اصحاب القرى الواقعة على نهر الرّسّ اولدفنهم نبيّهم حيّاً ، فغضب الله فأرسل عليهم ريحاً شديدة الحمرة وصارت الارض من تحتهم حجر كبريتٍ تتوقّد و اظلّتهم سحابة سوداء فألقت عليهم كالقبّة جمراً يلتهب فذابت ابدانهم كما يذوب الرّصاص فى النّار، وقيل : الرّسّ نهر بناحية آذربايجان، روى انّه دخل على الصّادق (ع) نسوة فسألته امرأة منهنّ عن السّحق فقال: حدّها حدّ الزّانى فقال المرأة : ماذكر الله عزّوجلّ ذلك فى القرآن؟- فقال: بلى، فقالت: واين هو؟-قال (ع): هنّ اصحاب الرّسّ ، وفى خبرٍ: دخلت امرأة مع مولاة لها على ابى عبدالله (ع) فقالت ما تقول فى اللّواتى مع اللّواتى؟- قال (ع): هنّ فى النّار الى ان قالت: ليس هذا فى كتاب الله ؟- قال: نعم، قالت: اين هو؟-قال (ع): قوله: وعاداً وثمود واصحاب الرّسّ فهنّ الرّسّيّات، وفى خبرٍ: انّ سحق النّساء كانت فى اصحاب الرّسّ ، وقيل : انّ الرّسّ اسم بئرٍ رسوا فيها نبيّهم اى القوا فيها ، وقيل: اصحاب الرّسّ كانوا اصحاب مواشٍ ولهم بئر يقعدون عليها وكانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيباً فكذّبوه فانهار البئر وانخسفت بهم الارض فهلكوا ، وقيل: الرّسّ قرية باليمامة قتلوا نبيّهم فأهلكهم الله ، وقيل: الرّسّ بئر بانطاكية قتل اهلها حبيباً النّجّار فنسبوا اليها [وَقُرُوناً] جمع القرن والقرن له معانٍ عديدة لكنّ المناسب ههنا ان يكون بمعنى الامّة الهالكة الّتى لم يبق منهم احد ، او اهل زمانٍ واحدٍ او الامّة بعد الامّة [بَيْنَ ذٰلِكَ] المذكور من قوم نوحٍ وعادٍ وثمود واصحاب الرّسّ وقوم موسى [كَثِيراً وَكُلًّا ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ] يعنى كلّاً من الامم الهالكة اجريناله حكاياتٍ عديدة من الماضين مهدّدة من سخطنا ومرغبّة فى رحمتنا كما ضربنا لامّتك الامثال العديدة بهذا المنوال [وَكُلًّا تَبَّرْنا] التّبر الكسر والاهلاك كالتّتبير [تَتْبِيراً وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ] وهى قرى قوم لوطٍ امطرت بالحجارة [أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها] حتّى يعتبروا بها ولايحتاجوا فى التّنبيه والتّهديد الى غيرها [بَلْ] رأوها ولكن

[كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا] لعدم اعتقادهم بالحشر او ليأسهم من رحمة الله فيكون المعنى لايرجون نشوراً للثّواب [وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا] الهزؤ بالضّمّ والسّكون والهزُؤ بالضمّتين مصدرا هزء به ومنه كمنع وسمع بمعنى سخر منه قائلين تهكّماً بك وتحقيراً لك [أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا] وهذا الكلام منهم لغاية التّحقير والاستهزاء لاتيانهم بالاستفهام التّعجّبىّ الدّالّ على منافاة حاله لرسالة الله لحقارته، وباسم الاشارة القريبة الدّالّ على تحقيره، وببعث الله ايّاه رسولاً على سبيل التّسليم من حيث انّهم جعلوا البعث صلة للموصول دالّة على تحقّقه وتسليمه مع انكارهم له وهذا مبتدء والّذى خبره اوصفته وخبره قوله [إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا] ان مخفّفة من الثّقيلة اونافية على قول يعنى انّه لكثرة ما يدعو ويصرّ على الدّعاء الى آلهة، وكثرة مايحاجّ بما يزعمه برهاناً، وكثرة مايظهره ممّا يزعمه معجزة يكاد بصرف وجوهنا [عَنْ آلِهَتِنَا] الى آلهة [لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا] جواب لولامحذوف بقرينة السّابق اى لكاد يضلّنا فهو بمنزلة القيد لقوله ان كاد ليضلّنا [وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ] حال الاحتضار اوفى البرازخ اوفى القيامة [مَنْ أَضَلُّ] منك ومنهم [سَبِيلًا] لمّا دلّ قولهم ان كاد ليضلّنا عن آلهتنا على انّه ضالّ ويريد اضلالهم قال تعالى: سوف يعلمون من اضلّ سبيلاً [أَرَأَيْتَ] خطاب لمحمّد (ص) والرّؤية من رؤية البصر اورؤية القلب او الخطاب عامّ [مَنِ اتَّخَذَ] من موصولة ومفعول لرأيت او استفهاميّة ومفعول معلّق عنه العامل [إِلَٰهَهُ هَوَاهُ] قدّم المفعول الثّانى للاهتمام به والهوى مقصوراً المحبّة والعشق فى الخير والشّرّ والمهوىّ كذلك لكن اذا اضيف الى الانسان اوالى نفسه يتبادر منه الهوى فى الشّرّ بالنّسبة الى الانسانيّة، والآله هو الّذى يعبده الانسان يعنى يطيعه فى اوامره ونواهيه ويجعل غاية حركاته وسكناته الّتى يسمّيها عبادة رضاه، ولمّا كان الانسان ما لم يصر بالنّسبة الى الله والشّيطان كالمدارك بالنّسبة الى النّفس ذاوجهين وجه الى نفسه ووجه الى عقله ووجهه النّفسانىّ يأمره بمهويّات النّفس الّتى فيها هلاكه وضلاله، ووجهه العقلانىّ يأمره بمرضيّات العقل الّتى هى مرضيّات الله ومأموراته، وبعبارة اخرى مالم يخرج الانسان من حكم نفسه ولم يتمكّن فى اتّباع الرّحمن او الشّيطان كان عليه حاكمان حاكم آلهىّ عقلانىّ وحاكم شيطانىّ نفسانىّ هذا يزجره وذاك يغويه، فاذا اتّبع الشّيطان فى اغوائه والنّفس فى هواها وارادانها ومهويّاتها تدرّج فى المحكوميّة للشّيطان والنّفس بحيث تمكّن فى ذلك ولم يبق فيه مدخل ومخرج للعقل والملك والرّحمن، ولا يقبل حكم الله بتوسّط الملك والعقل، ولا يحبّ مرضيّات العقل ولايطلبها بل يطيع الشّيطان فى امره بطلب المهويّات والمهويّات فى جذبها الّذى هو أمرها التّكوينىّ والارادات فى تسخيرها له الّذى هو امرها فيكون الشّيطان معبوداً له اوّلاً كماقال تعالى حكاية اقول الملائكة بل كانوا يعبدون الجنّ اكثرهم بهم مؤمنون لكن من حيث لايشعرون بل يحسبون انّ الله يعبدون ثمّ المهويّات ثانياً ثمّ الاهوية والارادات ثالثاً ونعم ماقيل:

ای هواهای تو خدا انگیز　　زین خداهای توخدا بیزار

[أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا] حتّى تحزن على اتّباعهم الهوى وعدم استماعهم منك وتضيق صدراً به؛ والوكيل فعيل بمعنى المفعول من وكل اليه الامر سلّمه اليه وتركه، وتعديته بعلى بتضمين مثل معنى الرّقيب [أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ] فى مقام التّقليد [أَوْ يَعْقِلُونَ] فى مقام التّحقيق فانّ السّماع اوّل مقام العلم الّذى هو مقام التّقليد، والتّعقّل آخر مقامه الّذى هو مقام التّحقيق والتّحقّق واليهما اشار تعالى بقوله تعالى: انّ فى ذلك لذكرى لمن

كان له قلبٌ او القى السّمع وهو شهيد [اِنْ هُمْ اِلّا كَالْاَنْعامِ] فى عدم التّدبّر وعدم تذكّر المقصود من التّخاطب وفى كونهم محكومين بحكم شهوتهم وغضبهم من دون رادع يردعهم من أنفسهم [بَلْ هُمْ اَضَلُّ سَبِيلًا] لانّ الانعام مفطورة على اتّباع الشّهوات والغضبات وليست ضالّة عن طريقها المفطورة عليها، وانّما ضلالها يكون بالنّسبة الى الانسان وطريقه والانسان مفطورٌ على السّلوك الى الله والخروج من جملة الحدود والتّعيّنات واللّحوق بعالم الاطلاق، فاذا انصرف عن هذا السّير واللّحوق ووقف على بعض مراتب البهائم او السّباع او الشّياطين كان ضالّاً عن طريقه الخاصّة بهِ واضلّ من كلّ ضالٍ، لانّ ضلال كلّ ضالّ سوى الانسان والجانّ يكون بالنّسبة الى طريق الانسانيّة الّتى لا يترقّب منه السّير عليها بخلاف ضلال الانسان فانّه يكون بالنّسبة الى طريقه الّتى يترقّب منه السّير عليها [اَلَمْ تَرَ] الخطاب لمحمّدٍ (ص) فانّه اهل لتلك الرّؤية وينبغى ان يعاتب على تركها ويؤكّد ثبوتها له اوعامّ فانّ غيره ينبغى ان يرى ويوبّخ على تركها [اِلى رَبِّكَ] المضاف وهو ربّه فى الولاية، ومدّ الظّلّ منه عبارة عن صورته المثاليّة الّتى اذا تمكّن القابل للولاية فى الاتّصال بها يرى سعة احاطتها وتصرّفها فيما سواها من غير توقّفٍ الى مضىّ زمانٍ اوقطع مكان والنّقل من مقامٍ اوربّك المطلق، ومدّ الظّلّ منه عبارة عن سعة مفعولاته وكثرة مقدوراته وانتهاء ذلك الظّلّ الى الملكوت السّفلى وعالم الجنّة والشّياطين، او المراد بالظّلّ هو الّذى خرج من انانيّته وحيى بحيوة الله وبقى ببقاء الله وهم الانبياء والاولياء (ع) فانّهم بالنّسبة الى الله كالظّلّ بالنّسبة الى الشّاخص من حيث انّه لا انانيّة له من نفسه ولا استقلال ولا بقاء كما قيل:

سايهٔ يزدان بود بندهٔ خدا	مردهٔ اين عالم و زندهٔ خدا
كيف مدّ الظل نقش اولياست	كاو دليل نور خورشيد خداست
دامن او گير زوتر بيگمان	تا رهى از آفت آخر زمان
اندرين وادى مروبى اين دليل	لا احبّ الآفلين گوچون خليل

[كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ] قيل على ظاهر التّنزيل: الم ترالى فعل ربّك، وقيل معناه: الم تعلم، وقيل: انّ هذا على القلب والتّقدير الم ترالى الظّلّ كيف مدّه ربّك، وقيل: المراد بالظّلّ ما بين الطّلوعين فانّه ظلّ ممدود غير مقطوع، وقيل: المراد بالظّلّ ما بين غروب الشّمس الى طلوعها [وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِنًا] غير ممدود وغير متحرّكٍ الى المدّ اوجعله ساكناً من السّكنى بمعنى الاقامة فانّه لوشاء الله لم يظهر الشّمس حتّى يكون الظّلّ دائماً، اولم يتبدّل اوضاعها حتّى يكون الظّلّ بحال واحدة، اولم يرجع الفانى الى البقاء اولم يذهب بالرّاجع الى البقاء الى حضرته فيكون نبىّ واحد وولىّ واحد فى جملة ادوار العالم اولم يذهب بالمكوّنات ولم يخرجها من القوى الى الفعليّات اولم ينزل الوجود من عالم الارواح الى عالم الاكوان [ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا] يعنى لوشاء لجعل الشّمس على الظّلّ دليلاً لكنّه لم يشأ فجعل الظّلّ دليلاً على الشّمس فانّه بجملة معانيه وبطونه يدلّ على الشّمس، اوالمعنى ثمّ لوشاء لجعل الشّمس عليه دليلاً لكنّه شاء وجعل الشّمس دليلاً على الظّلّ لمن رقى عن رؤية افعال الله الى مشاهدة ذاته فى مظاهر جماله، اوالمعنى الم تر كيف مدّ الظّلّ ثمّ كيف جعل الشّمس عليه دليلاً لمن صار كذلك وعلى هذين المعنيين فالاتيان بثمّ للاشعار بانّ دلالة الشّمس على الظّلّ مع انّها مدلولة للظّلّ فى اوّل الامر لاتكون بعد مشاهدة فعل الله فى جملة الافعال الّا بتراخٍ كما انّ الالتفات من الغيبة الى التّكلّم للاشارة الى انّ دلالة الشّمس على مصنوعاته لاتكون الّا بعد حصول مقام الحضور [ثُمَّ قَبَضْناهُ] بعد المدّ [اِلَيْنا قَبْضًا يَسِيرًا] لفظ الينا كالتّصريح بانّ المقصود من الظّلّ هو الانبياء والاولياء (ع)، وجملة الموجودات وقبض ظلّ الشّمس بعد المدّ محسوس، وقبض

الانبياء والاولياء(ع) وقبض جملة الخلق ايضاً محسوس فانّ المكوّنات كلّها من اوّل خلقتها الّتى هى مدّ الظّلّ تكون فى الخروج من القوى الى الفعليّات وفى طرح النّقائص والاعدام وهذا الخروج والطّرح هو قبض الرّبّ ايّاها اليه، واليسير اشارة الى التّدريج فى القبض [وَهُوَ الَّذى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِباساً] عطف على الم تر كيف مدّ الظّلّ باعتبار المعنى، فانّه فى معنى هو الّذى مدّ الظّلّ والمراد باللّباس الثّوب فانّ ظلمة اللّيل السّاترة للاشخاص عن الانظار شبيهة باللّباس السّاتر للابدان من الانظار، او الاختلاط فانّ اللّيل سبب لاختلاط القوى وآثارها، او الاجتماع مقابل النّشر فى النّهار فانّ اللّيل وقت لاجتماع الاشخاص فى البيوت واجتماع القوى والارواح فى الباطن [وَالنَّوْمَ سُباتاً] اى سبب قطع من الدّنيا ومشاغلها او سبب راحة اونوم [وَجَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً] اى سبب نشور، ولمّا كان المقام للامتنان بتعداد النّعم وتكرار النّعم والبسط فيها كان مطلوباً كرّر جعل ههنا ولمّا كان النّوم من نعم اللّيل كأنّه لم يكن نعمة على حيالها لم يكرّر جعل هناك [وَهُوَ الَّذى اَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ] فانّ الرّياح الصّوريّة وقت الشّتاء والرّبيع تحرّك السّحاب وتصير سبباً لامطار المطر، واطلاق الرّحمة على المطر شائع فى العرب والعجم، ورياح الغموم والاخاويف والاسقام والقبضات والبلايا وسائر ما لايلايم الانسان تبشّر بضدّ ذلك فانّ مع العسر يسرين وقد سبق فى سورة الاعراف اختلاف القراءة فى بشراً وغير ذلك [وَاَنْزَلْنا] لمّا كان الامتحانات الآلهيّة موجبة لترقّى السّالك عن مقام الغيبة الى مقام الحضور ويكون الامتحان فى الغياب قال ارسل الرّياح بالغيبة وانزلنا بالالتفات من الغيبة الى الحضور [مِنَ السَّماءِ] اى السّحاب اوجهة العلو بعد ارسال الرّياح [ماءً طَهُوراً] اى طاهراً فى نفسه مطهّراً لغيره من الاخباث والاحداث فانّ الطّهور للمبالغة فى الطّاهر، والبالغ فى الطّهارة هو الّذى يكون لشدّة طهارته مورثاً لطهارة مجاوزه، وتوصيف الجنس بهذا الوصف يدلّ على انّ الماء ما لم يخرج من حدّ اطلاق هذا الاسم ولم يصر مضافاً ومغلوباً لوصف غيره لم يسلب عنه هذا الوصف قليلاً كان ام كثيراً وارداً على المتنجّس ام وارداً عليه المتنجّس او ملاقياً له غسالة ام غيرها، كما افتى به بعض الفقهاء رضوان الله عليهم، لكنّ الاحتياط طريق الرّشاد خصوصاً فى البلاد الّتى يكون الماء بها كثيراً حيث لاينجرّ الى تعسّر وتبذير واسراف [لِنُحْيِىَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً] موت البلاد بسكون عروق اراضيها و حبوبها عن الهيجان و الحركة و النموّ وحيوتها بهيجان تلك و نبتها و نموّها [وَنُسْقِيَهُ] اى الماء الطّهور [مِمّا خَلَقْنا] بعضاً ممّا خلقنا [اَنْعاماً] مفعول نسقيه، وممّا خلقنا حال مقدّم او ممّا خلقنا مفعوله على كون من التّبعيضيّة اسماً او قائماً مقام الاسم وانعاماً بدل اوحال منه [وَاَناسِىَّ] جمع الانسىّ بمعنى الانسان اوجمع الانسان باسقاط النّون والاتيان بالياء عوضاً عنها اوبابدالها ياءً [كَثيراً] قد يوحّد الكثير للجميع وقد يطابق ونكّر الانعام وخصّها بالذّكر من بين سائر الحيوان لانّ كثيراً من الانعام تسقى من الانهار، وكثيراً من الحيوان غنيّة من الماء، وبعضها يطلب الماء فى المسافات البعيدة، ونكّر الاناسىّ لذلك، وقدّم احياء الارض وسقى الانعام على سقى الانسان لانّ احياء الارض وسقى الانعام ليس الّا للانسان وعمدة منافعه واسباب تعيّشه منوطة بهما فكان الاهتمام بهما فى مقام تعداد النّعم اكثر من سقى الماء الانسان [وَلَقَدْ صَرَّفْناهُ] اى امر ولاية علىّ(ع) فانّه المعهود على الاطلاق والمنظور من كلّ قول وخطاب، اوصرّفنا تعداد النّعم فى القرآن وسائر الكتب وعلى السنة خلفائنا اوصرّفنا المطر فى البلدان والبرارى والبحار وفى الاوقات وفى الاوصاف بجعله وابلاً وطلّاً ورضراضاً وثلجاً وبرداً ومتتابعاً وغير متتابع [بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا] بذلك ويقرّوا بالمبدء والمعاد [فَاَبى اَكْثَرُ النّاسِ] الّذين نسوا الآخرة ولم يكن لهم همّ الّا حيوتهم الدّنيويّة [اِلّا كُفُوراً] بالولاية اوبالنّعم المعدودة من حيث انعامنا

اوبنعمة المطر وانعامنا به، عن ابى جعفر (ع) انّه قال: فأبى اكثر النّاس من امتّك بولاية علىّ (ع) الّا كفوراً [وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا] لكن لم نشأ لعدم اقتضاء الحكمة ذلك فانّ توحيد الرّسول (ص) تفخيم لشأنه وتوحيد لجهة توجّه الخلق وفى هذا التّوحيد اصلاحهم وتكميلهم [فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ] بالله اوبك اوبالولاية فى اراداتهم واهويتهم [وَجَاهِدْهُمْ بِهِ] بالقرآن اوترك طاعتهم اوبعلىّ (ع) [جِهَادًا كَبِيرًا وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ] ارسل وخلّى [الْبَحْرَيْنِ] البحر العذب والبحر الاجاج [هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ] العذب من الطّعام والشّراب كلّ مستساغ، والفرات البالغ فى العذوبة [وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ] الملح ضدّ العذب، والاجاج البالغ فى الملوحة [وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا] حاجزاً من قدرته بحسب التّنزيل ومن عالم سوى العالمين ومن شيء سوى البحرين بحسب التّأويل [وَحِجْرًا] الحجر بالتّثليث المنع ويستعمل فى المانع والحرام [مَحْجُورًا] تأكيد للحجر مثل ظلّ ظليل، قيل: ذلك مثل دجلة تدخل البحر وتشقّه ولايغيّر احدهما طعم الآخر، وقيل: ذلك مثل الانهار العظيمة جعل الله بينها وبين البحار العظيمة برزخاً من الارض مانعاً من اختلاطها، او المراد بالبحرين بحر الفاعليّة الّتى هى عين ذات الفاعل وبحر القابليّة الّتى هى عين ذات القابل، وبالبرزخ الصّور المنطبعة الّتى هى بوجه من جهة القابل، وبوجه من جهة الفاعل، وهى برزخ مانع من اختلاط الفاعليّة بالقابليّة وتدنّسها بها، وهلاك القابليّة بالفاعليّة، او البحران عالم الارواح المجرّدة الصّرفة وعالم الاجسام المادّيّة، والبرزخ عالم البرزخ وعالم المثال المانع من فناء الاجسام بالارواح واختلاط الارواح بالاجسام، او البحران عالم الاجسام المادّيّة وعالم المثال ومافوقه والبرزخ عالم البرزخ المعبّر عنه بهورقوليا، او البحران الملكوتان السّفلىّ والعلوىّ والبرزخ عالم الاجسام المانع من ظهور احدهما على الآخر فانّه لو ظهر احدهما على الآخر لفنى الملكوت السّفلىّ وهلك، او البحران عالم الاجسام وعالم المثال والبرزخ عالم النّفوس الحيوانيّة وكلّ هذه كما هى جارية فى العالم الكبير تجرى فى العالم الصّغير [وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ] اى ماء البحرين فانّ المناسب لذكره فى ذيل البحرين ان يكون اللّام للعهد يعنى عوضاً عن المضاف اليه، اومن النّطفة فانّ الانسان مخلوق من النّطفة الّتى هى امشاج من الطّينتين السّجّينيّة والعلّيّنيّة اللّتين هما من البحرين [بَشَرًا] البشر الانسان ذكراً كان اوانثى واحداً اوغيره وقد يثنّى ويجمع لكن اطلاق البشر على الانسان باعتبار جسمانيّته المحياة بروحانيّته [فَجَعَلَهُ] بعد ما خلقه [نَسَبًا] اى منسوباً اومنسوباً اليه اوذا نسب والنّسب القرابة مطلقة اومن جانب الأب [وَصِهْرًا] اى جعله قرابة بالنّسب وقرابة بالمصاهرة فانّ الصّهر مطلق القرابة او الانتساب بالمصاهرة وهو المراد كما انّ المراد بالنّسب الانتساب بالتّوالد، وورد انّ المراد بالبشر آدم (ع) وحوّاء (ع) خلقهما من الماء بان جعل جزء مادّتهما الماء اوخلقهما من امتزاج الماء العذب الفرات والماء الملح الاجاج، وخلق حوّاء من ضلعه الايسر فصارا ذوى نسب وزوّج حوّاء آدم فصارا ذوى صهر، وفى اخبار عديدة مضمون انّ المراد بالبشر محمّد (ص) وعلىّ (ع) و انّ الله خلق ماءً تحت العرش قبل ان يخلق آدم واسكنه فى لؤلؤ خضراء فى غامض علمه الى ان خلق آدم فلمّا خلق آدم نقل ذلك الماء من اللّؤلؤ فأجراه فى صلب آدم الى ان جعله الله فى صلب عبدالمطّلب ثمّ شقّه نصفين ومحمّد (ص) وعلىّ (ع) من ذينك النّصفين فصارا ذوى نسبين، وتزوّج علىّ (ع) فاطمة (ع) فصارا صهرين، وانّ الآية فى محمّد (ص) وعلىّ (ع) وفاطمة (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) وهم البشر وجعلهم الله ذوى نسب وصهر [وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا] على خلق البشر من الماء وجعله نسباً وصهراً [وَيَعْبُدُونَ] اى المشركون او الكافرون او المحجوبون فى حجب الاجسام

اوالغافلون اوالمنكرون للولاية وهوالمنظور [مِنْ دُونِ اللهِ ما لا يَنْفَعُهُمْ] من الاشجاروالاحجاروالكواكب والاصنام والجنّ والشّياطين والاهوية والمهويّات ورؤساء الضّلالة [وَلا يَضُرُّهُمْ وَكانَ الْكافِرُ] عطف فى معنى الاضراب كأنّه قال: بل كانوا لكنّه وضع الظّاهر موضع المضمر ليكون تصريحاً بذمّهم بالكفر وتعليلاً للحكم، والمراد بالكافر احد الاصناف المذكورة فانّ كلّاً كان [عَلى رَبِّهِ ظَهِيراً] اى مُظاهراً على ربّه لانّ ربّ الكافر لا يظهر الّا بالفطرة الانسانيّة الّتى هى الولاية التّكوينيّة او اللّطيفة العقلانيّة وتلك الفطرة مظهر للرّبّ فى الولاية وللرّبّ المطلق والكافر باىّ معنىً كان ساتر لتلك اللّطيفة والسّاتر لتلك اللّطيفة نابذ لها خلف ظهره ومُظاهر للشّيطان على تضعيفه تلك الفطرة فى جملة افعاله سواء كانت بصورة العبادات ام لا ، لانّ السّاتر لتلك اللّطيفة يكون توجّهه فى فعله الى غيره وكلّ فعل منه خروج من القوّة الى الفعليّة والخروج من القوّة الى الفعليّة اذا لم يكن بالتّوجّه الى تلك اللّطيفة صار صاحبه بتلك الفعليّة بعيداً من تلك اللّطيفة حتّى تنقطع منه وصار مرتدّاً فطريّاً غير مرجوّ منه الخير وغير مقبول التّوبة، واشير فى الاخبار الى انّ المراد بالكافر مخالف الولاية وبربّه علىّ (ع)، وقيل: المراد بالكافر ابو جهل وبربّه محمّد (ص)، ولا بنا فى ذلك التّعميم كما عرفت وجهه [وَما أَرْسَلْناكَ إِلّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً] تسلية له (ص) ورفع للحرج عنه كأنّه ضاق صدره من كفرهم وكونهم مظاهرين عليه وتحرّج على ان لا يقدر على تغييرهم عن كفرهم [قُلْ] يا محمّد (ص) تسلية لقلبك ومتاركة معهم واتماماً للحجّة عليهم [ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ] اى على الارسال اوعلى التّبشير والانذار [مِنْ أَجْرٍ] اى شيئاً من الاجر حقيراً حتّى تتّهمونى بانّ ادّعائى لذلك ليس من الله [إِلّا مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ] فى الولاية اوربّه المطلق [سَبِيلاً] اىّ سبيل كان ؛

اعلم ، انّ شأن الرّسالة ليس الّا الانذار من التّوقّف فى مسبع النّفس والتّخويف من مخاوف الوقوف على المشتهيات النّفسيّة الّتى توجب دخول النّار مع الكفّار كما قال : انّما انت منذر بطريق الحصر وانّ المقصود من قبول الرّسالة والبيعة الاسلاميّة ليس الّا الاهتداء الى الايمان الّذى هو طريق الى الله ، وقد علمت انّه لا يحصل الّا بقبول الولاية والبيعة الايمانيّة فالاسلام فى الحقيقة مقدّمة للايمان ودلالة على الطّريق الى الله فلم يكن مقصود الرّسول (ص) من تبليغه الّا ايمان المؤمن لا اسلام المسلم الّا من باب المقدّمة ولانّه يصير المؤمن بشأن ايمانه من اظلال الرّسول (ص) من حيث ولايته واجزائه صحّ ان يقول الرّسول لا اطلب منكم على متاعب رسالتى الّا ذات من شاء ان يتّخذ الى ربّه سبيلاً ، اى من شاء ان يصير مؤمناً وقابلاً للولاية واترك الكفّار الّذين هم اموات ولا تنظر اليهم والى ما فعلوا من عبادة غير الله و من ايذائك فانّهم لا حراك لهم الّا بالله وكل امورك الى الله [وَتَوَكَّلْ] واعتمد [عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لا يَمُوتُ] اى على الحىّ بالذّات فانّ من يموت يكون حيوته عرضيّة يعنى لا تر الافعال من غير الله بل كن فانياً من نسبة الافعال الى غيره وانظر الى علمه تعالى وقدرته وارادته بالذّات فانّ الحيوة يستلزمها واذا كانت ذاتيّة كانت تلك ايضاً ذاتيّة واعلم، انّها فى غير الله بتوسّطه حتّى تعتمد عليه وتكل امورك اليه ولا تنظر الى فعل وارادة وقدرة من غيره فانّ مقام التّوكّل لا يحصل للسّالك الّا بالفناء من فعله والنّظر الى سريان قدرته وارادته وفعله فى الجميع [وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ] اى نزّهه عن جميع مالا يليق به بسبب حمده الّذى هو سعة وجوده فانّ تسبيحه لا يكون الّا تحميده كما مضى فى اوّل الفاتحة انّ تسبيحه عبارة عن سلب النّقائص والحدود عنه ، وسلب الحدود ليس الّا سلب السّلب الرّاجع الى سعة الوجود ، والمراد بالتّسبيح منه (ص) ليس الّا التّسبيح الفعلىّ الّذى هو خروجه عن جميع الحدود وفناؤه عن افعاله وصفاته وذاته يعنى لا تنظر الى حدودك وحدود غيرك وذنوبهم فانّ الله يقلّبهم فى الحدود والذّنوب ويجازيهم على

ما يستحقّونه [وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا] لا حاجة له الى نظرك اليهم [ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ] بدل اوصفة للّذى لا يموت اوخبر مبتدء محذوف ، اومفعول فعل محذوف ، اومبتدء خبره الرّحمن اوقوله فاسئل [وَمَا بَيْنَهُمَا] من الملائكة والمواليد [فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ] قد مضى الآية بتمام اجزائها فى سورة الاعراف وذكرنا هناك كيفيّة خلق السّماوات والارض فى ستّة ايّام وسرّ تعقيب خلقهما باستوائه على العرش باداة التّراخى ، ولمّا كان استواؤه تعالى على العرش الّذى هو جملة المخلوقات بمعنى استواء نسبته الى الجليل والحقير بصفته الرّحمانيّة جعل المسند اليه عنوان وصف الرّحمن [فَسْـَٔلْ بِهِ خَبِيرًا] سألته كذا وعن كذا وبكذا بمعنىً فيجوز ان يكون الباء صلة اسئل وخبيراً مفعوله الاوّل ، اوخبيراً حالاً ومفعوله الاوّل محذوفاً اى اسئله عن حاله حالكونه خبيراً ، اواسئله ذاته حالكونه خبيراً ، ويجوز ان يكون الباء سببيّةً وخبيراً مفعوله الاوّل ويكون الكلام على التّجريد مثل رأيت بزيد اسداً [وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ] عطف على يعبدون وذمّ آخرلهم [ٱسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ] لمّا كان المخاطبون لايدركون من عناوين الله الّا عنوان رحمته الرّحمانيّة علّق الحكم على الرّحمن دون سائر الاسماء [قَالُوا] استهزاءً اواظهاراً للجهل به وسؤالاً عنه اوانكاراً لسجدته [وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ] والاتيان بمادون من ايضاً لذلك [أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا] بالسّجدة له ؛ الاستفهام للانكار كأنّهم انكروا الايتمار بأمره لا السّجدة للرّحمن ولذلك لم يقولوا : انسجد للرّحمن [وَزَادَهُمْ] امرك اوذكر الرّحمن اوذكر سجدة الرّحمن [نُفُورًا] منك اومن أمرك اومن الرّحمن اومن سجدته [تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا] جملة انشائيّة منقطعة عن سابقها والسّماء اعمّ من هذه السّماء المشهودة وعوالم الارواح وسماواتها، والبرج بمعنى الرّكن والحصن والبروج الاثنا عشر المشهورة الموهومة فى الفلك الاطلس المعيّنة بالاشكال الموهومة من كواكب الفلك الثّامن، ويجوز ان يراد بالبروج الكواكب السّيّاره اوالكواكب الكبار المضيئة سيّارة كانت ام ثابتة اومطلق الكواكب فانّ كلّاً منها حصنٌ اومثل حصن اوهى اركان السّماء ، اوان يراد اللّطائف النّبويّة والولويّة المحصور كلّيّاتها فى اثنتى عشرة المنتهى جزئيّاتها الى حدّ المحدودة بحسب الامّهات الى مائة واربعة وعشرين الفاً ، اومائة وعشرين الفاً ، اومائة الف ، وان يراد الانبياء والاولياء(ع) فانّهم بتعلّقهم بابدانهم الارضيّة اركان الارض وبتجرّدهم الذّاتىّ عن ارض الطّبع اركان السّماء ، وان يراد الجهات الفاعليّة المحيية والمميتة والمفيضة للارزاق والمفيضة للعلوم المعبّر عنها باسرافيل وعزرائيل وميكائيل وجبرائيل ، ولمّا كان جميع الخيرات المنتشرة فى العوالم منوطة بالبروج باىّ معنى كانت مدح نفسه فى هذا الجعل بكثرة البركات [وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا] وقرئ سرجاً وعلى قراءة الافراد كان المراد به الشّمس وعلى قراءة الجمع كان المراد جملة الكواكب المضيئة بانفسها [وَقَمَرًا مُّنِيرًا] والمناسب لقراءة الافراد ان يكون البروج هى الكواكب المضيئة بذواتها ، والمراد بحسب التّأويل من السّراج لطيفة الولاية فانّها المضيئة بذاتها ومن القمر لطيفة النّبوّة والرّسالة فانّها كاسبة للنّور من الولاية [وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ] لم يقل وتبارك الّذى جعل اللّيل ولا الّذى جعل اللّيل حتّى يكون تبارك مقدّراً لماذكرنا من انّ جملة خيرات العوالم منوطة بالبروج بخلاف تعاقب اللّيل والنّهار فانّهما وان كانا موجبين لخيرات العالم لكنّهما آلتان لبروز خيرات البروج فى العالم فكأنّه قال: وهو الّذى جعل اللّيل [وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً] لبروز بركات البروج يعنى جعل كلّاً منهما بدلاً من الآخر حتّى انّ من فاته امر فى احدهما قضاه فى الآخر ، اوجعل كلّاً منهما عقيب الآخر اومخالفاً للآخر فى كيفيّة الضّوء والظّلمة والبرد والحرّ [لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا] يعنى انّهما نعمتان عظيمتان للانسان لانّ جميع مصالح معاشه

بل جميع مصالح معاده و معاشه منوطة بتعاقبهما اذا عمّم اللّيل والنّهار لجميع معانيهما التّنزيليّة والتّأويليّة، لكنّهما نعمتان عظيمتان لمن اراد الآخرة مبتدياً كان و مقلّداً وهو الّذى اراد ان يذّكّر او محقّقاً و منتهياً وهو الّذى اراد الشّكور فانّ الشّكور عبارة عن رؤية الانعام فى النّعمة والمنعم فى الانعام ويلزمها صرف النّعمة لما خلقت له وليس الّا فى مقام التّحقيق والخروج عن التّقليد وهذا بمنزلة قوله تعالى: لمن كان له قلب اشارةً الى مقام التّحقيق اوالقى السّمع وهو شهيد اشارةً الى مقام التّقليد [وَعِبادُ الرَّحْمٰنِ] جملة مع مابعدها معطوفة على قوله هو الّذى مرج البحرين اوهو الّذى خلق من الماء بشراً اوعلى قوله يعبدون اوقوله كان الكافر على ربّه ظهيراً اوعلى قوله الّذى خلق السّماوات والارض و ما بينهما الرّحمن اوعلى تبارك الّذى جعل فى السّماء بروجاً اوعلى هو الّذى جعل اللّيل و النّهار خلفةً [اَلَّذينَ يَمْشُونَ عَلَى الْاَرْضِ هَوْناً] صفة لعباد الرّحمن وخبره قوله اولئك يجزون الغرفة اوخبر له اراد تعالى ان يبيّن علائم مقام العبديّة حتّى لايغترّ السّالكون الى الله بما يلوح من التّجلّيات الغيبيّة ولا يظنّوا انّهم وصلوا، ومن الانانيّة واسر النّفس خرجوا ، ومقام العبديّة والحضور حصّلوا؛ فانّ مقام العبديّة لايحصل للسّالك الّا اذا خرج من انانيّته ولم يرفعلا وصفة الّا من الله تعالى، وادنى مراتب هذا المقام بحسب الظّهور فى المظاهر ان ينزّل السّكينة الا لهيّة على السّالك ويشاهدها لابنحو شهود المباين المباين ولابنحو شهود المحلّ للحالّ المنبئ عن الحلول ولابنحو شهود المتّحد للمتّحد المنبئ عن الاتّحاد ، فانّ شيئاً منها ليس من مقام العبديّة بل مقام العبديّة ان يصير السّكينة مالكة ومحيطة بحيث لايبقى للعبد فعل وصفة وذات وارادة وشعور ، لكن مقام الحلول والاتّحاد انموذج عن مقام العبديّة ومخبر عنه وفى هذا المقام يكون العبد مثل من وقع على رأسه طير عزيز بل اعزّ من ذاته لايريد ان يطير عنه بل يرى فناء ذاته فى طيرانه فانّه يبالغ و يجتهد فى ان لا يطير عن رأسه فيجتهد فى خفض صوته وسكون أعضائه فلايحرّك يده ولارجله ولاسائر اعضائه اذا اضطرّ الى تحريكها الابتأنّ ورفق ، وان اراد غيره ان يرفع صوته اويتحرّك اعضاؤه يلتمس عنده ويسأله ان لايرفع ولا يحرّك اعضاءه عنده فلا يمشى صاحبوا السّكينة الّا كما يمشى صاحب الطّير [وَاِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ] يعنى بجهلهم لايعارضونهم بمثل جهلهم فانّ الجاهل لايخاطب من حيث الجهل الّا بما ليس فيه رضى الله و [قالُوا] ليناً بهم [سَلاماً] لئلّا يظهر منهم ما ينا فى حضورهم وما يكرهه الحاضر عليهم [وَالَّذينَ يَبيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِياماً] يعنى انّ لذّة خضوعهم وتذلّلهم ومناجاتهم تغلب على لذّة النّوم والرّاحة فلا ينامون الّا قدر مالابدّ منه ويتذلّلون لربّهم بالسّجود والقيام ويناجونه [وَالَّذينَ] يرون الدّنيا ومشاغلها مانعة من حضورهم وعذاباً لانفسهم ويرون انّ الدّنيا الشّاغلة ليست الّا من جانب جهنّم فيستعيذون بربّهم و[يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنّا عَذابَ جَهَنَّمَ اِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً] الغرام الولوع والشّرّ الدّائم والهلاك والعذاب [اِنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقاماً وَالَّذينَ اِذا اَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا] يعنى انّ عباد الرّحمن علامتهم التّوجّه الى الكثرات والعدالة بينها بان ينظروا الى مالهم من الاموال الدّنيويّة العرضيّة والقوى والحشمة والاعضاء والمدارك وينفقوا ماحقّه ان ينفق منها ويمسكوا ماحقّه ان يمسك، ويعطوا من حقّه ان يعطى، ويمنعوا من حقّه ان يُمنع ، فانّ التّقييد بعدم الاسراف والاقتار يفيد هذا المعنى لانّ الاعطاء لغير المستحقّ اسراف وان كان من فضول المال ومنع المستحقّ اقتار وان كان من اصل المال، ومن هذه العلامة يستفاد وجه اضافة العباد الى الرّحمن دون سائر الاسماء فانّه تعالى برحمته الرّحمانيّة يعطى كلّاً بقدر استعداده [وَكانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَواماً]

عدلاً اومعتدلاً اووسطاً [وَالَّذِينَ لَايَدْعُونَ مَعَ اللهِ اِلٰهًا اٰخَرَ] لا قالاً ولاحالاً فانّ من نزل عليه السّكينة بحيث تصير مالكة له لم يبق له جهة دعاء غير الله [وَلَايَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ] فى العالم الصّغير ولافى العالم الكبير بخلاف من لم يصر عبداً للرّحمن سواء صار عبداً للشّيطان اولغير الرّحمن من اسمائه تعالى فانّه يقتل النّفس المحترمة من القوى الانسانيّة اوالقوى الحيوانيّة فى طريق الانسانيّة بغير الحقّ سواء قتل نفساً فى الخارج اولم يقتل [اِلَّا بِالْحَقِّ] اى بأمر الحقّ اوبسبب امر حقّ من قصاص وحدّ اوبالحقّ المطلق بان يكون يده يد الحقّ.

اعلم، انّه مالم يصر يد القاتل يد الحقّ اومسخّرة لامر الحقّ ومالم يصر لسان الآمر بالقتل لسان الحقّ اومسخّراً لامره لايجوز القتل ولا الامر بالقتل سواء كان ذلك فى قصاص وحدّ ام غير ذلك، ولذلك لايجوز القتل واجراء الحدود الّا من حاكم الٰهىّ اومن يأمره ذلك الحاكم بحيث يكون المأمور مسخّراً لامر الحاكم ومتحرّكاً بأمره، وامّا من لم يكن كذلك فلايجوز له القتل ولا الامر بالقتل كما قيل:

آنكه جان بدهد اگر بكشد رواست نائب است و دست او دست خداست

وعلى هذا كان المعنى لايقتلون النّفس الّتى حرّم الله قتلها الّا بالله اى بيد الله [وَلَايَزْنُونَ] لا يتّبعون الشّهوات.

اعلم، انّ ذنوب الانسان منحصرة فى مقتضيات الشّيطنة والقوّة الغضبيّة والشّهويّة وقد اشار تعالى الى امّهات مقتضيات الثّلاث فانّ دعاء غير الله من مقتضيات الشّيطنة بل نقول مقتضيات الشّيطنة منحصرة فى دعاء غير الله لانّ كلّ اعجاب بالنّفس وكلّ مراياة ومجادلة وغيرها من مقتضيات الشّيطنة دعاء لغير الله، وقتل النّفس من مقتضيات الغضب، والزّنا من مقتضيات الشّهوة، وعلى تعميم قتل النّفس وتعميم الزّنا جملة مقتضياتهما منحصرة فيهما [وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ] المذكور من مقتضيات الثّلاث [يَلْقَ اَثَامًا] عقوبة، اوالاثام كما فى الخبر واد فى جهنّم اوهو من اثمه الله فى كذا كمنع ونصر عدّه عليه اثماً [يُضٰاعَفْ لَهُ الْعَذٰابُ] بدل من قوله يلق اثاماً اومستأنف جواب لسؤال مقدّر [يَوْمَ الْقِيٰمَةِ] ومعنى مضاعفة العذاب انّه يضاعف عذابه فى القيامة بالنّسبة الى عذابه وحدّه فى الدّنيا اويضاعف فى القيامة بالنّسبة الى عذابه فى البرزخ فانّه فى البرزخ يعذّب بعذاب من نفسه بظهور صورة العصيان عليه واذا وصل الى القيامة يعذّب بعذاب من نفسه وبعذاب هو جزاء عمله؛ وبعبارة اخرى يعذّب فى البرزخ بتجسّم عمله وفى القيامة به وبجزائه وليس المراد انّه يضاعف له العذاب بالنّسبة الى استحقاقه حتّى ينافى عدله [وَيَخْلُدْ فِيهِ] اى فى العذاب اوفى الاثام [مُهٰانًا] التّقييد به للاشعار بانّ بعضاً يعذّب لاعلى وجه الاهانة اوهو تأكيد وبيان [اِلَّا مَنْ تٰابَ] بالتّوبة العامّة النّبويّة على يد نبىّ (ص) اوخليفة نبىّ (ص) [وَاٰمَنَ] اى قبل احكام الاسلام بالبيعة العامّة [وَعَمِلَ عَمَلًا صٰالِحًا] بالتّوبة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة والبيعة الخاصّة الولويّة فانّه لاصلاح لعمل الّا بالولاية الحاصلة بالبيعة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة، اوالتّوبة كناية عن الاسلام المشتمل على التّوبة والبيعة العامّة، وآمن كناية عن البيعة الخاصّة الّتى بها يحصل الايمان الخاصّ، والعمل الصّالح عبارة عن العمل بما اخذ عليه فى ميثاقه الّذى هو المراد بالوفاء بعهد الله، والحاصل انّه لابدّ من اخذ الايمان الخاصّ والبيعة الولويّة فى المستثنى حتّى يصحّ ترتّب تبديل السّيّئات حسنات عليه، لانّ ذلك ليس الّا لمن تولّى عليّاً (ع) كما مضى مكرّراً تصريحاً وتلويحاً [فَاُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئٰاتِهِمْ حَسَنٰاتٍ] قد مضى منّا مكرّراً انّ كلّ فعل من الانسان يوجب فعليّة لنفسه وكلّ فعليّة اذا لم تكن مسخّرة للعقل كانت مسخّرة للشّيطان والنّفس، وكلّ فعليّة مسخّرة للشّيطان كانت سيّئة النّفس، واذا تاب الانسان ودخل تحت حكم العقل بواسطة ولىّ الامر يصير جميع فعليّاته مسخّرة تحت العقل وكلّ فعليّة مسخّرة تحت العقل

تكون حسنة النّفس و هذا هو معنى تبديل السّيّئات حسنات، كما انّ محو السّيّئات وتكفيرها وغفرانها عبارة عن ازالة حدودها بلا تعمّلٍ او بتعمّلٍ وستر حدودها فالتّائب على يد علىّ (ع) ان كان لنفسه فعليّة مسخّرة للشّيطان تبدّل تلك الفعليّة بمعنى ان تجعل تلك الفعليّة مسخّرة للرّحمن ، وان كان لنفسه نقائص وحدود تزال تلك الحدود ان كانت يجوز زوالها بتفاوت الزّوال بالتّعمّل وعدمه والّا تغفر وتستر [وَكَانَ اللّٰهُ غَفُورًا] يعنى يغفر له ما لم يبدّل ولم يزل من الحدود اللّازمة لوجوده [رَحِيمًا] يتفضّل عليه برحمته بعد التّبديل والغفران [وَمَنْ تَابَ] على يد محمّدٍ (ص) او يد علىّ (ع) بالتّوبة العامّة او بالتّوبة الخاصّة [وَعَمِلَ صَالِحًا] بالوفاء بعهده الّذى اخذ عليه فى توبته وبيعته [فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللّٰهِ مَتَابًا] كما قال انّ الّذين يبايعونك انّما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم بطريق الحصر وسرّ ذلك انّ الخلفاء حين التّوبة والبيعة ينسلخون عن غواشى الطّبع وانانيّاتهم ويصيرون آلات لله من غير مداخلة انانيّاتهم فى تلك البيعة فالقابل للتّوبة والاخذ للميثاق حين البيعة هو الله تعالى بتوسّط مظاهره الّذين هم كالآلات لله [وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ] الزّور الكذب والشّرك بالله تعالى واعياد اليهود والنّصارى ومجلس الغناء ومايعبد من دون الله والكلّ مناسب ههنا ، والتّحقيق انّ الزّور كلّ عمل او عامل كان منحرفاً عن الطّريق وعن ولاية علىّ (ع)، ومن صار عبداً للرّحمن لايحبّ بل يبغض الزّور فلا يشهده [وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا] بمقتضى عبوديّتهم [كِرَامًا] لايرغبون فيه ولايهتكون حرمة صاحبه [وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ] التّدوينيّة والتّكوينيّة الموجودة فى الآفاق او الانفس وخصوصاً الآيات العظمى سواء ذكّرهم بشر مثلهم او نبىّ او امام او ملك او الله تعالى فى اليقظة او النّوم [لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا] لم يسقطوا عليها [صُمًّا وَعُمْيَانًا] كاكثر النّاس الّذين لايتذكّرون من الآيات الّا جهاتها الدّنيويّة الموافقة لاهويتهم وآمالهم وكانوا صمّاً وعمياناً من جهاتها الاخرويّة [وَالَّذِينَ يَقُولُونَ] بمقتضى حفظهم لحقوق الكثرات ومن جملتها ارحامهم وذوو انسابهم مستدعين من الله بمقتضى جهتهم الالٰهيّة [رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ] يعنى اجعل لنا قرّة اعين ناشئة من ازواجنا او اجعل بعض ازواجنا وذرّيّاتنا قرّة اعين لنا او اجعل لنا اولاداً متولّدة من ازواجنا ومتولّدة من ذرّيّاتنا تكون قرّة اعين لنا ، وقرّة العين بمعنى برده كناية عن السّرور او عن قرارها عن الاضطراب [وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا] ولمّا كان كلّ مرتبةٍ اماماً لسابقتها وكان من صار عبداً للرّحمن مرتبته بعد مرتبة التّقوى فانّه مالم يتمّ التّقوى بالفناء التّامّ لايصير السّالك عبداً للرّحمن كما فى قوله يوم نحشر المتّقين الى الرّحمن وفداً استدعوا اعلى وفوق مقامهم ان يكونوا اماماً للمتّقين امّا بالتّمكين فى هذا المقام او بالبقاء وعدم زواله ، وفى اخبار عديدةٍ انّ الآية فى امير المؤمنين (ع) او فى الائمّة (ع) وفى رواية عن الصّادق (ع) : قد سألوا الله عظيماً ان يجعلهم للمتّقين ائمّة فقيل له كيف هذا يابن رسول الله (ص)؟ـ قال: انّما انزل الله واجعل لنا من المتّقين اماماً، وهذا ممّا أسلفنا فى اوّل الكتاب من سعة وجوه القرآن بقدر سعة مراتب الخلق، وانّ القرآن لامانع من ان يكون نزوله بقراءاتٍ مختلفةٍ بحسب اختلاف النّاس [أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ] يعنى الغرفة المعهودة او البناء العالى والجنّة العالية [بِمَا صَبَرُوا] اى بصبرهم او بالبلايا او الطّاعات الّتى صبروا عليها [وَيُلَقَّوْنَ] من امثالهم من المؤمنين او من الملائكة او من الله [فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا] من ذكر الخاصّ بعد العامّ [خَالِدِينَ فِيهَا] اى فى الغرفة فانّ تمام النّعمة بعدم زوالها [حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا قُلْ] يا محمّد (ص) لهؤلآء الكفّار بعد اتمام اوصاف عباد الرّحمن وجزائهم ترغيباً لهم فى مثلها [مَا يَعْبَؤُا] ما يعتدّ [بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا

دُعَاؤُكُمْ] لله بألستكم القاليّة والحاليّة فانّ الكلّ ما لم يبطلوا الفطرة يدعون الله حالاً وقالاً اومايفعل بعذابكم لولا دعاؤكم مع الله آلهة اخرى ، اوما يعتدّ بكم لولادعاؤه لكم الى الدّين فانّ سنّته جرت بان يدعوا لكلّ الى الدّين، اومايفعل بكم لولا دعاءه لكم الى الدّين، اومايعتدّ لولاعبادتكم له [فَقَدْ كَذَّبْتُمْ] الفاء سببيّة اى كذّبتم الرّسول (ص) اوالله [فَسَوْفَ يَكُونُ] تكذيبكم [لِزَامًا] لكم اى جزاء تكذيبكم يكون لازماً لكم فى الدّنيا كمافى بدرٍ، اوفى الآخرة فانّه يكون عذابها لازماً غير زائلٍ.

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

مكّيّة كلّها غير قوله: والشّعراء يتّبعهم الغاون (الى آخر السّورة)
وهى مأتان وسبع وعشرون آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[طسٓمٓ] قرئ باظهار نون السّين وهو الاصل وقرئ باخفائها بخلاف الاصل لانّ سكونها عرضيّة لا اصليّة [تِلْكَ اٰيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ] قدمضى فى اوّل البقرة وفى غيرها بيان وافٍ لفواتح السّور [لَعَلَّكَ] يامحمّد (ص) [بَاخِعٌ نَفْسَكَ] بخع نفسه قتلها غمّاً [اَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ] بالله اوبرسالتك اوبولاية علىٍّ (ع) ولا ينبغى ان تغتمّ لذلك فانّه ليس خارجاً عن ارادتنا ومشيّتنا لانّا [اِنْ نَشَأْ] ايمانهم [نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ اٰيَةً] من آياتنا الغيبيّة حتّى تسخّرهم تلك الآية وتجبرهم على الايمان المذكور [فَظَلَّتْ اَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ] اى صاروا خاضعين لله اولك لاجل الآية اوخاضعين للآية نفسها ، وجمع الخاضعين جمع العقلاء امّا لكون الاعناق كناية عن انفسهم اولاعطاء حكم المضاف اليه للمضاف لصحّة سقوطه ، وهذا تسلية له (ص) بانّ ابائهم عن الاسلام بمشيّةٍ وارادةٍ من الله فمالك تتحسّر على ماكان بارادته [وَمَا يَأْتِيهِمْ] جملة حاليّة مبدوّة بمضارع منفىّ بماتقدير مبتدء على القول بعدم جواز الواوفيها ، اومن غير تقدير على القول بجواز الاتيان بالواوفيها [مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثٍ] مقتضٍ بواسطة كونه جديداً للاقبال عليه [اِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ فَقَدْ كَذَّبُوا] الفاء لسببيّة مابعدها لماقبلها، اوسببيّة ماقبلها لمابعدها، اولمحض التّعقيب يعنى انّ تكذيبهم للآيات صارسبباً للاعراض عنها ، اواعراضهم عن الذّكر وعدم تدبّرهم فيه صارسبباً لتكذيبها، اوالمعنى كانوا عنه معرضين وبعد الاعراض السّابق كذّبوبك اوبالله اوبالقرآن فى رسالتك اوخلافة وصيّك [فَسَيَأْتِيهِمْ اَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ] ماموصولة والضّمير عائده والمراد منه القول اوالفعل الّذى كانوا بسببه يستهزئون اوالشّيء الّذى كانوا منه يستهزئون، اومامصدريّة والضّمير لمااستهزؤا منه من الرّسول (ص) اوالقرآن اوالله اوعلىّ (ع) وولايته وفى اخبارٍ عديدةٍ انّ المراد بالآية فى هذه الآية الصّيحة الّتى

يسمعها الفتاة فى خدرها للاعلام بخروج القائم (ع) اوركود الشّمس وخروج صدر ووجه فى عين الشّمس آية لخروج القائم (ع) وفى بعض الاخبار انّ هذه الآية نزلت فى القائم (ع) [أَوَلَمْ يَرَوْا] اى هؤلآء المنكرون للرّسالة اوالولاية [إِلَى الْأَرْضِ] ارض العالم الكبير اوالعالم الصّغير [كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ] من المعدن والنّبات والحيوان والانسان [كَرِيمٍ] صفة بيانيّة فانّ كلّاً منهامن جهة يكون كريماً على من احتاج اليه، اوتقييد للزّوج وكون الانسان والحيوان وبعض النّبات زوجاً واضح، اوالمراد بالزّوج ما اقترن بغيره [إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً] دالّة على عدم اهمالنا الانسان الّذى هوارض وسماء بدون اخراج الفعليّات الّتى تكون فيه بالقوّة لانّا هيّأنا الاسباب الطّبيعيّة لاخراج المواليد الّتى تكون فى الارض بالقوّة وتلك الاسباب كالكواكب العلويّة والافلاك المتحرّكة وحركاتها الدّوريّة وانضباط حركاتها الّتى بها ينوط توليد كلّ ما بالقوّة فى الارض وتسهيل الارض لذلك وحرّ الصّيف وبرد الشّتاء واختلاف اللّيالى والايّام وتهييج السّحاب وامطار المطر فى وقت وبقدر ينتفع به فلانهمل الانسان بدون تهيّة اسباب انبات مافيه بالقوّة، ومن جملة اسبابه ارسال الرّسل وانزال الكتب ونصب الاوصياء والخلفاء لهم [وَ] لكن [مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ] اى مذعنين بانّ الانبات منّا اوما كان اكثرهم يؤمنون باللّه اوبرسالتك اوبولاية علىّ (ع) اوما كانوا مؤمنين فى علم اللّه فى الذّرّ [وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ] الغالب فلاتكترث بايمانهم وعدمه [الرَّحِيمُ] برحمته يمهلهم لعلّهم يتوبون [وَإِذْ نَادَىٰ] معطوف على محذوف متعلّق بالعزيز او الرّحيم اى هوالعزيز الرّحيم اليوم واذنادى [رَبُّكَ مُوسَىٰ] او متعلّق بقال ربّ انّى اخاف اومتعلّق بمحذوف معطوف على محذوف اومعطوف على سابقه باعتبار المعنى فانّ السّابق فى معنى اذكر ذلك فكأنّه قال فاذكر ذلك ذكرنا اذنادى ربّك موسى (ع) [أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] وصفهم بالظّلم ليكون كالعلّة للامر [قَوْمَ فِرْعَوْنَ] بدل منه لتعيينهم [أَلَا يَتَّقُونَ] جملة حاليّة بتقدير القول يعنى حالكونهم يقال لهم الايتّقون اومستأنفة من اللّه لانشاء ذمّهم، وقرئ بالخطاب فيكون بتقدير القول والمعنى ائت القوم الظّالمين حالكونك قائلاً لهم الاتتّقون [قَالَ] موسى (ع) [رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي] عن معاشرتهم وتحمّل متاعب المعاشرة مع من لايكون سنخاً لى [وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ] للرّسالة، ظاهر هذا الكلام ان يكون هذا منه استعفاء من الرّسالة كأنّه قال: الرّسالة منك تستلزم سعة الصّدر لانّ الرّسول منك لابدّ له من المعاشرة مع الادانى والاعالى ومشاهدة ما لا يرضاه العقل منهم ولابدّ له من التّكلّم والمجادلة مع فصحائهم ومناطيقهم ولوكان بلسانه لكنة لايغلب بل يُغلب وهومناف لرسالتك، ولابدّ ان يكون الرّسول منك رغب فيه وفى معاشرته كلّ احد وانا قتلت منهم رجلاً فيطالبونى بدمه ولا يرغبون فىّ، وهارون سالم من ذلك كلّه فانّ له سعة صدر ولساناً طليقاً وليس بينه وبينهم دم فأرسل اليه لرسالتك، اوالمعنى ارسل الى هارون ليكون معاوناً لى حتّى يكون موافقاً لسائر الآيات وعلى المعنى الاوّل كان موسى (ع) استعفى اوّلاً من الرّسالة وابى اللّه الّا رسالته وبعد ما ابى اللّه الّا رسالته استدعى معاونة هارون [وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ] بعد مااستعفى وعيّن هارون للرّسالة ذكروجهاً آخر لاستعفائه [قَالَ كَلَّا] ردع له عن استعفائه وكأنّه كان بعدقوله كلّا سؤال موسى (ع) معاونة هارون واجابته تعالى لسؤاله كأنّه قال فاجعل لى وزيراً من اهلى هارون اخى اشدد به ازرى واشركه فى امرى كى نسبّحك كثيراً ونذكرك كثيراً فقال تعالى: اجبت مسؤلك [فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا] التّسع اوبأحكامنا وشرائعنا ولاتخافا [إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ] لم يثنّ الرّسول لاستواء

المذكّر والمؤنّث والواحد والاكثر فى فعول بمعنى الفاعل وفعيل بمعنى المفعول ، اوللاشارة الى انّه رسالة واحدة والرّسول واحد منهما والآخر معين له [أَنْ أَرْسِلْ] ان تفسيريّة اومصدريّة بتقدير الباء [مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ] يعنى اطلق من الحبس من كان محبوساً بامرك ومن الاستعباد من تستعبدونه [قَالَ] مستأنف جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: فما فعلوا بعد ذلك؟ـ فقال: ذهب موسى (ع) الى مصر واجتمع مع هارون وجاءا معاً الى فرعون فقالا له : انّا رسول ربّ العالمين ارسلنا اليك ان تخلّى عن بنى اسرائيل وترسلهم معنا الى الشّام قال فرعون فى جوابهما خطاباً لموسى (ع) الّذى كان فى حضنه مدّة مديدة [أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا] حملاً له على الاقرار حتّى يخجل عن تلك الدّعوى ويرتدع عن ذلك الادّعاء [وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ] ولم تكن تختلف الى عالم اوحكيم وما كنت ترتاض بالمجاهدات والعبادات والرّياضات فكيف صرت رسولاً من الله الّذى لا يراه احدٌ ؟! ولا يعلم به عالم ؟! وكنت مادمت فينا سفّاكاً وقتلت نفساً محرّمة فانّ قوله [وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ] كناية عن ذلك [وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ] بنعمتى يعنى كنت فى ذلك القتل بسبب القتل وانت فى هذا اليوم بسبب عدم حفظ حرمتى وحقّ خدمتى من الكافرين بنعمتى فكيف تكون رسولاً ممّن ادّعيت الرّسالة وادّعيت انّه خالق السّماوات والارضين وامّا رأى انّ قتل النّفس ممّا لا يمكنه انكاره اقرّ به و [قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا] ولكن لم اكن بكافر كما نسبت الىّ لانّى كنت موحّداً لله وعارفاً لنعمه وشاكراً له وقتلته باستحقاقه [وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ] اى ضللت طريقى الّتى كنت اريد السّلوك عليها فوقعت عليه اوكنت ضالّاً عن طريق التّوحيد طالباً له، اوكنت ضالّاً عن طريق حسن التّدبير مع الاعداء وهو المداراة معهم [فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ] بسبب ضلالى عن طريق المداراة وقتلى القبطىّ [لَمَّا خِفْتُكُمْ] على نفسى لما وصل الىّ انّ الملأ يأتمرون بى [فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا] من غير كسب لى ومعاناة فى طلبه [وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ] بمحض فضله من غير عمل لى فيه، ولمّا ذكر فرعون بعد ادّعاء موسى (ع) الرّسالة من الله ثلاثة اشياء مانعة من رسالته بترتيب الاضعف فالاقوى اجاب موسى (ع) من الثّلاثة بترتيب الاقوى فالاضعف ؛ فانّه ذكر اوّلاً كونه مربّياً لهم والمربّى لا يجوز ان يكون حاكماً على المربّى، وثانياً لبثه فيهم مدّة مديدة من عمره من غير كسب للكمالات الانسانيّة المقتضية للرّسالة المستلزمة لجميع الكمالات الكسبيّة باعتقادهم ، وثالثاً قتل النّفس المحترمة المنافى للرّسالة من الله من حيث الظّاهر والباطن فانّ الرّسول من الله ينبغى ان يكون بحيث يرغب فيه كلّ احد والسّفّاك لا يرغب فيه اكثر النّاس ، وينبغى ان يكون مطهّراً من جميع مايكون شيناً على الانسان حتّى يستحقّ القرب من الله والرّسالة منه بحسب الباطن، فاجاب اوّلاً بالاعتراف بالفعلة ونفى الكفر المنافى للرّسالة فى تلك الفعلة واثبات الضّلالة الّتى لا تنافى طلب الكمالات الانسانيّة وحصول الرّسالة بل تكون من مقدّمات طلب الكمالات فانّه مالم يعلم الانسان ضلاله لم يطلب هداه ، وثانياً عن ثانى ايراداته بانّ الرّسالة موهبة من الله وليست بكسب الانسان حتّى ينافيها لبثى فيكم من غير كسبى للعلوم العقليّة والشّرعيّة، واجاب ثالثاً عن اوّل ايراداته بانّ تربيتك لم تكن احساناً الىّ بل كانت اساءةً لى لانّك ماربّيتنى بتجشّم من نفسك بل باستعباد قومى فى خدمتى، اوباستعباد قومى فى تحصيل الخدم والحشم والدّولة ، اوباستعباد قومى وقتل اولادهم حتّى خافوا منك وخافت امّى فألقتنى فى النّيل فوقعت فى يدك، اوباستعباد قومى حتّى استعبدت امّى لخدمتى، اواجاب بالاقرار بكون التّربية نعمةً ثمّ استدرك توهّم كونها احساناً بكونها اساءةً فقال او [تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ] فجعل الجملة استفهاميّةً بحذف همزة الاستفهام اوخبريّةً بدون تقدير الاستفهام وتلك اشارة الى التّربية اوالى عبادة بنى اسرائيل اوالى تعبيدتهم ونعمة خبر تلك وان عبّدت بدلاً من تلك اوخبراً

بعد خبر اوخبراً ابتداء اوخبراً لمبتدء محذوف، اومبتدءٌ لخبر محذوف، ويكون الجملة حينئذ مستأنفة جواباً لسؤال مقدّركأنّه قيل: ماهذه النّعمة الّتي انكرتها؟- اوايّ شيء يمنّ بهاعليك حتّى انكرته عليه؟- فقال: هي ان عبّدت بني اسرائيل اوان عبّدت بني اسرائيل تمنّه على سواء كانت في معنى الاستدراك وفي معنى لكن هي ان عبّدت بني اسرائيل اولم تكن [قَالَ فِرْعَوْنُ] بعد ما سمع جوابه عن ايراداته للمجادلة معه بالسّؤال عن اجزاء ادّعائه حتّى يعجزه عن بيان قوله وادّعائه [وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ] الّذى ادّعيت الرّسالة منه، سأله بماهو عن حدّه وحقيقته ولمّالم يكن الله تعالى مهيّة مركّبة حتّى يكون له جنس وفصل عدل موسى (ع) عن جواب ما هو الى الجواب بالاعراض الّذى هو جوابٌ لايّ شيء هوو [قَالَ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا] بدّل الاجمال الّذى في العالمين بالتّفصيل [إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ] من اهل الايقان شرط للتّهييج والتّعيير يعني انتم اهل النّفوس الظّانة والشّاكة ولستم اهل العقول الموقنة [قَالَ] فرعون بعد ما رأى عدم مطابقة الجواب للسّؤال تزييفاً لرأى موسى (ع) وتسفيهاً لعقله [لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ] قوله حيث لايعلم طريقة المحاجّة ويدّعى دعوى عظيمةً ويريد التّفوّق والرّياسة على اهل العالم، ولمّا رأى موسى (ع) استهزاءه به وبجوابه واحتمل ان ينكر مخلوقيّة السّماوات والارض ومربوبيّتهما ويقول انّهما قديمان غنيّان عدل عنه و [قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ] ولمّا رأى فرعون اصراره على جواب ماهو بالاعراض الاضافيّة الّتي هي اضعف الاعراض [قَالَ] خطاباً لقومه مستهزئاً بموسى (ع) [إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ] لانّه لايتنبّه بالتّنبيه ولايرتدع عن غيّه بالرّدع ويصرّ على جهله [قَالَ] مصرّاً على ما اجاب به معرّضاً بعدم تنبّههم بالتّنبيه [رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ] صرّح بسفاهتهم بعد ما صرّح فرعون بجنونه ومقصوده انّ الله الّذى تسأل عنه بما هو لاحدّ له حتّى يجاب بما يطابق السّؤال بل لايمكن تعريفه الّا باضافاته الّتي هي مدركة لنا، واصراركم على مطالبة جواب ماهو لعدم تعقّلكم من الله مايليق بجنابه، ولمّا رأى فرعون اصراره على جوابه الغير المطابق وعدم ارتداعه بالكناية والتّصريح [قَالَ] تهديداً له [لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ] قيل هدّده بأسوء العقوبة لانّه كان له هوّة عميقة لايسجن فيها احدٌ الّا يموت فيها، ولمّا رأى موسى (ع) تهديده [قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ] دالّ على صدقي في دعواى وتوسّل بامارات صدق دعواه [قَالَ] فرعون [فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ] ولمّا كان السّحر شائعاً في زمانه وكان يظهر من السّحرة امثال هذه كثيراً [قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ] ولمّالم يكن السّحر شيناً وعيباً في زمانه لم يكتف به وقال [يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ] حتّى ينزجروا منه ولا يرغبوا فيه وبعد ما اظهر ما ينزجرون منه قال [فَمَاذَا تَأْمُرُونَ] شاورهم في امره استمالةً لقلوبهم [قَالُوا أَرْجِهْ] قد مضى في سورة الاعراف وجوه القراءة في أرجه [وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ

فَأَلْقٰى مُوسٰى عَصٰاهُ فَإِذٰا هِيَ تَلْقَفُ مٰا يَأْفِكُونَ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سٰاجِدِينَ قٰالُوا آمَنّٰا بِرَبِّ الْعٰالَمِينَ رَبِّ مُوسٰى وَهٰارُونَ قٰالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ قٰالُوا لاٰ ضَيْرَ إِنّٰا إِلٰى رَبِّنٰا مُنْقَلِبُونَ إِنّٰا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنٰا رَبُّنٰا خَطٰايٰانٰا أَنْ كُنّٰا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ] قد سبق الآيات بالفاظها أو بمعانيها فى سورة الاعراف وغيرها فلا نعيد بيانها [وَأَوْحَيْنٰا إِلٰى مُوسٰى] بعد ان مكث فيهم مدّة مديدة ً ان اطلب عبادى من فرعون واخرجهم من مصرو [أَنْ أَسْرِ بِعِبٰادِي] الى البحر [إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ] يتّبعكم فرعون وقومه [فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدٰائِنِ حٰاشِرِينَ إِنَّ هٰؤُلاٰءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَإِنَّهُمْ لَنٰا لَغٰائِظُونَ] لمثيرون غيظنا [وَإِنّٰا لَجَمِيعٌ حٰاذِرُونَ] اى انّا لجماعة من عادتنا الجزم والحذر فى الامور ومراعاة العاقبة او المعنى انّا لجماعة من عادتنا الحذر من الاعداء والتّهيّؤ لهم بالقوّة والسّلاح بما امكن ، وقرئ حادرون بالدّال المهملة بمعنى الاقوياء او المسرعون فى طلب الاعداء او حادّون فى النّظر [فَأَخْرَجْنٰاهُمْ مِنْ جَنّٰاتٍ] انيقة ً [وَعُيُونٍ] غزيرة ٍ [وَكُنُوزٍ] عظيمة ٍ فانّ التّنكير ههنا للتّفخيم والتّعجيب [وَمَقٰامٍ كَرِيمٍ] ومنازل بهيّة [كَذٰلِكَ] متعلّق باخرجناهم للتّعجيب يعنى اخرجناهم من ضياعهم وعقارهم وجميع اموالهم مثل هذا الاخراج العجيب الّذى خرجوا بالرّغبة منهم راجين العود اليها ولاجل زيادة التّعجيب عطف عليه قوله [وَأَوْرَثْنٰاهٰا بَنِي إِسْرٰائِيلَ] قبل تمام قصّتهم ويجوز ان يكون كذلك خبر مبتدء ٍ محذوف جواباً لسؤال ٍ مقدّر او متعلّق فعل محذوف كذلك كأنّه قيل: هل امرهم كان كذلك؟! على سبيل التّعجّب اوهل وقع منهم الخروج هكذا؟! فقال: امرهم كذلك ، اووقع الخروج كذلك ، اوكأنّه قيل : هل بقوا بعد الخروج اوهلكوا؟ فقال: هلكوا كذلك [فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ] اى تبعوهم ومشوا على عقبهم حين شروق الشّمس اوادركوهم يعنى بأبصارهم لا بأبدانهم وقت ارتفاع الشّمس [فَلَمّٰا تَرٰاءَ الْجَمْعٰانِ] اى قربا بحيث يرى كلّ منهما الآخر [قٰالَ أَصْحٰابُ مُوسٰى] فزعاً من فرعون [إِنّٰا لَمُدْرَكُونَ] بالابدان كما ادركونا بالانظار وقالوا: انّا لمدركون تأكيداً فى قربهم [قٰالَ] موسى (ع) ردعاً لقومه عن اضطرابهم [كَلاّٰ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي] بالنّصرة والحفظ فلا تبالوا بقرب فرعون وجنوده [سَيَهْدِينِ] الى طريق الخلاص منهم وينجينى من بأسهم ولمّا وصلوا الى البحر وقفوا متحيّرين [فَأَوْحَيْنٰا إِلٰى مُوسٰى أَنِ اضْرِبْ بِعَصٰاكَ الْبَحْرَ] وهو نهر النّيل فضرب البحر [فَانْفَلَقَ] فانشقّ البحر اثنى عشر طريقاً بين كلّ طريق وطريق ماء كالجبل مشبّك بحيث يرى كلّ فريق ٍ صاحبيهم [فَكٰانَ كُلُّ فِرْقٍ] اى كلّ قطعة ٍ من البحر بفرق بها بين طريق ٍ وطريق ٍ [كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ] كالجبل العظيم ، والفرق بالكسر اسم لما انفرق كما انّ الفرق بالفتح مصدر [وَأَزْلَفْنٰا ثَمَّ الْآخَرِينَ] اى قرّبنا فى هذا المكان مكان البحر فرعون وقومه وأدخلنا البحر موسى وقومه [وَأَنْجَيْنٰا مُوسٰى وَمَنْ مَعَهُ] بان اخرجناهم من البحر سالمين [أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ] بان اطبقنا البحر عليهم [إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً] دالّة لقومك على المبدء وعلمه وقدرته [وَ] لكن [مٰا كٰانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ] او المعنى انّ فى ذلك لآية كانت لقوم موسى وماكان اكثرهم مؤمنين بموسى (ع) وآله فلا تحزن انت على عدم ايمان قومك بالله او بك فانّهم

ماشاهدوا مثل ماشاهدوا وما ابتلوا مثل ماابتلوا [وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ] اى على قومك المشركين [نَبَأَ إِبْرٰهِيمَ] حتّى يعلموا قبح الاشراك ويعلموا انّ ابراهيم (ع) ماكان مشركاً ولاينسبوه الى الاشراك ولاينسبوا اشراكهم اليه ولا يدّعوا مع اشراكهم ولاية البيت بانتسابهم الى ابراهيم (ع) [إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا] اى لعبادتها [عَاكِفِينَ قَالَ] ابراهيم (ع) [هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ] اى قولكم [إِذْ تَدْعُونَ] اى تدعونهم اوتدعون شيئاً منهم اومن غيرهم اوتنادون مطلقاً [أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ] بعبادتها [أَوْ يَضُرُّونَ] بترك عبادتها وفى هذا الاحتجاج دليل على انّ من اخذ ديناً لابدّ وان يكون اخذه من حجّة وبرهان اوشهود وعيان ولايجوز الاخذ من تقليد كالعميان ، ولمّا لم يكن لهم حجّة وبرهان التجأوا الى التوسّل بالتّقليد و [قَالُوا] ليس ذلك الّذى قلت [بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ] ابراهيم (ع) [أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ] الّذين توسّلتم بتقليدهم [فَإِنَّهُمْ] اتى بضمير العقلاء بلحاظ كونهم معبودين اوبضمّ الآباء اليهم وتغليبهم على غير العقلاء [عَدُوٌّ لِي] يستوى فى العدوّ الذّكر والانثى والواحد والاكثر [إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ] امّا بتهيئة اسباب المطعوم والمشروب اوبالهام طريق تحصيلهما اوبتسهيل الابتلاع والشّرب [وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ] بتسبيب الاسباب الطّبيعيّة اوبدون الاسباب [وَالَّذِي يُمِيتُنِي] بعد انقضاء اجلى [ثُمَّ يُحْيِينِ] بنفخة الاحياء اوالّذى يميتنى استمراراً ثمّ بعدكلّ موت يحيين وقد سبق فى اوّل البقرة عند قوله تعالى و كنتم امواتاً فأحيا كم تحقيق تامّ لتكرار الاماتة والاحياء للانسان [وَالَّذِي أَطْمَعُ] عدل عن ارجو للاشعار بانّه غير ناظر فيه الى سبب وعمل وتهيّة حصول للمغفرة من قبله فانّ المتبادر من الرّجاء ان يكون الطّمع مسبوقاً باسباب وصول المطموع ومن الطّمع ان يكون الرّجاء غير مسبوق بحصول سبب ووصوله [أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ] يوم الجزاء، ولمّا كان الرّاجع الى الكثرات بعد الفناء فى الله شأنه ان يكون متوسّطاً بين الافراط والتّفريط فى النّظر الى الله وفى النّظر الى الكثرات بحيث لا يغلب رؤية الكثرة على رؤية الوحدة ولارؤية الوحدة على رؤية الكثرة ، وكان خطاءه فى الخروج عن التّوسّط والميل الى احدهما صحّ من الانبياء (ع) نسبة الخطاء الى انفسهم والتّضرّع على الله وسؤال المغفرة منه والاستعاذة من عذابه واظهار الخوف منه فلاحاجة فى الآية الى تجشّم توجيه وتأويل لتصحيح نسبة ابراهيم (ع) الخطاء الى نفسه، ولمّا كان المحبّ حين ذكر اوصاف المحبوب وتصوّر شمائله يشتدّ لوعته ويزداد حرقته وتصوّره له بحيث يكاد يتمثّل اويتمثّل المحبوب عنده التفت (ع) من الغيبة الى الحضور فناداه وخاطبه واستدعى منه فقال [رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا] الحكم القضاء النّافذ والحكومة بين النّاس والامارة عليهم والدّقّة فى العلم والعمل وفى كلّ واحد منهما والكلّ مناسب ههنا والمقصود الرّسالة الكاملة اوالحكم الباطنىّ الّذي هو من آثار الولاية [وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ] بمن كانوا صالحين صلاحاً مطلقاً فانّ الكافر ما لم يبطل استعداده لقبول الاسلام صالح بحسب فطرته واستعداده للاسلام، والمسلم صالح بحسب استعداده لقبول الايمان، والمؤمن صالح للعروج على درجات الايمان الى الفناء فى الله، والفانى صالح للرّجوع والبقاء بالله، والباقى صالح للنّبوّة، والنّبىّ صالح للرّسالة، والرّسول صالح لان يكون من اولى العزم، وصاحب العزم صالح للخلّة والامامة بالمعنى الّذى ليس فوقه درجة، والامام صالح للخاتميّة والجامعيّة بين الكثرة والوحدة كما ينبغى فقال (ع) ألحقنى دون ادخلنى واتى بالصّالحين من غير تقييد للاشارة الى التمكّن فى الصّلاح المطلق وهو صلاح الصّالح الّذى

صار بالفعل من جميع الجهات ولم يبق فيه قوّة واستعداد فلاحاجة الى تأويل فى هذا الدّعاء [وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ] لسان الصّدق يستعمل فى القول الحسن والثّناء الجميل والانسان المعبّر عن الشّخص فى غيابه وحضوره وقد فسّر ههنا بكليهما ففى خبرٍ: لسان الصّدق للمرء يجعله الله فى النّاس خيرٌ له من المال يعنى ذكرٌ خيرٌ وقولٌ حسنٌ وثناءٌ جميلٌ خيرمن المال يأكله ويورثه؛ وقدفسّر بمحمّدٍ (ص) وعليٍّ (ع) والائمّة من نسلهما [وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لِأَبِي] حتّى تهديه الى الطّريق القويم [إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ] عن الطّريق وكان دعاؤه (ع) هذا الاحتمال الهداية له وللوعد الّذى وعده فلمّا تبيّن له انّ فطرته منقطعة وانّه عدوٌّ لله بالذّات والفطرة تبرّأ منه [وَلَا تُخْزِنِي] من الخزى بمعنى الهوان اومن الخزاية بمعنى الحياء [يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ] فانّ النّسب الاعتباريّة الّتى كانت للانسان تصير منقطعةً فى ذلك اليوم لانقطاع الجسم واعتباراته [إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ] استثناءٌ مفرّغٌ اى لاينفع مالٌ ولابنون احداً الّامن اتى الله بقلبٍ سليمٍ فانّ السّليم القلب ماله واولاده كما ينفعانه فى الدّنيا ينفعانه فى الآخرة فانّهما فتنة من الله لعباده فمن امتحنه الله تعالى بهذه الفتنة والامتحان وخرج منهاسليم القلب صار ممّن امتحن الله قلبه للايمان ودخل فى زمرة المؤمنين الممتحن قلوبهم للايمان ولحق بالسّابقين؛ ونعم ما قيل :

مال راكز بهر دين باشى حمول	نعم مالٌ صالحٌ گفت آن رسول
چيست دنيا از خدا غافل شدن	نى قماش و نقره و فرزند و زن
آب دركشتى هلاك كشتى است	آب در بيرون كشتى پشتى است

ولذلك منع تعالى من الانفاق فى غير المحلّ فقال ولا تؤتوا السّفهاء اموالكم الّتى جعل الله لكم قياماً وقدقيل:

منفق و ممسك محل بين به بود	چون محل باشد مؤثّر ميشود
اى بسا امساك كز انفاق به	مال حق را جز باسر حق مده

ويجوز ان يكون الاستثناء متّصلاً من المال والبنون بتقدير مضافٍ اى لاينفع مالٌ ولابنون الّامال من اتى الله بقلبٍ سليمٍ وبنوه ، اومتّصلاً من البنين بدون التّقدير ، ويجوز ان يكون منقطعاً ، وسلامة القلب بان يكون القلب سالماً من الآفات الحادثة من الرّذائل خالياً من الرّذائل ، وفى خبرٍ: هو القلب الّذى سلم من حبّ الدّنيا ، وفى خبرٍ: القلب السّليم الّذى يلقى ربّه وليس فيه سواه ، قال: وكلّ قلبٍ فيه شرك اوشكّ فهو ساقط وانّما أرادوا بالزّهد فى الدّنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة ، وفى خبرٍ: صاحب النّيّة الصّادقة صاحب القلب السّليم لانّ سلامة القلب من هواجس المذكورات تخلص النّيّة لله فى الامور كلّها ثمّ تلاهذه الآية [وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ] حال بتقدير قداو عطف على جملة يبعثون ، والاتيان بالماضى للاشعار بتحقّق وقوعه [وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ] وفى اختلاف الفعلين اشارة الى تشريف المتّقين لانّه يقرب الجنّة منهم لانّهم يساقون اليها ، والى توهين الغاوين بانّ الجحيم تبرز لهم وهم يساقون اليهالاانّهاتزلف لهم [وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ] لفظة ما زائدة اوموصولة [مِنْ دُونِ اللَّهِ] قائمٌ مقام المفعول على الاوّل وحال على الثّانى عن العائد المحذوف اوظرف لغو متعلّق بتعبدون والمعنى اينما كنتم تعبدون من دون اذن الله [هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ] بدفع العذاب عنكم اوانجائكم من معذّبيكم [أَوْ يَنْتَصِرُونَ] اوينتقمون من معذّبيكم اويدفعون العذاب من انفسهم بانفسهم اوبغيرهم على ان يكون مطاوع نصر [فَكُبْكِبُوا فِيهَا] اى اسقط الآلهة على رؤسهم اوعلى وجوههم فى الجحيم [هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ] من بنى آدم

وبنى الجانّ فيكون من قبيل ذكر العامّ بعد الخاصّ اومن بنى الجانّ فيكون من قبيل عطف المباين [اَجْمَعُونَ قَالُوا] اى العابدون [وَهُمْ] اى العابدون اوهم والآلهة واتباع الشّياطين [فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَاللّهِ اِنْ كُنَّا] انّه كنّا [لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ اِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ] اى الرّبّ المضاف الّذى هو علىّ(ع) على ان يكون المراد من اشرك بالولاية [وَمَا اَضَلَّنَا اِلَّا الْمُجْرِمُونَ] اى الاسلاف الّذين اقتدينابهم ، او امثالنا الّذين اغتررنابهم ، اوالآلهة الّذين خدعونا ،اوالشّياطين [فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ] لانّ كلّ نسبة وكلّ خلّة تصير منقطعة الّا النّسبة والخلّة فى الله ، ولايشفع الشّفعاء الّا باذن الله ، ولانسبة ولاخلّة ولاجهة آلهيّة لهم حتّى يكون شفيع لهم اوصديق اوحميم ، روى عن ابى عبدالله (ع) انّه قال: والله لنشفعنّ لشيعتنا ، والله لنشفعنّ لشيعتنا ، والله لنشفعنّ لشيعتنا حتّى يقول النّاس فمالنا من شافعين ولا صديق حميم (الى قوله) فنكون من المؤمنين [فَلَوْ اَنَّ لَنَا كَرَّةً] لوللتّمنّى اوللشّرط [فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اِنَّ فِى ذٰلِكَ] فيما قصصناه من قصّة ابراهيم (ع) واحتجاجاته، اوفى قول المشركين بالله اوبالولاية [لَآيَةً] لمن تأمّل فيها اولمن انسلخ عن حجاب المادّة واستكشف فى الدّنيا حال المشركين فى القيامة ولايكون الّا لمن قامت قيامته متمكّناً فى القيامة اومتلوّناً [وَمَا كَانَ اَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ] قد مضى قبيل هذا هذه الكلمة [وَاِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ] قد مضى هذه ايضاً [كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل بعد حكاية ابراهيم(ع) وقومه : ما فعل قوم نوح المعروف قصّتهم ؟ـ فقال : كذّبت قوم نوحٍ المرسلين ، ونسبة تكذيب جميع المرسلين اليهم قد مضى وجهها فى سورة الفرقان [اِذْ قَالَ لَهُمْ اَخُوهُمْ نُوحٌ اَلَا تَتَّقُونَ] الاللعرض اوللتّحضيض [اِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ] من الله [اَمِينٌ] معروفٌ فيكم بالامانة فاقبلوا قولى ولاتنسبونى الى الكذب والخيانه [فَاتَّقُوا اللّهَ] اى اذا عرفتمونى بالامانة فاتّقوا الله فى مخالفتى [وَاَطِيعُونِ] فيما اقول لكم ولاتكذّبونى، قد مضى مكرّراً انّ الانسان فطرىّ التّعلّق وانّه ان لم يتعلّق بخليفة الله تعلّق بغيره من مظاهر الشّيطان واهوية النّفس وآمالها وانّ الدّين هو التّعلّق بخليفة الله بالبيعة والاقتداء والطّاعة وانّ من تعلّق بخليفة الله كان ناجياً لامحالة ، وغيره كائناً من كان داخلاً فى المرجين لامر الله ولذلك كان قول الانبياء(ع) اوّل تبليغهم امر الامّة بالطّاعة لانفسهم [وَمَا اَسْاَلُكُمْ عَلَيْهِ] اى على التّبليغ [مِنْ اَجْرٍ] حتّى تتّهمونى لذلك وتكذّبونى فانّ الامر لولم يكن آلهيّاً كان نفسانيّاً والامر النّفسانىّ لايخلو عن مقتضيات النّفس ومشتهيات الدّنيا [اِنْ اَجْرِىَ اِلَّا عَلٰى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَاتَّقُوا اللّهَ وَاَطِيعُونِ] كرّر الامر بالتّقوى والطّاعة للاهتمام به فانّه لاغاية للرّسالة بل لاغاية للانسان الّا ذلك، ولترتّبه اوّلاً على معرفة الامانة وههنا على عدم طلب اجرة منهم [قَالُوا اَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْاَرْذَلُونَ] وقرئ اتباعك الارذلون كأنّهم لم يكذّبوا امانته واستغناءه وعدم طمعه فى اموالهم لكنّهم جعلوامانع قبول رسالته اتّباع الارذال الدّالّ على رذالة المتبوع الدّالّة على عدم شأنيّة الرّسالة ولذلك كانوا ينسبون الانبياء(ع) الى الجنون والخبط ومسيس الشّياطين وامثال ذلك [قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] ولم تسمّونهم اراذل وليس حسن عملهم ولاقبحه بيدى واطّلاعى انّما كان علىّ ان آخذ البيعة منهم لربّى [اِنْ حِسَابُهُمْ] فى عملهم [اِلَّا عَلٰى رَبِّى] وليس حسابهم علىّ حتّى اكون مراقباً لهم فى عملهم [لَوْ تَشْعُرُونَ] ذلك ماأنكرتم علىّ اتّباعهم، اولو للتّمنّى [وَمَا اَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ] كأنّهم عرّضوا بقولهم واتّبعك الارذلون بان يطردهم عن نفسه حتّى يؤمنوا [اِنْ اَنَا اِلَّا

نَذِيرٌ مُبِينٌ] وليس شأني طرد احدٍ اومراقبة عمل انّما الطّرد والمراقبة على شأن الولاية [قَالُوا] بعد ما رأوا انّه يحمي اتباعه ولايطردهم من اتّباعه [لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَانُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ] هدّدوه بالقتل بأسوء انواعه لمّا عجزوا عن المحاجّة معه كماهو ديدن كلّ غالب عاجز عن المحاجّة [قَالَ] بعد ما داراهم مدّة الف سنة الّا خمسين عاماً او اقلّ من ذلك بيسير سائلاً من الله شاكياً عليه [رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ فَافْتَحْ] فاقض اوفاحكم [بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] يعني منهم اومن العذاب المسؤل لهم [فَأَنْجَيْنَاهُ] الاتيان بالفاء عقيب الدّعاء للاشعار بأنّ العذاب كان عقيب الدّعاء بلامهلة ليكون ابلغ في مقام التّهديد والّا كان بين دعائه ووعد الاجابة له وبين اغراقهم مدّة مديدة [وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ] بالنّاس وسائر الدّوابّ [ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ] اتى بثمّ ههنا وكان حقّه الاتيان بالفاء للتّفاوت بين الاخبارين [إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ] الرّيع بالكسر والفتح المرتفع من الارض اوكلّ فجّ اوكلّ طريقٍ اوالطّريق المنفرج في الجبل والجبل المرتفع وبرج الحمام الّذي يبنى لان تأوي اليه [آيَةً] علامة [تَعْبَثُونَ] بذلك والمراد به القصور المرتفعة، او القلاع المبنيّة على الجبال والمرتفعة من الاراضي، اوالعلائم المبنيّة للمارّة من غير حاجتهم اليه، اوالابنية الّتي تبنى على الطّريق للاشراف على المارّة والسّخريّة بهم، اوكانوا يبنون ابنية للاجتماع واللّعب فيها [وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ] جمع المصنعة اوالمصنع بمعنى الحياض تصنع للماء، او المضائف الّتي يدعى اليها للضّيافة، اوالقرى الّتي تصنع للزّراعة والانتفاع، اوالمباني من القصور والحصون [لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ] يعني راجين للخلود ولذلك تحكمون بنيانها [وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ] لامؤدّبين يعني انّكم جمعتم بين الافراط في القوّة الشّهويّة والافراط في القوّة الغضبيّة [فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ] مضى وجه تكرار هذه [وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ] اى تعلمونه اوتعلمون انّه ليس الّا بامداد الله، كرّر اتّقوا مقدّمة للتّنبيه على بعض النّعم الّذي يعرفون انّه من الله حتّى يقبلوا ويطلبوا منه الزّيادة ويخافوا زواله ولايخالفوه [أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ] عدّ عليهم من انواع نعمه مايعدّه العرب أشرف النّعم وأحسنها [إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] كأنّه قال أمرتكم بالتّقوى لانّي اخاف عليكم زوال تلك النّعم بمخالفتكم واخاف اعظم منه وهو عذاب يوم عظيم [قَالُوا] في جوابه اظهاراً لعدم الاعتداد به [سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ] لم يقل ام لم تعظ ليكون ابلغ في عدم الاعتداد بوعظه [إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ] قرئ خلق بالفتح والسّكون بمعنى الافتراء اوالفطرة والطّبع، وقرئ بالضّمّتين بمعنى السّجيّة والطّبع والمعنى ماهذا الّذي تدّعيه الّا كذب الاوّلين الّذين ادّعوا النّبوّة مثلك، اوماهذا الّذي نحن عليه من سجيّة الحيوة والتّعيّش ايّاماً ثمّ الموت الّا فطرة الاوّلين يعني انّ الزّمان كان من القديم على الاحياء والاماتة، اوما هذا الّذي انت تدّعيه الّا عادة الاوّلين من الانبياء(ع) اومن المدّعين للنّبوّة، اوما هذا الّذي نحن عليه من الدّين الّا عادة الاوّلين ونحن بهم مقتدون [وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ] لانّه لابعث ولاحساب ولاعقاب، اولانّا نكون على

الحقّ الّذى نستحقّ به الثّواب لا العقاب [فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ] وجه الاتيان بالفاء عقيب التّكذيب قد مرّ فى السّابق [إِنَّ فِي ذٰلِكَ] المذكور من قصّة هود وقومه اومن اهلاك قوم هود الّذى تظافر به الاخبار [لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ] بعد مااقام على صدق دعواه بيّنة ممّا يعرفونه ونفى الطّمع الّذى هو مورث للاتّهام عن نفسه هدّدهم بالموت والخروج من المنازل والدّنيا [فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ] اى النّضيج او الرّطب اللّيّن او النّضيد اوسريع التّفتّت وقيل هو الّذى ليس فيه نوىً [وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ] حاذقين فى النّحت اوبطرين [فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُونِ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ] المتجاوزين للحدّ فى المشتهيات اوفى الغضبات [الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ هٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ] قد مضى حكاية نوح وهود وصالح (ع) فى سورة الاعراف وفى سورة هود [كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ] اخوّة المعاشرة لا اخوّة القبيلة او الدّين [لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ] لستم واقفين على هذا القدر من الظّلم لانّكم [قَوْمٌ عَادُونَ] فى جملة اموركم، والعادون من عدى بمعنى ظلم اوسرق او صرف اووثب اوجاوز اومن العدوّ ضدّ الصّديق ، اومن عِدىَ كعلم بمعنى أبغض .

اعلم، انّ التّكاليف الاختياريّة النّبويّة او الولويّة مطابقة للتّكاليف التّكوينيّة الآلهيّة، والله تعالى كلّف جنس الحيوان فى اكثر انواعه بالاجتماع بان ركّب الشّهوة فيها وجعل فيها ذكراً وانثى وجعل نفوسهما بحيث لايصبر كلّ عن الآخر باقتضاء شهوة الوقاع الّتى جعلها فيه ، ولم يكن المقصود من خلق الشّهوة الّا بقاء النّوع فانّه لولم يكن شهوة لم يكن وقاع بين سائر انواع الحيوان ، وامّا الانسان وان كان يمكن الوقاع بمحض التّكليف الاختيارىّ النّبوىّ لكن قلّما يقع ذلك فانّ اكثر النّفوس لاتعتدّ بالاوامر التّكليفيّة ولولم يكن الاوامر التّكوينيّة لم يكونوا يواقعون بمحض الامر التّكليفىّ وفى ذلك فناء النّوع اوتقليله، ولقصد التّناسل جعل تعالى آلة قضاء الشّهوة فى الذّكر والانثى بحيث يستقرّ مادّة الانسان الّتى هى النّطفة فى مقرّ مخصوص وجعل الذّكر والانثى بحيث كانا عاشقين للولد ومربّيين له كالجزء منهما ، وغير الانسان من الحيوان لمّا لم يكن له الشّيطنة لايرغب فى ثقب ليس له ان يطأ فيه فلايخالف الامر التّكوينىّ وليس له امر تكليفىّ، وامّا الانسان فيتدبّر بالقوّة المتخيّلة ووسوسة الشّيطان ويتصرّف فى امر قضاء الشّهوة وقد يخالف بتدبيره وشيطنته الامر التّكوينىّ والامر التّكليفىّ، وما لم يخذله الله يعاقبه فى الدّنيا ويؤاخذه على مخالفة

الامر التّكوينىّ وجعل له عقوبة وحدّاً على مخالفة الامر التّكليفىّ ، ولمّا كان فى الخروج عن الامر التّكليفىّ فى هذا المورد افساد كلّىّ فى الارض بقطع النّسل وجعل المرء على طبيعة المرأة وجعل النّفس خارجاً من الحياء وأخسّ من نفس الحيوان فى القوّة الحيوانيّة جعل الله عقوبة من أتى الذّكران اشدّ من جميع العقوبات [قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ] عمّا تنهى عنه [لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ] من قريتنا [قَالَ] لهم [إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ] لا لأنفسكم فانّكم صنائع ربّى ولا اقدر ان اقليكم ولكن عملكم لكونه مخالفاً لامره التّكوينىّ والتّكليفىّ كان مغضوباً لى تخرجوننى من قريتكم اولم تخرجونى ثمّ انصرف عنهم والتجأ الى الله فقال [رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزًا] من اهله وهى امرأة لوط [فِي الْغَابِرِينَ] فى الباقين الماكثين فى القرى على ماقيل انّها لم تخرج مع لوط ، اوفى الغابرين فى العذاب على ماقيل انّها خرجت واصابها فى الطّريق حجر فأهلكها [ثُمَّ دَمَّرْنَا] اى أهلكنا [الْآخَرِينَ] بالخسف اوبايتفاك القرى وانقلابها ثمّ أمطرنا على من كان غائباً من القرى الحجارة من السّماء اوامطر عليهم الحجارة ثمّ انقلب قراهم بهم [وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا] عجيباً وهو امطار الحجر [فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ] الأيك الشّجر الملتفّ الكثير اوالجماعة من كلّ شجر حتّى من النّخل والواحدة الايكة اوالاجمة الكثير الشّجر والمراد بأصحاب الايكة اهل مدين اوجماعة كانوا بقرية قرب مدين ولم يكونوا من قبيلة شعيب (ع) بعث شعيب عليهم كما بعث على اهل مدين ، ولانّهم لم يكونوا من قبيلته قال تعالى [إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ] ولم يقل اخوهم شعيب [أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ] اى من جملة من شيمته التّطفيف فى الكيل والميزان [وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ] اى لاتنقصوا من النّاس [أَشْيَاءَهُمْ] اولاتظلموا النّاس فى اشياءهم وعلى الاوّل يكون بياناً لمفهوم مخالفة اوفوا وزنوا ، وعلى الثّانى يكون اعمّ لانّ ظلم النّاس فى الاشياء اعمّ من ان ينقصوا فيما يعطونهم اويزيدوا فيما يأخذون منهم [وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ] تعميم بعد تخصيص [وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ] بمعنى المسحورين المصابين بالسّحر حتّى فسد عقولهم ولايدرون مايقولون ، والتّضعيف للمبالغة اومن المجوّفين الّذين لهم سحر اى رية ويحتاجون الى الاكل والشّرب والتّرويح بالهواء اومن المتباعدين من الانسانيّة [وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ] اى انّه نظنّك [لَمِنَ الْكَاذِبِينَ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا] جمع الكسفة كالكسف بالكسر والفتح [مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ] بعد ما لم ينجع فيهم المحاجّة [رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ] فان رآكم مستحقّين للعذاب واسقاط السّماء عليكم فعل بكم ، وان رآكم مستحقّين للتّوبة ومستعدّين لرحمته وفّقكم [فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ] اى يوم السّحابة الّتى اظلّتهم فانّه كما نقل اصابهم حرّ شديد سبعة ايّام وحبس عنهم الرّيح ثمّ غشيتهم سحابة فلمّا غشيتهم خرجوا اليها طلباً للبرد من شدّة الحرّ فأمطرت عليهم ناراً فأحرقتهم وكان من أعظم الايّام والوقائع ولذلك قال تعالى [إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ

عَظِيمٍ اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَاٰيَةً وَمٰا كٰانَ اَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَاِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ] ولمّا ذكر قصص الانبياء الماضين وهلاك اقوامهم لتكذيبهم ليكون تسلية للرّسول (ص) وتهديداً لقومه المكذّبين ذكر القرآن اوقرآن ولاية عليّ (ع) وامارات صدقه ليكون اقرب الى القبول والانذار وقال [وَاِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعٰالَمِينَ] عطف على السّابق باعتبار المعنى كأنّه قال: وانّ شعيباً لمن المرسلين وانّك لمن المرسلين وانّ القرآن اوقرآن ولاية عليّ (ع) لتنزيل ربّ العالمين [نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْاَمِينُ] يعني جبرئيل فانّه من جملة الارواح وامين على امر الله [عَلىٰ قَلْبِكَ] اى صدرك اوقلبك الحقيقيّ المقابل للصّدر والنّفس فانّ الولاية فى القلب كما انّ الرّسالة واحكامها وكتبها فى الصّدر [لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ] اى من الرّسل الّذين شأنهم الانذار لامن المبشّرين فقط فانّ البشارة المنفكّة عن الانذار شأن الولاية المنفكّة عن الرّسالة، اتى بالغاية قبل تمام المغيّى للاشعار بانّ الانذار انّما هو بنفس القرآن او الولاية لابكونه بلسان عربيّ، هذا على تقدير كون قوله تعالى [بِلِسٰانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ] متعلّقاً بقوله نزل وامّا اذا كان متعلّقاً بكونه من المنذرين فكان من اجزاء الغاية لاالمغيّى، والمراد باللّسان العربيّ هو لغة العرب مجازاً فانّ استعمال اللّسان فى القول كثير والمراد بالمبين الفصيح الظّاهر الكلمات والحروف، او الظّاهر المعاني والواضح المقاصد، او المبيّن للمقاصد، او المبيّن للالسن فانّه كما فى الخبر يبيّن الالسن ولاتبيّنه الالسن فانّ لغة العرب لسعتها وسعة التّصرّف فى هيآت كلماتها تبيّن جميع اللّغات بمحض التّصرّف فى هيآت كلماتها وليست تلك السّعة فى سائر اللّغات فلايبيّن سائر اللّغات بدون التّقييدات لكلماتها لغة العرب فانّ الضّرب بتصريفاته فى هيآته يدلّ على عدّة معان متخالفة لايمكن تبيينها بسائر اللّغات الّا بضمّ قيودات عديدة فانّ الضّرب يفيد معناه المصدريّ وهيئة ضرب يفيد المعنى المصدريّ مع زمانه ونسبته وفاعله وذكورة فاعله ووحدته وهكذا سائر متصرّفاته وليس سائر اللّغات كذلك فهو يبيّن الالسن بهيآت كلماته ولا تبيّنه الالسن الّا بضمائم وقيودات لكلماتها [وَاِنَّهُ] اى القرآن باوصافه اوبمعانيه اوقرآن ولاية عليّ (ع) [لَفِي زُبُرِ الْاَوَّلِينَ] اى كتبهم [اَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ اٰيَةً اَنْ يَعْلَمَهُ] اى القرآن باوصافه اوبمعانيه واحكامه اوقرآن ولاية عليّ (ع) [عُلَمٰاءُ بَنِي اِسْرٰائِيلَ] فانّ انبياء بنى اسرائيل اثبتوا فى كتبهم واخبروا اممهم بمجيء محمّد (ص) وكتابه ووصاية وصيّه الّذى هو ابن عمّه وصهره وخليفته فانّ العلماء كانوا يخبرون بأنّه مكتوب فى كتبهم ويبشّرون بمجيئه، وكانت اليهود يستفتحون بمحمّد (ص) واوصيائه (ع) على اعدائهم، وقد ورد فى اخبار عديدة انّ الآيات فى ولاية عليّ (ع)، وفى خبر: انّ ولاية عليّ (ع) مكتوبة فى جميع صحف الانبياء ولم يبعث الله رسولاً الّا بنبوّة محمّد (ص) وولاية وصيّه عليّ بن ابى طالب (ع) [وَلَوْ نَزَّلْنٰاهُ] اى القرآن اوقرآن ولاية عليّ (ع) [عَلىٰ بَعْضِ الْاَعْجَمِينَ] الّذين لايفصحون عن الكلمات اوالّذين هم غير العرب اوسائر افراد الحيوان العجم [فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مٰا كٰانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ] لعدم افصاحه عن الكلمات والمقاصد لانّهم بعد انزالنا القرآن عليك مع افصاحك عن كلماته ومقاصده ما آمنوا فلو نزّلناه على ذى لكنة بلسانه كان عدم الايمان كالسّجيّة لهم، وللاشارة الى هذا المعنى قال ماكانوا به مؤمنين بتخلّل كان لعدم افصاحه، اوله وللعناد مع عليّ (ع)، اوالمعنى لو انزلناه على عجميّ ماكانوا ليؤمنوا للحميّة الّتى كانت لهم مع العجم، اوله وللعناد مع عليّ (ع)، اوالمعنى لو انزلناه على حيوان غيرناطق فنطق به اعجازاً منّا ماكانوا ليؤمنوا به مع انّه يكون دليل صدقه حينئذ معه لشدّة بعدهم ونفرتهم من الحقّ، اولها ولشدّة عنادهم مع عليّ (ع)، روى عن الصّادق (ع) لو نزّلنا القرآن على العجم ما آمنت به العرب وقد نزل على العرب فآمنت به العجم فهذه فى فضيلة العجم [كَذٰلِكَ] اى مثل سلوك الكفر فى قلوب هؤلاء [سَلَكْنٰاهُ] اى الكفر [فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ]

اومثل نزول القرآن على قلبك بلسان عربيّ مبين سلكناه فى قلوب المجرمين ومع ذلك لايؤمنون به ، اومثل سلوك القرآن فى قلوب هؤلاء الكفّار حالكونهم متنفّرين منه غير مؤمنين به سلكنا قرآن الولاية فى قلوب المجرمين حالكونهم متنفّرين منه [لَايُؤْمِنُونَ بِهِ حَتّٰى يَرَوُا الْعَذٰابَ الْاَلِيمَ] ولاينفع نفساً ايمانها حينئذ ، واشير فى اخبار عديدة الى انّ المراد بالمجرمين بنواميّة وانّهم لايؤمنون بعليّ (ع) حتّى يروا العذاب الاليم [فَيَأْتِيَهُمْ] العذاب الاليم [بَغْتَةً وَهُمْ لٰا يَشْعُرُونَ] بمجيئه لعدم تقدّم امارة له [فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ] يعنى انّهم قبل مجيئه يستهزؤن به ويستعجلون به استهزاءً فاذا جاءهم يسألون النّظرة [اَفَبِعَذٰابِنٰا يَسْتَعْجِلُونَ] تهويلٌ وتهديدٌ لهم [اَفَرَأَيْتَ] يامحمّد (ص) اوالخطاب عامّ [اِنْ مَتَّعْنٰاهُمْ سِنِينَ] عديدة مديدة [ثُمَّ جٰاءَهُمْ مٰا كٰانُوا يُوعَدُونَ] من العذاب [مٰا اَغْنٰى عَنْهُمْ] شيئاً من عذاب الله [مٰا كٰانُوا يُمَتَّعُونَ] فى الدّنيا وقد صرّح فى اخبار عديدة انّ قوله افرأيت (الى الآخر) نزلت فى بنى اميّة وانّ رسول الله (ص) رآهم فى منامه يصعدون منبره بعده يضلّون النّاس عن الصّراط القهقرى فأصبح كئيباً ونزل عليه جبرئيل وسأل عن حزنه فقال (ص) : رأيت فى منامى كذا فعرج ثمّ نزل وجاء بهذه الآية تسليةً للرّسول (ص) وجاء بسورة انّا انزلناه تسليةً له (ص) بانّ ليلة القدر الّتى اُعطيت خيرٌ من الف شهر يكون فيها ملك بنى اميّة [وَمٰا اَهْلَكْنٰا مِنْ قَرْيَةٍ اِلّٰا لَهٰا مُنْذِرُونَ] عطف فيه استدراك توهّم انّ العذاب الجائى بغتةً كان ظلماً [ذِكْرٰى] مفعول له واسمٌ للتّذكير [وَمٰا كُنّٰا ظٰالِمِينَ] معذّبين من غير استحقاق ومن غير تذكير لهم بالعذاب [وَمٰا تَنَزَّلَتْ بِهِ] اى بالقرآن اوقرآن ولاية عليّ (ع) [الشَّيٰاطِينُ] كما زعم المشركون انّ القرآن النّازل على محمّد (ص) من قبيل مايلقيه الشّيطان على الكهنة [وَمٰا يَنْبَغِى لَهُمْ وَمٰا يَسْتَطِيعُونَ] ان ينزّلوه يعنى ليس شأن القرآن الّذى هو كلام الله والآتى به هو الملك والمتلقّف محمّد (ص) الّذى هو اعلى من الملك ان يلقّنه الشّياطين ولاالشّياطين يقدرون ان يأخذوه وينزّلوه لانّ الشّياطين عالمهم ظلمانيّ اسفل العوالم والقرآن ومحمّد (ص) والملائكة عالمهم نورانيّ اعلى العوالم فاذا وصل القرآن الى الشّياطين فرّوا بل هلكوا كما قيل:

ديو بگريزد از آنقوم كه قرآن خوانند

[اِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ] اى سمع القرآن وكلام الملك [لَمَعْزُولُونَ] فانّ قول الملك وخطاب القرآن شهابٌ رادع للشّيطان [فَلٰا تَدْعُ مَعَ اللّٰهِ] يعنى اذا كان القرآن من الله من غير شراكة لغيره ، اواذا كان ولاية عليّ (ع) من الله فلاتدع مع الله اومع عليّ (ع) [اِلٰهاً] اى معبوداً اوذا ولاية [آخَرَ] وهذا على : ايّاك اعنى واسمعى يا جارة [فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ] مثل بنى اميّة الّذين عدلوا عن عليّ (ع) الى غيره فحتم لهم عذابٌ اليمٌ [وَاَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْاَقْرَبِينَ] خصّ العشيرة الاقربين مع انّه مأمور بانذار الخلائق اجمعين ، امّا لانّهم اقرب الى القبول من غيرهم فاذا انذروا قبلوا لمناسبة القرابة بينهم وبينه ولاطّلاعهم على خفايا احواله وانّه لامداهنة فيه ولايطلب الدّنيا دون غيرهم ، اولانّهم ان آمنوا سهل عليه (ص) دعوة الغير وسهل على الغير قبول دعوته لاستظهاره بهم واعانتهم له ومشاهدة الغير لايمان المطّلعين على خفايا احواله ، وان لم يؤمنوا تنفّر عنه الاباعد مستدلّين بأنّه ان كان حقّاً كان اتّباعهم له اولى من اتّباعنا ، اولانّه ان انذر عشيرته يعلم انّه الٰهيّ وانّه بدأ بعشيرته فلايدع غير عشيرته ، اولانّه يمكنه جمعهم وانذارهم دون غيرهم ، وقد نقل من طريق العامّة والخاصّة انّ محمّداً (ص) بعد نزول هذه الآية قال لعليّ (ع) : ياعليّ اصنع لهم غذاءً فصنع غذاءً قليلاً فجمعهم رسول الله (ص) فى الشّعب فأكلوا كلّهم من ذلك الغذاء القليل وشبعوا فبدرهم

ابو لهب فقال: هذا ماسحركم به الرّجل فسكت (ص) يومئذ ولم يتكلّم بشيء ثمّ دعاهم من الغد على مثل ذلك الطّعام ثمّ انذرهم فقال : يا بنى عبد المطّلب انّى انا النّذير اليكم من الله عزّوجلّ والبشير فأسلموا و أطيعونى تهتدوا ثمّ قال (ص) : من يواخينى ويوازرنى ويكون وليى ّووصيى ّبعدى وخليفتى فى اهلى ويقضى دينى؟ فسكت القوم فأعادها ثلاثاً؛ كلّ ذلك يسكت القوم ويقول علىّ (ع) : انا، فقال (ص) فى المرّة الثّالثة : انت، فقام القوم وهم يقولون لابى طالب : اطع ابنك فقد امّر عليك ، وفى رواية العامّة : ايّكم يقوم ويبايعنى؟ واعادلهم الكلام ثلاث مرّات وسكت القوم ثمّ قال : ليقومن ّقائمكم اوليكونن ّفى غيركم ثمّ لتندمن ّفقام علىّ (ع) فبايعه واجابه، ثمّ قال: ادن منّى فدنا منه ففتح فاه ومجّ فى فيه من ريقه وتفل بين كتفيه وثديبه ، فقال ابو لهب: فبئس ماحبوت به ابن عمّك ان اجابك فملأت فاه ووجهه بزاقاً، فقال (ص) :ملأته حكمة ًوعلماً ، وعن طريق العامّة والخاصّة : وانذرعشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين عن الرّضا: وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك المخلصين قال هكذا فى قراءة ابىّ بن كعب وهى ثابتة فى مصحف عبدالله بن مسعود قال هذه منزلة رفيعة وفضل عظيم وشرف عال حين عنى الله عزّوجلّ بذلك الآل فذكره لرسول الله (ص)، ويجوزان يكون المراد بالعشيرة الاقربين الّذين كانوا بحسب مرتبتهم الرّوحانيّة عشيرته واقرب منه، ويكون المعنى انذر بحسب مقامك العالى عشيرتك الاقربين وتنزّل عن مقامك العالى الى مقام التّابعين [وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ] خفض الجناح استعارة للتّذلّل والتّواضع من جهة المحبّة من خفض جناح الطّيور لازواجها يعنى تنزّل وتواضع عن مقامك العالى [لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] فانّهم لايقدرون على سماع كلامك بحسب مقامك العالى وانذرهم بلسان ومقام يناسب مقام المؤمنين التّابعين [فَإِنْ عَصَوْكَ] اى عشيرتك او اتباعك المؤمنون فانّهم بحسب حدود مقامهم وتعيّناتهم النّازلة يعصونك [فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ] ولاتقل انّى برىء منكم فانّهم ان كانوا اتباعك كانت براءتك منهم براءة من اللّطيفة الآلهيّة، كمامضى مكرّراً انّ الاسماء والاحكام اسماء وجارية على الفعليّة الاخيرة من الاشياء فخطاب اتباعك والبراءة منهم يكون خطاباً وبراءة من الفعليّة الاخيرة الّتى هى فعليّة الرّسالة اوفعليّة الولاية، وفعليّة الرّسالة والولاية ليستا الّا لهيّة ً، وان لم يكونوا اتباعك ولم يكونوا مرتدّين عن الفطرة بابطال الفطرة الانسانيّة كان فعليّتهم الاخيرة فعليّة الانسانيّة ، وان كانت محتجبة تحت غيرها من الفعليّات الاُخر وكانت البراءة منهم براءة من الانسانيّة الّتى هى ايضاً لطيفة آلهيّة، نعم ان قطع الفطرة صحّ ان يقال: انّى برىء منك كما حكى الله تعالى عن ابراهيم (ع) بقوله : فلمّا تبيّن له انّه عدوّ لله تبرّأ منه يعنى تنزّل عن مقامك العالى وشاركهم فى مقامهم النّازل فان خالفوك فى التّقيّد بحدود مقامهم فأظهر نزاهة ذاتك عن تلك الحدود وقل لهم انّى بحسب مقامى العالى منزّه عن حدود تلك المقامات وتعيّناتها وان شاركتكم فى بعض لوازمها لئلّا تستوحشوا منّى حتّى لايتوهّموا انّك تكون مثلهم [وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ] الّذى لايقع فى ملكه الّا مايشاؤه يعنى اخرج من رؤية الافعال من الفاعلين وانظر فى جملة الافعال الى الفاعل الحقّ حتّى تشاهد انّ العامل هو يدالله فتكل امرك وامرهم اليه ولاتحزن على عصيانهم [الرَّحِيمِ] الّذى لايشاء لعباده الّا ماهو صلاحهم ولايشاء لاعدائه الّا ما هو صلاح عباده المؤمنين اوصلاح نظام العالم فلاتحزن على ما فيه صلاح عامله اوصلاح المؤمنين اوصلاح نظام الكلّ [الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ] للصّلوة وحدك كمافى الخبر اوتقوم فى اللّيل للصّلوة اوتقوم فى النّاس ، اوتقوم بقيام جميع مراتبك للحضور عند ربّك اوتقوم بالعروج عن مقام الكثرات والخروج من بينهم [وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ] وقت الصّلوة بالجماعة اوتقلّبك من قيامك وانحنائك فى المنحنين المنكوسين فى الكثرات المبتلين بها، اوتقلّبك فى الخاضعين

المتواضعين لله ، اوتقلّبك في الاصلاب والارحام المطهّرة اللّاتى كانت للسّاجدين لله فانّه لم يكن الّا من نكاح صحيح من لدن آدم(ع) وكانت آباؤه موحّدين [اِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ] لاسميع سواه [الْعَلِيمُ] لاعليم سواه فانّ سمع كلّ سامع وعلم كلّ عليم سمعه وعلمه النّازلان، وفي خبر: قال رسول الله (ص): لاترفعوا قبلي ولا تضعوا قبلي فانّي اريكم من خلفي كما اريكم من امامي ؛ ثمّ تلاهذه الآية يعني اذا كنتم في الصّلوة فلاترفعوا رؤسكم من السّجدة ولا تضعوها للسّجدة قبلي، والاستشهاد بالآية يدلّ على انّ الامر بالتّوكّل كان من الله وانّ المأمور بالتّوكّل هو نفسه باعتبار مقام نفسه و انّ المتوكّل عليه هو نفسه ايضاً بحسب مقام روحه الّذى هو مقام الولاية و هو الموصوف بالعزّة و الرّحمة وبالرّؤية في جميع الاحوال [هَلْ أُنَبِّئُكُمْ] لما ذكر انّ القرآن ما تنزّل به الشّياطين اشتاق نفوس السّامعين لبيان من تنزّل عليه الشّياطين وما تنزلون به فقال تعالى هل انبّئكم [عَلٰى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ] من موصولة والظّرف متعلّق بانبّئكم اواستفهاميّة والظّرف متعلّق بتنزّل [تَنَزَّلُ عَلٰى كُلِّ اَفَّاكٍ] من افك كضرب وعلم افكاً بالفتح والكسر والتّحريك كذب، اومن افكه عنه كضرب صرفه وقلّبه اوقلّب رأيه، اومن افك فلاناً جعله يكذب [اَثِيمٍ] يعني انّ الشّياطين لمّا كانوا بحسب وجودهم وذواتهم كاذبين منحرفين عن الصّراط المستقيم ومنكوسين مقلوبين لايتنزّلون الّا على الكذّاب المنكوس الّذى بفطرته يصرف قوى وجوده ومن في خارج وجوده عن الحقّ والاستقامة للزوم السّنخيّة بين النّازل والمنزل عليه والاثيم الّذى يفعل الافعال الّتى لم تكن على الصّراط المستقيم الانسانيّ [يُلْقُونَ] اى الشّياطين [السَّمْعَ] يعني يصعدون الى السّماء لاستراق السّمع من الملائكة ويستمعون منهم ثمّ يتنزّلون الى اسناخهم من الانس ويخبرونهم [وَ] لكن [اَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ] فانّ مسموعاتهم وان كانت حقّة لكنّها اذا وصلت اليهم ودخلت اصماخهم تنصرف عن وجهتها الحقّانيّة وتصير باطلة فانّ وجودهم كالمرآة المعوّجة الّتى لايرى فيها الصّور الّا على خلاف ماهي عليه، اويلقى الشّياطين المسموع الى اسناخهم الانسيّة اويلقى الافّاكون السّمع للشّياطين وينقادونهم لاستماع اكاذيبهم ، وضمير اكثرهم راجع الى الشّياطين اوالى الافّاكين فانّ الكلّ يكونون بحال اذا وصل الصّدق اليهم صار كذباً وانّما قال اكثرهم لانّ القليل من الشّياطين والقليل من الافّاكين فطرتهم باقية على الاستقامة ولايصير الحقّ في وجودهم باطلاً ويبقى الصّدق على صدقه في وجودهم [وَالشُّعَرَاءُ] جمع الشّاعر والشّاعر من شعر به كنصر وكرم شعراً بالكسر وشعرا بالفتح علم به وفطن له وعقله ، ولمّا كان الشّاعر الآتى بالكلام الموزون سريع التّفطّن بالالفاظ المتناسبة المتناسقة والمعاني الدّقيقة غلّب في العرف اسم الشّعر على كلامه الموزون؛ واسم الشّاعر عليه، ولمّا كان الاغلب انّ الشّعراء يظهرون الاباطيل والاكاذيب بصورة الحقّ بتمويهات وتزيينات نقل عن الشّعر والشّاعر اسم الشّعر والشّاعر الى كلام باطل مموّه ظاهر بصورة الحقّ والى قائله ، ومنه القياسات الشّعريّة للقياسات الوهميّة الباطلة المموّهة الظّاهرة بصورة القياس الحقّ الصّادق ، و لمّا كان القرآن ذا وجوه بحسب طبقات النّاس ويراد منه كلّ وجوهه بحسب طبقات النّاس والمراد بالحمل على احسن الوجوه كمامضى في المقدّمات الحمل على أحسن الوجوه الاضافي صحّ تفسير قوله تعالى: والشّعراء [يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ] بالّذين يأتون بالكلام المنظوم كما نقل انّ المراد شعراء العرب كانوا يأتون بالكذب والاباطيل وكانوا يهجون النّبيّ (ص) وكان جمع من الغاوين يجتمعون اليهم ويستمعون كلامهم وذكروا اسماءهم وعددهم ، وصحّ تفسيره بالقصّاص الّذين كانوا في الاسواق والمحافل ينقلون الحكايات والاسمار الّتى لا اصل لها ولاحقيقة ، وصحّ تفسيره بالوعّاظ الّذين يعظون ولا يتّعظون ، وبالفقهاء والقضاة الّذين يفتون ويقضون بين النّاس من غير اذن واجازة من الله اومن خلفائه كفقهاء

العامّة وقضاتهم فانّهم ايضاً يقولون ولا يفعلون مايقولون، وعن الصّادق (ع) هم القصّاص، وعنه (ع): هم قوم تعلّموا وتفقّهوا بغير علم فضلّوا واضلّوا، وعنه (ع) نزلت في الّذين غيّروا دين الله وخالفوا امر الله، هل رأيت شاعراً قطّ يتّبعه احدٌ؟! انّماعنى بذلك الّذين وضعوا ديناً بآرائهم فتبعهم على ذلك النّاس، وعن الباقر (ع): هل رأيت شاعراً يتّبعه احدٌ؟! انّما هم قوم تفقّهوا لغير الله فضلّوا واضلّوا [أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ] اى الشّعراء [فِي كُلِّ وَادٍ] من اودية النّفس والخيال [يَهِيمُونَ] يتحيّرون، شبّه تخيّلاتهم الّتى لاثبات لهم عليها ولا يرون حقّاً منها ولا يعتقدون صدقها بالاودية الّتى هي المفارج بين الجبال او التّلال الّتى لايرى ماحولها لارتفاع الجبال والتّلال المحيطة بها ولم يكن فيها طريق ولايدرى السّالك فيها اين مخلصها سواء كان المراد بالشّعراء القائلين للشّعر او القصّاص والوعّاظ او الفقهاء والقضاة [وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ] فانّ الكلّ حالهم ذلك فانّ الشّعراء يغرقون في جميع ما يقولون كما قيل: «كاز اكذب اوست احسن او» والقصّاص والوعّاظ شأنهم وشغلهم تزيين الكلام وتجديد النّشاط للاستماع بحكايات جديدة واسمار غير مسموعة كذباً كان او غير كذب عاملين كانوا او غير عاملين، وفقهاء العامّة شغلهم الافتاء من غير عمل [إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة او الخاصّة [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] على الشّروط والكيفيّة المأخوذة فانّ الشّاعر منهم لايقول مالم يكن فيه رضى الله والنّاقل والواعظ ايضاً كذلك ويفعل مايقول اوّلاً ثمّ يقول ثانياً، والفقيه منهم لايتكلّم بدون الاذن والاجازة، وبعد الاجازة يصير باطله صحيحاً وكذبه صدقاً وظنّه يقيناً [وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا] في شعرهم وقصصهم ومواعظهم ومسائلهم الفقهيّة [وَانْتَصَرُوا] انتقموا عمّن يفعل بهم [مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا] في مقام واما الّذين ظلموا من الشّعراء بان يقولوا ولا يفعلوا ويكون ظاهرهم بخلاف باطنهم فسيعلمون [أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ] تهديدٌ لهم بسوء العاقبة.

سورة النّمل

مكّيّة كلّها؛ خمس وتسعون آيةً

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ] قرئ بالجرّ عطفاً على القرآن، وبالرّفع عطفاً على آيات القرآن، وتنكيره للتّفخيم [هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ] قد مضى الآيات بتمام اجزائها في اوّل البقرة بما لامزيد عليه [إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ] جواب سؤال مقدّر كأنّه قيل بعد ما قال: هدىً وبشرى للمؤمنين فما حال غير المؤمنين؟ - قال: انّ الّذين لا يؤمنون [بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ] الّتى يعملونها لدنياهم وبهوى انفسهم حتّى لاينصرفوا عنها، او زيّنّا اعمالهم

الّتی امرناهم بها وكانت لائقة بانسانيّتهم لعلّهم ينتهون عن غيّهم ويرغبون فی اعمال الخير واعتقاد المبدء واليوم الآخر [فَهُمْ يَعْمَهُونَ] ای يتردّدون ولا يطمئنّون على اعمالهم النّفسانيّة ولا ينسلخون عنها بالكلّيّة [أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذٰابِ] فی الدّنيا فانّ التّحيّر والتّردّد فی الامر عذاب عاجل على انّهم يحسبون كلّ صيحة عليهم ولا يطمئنّون على امرٍ [وَهُمْ فِی الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ] لانّهم بعدم اعتقادهم لليوم الآخر لا يعملون له ويعملون لمشتهياتهم الفانية فيغبنون بضاعتهم الّتی جعلها الله لهم بضاعة للآخرة ويأخذون عوضها عذاباً فی الآخرة [وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ] عطف على انّ الّذين لا يؤمنون والجامع اشتراكهما فی كونهما جواباً للسّؤال المقدّر كأنّه قال: ماحال غير المؤمنين؟ وماحالی فی شهودی للآخرة الّذی هو فوق الايمان بها بالغيب؟- فقال: حال غير المؤمنين كذا وحالك انّك تلقّی القرآن ای المقام الجامع بين الوحدة والكثرة [مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ] فی عمله اوفی عمله وعلمه ويكون قوله [عَلِيمٍ] تأكيداً وقد مضى مكرّراً انّ الحكمة عبارة عن اللّطف فی العمل واتقانه بحيث يكون ذا غاياتٍ عديدةٍ مترتّبةٍ متقنة، واللّطف فی العلم بحيث يكون ادراك الشّيء مستلزماً لادراك مباديه وغاياته الجليّة والدّقيقة الخفيّة، وقد تستعمل الحكمة فی كلّ منفرداً عن الآخر [إِذْ قٰالَ مُوسىٰ] ظرف لعليم اوحكيم، ويكون تقييد علمه تعالى اوحكمته مع اطلاقهما فی حقّه تعالى للاشعار بانّ ماوقع لموسى (ع) وماوقع منه لم يكن الّا بعلمه وحكمته وكان مشتملاً على دقائق الغايات ودقائق الاعتبارات فيكون فی الحقيقة تقييداً لما وقع له ومنه (ع) وبعلمه تعالى وحكمته، اومتعلّق بقوله لتلقّی القرآن والمعنى حالك انّك تمكّنت فی الحضور عند ربّك وترفّعت عن جميع المقامات والشّهودات اذ كان موسى (ع) مشاهداً لبعض آياته ومضطرباً فی مشاهداته نظير: كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطّين [لِأَهْلِهِ إِنِّی آنَسْتُ نٰاراً سَآتِيكُمْ مِنْهٰا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهٰابٍ قَبَسٍ] قرئ بشهاب قبس بطريق التّوصيف وبطريق الاضافة والشّهاب الشّعلة من النّار واختلاف الكلمات فی الحكايات المكرّرة امّا للاشارة الى انّها منقولة بحسب المعنى والمنقول بحسب المعنى يؤدّى بألفاظٍ مختلفةٍ مترادفةٍ اومتوافقةٍ فی اداء المقصود، اوللاشارة الى انّ السّؤالات واجوبتها كانت كثيرة وكلّما ذكر حكايةً منها يذكر بعضها [لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ فَلَمّٰا جٰاءَهٰا نُودِیَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِی النّٰارِ وَمَنْ حَوْلَهٰا وَسُبْحٰانَ اللّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ] لمّا قال من فی النّار ومن حول النّار وتوهّم منه انّه محاط قال تعالى: سبحان الله من ان يكون محاطاً لانّه ربّ العالمين وربّ العالمين لا يكون محاطاً لشيءٍ من مربوباته [يٰا مُوسىٰ إِنَّهُ أَنَا اللّٰهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] يعنی انّ المتكلّم معك هو الله فتنبّه واستعدّ لما يلقى اليك فالهاء ضمير المتكلّم وانا خبره والله بدله، ويجوز ان يكون الهاء ضمير الشّأن وانا الله جملة مفسّرة له، نقل انّه بعد ماسمع هذه الكلمة سأل البرهان عليها فقال تعالى [وَأَلْقِ] معطوفٌ على محذوفٍ جواب للسّؤال المقدّر او المذكور والتّقدير ايقن ذلك وألق [عَصٰاكَ] ويجوز ان يكون عطفاً على بورك حتّى يكون مثل بورك تفسيراً لنودی، وان يكون عطفاً على انّه انا الله فانّه فی معنى قال ياموسى انّه انا الله وألق عصاك فألقاها فصارت حيّة حيّة متحرّكة فنظر فرآها حيّة متحرّكة [فَلَمّٰا رَآهٰا تَهْتَزُّ] تتحرّك [كَأَنَّهٰا جَانٌّ] حيّة غير عظيمة فانّ الجانّ حيّة غير عظيمةٍ غير موذية كحلاء العينين، قيل: انّها فی ذلك المقام صارت حيّة غير عظيمة غير موذية لانّها كانت اوّل مارآها فلم يجعلها الله حيّة عظيمة مثل ماصارت عند ملاقاة فرعون لئلّا يستوحش كثيراً ومع ذلك خاف منها و [وَلّٰى مُدْبِراً] حال مؤكّدة [وَلَمْ يُعَقِّبْ] لم يرجع على عقبه اولم ينظر الى عقبه [يٰا مُوسىٰ] جواب سؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول ای قلنا يا موسى

[لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ] يعنى انّ الخوف ليس الّا من بقايا الانانيّة تبقى على العبد والمرسلون اذا بلغوا الى مقام الحضور وكانوا عند الرّبّ لم يكن عليهم شيء من انانيّاتهم فلم يكن لهم ماعليه يخافون من الانانيّة وما يلزمها من نسبة الاموال والانعال والصّفات اليها [إِلَّا مَنْ ظَلَمَ] استثناء منقطع يعنى لكن من ظلم [ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ] بتدارك ظلمه فيما له تدارك وبالاستغفار والتّوبة فيما ليس له تدارك فانّه يخاف ولكن اغفر له وارحمه [فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ] او استثناء متّصل ويكون المراد بالظّلم بقايا اثر النّفس عليهم حتّى لاينا فى عصمة الانبياء (ع) يعنى الّا من كان باقياً عليه من انانيّته شيء فانّه ظلم بوجه على انسانيّته، ويؤيّد هذا المعنى قراءة الّا من اظلم من باب الافعال ثمّ بدّل هذا الظّلم حسناً حتّى لايمنع ظلمه من رسالته، وتبديله حسناً بان لايستبدّ بتلك الانانيّة ويلتجيء اليّ ويتضرّع عليّ ويستوحش من انانيّته ويستغفرني فانّي لااؤاخذه بتلك الانانيّة واغفرها له وارحمه باعطاء منصب الرّسالة لانّي غفور رحيم [وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ] جيب القميص معروف والمقصود ان يدخل يده تحت قميصه وثيابه ويضعه على قلبه ليطمئنّ من الرّهب ويتأثّر يده من ضوء قلبه كماقال واضمم اليك جناحك من الرّهب [تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ] اى من غير علّة البرص [فِي تِسْعِ آيَاتٍ] قداختلف الاخبار فى تعيين التّسع وفى خبر عن النّبىّ (ص): هى ان لاتشركوا به شيئاً، ولاتسرفوا، ولاتزنوا، ولاتقتلوا النّفس الّتى حرّم الله الّا بالحقّ، ولاتمشوا ببريء الى سلطان ليقتل، ولاتسحروا، ولا تأكلوا الرّبوا، ولاتقذفوا لمحصنة، ولاتولّوا للفرار يوم الزّحف، وعليكم خاصّة يا يهود ان لاتعتدوا فى السّبت، وكان يهوديّ سأله عن الآيات فلمّا سمع منه قبّل يده وقال: اشهد انّك نبيّ، وفى اخبار كثيرة فسّر الآيات التّسع بماكان يظهر منه من المعجزات مثل الجراد والقمّل والضّفادع وغير ذلك مع اختلاف فى تعيينها فانّ الظّاهر على يده وبواسطته كان اكثر من التّسع، والظّرف حال من فاعل تخرج اوظرف لغو متعلّق بفعل من افعال الخصوص حالاً من فاعل ادخل مثل ذاهباً اومرسلاً فى تسع آيات، ويحتمل ان يكون اليد من جملة التّسع اوزائدة على التّسع [إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ] فذهب فى الآيات الى فرعون وقومه [فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً] من ابصره اذا نظر اليه ورآه فيكون نسبته الى الآيات مجازاً عقلياً، اومن ابصره اذا جعله بصيراً، وقرئ مبصرة بفتح الميم والصّاد بمعنى محلّ التّبصّر، اومصدراً بمعنى ذوات ابصار [قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ وَجَحَدُوا بِهَا] اى جحدوا موسى بسبب الآيات مكان الاقرار بها لكمال عنادهم مع الحقّ وفسوقهم اوجحدوا الآيات من حيث انّها آيات الهيّة وقالوا انّها سحر [وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا] اى استكباراً [فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ] وقد سبق فى سورة الاعراف تفصيل الآيات وكيفيّتها وكيفيّة ابتلائهم بها وعاقبة امرهم [وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا] عظيماً فانّ ماآتاهما الله وان كان بالنّسبة الى علم الله وعلم محمّد (ص) وآله (ع) حقيراً لكنّه فى نفسه عظيم كثير، اوشيئاً يسيراً من علم آل محمّد (ص) وبهذا القدر اليسير تجاوب داود (ع) الجبال والطّيور وعلم سليمان (ع) منطق الطّيور وسائر الحيوان وسخّر الجنّ والطّيور والحيوان والرّياح [وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ] يعنى انّهما اظهرا شكراً لنعمة العلم والمقصود تفضيلهم على كثير من العباد من زمن آدم (ع) اوعلى كثير من عباد زمانهم بادخال الملائكة فيهم اوقالوا ذلك لاحتمالهم اوعلمهم بكون بعض العباد الحامدين افضل منهم اولهضم انفسهم ولتعليم الغير طريقة الشّكر وانّ الشّاكر على النّعم لاينبغى ان يغترّ بالنّعم ويعجب بنفسه بل ينبغى ان يرى فى كلّ الاحوال لغيره فضلاً على نفسه حتّى لايبتلى بالغرور والاعجاب بالنّفس، وفيه

دلالة على فضل العلم بالنّسبة الى سائر النّعم حيث ذكر تعالى شكرهما عقيب ايتاء العلم معلّقاً على التّفضيل على العباد بسبب العلم مع انّهما اوتيا ملكاً عظيماً وسلطنة ً وسيعة ً [وَوَرِثَ سُلَيْمٰانُ دٰاوُدَ] ماينبغى ان يرثه منه من الرّسالة و العلم والملك والسّلطنة ، ولذلك حذف المفعول الثّانى ، قيل للجواد (ع) : انّهم يقولون فى حداثة سنّك فقال : انّ الله اوحى الى داود (ع) ان يستخلف سليمان وهو صبىّ يرعى الغنم فأنكر ذلك عبّاد بنى اسرائيل وعلماؤهم ، فأوحى الى داود (ع) ان خذ عصا المتكلّمين وعصا سليمان (ع) واجعلهما فى بيتٍ واختم عليهما بخواتيم القوم فاذا كان من الغد فمن كانت عصاه قد اورقت واثمرت فهو الخليفة فأخبرهم داود (ع) فقالوا : قد رضينا وسلّمنا [وَقٰالَ] اظهاراً لنعم الله شكراً لها [يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ عُلِّمْنٰا] اتى بعلّم مبنيّاً للمفعول للتّبرّى من الانانيّة وانّ العلم الّذى اعطاه الله تعالى كان من محض فضل الله لا من نفسه [مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينٰا] اتى ههنا باوتينا لماذكر [مِنْ كُلِّ شَيْءٍ] انّما قال من كلّ شيءٍ لانّه لايمكن للممكن ولو بلغ مابلغ ان يؤتى كلّ شيءٍ الّا ان يخصّص الشّيء بالممكنات وحينئذٍ لايكون لغير الخاتم ان يقول واوتينا كلّ شيءٍ ، وفى خبرٍ : ليس فيه من وانّما هى واوتينا كلّ شيءٍ ، وبعد ماذكر انّه ليس من نفسه فخّمه وعظّمه تعظيماً لانعام الله ونعمه فقال [إِنَّ هٰذٰا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ] عن الصّادق (ع) اعطى سليمان بن داود (ع) مع علمه معرفة المنطق بكلّ لسانٍ ومعرفة اللّغات ومنطق الطّير والبهائم والسّباع وكان اذا شاهد الحروب تكلّم بالفارسيّة ، واذا قعد لعمّاله وجنوده واهل مملكته تكلّم بالرّوميّة ، واذا خلا بنسائه تكلّم بالسّريانيّة والنّبطيّة ، واذا قام فى محرابه لمناجاة ربّه تكلّم بالعربيّة ، واذا جلس للوفود والخصماء تكلّم بالعبرانيّة ، وعنه عن ابيه (ع) : اعطى سليمان بن داود (ع) ملك مشارق الارض ومغاربها فملك سبعمائة سنة وستّة اشهر ملك اهل الدّنيا كلّهم من الجنّ والانس والشّياطين والدّوابّ والطّير والسّباع واعطى علم كلّ شيءٍ ومنطق كلّ شيءٍ وفى زمانه صُنعت الصّنائع العجيبة الّتى سمع بها النّاس وذلك قوله علّمنا (الآية) وقد كثر فى اخبارنا انّ الائمّة (ع) اعطوا جميع مااعطى سليمان (ع) ولهم الفضل عليه [وَحُشِرَ لِسُلَيْمٰانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ] قدّم الجنّ لانّ معظم الامور الّتى تتمشّى من الجنود مثل سرعة السّير والاخبار بالوقائع الواقعة فى النّواحى وصنع الصّنائع العجيبة الّتى يحتاج اليها السّلاطين كان منهم [وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ] خصّها من بين سائر الحيوان للاحتياج اليها فى التّظليل [فَهُمْ يُوزَعُونَ] يحبسون حتّى يلتحق اوّلهم بآخرهم اذا كان من وزع كوضع بمعنى كفّ ، اويُعزون اذا كان من اوزعه بمعنى اغراه ، اويدبّر امورهم ويعلمون من وزع اذا دبّر امور الجيش ، اويجعلون جماعاتٍ من الاوزاع بمعنى الجماعات ، اويقسّمون من الايزاع كالتّوزيع بمعنى التّقسيم [حَتّٰى إِذٰا أَتَوْا] اى فساروا حتّى اذا اتوا [عَلىٰ وٰادِ النَّمْلِ] قيل هو وادٍ بالطّائف كثير النّمل ، وقيل : هو وادٍ بالشّام كثير النّمل ، وفى تفسير القمىّ قعد على كرسيّه وحملته الرّيح فمرّت به على وادالنّمل وهو وادينبت فيه الذّهب والفضّة وقد وكّل به النّمل وهو قول الصّادق (ع) انّ لله وادياً ينبت الذّهب والفضّة وقد حماه الله باضعف خلقه وهو النّمل لورامته البخاتى ماقدرت عليه ، ونسب الى الرّواية انّ نمل سليمان كانت كأمثال الذّئاب والكلاب [قٰالَتْ نَمْلَةٌ] هى رئيسها واميرها كما قيل [يٰا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسٰاكِنَكُمْ لٰا يَحْطِمَنَّكُمْ] بدل من ادخلوا بدل الاشتمال اومستأنف جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ وهو نهى وليس بنفى مجزوم فى جواب الامر كما قيل لانّ نون التّأكيد لايدخل فى النّفى والفعل الموجب فى غير الضّرورة [سُلَيْمٰانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لٰا يَشْعُرُونَ] هذا تبرئة من النّملة للنّبىّ (ع) من الظّلم [فَتَبَسَّمَ ضٰاحِكاً مِنْ قَوْلِهٰا] لتعجّبه من قدرة الله واسماعه قول النّمل خصوصاً من المسافة البعيدة ، اومن نعمة الله عليه بان اقدره

على سماع كلام النّمل وفهم مقصده ، اومن فطانة النّمل وتميزه بين الحاطم وغيره ومعرفته لسليمان وجنوده ، وهذا يدلّ على انّه وجنوده كانوا يمشون مشاة وراكبين لا انّهم يسيرون فى الهواء بمركب الرّيح [وَقَالَ] تبجّحاً بنعم الله واظهاراً لشكرها [رَبِّ أَوْزِعْنِي] الهمنى او اولعنى [أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ] اشارة الى هذه النّعمة اى نعمة افهام نطق الحيوان اوجنس النّعمة الّتى انعمها عليه [وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ] باعطائهما ولداً مثلى اولسائر نعمهم [وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ] ليكون عملى شكراً فعلياً لانعمك [وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ] فى الدّنيا اوفى الآخرة اوفيهما [وَتَفَقَّدَ] تجسّس [الطَّيْرَ] طلباً لفقدانها فلم يرمنها الهدهد [فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ] اصله ماله لااراه لكنّه قلّب واستعمل فى هذا المعنى فى العرب والعجم، اوهو على الاصل [أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا] بنتف ريشه والقائه فى الشّمس،اوبجعله مع غير جنسه كماقيل [أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ] حجّة [مُبِينٍ] واضح فى عذره اوموضح عذره فى غيبته وتفقّده للطّيور وعتابه للهدهد على غيبته لجريه على طريقة الملوك وامراء الجند فانّ امير العسكر اذا فقد واحداً من اجزاء العسكر عاتبه واخذه بجرمه لانّ كلّاً من اجزاء العسكر له شغل وعمل اذا فقد بدون الاذن والبدل اختلّ امر العسكر، ولعلّ فقدان واحد منها يصير سبباً لهلاك الكلّ وكان الهدهد كمافى الخبر يدلّه على الماء لانّه كان يرى الماء فى بطن الارض كمايرى احدٌ الدّهن فى القارورة، اوكان الطّير تظلّ كرسيّه من الشّمس فبان الشّمس على حجره [فَمَكَثَ] سليمان اوالهدهد فى غيبته زماناً [غَيْرَ بَعِيدٍ] اومكاناً غير بعيد ثمّ رجع الى سليمان [فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ] يعنى علمت بمالم تعلم به واطّلعت على مالم تطّلع عليه [وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ] مدينة بارض اليمن، قيل: بعث الله الى سبأ اثنى عشر نبياً ونقل عن النّبىّ (ص) انّه سئل عن سبإ فقال: هو رجل ولد له عشرة من العرب تيامن منهم ستّة وتشاءم اربعة؛ وعلى هذا كانت المدينة سمّى باسم هذا الرّجل [بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ] لسعة مملكتها ووجدان كلّ مايحتاج الانسان اليه فيها والمرأة كانت بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريّان كماقيل، وقيل: كان ابوها شرجيل وكان آباؤها الى اربعين اباً ملكاً [وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ] عظمه بالنّسبة اليها او بالنّسبة الى سائر العروش والّا كان ثلاثين ذراعاً فى عرض ثلاثين ذراعاً فى ارتفاع ثلاثين، وقيل: كان ثمانين فى ثمانين، وقيل: كان ثمانين فى ثمانين ، وقيل : كان مقدّمه من ذهب مرصّع بالياقوت الاحمر والزّمرّد الاخضر، ومؤخّره من فضة مكلّلة بالوان الجواهر وعليه سبعة ابيات على كلّ بيت باب مغلق [وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ] الّتى يعملونها من عبادتهم للشّمس وسائر مايعملونها لدنياهم وآخرتهم حتّى يرتضون اعمالهم ، وهذا هو المانع من طلب الحقّ واتّباع اهله [فَصَدَّهُمْ] بهذا التّزيين والارتضاء [عَنِ السَّبِيلِ] اى سبيل الحقّ [فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ] اليه، قيل: لم يكن الهدهد عارفاً بذلك وانّما اخبر بذلك كما يخبر مراهقوا صبياننا لانّه لاتكليف الّا على الملائكة والانس والجنّ، وهذا من غفلته من ادراك الموجودات بل نقول: كلّ الموجودات شاعرون عالمون ولكن لاشعور لهم بشعورهم: ان من شيء الّا يسبّح بحمده ولكن لايفقهون تسبيحهم لعدم شعورهم بشعورهم فكان جملة الموجودات ينادون جهاراً بهذا القول :

ما سميعيم و بصيريم و خوشيم   با شما نامحرمان ما خامشيم
چون شما سوى جمادى ميرويد   محرم جان جمادان كى شويد
از جمادى در جهان جان رويد   غلغل اجزاى عالم بشنويد

فاش تسبيح جمادات آيدت وسوسه تأويلها بر بايدت
چون ندارد جان تو قنديلها بهر بينش كردهٔ تأويلها

[اَلّاٰ يَسْجُدُوا] قرئ بتخفيف الّلام من الاعلى انّه كان ياقوم اسجدوا فحذف المنادى وحينئذٍ يكون من كلام الهدهد بتقدير القول جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ماقلت لهم؟ـ فقال: قلت لهم: ياقوم اسجدوا او من كلام سليمان (ع) خطاباً لقومه بعدماذكر الهدهد اهل سبا وسجدتهم للشّمس اومن الله خطاباً لقوم سليمان (ع)، وقرئ بتشديد الّلام وحينئذٍ يجوز ان يكون ان تفسيريّة ولايسجدوا نهياً وتفسيراً لقوله تعالى: صدّهم فانّ الصّدّ القولى فى معنى القول كأنّه قيل: صدّهم بقولٍ اى لايسجدوا، وان يكون ان ناصبة بدلاً من اعمالهم او بتقدير الّلام او الباء متعلّقاً بيسجدون اوزيّن او صدّهم او لا يهتدون، او لفظة لا زائدة وهو بتقدير الى متعلّق بيهتدون، او بدون التّقدير بدل من السّبيل والمعنى فصدّهم عن السّبيل عن السّجدة [لِلّٰهِ الَّذى يُخْرِجُ الْخَبْأَ] الخبأ بالفتح والسّكون مصدر فى معنى مايخفى او مشترك بين المصدر والوصف بمعنى المفعول كالخبيئ [فِى السَّمٰواتِ وَالْاَرْضِ].

اعلم، انّ السّماوات تطلق على الكرات العلويّة المحيطة بالارض المشهودة بحركات كواكبها، وعلى نفس الكواكب وعلى المجرّدات عن المادّة من عالم المثال الى عالم المشيّة، والارض تطلق على الارض المحسوسة الواقعة فى حيّز المركز، وعلى جملة المادّيّات من البسائط والمواليد علويّة كانت ام سفليّة، وعلى مراتب الموادّ من الهيولى الاولى الى البشريّة الّتى تعدّ سبعاً ويعبّر عنها بالاراضى السّبع وعلى معنى يشمل المثاليّات العلويّة والسّفليّة وجملة الاستعدادات القريبة والبعيدة الّتى كانت للموادّ، والمواليد فى الحقيقة وجودات ضعيفة للمستعدّ لها فهى المستعدّ لها المستورة فى الموادّ والمواليد لعدم بروزها بعد بحدودها ووجوداتها القويّة وجميع الفعليّات الفائضة من العلويّات والجهات الفاعلة على المادّيّات والجهات القابلة موجودة بنحو الاجمال والبساطة فى الجهات الفاعلة لكنّها مختفية بنحو التّفصيل والتّميز ومن حيث وجوداتها الخاصّة فى الجهات الفاعلة فلا اختصاص للمخبوءات بالحبوب والعروق المختفية تحت الارض ولا بالكواكب المختفية فى السّماء وقد اشير بالفارسيّة الى ما اشرنا بقوله :

ايكه خاك شوره را تو نان كنى وايكه نان مرده را توجان كنى
عقل وحس را روزى وايمان دهى ايكه خاك تيره را توجان دهى
ميكنى جزو زمين را آسمان ميفزائى در زمين از اختران

[وَيَعْلَمُ ماٰ تُخْفُونَ] من الافعال والاحوال والاقوال والنّيّات والعزمات والخيالات والخطرات والمكمونات الّتى لاشعور لكم بها [وَماٰ تُعْلِنُونَ] كذلك، وقرئ الفعلان بالغيبة يعنى الّا يسجدوا لله الّذى يستحقّ العبادة لكمال دقّته ولطفه فى العمل بحيث يخرج جميع مكمونات الارواح والاجساد فيخرج جميع مكمونات وجودكم ويجازيكم عليها ولكمال دقّته ولطفه فى العلم بحيث يعلم جميع ما تخفونه علمتموها اولم تعلموها وجميع ماتعلمونه فيجازيكم عليها [اَللّٰهُ] خبر الّذى او بدل منه او مبتدء خبره [لاٰ اِلٰهَ اِلّاٰ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ] الى ههنا آخر حكاية قول الهدهد اوآخرها يهتدون او الا يسجدوا على تخفيف الّلام ابتداء كلام من الله اومن سليمان (ع) او الا يسجدوا لله آخر الحكاية والّذى يخرج الخبأ ابتداء كلام كذلك، اوالله لا اله الّا هو ابتداء كلام من الله، اومن سليمان (ع) [قاٰلَ سَنَنْظُرُ اَصَدَقْتَ] فى هذا الاخبار [اَمْ كُنْتَ مِنَ الْكاٰذِبِينَ] لم يقل ام كذبت لانّه قلّما ينفكّ المخبر عن زيادة ونقيصة فى حكايته وليس مقصوده (ع) النّظر فى انّه ادخل فى اخباره كذباً بل مقصوده ان ينظر انّه كذب وهو متعمّد فى كذبه او صدق فى اصل اخباره دخل فيه كذبٌ ما اولم يدخل [اِذْهَبْ بِكِتاٰبى هٰذاٰ] قد سبق مكرّراً انّ امثال هذه

مستأنف وجواب لسؤال مقدّر [فَأَلْقِهْ] قرئ بسكون الهاء تشبيهاً لهاء الضّمير بالواو والياء الضّميرين، اوتشبيهاًلها بهاء السّكت اواجراءً للوقف مجرى الوصل [إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ] باخفاء حالك عنهم حتّى تتمكّن من استماع قولهم [فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ] يتكلّمون بعضهم لبعضٍ ، وقيل: الكلمتان على التّقديم والتّأخير والاصل فانظر ماذا يرجعون ثمّ تولّ عنهم للذّهاب الينا وايصال خبرهم، قيل : قال الهدهد انّها فى حصنٍ منيعٍ قال سليمان(ع): ألق كتابى على قبّتها ، فجاء الهدهد فألقى الكتاب فى حجرها فارتاعت من ذلك وجمعت جنودها ، وقيل: اتاها الهدهد وهى مستلقية على قفاها فألقى الكتاب على نحرها، وقيل: كانت له كوّة مستقبلة للشّمس تقع الشّمس عندما تطلع فيها فاذا نظرت اليها سجدت؛ فجاء الهدهد الى الكوّة فسدّها بخباحيه فارتفعت الشّمس ولم تعلم فقامت تنظر فرمى الكتاب اليها، فلمّا قرأت الكتاب جمعت الاشراف وهم يؤمئذٍ ثلاثمائة واثناعشر قَيْلاً[1] [قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ] سمّاه كريماً لختمه،اولجودة مضمونه،اولتصدّره ببسم الله، اولغرابته من حيث انّه القى اليه مع انّه لم يكن لاحدٍ فى حصنه مدخل ومخرج، اولجلالة مرسله [إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ] اى منقادين اومقدّرين للاسلام الّذى هو دينٌ آلهىٌّ [قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ] قالت ذلك لانّهم كانوا وزراءها واصحاب شورها وبمنزلة اعضاء دولتها [قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ] نقدر على القتال مع السّلاطين من حيث قوّة الابدان ومن حيث العدد وتهيّة الاسباب [وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ] يعنى بأسنا فى القتال شديد لانّا شجعان وتدرّبنا القتال ولنا الحذاقة والمهارة فى امر القتال [وَ] لكن [الْأَمْرُ] اى امر الصّلح والقتال [إِلَيْكِ] ونحن مطيعون لك [فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ قَالَتْ] بطريق الشّورى [إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً] يعنى انّهم ان غلبونا افسدوا بلادنا واذلّوا اعزّتنا [وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ] تأكيد للتّفصيل السّابق اومعترضة من الله لتصديقها وكأنّه تأثّر قلبها من الكتاب ولان للصّلح واراد ان يستميل قومها للصّلح بطريق الشّور لا بطريق الامر [وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ] لانّها كانت تعلم عادة الملوك وانّهم يرضون بالهدايا، فقالت: نرسل اليه بهديّةٍ فان قبلها فهو سلطانٌ يريد الملك ويجوز المقاتلة معه ، وان ردّها واصرّ على طلب ما اظهر من الدّين فهو رسولٌ آلهيٌّ وليس لنا ان نقاتل معه، واختلف فى هديّتها فقيل: كانت وُصَفاء ووصائف البستهم لباساً واحداً حتّى لايعرف ذكر من انثى، وقيل: البست الغلمان لباس الجوارى والجوارى لباس الغلمان ، وقيل: كانت صفائح من ذهبٍ فى اوعية من الدّيباج ، وقيل: كانت خمسمائة غلام جعلتهم فى لباس الجوارى وحليهنّ ، وخمسمائة جارية جعلتهنّ فى لباس الغلمان وحليهم ،وحملت الجوارى على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة برزون ؛على كلّ فرسٍ لجام من ذهبٍ مرصّعٍ بالجواهر ،وبعثت اليه خمسمائة لبنة من ذهبٍ وخمسمائة من فضّة،وتاجاً مكلّلاً بالدّرّ والياقوت ،وعمدت الى حقّةٍ فجعلت فيها درّةً يتيمةً غير مثقوبة وخرزة جزعيّة مثقوبة معوجّة الثّقب ودعت رجلاً من اشراف قومها اسمه المنذر بن عمرو وضمّت اليه رجالاً من قومها اصحاب رأى وعقل وكتبت اليه كتاباً بنسخة الهديّة وقالت فيها: ان كنت نبيّاً فميّز بين الوصفاء والوصائف ، وأخبر بما فى الحقّة قبل ان تفتحها، واثقب الدّرّة ثقباً مستوياً، وادخل الخرزة خيطاً من غير علاج انسٍ ولاجنٍّ فانطلق الرّسول بالهدايا، واقبل الهدهد مسرعاً الى سليمان (ع) فأخبره الخبر فأمر سليمان (ع) الجنّ

---

(١) القيل بفتح القاف مخفّف قيّل كسيّد النّافذ القول .

ان يضربوا لبنات الذّهب ولبنات الفضّة ففعلوا ثمّ امرهم ان يبسطوا من موضعه الّذى هو فيه الى بضع فراسخ ميداناً واحداً بلبنات الذّهب والفضّة ، وان يجعلوا حول الميدان حائطاً شرفها من الذّهب والفضّة ، ففعلوا ، ثمّ قال للجنّ : علىّ باولادكم فاجتمع خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان ويساره ، ثمّ قعد فى مجلسه على سريره ووضع له اربعة آلاف كرسىّ عن يمينه ومثلها عن يساره وامر الشّياطين ان يصطفّوا صفوفاً فراسخ ، وامر الانس فاصطفّوا فراسخ ، وامر الوحوش والسّباع والهوامّ والطّير ،فاصطفّوا فراسخ عن يمينه ويساره، فلمّا دنا القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان تقاصرت اليهم انفسهم ورموا بمامعهم من الهدايا ووقفوا بين يدى سليمان (ع) ونظر اليهم نظراً حسناً، وكانت بلقيس اوصتهم ان نظر اليكم نظر غضبٍ فانّه سلطانٌ وان نظر نظر لطفٍ فهو نبىٌّ ، وقال سليمان (ع) : ماوراءكم؟ـ فاخبره رئيس القوم بماجاؤا به وأعطاه كتاب الملكة ، فنظر فيه وطلب الحقّة، وأخبرهم بمافيه ، وثقب الدّرّة بالارضة، وسلك الخيط فى الخرزة بدودة بيضاء، وميّز بين الجوارى والغلمان، وردّ هداياها اليها كما قال تعالى [فَلَمّٰا جٰاءَ سُلَيْمٰانَ قٰالَ اَتُمِدُّونَنِ بِمٰالٍ فَمٰا آتٰانِ اللّٰهُ] وقد رأيتم شطراً منه [خَيْرٌ مِمّٰا آتٰيكُمْ بَلْ اَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ] يعنى انّكم بهديّة بعضكم لبعض تفرحون اذا كان من الاعراض الدّنيويّة لا انا لانّ فرحى بهديّة القلب السّليم والايمان الصّحيح [اِرْجِعْ اِلَيْهِمْ] ولم يذكر رجوع الهدايا لعدم الاعتداد بها [فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاٰقِبَلَ لَهُمْ بِهٰا] وقد رأيتم شيئاً منها [وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهٰا] اى من سبا او من عند بلقيس [اَذِلَّةً وَهُمْ صٰاغِرُونَ] تأكيد للاذلّة فلمّا رجعوا اليها وقصّوا القصّة علمت انّه رسول من الله وعزمت على الخروج الى سليمان (ع) فلمّا علم بعزمها ورأى انّ قلبها متعلّق بعرشها [قٰالَ] لاشراف جنوده [يٰا اَيُّهَا الْمَلَأُ اَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهٰا قَبْلَ اَنْ يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ] وقيل: انّ هذا القول كان منه بعد ماوصل بلقيس الى مكان قريبٍ منه فانّه كان مهيباً لا يبتدء بالكلام عنده حتّى يكون هو الّذى يسأل عنه فخرج يوماً فجلس على سريره فرأى غباراً قريباً منه فقال: ما هذا ؟ فقالوا بلقيس يارسول الله وقد نزلت منّا بهذا المكان وكان مابينه وبين الكوفة على قدر فرسخ فقال : ايّكم يأتينى بعرشها عند ذلك [قٰالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ] العفريت بكسر العين النّافذ فى الامر المبالغ فيه مع ذكاءٍ وفطنةٍ [اَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ اَنْ تَقُومَ مِنْ مَقٰامِكَ] اى من مجلسك الّذى تقضى فيه وكان يجلس فيه، من غدوةٍ الى نصف النّهار [وَاِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ] فلا يفوتنى شيءٌ من اجزائه بل آتيك به بجميع اجزائه من غير ان افصل اجزاءه [اَمِينٌ] لا اخون فى شيءٍ منه فقال سليمان (ع) : اريد اسرع من ذلك [قٰالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ] يسير [مِنَ الْكِتٰابِ] القرآنىّ التّكوينىّ الّذى يتنزّل فيصير فرقاناً بصورة الكتب السّماويّة اوبصورة الشّرائع الآلهيّة والرّجل كان آصف بن برخيا وزير سليمان (ع) وابن اخته، وقيل : كان رجلاً اسمه بلخيا،وقيل: كان اسمه اسطوم،وقيل: كان هو الخضر (ع) ،وقيل: كان الّذى عنده علمٌ من الكتاب جبرائيل ، وقيل: كان سليمان (ع) نفسه [اَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ اَنْ يَرْتَدَّ اِلَيْكَ طَرْفُكَ] قد حقّقنا فى مطاوى ما اسلفنا خصوصاً فى اوّل سورة بنى اسرائيل انّ الانسان ذوجزئين؛ جزء ملكىّ وجزء ملكوتىّ فاذا غلب الجزء الملكىّ كما فى اغلب النّاس استهلك الجزء الملكوتىّ وحكمه فلم يظهر منه اثر وحكم ،واذا غلب الجزء الملكوتىّ صار الجزء الملكىّ مستهلكاً من غير بقاء اثرٍ وحكمٍ منه، ولمّا كان الملكوت حكمها عدم التّقيّد بالزّمان والمكان بل الاحاطة بهما والتّجرّد منهما كان جميع الزّمانيّات والازمنة عندها كالآن وجميع المكانيّات والامكنة كالنّقطة وكان من غلب عليه الملكوت يقدر على تعرّف حال الآتين والماضين، وعلى سير المشرق والمغرب فى آنٍ واحدٍ ،وكان كلّ ما اتّصل به من الاجسام الثّقيلة يصير بحكمه من عدم التّقيّد بزمانٍ ومكانٍ كما انّ عباء محمّدٍ (ص) ونعليه خرجت من حكم الملك بسبب اتّصالها به وسارت بسيره فى الملكوت والجبروت

بل فوق الامكان، اذا علمت ذلك، فاعلم انّ آصف (ع) علم الاسم الاعظم الّذى هولطيفته الملكوتيّة ودعا الله تعالى بتلك اللّطيفة يعنى انّه تشأّن بشأن تلك اللّطيفة و فعل فعله بشأن تلك اللّطيفة فصار ملكه مغلوباً لاحكم له، فلم يكن المسافة بينه وبين عرش بلقيس مانعة من اتّصال يده الملكوتيّة به ولا الجبال والتّلال حائلة بين نظره ويده وبين العرش، وبعد اتّصال يده بالعرش صار العرش بحكم الملكوت وارتفع عن الزّمان والمكان فلم يبق له حاجة فى حركته الى مدّة ومضىّ زمان ولم يكن الجبال والتّلال مانعة من حركته فوصل يده الى العرش واتى به فى آن واحد وهذا معنى قوله: قبل ان يرتدّ اليك طرفك يعنى فى اقصر من طرفة العين لاماقالوه وفسّروه به [فَلَمَّا رَآهُ] يعنى مدّ يده واتى به فى اقلّ من طرفة العين فلمّا رآه سليمان (ع) [مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ] اظهاراً لانعام الله ورؤية للمنعم فى الانعام [هٰذَا] اى اتيان وزيرى به قبل طرفة العين [مِنْ فَضْلِ رَبِّي] علىّ [لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ] هذه النّعمة اومطلق نعمه [وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ] عنه وعن شكره [كَرِيمٌ] لايمنع من كفر انعامه ويزيد من شكر افضاله، واختلف فى وجه الاتيان بعرشها؛ فقيل: انّه اعجبته صفته فاراد ان يراه واحبّ ان يملكه قبل ان تسلم فيحرم عليه اخذ مالها، وهذا شبيه باقوال العامّة، اواراد ان يختبر بذلك عقلها وفطنتها، اواراد ان يظهر معجزة عليها حين ورودها لانّها خلّفته فى دارها واوثقته ووكلت به ثقاه، وقيل: كانت بلقيس محبّة لها، فاراد ان لايكون قلبها متعلّقاً بغيره وقت الورود [قَالَ] سليمان (ع) [نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا] بتغيير هيئتها وصورتها وكان منظوره استخبارها كما قال [نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي] الى معرفته [أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ] اوالمعنى ننظرا تستدلّ بحضور العرش على صدقى ونبوّتى وقدرة الله ام لاتهتدى [فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ] لها [أَهٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ] لم تثبته ولم تنكره لما رأت من مماثلته له فى جميع اجزائه واوضاعه وهيآته، ولما رأت من بعض تغييرات فيه بحسب الوانه واشكاله، وهذا من كمال العقل والحزم حيث لم تتبادر بتصديق وتكذيب وتثبّتت فى امره، وقيل: عرفته لكن لمّا قالوا: اهكذا عرشك بطريق التّشبيه اجابت بقولها: كأنّه هو بطريق التّشبيه لتطابق الجواب للسّؤال، وقيل: كانت حكيمة فلو قالت: هو هو؛ خشيت التّكذيب، ولو قالت: ليس به، خشيت ان تكذب، فقالت كلمة لاتكذّب فيها، فقيل لها: هو عرشك، فما اغنى عنك اغلاق الابواب ولاقوّة الحرّاس واهتمامهم بالحراسة وما اعجز نا بُعد المسافة ولاعظمة العرش وثقله، فقالت [وَأُوتِينَا الْعِلْمَ] برسالة سليمان (ع) وانّ امرا لهىٌّ غير بشرىّ [مِنْ قَبْلِهَا] اى من قبل تلك الآية الظّاهرة لنا من العرش واتيانه، اومن قبل هذه السّاعة، ويجوز ان يكون هذا من كلام سليمان (ع) اوالّذى قال: اهكذا عرشك، اوقوم سليمان والمعنى واوتينا العلم بقدرة الله على امثال هذه قبل هذه الآية اوقبل بلقيس، اواوتينا العلم بمجيء بلقيس اواسلامها قبل مجيئها فأتينا بعرشها [وَكُنَّا مُسْلِمِينَ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ] اى صدّ بلقيس سليمان اوالعرش حين رأته حاضراً عندها عن كونها تعبد من دون الله اوعن الّتى تعبدها من دون الله وهى الشّمس اوصدّها عن الايمان كونها تعبد من دون الله، اوالّتى تعبدها من دون الله [إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ] فى موضع التّعليل وبعد ما انقضى السّؤال والجواب عن العرش [قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ] الصّرح هو الموضع المنبسط من غير سقف، وقيل: انّه قصر من زجاج، وقيل: كلّ بناء من زجاج اوصخر اوغير ذلك موثّق فهو صرح، قيل: لمّا اقبلت بلقيس امر سليمان (ع) الشّياطين ببناء الصّرح من قوارير واجرى تحته الماء وجمع فى الماء الحيتان والضّفادع ودوابّ البحر ثمّ وضع له فيه سرير فجلس عليه [فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً] قيل قالت: ماوجد ابن داود (ع) عذاباً يقتلنى به الّا الغرق وانفت ان تجبن فلا تدخل [وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا] فلمّا رآها سليمان (ع) وكان عليهما شعور كرهتها سليمان فاستشار الجنّ فى ذلك فعملوا

الحمّامات وطبخوا النّورة وكان اوّل ماصنعت النّورة [قالَ] لهاسليمان(ع) : ليس ههناماء [إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ] مملّس [مِنْ قَوارِيرَ قالَتْ] بعد ما علمت انّها اساءت الظّنّ بنبيّ الله(ع) [رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي] بالظّنّ السّوء بنبيّك [وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ] وللاشارة الى ضعفها وعدم استقلالها باسلامها قال: اسلمت مع سليمان (ع) واختلف في امرها ؛ فقيل: انّه تزوّجها سليمان واقرّها على ملكها ، وقيل: انّه زوّجها من ملك يقال له تبّع وردّها الى ارضها ، وامر اميراً من امراء الجنّ باليمن ان يطيعه ويعمل له، فصنع له المصانع باليمن [وَلَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذا هُمْ فَرِيقانِ] مؤمنون وجاحدون [يَخْتَصِمُونَ قالَ] صالح (ع) لهم بعد ما قالوا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصّادقين [يا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ] بالعذاب [قَبْلَ الْحَسَنَةِ] اى قبل سؤال الرّحمة [لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ] لولا تطلبون مغفرته وعفوه عمّا فعلتم [لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] منه [قالُوا اطَّيَّرْنا] تشأمنا [بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ] يعنى انّك منذ ادّعيت ما ادّعيت واتيت بدين جديد ابتلينا بالقحط والجدب والامراض وليس الاّ بشؤم دينك الجديد ، وقد مضى فى سورة الاعراف وجه اطلاق التّطيّر على التّشأّم [قالَ] لهم صالح (ع) [طائِرُكُمْ] اى سبب خيركم وشرّكم اوسبب شرّكم [عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ] تختبرون بالخير والشّرّ لعلّكم تذكّرون انّ هذه بشؤم اعمالكم فتلتجؤن الى الله وتصدّقون رسوله (ع)، اوالمعنى انتم قوم تعذّبون بتلك البلايا بشؤم اعمالكم [وَكانَ فِي الْمَدِينَةِ] مدينة صالح (ع) [تِسْعَةُ رَهْطٍ] الرّهط ويحرّك قوم الرّجل وقبيلته وتكون من ثلاثة اوسبعة الى عشرة اومادون العشرة ولا واحد له من لفظه وكان هذه الارهط من اشراف قوم صالح (ع) وهم الّذين سعوا فى عقر النّاقة [يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ] ارض مدينتهم ونواحيها وارض عالمهم الصّغير [وَلا يُصْلِحُونَ] حتّى يجعل اصلاحهم جبراناً لافسادهم [قالُوا تَقاسَمُوا بِاللَّهِ] امر ومقول للقول اوماض وبدل من قالوا اوحال من فاعله والمعنى تحالفوا بالله لئلاّ يتخلّف بعض [لَنُبَيِّتَنَّهُ] اى لندخلنّ عليه فى اللّيل لقتله [وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ] اى ولىّ دمه قرئ الفعلان بالنّون وفتح الآخر وبالتّاء وضمّ الآخر [ما شَهِدْنا مَهْلِكَ أَهْلِهِ] هلاكهم اووقت هلاكهم اومكان هلاكهم يعنى ما علمناه فكيف بتولّينا وانّما قالوا مهلك اهله ولم يقولوا مهلكه اشعاراً بانّ مهلكه اصعب من مهلك أهله ومن لم يشهد مهلك اهله لم يشهد مهلكه بالطّريق الاولى ، اوورّوا بذلك وكان مقصودهم ماشهدنا مهلك اهله فقط بل مهلكه ومهلك اهله ولذا قالوا [وَإِنَّا لَصادِقُونَ وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنا مَكْراً] تسمية فعل الله بالمكر امّا من باب صنعة المشاكلة اوللتّشبيه بمكر العباد والاّ فالماكر لعجزه عن اعلان الاساءة يخفى الاساءة ويظهر ارادة الاحسان ليقدر على انفاذ اساءته والحقّ تعالى شأنه ليس عاجزاً عن انفاذ مراده حتّى يخفيه لعجزه [وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ] باساءتنا المختفية [فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْناهُمْ] قرئ بكسر الهمزة على الاستيناف بجعله جواباً لسؤال مقدّر، وقرئ بفتح الهمزة على ان يكون بتقدير اللاّم او الباء اوفى ، اوعلى ان يكون بدلاً من اسم كان اوخبراً لكان وكيف يكون حينئذ حالاً اوعلى ان يكون انّا دمّرناهم خبر مبتدء محذوف [وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ] قيل كان لصالح (ع) بالحجر الّتى هى بلاد ثمود مسجد فى شعب يصلّى فيه وقد وعدهم نزول العذاب بعد ثلاثة ايّام فقال التّسعة الارهاط بزعم انّه يفرغ منّا بعد ثلاثة فانّا نفرغ منه ومن اهله قبل الثّلاثة فذهبوا الى الشّعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة فطبّقت عليهم فم الشّعب فهلكوا ثمّ هلك الباقون فى اماكنهم بالصّيحة [فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً] من خوى الدّار مكسور العين ومفتوحها اذا خلت ، اومن خوت مفتوح العين فقط اذا تهدّمت ، وقيل: انّ هذه

البيوت بوادى القرى بين المدينة والشّام [بِمَا ظَلَمُوا] بظلمهم وفى هذه الآية دلالة على انّ الظّلم يخرب البيوت [إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] خرابها ، اويعلمون قصصهم اولهم علم وعقل [وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا] به اوبالله [وَكَانُوا يَتَّقُونَ] يعنى صار سجيّتهم التّقوى لانّ تخلّل كان يفيد هذا المعنى، قيل: كانوا اربعة آلاف خرج بهم صالح (ع) الى حضرموت وسمّيت حضرموت لانّ صالحاً (ع) لمّا دخلها مات [وَلُوطًا] عطف على مجموع الى ثمود صالحاً [إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ] الّتى هى اتيان الذّكور [وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ] بُصراء، اوتعلمون قبحه، اوترون بعضكم من بعض [أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ] بدل تفصيلىّ من قوله اتأتون الفاحشة [بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ] تفعلون افعال الجهّال او تجهلون قبح هذه الافعال وسوء عاقبتها، اوتجهلون القيامة والدّار الآخرة، اوانتم صاحبوا الجهل [فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ] لمّا لم يكن لهم جواب بالحجّة هدّدوه بالقتل والاخراج، ولمّا لم يكن لوط (ع) من اهل قريتهم قالوا أخرجوه وعلّلوه بطهارتهم عن مثل افعالهم.

[الجزء العشرون]

[فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا] اى كونها [مِنَ الْغَابِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا] عجيباً وهو مطر الحجر [فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ] بعد ماذكر قصص الانبياء (ع) وماخصّهم به من الآيات الدّالّة على صدقهم وقدرة الله وحكمته ومن الانتصار لهم من اعدائهم امر الرّسول (ص) بالحمد شكراً لنعمه الّتى انعم بها على رسله لانّ انعام الرّسل كان مقدّمة لارساله وانعاماً عليه [وَسَلَامٌ] عطف على الحمدلله يعنى وقل سلام [عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ] لانّك علمت تخصيص الله ايّاهم (ع) من بين العباد فحيّهم بتحيّة خواصّ الله، اومستأنف من الله تحيّة لرسله (ع) [آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ] اى اقوام الرّسل (ع) من الاصنام والكواكب والعجل والملائكة والشّياطين والاهوية [أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ] ام منقطعة متضمّنة للاستفهام، ومن موصولة بدل من الله، ولمّا كان المقصود الزامهم على انّ الله خير ممّا يشركون وانّهم فى اختيار غير الله عليه سفهاء وكان ما بعد ام فى تلك الفقرات الآتية اوضح فى هذا المعنى وابلغ اضرب عن قوله آلله خير اما يشركون وقال بل من خلق السّماوات والارض خير ام ما يشركون ، ويجوز ان يكون من استفهاميّة وام منقطعة غير متضمّنة للاستفهام ويكون الكلام مستأنفاً [وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ] رياضاً وبساتين [ذَاتَ بَهْجَةٍ] ذات منظر صحيح يبتهج به، والتفت الى التّكلّم للاشعار بانّ انبات الحبوب واللّبوب والعروق الّتى هى جماد وانماؤها واخراج الاوراق والغصون والاثمار عليها خارج عن عهدة الاسباب الطّبيعيّة من دون حضور الله واسبابه الغيبيّة ، وللاشارة الى انّ النّاظر الى الاسباب ينبغى ان يكون نظره اليها بحيث ينتقل منها الى مسبّب الاسباب فاذا نظر الى سبب اوسببين ينبغى ان ينتقل الى المسبّب وتمثّل وحضر عنده المسبّب [مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا] وان كنتم فى غاية الاهتمام وفى غاية التّدبير والتّربية فانّه لولم يختلف عليها الايّام واللّيالى ولم يكن حرّ النّهار وبرد اللّيالى ما نبتت وما نمت ، وتخلّل كان فى امثال هذا لنفى الصّحّة والامكان اى ماصحّ وما امكن لكم [أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ] ممّا يعدّونه آلهاً [بَلْ] ليس آله مع الله ذ [هُمْ قَوْمٌ

يَعْدِلُونَ] باللّه غيره او يعدلون عن الحقّ [أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا] يمكن لكم التّعيّش عليها ويمكن لكم تحصيل معايشكم منها [وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا] هى عمدة اسباب معايشكم [وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ] بسببها يمكن جريان الانهار وتوليد المياه وبها سكون الارض؛ هذا بحسب التّنزيل وبحسب التّأويل لا يكون لكم خير ولا شرّ ولا قليل ولا كثير الّا بها ولولاها لفنى الكلّ ولم يبق ذرّة من الذّرّات [وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا] مانعاً من اختلاط الماء العذب بماء الملح الاجاج وبحسب التّأويل جعل بين عالم الشّرور وعالم النّور حاجزاً مانعاً من اختلاط عالم الزّور وافساده لكم ولعالمكم وقد مرّ فى سورة الفرقان بيان البحرين وحاجزها [ءَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] ليس لهم علم وملحقون بالبهائم او اكثرهم لا يعلمون الله وصفاته [أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ].

معنى المضطرّ

اعلم، انّ الانسان من اوّل استقرار مادّته فى مقرّها الّذى هو الرّحم جماد بالفعل، ونبات بالقوّة القريبة، وحيوان بالقوّة البعيدة، وانسان طبيعىّ ملكىّ بالقوّة الّتى هى ابعد، وانسان ملكوتىّ وجبروتىّ بالّتى هى ابعد، ولكنّه فى تلك الحال يقتضى بفطرته القرار فى الرّحم والاغتذاء بدمها وسائر رطوباتها ويتشبّث بها ويجذب من رطوباتها، ثمّ يصير نباتاً بالفعل، ثمّ حيواناً مثل حيوانيّة الخراطين حتّى يتولّد فيصير حيواناً بالفعل وانساناً ملكيّاً بالقوّة حتّى اذا بلغ الى مقام التّميز والمراهقة فيصير انساناً ضعيفاً بالفعل وكذلك شبطنته تكون ضعيفة وقوّته الشّهويّة والغضبيّة تكون قويّة بحيث تغلب الانسانيّة والشّيطانيّة، وبشهوته يطلب المشتهى ويجذبه، وبغضبه يدفع من يمانعه عنه ويغضب عليه، وبشيطانيّته الضّعيفة يحتال فى تحصيله حيلاً ضعيفةً، وبانسانيّته الضّعيفة يخجل من ظهور بعض افعاله خجلة ضعيفةً، فاذا بلغ الى مقام البلوغ والرّشد واستعدّ لتعلّق التّكليف به صار انسانيّته وشيطانيّته قويّتين كما انّ شهوته وغضبه يصير ان قويّين، وبشهوته القويّة يشتدّ طلبه لمشتهياته، وبغضبه القوىّ يشتدّ دفعه وغضبه على من يمانعه، وبشيطنته القويّة يشتدّ حيلته فى طلبه، وبانسانيّته يشتدّ انزجاره وخجلته عمّا ينافى انسانيّته، فان ساعده التّوفيق ودعاه الدّاعى الالٰهىّ دعوة ظاهرة او دعوة باطنة وقبل الدّعوة وبايع البيعة العامّة او البيعة الخاصّة وصار مسلماً او مؤمناً وعمل بما اخذ عليه فى بيعته صار انسانيّته فى الاشتداد وسلك الى الله وادبر عن العالم واسبابه، حتّى انّه يقطع النّظر عن الاسباب ويتوجّه بشراشره الى مسبّب الاسباب، وهذا اضطرار تكليفىّ فانّ الاضطرار هو قطع النّظر عن الوسائل والاسباب والتّوجّه الى مسبّب الاسباب والتّوسّل به واليه اشار الصّادق (ع) بقوله: فالاضطرار عين الدّين، وقد مضى تفصيل للدّعاء وطريقه فى سورة البقرة عند قوله تعالى: اذا سألك عبادى عنّى فانّى قريب، واذا لم يتمسّك بذيل نبىٍّ (ع) او وصىّ نبىٍّ (ع) ولم يبايع بيعة اسلاميّة او بيعة ايمانيّة كان قواه البهيميّة والسّبعيّة والشّيطانيّة فى الاشتداد وقوّته الانسانيّة فى الضّعف فى اغلب النّاس وفى اغلب الاوقات حتّى يختفى الانسانيّة تحت القوى الثّلاث ويكون الحكم لتلك القوى والآثار منها فقط لكن هذا الانسان قد يبتلى حتّى يعجز الشّيطنة عن الاحتيال وييأس الشّهويّة عن المشتهى والآمال ويحسر الغضبيّة عن الدّفع والبسط فانّ المدركة تدرك المشتهى والشّيطنة باستعمال المتخيّلة واظهار الواهمة والخيال الصّور والمعانى عليها تتصرّف وتحتال للوصول اليه وتحرّك العمّالة لطلبه، واذا وجدت مانعاً ودافعاً لها عن الوصول حرّكت الغضبيّة لدفعه فان تيأس عن الوصول سكنت المتخيّلة عن الحركة والتّصرّف، والواهمة والخيال عن اظهار المعانى والصّور، والعمّالة عن الطّلب، والشّهوة والغضب عن الاشتهاء والدّفع، وحينئذٍ يظهر الانسانيّة من غير حاجب ومعاوق ولمّا كان فطرتها التّضرّع والالتجاء الى الله والسّؤال منه تضرّعت بفطرتها والتجأت وسألت؛ وهذا هو الاضطرار التّكوينىّ الفطرىّ وكلا الاضطرارين لمّا كان مظهراً لانسانيّة الانسان وكان اللّطيفة السّيّارة الانسانيّة لطيفة الٰهيّة كان لسانها لسان الله وسؤالها سؤال الله وسؤال الله من نفسه لا يردّ بل يجاب، والى هذا الاضطرار

وكون لسان الدّاعى حين الاضطرار لسان الله اشار المولوىّ قدّس سرّه بقوله :

هم دعا از من روان كردى چوآب	هم ثباتش بخش وگردان مستجاب
هم تو بودى اوّل آرنده دعا	هم تو باش آخر اجابت را رجا
چون خدا از خود سؤال وكدّ كند	پس سؤال خويش راكى ردّ كند
هم دعا از تو اجابت هم زتو	ايمنى از تو مهابت هم ز تو

وهذا المضطرّ ان كان اضطراره تكليفيّاً غلب لا محالة على القوى الثّلاث وملكهم فى الصّغير واذا ملك فى العالم الصّغير ينتهى مالكيّته الى المالكيّة فى العالم الكبير وليست هذه المالكيّة وتلك الاجابة الّا من الله تعالى وان كان اضطراره تكوينيّاً أو بقى على اضطراره انتهى اضطراره الى الاضطرار التّكليفىّ، والاضطرار التّكليفىّ يصير سبباً للمالكيّة والاستخلاف فى العالمين [وَيَكْشِفُ السُّوٓءَ] اجابة لدعائه، والسّوء اعمّ من الواردات الغير الملائمة لانسانيّة الانسان وحيوانيّته ومن تبعات الذّنوب ومن النّقائص الّلازمة له من الانانيّة والحدود [وَيَجْعَلُكُمْ] التفت من الغيبة الى الخطاب للاشعار بانّ المضطرّ اذا صار اهلاً للخلافة يصير له حالة الحضور والتّخاطب وبدون حصول حالة الحضور له لم يكن له شأنيّة الخلافة [خُلَفَاءَ الْاَرْضِ] خلفاء ارض العالم الصّغير والكبير كما ذكر، وامّا التّفسير بخلافة الماضين بايراث ارضهم واموالهم فلايناسب ذكره بعد اجابة المضطرّين وكشف السّوء عنهم خصوصاً على ماورد عنهم انّ الواو فى القرآن للتّرتيب ، عن الصّادق (ع) انّ الآية نزلت فى القائم من آل محمّد (ص) هو والله المضطرّ اذا صلّى فى المقام ركعتين ودعا الله عزّوجلّ فأجابه ويكشف السّوء ويجعله خليفة فى الارض [ءَاِلٰهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلًا مَا] اى تذكّر قليلاً اوشيئاً قليلاً اىّ قليل من آلاء الله [تَذَكَّرُونَ اَمْ مَنْ يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ] باعطاء القوى والمشاعر وانضباط الكواكب فى حركاتها [وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ] كرّر من لانّ ارسال الرّياح جنس سوى جنس الهداية [بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ ءَاِلٰهٌ مَعَ اللهِ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ اَمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ] بتسبيب الاسباب السّماويّة من اشعّة الكواكب وتخالف اللّيل والنّهار وتحريك السّحاب وانزال الامطار، اوالمراد سماء عالم الارواح ورزق الانسان من العلوم والاحوال والاخلاق والمكاشفات [وَالْاَرْضِ ءَاِلٰهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] يعنى انّ هذه الافعال لايجوز ان تنسب الى معبوداتكم وهذه هى افعال الله فلايجوز ان يكون شيءٌ من معبوداتكم شريكاً له تعالى فى ذلك ، واذا لم يكن شريكاً له تعالى فى ذلك لم يكن شريكاً له فى العبادة ، فانّ استحقاق العبادة ليس الّا بهذه [قُلْ] يامحمّد (ص) [لَا يَعْلَمُ مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ الْغَيْبَ اِلَّا اللهُ].

معنى الغيب

اعلم ، انّ السّماء تطلق على ما له علوّ وارتفاع وتأثير فيمادونه ، والارض تطلق على ما له دنوّ وانفعال ، وهذان المعنيان لا اختصاص لهما بالسّماء والارض الطّبيعيّتين بل جملة عالم الارواح بهذا المعنى سماواتٌ وجملة عالم الاجسام الملكيّة والملكوتيّة العلويّة والسّفليّة اراضٍ ، والغيب ماكان غائباً عن نظر من كان ذلك الغيب غيباً له سواء كان مشهوداً حاضراً لغيره اولم يكن، والمراد بمن فى السّماوات والارض من كان متحدّداً بحدودهما غير خارجٍ من حجب تعيّناتهما، فانّ الانسان الملكىّ هوالّذى يكون محتجباً تحت حدود الملك ويكون ادراكاته مقصورة على المحسوسات فانّ المدرك فى ادراكه لابدّ وان يكون سنخاً للمدرك بل متّحداً معه فالمدرك اذاكان ملكيّاً كان مدركه ايضاً ملكيّاً وهذا المدرك يكون جميع مافى السّماوات من السّماوات الطّبيعيّة وسماوات الارواح غيباً بالنّسبة اليه والانسان الملكوتىّ لا يتجاوز ادراكه الملكوت ولايكون مدركه مجرّداً صرفاً ويكون

المجرّدات عن التّقدّر غيباً بالنّسبة اليه والانسان الجبروتىّ المتّحد بحدود العقول لايتجاوز ادراكه الى عالم المشيّة وعالم المشيّة غيب بالنّسبة اليه فصحّ ان يقال: لا يعلم جميع المتّحدّدين بحدود سماوات الارواح واراضى الاشباح الغيب الّذى هو عالم الاسماء والصّفات الّا الله ويكون الاستثناء منقطعاً ان خصّص لفظة من الموصولة بالممكنات، اومتّصلاً ان لم تخصّص والاشكال بانّ الائمّة كانوا يعلمون علم ما كان وما هو كائن وما يكون الى يوم القيامة وانّ عليّاً (ع) واصحابه كانوا يعلمون علم المنايا والبلايا والانساب غير وارد، فانّهم غير من فى السّماوات والارض لعدم تحدّدهم بحدودهما لخروجهم الى مقام الاطلاق الّذى هو المشيّة وفى ذلك المقام لافرق بينهم وبين حبيبهم فعلمهم فى ذلك المقام علم الله، وامّا سائر مقاماتهم المقيّدة بحدود السّماوات او الارض فانّهم فى تلك المقامات يعلمون بتعليم الله اى بتعليم مقامهم المطلق الّذى لا فرق بينهم وبينه بمعنى انّهم فى ذلك فانون من انانيّاتهم وباقون بوجود الله لابوجوداتهم فهم يعلمون بعلم الله الغيب عن السّماوات والارض ويعلّمون بتعليم الله سائر مقاماتهم المحدودة بحدودات المقامات النّازلة ، روى انّ امير المؤمنين (ع) اخبر يوماً ببعض الامور الّتى لم يأت بعد فقيل له: اعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب؟ـ فضحك وقال: ليس هو بعلم غيب انّما هو تعلّم من ذى علم ؛ وانّما علم الغيب علم السّاعة وما عدّده الله سبحانه بقوله: انّ الله عنده (الآية) فيعلم سبحانه ما فى الارحام من ذكر او انثى، وقبيح او جميل ، وسخىّ اوبخيل ، وشقىّ اوسعيد، ومن يكون للنّار حطباً اوفى الجنان للنّبيّين مرافقاً فهذا علم الغيب الّذى لايعلمه الّا الله، وماسوى ذلك فعلم علّمه الله نبيّه (ص) فعلّمنيه ودعالى ان يعيه صدرى وتضمّ عليه جوارحى، وبعد ماسبق لاحاجة لك الى بيان اجزاء الحديث [وَمَا يَشْعُرُونَ اَيَّانَ] اى فى اىّ مقام من مقامات البعث [يُبْعَثُونَ] فانّ المحدود بحدّ من حدود السّماوات والارض لايعلم وقت قيامه من مرقد حدّه ولامقام قيامه منه والمطلق من ذلك الحدّ يعلم وقت بعثه ومقامه بعلم الله لابعلم نفسه [بَلِ ادّارَكَ عِلْمُهُمْ فِى الْآخِرَةِ] اى يفنى علمهم فى الآخرة اويتكامل ويتلاحق علمهم فى الآخرة اوفنى علمهم فى حقّ الآخرة بمعنى انّهم لايعلمون شيئاً من الآخرة اوتلاحق اسباب علمهم فى حقّ الآخرة من الآيات والعلامات الدّالّة على وجود الآخرة، قرئ بل ادّارك مغيّر تفاعل وبل ادرك من باب الافعال، وبل ادّرك من الافتعال وبل درك بفتح اللّام وسكون الدّال الخفيفة من باب الافعال بنقل حركة الهمزة الى اللّام وحذفها وبل اءدرك وبل اتدارك وبلى ادرك وبلى اءدرك وام ادرك وام تدارك [بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِنْهَا] اى من الآخرة [بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ] فانّ الشّاك فى شيء يتصوّر ذلك الشّيء ثمّ يشكّ فى ثبوته اوبثبته اوبنفيه وهؤلاء كانوا عمياناً من امر الاخرة لايدركونها لا بالتّصوّر ولا بالتّصديق، وترتّب الاضرابات ووجه ترتّبها بحسب معانى الادراك موكول الى ذوق النّاظر [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالآخرة والبعث [ءَاِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا اَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ] جواب اذا محذوف وقوله ءانّا لمخرجون تأكيد للاوّل والتّقدير ءاذا كنّا تراباً نخرج ءانّا لمخرجون [لَقَدْ وُعِدْنَا هٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ] ووعد آباؤنا من قبلنا اومن قبل وعدنا ولم يظهر منه شيء [اِنْ هٰذَا اِلَّا اَسَاطِيرُ الْاَوَّلِينَ] الاحاديث الّتى لانظام لها والاسمار الّتى لاحقيقة لها جمع الاسطار جمع السّطر، اوجمع الاسطار اوالاسطير بكسر الهمزة فيهما اوالاسطور بضمّ الهمزة بدون التّاء اومع التّاء فى الكلّ كما مضى سابقاً [قُلْ] لهم [سِيرُوا فِى الْاَرْضِ] اى ارض الطّبع فى العالم الكبير او الصّغير او السّير واخبار الماضين اوارض القرآن واخبار الانبياء والاولياء (ع) [فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ] الّذين اجرموا بانكار الآخرة ثمّ انكار الرّسل (ع) وعدم طاعتهم فى امر الآخرة [وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ] يعنى انّك لغاية رحمتك تريد ان يكون جميع العباد مطيعين مرحومين واذا لم يطيعوا ويستحقّوا

علم الائمّة (ع)

العذاب تحزن عليهم ولا ينبغي ان تحزن عليهم لانّ عدم ايمانهم وطاعتهم مسبوق بمشيّتنا [وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ] فانّ الله ناظر اليك واليهم والى مكرهم ولا ينفذ مكرهم الّا بمشيّتنا واذا شئنا نفاذه كان لحكم ومصالح راجعة اليك [وَيَقُولُونَ مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ] وعد العذاب او وعد القيامة او الرّجعة [إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] استبطؤا العذاب او السّاعة استهزاء بقرينة ردف لكم بعض الّذى تستعجلون اوسألوا عن وقتها استهزاءً [قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ] قرب منكم اوتبعكم [بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ] من العذاب ، قيل: هذا البعض عبارة عن القتل والاسر يوم بدر او العذاب عند الموت او الّذى فى البرازخ [وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ] فلذلك يمهلهم لعلّهم يتوبون وينعم عليهم بأنواع النّعم الظّاهرة والباطنة لعلّهم يشكرون [وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ] لايشعرون بالنّعم لأنّهم كالانعام فـ [لَا يَشْكُرُونَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ] ممّا يخفونه من غيرهم من النّيّات والعزمات والارادات والاخلاق والاحوال والخيالات والخطرات ، او يعلم ماتكنّ صدورهم من انفسهم من المكمونات الّتى لاشعور لهم بها [وَمَا يُعْلِنُونَ] من الاقوال والافعال اوما يعلنون على غيرهم وعلى انفسهم حتّى يكون الخيالات والخطرات فيما يعلنون [وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ] مصدر او اسم مصدر بمعنى ماغاب اواسم خالص بمعناه او وصف بمعنى خصلة اوذرّة غائبة [فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ] ظاهر بنفسه اوظاهر مافيه اومظهر مافيه ، وهذا من قبيل التّعميم يعنى يعلم ماتكنّ صدورهم وما يعلنون بل جميع الذّرّات الغائبة عن جميع الخلق فى السّماوات والارض [إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ] كلام منقطع عن سابقه لفظاً ومعنىً اوجوابٌ لسؤالٍ مقدّر عن علّة الحكم ولذلك لم يأت باداة الوصل [أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ] من الجنّة واوصافها ، والجحيم وآلامها ، والخلود وعدمه ، والتّشبيه والتّنزيه ، وسائر الاوصاف الرّبوبيّة والنّبىّ الموعود الّذى بشّر به موسى (ع) وسائر الانبياء (ع) واحكام التّوراة الّتى يخفون اكثرها واختلفوا فيها [وَإِنَّهُ لَهُدًى] ذوهدىً اوهادٍ اوسبب هداية ، اوحمله على القرآن للمبالغة [وَرَحْمَةٌ] سبب رحمةٍ [لِلْمُؤْمِنِينَ] فانّ غيرهم لاينتفعون به اويكون ضلالة ونقمةً عليهم [إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي] جواب سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: مايفعل الله بهم فى اختلافهم ؟ـ فقال: يقضى [بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ] الّذى يكون لائقاً بهم لا بحكمهم الّذى اخترعوه من عند انفسهم [وَهُوَ الْعَزِيزُ] الّذى لايمنع من نفاذ حكمه [الْعَلِيمُ] الّذى يعلم دقائق استحقاقهم [فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ] يعنى فانظر الى قضائه النّافذ فيهم وتصريفه التّامّ لهم على ما يشاء واسترح من تعب النّظر الى افعالهم وتوكّل على الله فى امورك وجملة افعالهم واقوالهم [إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ] فلا تشكّك فيما انت فيه فيزول توكّلك ، وهذا تسلية له (ص) ولامّته ومنعٌ لهم عن الارتياب [إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ] جواب سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قال: افلا اقول شيئاً ؟ـ فقال: لاتقل لهم شيئاً لانّهم موتى وانّك لاتسمع الموتى [وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ] يعنى انت لاتقدر على اسماعهم لانّهم موتى عن الانسانيّة وهم لايقدرون على سماع نداء الانسان لانّهم صمّ عن نداء الانسان ، وقرئ لا تسمع بالخطاب والصّمّ بالنّصب [إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ] فلا يفهمون الاشارة ايضاً ومدبرين حال تأكيديّة اوغير تأكيديّة [وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ] لعجزهم عن رؤية الطّريق كلّما اريتهم الطّريق [إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا] اى من يشرف على الايمان اومن يصدّق ويذعن بآياتنا

التّكوينيّة الحاصلة فى الآفاق اوفى الانفس خصوصاً الانبياء والاولياء (ع) او التّدوينيّة اويؤمن بالبيعة العامّة او الخاصّة [فَهُمْ مُسْلِمُونَ] بالبيعة العامّة اومنقادون للاستماع [وَاِذٰا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ] اى قول ظهور القائم عجّل الله فرجه فى العالم الصّغير والعالم الكبير وفسّر بنزول العذاب بهم عند اقتراب السّاعة [اَخْرَجْنٰا لَهُمْ دٰابَّةً مِنَ الْاَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ اَنَّ النّٰاسَ كٰانُوا بِاٰيٰاتِنٰا لٰا يُوقِنُونَ] وهذه من علامات ظهور القائم (ع) ويكون عند طلوع الشّمس من مغربها وفسّر الدّابّة بأمير المؤمنين (ع) وانّه يخرجه الله فى احسن صورة ومعه ميسم يسم به اعداءه، وعنه (ع): وانّى لصاحب العصا والميسم والدّابّة الّتى تكلّم النّاس، وعنه (ع) فى حديثٍ: معها اى الدّابّة خاتم سليمان (ع) وعصا موسى (ع) تضع الخاتم على وجه كلّ مؤمن فينطبع فيه: هذا مؤمن حقّاً، وتضع العصا على وجه كلّ كافر فيكتب: هذا كافر حقّاً [وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ اُمَّةٍ فَوْجًا] يعنى يوم الرّجعة ويوم ظهور القائم (ع) فى الصّغير اوفى الكبير، ويجوز ان يراد يوم القيامة وهو عطف على اذا اومقدّر باذكر [مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِاٰيٰاتِنٰا فَهُمْ يُوزَعُونَ] يحبس اوّلهم على آخرهم حتّى يتلاحقوا [حَتّٰى اِذٰا جٰاؤُ قٰالَ اَكَذَّبْتُمْ بِاٰيٰاتِى وَلَمْ تُحِيطُوا بِهٰا عِلْمًا اَمّٰاذٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ] اى العذاب الموعود [بِمٰا ظَلَمُوا] الآيات اى آل محمّد (ص) [فَهُمْ لٰا يَنْطِقُونَ] باعتذار لعدم امكان النّطق لشدّة العذاب اولعدم الاذن لهم فى النّطق، فى خبرٍ عن الصّادق (ع): الآيات امير المؤمنين (ع) والائمّة (ع)، فقال الرّجل: انّ العامّة تزعم انّ قوله عزّوجلّ: ويوم نحشر من كلّ امّة فوجاً عنى يوم القيامة فقال: فيحشر الله عزّوجلّ يوم القيامة من كلّ امّة فوجاً ويدع الباقين؟- لا، ولكنّه فى الرّجعة، وامّا آية القيامة فهى وحشرناهم فلم نغادر منهم احداً [اَلَمْ يَرَوْا] جواب سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: هل يكون ذلك؟- فقال: انّه سيكون فانّه لم يدعكم فى الدّنيا مهملين مع انّها مقدّمة للآخرة وهيّأ لكم جميع ما تحتاجون اليه فى تعيّشكم فلا يدعكم فى الآخرة مهملين الم يروا [اَنّٰا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ] بالنّوم وسكون القوى عن هيجانها، والرّوح عن انتشارها، والنّفس عن خيالاتها [وَالنَّهٰارَ مُبْصِرًا] مجاز عقلىّ اوبمعنى سبب ابصار اوبمعنى الجاعل بصيراً [اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيٰاتٍ] عديدة دالّة على علمه تعالى وقدرته وحكمته ورأفته بعباده وتربيته لهم بأحسن مايكون وعدم اهماله لهم فى الدّنيا الّتى هى مقدّمة لدار آخرتهم وقنطرة للعبور الى منازلهم فلا يهملهم فى الآخرة من غير حسابٍ وثوابٍ وعقابٍ اومن غير بقاءٍ وحيوةٍ [لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] بالله اوبالآخرة [وَيَوْمَ يُنْفَخُ] عطف على يوم نحشر [فِى الصُّورِ] هو كما مضى جمع الصّورة سواء كان مخفّف الصّور بضمّ الصّاد وفتح الواو اوكان بنفسه جمعاً، اوهو قرن من حديد ينفخ فيه النّفخة الاولى لاماتة الاشياء، والنّفخة الثّانية لاحيائها وبعثها، ويحتمل ان يراد النّفخة الاولى ويكون قوله [فَفَزِعَ مَنْ فِى السَّمٰوٰاتِ وَمَنْ فِى الْاَرْضِ] فزع الموت، وقيل: ينفخ ثلاث نفخات؛ نفخة الفزع، ونفخة الاماتة، ونفخة الاحياء، ويجوز ان يراد نفخة الاحياء فيكون المراد بالفزع فزع الحيوة بعد الموت [اِلّٰا مَنْ شٰاءَ اللّٰهُ] ان لا يفزعوا اولا يموتوا، وهم الملائكة الّذين هم باقون ببقاء الله لا ببقاء انفسهم، موجودون بوجود الله لا بوجود انفسهم، وكذلك الانبياء (ع) الّذين كانوا على تلك الحال، وقيل: هم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل (ع)، وقيل: روى فى خبرٍ: انّ المراد بهم الشّهداء فانّهم لا يفزعون فى ذلك اليوم والمراد بالآمنين من جاء بالحسنة فانّه تعالى قال: وهم من فزع يومئذٍ آمنون كما يجيء [وَكُلٌّ] من الفزعين [اَتَوْهُ دٰاخِرِينَ] وان كان المراد بالفزع فزع الموت كان المراد به انّ كلّهم بعد احيائهم يأتونه صاغرين [وَتَرَى الْجِبٰالَ] الخطاب لمحمّدٍ (ص) اوعامّ، وان كان الخطاب لمحمّدٍ (ص) كان المراد انّك

ترى الجبال ببصرك البشرىّ اوكان الكلام على ايّاك اعنى واسمعى يا جارة [تَحْسَبُهَا جَامِدَةً] اى واقفة ساكنة فى امكنتهما فانّ الجمود قد يستعمل فى الوقوف عن الحركة كما يستعمل مقابل السّيلان [وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ] اى تسير نحو سير السّحاب فى سرعة الحركة وقطع المسافة، وهذا يجوز ان يكون اشارة الى تجدّد الامثال بنحو الاتّصال ويكون الانعدام والانوجاد بنحو الاتّصال غير محسوس بالانظار كما انّ الدّائرة المحسوسة الحاصلة من الحركة التّوسّطيّة الّتى تكون للشّعلة الجوّالة غير موجودة فى نفس الامر ولكن بواسطة اتّصال الانعدامات والانوجادات ترى بالابصار دائرة؛ وعليه العرفاء الكاملون و بتلك الآية يستشهدون، و يجوز ان يكون اشارةً الى حركة الارض دون الشّمس؛ وعليه الطّبيعيّون من الافرنج وعليه بناء هيئتهم الجديدة، وان يكون اشارةً الى انحلال الابدان واغتذائها ببدل ما يتحلّل منها ، وان يكون اشارةً الى تبدّل انانيّة النّفس بانانيّة الله وانانيّة العقل اوتبدّل انانيّة العقل بانانيّة الشّيطان ، وان يكون اشارة الى سير النّفوس الكاملة فانّ سيرهم يكون كلّ آنٍ الى عرش ربّهم، واليه اشار المولوىّ قدّس سرّه :

سير زاهد هر مهى تا پيشگاه سير عارف هر دمى تا تخت شاه

وان يكون اشارةً الى القيامة ووقت ان يكون الجبال كالعهن المنفوش فانّها حينئذ تكون فى الحركة السّريعة لايدرك بالابصار حركتها لبعد اطرافها وعدم احاطة النّظر باطرافها لكن قوله تعالى [صُنْعَ اللهِ] فى مقام مدحه يدلّ على المعانى السّابقة [الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ] بحيث لايدرك ما فيه من الاوصاف و يدرك على خلاف ماله من الاوصاف [إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ] تعليل لقوله: ترى الجبال تحسبها جامدةً؛ باعتبار لازم الحكم الّذى هو العلم برؤيتها وحسبانها كذلك اوهو بمنزلة النّتيجة لقوله : اتقن كلّ شيءٍ فانّه اذا اتقن كلّ شيءٍ أتقن كلّ نفسٍ و تعلّقها ببدنها وتصرّفها فى حركاتها وسكناتها فهو خبير بما تفعلون من الخير والشّرّ وهو وعدٌ ووعيدٌ ولذلك عقّبه بقوله [مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا] الى العشرة الى ماشاء الله، اوله خيرٌ ناشٍ من تلك الحسنة [وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ] والمراد بالحسنة الجنس او الحسنة المعهودة الّتى هى ولاية علىّ (ع) الحاصلة للانسان بالبيعة الخاصّة الولويّة و بالتّوبة والتّلقين فانّه اذا لم يبايع الانسان مع ولىّ امره لم يحصل له لبّ كما اذا لم يؤبّر النّخلة لم يحصل لها ثمرٌ، واذا حصل له لبٌّ بالولاية ولم يستر فعليّته الحاصلة بالولاية بأغشية الأهوية والآمال يكون آمناً من جميع مايفزع غيره يوم القيامه وهذا هو المراد بقرينة قرينه الّذى هو قوله تعالى [وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ] فانّه اذا اريد بالسّيّئة الجنس لزم ان يكبّ صاحبها فى النّار وليس كذلك وأذا اريد بالسّيّئة محبّة اعداء اهل البيت و ولايتهم صحّ ان يقال [فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ] مقولاً لهم [هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] وقد فسّر الحسنة والسّيّئة فى اخبار عديدة بولاية اهل البيت (ع) و بغضهم قل لهم [إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ] يعنى مكّة فانّها شريفة عندكم و ربّها يستحقّ العبادة [الَّذِي حَرَّمَهَا] جعلها حراماً هتكها [وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ] تعميم بعد تخصيص [وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ] المنقادين [وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ] عليكم وادعوكم بتلاوته ولا ابالى بردّكم وقبولكم [فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ] لا لى [وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ] لا من الهادين حتّى احزن على ضلالكم [وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ] على ما انعم علىّ وعلى ما امرت ولم يكلّفنى مالم اطقه من دعوة القوم وهدايتهم، اوعلى جعله الولاية آيته العظمى [سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ] عند مشاهدتها حال الاحتضار اوفى القيامة وخصوصاً الآيات العظمى [فَتَعْرِفُونَهَا] من حيث كونها آيات

[وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ] تهديد لهم واضافة الرّبّ الى محمّد (ص) بالخطاب، وجمع تعملون اشارة الى لطيفة هى عدم لياقتهم لاضافة الرّبّ اليهم.

سُورَةُ الْقَصَصِ

مكّيّة وثمانٍ وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[طسٓمٓ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ] اى الظّاهر او المظهر الّذى هو عبارة عن القلم الاعلى اوعن اللّوح المحفوظ او القرآن التّدوينىّ [نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] اى لانتفاعهم فانّ غيرهم لاينتفعون به [إِنَّ فِرْعَوْنَ] جواب سؤالٍ مقدّرٍ كانّه قيل: ماذلك النّبأ [عَلَا فِي الْأَرْضِ] اى ارض مصر [وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا] بان جعل القبطىّ مكرماً بانواع الكرامة والسّبطىّ مهاناً بانواع الاهانة اوجعل السّبطىّ فرقاً متفرّقةً فى الاستعباد والاعمال الشّاقّة فانّهم كانوا اهل مصر واحقّ بها لكن قوله تعالى [يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ] بدلٌ على المعنى الاوّل [يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ] بدل من يستضعف [وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ] يعنى يستبقى البنات او يتجسّس حياء النّساء لطلب الحمل اولطلب العيب [إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ] فى الارض بمنع اهلها من طلب كمالهم والوصول الى رسولٍ اوامامٍ، او بالقتل والاستعباد من غير استحقاقٍ [وَنُرِيدُ] كان المناسب ان يقول واردنا لكنّه عدل الى المضارع للاشارة الى استمرار هذه الارادة ماضياً ومستقبلاً، والى جهة التّأويل فانّ فرعون عالم الصّغير عالٍ فى ارضه ويريد الله ان يمنّ على موسى هذا العالم وقومه، والى تسلية الرّسول (ص) فانّه بعد ما اطّلع على ماسيقع باهل بيته حزن عليه فقال تعالى نريد على سبيل الاستمرار [أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ] فلاتحزن فانّ استضعاف اهل بيتك سببٌ لمنّتنا عليهم [وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً] يقتدى بهم [وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ] للارض بظهور القائم عجّل الله فرجه ولارض عالمهم الصّغير بخلاصها من يد فرعون وقومه [وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ] فى العالم الكبير فى جملة الارض او فى ارض مصر اوفى ارض وجودهم [وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا] اى فرعون موسى (ع) اوفرعون اهل البيت اوفرعون العالم الصّغير [مِنْهُمْ] من المستضعفين [مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ] منهم من ذهاب ملكهم على يد رجلٍ من بنى-اسرائيل، قيل: عاش فرعون اربعمائة سنةٍ وكان قصيراً دميماً وهو اوّل من خضب بالسّواد، وعاش موسى (ع) مائة وعشرين سنةً [وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ] بعد ماولدت موسى (ع) [أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ] من القتل واطّلاع الحرس [فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي] عليه من الغرق والضّياع والقتل [وَلَا تَحْزَنِي] على فراقه [إِنَّا رَادُّوهُ

[اِلَيْكِ] سالماً لتقرّ عينك و يكون انساً لك [وَجٰاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ] قيل: حملت ام موسى (ع) ولم يظهر حملها ولم تكن عليها موكّلة من فرعون فولدته ولم يعلم به احد وارضعته ثلاثة اشهر لا يبكى ولا يتحرّك، فلمّا خافت عليه عملت له تابوتاً مطبقاً ثمّ ألقته فى البحر باذن الله فانّها كانت اوحى اليها من الله فى ذلك بتوسّط ملك اوفى رؤيا او بالهام قلب، وقيل: كان فرعون وكّل بها امرأة لتعرف حملها وكانت لم تظهر حملها عليها وولدت موسى (ع) فلمّا رأته الموكّلة رأت بين عينيه نوراً فأحبّته حبّاً شديداً وقالت: احفظى ولدك فانّى احبّه حبّاً شديداً اظنّ انّه الّذى يكون هلاك القبطىّ بيده فلمّا خرجت القابلة من عندها ابصرها العيون فجاؤا ليدخلوا على امّ موسى (ع) فقالت اخته: يا امّاه هذه الحرس بالباب فلفّته فى خرقة فوضعته فى تنّور مسجور فدخلوا وتجسّسوا ولم يجدوا منه اثراً وانطلقت امّ موسى (ع) اليه وقد جعل الله النّار عليه برداً وسلاماً، فلمّا رأت الحاح فرعون فى الطّلب وضعته بوحى من الله فى التّابوت وألقته فى اليمّ [فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ] وكان لفرعون قصور على شطّ النّيل فلمّا ألقته فى النّيل وضرب به الماء نظر فرعون من قصره ومعه آسية امرأته الى سواد فى النّيل ترفعه الامواج والرّياح تضربه حتّى جاءت به الى باب قصر فرعون فأمر فرعون بأخذه فأخذ ورفع اليه، فلمّا فتحه وجد فيه صبيّاً فقال: هذا اسرائيلىّ فألقى الله فى قلب فرعون لموسى (ع) محبّة شديدة وكذلك فى قلب آسية واراد فرعون ان يقتله فقالت آسية: لا تقتلوه كما سيجيء [لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا] اللّام للعاقبة اوللغاية لكنّه اتى بها ليكون تهكّماً بهم [إِنَّ فِرْعَوْنَ] تعليل للسّابق [وَهٰامٰانَ وَجُنُودَهُمٰا كٰانُوا خٰاطِئِينَ] اى عاصين لربّهم [وَقٰالَتِ امْرٰاءَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ] قيل: قال فرعون قرّة عين لك لا لى [لاٰ تَقْتُلُوهُ عَسىٰ أَنْ يَنْفَعَنٰا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا] قالت ذلك لأنّها لم يكن لها ولد ولا لفرعون [وَهُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ] انّه موسى (ع) الّذى خراب ملكهم بيده [وَأَصْبَحَ فُؤٰادُ أُمِّ مُوسىٰ فٰارِغًا] خالياً من العقل لغلبة الدّهشة اوخالياً من كلّ شيء الّا من ذكر موسى (ع) اومن الحزن لاتّكالها على وعد الله اوفارغاً من تذكّر الوحى الّذى اوحته الله تعالى اليه بنسيانها الوحى، وقرئ فزعاً بالفاء والزاء المعجمة والعين المهملة، وقرعاً بالقاف والرّاء والعين المهملتين، وفرغاً بالفاء والرّاء المهملة والغين المعجمة، والكلّ مناسب ههنا [إِنْ كٰادَتْ] انّها كادت [لَتُبْدِي] غمّها [بِهِ] اولتبدى بخبره على ان يكون الباء للتّعدية دون الهمزة، وقيل: انّها كادت تبدى امرها عند ما دعاها فرعون للرّضاع سروراً به [لَوْلاٰ أَنْ رَبَطْنٰا عَلىٰ قَلْبِهٰا] حتّى لا ينزعج ولا يضطرب فى فراغه لفراق موسى (ع) [لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] المصدّقين بالوحى وصدق الوعد اومن المؤمنين بالله [وَقٰالَتْ لِأُخْتِهِ] بعد ما القته فى البحر ومضى عليه ثلاثة ايّام كما فى الخبر [قُصِّيهِ] تجسّسى اثره حتّى ترى ما حاله وما فعل به فذهبت الى قصر فرعون [فَبَصُرَتْ بِهِ] ابصرته [عَنْ جُنُبٍ] عن بعيد [وَهُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ] انّها اخته اولا يشعرون بنظرها اليه [وَحَرَّمْنٰا عَلَيْهِ الْمَرٰاضِعَ مِنْ قَبْلُ] اى قبل مجيء اخته بثلاثة ايّام كما مضى وكان فرعون اغتمّ لذلك غمّاً شديداً [فَقٰالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نٰاصِحُونَ] فقالوا نعم؛ فجاءت بامّها فلمّا اخذته بحجرها والقمته ثديها التقمة وشرب ففرح فرعون واهله واكرموا امّه فقال فرعون لها: ربّيه لنا فانّا نفعل بك ونفعل [فَرَدَدْنٰاهُ إِلىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهٰا وَلاٰ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ] بردّه اليها [وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ] اى اكثر الخلق اواكثر قوم فرعون [لاٰ يَعْلَمُونَ] انّ وعد الله حقّ اوليس لهم علم [وَلَمّٰا بَلَغَ أَشُدَّهُ] قد مضى فى سورة الانعام بيان الاشدّ [وَاسْتَوىٰ] قيل: المراد ببلوغ الاشدّ بلوغ ثلاث وثلاثين سنة، وبالاستواء بلوغ الاربعين، اوالمراد ببلوغ الاشدّ شدّة تمام القوى والاعضاء كما ينبغى واوّله زمان بلوغ ثمان عشرة سنة [آتَيْنٰاهُ حُكْمًا]

دقّة فى العمل بحيث يعجز عن مثل عمله امثاله [وَعِلْمًا] عظيماً فانّ التّنوين للتفخيم [وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ] يعنى بعد ما استوى وذلك ان بنى اسرائيل كانوا فى الشدّة والبلاء وكانوا يستر يحون الى اخبارهم بمجيء موسى (ع) وهلاك فرعون فخرجوا ذات ليلة مقمرة الى شيخ لهم عنده علم فقالوا: كنّا نستريح الى الاحاديث فحتّى متى نحن فى هذا البلاء؟! قال: والله انّكم لاتزالون فيه حتّى يجيء الله بغلام من ولد لاوى بن يعقوب اسمه موسى (ع) بن عمران، غلام طوال جعد، فبيناهم كذلك اذ اقبل موسى (ع) يسير على بغلة حتّى وقف عليهم فرفع الشيخ رأسه فعرفه بالصّفة فقال له: ما اسمك؟ـ قال: موسى (ع)، قال: ابن من؟ـ قال: ابن عمران، فوثب اليه الشّيخ فأخذ بيده فقبّلها وثاروا الى رجله فقبّلوها فعرفهم وعرفوه واتّخذ شيعة فمكث بعد ذلك ماشاءالله وقد ظنّ قوم فرعون به ودخل المدينة اى مصراومدينة اخرى من ارض مصر [عَلٰى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ اَهْلِهَا] قيل: حين القيلولة، او بين المغرب والعشاء، اوكان يوم عيد لهم وقد اشتغلوا بلعبهم وانّما دخل على حين الغفلة لانّ موسى (ع) بعد كبره يركب فى موكب فرعون وجاء ذات يوم ليركب قيل له : انّ فرعون ركب فركب فى اثره فلمّا كان وقت القائلة دخل المدينة ليقيل، وقيل: انّ بنى اسرائيل كانوا يجتمعون الى موسى (ع) ويستمعون كلامه فاشتهر ذلك منه واخافوه وكان لايدخل مصراً الّا حين غفلة اهلها، وقيل: انّ فرعون بعد ما اشتهر ذلك منه امر باخراجه من البلد [فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ] اى يختصمان [هٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسٰى] بجمع كفّه او بعصاه كما قيل [فَقَضٰى عَلَيْهِ] فقتله [قَالَ] موسى (ع) [هٰذَا] الاقتتال اوتعجيل قتله اوهذا الكافر [مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ] لبنى آدم [مُضِلٌّ مُبِينٌ] لكن قوله تعالى [قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] يدلّ على انّ مقصودة انّ هذا القتل الصّادر منّى من عمل الشّيطان ؛ و هذا لا ينافى ما عليه الشّيعة من عصمة الانبياء فانّ الانبياء (ع) معصومون من المعاصى لامن ترك الاولى ، وبعبارة اخرى انّهم معصومون من الذّنوب الّتى هى ذنوب بالنّسبة الى غيرهم لامن الذّنوب الّتى هى ذنوب بالنّسبة اليهم فانّ حسنات الابرار سيّئات المقرّبين، وتوبة الانبياء (ع) من الالتفات الى غير الله فلاغرو ان يكون موسى (ع) عدّ فعله يعنى تعجيله فى قتل من استحقّ القتل من دون ملاحظة المفاسد الّتى تترتّب عليه ذنباً له واستغفر منه ونسب الظّلم الى نفسه مع انّه كان مستحقّاً للقتل، و بعد ما فرغ من استغفاره لترك الاولى نظراً الى قوّته و [قَالَ رَبِّ بِمَا اَنْعَمْتَ عَلَيَّ] من القوّة الّتى اقدر بها على القتل بوكز [فَلَنْ اَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ] كما صرت ظهيراً فى هذه الكرّة [فَأَصْبَحَ] موسى (ع) فى اليوم الثّانى [فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا] من فرعون وقومه لشياع خبر اجتماع السّبطىّ عليه وشياع قتله القبطىّ [يَتَرَقَّبُ] الاخبار من فرعون وقومه فى حقّه [فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسٰى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ] قاتلت بالامس رجلاً و تقاتل اليوم الآخر [فَلَمَّا اَنْ اَرَادَ اَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسٰى اَتُرِيدُ اَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ] قيل: لمّا قال موسى (ع) انّك لغوىّ مبين همّ ان يؤذيه وقال : لاوذينّك فلمّا اراد ان يبطش بالقبطىّ ظنّ السّبطىّ انّه اراد ان يبطشه فقال الاسرائيلىّ : اتريد ان تقتلنى (الى آخره) وقيل : قال القبطىّ ذلك [إِنْ تُرِيدُ إِلَّا اَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ اَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ اَقْصَى الْمَدِينَةِ] آخرها [يَسْعٰى] يسرع فى السّير وذلك انّ خبر قتل القبطىّ وصل الى فرعون فتشاوروا فأمر فرعون بقتل موسى (ع) و بعث فى طلبه وكان الرّجل ابن عمّ فرعون او ابن عمّ موسى (ع) وهو مؤمن آل فرعون كان مؤمناً وكاتماً لايمانه ستّمائة سنة

وكان خازناً لفرعون وكان اسمه حزقيل، وقيل: شمعون وقيل: سمعان [قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ] يتشاورون في اخذك وقتلك [لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ] من ارض مصر [إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ] في ديني ودنياي، ومدين لم يكن في سلطان فرعون وسمّي باسم مدين بن ابراهيم، قيل: كان بينه و بين مدين مسيرة ثلاثة ايّام، وقيل: مسيرة ثمانية ايّام ولم يكن موسى (ع) يعرف الطّريق ولذلك قال: عسى ربّي ان يهديني سواء السّبيل ولعلّه كان طالباً لشعيب (ع) واراد مدين لملاقاة شعيب، وقيل: انّه لم يقصد موضعاً بعينه لكنّه وقع على طريق مدين، وقيل: دلّه ملك على طريق مدين [وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ] وهو بئر كانت لهم [وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ] لمواشيهم من البئر [وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ] تمنعان غنمهما عن الماء [قَالَ مَا خَطْبُكُمَا] ما شأنكما تذودان اغنامكما عن الورد [قَالَتَا لَا نَسْقِي] اغنامنا عند مزاحمة النّاس [حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ] قرئ من باب الافعال ومن الثّلاثيّ المجرّد وننتظر فضول الماء فنسقي به ولا نقدر نحن على السّقي من البئر [وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ] لا يقدر على ان يتولّى السّقي بنفسه [فَسَقَىٰ] اغنامهما [لَهُمَا] قيل: رفع حجراً كان على بئر كان لا يقدر على رفع ذلك الحجر عنها الّا عشرة رجال وسألهم ان يعطوه دلواً فناولوه دلواً وقالوا له: انزح ان امكنك وكان لا ينزحها الّا عشرة فنزحها وحده وسقى لهما بدلو واحدة وكان لم يأكل منذ ثلاثة ايّام [ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ] وهو جائع [فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ] هو الجوع الّذي به يطلب الانسان الغذاء و بالغذاء يكون بقاؤه وتعيّشه ولولا الجوع لا يطلب الغذاء فلا يتيسّر له التّعيّش والعبادة و يكون مريضاً محتاجاً الى المعالجة [فَقِيرٌ] اى محتاج الى الغذاء، قيل: سأل نبيّ الله (ع) فلق خبز يقيم به صلبه، وعن عليّ (ع): ما سأله الّا خبزاً يأكله لانّه كان يأكل بقلة الارض لقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذّب لحمه فأجابه الله حيث سأل شعيب (ع) عن بنتيه بعد عودهما سبب سرعة عودهما فقصّتا له القصّة فقال لاحديهما: ادعيه فذهبت اليه كما قال تعالى [فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ] بحيث لا يمكنه الكلام ولا المشي على ما ينبغي بين يدي الرّجال [قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا] فلمّا قالت اجر ماسقيت لنا كره ذلك موسى (ع) واراد ان لا يتبعها ولكن لم يجد بدّاً من متابعتها لجوعه وخوفه فخرج معها وكانت الرّيح تضرب ثوبها فتبين لموسى (ع) عجزها، فجعل يعرض عنها مرّة و يغضّ مرّة فناداها يا امة الله كوني خلفي وارينى الطّريق بحصاة فانا من قوم لا ينظرون من ادبار النّساء فلمّا دخل على شعيب (ع) اذا هو بالعشاء مهيّأ، فقال له شعيب: اجلس يا شابّ فتعشّ فقال له موسى (ع): اعوذ بالله، قال شعيب (ع): ولم ذاك الست بجائع؟ قال: بلى ولكن اخاف ان يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما وانا من اهل بيت لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بملأ الارض ذهباً فقال له شعيب (ع): لا والله يا شابّ ولكنّها عادتي وعادة آبائي نقري الضّيف ونطعم الطّعام، فجعل يأكل ثمّ قصّ قصّته كما قال تعالى [فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ] شعيب [لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] لانّ ارضنا ليست في مملكته [قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ] لرعي الغنم [إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ] هذا [الْقَوِيُّ الْأَمِينُ] اتى باسم الظّاهر مقام الضّمير للدّلالة على وصفيه اللّذين هما سبب استيجاره قال شعيب (ع) امّا قوّته فقد عرفته برفع الحجر الّذي لا يرفعه الّا عشرة و باستقاء الدّلو الّتي لا يستقيها الّا عشرة فمن اين عرفت امانته؟ قالت:

انّى كنت قدّامه فقال: كونى فى خلفى ودلّينى على الطّريق بالحصاة فانا من قوم لاينظرون فى اعجاز النّساء، فمن هذا عرفت امانته، فلمّا قالت ذلك زاده ذلك رغبةً فيه و [قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ] يعنى لااجعل السّنتين جزء الصّداق بل اجعلهما تفضّلاً منك، قيل: لم يجعل ذلك مهراً بل انكحها على مهر وجعل ذلك شرطاً، وقيل: بل جعل ذلك مهراً، ومافى اخبارنا يدلّ على انّه جعل ذلك مهراً، فعن الصّادق (ع) انّ عليّاً قال: لايحلّ النّكاح اليوم فى الاسلام باجارة بان يقول: اعمل عندك كذا وكذا سنةً على ان تزوّجنى اختك اوابنتك قال: هوحرام لانّه ثمن رقبتها وهى احقّ بمهرها، و بهذا المعنى اخبارٌ اُخر كثيرة، و ورد فى اخبارنا انّ المنكوحة كانت صغراهما وهى الّتى قالت انّ ابى يدعوك وقالت: يا ابت استاجره و انّ موسى (ع) قضى اوفى الاجلين [فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ] فى حديث قال موسى (ع) لشعيب (ع) بعد مارعى له عشر سنين: لابدّ لى ان ارجع الى وطنى وامّى واهل بيتى فمالى عندك؟ـ فقال شعيب (ع): ماوضعت اغنامى فى هذه السّنة من غنم بلق فهو لك فعمد موسى (ع) عند مااراد ان يرسل الفحل على الغنم الى عصاه فقشر منها بعضها وترك بعضها وغرّزها فى وسط مربض الغنم والقى عليها كساء ابلق ثمّ ارسل الفحل على الغنم فلم تضع الغنم فى تلك السّنة الّا ابلقا فلمّا حال عليه الحول حمل موسى (ع) امرأته وزوّده شعيب (ع) من عنده وساق غنمه فلمّا اراد الخروج قال لشعيب (ع): ابغى عصاً تكون معى وكانت عصىّ الانبياء (ع) عنده قد ورثها مجموعة فى بيت فقال له شعيب (ع): ادخل هذا البيت وخذ عصا من بين العصىّ فدخل فوثبت اليه عصا نوح وابراهيم (ع) وصارت فى كفّه فأخرجها ونظر اليها شعيب (ع) فقال: ردّها وخذ غيرها، فردّها ليأخذ غيرها فوثبت اليه تلك بعينها، فردّها حتّى فعل ذلك ثلاث مرّات، فلمّا رأى شعيب (ع) ذلك قال له: اذهب فقد خصّك الله عزّوجلّ بها فساق غنمه فخرج يريد مصر فلمّا صار فى مفازة ومعه اهله اصابهم برد شديد و ريحٌ وظلمة وجنّهم اللّيل، فنظر موسى (ع) الى نارٍ قد ظهرت كما قال الله تعالى فلمّا قضى موسى الاجل (الآية) [وَسَارَ بِأَهْلِهِ] وجنّهم اللّيل وتفرّقت ماشيته واصابهم برد شديد و ريح وابتليت زوجته بالطّلق كما قيل [آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا].

اعلم، انّ الله اذا اراد بعبدٍ خيراً ابتلاه اوّلاً بشدائد سدّت جهات حيله وقطعت طرق رجاء خياله من غير الله حتّى اضطرّ الى التّوجّه الى الله وسأله بلسان حاله اوقاله فيجيبه تعالى على حسب استعداده واستحقاقه، لانّه يجيب المضطرّ اذا دعا بحاله اوقاله، كما اراد مقام الرّسالة لموسى (ع) فابتلاه بظلمة اللّيل والسّحاب و بالثّلج والبرد وتفرّق الماشية و وضع حمل الاهل وعدم ظهور النّار من زناده حتّى انقطع جهات حيل خياله وطرق رجائه فاضطرّ الى التّوجّه الى جهة غيبه، فانّ موسى (ع) لمّا اضطرّ الى التّوجّه الى جهة غيبه ظهر له من جانب طور النّفس الّذى هو البقعة المباركة والجانب الايمن من النّفس نور بصورة النّار الظّاهرة من الشّجرة وقد ظهرت تلك النّار و تلك الشّجرة فى جبلٍ كان يسمّى بالطّور اوسمّى بعد ذلك بالطّور، وقد مضى الاختلاف فى محلّ ذلك الجبل فلمّا آنس من جانب الطّور ناراً توجّه اليه واطمئنّ من استيحاشه ولمّا اطمئنّ من استيحاشه [قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا] تسلية لها وتسكيناً لفزعها ووحشتها [لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ] اى بخبر الطّريق اوخبر النّار وصاحبها اوخبر من نأنس به او خبر المعمورة [أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ] فى الجذوة ثلاث لغات؛ بتثليث الجيم وقرئ بها وهى القطعة المشتعلة من النّار او الجمرة او الجذمة الّتى هى قطعة خشب متوقّدة بالنّار بعضها يكون ناراً و بعضها خشباً غير مشتعلٍ [لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ فَلَمَّا أَتَاهَا

نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الْوادِي الْأَيْمَنِ] اى ايمن موسى (ع) اوايمن النّفس اوهووصف من اليمن بمعنى البركة [فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ] كثيرة الخيرلانّها كانت من الشّام و بركة اراضى الشّام ظاهرة ، وكذا بركات طور النّفس عن الصّادق (ع) شاطئ الوادى الايمن الّذى ذكره الله تعالى فى القرآن هوالفرات، والبقعة المباركة هى كربلاء [مِنَ الشَّجَرَةِ] قيل: كانت نابتة على الشّاطئ [أَنْ يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعالَمِينَ] ذكرفى الحديث: انّه اقبل نحوالنّار يقتبس منها فاذا شجرة ونار تلتهب عليها، فلمّا ذهب نحو النّار يقتبس منها اهوت اليه ففزع وعدا ورجعت النّار الى الشّجرة؛ فالتفت اليها وقد رجعت الى الشّجرة، فرجع الثّانية ليقتبس فأهوت نحوه فعدا وتركها ، ثمّ التفت وقد رجعت الى الشّجرة فرجع اليها الثّالثة فأهوت اليها فعدا ولم يعقّب اى لم يرجع فناداه الله عزّ وجلّ ان ياموسى (ع) انّى انا الله ربّ العالمين قال موسى: فما الدّليل على ذلك؟- قال الله عزّ وجلّ : مافى يمينك ياموسى؟- قال: هى عصاى، قال : القها يا موسى فالقيها فاذا هى حيّة تسعى، ففزع منها موسى وعدا ؛ فناداه الله عزّ وجلّ : خذها ولاتخف انّك من الآمنين ، وقد مضى وجه تكرار هذه القصّة اكثر من سائر القصص، ووجه اختلاف الالفاظ المكرّرات لكون الحكايات ترجمات للمحكىّ، والتّرجمة تؤدّى بالفاظ مختلفة اولكثرة السّؤال والجواب والاقوال فى المحكىّ وقد نقل فى كلّما ذكر القصّة بعض من المحكىّ [وَأَنْ أَلْقِ] عطف على ان ياموسى [عَصاكَ] فألقيها فصارت حيّة حيّة متحرّكة [فَلَمّا رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جانٌّ] هى الحيّة الّتى تكون كحلاء العينين لاتوذى [وَلّى مُدْبِراً] ولم يكن خوفه (ع) من النّار وعدوه منها ولا خوفه من الحيّة نقصاً، بل الخوف منه فى مثل تلك الحال الّتى انسلخ فيها من كلّ الكثرات ورجع الى مقام الوحدة يدلّ على كماله وقوّة نفسه فى مقام بشريّته لعدم زوال كثراته وعدم فنائه عن اهل مملكته فى مثل تلك الحال الّتى يفنى كلّ من حصلت له عن جميع كثراته وعن جميع اهل مملكته ولا يحفظ حقّ شيء من كثراته ،وحقّ البشريّة الخوف والفرار من النّار المحرقة ومن الحيّة الموذية وحفظ حقوق الكثرات فى مثل تلك الحال من اتمّ الدّلائل على الكمال، وهكذا الحال فى طلب الدّليل بعد سماع انّى انا الله من الشّجرة [وَلَمْ يُعَقِّبْ] لم يلتفت الى عقبه اولم يرجع على عقبه بخلاف حال فراره من النّار [يا مُوسى] قيل اونودى ياموسى [أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ] من المخاوف [اُسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ] يعنى من غير علّة البرص فادخلها فى حيبيه واخرجها منه فاضاءت له الدّنيا [وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَناحَكَ مِنَ الرَّهْبِ] من اجل الرّهب حتّى يسكن خوفك فانّ وضع اليد والعضد على القلب يعين على سكونه عن اضطرابه [فَذانِّكَ] قرئ بتخفيف النّون وتشديدها [بُرْهانانِ] اى احياء العصا وابيضاض اليد ناشئان [مِنْ رَبِّكَ] منتهيان [إِلى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ] لمّا استفاد موسى (ع) انّ انتهاء البرهانين الى فرعون وملائه ليس الّا على يده [قالَ] فى الجواب استعفاءً اوطلباً للمظاهرة بهارون على مامضى عند قوله فأرسل الى هارون من سورة الشّعراء انّ الظّاهر انّ موسى (ع) استعفى اوّلاً و بعد ردعه من استعفائه طلب المظاهرة بأخيه [رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ وَأَخِي هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً] الرّدء العون والمادّة والعدل الثّقيل، وقرئ رداً بتخفيف الهمزة [يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ] ولا ينطلق لسانى فى ردّهم وردعهم وان اتيت بحجّة فى جوابهم بلسان غير طلق لايقبلوا منّى لقتلى منهم نفساً وغيظهم علىّ [قالَ] اجابةً لمسؤله [سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُما سُلْطاناً] اجابة من مسؤله وتفضّل عليه بالزّيادة على مسؤله اعنى وعد

النّصر لهما وعدم وصول الضّرر منهم اليهما [فَلا يَصِلُونَ اِلَيْكُما] بضرر [بِاٰياتِنا] الباء سببيّة والظّرف متعلّق بلا يصلون او بالغالبون [اَنْتُما وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغالِبُونَ] فاطمأنّ موسى (ع) بوعده تعالى وذهب الى فرعون [فَلَمّا جاءَهُمْ مُوسىٰ بِاٰياتِنا بَيِّناتٍ] الباء للتّعدية اوللمصاحبة والمراد بالآيات العصا واليد البيضاء وجمعهما لانّ فى كلّ كان دلالات على صدقه فى رسالته وتوحيد الله، اوالمراد هاتان مع الحجج الدّالّة على صدقه [قالُوا] جهلاً وعناداً [ما هٰذا اِلّا سِحْرٌ] قد مضى بيان السّحر وتحقيقه فى سورة البقرة عند قوله يعلّمون النّاس السّحر [مُفْتَرىً] على الله [وَما سَمِعْنا بِهٰذا] الّذى ادّعاه من توحيد الآله [فى اٰبائِنَا الْاَوَّلينَ وَقالَ] وقرئ بغير واو [مُوسىٰ] بعدما انكروه وانكروا رسالته ولم يقبلوا معجزاته وحججه مستشهداً بالله وعلمه [رَبّى اَعْلَمُ بِمَنْ جاءَ بِالْهُدىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدّارِ] يعنى العاقبة المحمودة كانّ العاقبة الغير المحمودة ليست بعاقبة عرّض بنفسه كأنّه قال ربّى اعلم بانّى جئت بالهدى وانّ لى العاقبة المحمودة فلا ابالى بردّكم وانكاركم [اِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظّالِمُونَ] حقّ العبارة ان يقول و بمن لا يجيء بالهدى ولا يكون له عاقبة الدّار لكنّه عدل اليه تعريضاً بهم واثباتاً لظلمهم ونفياً للهدى وحسن العاقبة عنهم بالبرهان كأنّه قال : انّه لا يفلح الظّالمون بالهدى وحسن العاقبة و انتم ظالمون بانكار الله الّذى هو خالق الخلق وعبادة غيره وانكار رسالتى [وَقالَ فِرْعَوْنُ] بعد ما عجز عن الحجّة وخاف عن المعارضة لاجل الحيّة مقبلاً على قومه تخليطاً عليهم وتسكيناً لنفسه عن الخوف [يا اَيُّهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ اِلٰهٍ غَيْرى] هذا الكلام منه يدلّ على عجزه عن الحجّة وغاية خوفه من موسى (ع) وعصاه حيث لم يدّع الآلهة لنفسه صريحاً ونفى علمه بالاٰله الّذى ادّعى موسى واظهر شكّه الّذى هو الاقرار بالعجز عن الحجّة وهى كلمته الاولى الّتى اخذه الله تعالى عليه وكلمته الآخرة قوله: انا ربّكم الاعلى وكان بين الاولى والآخرة اربعون سنة كما نسب الى الخبر ولمّا ظهر عجزه عن الحجّة وخوفه من موسى (ع) اراد التّمويه على قومه بانّ الاٰله الّذى ادّعاه موسى (ع) ان كان حقّاً كان مثلى فى جهة ومكان وكان يمكن لى الوصول اليه فقال [فَاَوْقِدْ لى] اى للبناء لى [يا هامانُ عَلَى الطّينِ] لتحجير الطّين، قيل: انّه كان اوّل من عمل الآجرّ [فَاجْعَلْ لى صَرْحًا] قصراً عالياً الى عنان السّماء [لَعَلّى اَطَّلِعُ اِلىٰ اِلٰهِ مُوسىٰ] ولو لم يكن مقصوده التّمويه ما تكلّم بمثل هذا الكلام فانّه كان حكيماً عالماً بانّه لا يمكن بناء قصر يمكن الوصول منه الى السّماء [وَاِنّى لَاَظُنُّهُ مِنَ الْكاذِبينَ] فى الحديث فبنى هامان له فى الهواء صرحاً حتّى بلغ مكاناً فى الهواء لا يتمكّن الانسان ان يقوم عليه من الرّياح القائمة فى الهواء فقال لفرعون: لا نقدر ان نزيد على هذا فبعث الله عزّ وجلّ رياحاً فرمت به فاتّخذ فرعون وهامان عند ذلك التّابوت على التّفصيل الّذى ذكر فى الاخبار [وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِى الْاَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ] مطلقاً او بعد رجوعه من الهواء زائداً على استكباره سابقاً، والاستكبار بغير الحقّ ما لم يكن بكبرياء الله او بأمر الله مثل التّكبّر مع المتكبّر [وَظَنُّوا اَنَّهُمْ اِلَيْنا لا يُرْجَعُونَ] بالبعث [فَاَخَذْناهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِى الْيَمِّ] كما مرّ تفصيله وفيه تحقير لهم وتفخيم لشأن الآخذ لانّ الله تعالى جعلهم مع كثرتهم مثل شيء يؤخذ بالكفّ و ينبذ وجعل اخذ الآخذ فى السّعة والعظمة بالنّسبة الى كثرة جنوده مثل اخذ ما يؤخذ بكفّ [فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظّالِمينَ] تعريض بالامّة وظالميهم [وَجَعَلْناهُمْ اَئِمَّةً] قدوة لجمع كثير والمعنى جعلنا جميعهم ائمّة متبوعين لا هالى ممالكهم اوجعلنا متبوعيهم ائمّة [يَدْعُونَ اِلَى النّارِ] عن الصّادق (ع) انّ الائمّة فى كتاب الله امامان قال الله تبارك وتعالى: و جعلناهم ائمّة يهدون بأمرنا لا بأمر

النّاس يقدّمون امر الله قبل امرهم وحكم الله قبل حكمهم قال: [وَجَعَلْنَاهُمْ اَئِمَّةً يَدْعُونَ اِلَى النَّارِ] يقدّمون امرهم قبل امر الله وحكمهم قبل حكم الله و يأخذون باهوائهم خلاف ما فى كتاب الله عزّ وجلّ، والمقصود من نقل هذا الخبر تنبيه نفسى وجملة الغافلين وتذكرة اخوانى وجملة الطّالبين بانّ تقديم امر الله على امر النّاس يعنى على امر نفس العامل فانّه من جملة امر النّاس لااختصاص له بائمّة الهدى فقط، بل كلّ فرد من افراد النّاس امام لأهل مملكته وكلّ فعل يصدر منه امّا المنظور فيه امر الله وحكمه قبل النّظر الى امر نفسه وحكمها او المنظور فيه امر نفسه وحكم نفسه قبل النّظر الى امر الله وحكمه؛ فان كان الاوّل كان اماماً يهدى بأمر الله لاهل مملكته قبل أمر نفسه، وان كان الثّانى كان اماماً يدعو لاهل مملكته الى النّار، مثلاً اذا كان لك شريك فى قصعة ثريد وكنت جائعاً ولم يكن الثّريد كافياً لك ولشريكك اوكان فى القصعة شيء لذيذ ولم يكن اللّذيذ كافياً لكما وكان ارادتك ان لاتأكل ازيد من شريكك بل تريد ان تأكل مساوياً له اواقلّ بان تؤثره على نفسك ولم يكن مقصودك المراثاة اوالتّمدّح اوغير ذلك من اغراض النّفس كنت من القسم الاوّل، وان لم تكن كذلك كنت من القسم الثّانى، فاوصيكم اخوانى ونفسى بعدم الغفلة عن ذكر الله عند فعالكم فانّكم ان تكونوا متذكّرين لله عند الفعال امكن لكم تذكّر امر الله وتقديمه على امر انفسكم والّا غلبتكم انفسكم وقدّمت امرها على امر الله ولذلك قيل: اعلى مراتب الذّكر تذكّر امر الله ونهيه عند كلّ فعل وترك [وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ لَايُنْصَرُونَ] لانّ النّصر حينئذ محصور فى الله وهؤلاء لااتّصال لهم بالله بتوسّط خلفائه لانكارهم الله وخلفاءه [وَاَتْبَعْنَاهُمْ فِى هٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً] اللّعنة الطّرد من الرّحمة اوقول: اللّهمّ العنهم، وقوله تعالى فى هذه الحيوة الدّنيا ان كان حالاً من المفعول كان المعنى اتبعناهم طرداً من الرّحمة اولعن اللّاعنين حال كونهم فى هذه الحيوة الدّنيا وهذه اوفق بمقابلة مايأتى وان كان متعلّقاً باتبعناهم او باللّعنة اوحالاً من اللّعنة كان المعنى اتبعناهم لعنة من غير تعرّض بكونهم فى الدّنيا اوفى الآخرة [وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ] كناية عن عدم شمول رحمته تعالى لهم ونزول نقمته بهم يوم القيامة [وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ] النّبوّة والرّسالة واحكامهما اوالتّوراة [مِنْ بَعْدِ مَا اَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْاُولٰى] مثل قوم نوح وهود وصالح وابراهيم وشعيب (ع) اوالمراد بالقرون قوم فرعون فانّهم كانوا امماً عديدة اهلكوا بالغرق [بَصَائِرَ] جمع البصيرة بمعنى الحجّة فانّها ما به يبصر القلب، وبصائر حال او بدل من الكتاب [لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] نسب الى النّبىّ (ص) انّه قال: ما اهلك الله قوماً ولاقرناً ولا امّة ولااهل قرية بعذاب من السّماء منذ انزل التّوراة على وجه الارض غير اهل القرية الّتى مسخوا قردة الم تر انّ الله تعالى قال: ولقد آتينا موسى الكتاب (الآية) [وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِىِّ] اى بجانب الجبل الّذى هو الطّور اوالوادى الّذى فيه الطّور الغربىّ منك اومن موسى (ع) فانّ الجبل على قول انّه كان فى الشّام كان غربيّاً بالنّسبة الى مكّة والمدينة و بالنّسبة الى مصر ومدين، اوالمعنى وما كنت بجانب الطّرف الغربىّ من الطّور [اِذْ قَضَيْنَا اِلٰى مُوسَى الْاَمْرَ] انهينا اليه امر النّبوّة حين استنبئناه بعد الرّجوع الى مصر اوامر التّوراة والواحها حين اعطيناه فى الطّور اوامر نور الولاية حين اندكّ الجبل وخرّ موسى (ع) صعقاً واهلك قومه السّبعين فانّ الكلّ من الاخبار المغيبات الّتى لاتعلم الّا بطريق الوحى اواخبار من شاهدها [وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ] لها حتّى تعلمها بالشّهود [وَلٰكِنَّا اَنْشَأْنَا] اى لكنّا اوحيناها اليك فتعلمها كما هو وليس من شهودك ولامن السّماع ممّن يشهدها ولامن اخبار من يخبرها صحيحاً لانّا انشأنا [قُرُونًا] امماً كثيرة متتابعة [فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ] فلم يبق ممّن شهدها احد ولم يبق ممّن اطّلع عليها من طريق الاخبار الصّحيحة احد حتّى يخبرك بها، ولم يبق الاخبار على صحّتها بل تغيّرت وانحرفت فلم يكن علمك بها صحيحاً الّا من طريق الوحى فالمستدرك فى الحقيقة هو وحى تلك الاخبار فحذف وادخل اداة الاستدراك على علّة اثبات

الوحى [وَمٰا كُنْتَ ثٰاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ] قرية شعيب (ع) [تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيٰاتِنٰا] الجملة صفة ثاوياً اومستأنفة وعلى الاستيناف فالضّمير المجرور لاهل مدين اولاهل مكّة والمعنى انّك لم تكن فى اهل مدين حتّى يكون اخبارك عنهم عن شهود وليس يخبرك احد بأخبارهم الصّحيحة لتطاول الازمنة واندراس الاخبار وتحريفها فليس اخبارك عنهم الّا بالوحى الّذى ليس الّا للرّسول [وَلٰكِنّٰا كُنّٰا مُرْسِلِينَ] لك فاخبارك يكون بوحي منّا والمستدرك ههنا ايضاً هو الوحى لكنّه ادخل اداة الاستدراك على الارسال لانّه المقصود من الايحاء اليه [وَمٰا كُنْتَ بِجٰانِبِ الطُّورِ إِذْ نٰادَيْنٰا] موسى (ع) بنداء انّى انا الله او بالنّداء الّذى سمعه اصحابه السّبعون اونادينا امّتك وهم فى اصلاب الرّجال وارحام النّساء كما يأتى [وَلٰكِنْ] اخبرك ربّك بذلك [رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ] بذلك الخبر اوليكون دليلاً على رسالتك فتنذر بعد ثبوت رسالتك [قَوْماً مٰا أَتٰاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ] لوقوعهم فى زمان الفترة واندراس آثار الانبياء (ع) السّالفة [لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] بمبدئهم ومعادهم وثوابهم وعقابهم عن النّبىّ (ع) لمّا بعث الله عزّ وجلّ موسى بن عمران واصطفاه نجيّاً وفلق له البحرونجّى بنى اسرائيل واعطاه التّوراة والالواح رأى مكانه من ربّه عزّوجلّ فقال : ربّ لقد اكرمتنى بكرامة لم تكرم بها احداً من قبلى فقال الله جلّ جلاله : ياموسى اما علمت انّ محمّداً (ص) افضل عندى من جميع ملائكتى وجميع خلقى، قال موسى (ع) : يا ربّ فان كان محمّد (ص) اكرم عندك من جميع خلقك فهل فى آل الانبياء اكرم من آلى؟ـ قال الله جلّ جلاله : ياموسى (ع) اما علمت انّ فضل آل محمّد (ص) على جميع آل النّبيّين كفضل محمّد (ص) على جميع المرسلين، فقال موسى (ع) : يا ربّ فان كان آل محمّد (ص) كذلك فهل فى امم الانبياء افضل عندك من امّتى؟ ظلّلت عليهم الغمام ، وانزلت عليهم المنّ والسّلوى ، وفلقت لهم البحر؟ فقال الله جلّ جلاله : ياموسى اما علمت انّ فضل امّة محمّد (ص) على جميع الامم كفضله على جميع خلقى قال موسى (ع) : يا ربّ ليتنى كنت اراهم فأوحى الله عزّوجلّ اليه : يا موسى لن تراهم وليس اوان ظهورهم ولكن سوف تراهم فى الجنان جنّات عدن والفردوس بحضرة محمّد (ص) فى نعيمها يتقلّبون وفى خيراتها يتبحّحون، افتحبّ ان اسمعك كلامهم؟ـ قال : نعم الٰهى، قال الله جلّ جلاله : قم بين يدىّ واشدد مئزرك قيام العبد الذّليل بين يدى الملك الجليل؛ ففعل ذلك موسى (ع) فنادى ربّنا عزّوجلّ : يا امّة محمّد (ص)؟ـ فأجابوا كلّهم وهم فى اصلاب آبائهم وارحام امّهاتهم : لبّيك لبّيك لا شريك لك لبّيك انّ الحمد والنّعمة والملك لك ، لا شريك لك، قال : فجعل الله عزّوجلّ تلك الاجابة شعار الحاجّ، ثمّ نادى ربّنا عزّوجلّ : يا امّة محمّد (ص) انّ قضائى عليكم انّ رحمتى سبقت غضبى ، وعفوى قبل عقابى ، فقد استجبت لكم قبل ان تدعونى ، واعطيتكم من قبل ان تسألونى ، من لقينى بشهادة ان لا اٰله الّا الله وحده لا شريك له وانّ محمّداً (ص) عبده و رسوله صادق فى اقواله محقّ فى افعاله ، وانّ علىّ بن ابى طالب (ع) اخوه ووصيّه من بعده ووليّه ويلتزم طاعته كما يلتزم طاعة محمّد (ص) وانّ اولياءه المصطفين الطّاهرين المطهّرين المثابين بعجائب آيات الله ودلائل حجج الله من بعدهما اولياؤه ادخله جنّتى وان كانت ذنوبه مثل زبد البحر، قال : فلمّا بعث الله محمّداً (ص) قال : يامحمّد وماكنت بجانب الطّور اذ نادنيا امّتك بهذه الكرامة ثمّ قال عزّوجلّ لمحمّد (ص) : قل : الحمد لله ربّ العالمين على مااختصّنى به من هذه الفضيلة ، وقال لامّته : قولوا : الحمد لله ربّ العالمين على مااختصّنا به من هذه الفضائل [وَلَوْلاٰ أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ] اى لولا كراهة ان تصيبهم مصيبة [بِمٰا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ] بجهالتهم [فَيَقُولُوا] بعد ذلك اعتراضاً علينا واعتذاراً عن جهالتهم [رَبَّنٰا لَوْلاٰ أَرْسَلْتَ إِلَيْنٰا رَسُولاً] فنعلم انّ لك آيات [فَنَتَّبِعَ آيٰاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] فلم تصبنا تلك المصيبة بجهالتنا ما ارسلناك اليهم لعدم استعدادهم واستحقاقهم لرسول مثلك [فَلَمّٰا

جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا] اى الرّسول او رسالته اوكتابه اومعجزاته تأنّفوا عنه واستكبروا عن قبول رسالته و [قالُوا] ردّاً لرسالته: [لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسى] من المعجزات الظّاهرة من اليد والعصا وفلق البحر ومن الكتاب جملة [أَ] قبلوا من موسى (ع) [وَلَمْ يَكْفُرُوا بِما أُوتِيَ مُوسى مِنْ قَبْلُ] يعنى ليس سؤالهم من محمّد (ص) مثل ما اوتى موسى (ع) عن صدق نيّة وطلب دليل بل كان ذلك منهم محض تعنّت واستكبار عن القبول فانّ اسلافهم لم يقبلوا من موسى (ع) وهؤلاء اسناخهم فلو اتى بمثل ما اوتى موسى (ع) لم يقبلوا، اوالمعنى الم يكفر هؤلاء الموجودون من كفّار قريش بما اوتى موسى (ع) [قالُوا] اى الاسلاف [ساحِرانِ] يعنى موسى وهارون (ع)، وقرئ سحران على المبالغة، اوقال الموجودون محمّد (ص) و موسى ساحران اوكتابهما سحران [تَظاهَرا] تعاونا او تطابقا [وَقالُوا إِنّا بِكُلٍّ] منهما او بكلّ من الانبياء [كافِرُونَ قُلْ] لهؤلاء الّذين هم اسناخ اسلافهم اولهؤلاء الموجودين: من كفّار قريش [فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللّهِ هُوَ أَهْدى مِنْهُما] من كتابى وكتاب موسى [أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ] فى انّ موسى وهارون (ع) اومحمّداً (ص) وموسى (ع) ساحران اوكتابى وكتابه سحران [فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ] هذا من قبيل ايّاك اعنى واسمعى ياجارة والّا فهو عالم بدون ذلك [إِنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ] وليس لهم صدق نيّة فى سؤالهم ولا برهان لهم فى انكارهم [وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ] يعنى لااضلّ منه فانّ العبارة وان كان اعمّ من هذا المعنى لكنّه لايستعمل الّا فيه فان كان لااضلّ منه فلامحاجّة معه [بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللّهِ] الباء للسّببيّة اوللمصاحبة والظّرف بيان لاتّباع الهوى وانّه لايكون الّا بغير هدىً، اوتقييد بمعنى انّ اتّباع الهوى قد يكون مسبّباً من الهدى وامرالله وامرخلفائه (ع) ومصاحباً له، وقد يكون مسبّباً عن غير امرالله وامرخلفائه ومصاحباً لغير امرالله فانّ كلّ الافعال الموافقة لمقتضيات النّفوس يكون صاحبوها بوجه متّبعين لأهوية انفسهم فان كانوا فى هذا الاتّباع ناظرين الى امرالله وامرخلفائه كانوا متّبعين لأهوية انفسهم بهدى من الله والّا كانوا متّبعين لأهويتهم بغير هدىً فالحذر الحذر اخوانى من الغفلة عن الامر الآلهىّ عند فعالكم حتّى لاتكونوا مصاديق قوله تعالى: ومن اضلّ ممّن اتّبع هواه بغير هدىً من الله؛ عن الكاظم (ع) فى هذه الآية يعنى من اتّخذ دينه رأيه بغير امام من ائمّة الهدى، وعن الصّادق (ع) مثله [إِنَّ اللّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ] تعليل لكون المتّبع للهوى اضلّ النّاس، اولاتّباع الهوى بغير هدىً من الله [وَلَقَدْ وَصَّلْنا] جملة حاليّة واستدراك لمّا توهّم من قوله انّ الله لا يهدى القوم الظّالمين انّه تعالى اهملهم ولم يأت لهم باسباب الهداية يعنى انّا لانهديهم لعدم قابليّتهم وقبولهم والّا فنحن لم نهملهم و وصّلنا [لَهُمُ الْقَوْلَ] فى الاحكام و المواعظ والنّصائح والعبر و المواعيد بل وصّلنا لهم الاقوال الحقيقيّة الّذين هم خلفاؤنا فى الارض وقد فسّر فى الاخبار بامام بعد امام [لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] مالهم وماعليهم فلايتّبعون الهوى بغير هدىً من الله [الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ] اى من قبل محمّد (ص) اومن قبل القرآن [هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ] لاشكّ انّ جميع اهل الكتاب ماآمنوا به ولاشكّ انّ اكثر من آمن به لم يكونوا بالاوصاف الآتية فالمراد بهم الكاملون من مؤمنيهم فانّهم الّذين آتاهم الله الكتاب حقيقة كأنّ غيرهم كان الكتاب فيهم عاريةً اوالمراد بهم الكاملون من امّة محمّد (ص) فانّهم آتاهم الله كتاب النّبوّة واحكامها ومعرفة المعروف والمنكر من قبل قبول رسالة محمّد (ص) تكويناً، اوالمراد بهم الائمّة (ع) كما فى الاخبار فانّهم الكاملون فى ان آتاهم الله الكتاب تكويناً من اوّل صباوتهم [وَإِذا يُتْلى] الكتاب اى احكام النّبوّة اواذا يتلى القرآن [عَلَيْهِمْ قالُوا آمَنّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنا] لمانعرفه تكويناً من وجودنا

[إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ] اى من قبل قبول رسالة محمّد (ص) اومن قبل القرآن ونزوله اومن قبل المتلوّ و تلاوته [مُسْلِمِينَ أُولٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا] الصّبر حبس النّفس على مالم تصبر عليه من البلاء والمعصية والطّاعة والمؤمن اذا آمن كان له اجر، واذا حبس نفسه على كتمه وعدم اذاعته فى وقت يكون الاذاعة شيناً عليه اوعلى صاحبه اوعلى اخوته، او يكون الاذاعة سبباً للصّيت والمراياة كان له اجر اخر [وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ] يعنى بحسنات اقوالهم وافعالهم واخلاقهم وعقائدهم سيّئاتها او بالحسنة بالنّسبة الى المسيء سيّئة المسيء او بالتّقيّة سيّئة الكفّار بالنّسبه اليهم اوالى صاحبهم اواخوانهم او بالتّقيّة الاذاعة و بالمداراة التّبرّز بالمعارضة مع الخلق ، او بالحلم جهل الجاهل او بالحسنة من افعالهم البلايا الّتى قدّر عليهم اوعلى غيرهم فانّهم فى الخلق امان لهم من البلايا ، وفى الاخبار اشارة الى كلّ ذلك [وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ] قد مرّ فى اوّل البقرة تفصيل تامّ لهذه الكلمة [وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ] اللّغو كلّما لم يكن له غاية عقلانيّة دنيويّة اواخرويّة والعاقل لايركن الى مالاغاية له عقلانيّة [وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ] يعنى لايتعرّضون لهم بالرّدّ والانكار [سَلَامٌ عَلَيْكُمْ] سلام مودّع متارك [لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ] وصحبتهم لانّهم كانوا اضداداً للجاهلين فهم بحالهم وقالهم يقولون: لانبتغى مجالسة الجاهلين [إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ] هدايته اومن كان محبوباً لك فكيف بغيره والجملة جواب سؤال ناش من سابقه كأنّه (ص) قال: هل يكون هداية هؤلاء بسعيى وانا اهديهم ؟- اوقال (ص) : هل ابالغ فى هداية ارحامى واحبابى ؟- اوجواب لسؤاله (ص) وجهده فى هداية ارحامه خصوصاً على ما نقل من العامّة انّه نزل فى ابى طالب (ع) ومبالغة محمّد (ص) فى ايمانه وعدم قبوله [وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ] هدايته اومن كان محبوباً له [وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] اى المستحقّين للهداية وانت لاتعلمهم ،اولست اعلم منه بهم اوهو اعلم بمن اتّصف بالهدى حقيقة و بمن قبل رسالتك عارية .

فى اسلام ابى طالب (ع)

اعلم، انّه نقل بطريق العامّة انّ الآية نزلت فى ابى طالب (ع) وذكروا اخباراً عديدة فى حقّه مشعرة بذمّه وعدم اسلامه وذكر بعض الخاصّة ايضاً بعضاً من اخبارهم الّتى لايليق بشأنه فانّ جلالة شأنه (ع) اجلّ وامنع من ان يبلغها عقول الرّجال فكيف بأصحاب البحث والجدال وار باب الظّنّ والخيال لانّه كما استفيد من الاخبار انور نوراً وافخم قدراً بعد الانوار الار بعة عشر من جميع الانبياء والاولياء (ع) وانّه كان مستودعاً لودائع الوصاية من جميع الانبياء والاولياء (ع) الّتى ينبغى ان تسلّم الى محمّد (ص) الّذى كان خاتم كلّ الانبياء (ع) وحامل ودائعه ينبغى ان يكون سنخاً له ،وفى مرتبة الشّرافة مناسباً له، وانّه كان مربّياً لمحمّد (ص) من اوّل صباه بل كان مرضعاً له من ثدى نفسه مدّة وانّه اخبر كثيراً قبل ولادته و بعدها بولادته ونبوّته وشرافته وانّه كان من اوصياء عيسى (ع) وان كلّ الاوصياء ينبغى ان يكونوا راجعين اليه وآخذين منه . روى فى الكتب المعتبرة عن الكاظم (ع) انّه سئل: اكان رسول الله (ص) محجوجاً بابى طالب (ع) ؟- فقال: لا ؛ ولكنّه كان مستودعاً للوصايا فدفعها اليه، قيل: فدفع اليه الوصايا على انّه محجوج به؟-فقال: لوكان محجوجاً به مادفع اليه الوصيّة، قيل: فما كان حال ابى طالب (ع)؟- قال: اقرّ بالنّبىّ (ص) و بما جاء به ودفع اليه الوصايا ومات من يومه، ولولم يكن فى حقّه (ع) سوى هذا الخبر لكفى فى الدّلالة على جلالة شأنه وفخامة قدره لدلالته على انّه كان مستودعاً للوصايا الّتى ينبغى ان تدفع الى محمّد (ص) ،وانّه كان ادّاها اليه ومات من يومه ، وروى انّ اميرالمؤمنين (ع) كان ذات يوم جالساً بالرّحبة والنّاس مجتمعون اليه فقام اليه رجل فقال : يااميرالمؤمنين (ع) انّك بالمكان الّذى انزلك الله به وابوك يعذّب بالنّار .. ! فقال له: مه، فضّ الله فاك والّذى بعث محمّداً (ص) بالحقّ نبيّاً لوشفع ابى فى كلّ مذنب على وجه الارض لشفّعه الله تعالى فيهم ،لابى يعذّب بالنّار وابنه

قسيم النّار؟- ثمّ قال: والّذى بعث محمّداً (ص) بالحقّ انّ نورابى طالب (ع) يوم القيامة ليطفى انوار الخلق الّا خمسة انوار؛ نورمحمّد (ص) ونورى ونور فاطمة (ع) ونور الحسن ونور الحسين (ع) ومن ولده من الائمّة (ع) لانّ نوره من نورنا الّذى خلقه الله عزّوجلّ من قبل خلق آدم (ع) بألفى عام [وَقَالُوا] عطف على قوله: قالوا انّا بكلّ كافرون يعنى قال قريش او عشيرتك او ابوطالب (ع) على قول العامّة [اِنْ نَتَّبِعِ الْهُدٰى مَعَكَ] اى رسالتك [نُتَخَطَّفْ مِنْ اَرْضِنٰا] روى عن امير المؤمنين (ع) انّها نزلت فى قريش حين دعاهم رسول الله (ص) الى الاسلام والى الهجرة، وعن النّبىّ (ص) انّه قال: والّذى نفسى بيده لادعونّ الى هذا الامر الابيض والاسود ومن على رؤس الجبال ومن فى لجج البحار، ولادعونّ اليه فارس والرّوم فجبرت قريش واستكبرت وقالت لابى طالب: اماتسمع الى ابن اخيك مايقول والله لوسمعت بهذا فارس والرّوم لاختطفتنا من ارضنا ولقلعت الكعبة حجراً حجراً، فأنزل الله تعالى هذه الآية [اَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ] اى الم نرزقهم فى حال كفرهم من كلّ مايرزق مع انّ مكانهم وادٍ غير ذى زرعٍ ولم نجعل لهم [حَرَمًا اٰمِنًا] ذا امنٍ اوآمناً ساكنوه مكاناً ومحلّاً لسكناهم فكيف يكون حالهم اذا كانوا موحّدين مستحقّين لكرامتنا [يُجْبٰى] اى يجمع [اِلَيْهِ ثَمَرٰاتُ كُلِّ شَىْءٍ] لم يقل كلّ نباتٍ لقصد تعميم الثّمرات لكلّ خيرٍ ومالٍ فانّه لااختصاص لجمع الاشياء اليه بالفواكه بل يجبى اليه كلّ مايحصل من النّباتات والاشجار والانعام والصّنائع وانفس الانعام بل يجبى اليه ثمرات القلوب وخيرات الآخرة ولذلك قال تعالى [رِزْقًا مِنْ لَدُنّٰا] يعنى انّ الثّمرات الدّنيويّة وان كانت رزقاً من الارض لكن ثمرات الآخرة والقلوب من ارزاقنا اللدّنيّة، وكذلك بركات ثمرات الارض وماكان منها رزقاً للارواح [وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لٰايَعْلَمُونَ] انّ ذلك لهم من فضلنا وحكمتنا وقدرتنا وينسبون ذلك الى انفسهم او اكثرهم لاعلم لهم [وَكَمْ اَهْلَكْنٰا مِنْ قَرْيَةٍ] عطف على قوله اولم نمكّن وجمع بين الوعد والوعيد والتّرغيب والتّرهيب [بَطِرَتْ مَعِيشَتَهٰا] بطر اهلها السعة معيشتها [فَتِلْكَ مَسٰاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ اِلّٰا قَلِيلًا] من سوء افعالهم فاتّقوا يااهل مكّة مثل افعالهم [وَكُنّٰا نَحْنُ الْوٰارِثِينَ] لمساكنهم واموالهم واجسادهم وارواحهم [وَمٰا كٰانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرٰى] اى ماكان فى سجيّته ان يهلك القرى من دون تنبيهٍ لهم وتذكير فلايهلكها [حَتّٰى يَبْعَثَ فِى اُمِّهٰا] قريتها العظيمة الّتى كان رجوع الكلّ اليها [رَسُولًا] وهذا على الاغلب والّا فقد بعث الله بعض الرّسل (ع) من الرّساتيق وكانوا لايخرجون منها ويكون رجوع القرى العظيمة اليها، اوعلى الاشارة الى التّأويل فانّ الرّسل (ع) اينما كانوا واينما بعثوا كانوا اصل القرى الانسانيّة ومرجعها ومعظمها وكان الرّسول الّذى هو اللّطيفة الانسانيّة الّتى اتّصفت بصفات الرّوحانيّين يبعث اوّلاً فى تلك القرية العظيمة الّتى هى مملكة وجود الرّسول (ع) ثمّ يبعث منها الى سائر القرى الانسانيّة [يَتْلُوا عَلَيْهِمْ اٰيٰاتِنٰا] التّدوينيّة والآفاقيّة واحكامنا الّتى هى لوازم الرّسالة [وَمٰا كُنّٰا مُهْلِكِى الْقُرٰى اِلّٰا وَاَهْلُهٰا ظٰالِمُونَ] بتكذيب الرّسل (ع) وسائر انواع الظّلم والكفر واصل الكلّ انكار الرّسل (ع) [وَمٰا اُوتِيتُمْ مِنْ شَىْءٍ فَمَتٰاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا وَزِينَتُهٰا] هذا جمع بين التّزهيد والتّشويق كما انّ الاوّل كان جمعاً بين الانذار والتّبشير [وَمٰا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ] ممّا اوتيتم يعنى ان كان ما اوتيتم خيراً باعتقادكم فما عندالله خيرٌ منه، اولفظ الخبر مجرّد عن معنى التّفضيل والّا فلانسبة بين ماعندالله وماعندكم [وَاَبْقٰى] ممّا عندكم على اعتقادكم [اَفَلٰا تَعْقِلُونَ] ذلك اولايكون لكم عقل فتتركون ماعندالله و تأخذون ماعندكم [اَفَمَنْ وَعَدْنٰاهُ وَعْدًا حَسَنًا] تأكيد للتّزهيد والتّشويق [فَهُوَ لٰاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنٰاهُ مَتٰاعَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] الّذى لابقاء له ويكون لذّته مشوباً بالالم وراحته بالتّعب وغناه

بالحاجة و يكون عاقبته الحسرة والنّدامة [ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ] للحساب او العقاب [وَيَوْمَ يُنٰادِيهِمْ] عطف على يوم القيامة او بتقدير اذ كر اوذ كّر او متعلّق بقوله قال الّذين حق عليهم القول [فَيَقُولُ] للمشركين [اَيْنَ شُرَكٰائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ] انّهم شركائى من الاصنام والكواكب والاهوية والوسائل وشركاء الولاية فى كل ّعصر وزمان [قٰالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ] من مدّعى الرّبوبيّة ومن مدّعى الولاية والرّسالة وممّن جعلهم المشركون شركاء الله اوشركاء الولاية لكنّ المنظور شركاء الولاية [رَبَّنٰا هٰؤُلاٰءِ الَّذِينَ اَغْوَيْنٰا] اشارة الى المشركين والاتباع [اَغْوَيْنٰاهُمْ] بصرفهم عنك اوعن ولىّ امرهم [كَمٰا غَوَيْنٰا] بأنفسنا [تَبَرَّأْنٰا اِلَيْكَ] منهم فانّهم كانوا اعداء لنا وكنّا نظنّهم احباباً [مٰا كٰانُوا اِيّٰانٰا يَعْبُدُونَ] بل كان معبودهم ومطاعهم اهويتهم [وَقِيلَ] للاتباع [ادْعُوا شُرَكٰاءَكُمْ] فى الولاية والطّاعة اوفى الرّبوبيّة [فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ] لعجزهم عن الجواب اواشتغالهم بانفسهم [وَرَأَوُا الْعَذٰابَ لَوْ اَنَّهُمْ كٰانُوا يَهْتَدُونَ] استيناف بصورة التّمنّى واظهار انّه ينبغى ان يتحسّر عليهم ، او حال بتقدير القول اى مقولاً فيهم لوانّهم كانوا يهتدون الى الولاية لما كانوا فى العذاب [وَيَوْمَ يُنٰادِيهِمْ] عطف على سابقه [فَيَقُولُ مٰاذٰا اَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ] فى دعائهم اياكم الى الله والى قبول رسالتهم والمراد بالمرسلين اعمّ من الرّسل وخلفائهم [فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْاَنْبٰاءُ] من المعامى والاعماء الاراضى الّتى لااثر لها ولاعلامة فى الاذهان ولاعمارة فيها ، شبّه الاخبار بالاراضى وانمحائها عن قلوبهم بعدم العلامة وعدم العمارة فيها، اوهو مقلوب عموا عن الاخبار للاشعار الى انقلاب احوالهم كأنّهم لايميّزون بين ان يقال عموا عن الاخبار اوعميت عليهم، ولايهام انّ عماهم لشدّته سرى الى الاخبار [يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لاٰ يَتَسٰاءَلُونَ] لانّ التّساؤل لا يكون الّا بعد بروز آثار الاخبار فى الاذهان [فَاَمّٰا مَنْ تٰابَ] عن شركه بالرّبوبيّة اوعن شركه بالولاية و تاب على يد ولىّ امره [وَآمَنَ] بقبول ولايته فى ضمن بيعته فانّ الفلاح محصور على من قبل ولاية علىّ (ع) بالتّوبة على يده او يد خلفائه والبيعة معه [وَعَمِلَ صٰالِحاً فَعَسٰى اَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ] الاتيان باداة التّرجّى على عادة الكبار وقد مضى مكرّراً انّ التّرجّى من الله واجب ، اوالمعنى عسى من تاب ان يكون من المفلحين فانّ التّائب ليس من قبله الّا رجاء الفلاح [وَرَبُّكَ] لاغيره فانّ التّقديم للحصر [يَخْلُقُ مٰا يَشٰاءُ] لانّ غيره عاجز عن حفظ نفسه بعدما خلقه الله فكيف يخلق غيره وحفظه [وَيَخْتٰارُ مٰا كٰانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ] اى الاختيار اوالمختار فانّ الخيرة اسم مصدر تستعمل فى المختار ايضاً لانّ غيره جاهل بما هو خير له لايتميّز خيره عن شرّه عنده ولايعلم مآل حاله ومختاره فلايمكنه اختيار ما هو خيرٌ له والآيات تعريض بالامّة و اشراكهم بعلىّ فى الولاية و اختيارهم بآرائهم اماماً لانفسهم وان كان نزوله فى غيرهم ، و اعراب قوله و ربّك يخلق (الآية) انّ الواو حاليّة والجملة حال من الجمل السّابقة و يختار امّا عطف على يشاء وحينئذ يكون لفظة ما نافية اوموصولة بدلاً من ما يشاء ، اوعطف على يخلق ومانافيةٌ اوموصولةٌ [سُبْحٰانَ اللّٰهِ] انشاء تسبيح اواخبار تنزيه اوكلمة تعجّب وتعجيب وعلى اىّ تقدير فالمقصود انّ الله فى مظهره الّذى هو علىّ (ع) منزّه [وَتَعٰالٰى عَمّٰا يُشْرِكُونَ] فى الولاية والخلافة ومافى عمّا يشركون مصدريّة اوموصولة وفى الاخبار اشارات الى هذا التّعريض والتّأويل من اراد الاطّلاع فليرجع الى المفصّلات من كتب التّفاسير والاخبار [وَرَبُّكَ] لاغيره [يَعْلَمُ مٰا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمٰا

يُعْلِنُونَ] قد تكرّر فيما مضى انّ مكنونات الصّدور تصدق على الارادات و العزمات والخيالات والخطرات و لكن المكنونات حقيقة هي القوى المكمونة فى النّفوس الّتى لم يطّلع عليها صاحبوها ولم يعلم بها الّا الله و الّا من كان من الله ، وامّا ماكان من قبيل الخطرات والخيالات فهو معلن لصاحبه وللملائكة الموكّلة به وهذه الجملة عطف فى معنى التّعليل فانّ اختيار الخيرة لايتأتّى الّا ممّن يعلم القوى المكمونة الّتى لاظهور لها لا لصاحبها و لا لغيره [وَهُوَ اللّٰهُ] عطف وكالنّتيجة لسابقه فانّ الّذى كان محصوراً فيه خلق مايشاء واختيار الخيرة لكلّ مخلوق وعلم الجليّات والخفيّات كان محصوراً فيه الآلهة ، و استحقاق العبادة وجميع اضافات المبدئيّة وجميع الصّفات المحمودة لكلّ محمود فى الدّنيا والآخرة لكونه مبدءً لها وكون فاعل الشّيء اولى به من قابله فكأنّه قال فهو الله [لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِى الْأُولٰى] فى الدّار الاولى والدّار الآخرة اوفى النّظرة الاولى الّتى لانظر فيها الّا الى المخلوق لانّ الخالق هو الّذى يكون ظاهراً فى المخلوق بصورته فما ينسب الى المخلوق فى النّظرة الاولى فهو منسوب الى الخالق وفى النّظرة الآخرة الّتى يفنى فيها كلّ تعيّن ومهيّة و يبقى فيها الخالق بخالقيّته [وَلَهُ الْحُكْمُ] فيهما [وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] بعد العود او فى نظر البصير لانّ الكلّ فى نظره يرجع بوجوده و افعاله واوصافه الى الله بمعنى انّ البصير يرى وجود الكلّ وجوداً لله ظاهراً بصورته وكذا افعاله واوصافه [قُلْ أَرَأَيْتُمْ] قد مضى فى سورة الانعام بيان لهذه الكلمة عند قوله تعالى: قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله [إِنْ جَعَلَ اللّٰهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا] دائماً طويلاً [إِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللّٰهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ] لمّاكان المقصود من النّهار الضّياء الّذى به يبصرون و يتعيّشون اتى موضع النّهار بالضّياء [أَفَلَا تَسْمَعُونَ] ولمّاكان الضّياء بنفسه مطلوباً و نافعاً و يكون طلب المكاسب والمعايش بسبب الانتفاع به لم يأت بوصف للضّياء مثل قرينه [قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللّٰهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللّٰهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ] لمّاكان العنوان فى القرين الاوّل اللّيل وكان المناسب لعنوان اللّيل السّماع دون الابصار اتى هناك بقوله افلا تسمعون توبيخاً اوتقريراً لسماعهم بخلاف القرين الثّانى فانّ العنوان فيه النّهار والمناسب له الابصار و ايضاً لمّاكان السّماع اشارة الى مقام التّقليد و الابصار الى مقام التّحقيق كما قال تعالى : انّ فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب اى بصيرة قلبيّة بها يبصر الاشياء كما هى، او ألقى السّمع يعنى فى مقام التّقليد والمتابعة كان المناسب للّيل السّماع المشار به الى مقام التّقليد و للنّهار الّذى هو محلّ الابصار وسبب الشّهود الّذى هو التّحقيق الابصار الّذى هو سبب التّحقيق [وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ] عطف على ارأيتم و نتيجة لسابقه [لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ] لفّ ونشر مرتّب [وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] اى لعلّكم تتنبّهون نعمه العديدة المندرجة فى اختلاف اللّيل والنّهار وانّ فى اختلافهما حيوة كلّ ذى حيوة و بقاءه ونماء كلّ ذى نماء وكماله، وانّه لو لا اختلافهما لما وجد من المواليد شيء فتشكروا تلك النّعم المندرجة فى اختلافهما ، وتشكروا نفس تلك النّعمة الّتى هى اللّيل و النّهار [وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ] لمّاكان المقصود من هذه الآية التّعريض بالامّة و اشراكهم بالولاية وكان اصل الدّين و التّوحيد توحيد الولاية و اصل الالحاد و الكفر والاشراك الكفر والاشراك بالولاية كرّرها بالفاظها و بغير الفاظها [وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا] و لمّاكان المقصود التّعريض بالامّة فسّروا هذه الآية بفرق امّة محمّد (ص) و بامامهم الّذى هو من آل محمّد (ص) و هو شهيد عليهم [فَقُلْنَا هَاتُوا] ايّها الامم المشركة بولاية امامكم والكافرة بها [بُرْهَانَكُمْ] على اشراككم [فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلّٰهِ] فى مظاهره الّذين هم شهداؤه عليهم [وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ] من ائمّتهم الباطلة والاتيان بالافعال المذكورة

ماضيات للاشارة الى تحقّق وقوعها [إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسىٰ] استيناف جواب لسؤال ناش من سابقه من حيث تعريضه كأنّه قيل: الاينفعهم ايمانهم بمحمّد(ص) بعدانكارهم لعلىّ (ع)؟ـفقال تعالى: بغيهم على علىّ (ع) ذهب بايمانهم و بماعملوا فى ايمانهم لانّ قارون كان من قوم موسى (ع) [فَبَغىٰ عَلَيْهِمْ] ولم ينفعه كونه من قوم موسى (ع) وخسف به الارض ببغيه [وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ] جمع المفتح بالكسر بمعنى المفتاح او جمع المفتح كمخزن بمعنى الخزانة و الكنز [لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ] ناء بالحمل نهض به مثقلاً وناء به الحمل اثقله و العصبة بالضمّ من الرّجال و الخيل و الطّير مابين العشرة الى الاربعين، و قيل: مابين العشرة الى خمسة عشر، و قيل: اربعون رجلاً، و قيل: مابين ثلاثة الى العشرة، و قيل: الجماعة المطلقة عن تعيين العدد [أُولِي الْقُوَّةِ] وهذا ايضاً تعريض بالامّة و مترفيها و من يفرح بما آتاه الله و يتأنّف عن خلفائه (ع) يظنّ انّ النّعمة له باستحقاقه من دون ظنّ الاستدراج بها [إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ] متعلّق بقوله بغى عليهم او بآتيناه [لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ] بانفاقها على مستحقّيها وفى سائر مصارف البرّ [وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ] الاخروىّ [مِنَ الدُّنْيَا] اى ممّا آتاك الله فى الدّنيا اومن امتعة الدّنيا من الاموال والقوى و المدارك والصّحّة والفراغ والشّباب وغير ذلك بان تأخذ من جميع ذلك ما ينبغى ان يؤخذ للآخرة اوالمعنى لاتنس نصيبك الّذى انت محتاج اليه فى دنياك بان تنفق كلّ ما آتاك الله من الدّنيا فيكون على المعنى الاوّل تأكيداً لقوله: و ابتغ (الآية) وعلى الثّانى يكون تأسيساً وامراً بالتّوسّط بين التّبذير و التّقتير [وَأَحْسِنْ] الى العباد او فى اعمالك او احسن النّعمة بالشّكر لها وصرفها فيما خلقت لها اوصر حسناً [كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ] بتوفيرنعمه [وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ] عن الصّادق(ع): فساد الظّاهر من فساد الباطن، و من اصلح سريرته اصلح الله علانيته، و من خان الله فى السّرّ هتك الله ستره فى العلانية، و اعظم الفساد ان يرضى العبد بالغفلة عن الله تعالى، وهذا الفساد يتولّد من طول الامل والحرص والكبر كما أخبر الله تعالى فى قصّة قارون فى قوله: و لا تبغ الفساد فى الارض انّ الله لا يحبّ المفسدين وكانت هذه الخصال من صنع قارون واعتقاده، واصلها من حبّ الدّنيا وجمعها ومتابعة النّفس وهواها، واقامة شهواتها وحبّ المحمدة وموافقة الشّيطان واتّباع خطواته، وكلّ ذلك مجتمع تحت الغفلة عن الله ونسيان منّته، والمقصود من نقل هذا الخبر تنبيه نفسى وجميع اخوانى، فانّا قلّما ننفكّ عن الغفلة الّتى هى اصل كلّ فساد ومنبع كلّ شرّ، وفّقنا الله وجميع المؤمنين لذكره وعدم الغفلة عنه [قَالَ] استنكافاً عن قبول قولهم و اعجاباً بنفسه [إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي] يعنى اورده الله على علم وكمال عندى فلم لاافرح به و ابذله على من لم يكن له هذا الكمال؟! اوالمعنى اوتيته حال كونى مشتملاً على عندى خاصّ بى وهو العلم بوجوه المكاسب و تحصيل الارباح، اوحال كونى مشتملاً على علم خاصّ بى هو علم الكيميا كما قيل، و قيل: انّ موسى (ع) علّم قارون شيئاً من الكيميا وعلم ابنه شيئاً وعلّم يوشع (ع) شيئاً فخدعهما قارون وتعلّم منهما ما علّمهما موسى (ع) من ذلك [أَوَلَمْ يَعْلَمْ] تعريض بالامّة و بطرهم و اعتمادهم على الحيوة الدّنيا ومتاعها يعنى الم يعلم انّ حيوته و وجوده ليس باختياره فكيف باعراضه الدّنيويّة الّتى لانسبة بينه و بينها الّا محض الاعتبار الّذى اعتبره العرف اوالشّرع، و الم يعلم [أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا] للمال و الاولاد و القوى و الخدم و الحشم [وَ] لكن [لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ] يعنى انّ الله اذا اراد ان يذنب العبد بسبب سوء استحقاقه اعماه عمّا يبصر قبح ذنبه و سوء عاقبته فاوقعه فى الذّنب فلايسأل عن سبب ذنبه لانّ الله اوقعه عليه بسبب سوء استعداده الّذى لايعلم هو به، اوالمعنى لايسأل المجرمون عن ذنوبهم حتّى

يعتذروا عنها و يجيبوا مثل قوله تعالى: فيومئذٍ لا يسأل عن ذنبه انسٌ ولا جانٌّ او المعنى لايسأل المجرمون الماضون عن ذنوب هؤلاء الحاضرين كما قيل، ولمّا كان الاعراض الدّنيويّة لاربابِ النّفوس واهويتها مورثة للاستكبار والاعجاب بالنّفس وتحقير العباد صار قارون المبتلا باهوية النّفس معجباً بنفسه متكبّراً على غيره [فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ] قيل: انّه خرج على بغلة شهباء عليه الارجُوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيّه [قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ] كما هو عادة اهل الدّنيا فى كلّ زمان [إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ] كان ما هو فيه فى نظرهم من اعظم النّعم لغفلتهم عن انّه مستعقب للزّوال والعقاب وحرمان ما اعدّه الله لعباده فى الآخرة [وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ] بالدّنيا و اعراضها وآفاتها والآخرة وعقابها و ثوابها ودرجاتها [وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ] فى الدّنيا بحصول الالتذاذ بمناجاته و الفراغ من الاشتغال بمتاعب الدّنيا و حرصها و آمالها و فى الآخرة بما اعدّه لعباده [خَيْرٌ] ممّا ترونه على قارون من زينة الدّنيا فانّه معرض للزّوال و صاحبه محلّ للآفات و البلايا و المكاره و الغموم [لِمَنْ آمَنَ] بالتّوبة و البيعة على ايدى خلفائه (ع) ايماناً عامّاً او ايماناً خاصّاً بالبيعة الخاصّة الولويّة [وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا] اى هذه الموعظة اوهذه الكلمة [إِلَّا الصَّابِرُونَ] عن الدّنيا وآمالها فانّ المبتلى بالدّنيا و آمالها يكون اصمّ من النّصائح و المواعظ الاخرويّة [فَخَسَفْنَا] بشوم عمله وسوء اعجابه بنفسه [بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ] روى انّ موسى (ع) باهلَه بأخيه هارون (ع) و بنيه فخسف به و بأهله وماله ومن وازره من قومه، وقيل: دعا قارون امرأةً من بنى اسرائيل بغيّاً فقال لها: انّى أعطيك الفين على ان تجيىء غداً اذا اجتمعت بنو اسرائيل عندى فتقول: قد راودنى موسى (ع) فأعطاها خريطتين عليهما خاتمه فلمّا جاءت بيتها ندمت وقالت: مابقى لى الّا ان افترى على نبىّ الله (ع)؟! فلمّا اصبحت اقبلت ومعها الخريطتان حتّى قامت بين بنى اسرائيل وقالت: ماقالها قارون وقالت: معاذالله ان افترى على نبىّ الله (ع) وهذه دراهمه عليها خاتمه، فغضب موسى (ع) فدعا الله عليه فخسف به و بداره الارض، و قيل: كان قارون ممّن يحبّه موسى (ع)، وكان يقرء التّوراة مع القوم فى التّيه، وكان احسن صوتاً منهم، فلمّا طال التّيه على القوم ودخلوا فى التّوبة و البكاء امتنع قارون من الدّخول معهم فى التّوبة فدخل عليه موسى (ع) فقال له: ياقارون قومك فى التّوبة وانت قاعد ههنا؟! ادخل معهم والّا ينزل بك العذاب فاستهان به فخرج موسى (ع) من عنده مغتمّاً، فجلس فى فناء قصره فأمر قارون ان يصبّ عليه رماد قد خلط بالماء فصبّ عليه فغضب موسى (ع) غضباً شديداً وكان فى كتفه شعرات كان اذا غضب خرجت من ثيابه و قطر منها الدّم فقال موسى (ع): ياربّ ان لم تغضب لى فلست لك بنبىّ فأوحى الله عزّوجلّ اليه: قد امرت الارض ان تطيعك فمرها بماشئت، وقد كان قارون قد امر ان يغلق باب القصر فأقبل موسى (ع) فأومى الى الابواب فانفرجت و دخل عليه فلمّا نظر اليه قارون علم انّه قد اوتى بالعذاب فقال: ياموسى اسألك بالرّحم الّذى بينى و بينك فقال له موسى (ع): ياابن لاوى لاتزدنى من كلامك، ياارض خذيه فدخل القصر بمافيه فى الارض ودخل قارون فى الارض الى ركبتيه، فبكى وحلّفه بالرّحم، فقال له موسى: ياابن لاوى لاتزدنى من كلامك، ياارض خذيه فابتلعيه بقصره وخزائنه، وهذا ماقال موسى (ع) لقارون يوم اهلكه الله عزّوجلّ فعيّره الله عزّوجلّ بماقاله لقارون فعلم موسى (ع) انّ الله تبارك و تعالى قد عيّره بذلك فقال: يا ربّ انّ قارون دعانى بغيرك ولو دعانى بك لاجبته فقال الله عزّوجلّ: ياابن لاوى لاتزدنى من كلامك، فقال موسى (ع): ياربّ لوعلمت انّ ذلك لك رضاً لاجبته فقال الله: ياموسى وعزّتى وجلالى وجودى ومجدى وعلوّ مكانى لوانّ قارون كما دعاك دعانى لاجبته ولكنّه لمّا دعاك وكلته اليك، وعن الباقر (ع) انّ يونس (ع) لمّا آذاه قومه الى ان قال: فألقى نفسه فى اليمّ فالتقمه الحوت فطاف به البحار السّبعة حتّى صار الى

البحر المسجور و به يعذّب قارون فسمع قارون دويّاً[1] فسأل الملك عن ذلك فأخبره انّه يونس انّ الله حبسه في بطن الحوت فقال له قارون: اتأذن لي ان اكلّمه؟- فأذن له فسأله عن موسى (ع) فأخبره انّه مات فبكى ثمّ سأله عن هارون (ع) فأخبره انّه قدمات فبكى وجزع جزعاً شديداً، وسأله عن أخته كلثم وكانت مسمّاة له فأخبره انّها ماتت فبكى وجزع جزعاً شديداً، قال فأوحى الله الى الملك الموكّل به ان: ارفع عنه العذاب بقيّة ايّام الدّنيا لرقّته على قرابته [فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ] بنفسه فاحذروا يا امّة محمّد (ص) من البغي على من نصبه الله اماماً للعباد واحذروا من الاستكبار والاختيال بما آتاكم الله من الاموال والجاه واحذروا من الاختيال بالزّينة والثّياب الفاخرة، وفي خبر: ونهى ان يختال الرّجل في مشيته، ومن لبس ثوباً فاختال فيه خسف الله به من شفير جهنّم وكان قرين قارون لانّه اوّل من اختال فخسف الله به و بداره الارض [وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ] بعد خسفه [وَيْكَأَنَّ اللَّهَ] وى كلمة تعجّب مثل ويك ويستعمل ايضاً بمعنى الويل وتدخل على كان مخفّفة ومشدّدة فههنا يحتمل ان يكون ويكأنّ مركّبة من وى وكأنّ وان يكون مركّبة من ويك وانّ بمعنى التّعجّب وان يكون من وى وكاف الخطاب وانّ، وان يكون من ويك مخفّف ويلك وانّ، واذا كان انّ منفصلاً فليقدّر مثل اعلم قبلها حتّى يكون عاملها [يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ] وليس بسط الرّزق وتقديره بمشيّة العباد كماقال قارون ولالهوان اوكرامة من الله [لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا] بعدم اعطائنا مثل ما اعطى قارون كما كنّا نتمنّاه [لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ] مثل قارون [تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ] جواب لسؤال ناش من السّابق كأنّه قيل: فمن ينجو من العذاب ومن يدخل الجنّات؟- فقال: تلك الدّار الآخرة [نَجْعَلُهَا] مقرّاً [لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ] لانّ المستعلي في الارض منازع لي، والمنازع لي لايدخل داري [وَلَا فَسَادًا] لانّ المفسد موذ لعبادي وخلقي [وَالْعَاقِبَةُ] الحسنى [لِلْمُتَّقِينَ] من ذلك اولمن كان شيمته التّقوى عن جميع ماينبغي ان يتّقى منه [مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا] جواب سؤال آخر كأنّه قيل: فماحال من جاء بالحسنة ولم يكن من المتّقين؟ ومن جاء بالسّيّئة ولم يكن من المريدين للعلوّ والفساد؟ [وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] اى نفس ما كانوا يعملون على تجسّم الاعمال، اوجزاء ما كانوا يعملون [إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ] اى عيّن عليك اوفرض اوسنّ عليك العمل بما فيه من اعماله واخلاقه [لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ] اى الى مكّة فانّ المعاد هو المحلّ الّذي كنت فيه ثمّ خرجت منه واردت العود اليه.

اعلم، انّ القرآن اسم لمقام الجمع ولمّا كان كتاب محمّد (ص) مصدره مقام الجمع الّذي هو مقام المشيّة الّتي هو مقام الجمع المطلق والبرزخ بين الوجوب والامكان ومجمع بحري الوجوب والامكان سمّاه الله تعالى بالقرآن، وفرض القرآن على محمّد (ص) عبارة عن ايصاله الى ذلك المقام الّذي لم يصل اليه احد من الانبياء (ع)، ولمّا كان محمّد (ص) مبدءنزوله هذا المقام يصدق على هذا المقام انّه معاد محمّد (ص)، ولمّا كان محمّد (ص) محيطاً بالكلّ وله مقام في الدّنيا ومقام في نفوس العباد فاذا خرج من الدّنيا صحّ ان يقال اذا عاد اليها: انّها معاده، وكذا نفوس العباد فصحّ التّفسير بانّ الّذي فرض عليك العمل بالقرآن لرادّك الى مكّة، وصحّ التّفسير بانّ الّذي عيّن واثبت عليك مقام الجمع لرادّك الى ذلك المقام اوالى الدّنيا او الى نفوس العباد حين احتضارهم اوحين حسابهم كما اشير اليها في الاخبار والاقوال، وعن السّجّاد (ع) انّه قال: يرجع اليكم نبيّكم (ص) وامير المؤمنين (ع) [قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى] مايهدى

---

(١) - دوىّ الرّعد - الصّوت.

به الى الجنّة ونعيمها اوالى الله وقر به من الاعمال الحسنة اومن جاء بوصف الاهتداء الى الدّين وهذاجوابٌ لادّعاء كان مذكوراً أفانّهم كثيراً كانوا ينسبون محمّداً (ص) الى الضّلال اوجوابٌ لسؤال ناش من قوله : من جاء بالحسنة فله خير منها (الآية) كأنّه قيل: من الّذى يجيء بالحسنة؟ ومن الّذى يجيء بالسّيّئة؟- [وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] وخالف بين الفقرتين لايهام انّ الضالّ واقف فى جهنّم نفسه ، والمهتدى مهاجر من دارشركه الى ربّه [وَمَا كُنْتَ] عطف باعتبار المعنى فانّ المقصود من قوله: قل ربّى اعلم (الآية) تسليته كأنّه قال: انت على الهدى وما كنت [تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ] يعنى النّبوّة والقرآن [إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ] استثناء مفرّغ فى موضع التّعليل اومنصوب بنزع الخافض اى الّا برحمةٍ من ربّك او استثناء منقطع والمعنى لكن اعطيت الكتاب رحمةً من ربّك [فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ] فانّ الكتاب نعمة والنّبوّة نعمة عظيمة فلا تصرفهما فى اعداء المعطى، وهذه ومابعدها خطاب له (ص) على ايّاك اعنى واسمعى ياجارة [وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ] التّكوينيّة من احكام الرّسالة وغرائب الآخرة بان لاتعمل بها وتنسيها وعن آياته التّدوينيّة بان لاتعمل بها وتتركها [بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ] بالقول بتذكير الآيات و بالافعال والاخلاق والاحوال بالعمل بالآيات ، اوالمعنى ولايصدّنّك عن آيات الله النّازلة فى علىٍّ (ع) وادع الى علىّ [وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] بولاية علىّ (ع) [وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ] من الاصنام والكواكب و الاهوية، اولاتدع مع علىٍّ (ع) فى ولايته وليّاً آخر وهذه تأكيد لقوله: ولاتكوننّ من المشركين [لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ] تعليل للنّهيين السّابقين [كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ] تعليل لقوله تعالى: لااله الّاهو [إِلَّا وَجْهَهُ] اى الّا وجه الله او وجه ذلك الشّيء وان كان رجوع الضّمير الى الله جاز ان يكون المراد وجه الله الّذى به يتوجّه الى الاشياء وان يكون وجه الشّيء الّذى به يتوجّه الى الله يعنى كلّ شيءٍ هالك الّا وجه ذلك الشّيء الّذى به يتوجّه الى الله فيكون الاضافة لادنى ملابسة .

اعلم، انّ الوجه اسم لمايتوجّه به ولااختصاص له بوجه بدن الانسان وانّ فى كلّ شيءٍ لطيفةً غيبيّةً آلهيّةً هى مقوّمة لذلك الشّيء ، ومبقية ومشخّصة له، وهى فاعليّته تعالى وقضاءه وعلمه، وتلك اللّطيفة هى تحفظه وتربّيه وتبلّغه الى كماله الخاصّ به ان لم يعقه عائق، والى تلك اللّطيفة اشار من قال بالفارسيّة :

يكى ميل است با هرذرّه رقّاص	كشاند ذرّه را تامقصد خاص
دواند گلخنى را تا بگلخن	رساند گلشنى را تا بگلشن

واليها اشار الآخر بقوله :

گرزچاهى عكس ماهى وانمود	سر بچه در كردوآنرا مى ستود
درحقيقت مادح ماه است او	گرچه جهل اوبعكسش كرد رو
مدح او مه راست نى آن عكس را	كفرشد آن چون غلط شد ماجرا

وهذه اللّطيفة هى الّتى بها يتوجّه الاشياء الى غاياتها وكمالاتها الخاصّة بها، وبها يتوجّه الانسان الى الآخرة والى الله تعالى والى خلفائه (ع)، وبها يتوجّه الله الى الاشياء والى الانسان فتلك اللّطيفة بوجهٍ وجه الاشياء وبوجهٍ وجه الله، ولمّا كانت تلك اللّطيفة هى المسمّاة بالولاية التّكوينيّة المعبّر عنها بالحبل من الله وهى ما بها توجّه الاشياء تكويناً ، وللانسان توجّه آخر تكليفىٌّ وذلك التّوجّه التّكليفىّ لايكون الّا بالولاية التّكليفيّة المعبّر عنها بالحبل من النّاس لانّها لاتحصل الّا بتوسّط المظاهر البشريّة بالبيعة الخاصّة الولويّة و بها يدخل الايمان فى القلب و يحصل نسبة الابوّة و البنوّة بين المظاهر و بايعيهم صحّ تفسير الوجه فى الآية بالدّين اى الولاية التّكليفيّة او الحاصل بالولاية التّكليفيّة

و بالانبياء والاولياء (ع) و بكل مطيع لله و لرسوله (ص)، وقدفسّروجه الله فى اخبار كثيرة بالانبياء والائمة (ع) و بدين الله و بمن اطاع الله و رسوله (ص)، اذا عرفت هذا فاعلم ان الحدود والتّعيّنات اعتباريّات محضة لاوجود لها حقيقة وانّما الوجود والبقاء لتلك اللّطيفة، ولذلك قيل: الاعيان الثّابتة ماشمّت رائحة الوجود ابداً وانّما هى باقية على ما هى عليه من انّها ليست موجودة من ذواتها وانّما الوجود لتلك اللّطيفة بالذّات و لها بالعرض فهى اى الاشياء المتكثّرة الممتازة الّتى هى عين تلك الحدود هالكة اى غير موجودة من الابد الى الازل و تلك اللّطيفة موجودة من الابد الى الازل فالباقى من كل شيء هو تلك اللّطيفة، والهالك كل ماسواها من الحدود والاعتبارات [لَهُ الْحُكْمُ] لا لغيره لان غيره هالك [وَاِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] لا الى غيره والضّميران المجروران صحّ رجوعهما الى الوجه والى الله لان تلك اللّطيفة هى الحاكمة فى الاشياء وعلى الاشياء و اليها يرجع وجود كل شيء بعد ملاحظة فناء جميع حدوده.

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

مكّيّة كلّها، وقيل: مدنيّة كلّها، وقيل: مكّيّة الّا عشر آيات من اوّلها

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[الٓمٓ] قد مضى فى اوّل البقرة تفصيل تامّ لجملة فواتح السّور [اَحَسِبَ النّاسُ] استفهام انكارىّ توبيخىّ [اَنْ يُتْرَكُوا] قائم مقام المفعولين لحسب [اَنْ يَقُولُوا] لان يقولوا، او بان يقولوا، او فى ان يقولوا، اوهو بدل من ان يتركوا بدل الاشتمال [آمَنّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ] لا يبتلون ولا يمتحنون حتّى يظهر لطيفة ايمانهم و يخلص حقيقة ولايتهم وهذا لا يكون فلا ينبغى هذا الحسبان بل ينبغى لمن آمن بقبول الرّسالة او الولاية ان يوطّن نفسه على الامتحان كالمريض الّذى يسلّم بدنه الى الحجّام والفصّاد للشّرط وجرح الفصد، وهذا الامتحان قد يكون بالتّكاليف البدنيّة والماليّة، وقديكون بالمصائب فى الانفس والاموال، وقديكون باذى الخلق شتماً وضرباً واجلاءً وقتلاً [وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] ممّن ادّعى الايمان العامّ بالبيعة العامّة النّبويّة اوالايمان الخاصّ بالبيعة الخاصّة الولويّة والجملة حاليّة و اللّام لام القسم [فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ] الفاء سببيّة اى فتنّاهم بسبب انّه ينبغى ان يعلم الله [الَّذِينَ صَدَقُوا] والعلم ههنا بمعنى العرفان و متعدّ الى مفعول واحد، او المفعول الثّانى محذوف، والتّقدير ليعلمنّ الله الّذين صدقوا صادقين اومتميّزين من غيرهم [وَلَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ] و قرئ و ليعلمنّ المنافقين وقرئ فى كليهما بضمّ الياء وكسر اللّام من اعلم بمعنى جعله ذا علامة، اومن العلم بمعنى العرفان، اومن العلم المتعدّى الى المفعولين [اَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ اَنْ يَسْبِقُونا] الآية الاولى تسلية للمؤمنين وهذه تخويف للمسيئين [ساءَ ما يَحْكُمُونَ مَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ اللهِ] اى يرغب و يطلب او يخاف و يهرب فانّ الرّجاء قد يستعمل بمعنى الخوف فيكون تهديداً و ترغيباً [فَاِنَّ اَجَلَ اللهِ لَآتٍ] فليثبت الرّاغب على رغبته، وليزعج الخائف عمّا يخوّفه [وَهُوَ السَّمِيعُ] لاقوالكم القاليّة والحاليّة [الْعَلِيمُ] بجميع اعمالكم ونيّاتكم فليحذر المسيء وليرغب المحسن وهذه الجملة جواب لسؤال

مقدّر كأنّه قيل: هل يقع لقاء الله [وَمَنْ جاٰهَدَ فَاِنَّماٰ يُجاٰهِدُ لِنَفْسِهِ] جملة حاليّة اومعطوفة لاستدراك توهّم نشأ من ترغيبه تعالى فى العمل وتخويفه من المعصية فانّه يتوهّم منه انّ الله ينتفع بالطّاعة و يستضرّ بالمعصية [اِنَّ اللّٰهَ لَغَنِىٌّ عَنِ الْعاٰلَمينَ] لاينتفع بطاعتهم ولا يستضرّ بمعصيتهم [وَالَّذينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصّاٰلِحاٰتِ] عطف على من جاهد (الآية) نحو عطف التّفصيل على الاجمال و رفع لتوهّم نشأ من قوله: فانّما يجاهد لنفسه كأنّ متوهّماً توهّم انّ المجاهد ينتفع بمجاهدته من دون التفات من الله وفعل منه بالنّسبة اليه ولم يذكر المقابل لقوله: و من جاهد فانّما يجاهد لنفسه فانّ الموافق للمقابلة والمقصود ان يقال: ومن تقاعد فانّما يتقاعد على نفسه ولم يذكر المقابل ههنا ايضاً فانّ المنظور بحسب اقتضاء المقام ان يقول : والّذين كفروا وعملوا السّيّئات لنجزينّهم جهنّم لعدم الاعتناء بهم وبذكرهم ولانّ حكمهم يعلم بالمقايسة والمقابلة ولاكتفائه عن ذكرهم فى مقابل المؤمنين بقوله: ومن النّاس من يقول (الآية) و بقوله: وقال الّذين كفروا (الآية) كأنّه اجلّ شأن المؤمنين من ان يذكر المنافقين والكفّار فى مقابلهم ومقارنين لهم [لَنُكَفِّرَنَّ] اى لنزيلنّ [عَنْهُمْ سَيِّئاٰتِهِمْ] كلّها [وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ اَحْسَنَ الَّذى كاٰنُوا يَعْمَلُونَ] قد مضى تحقيق هذه الآية فى اواخر سورة التّوبة وفى غيرها [وَوَصَّيْنَا الْاِنْساٰنَ بِواٰلِدَيْهِ حُسْناً] قد مضى فى سورة البقرة و فى سورة النّساء بيان للوالدين وتعميم لهما وبيان للاحسان اليهما، ولمّا كان الاهتمام بتعظيم الوالدين ولاسيّما الرّوحانيّين بعد تعظيم الله و توحيده اكثر من سائر الطّاعات بل لايصدق الطّاعة على عمل لم يكن فيه تعظيم الوالدين الرّوحانيّين بعد تعظيم الله كرّر الله تعالى التّوصية باحسان الوالدين وقرنه بتوحيده ونهى الاشراك به فى كثير من مواضع الكتاب، ولمّا ذكر حال الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات ولم يكن يحصل الايمان الّا بالبيعة العامّة النّبويّة او البيعة الخاصّة الولويّة وبكلّ منهما يحصل الابوّة والبنوّة الرّوحانيّتان ولم يكن فى الاعمال الصّالحة عمل اصلح من الاحسان الى الوالدين الرّوحانيّين عطف عليه التّوصية باحسان الوالدين ، ولمّا كان الوالدان الجسمانيّان بعد الوالدين الرّوحانيّين اعظم حقّاً من كلّ ذى حقّ لم يكن فى الاعمال الصّالحة اصلح من الاحسان اليهما بعد الاحسان الى الوالدين الرّوحانيّين [وَاِنْ جاٰهَداٰكَ] اى الوالدان الرّوحانيّان على ماورد فى الخبر فيكون الضّمير راجعاً الى الوالدين الرّوحانيّين السّفليّين بطريق الاستخدام وهما الشّيطان والنّفس و اظلالهما ، او الوالدان الجسمانيّان [لِتُشْرِكَ بى ماٰ لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاٰ تُطِعْهُماٰ] وننذكر بعض الاخبار فى سورة لقمان فى ذيل هذه الآية ان شاء الله تعالى [اِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَاُنَبِّئُكُمْ بِماٰ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] فى موضع تعليل للسّابق [وَالَّذينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصّاٰلِحاٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى الصّاٰلِحينَ] كرّره اهتماماً بشأنهم [وَمِنَ النّاٰسِ] فى موضع والّذين قالوا آمنّا ولم تؤمن قلوبهم [مَنْ يَقُولُ اٰمَنّاٰ بِاللّٰهِ فَاِذاٰ اُوذِىَ فِى اللّٰهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النّاٰسِ كَعَذاٰبِ اللّٰهِ] يعنى اذا اوذى حال كونه فى طاعة الله، اواذا اوذى فى حقّ الله وفى الايمان به بان آذاه انسان او اصابه ضرّ فى بدنه وماله جعل فتنة النّاس مثل عذاب الله وانصرف عن طاعة الله والايمان به وهذا هو عين النّفاق [وَلَئِنْ جاٰءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ] بالفتح والغنيمة [لَيَقُولُنَّ اِنّاٰ كُنّاٰ مَعَكُمْ] كما هو ديدن طالبى الدّنيا كلّما وجدوا اضراراً بدنياهم انصرفوا و اذا ظنّوا انتفاعاً فى دنياهم اقبلوا [أ] ليس الله يعلم نيّاتهم ولا يعذّبهم عليها [وَلَيْسَ اللّٰهُ بِاَعْلَمَ بِماٰ فى صُدُورِ الْعاٰلَمينَ وَلَيَعْلَمَنَّ اللّٰهُ الَّذينَ اٰمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُناٰفِقينَ] ليظهر علمه بهم اوليميّزهم، كرّر هذا ايضاً اهتماماً بالتّرغيب والتّرهيب [وَقاٰلَ الَّذينَ كَفَرُوا] هذا فى موضع والّذين كفروا [لِلَّذينَ اٰمَنُوا

اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ] قيل: كان الكفّار يقولون للمؤمنين: كونوا معنا فانّ الّذى تخافون انتم منه ليس بشيء فان كان حقّاً نتحمّل نحن ذنوبكم فيعذّبهم الله عزّوجلّ مرّتين مرّة بذنوبهم ومرّة بذنوب غيرهم [وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ] اثقال ذنوبهم [وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ] من غير ان ينقص من اثقال المفترين شيء [وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] اى ليؤاخذنّ فانّ السّؤال كثيراً مايستعمل فى المؤاخذه والعقوبة [عَمَّا كَانُوا] عن كونهم اوعن الّذى كانوا اوعن شيء كانوا [يَفْتَرُونَ] من الشّركاء فى الوجوب اوفى العبادة اوفى الطّاعة اوفى الولاية اومن الاقوال والافعال الّتى يفترونها على الله [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ] لمّا ذكرحال المؤمنين والمنافقين والكافرين بنحوكلّىٍ اراد ان يبيّن حالهم بامثلة جزئيّة و بدأ بنوحٍ (ع) والمؤمنين به و الكافرين به لانّه اوّل نبيٍّ كان حكاية رسالته و انكار قومه وهلاكهم معروفة عندهم [فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا] عن الباقر(ع) انّه كان يدعوهم سرّاً وعلانيةً فلمّا ابوا وعتوا قال: ربّ انّى مغلوبٌ فانتصر [فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ] اى الّذين آمنوا معه، او دخلوا فى الفلك معه [وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ] اى جعلنا السّفينة من حيث صنعها من غير بحروماء ومن حيث انجائها و انجاء اهلها آيةً للعالمين بحيث بقى آثارها فى الافواه و الاخبار وانتشرت فى العالم [وَإِبْرَاهِيمَ] عطف على نوحاً او بتقدير اذكر اوذكّرهم [إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ] من تقليد الآباء و اخذ الدّين بالرّسم والعادة وعبادة الاصنام من غيرحجّة، وخيراماً خالٍ من معنى التّفضيل اوالاتيان بصيغة التّفضيل لاعتقادهم بانّ ذلك خير [إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ] من عندانفسكم من دون برهانٍ [إِفْكًا] اى كذباً فى ادّعاء انّها الهةٌ اومعبودات اوشفعاء وهذا ابتداء كلامٍ من الله اوهومن قول ابراهيم (ع) [إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا] فاذا كانوا لايملكون لكم رزقاً [فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ] لانّه هو الّذى يملك رزق كلّ مرزوقٍ، وهذا ايضاً يحتمل كونه من قول ابراهيم(ع) ومن قول الله تعالى [وَاعْبُدُوهُ] لاستحقاقه بمالكيّة الرّزق [وَاشْكُرُوا لَهُ] لانّه المالك للنّعم كلّها ومعطيها [إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] تعليل لسابقه [وَإِنْ تُكَذِّبُوا] يجوز فيه الوجهان ايضاً، و يجوز ان يكون هذا ابتداء كلام وخطاب من الله تعالى لامّة محمّد(ص) ومعترضة بين حكايات قول ابراهيم (ع) يعنى ان تكذّبوا فلاغروفيه فانّ هذا ديدن اسناخكم من القديم [فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ] اى تبليغ رسالته [الْمُبِينُ] وليس عليه حفظكم من التّكذيب وسائر المعاصى [أَوَلَمْ يَرَوْا] قرئ بالغيبة على تقدير القول اوعلى كونه ابتداء كلامٍ من الله معترض بين الحكاية، وقرئ بالخطاب على انّه من الحكاية وموافق لسابقه اوعلى انّه ابتداء كلام من الله معترض [كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ] يعنى كيف يبدأ الله الخلق من العناصر اومن عالم الارواح ثمّ يعيده الى العناصر اوثمّ يعيده اليه و رؤيتهم لذلك برؤية انّهم لم يكونوا فى اوّل خلقتهم على شيءٍ من صفات الاخرويّين و يتدرّجون فى صفات الكمال ويستكملون بصفات الرّوحانيّين، او المعنى على التّوبيخ يعنى ينبغى لهم ان يستكملوا نفوسهم حتّى يشاهدوا اعادة الله ايّاهم [إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ قُلْ] خطابٌ لابراهيم اوابتداء كلامٍ خطابٌ لمحمّد(ص) [سِيرُوا فِي الْأَرْضِ] ارض الطّبع،

او ارض القرآن والاخبار ، اوارض سيرالامم الماضية ، اوارض وجودكم حتّى تشاهدوا حال المكذّبين والمصدّقين، او تعلموا احالهم من مشاهدة آثارهم، او تشاهدوا ابداء الخلق واعادته [فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَءَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْاٰخِرَةَ] يعنى حتّى تعلموا انّ الله ينشئ النّشأة الآخرة فان شهوده الابداء يؤدّى الى العلم بالنّشأة الآخرة كما قال: لقد علمتم النّشأة الاولى فلولا تذكّرون [اِنَّ اللهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] فما لهم ينكرون الاعادة مع انّها مشهودة لهم [يُعَذِّبُ مَنْ يَشٰاءُ] حاليّة اومستأنفة جوابٌ لسؤال مقدّر [وَيَرْحَمُ مَنْ يَشٰاءُ وَاِلَيْهِ تُقْلَبُونَ وَمٰا اَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ] الله عن ادراككم وعذابكم [فِي الْاَرْضِ] حال لكونهم فى الارض اوهو ظرفٌ لمعجزين [وَلٰا فِي السَّمٰاءِ] لوكنتم فى السّماء اوهو كناية عن الآخرة [وَمٰا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلٰا نَصِيرٍ] لا فى الدّنيا ولافى الآخرة فما لكم تعبدون غيره وتتوسّلون بغيره وقدمضى مكرّراً بيان الولىّ والنّصير وانّ النّبىّ بنبوّته وخليفته بخلافة النّبوّة نصير، والولىّ بولايته وخليفته بخلافة الولاية ولىّ يتولّى اصلاح العبد وتربيته [وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاٰيٰاتِ اللهِ وَلِقٰائِهِ] من حيث انّها آيات من الآيات التّكوينيّة فى الآفاق والانفس و اعظمها الآيات العظمى من الانبياء والاولياء (ع) والآيات التّدوينيّة من الكتب السّماويّة واحكام النّبوّة والرّسالة ، وهذا ابتداء كلام من الله ان لم يكن سابقه من الله [اُولٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي] هذا مقابل لقوله : الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات (الآية) لكن مقابلته له فى اللّفظ وعطفه عليه بعيد بحسب اللّفظ ، وقوله: اولئك يئسوا من رحمتى دعاءٌ عليهم اواخبار بانّه ينبغى ان يئسوا ، اواخبار بانّهم يائسون بالفعل من رحمته [وَاُولٰئِكَ لَهُمْ عَذٰابٌ اَلِيمٌ فَمٰا كٰانَ جَوٰابَ قَوْمِهِ] قوم ابراهيم (ع) [اِلّٰا اَنْ قٰالُوا اقْتُلُوهُ اَوْحَرِّقُوهُ] كما سبق قصّته فأجمعوا ان يحرّقوه فجمعوا الحطب اكثر مايكون ثمّ اوقدوا النّار ثمّ اسقطوه فيها [فَأَنْجٰيهُ اللهُ مِنَ النّٰارِ] على ما سبق تفصيله [اِنَّ فِي ذٰلِكَ] الانجاء [لَاٰيٰاتٍ] دالّات على مبدءٍ عليمٍ حكيمٍ قادرٍ محيطٍ [لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] باحدى البيعتين اولقوم يذعنون بالله وملائكته وكتبه ورسله (ع) واليوم الآخر [وَقٰالَ] ابراهيم (ع) اوقال الله [اِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ اَوْثٰاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] قرئ مودة بينكم بالنّصب والاضافة و بالرّفع والاضافة و بالنّصب منوّنةً و بنصب بينكم يعنى انّ اتّخاذ الاوثان آلهةً ليس عن اعتقادٍ دينىّ وطلب شفيعٍ اخروىّ وخوف عقابٍ الٰهىّ بل محض المودّة الدّنيويّة وان يحبّكم اقرانكم ورؤساكم مثل اكثر المتزهّدين فى دين الاسلام يتجشّمون مرارة الزّهد وتعب منع النّفس عن لذائذها محض المراياة والصّيت وان يقولوا فى حقّه [ثُمَّ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ] بعض العابدين [بِبَعْضٍ] آخر منهم، او بعض العابدين والمعبودين ببعضٍ آخر منهم ، او يكفر العابدون بالمعبودين [وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً] او يكفر كلّ بعضٍ من العابدين و المعبودين بكلّ بعضٍ ويلعن كلّ بعضٍ كلّ بعضٍ فانّ العابدين لمّا كان عبادتهم للاصنام مودّة بينهم فى الحيوة الدّنيا ولم يكن فى عبادتهم جهةٌ الٰهيّةٌ بل كان عبادتهم لهاساترة للجهة الالٰهيّة ويظهر يوم القيامة انّ توادّهم وعبادتهم كانت مانعةً لهم عن موائدهم الاخرويّة ومؤدّية لهم الى العذاب الاليم كانت تورث بغض كلٍّ للآخر ولعن كلٍّ للآخر والمعبودون ينكرون عبادتهم لهم وينسبونهم الى الاهوية والجنّة ويلعنونهم لانّهم يلعنهم اللّاعنون [وَمَأْوٰيكُمُ النّٰارُ وَمٰا لَكُمْ مِنْ نٰاصِرِينَ] الاقتصار ههنا على النّاصر لانّ فى النّار ليس الّا النّصرة ان كانوا ينصرون وامّا الولاية فانّها بعد الخروج من النّار [فَاٰمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقٰالَ اِنِّي مُهٰاجِرٌ] من وطنى مع ابراهيم (ع) الى الشّام ومن موطن نفسى بايمانى على يد ابراهيم (ع) [اِلٰى

رَبّى] فى الولاية و هومقام القلب و العقل [اِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَوَهَبْنا لَهُ] بعد هجرته الى الشّام و مكثه بها مدّة طويلةً [اِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ] بعد اسحاق (ع) [وَجَعَلْنا فِى ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتابَ] اى الرّسالة اوجنس الكتاب السّماوىّ [وَآتَيْناهُ اَجْرَهُ فِى الدُّنْيا] بان صار عزيزاً فى الدّنيا و اعطيناه اموالاً كثيرة من اموال الدّنيا وجعلنا له لسان صدق فى الدّنيا بانّه ليس احداً الّا وهو يمدحه [وَاِنَّهُ فِى الْآخِرَةِ لَمِنَ الصّالِحِينَ] الّذين لم يبق عليهم شوب فساد [وَ] ارسلنا [لُوطاً اِذْ قالَ لِقَوْمِهِ اِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ اَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ اَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ] بتعرّضكم للمارّة لاجل الفاحشة فيمتنعون عن السّفر على بلادكم او تقطعون سبيل الولد اوتقطعون السّبيل بنهب اموال المارّة، وقيل: كانوا يرمون ابن السّبيل بالخزف فايّهم اصابه كان اولى به و يأخذون ماله و ينكحونه و يغرمونه ثلاثة دراهم وكان لهم قاض يقضى بذلك [وَتَأْتُونَ فِى نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ] عن الرّضا (ع): كانوا يتضارطون فى مجالسهم من غير حشمة ولاحياء، وقيل: المراد به جملة القبائح فانّه كان مجالسهم تشتمل على انواع القبائح مثل الشّتم والصّفع والقمار وضرب المخراق وحذف الاحجار على من مرّبهم وضرب المزامير وكشف العورات واللّواط، وقيل: انّهم كانوا يأتون الرّجال فى مجالسهم [فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ اِلّا اَنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللهِ] تهكّماً به [اِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ قالَ رَبِّ انْصُرْنِى عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ وَلَمّا جاءَتْ رُسُلُنا اِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى] بالولد بعد اليأس منه [قالُوا] لابراهيم (ع) بعد التّفصيل الّذى وقع بينهم كما سبق [اِنّا مُهْلِكُوا اَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ] قرية لوط [اِنَّ اَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ قالَ اِنَّ فِيها لُوطاً] بعد ما جادلهم فى عدم اهلاكهم و بعد ما قال لهم ان كان فيها واحد من المؤمنين اهلكتموهم؟ــ وقالوا له: لا، قال: انّ فيها لوطاً [قالُوا نَحْنُ اَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَاَهْلَهُ اِلَّا امْرَاَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ وَلَمّا اَنْ جاءَتْ] زاد ان ههنا لتأكيد لصوق الجزاء بالشّرط بخلاف حكاية الرّسل مع ابراهيم (ع) فانّ التّأكيد لم يكن هناك مطلوباً ولم يكن اخبارهم باهلاك قوم لوط الّا بعد مدّة من ورودهم عليه [رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ] ورد عليه المساءة بسبب مجيئهم لما كان يعلم من حال قومه وتفضيحهم للمارّة [وَضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً] كناية عن ضيق الخلق وعدم الطّاقة فانّ طويل اليد يسع من الاعمال ما لا يسعه قصيرها [وَقالُوا] بعد ما رأوا مساءته [لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ] ممّا تخاف وتحزن عليه [اِنّا مُنَجُّوكَ] من هذه القرية اومن العذاب الّذى جئنا له [وَاَهْلَكَ اِلَّا امْرَاَتَكَ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ] الاتيان بالماضى لتحقّق وقوعه [اِنّا مُنْزِلُونَ عَلى اَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ] عذاباً منها [بِما كانُوا يَفْسُقُونَ وَلَقَدْ تَرَكْنا مِنْها آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] هى منزل لوط بقى عبرة للسّيّارة اواثر تقليب القرى وخرابها [وَاِلى مَدْيَنَ اَخاهُمْ] فى المعاشرة والقبيلة [شُعَيْباً فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلا تَعْثَوْا فِى الْاَرْضِ مُفْسِدِينَ فَكَذَّبُوهُ فَاَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ] الزّلزلة الشّديدة فيها الصّيحة [فَاَصْبَحُوا فِى دارِهِمْ جاثِمِينَ وَعاداً وَثَمُودَ] اى اذكر، او ذكّرهما، او ارسلنا اليهما فحذف حرف الجرّ و نصبا [وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَساكِنِهِمْ] بعض مساكنهم عند المرور عليها او تبيّن لكم من مساكنهم ما فعلنا لهم [وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ اَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ] الّذى ينبغى ان يسلكه الانسان وهو سبيل الآخرة وسبيل

الولاية [وَ كانُوا مُسْتَبْصِرِينَ] قادرين على الابصار اوذوى بصراوذوى فطانة و بصيرة باطنيّة [وَقارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهامانَ] اى ذكّرهم اواذكر او ارسلنا اليهم [وَلَقَدْ جاءَهُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَما كانُوا سابِقِينَ] فائتين اومعجزين [فَكُلًّا أَخَذْنا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِبًا] الحاصب الرّيح الّتى تجمد التّراب اوالمرادمن الحاصب من يسقط الحصباء فان كان المراد به الرّيح كان المراد قوم هود فانّه تعالى اهلكهم بريح صرصر عاتية وان كان المراد به المعنى الثّانى كان المقصود قوم لوط [وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ] كـاهل مدين و قوم صالح [وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرْضَ] كقارون [وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا] كقوم نوح وفرعون وقومه [وَما كانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ] متعلّق باتّخذوا وحال من قوله تعالى: [أَوْلِياءَ] اى اتّخذوا اولياء حالكون الاولياء بعضاً من غير الله [كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ] ولمّا كانت الولاية تطلق على ولاية المعاشرة وهى المحابّة بين الخلق والمؤالفة و تطلق على قبول السّلطنة والحكومة الحاصل بالبيعة العامّة اوالخاصّة وكلٌّ منهما يعتمد الصّاحب فيه على الصّاحب الّذى تولّاه و يجعله ظهراً لنفسه وحصناً لوقت حاجته، كانت قد تُمثّل بالبيت وقد تمثّل بالحبل وقد تمثّل بالحصن، وقد يقال لها الظّهر والوليجة والمعتمد والاستن وغير ذلك واذا كانت الولاية بالبيعة الا لهيّة حصل من الوالى فى المولّى عليه صورة ملكوتيّة هى ما بها الاتّصال بين الوالى والمولّى عليه وهى حافظته من كلّ آفة وهى حصنه المانع من تصرّف الشّيطان نحو تصرّف يخرجه من تلك الولاية و بتلك الاعتبارات تسمّى بالحبل والبيت والحصن وغير ذلك ، واذا لم تكن ا لهيّة او لم تكن حاصلة بالبيعة كان اعتماد المولّى عليه على الوالى و اتّصاله به و تحفّظه من الآفات بولايته من محض تخيّل المولّى عليه لامن امرٍ حاصلٍ من الوالى فيه وماكان محض تخيّل المولّى عليه لم يكن له اثرفيه فى نفس الامر وكان كالعنكبوت الّتى تتّخذ من ريقها بيتاً ليحفظها عن الحرّ والبرد ومن سائر الآفات الواردة عليه من سائر الحشرات ومن الرّياح وغيرها والحال انّه لايحفظها من شيءٍ من ذلك [لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ] انّ تلك الولاية ليست الّا محض التّخيّل من غير امر حاصل منها فى نفس الامر لامتنعوا منها ، او لفظة لو للتّمنّى، او المعنى لوكانوا من اهل العلم لعلموا انّ كلّ ما يدعونه ليس غير الله وانّما هو بحسب مداركهم الجزئيّة يتراءى غير الله [إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ] ما نافية و ما تدعون منقطع عن سابقه او متّصل به و يعلم معلّق عن العمل فيه و هذا اوفق بالمعنى الاخير لقوله لو كانوا يعلمون يعنى انّ كلّما تدعونه و تتخيّلون انّه غير الله ليس غير الله بل الظّاهر فيه هو الله والباطن فيه ايضاً هو الله لكنّكم لتقيّدكم و تحدّدكم بالمدارك الجزئيّة الّتى لاتدرك الّا الكثرات المتغايرات المتحدّدات لاتدركون منها الواحد الاحد المقوّم لها وتدعونها من حيث انّها متغايراتٌ كلٌّ من الآخر والكلّ مع الله والله يعلم ذلك و يعلم انّ المقوّم للكلّ والظّاهر فيه والباطن فيه هو الله ، وانّ كلّ ما يدعونه كانوا فى تلك الدّعوة داعين لله لاغيره ، ولمّا كان العبادة بنيّة العابد والنّيّة لاتكون الّا بالعلم بالمنوىّ وهؤلاء لايعلمون ذلك حتّى ينووا عبادة الله فى تلك العبادة كانوا مؤاخذين فى تلك الدّعوة والعبادة لامأجورين وقد مضى فى سورة البقرة عند قوله تعالى ولـكنّ الله يفعل ما يريد ما يبيّن هذا المطلب و يحقّقه وقد قيل بالفارسيّة بياناً لهذا المطلب :

اگر مؤمن بدانستى كه بت چيست	يقين كردى كه دين در بت پرستيست
اگر كافر ز بت آگاه بودى	چرا در دين خود گمراه بودى

اولفظة ما موصولة والمعنى ظاهر، اومصدريّة و من شيءٍ بيان للمصدر والشّيء عبارة عن الدّعاء اليسيراوما

ستفهاميّة مفعول تدعون [وَهُوَ الْعَزِيزُ] الغالب الّذى لايغلبه شيءٌ حتّى يكون معبوداً من دونه [الْحَكِيمُ] الّذى صنع صنع المخلوقات بنحو لاتكون خالية منه و مع ذلك لايدركه الّا قليل من عباده فيها للطفه فى صنعه و هذا المعنى يناسب كون ما نافية [وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ] اى مثل العنكبوت ونظائره، اومثل العنكبوت وامثال الامم الماضية وانبيائهم (ع) [نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ] لتنبيههم وتذكيرهم [وَمَا يَعْقِلُهَا] اى ما يدركها من جهة المقصود منها والنّظر الى غاياتها [إِلَّا الْعَالِمُونَ] الّذين فتح الله عليهم باب العلم بولاية علىّ (ع) الحاصلة لهم بالبيعة الخاصّة الولويّة ، وامّا غيرهم فلايدركون من الامثال والاسمار والحكايات الّا ظواهرها الّتى هى مبعّدة لهم عن المقصود ومدركة بالخيال دون العقل، عن النّبىّ (ص) انّه تلاهذه الآية فقال : العالم الّذى عقل عن الله فعمل بطاعته و اجتنب سخطه [خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ] قد مضى مكرّراً هذه الآية [إِنَّ فِي ذَٰلِكَ] اى فى خلق السّماوات والارض بحيث يتمّ بخلقهما امر المواليد و استمرار الفيض من الواهب الفيّاض بحيث لولاهما لما استتمّ امر المواليد ولما استمرّ الفيض ولما وجد غاية الايجاد وهو الانسان اوفى خلق السّماوات والارض متلبّسات بالغايات الحقّة او بالتّنضيدات الحقّة الّتى لا شوب باطل فيها [لَآيَةً] عظيمة اوالمراد بها الجنس اى آياتٌ عديدة [لِلْمُؤْمِنِينَ] بالبيعة العامّة اوالخاصّة اوللمذعنين بالله والآخرة [اتْلُ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كما انّ قوله تعالى خلق الله السّماوات (الآية) كان جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل : هل لتعقّل الامثال آية ومنبّه ؟ ـ فقال جواباً: خلق الله السّماوات و الارض بالحقّ و فى خلقهما آيات عديدة منبّهة على تعقّل الامثال كما انّ فيها آيات عديدة دالّة على مبدء عليم حكيم قدير مريد رحيم رؤفٍ وكأنّه قيل بعد ذلك: هل لنا منبّه على تذكر الآيات المودعة فى خلق السّماوات والارض ؟ـ فقال تعالى : اتل خطاباً لمحمّد (ص) على: ايّاك اعنى و اسمعى ياجارة اوخطاباً عامّاً [مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ] بتوسّط جبرئيل اوما اوحى اليك بسبب محمّد (ص) [مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ] حتّى تستعدّ لتذكّر الآيات و تمتّع من الملاهى الّتى تحجبك عن تذكّر الآيات [إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ] قد مضى فى اوّل البقرة وفى سورة النّساء عند قوله لا تقربوا الصّلوة وانتم سكارى تفصيل لمعانى الصّلوة ومراتبها واقامتها، ولمّا كانت الصّلوة القالبيّة بالمواضعة الآلهيّة مانعة من الاشتغال بغيرها ولو كان مباحاً كانت ناهية عن الفحشاء والمنكر القالبىّ بالمواضعة ، والصّلوة القلبيّة المأخوذة من صاحب اجازة الآلهيّة تكون مانعة عن الفحشاء والمنكر فى مرتبة القلب ، وكذلك الصّلوة الصّدريّة الّتى هى السّكينة القلبيّة المسمّاة بالفكر والحضور عندهم وهى ملكوت ولىّ الامر واوّل مقام معرفة علىّ (ع) بالنّورانيّة تنهى حالاً او باللّسان عن جملة الفحشاء والمنكر ،وصلوة المصلّى الّذى هو مستغرق فى شهود جمال الوحدة ناهية له عن الالتفات الى غير الله وهذا الالتفات هو منكره فى ذلك المقام، والصّلوة الّتى هى عبارة عن الرّسول (ص) اوالامام (ع) تنهى عن الفحشاء والمنكر اللّذين هما مقابلان لهما من اصناف البشر وقد فسّر الصّلوة بكلٍّ وفسّر الفحشاء والمنكر باعداء الرّسول (ص) والامام (ع) ، نقل: انّها ما لم تنه الصّلوة عن الفحشاء والمنكر لم تزدد من الله عزّوجلّ الّا بُعداً ، و روى انّ فتى من الانصار كان يصلّى الصّلوات مع رسول الله (ص) و يرتكب الفواحش،فوصف ذلك لرسول الله (ص) فقال : انّ صلوته تنهاه يوماً، فلم يلبث ان تاب، وعلى هذا كان معنى الآية انّ الصّلوة تنهى فى المستقبل صاحبها عن الفحشاء والمنكر [وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ] ان اريد بالصّلوة الصّلوة القالبيّة كان المراد بذكر الله ذكر الله للعبد ، او الذّكر القلبىّ، اوالذّكر الّذى هو الفكر، اوذكر اوامره ونواهيه عند كلّ فعال الّذى يحمل العبد على الامتثال والانتهاء، وان كان المراد الصّلوة القلبيّة كان المراد بذكر الله ذكر الله للعبد اوواحد ممّا ذكر بعد الذّكر القلبىّ وهكذا الحال فى سائر مراتب الصّلوة، وان كان المراد بالصّلوة الرّسول (ص)

اوالامام(ع) كان المراد بذكرالله ذكرالله للعبد اومقام نورانيّتهما فانّه ذكرالله حقيقة [وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مٰا تَصْنَعُونَ]

[الجزء الحادى و العشرون]

فيعلم صلوتكم وذكركم لله و يجازيكم على حسبهما على انّهما ينبّهانكم على تذكّر الآيات والجملة حاليّة [وَلاٰ تُجٰادِلُوا اَهْلَ الْكِتٰابِ اِلّاٰ بِالَّتى] بالمجادلة الّتى [هِيَ اَحْسَنُ] من المجادلات او بالطّريقة الّتى هى احسن، او بالكلمة الّتى هى احسن والجدل والجدال بمعنى القتل فانّ المجادل يريد ان يقتل المجادل له الى مذهبه وذلك يتصوّر بالسّيف والضّرب والحبس والمكالمة بالشّتم والخشونة وابطال الحقّ واثبات الباطل و لكنّه خصّ فى العرف بصرف الخصم عن مذهبه بالمباحثة والمكالمة العلميّة، والمراد باهل الكتاب كلّ من آمن بنبىٍّ وكلّ من انتحل ملّة الهيّة فيشمل اهل ملّة الاسلام ومنتحليها كما يشمل الزّردشتيّين والمهاباديّين، اوالمراد المعروفون بهذا الاسم وهم اليهود والنّصارى لكن يشمل الحكم اهل الاسلام بطريق التّعريض او بطريق القياس الاولوىّ ، ولمّا كان اهل الملّة الآلهيّة ومنتحلوها بواسطة نسبتهم الى نبىٍّ اوانتحالهم النّسبة اليه ذوى حرمة فى الجملة خصّهم بالذّكر من بين اقسام الكفّار اشعاراً بانّ المشركين لاحرمة لهم ولامداراة معهم ، والمجادلة الحسنة ان لايظهر باطلاً ولا يبطل باطلاً بباطل ولا يقول ما يُغيظ المجادل ولايعنته ولايزجره ، ولايقول مالايتحمّله ، و ينصف فى حقٍّ اظهره خصمه ولا يردّه ولايتكلّم بما يخجله ، ولايكون همّه الغلبة عليه بل يكون همّته اصلاحه ولوكان ذلك بان يجعل نفسه مغلوبة ان رأى صلاحه ولينه فى ذلك [اِلَّا الَّذينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ] فى المجادلة اوظلموكم بالمقاتلة اوظلموا انفسهم باللّجاج وعدم الاستماع الى حقّكم وهذا ترخيص فى المجادلة بغير الاحسن مع الظّالمين منهم مثل قوله : لا يحبّ الله الجهر بالسّوء من القول الّا من ظلم لكن لاينبغى الخروج من حقٍّ اوالدّخول فى باطل [وَقُولُوا اٰمَنّٰا بِالَّذى اُنْزِلَ اِلَيْنٰا وَاُنْزِلَ اِلَيْكُمْ] بالاقرار بحقّيّة كتابهم و دينهم حتّى تكسر سورة لجاجهم [وَاِلٰهُنٰا وَاِلٰهُكُمْ وٰاحِدٌ] باظهار الاتّحاد معهم فى المبدء و المعبود حتّى يدلّ ذلك على انّكم متّحدون معهم غير مغايرين لهم فيرغّبهم ذلك فى مخالطتكم وموادّتهم لكم [وَنَحْنُ لَهُ] اى لا آلهكم الّذى هوا آلهنا [مُسْلِمُونَ] لالغيره حتّى تعادونا بذلك وقد سبق فى سورة النّحل عند قوله: و جادلهم بالّتى هى احسن شطرٌ من بيان الآية [وَكَذٰلِكَ] اى مثل انزال الكتاب اليهم ، اومثل انزال الامر بالمجادلة بالّتى هى احسن، اومثل انزال الامر بان تقولوا آمنّا بالّذى انزل اليكم (الى آخر الآية) [اَنْزَلْنٰا اِلَيْكَ الْكِتٰابَ] اى كتاب النّبوّة اوالقرآن [فَالَّذينَ اٰتَيْنٰاهُمُ الْكِتٰابَ] اى القرآن وهم آل محمّدٍ (ص) اوفالّذين آتيناهم احكام النّبوّة بقبول الرّسالة بالبيعة العامّة او بقبول الولاية بالبيعة الخاصّة، اوفالّذين آتيناهم الكتاب اى الانتعاش اوالاستعداد لامور الآخرة تكويناً [يُؤْمِنُونَ بِهِ] اى يذعنون او يؤمنون بالبيعة العامّة اوالخاصّة بالقرآن او بمحمّدٍ (ص) او بكتاب النّبوّة او بعلىٍّ (ع) فانّه المنظور من كلّ منظورٍ [وَمِنْ هٰؤُلاٰءِ] يعنى من اهل الكتاب وهم اليهود والنّصارى اومن هؤلاء المشركين اومن هؤلاء الّذين آتيناهم القرآن وآمنوا به بالبيعة [مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ] اى يؤمن باحدى البيعتين او يذعن قلباً بمحمّدٍ (ص) او بالقرآن او باحكام النّبوّة او بعلىٍّ (ع) [وَمٰا يَجْحَدُ بِاٰيٰاتِنٰا] الّتى اعظمها علىٌّ (ع) [اِلَّا الْكٰافِرُونَ] وهذا تعريض بمنافقى الامّة الّذين جحدوا علياً (ع) [وَمٰا كُنْتَ تَتْلُو] جملة حاليّة اومعطوفة وردٌّ لمن زعم اوقال انّه اخذه من غيره اوالتقطه

من كتب السّابقين [مِنْ قَبْلِهِ] اى من قبل القرآن [مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ] اى القرآن او الكتاب المطلق [بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ] يعنى لكان ارتيابهم فى موقعه والّا فهم كانوا مرتابين ومن اعظم آيات صدقه فى دعواه انّه (ص) كان يتيماً فقيراً راعياً لم يختلف الى معلّم ولم يختلط مع عالم ولم يتعلّم الخطّ ولم يكن فى كُتّاب وقد جاء بكتاب وشريعة قد حار فى درك دقائقهما الحكماء، وعجز عن استقصاء العلوم المندرجة فيهما العلماء، واستحصر عن بلوغ لطائفهما العرفاء، واعترف ببراعة كتابه فى البلاغة البلغاء، وعن مولانا ومقتدانا علىّ بن موسى الرّضا (ع): ومن آياته انّه كان يتيماً فقيراً راعياً اجيراً لم يتعلّم كتاباً ولم يختلف الى معلّم ثمّ جاء بالقرآن الّذى فيه قصص الانبياء (ع) واخبارهم حرفاً بحرفٍ، واخبار من مضى ومن بقى الى يوم القيامة [بَلْ هُوَ] اى كتاب النّبوّة او كتاب الولاية والقرآن صورتهما وهو اضراب عن قوله تعالى: فالّذين آتيناهم الكتاب (الآية) فانّه لا يدلّ على ازيد من الايمان التّقليدىّ وهذا يدلّ على الايمان التّحقيقىّ بالكتاب بل على التّحقّق بالكتاب على طريقة اتّحاد العاقل و المعقول يعنى هو بنفسه [آيَاتٌ] دالّات على المبدء وصفاته وعلى الرّسالة و احكامها وصدق الآتى . او المراد انّ صاحب الرّسالة وصاحب الولاية بولايتهما ونورانيّتهما آيات [بَيِّنَاتٌ] واضحات اوموضحات [فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ] لم يقل فى صدور الّذين كسبوا العلم اشعاراً بانّ العلم نور يقذفه الله فى قلب من يشاء وليس يحصل بكسبٍ، نعم الكسب يُعدّ الرّجل لقذف هذا العلم ، واتى بالفعل مبنيّاً للمفعول للاشارة الى انّ الفاعل لا يحتمل ان يكون غير الله تعالى والمراد بمن او توا العلم هم الاوصياء (ع) كما فى اخبارٍ كثيرةٍ عنهم (ع) [وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ] كرّر هذا للاهتمام بالتّعريض بالامّة واشعاراً بانّ الجاحد كما انّه كافر ظالم ايضاً [وَقَالُوا] عطف بلحاظ المعنى كأنّه قال جحد الظّالمون الآيات وقالوا [لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ] لهم بالتّنزّل عن مقامك الولوىّ و باظهار العجز بحسب مقامك البشرىّ [إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ] و ليس شيء منها عندى حتّى آتى بمقترحكم [وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ] ظاهر اومظهر لانذارى وصحّته وقد مضى انّ الرّسول (ص) لابدّ وان يكون ذاشأنين؛ شأن الانذار برسالته وشأن التّبشير بولايته لكنّه لمّا كان شأن الرّسالة فيه غالباً كان قد يتكلّم بشأن الرّسالة و يحصر شؤنه فيه كما انّه حصر جملة شؤنه ههنا فى الانذار الّذى هو شأن الرّسالة لا الولاية [أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ] انّك كنت يتيماً غير مختلفٍ الى احدٍ ولم تتعلّم من احدٍ ولم يكفهم فى الدّلالة على صدقك حتّى يقترحوا آية اخرى [إِنَّا] لا غيرنا [أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ] احكام الرّسالة او صورة القرآن مع انّك كنت امّيّاً وكتابك كان مشتملاً على دقائق الحكم بحيث يعجز عن ادراكها العقلاء و الحكماء حال كونهم [يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ] وليس مخفيّاً عليهم [إِنَّ فِي ذَٰلِكَ] الانزال اوفى ذلك الكتاب او فى ذلك المذكور من استمرار تلاوة الكتاب [لَرَحْمَةً] من حيث دلالته على صدق رسالتك [وَذِكْرَىٰ] لحقّيّتك اى دلالة حقّيّتك [لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] باحدى البيعتين او لقوم يذعنون بالله و ملائكته وكتبه و رسله واليوم الآخر، و الّلام لتبيين مفعول الرّحمة والذّكرى يعنى غير المؤمنين لكونهم غير متوجّهين الى الآخرة وغير مهتمّين بالله و بمن يدعو الى الله لا يتأمّلون فيه ولا يتفكّرون فى دلالته فيستمعونه استماع الاسمار فلا ينتفعون به ولا يتذكّرون، روى انّ اناساً من المسلمين اتوا رسول الله (ص) بكتف كتب فيها بعض مايقوله اليهود فقال: كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عمّا جاء به نبيّهم الى ماجاء به غير نبيّهم فنزلت الآية [قُلْ] لهم بعد مالا ينفع فيهم هذه الآيات اظهاراً لاعراضك عنهم والتجائك الى ربّك حتّى يكسر سورة لجاجهم فانّ الاصرار على الدّعوة مع اللّجوج يزيد فى لجاجته [كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا] فان كنت كاذباً يعلم كذبى

و يعذّبني عليه، وان كنتم انتم كاذبين يعلمه و يعذّبكم عليه [يَعْلَمُ ما فِي السَّمٰواتِ وَالْاَرْضِ] فاحذروا من العناد معه ومع رسوله [وَالَّذينَ آمَنُوا بِالْباطِلِ وَكَفَرُوا بِاللّٰهِ اُولٰئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ] جملة حاليّة اومعطوفة و بمنزلة النّتيجة [وَيَسْتَعْجِلونَكَ بِالْعَذابِ] بمثل ما قالوا عند توعيدك بالعذاب فائتنا بما تعدنا او بقولهم ان كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السّماء [وَلَوْلا اَجَلٌ مُسَمًّى لَجاءَهُمُ الْعَذابُ] يعني عدم اتيان العذاب ليس لما قالوا من انّه ليس ما قلت حقّاً ولا لكرامتهم علينا بل لانّ لكلّ امر وقتاً لا يتجاوزه [وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ] في الدّنيا و في حال بقائهم مثل اتيان العذاب ببدرٍ وغيرها ومثل البلايا في الاموال والانفس او في حال احتضارهم على ايدي الملائكة او في الآخرة في البرازخ اوفي القيامة [بَغْتَةً] من غير تقدّم امارةٍ له اومن غير استشعارٍ منهم بامارته لانهماكهم في الملاهي [وَهُمْ لايَشْعُرُونَ] بمجيئه حين اتيانه ، او لا يشعرون في الحال بانّه يأتيهم بعدُ والّا لماسألوه [يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ كرّرهذا القول للاشعار بانّ الاوّل كان بحسب عذاب الدّنيا والثّاني بحسب عذاب الآخرة ، او لانّ الاوّل كان مقدّمة للتّهديد باتيان العذاب والثّاني للتّهديد باحاطته بهم في الحال ولكنّهم لا يشعرون به ، او المنظور من التّكرير المبالغة في تسفيههم بالتّجرّي على ماينبغي التّحرّز عنه ولوكان محتملاً غيرمتيقّن [وَاِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحيطَةٌ بِالْكافِرينَ] وضع المظهر موضع المضمر اشعاراً بعلّة الحكم و اظهاراً لكفرهم بنفاقهم يعني انّهم كافرون وكلّ كافرٍ واقع في وسط جهنّم ومعذّب بانواع عذابها وان كان لايشعر به فهم في استعجالهم في العذاب واقعون في العذاب .

اعلم، انّ النّفس الانسانيّة بمقتضياتها الحيوانيّة انموذج الجحيم ولهباتها و انواع عذابها فان كان الانسان الواقع في مقام النّفس وهوالّذي يكون في الغيب من الله ومن الآخرة منقطعاً عن الولاية ومستوراً منه الوجهة الولويّة كان واقعاً في جهنّم وواقفاً عليها ومحاطاً بها، وان لم يكن منقطعاً عن الولاية بان كان مؤمناً بها كانت عليه برداً وسلاماً ولم يحسّ بها او احسّ بها و بآلامها لكن تكون تطهيراً له عن شوائبه الغريبة ، وكون النّفس الانسانيّة انموذج الجحيم ووجوب عبور الانسان عليها وعنها احد وجوه قوله تعالى: ان منكم الّا واردها وهي الجسر الممدود على متن جهنّم وقد مضى في سورة التّوبة بيان اجماليّ في نظير هذه الآية لاحاطة جهنّم بالكافرين [يَوْمَ يَغْشٰيهُمُ الْعَذابُ] مفعول للكافرين اوظرف لمحيطة اوظرف لفعل محذوف وهواذكر اوذكّرهم [مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ اَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ] قرئ بالغيبة و بالتّكلّم [ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يا عِبادِيَ الَّذينَ آمَنُوا] بالبيعة على يد محمّد(ص) البيعة العامّة اوعلى يد عليّ(ع) البيعة الخاصّة [اِنَّ اَرْضي واسِعَةٌ] فاذا لم يتيسّر لكم عبادتي في ارضٍ فاخرجوا منها الى ارض يمكن لكم توحيد عبادتي [فَاِيّايَ] دون غيري [فَاعْبُدُونِ] عن الصّادق (ع) : اذا عُصِي الله في ارضٍ انت بها فاخرج منها الى غيرها [كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ] في مقام التّعليل [ثُمَّ اِلَيْنا تُرْجَعُونَ وَالَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهارُ خالِدينَ فيها نِعْمَ اَجْرُ الْعامِلينَ الَّذينَ صَبَرُوا وَعَلٰى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ] قد مضى بيان الصّبر والتّوكّل مشروحاً وكذلك بيان جريان الانهار من تحت الجنّات [وَكَاَيِّنْ مِنْ دابَّةٍ] لاتحصى نوعاً وفرداً [لاتَحْمِلُ] الخطاب عامّ اوخاصّ بمحمّدٍ(ص) او بمن يزعم ان لامدخليّة في الامور لشيءٍ سوى الاسباب الطّبيعيّة كالطّبيعيّة اعتقاداً اوحالاً كاكثر النّاس [رِزْقَهَا اللّٰهُ يَرْزُقُها وَاِيّاكُمْ] فانّ الانسان في بادي النّظر يظنّ انّ الرّزق منوط بالاسباب الطّبيعيّة لكن دقيق النّظر يحكم

بان لامدخلية لشيء من الاسباب الطبيعية فى ارتزاق الانسان وليس الارتزاق الا بالاسباب الآلهية و ان الاسباب الطبيعية حجب على الاسباب الآلهية و نعم ماقيل:

ای گرفتار سبب بیرون مپر لیک عزل آن مسبب ظن مبر
هرچه خواهد آن مسبّب آورد قدرت مطلق سببها بر درد
این سببها برنظرها پرده هاست که نه هر دیدار صنعش راسزاست
دیدهٔ باید سبب سوراخ کن تا حجب را بر کند از بیخ وبن
تا مسبّب بیند اندر لامکان هرزه بیند جهدو اسباب دکان

[وَهُوَ السَّمِيعُ] لاقوالكم القالية والحالية والاستعدادية التى لاشعور لكم بها [الْعَلِيمُ] بمقدار الاستعداد وقدر الاستحقاق وعمدة اسباب الرزق هى السماوات والارض والشمس والقمر [وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ] اى المتقيدين بالاسباب الغافلين عن مسبب الاسباب [مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ] اللاتى بها توليد المواليد و ارتزاق المرتزقين [لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ فَأَنّٰى يُؤْفَكُونَ] منه الى الاسباب ولايكتفون به من الاسباب [اَللّٰهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ] اى لمن يبسط اولغيره ممن يشاء فان من فيمن يشاء مطلق يجوز ارجاع الضمير اليه من غير اعتبار التقيد ببسط الرزق والجملة حالية اومستأنفة و تعليل لانكار الصرف عنه فى طلب الرزق، اوتعليل لجملة الله يرزقهاوايا كم [اِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] فيعلم مايصلح عباده من بسط الرزق وقبضه [وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً فَأَحْيٰا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهٰا] لما كان الاسباب القريبة للرزق بعد السماوات والارض والشمس والقمر هوامطار الامطار واحياء الارض بانبات النبات اتى به بعد السؤال عن السماوات والارض وتسخير الشمس والقمر [لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ قُلِ] بعداقرارهم بذلك [الْحَمْدُ لِلّٰهِ] شكراً لانعامه عليك بتبصيرك ذلك ، اوقل لهم بعدذلك: جميع الصفات التى يحمد عليها لله فان جميع الخيرات المنتشرة المحسوسة التى لايتجاوز مداركهم عنها محصورة فى خلق السماوات والارض والشمس والقمر وامطار الامطار وانبات النبات فهؤلاء لا يجحدون الله وتسبيبه لاسباب الرزق [بَلْ أَكْثَرُهُمْ لٰايَعْقِلُونَ] فيتوسلون بالاسباب و ينصرفون عن مسببها لعدم تعقلهم لالانكارهم [وَمٰا هٰذِهِ الْحَيٰوةُ الدُّنْيٰا اِلّٰا لَهْوٌ وَلَعِبٌ] الجملة حالية اومعطوفة باعتبار المعنى كأنه قال: انه هيأ اسباب الحيوة الدنيا الدانية التى حيوة جميع احيائها مشوبة بالممات ، ووجودها مشوب بالاعدام ، وجدها لهو او لعب ولم يتركها بدون تهية اسباب الوجود و البقاء و التعيش باعتراف المقر والمنكر فكيف بالحيوة الآخرة التى حيوة جميع اجزائها عين ذواتهم، ووجودها خالص من شوب النقص ولذاتها مبرأة من شوب الالم فان الحيوة الدنيا حيوة بالعرض [وَاِنَّ الدّٰارَ الْآخِرَةَ] بجميع اجزائها [لَهِيَ الْحَيَوٰانُ] محصوراً فيها الحيوة او المعنى انهم مهتمون بامر الحيوة الدنيا التى يرون انها كلعب الاطفال غير باقية وغيرمترتب عليها فائدة وان الدار الآخرة لهى الحيوان [لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ] لامتنعوا من الاهتمام بامر الحيوة الدنيا ولكانوا مهتمين بامر الحيوة الآخرة اولفظ لو للتمنى وقد مضى الفرق بين اللهو و اللعب وان الاول ما لايكون له غاية لاعقلانية ولاخيالية ، والثانى ما لايكون له غاية عقلانية و يكون له غاية خيالية و ان كان الاول ايضاً لا يخلوعن غاية خفية [فَاِذٰا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ] عطف باعتبار المعنى كأنه قال اذا كانوا فى البر مطمئنين كانوا غافلين عن الله و الآخرة مهتمين بامر الحيوة الدنيا فاذا ركبوا فى الفلك وخافوا على الحيوة الدنيا [دَعَوُا اللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ] اى الطريق اليه لا الملة اوالاسلام اوالايمان فان الآية عامة لذوى الملل الآلهية

وغيرهم [فَلَمّٰا نَجّٰيهُمْ اِلَى الْبَرِّ اِذٰا هُمْ يُشْرِكُونَ] باللّه او بالآخرة او بالدّين او يصيرون مشركين [لِيَكْفُرُوا] هذا من قبيل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّاً وحزناً اى صار غاية اشراكهم الكفران [بِمٰا آتَيْنٰاهُمْ] من نعمة الانجاء اومطلق النّعم [وَلِيَتَمَتَّعُوا] فى حيوتهم الدّائرة فانّ من كان متذكّراً لأنعم اللّه و انعامه لايتيسّر له التّمتّع بمستلذّات الحيوانيّة [فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ] عقوبة الاشراك و وبال التّمتّع فى الحيوة الحيوانيّة اوسوف يعلمون انّ ذلك كان خطاءً و وبالاً [أ] يكفر اهل مكّة بنعمه و يشركون به [وَلَمْ يَرَوْا اَنّٰا جَعَلْنٰا حَرَماً آمِناً] اى لهم فانّ الحرم قديماً و حديثاً كان بالمواضعة آمناً اهله من الصّدمات الواردة على سائر البلاد وسائر العرب وكان آمناً بمشيّة اللّه من تعرّض المتعرّضين له مثل تعرّض ملك اليمن لخرابه [وَيُتَخَطَّفُ النّٰاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ] بالقتل والاسر [أَ] اهواءهم يتّبعون [فَبِالْبٰاطِلِ] الّذى هواهواءهم اوّلاً، والشّياطين ثانياً، والاصنام والكواكب اوشركاء الولاية ثالثاً [يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللّٰهِ] الّتى هى جعل الحرم آمناً لهم اوجملة نعم اللّه اوالولاية الّتى هى اصل كلّ النّعم [يَكْفُرُونَ وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِباً] مفعول به لافترى اذا كان على التّجريد، اومفعول مطلق من غير لفظ الفعل وهذه العبارة تستعمل فى اظلميّة المفترى وان كانت بمفهومها اللّغوىّ اعمّ منه، والافتراء على اللّه اعمّ من ان يجعل مالم يأذن به شريكاً له او يفتى او يقضى بين النّاس او يؤمّ النّاس به او يترأّس من غير اذن واجازة من اللّه وخلفائه، فانّ الاجازة من اللّه اوخلفائه تجعل وجود المجاز كالانفحة الّتى تورث فى كلّ لبن وصل اليها كيفيّة بها تنعقد و تصير جبناً و بدون الاجازة لايؤثّر ملاقاة العالم ولا قوله ولاالبيعة معه بل يكون العالم اضرّ على ضعفاء العقول من جيش يزيد لعنه اللّه على اصحاب الحسين (ع) لانّ ملاقاة العالم حينئذٍ والبيعة معه يبطل استعداد الملاقى فى الاغلب، ومن هذا يعلم حال من يقول: لاحاجة لى الى الاجازة بل النّاس محتاجون الى اجازتى [اَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ] اى الامر الثّابت اوالولاية فانّها الحقّ حقيقة وسائر الاشياء حقّيّتها لاتكون الّا بها [لَمّٰا جٰاءَهُ] من نبىّ وقته (ع) بنصبه وتعيينه لولىّ الامر [اَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكٰافِرِينَ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ما حال المفترى والمكذّب و اين يكون مقامه ؟- فقال: حاله انّه كافر فانّه ما لم يستر الحقّ و وجهه لايمكنه الافتراء والتّكذيب، وكلّ كافر مثواه جهنّم، لكنّه ادّاه بهذه العبارة تأكيداً له واشعاراً بانّ كفر مثله لاحاجة له الى البيان [وَالَّذِينَ جٰاهَدُوا] عطف على قوله: و من اظلم فانّه فى معنى لا اظلم ممّن ترك المجاهدة فينا واستبدّ برأيه و توسّل بانانيّته وقوى انانيّته بالافتراء علينا والتّكذيب للحقّ، والّذين جاهدوا بالقتال الظّاهر او بالقتال الباطن، او اتعبوا انفسهم او بالغوا فى الجهد و التّعب [فِينٰا] اى فى طلبنا او فى محبّتنا او فى طريقنا الّتى هداهم خلفاؤنا اليها اوفى تعظيمنا اوفى التّوسّل بنا بالتّوسّل الى خلفائنا [لَنَهْدِيَنَّهُمْ] اى لنسلكنّهم اولنوصلنّهم اولنرينّهم [سُبُلَنٰا] المعوجّة والمستقيمة جميعاً [وَاِنَّ اللّٰهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر للاشارة الى قياسٍ اقترانىٍّ يعنى من هدبناه سبلنا جميعاً صار محسناً اومن جاهد فينا كان محسناً، وكلّ من كان محسناً كان اللّه معه لانّ اللّه مع المحسنين، اوالمراد بالمجاهدين من كان فى الطّريق وفى السّفر الاوّل والثّانى، والمراد بالمحسن من سار فى الخلق بالحقّ ومن سار فى السّفر الرّابع فانّه المحسن على الاطلاق كما مضى فى سورة المائدة عند قوله تعالى ثمّ اتّقوا واحسنوا والمعنى الّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا، والّذين وصلوا الينا ثمّ عادوا الى الخلق كان اللّه الّذى هو غيب عن المجاهدين حاضراً معهم، و وجه الالتفاتات فى تلك الآيات موكول الى ذوق النّاظر، واللّه موفّق للرّشاد.

سورة الرّوم

مكيّة كلّها ؛وقيل : سوى قوله : فسبحان الله حين تمسون (الاية) وهى ستّون آيةً

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[الٓمٓ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ] اى ادنى ارضهم من ارض فارس اوارض العرب [وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ] قرئ الفعلان مبنيّين للمفعول، وقرئ الاوّل مبنيّاً للمفعول والثّانى مبنيّاً للفاعل وهى القراءة المشهورة، وقرئ بالعكس، قيل: انّ الفرس غزت الرّوم فوافوهم باذرعات وقيل: بالجزيرة فغلبوا عليهم و بلغ الخبر مكّة ففرح المشركون و شمتوا بالمسلمين و قالوا : انتم و النّصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميّون ، وقد ظهر اخواننا على اخوانكم و ليظهرنّ عليكم ،فنزلت ، وفى خبرٍ: انّ رسول الله (ص) بعد ماهاجر الى المدينة واظهر رسالته كتب كتاباً الى ملك الرّوم وكتاباً الى ملك فارس فعظّم ملك الرّوم كتاب الرّسول (ص) وعظّم رسوله، واهان ملك فارس كتابه (ص) واهان برسوله ، وكان بين الرّوم والفرس مقاتلة فغلبت الفرس الرّوم فساء ذلك المسلمين لماكانوا احبّوا ملك الرّوم وابغضوا ملك الفرس، فنزلت الآية : الم غلبت الرّوم يعنى غلبتها فارس فى ادنى الارض وهى الشّامات وماحولها وهم يعنى فارس من بعد غلبهم الرّوم سيغلبون يعنى يغلبهم المسلمون [فِي بِضْعِ سِنِينَ] وهى ما بين الثّلاث الى العشر فلمّا غزا المسلمون فارس وافتتحوها فرح المسلمون بنصر الله عزّوجلّ قيل: اليس الله عزّوجلّ يقول فى بضع سنين وقد مضى من نزول الآية سنين عديدة حتّى افتتح المسلمون فى امارة عمر فارس؟- فقال الامام: الم اقل لك انّ لهذا تأويلاً وتفسيراً والقرآن ناسخ ومنسوخ اما تسمع لقول الله عزّوجلّ [لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ] يعنى اليه المشيّة فى القول ان يؤخّر ماقدّم و يقدّم مااخّر فى القول الى يوم تحتّم القضاء بنزول النّصر فيه على المؤمنين، و بناء ماذكر على قراءة الفعلين مبنيّين للمفعول، وروى عن اهل البيت (ع) انّ قوماً ينسبون الى قريش وليسوا من قريشٍ بحقيقة النّسب ، وهذا ممّا لايعرفه الّا معدن النّبوّة وورثة علم الرّسالة وذلك مثل بنى اميّة ذكروا انّهم ليسوا من قريش وانّ اصلهم من الرّوم وفيهم تأويل هذه الآية الم غلبت الرّوم معناه انّهم غلبوا على الملك وسيغلبهم على ذلك بنو العبّاس، و بناء هذا على قراءة غلبت مبنيّاً للفاعل وسيغلبون مبنيّاً للمفعول .

اعلم، انّ القرآن كماسبق فى الفصل الحادى عشر والثّانى عشر فى اوّل الكتاب ذووجوهٍ بحسب معانيه وذووجوهٍ بحسب الفاظه وقراءاته، وانّه يجوز ان يكون مراداً بجميع وجوهه ومنزلاً بجميع قراءاته وانّه كثيراً ما يختلف المعانى والوجوه اختلافاً تامّاً مؤدّياً الى ارادة الضّدّين من اللّفظ بحسب حقائقه ومجازاته وتعريضاته وكناياته فعلى هذا صحّت التّفسيرات المختلفة الّتى وردت عنهم (ع) باعتبارات القرائات الثّلاث وصحّ تفسير الرّوم ببنى اميّة بناءً على تشبيههم باهل الرّوم فى الكثرة، اوفى الاهتمام بالدّنيا واعتباراتها، اوفى اخذ المذهب محض الرّسم والملّة، اوفى اختلاف المذاهب وكثرتها ، وصحّ تفسيره باهل المودّة والسّلامة ، وصحّ تفسيره بملك النّفس واهويتها المتضادّة المتخالفة ، وعلى هذا

التّفسير والتّفسير الاوّل ورد: انّ فرح المؤمنين بنصر الله يكون عند قيام القائم عجّل الله فرجه، وفى خبر: فرح المؤمنون فى قبورهم بقيام القائم (ع) ومعنى قوله تعالى لله الامر من قبل انّه لايخرج الامر من قدرته من قبل غلبتهم ومن بعد غلبتهم، او من قبل ان يقضى و من بعد ان يقضى ، فانّه يتصرّف فيه متى لم يمضه بايّ نحوٍ شاء فيكون اشارةً الى جواز البداء [وَيَوْمَئِذٍ] يوم غلبة الرّوم ، اومغلوبيّة فارس بالمسلمين اومغلوبيّة بنى اميّة اومغلوبيّة جنود الجهل واهويةالنّفس بظهور القائم (ع) [يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ] فلا اختصاص بنصره بالمؤمن بل ينصر المؤمن تارةً والكافر اخرى لكنّ المنظور من نصرهما صلاح المؤمن واصلاحه [وَهُوَ الْعَزِيزُ] الغالب الّذى لايدفع عن مراده [الرَّحِيمُ] الّذى لايفعل ما يفعل الّا برحمته ، وصيرورة الرّحمة فى بعض القوابل غضباً وعذاباً انّما هو من قبل القابل [وَعْدَ اللهِ] اى وعد الله نصرهم وفرح المؤمنين وعداً [لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] عدم خلف وعده، اونصره للمؤمنين ، اونصره لمن يشاء، اوكيفيّة وعده، اوكيفيّة نصره ، ولذلك لايرون من النّصر الّا الغلبة فى الظّاهر دون الغلبة فى الباطن ولذلك قال [يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا] اوالمعنى اكثر النّاس لاعلم لهم فانّ العلم هو الادراك الاخروىّ الّذى يكون فى الاشتداد الى جهة الآخرة وصاحب هذا الادراك قليل واكثر النّاس ادراكهم مقصور على ما يعينهم فى حيوتهم الدّنيويّة دون الحيوة الاخرويّة او لم يكن ادراكهم للامور الاخرويّة فى الاشتداد الى جهة الآخرة بل كان مصروفاً عن جهة الآخرة الى جهة الدّنيا ولذلك قال تعالى : يعلمون ظاهراً من الحيوة الدّنيا ، و لفظة من بيانيّة اوابتدائيّة اوتبعيضيّة اى يعلمون امراً ظاهراً يدركه المدارك الظّاهرة الحيوانيّة وهو عبارة عن الحيوة الدّنيا ولوازم بقائها اوامراً ظاهراً هى الآثار النّاشئة من الحيوة الدّنيا من مقتضياتها وملائماتها ومنافراتها، اوامراً هو بعض من الحيوة الدّنيا وقد عدّ فى الاخبار مثل علم النّجوم من جملة ذلك، و نعم ما قيل:

سرغ جانش موش شد سوراخ جو	چون شنيد از گربگان او عرّجوا
زان سبب جانش وطن ديد و قرار	اندر اين سوراخ دنيا موش وار
هم در اين سوراخ بنّائى گرفت	در خور سوراخ دانائى گرفت
پيشه هائى كه سر او را در مزيد	اندر اين سوراخ كار آيد گزيد
زانكه دل بركند از بيرون شدن	بسته شد راه رهيدن از بدن

[وَهُمْ عَنِ الْاٰخِرَةِ] الّتى هى باطن الحيوة الدّنيا وجهة غيبها و بعضٍ منها [هُمْ غَافِلُونَ] الاتيان بضمير الفصل لتأكيد الحكم وللاشعار بالحصر، واستعمال الغفلة دون الجهل وامثاله للاشعار بانّ الآخرة معلومة لكلّ احد بل مشهودة لهم فى النّوم حين الرّؤيا خصوصاً عند الرّؤيا الصّادقة بل فى اليقظة بالآثار الدّالّة على وجودها من التّقليبات والدّوائر الّتى تكون فى العالم الكبير وفى العالم الصّغير، وعدم النّظر والتّوجّه اليها ليس الّا محض الغفلة عنها لا للجهل بها ، وقد مضى فى الفصل الاوّل و الثّانى والثّالث فى اوّل الكتاب وعند قوله تعالى: لقد علموا لمن اشتراه ماله فى الاخرة من خلاقٍ ، من سورة البقرة تحقيق وتفصيل للعلم والفرق بينه و بين الجهل المشابه للعلم؛ من أراد فليرجع اليها [أَ] لم يرجعوا الى مداركهم الباطنة [وَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِى اَنْفُسِهِمْ] فى حقّ انفسهم حتّى يجدوا انّ فيها سماءً وارضاً يعنى روحاً وجسداً وانّ حيوة الجسد الّتى هى الحيوة الدّنيا ليست الّا بالحيوة الرّوحيّة الّتى هى الحيوة الاخرويّة حتّى يعلموا الآخرة ولا يكونوا غافلين عنها ، اوالمعنى او لم يتفكّروا عند انفسهم حتّى يعلموا [مَا خَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ] اى سماوات الارواح [وَالْاَرْضَ] اى ارض الاشباح [وَمَا بَيْنَهُمَا اِلَّا بِالْحَقِّ] الّذى هو حقيقة الحيوة الدّنيا والآخرة

حتّى يعلموا انّ فى الدّاثرات الّتى منها الحيوة الدّنيا حقّاً باقياً ثابتاً فلم يغفلوا عنه وطلبوا الوصول اليه وهو جهة الآخرة والجملة معلّق عنها لم يتفكّروا فانّه فى معنى لم يعلموا [وَاَجَلٍ مُسَمًّى] فانّهم وان لم يكونوا يحصل لهم بالتّفكّر علم بدثور سماوات الطّبع وارضه فى العالم الكبير لكن يحصل العلم بدثورهما فى العالم الصّغير و انّ لهما اجلاً معيّناً بحسب الاسباب الطّبيعيّة من العمر الطّبيعيّ واجلاً معلّقاً بحسب القواطع والموانع من الوصول الى اجله الطّبيعيّ [وَاِنَّ كَثِيرًا مِنَ النّاسِ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ لَكافِرُونَ] و لذلك يعملون الاعمال السّيّئة واذا تفكّروا انّ اعمال هؤلاء الكثير نشأت من كفرهم بلقاء ربّهم اجتنبوا مثل اعمالهم والجملة عطف على جملة ماخلق الله السّماوات اومعلّق عنها لم يتفكّروا مثل المعطوف عليها [اَ] لم يخرجوا من اوطانهم الصّوريّة ومن بيوت نفوسهم [وَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْاَرْضِ] الطّبيعيّة وفى ارض وجودهم وارض القرآن والسّير الحسنة و الغير الحسنة [فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] و الضّمائر الثّلاثة للكثير من النّاس اولمرجع الضّمير الفاعل لقوله اولم يتفكّروا [كانُوا اَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً] بحسب البدن والمال والاعوان [وَاَثارُوا الْاَرْضَ] بتقليب وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وللزّراعة وغرس الاشجار وغير ذلك من التّصرّفات والمقصود انّهم أثاروا الارض اكثر ممّا أثاروها بقرينة قوله تعالى: [وَعَمَرُوها اَكْثَرَ مِمّا عَمَرُوها] واباد هم الله تعالى ولم ينفعهم قوّتهم واثارتهم وعمارتهم فلا ينبغى لكم ان تغترّوا بقوّتكم واثارتكم وتعميركم [وَجاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ] اى احكام الرّسالة اوالمعجزات فاغترّوا بقوّتهم وكذّبوا الرّسل مثلكم فخذلهم الله واهلكهم [فَما كانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلكِنْ كانُوا اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] بتعريضها لسخط الله [ثُمَّ كانَ] عطف على اولم يتفكّروا باعتبار المعنى فانّه فى معنى لم يتفكّروا اوعلى اولم يسيروا باعتبار المعنى كأنّه قيل: لم يسيروا ثمّ كان عاقبتهم، اوعطف على كانوا انفسهم يظلمون يعنى كانوا انفسهم يظلمون ثمّ كان [عاقِبَةَ الَّذِينَ اَساؤُا السُّوءى] هذا من قبيل وضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بسببيّة الاساءة للسّيّئة الّتى هى اكبر الّتى هى تكذيب آيات الله و الاستهزاء بها، اوالمقصود تخصيص هذا الوصف بالمسيئين منهم السّوءى لاالمسيئين السّيّئة، اوليس من قبيل وضع الظّاهر موضع المضمر بل المقصود بيان حكم من اساء السّوءى من غير تعرّض للمذكورين و السّوءى تأنيث الاسوء، اومصدر، ولفظة ثمّ للتّعقيب فى الوجود او للتّعقيب فى الاخبار [اَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللّهِ] واعظمها الانبياء والاولياء(ع) [وَكانُوا بِها يَسْتَهْزِؤُنَ] والاستهزاء بالآيات اعظم جرماً من التّكذيب واعراب الآية انّ السّوءى خبر كان اواسمها على اختلاف القراءة برفع عاقبة الّذين ونصبها وان كذّبوا بدل منه او بتقدير اللّام اوالسّوءى مفعول مطلق اومفعول به لاساؤا و ان كذّبوا خبر كان او اسمها [اَللّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ] هذه جملة منقطعة ومقدّمة لقوله: يوم تقوم السّاعة (الى آخرها) والمراد بالاعادة الأعادة الى البرازخ [ثُمَّ اِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] يعنى بعد المكث فى البرازخ ترجعون اليه لا الى غيره [وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ] عند الرّجوع اليه [يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ] من الخلق اى ييئسون او يتحيّرون لغاية الدّهشة [وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكائِهِمْ] فى الوجوب، اوفى الآلهة، اوفى العبادة، اوفى الطّاعة، اوفى الولاية، اوفى الوجود والشّهود [شُفَعاءُ] يشفعون لهم عندالله كما قال بعض المشركين: **هؤلاء شفعاؤنا عندالله** [وَكانُوا بِشُرَكائِهِمْ كافِرِينَ] الباء صلة كافرين اوسببيّة [وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ يَوْمَئِذٍ] تأكيد ليوم تقوم السّاعة [يَتَفَرَّقُونَ] يعنى يتفرّقون فرقتين فرقة الى الجنّة وفرقة الى النّار، اوالمعنى انّهم كانوا مجتمعين فى الدّنيا

على الاكل والشّرب وكيفيّتهما والوقاع والشّكل والنّوع وهكذا في البرازخ وفي القيامة وحين ظهور كلّ بصورته الملكوتيّة الّتي يحشر عليها يتفرّقون انواعاً مختلفة واشكالاً متخالفة فبعضهم يحشرون على صور الخنازير بل على صور يحسن عندها القردة والخنازير، و بعضهم على صور الكلاب وسائر السّباع ، و بعضهم على صور الحشرات، و بعضهم على احسن الصّور، و يتفرّقون الى مقاماتهم في الجنّة والنّار [فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا] تفصيل لتفرّقهم اجمالاً [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ] من احبره اذا سرّه او انعم عليه [وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ] قالاً كالطّبيعيّين والدّهريّين ومنكرى المعاد او حالاً كاكثر النّاس [فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ] في العذاب ظرف لغو متعلّق بمحضرون او مستقرّ حال عن فاعله [فَسُبْحَانَ اللَّهِ] جواب لشرط مقدّر و سبحان مصدر في معنى التّسبيح او بمعناه الّلازم ومقدّر بفعل الامر اى اذا كان الامر هكذا فسبّحوا الله او فليسبّح الله سبحاناً [حِينَ تُمْسُونَ] تدخلون في المساء [وَحِينَ تُصْبِحُونَ] اى تدخلون في الصّباح وهما وقتا اختلاط النّور و الظّلمة [وَلَهُ الْحَمْدُ] جملة حاليّة اوخبر في معنى الانشاء وعطف على سبحان الله [فِي السَّمَاوَاتِ] سماوات الطّبع و سماوات الارواح [وَالْأَرْضِ] ارض الطّبع و ارض عالمى المثال [وَعَشِيًّا] وقت العصر وهو وقت دخول فضيلة صلوة العصر الى آخر النّهار [وَحِينَ تُظْهِرُونَ] تدخلون في الظّهر وهو ساعة الزّوال او المراد وقت ارتفاع الشّمس الى انقضاء وقت فضيلة صلوة الظّهر، خصّ التّسبيح بالمساء والصّباح لانّ هذين وقت اختلاط النّور والظّلمة وانموذج اختلاط ظلمة الطّبع ونور الرّوح وظلمة المقام الدّانى ونور المقام العالى، و ينبغى للانسان حينئذ تنزيه لطيفته الانسانيّة الّتى هى انموذج الله واسمه تعالى عن الظّلام بخلاف اوقات النّهار فانّها اوقات استواء النّور من دون اختلاط الظّلام ، ولاحاجة للانسان الى تنزيه اللّطيفة حينئذ ، ولم يذكر السّماوات لانّ السّماوات مقام تنزّه الله والواقع في تلك المقام لاحاجة له الى تنزيه ولم يذكر الارض اتّباعاً لعدم ذكر السّماوات والّا فالواقع في الارض محتاج الى تنزيه اللّطيفة الانسانيّة ، و يجوزان يكون قوله عشيّاً وحين تظهرون عطفاً على حين تمسون ، و يكون اشارة الى استغراق التّسبيح لجميع الاوقات و استغراق الحمد لجميع الامكنة و المقامات ، وعليه قيل : انّ ذكر الاوقات اشارة الى الصّلوات الخمس [يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ] استيناف جواب لسؤال مقدّر ناش من السّابق [وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ] قد مضى الآية في سورة يونس مع تفسيرها [وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا] يعنى يحيى ارض الطّبع في العالم الكبير بانبات نباتها بتهييج العروق المكمونة والحبوب المستورة فيها ، و انباتها بأنواع النّبات والاشجار وقت الرّبيع ، وارض العالم الصّغير باحياء قواها الارضيّة الدّائرة بالحيوة الانسانيّة ، الباقية بعد موتها في الشّتاء ، وحين الصّبا و بعده الى زمان البيعة باحدى البيعتين [وَكَذَٰلِكَ] اى مثل اخراج الحيّ من الميّت واخراج الميّت من الحيّ واخراج النّبات من الارض بارسال الامطار عليها [تُخْرَجُونَ] في النّفخة الثّانية اوتكون في الخروج من اوّل انعقاد نطفكم واولى موادّكم فانّه تعالى لايزال من اوّل انعقاد النّطفة في الرّحم يخرج آناً فآناً المكمونات الّتي تكون بالقوّة في النّطفة الى الظّهور والفعليّة، اومثل احياء الارض باخراج نباتها وقواها المكمونة فيها تخرجون ، وقرئ تخرجون مبنيّاً للمفعول ومبنيّاً للفاعل من الثّلاثيّ المجرّد، وردعن الكاظم (ع) بياناً لوجه من وجوه الآية في قوله : يحيى الارض بعد موتها ليس يحيها بالقطر ولكن يبعث الله رجالاً فيحيون العدل فتحيى الارض لاحياء العدل ولاقامة الحدّ فيه انفع في الارض من القطر اربعين صباحاً [وَمِنْ آيَاتِهِ] عطف على جملة يخرج الحيّ فانّه في معنى قوله من آياته ان يخرج الحيّ من الميّت [أَنْ خَلَقَكُمْ

مِنْ تُرابٍ] باعتبار خلق آدم (ع) ابیکم منه او باعتبار خلق مادّتکم ممّا یحصل من التّراب و یغلب علیه التّراب [ثُمَّ إِذٰا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ] تتحرّکون وتدبّون ولیس للارض حرکة ولا قدرة علی الحرکة.

اعلم، انّ فی خلق الانسان الّذی له علم و ارادة وقدرة واختیار و استعداد للتّصرّف فی الملکوتین و تسخیر اهلهما واستعداد للتّرقّی عن هذا العالم والحرکة الی السّماء او الی عوالم الارواح من العناصر الّتی لا شعور لها! ولا قدرة ولا اختیار مع کون الغالب فی مادّته الماء والارض اللّتین هما انزلها آیات عدیدة دالّة علی علمه تعالی وقدرته وحکمته و احاطته و تدبیره واناطة افعاله بغایات عدیدة متقنة ، وتصریفه فی عالم الارواح وعالم الطّبع بما لا یمکن ادراک کیفیّة تصریفه وتمزیجه للقوی الرّوحانیّة مع القوی الارضیّة بحیث لا یمکن التّمیز بینهما، و یشتبه علی کثیر انّ القوی الرّوحانیّة لیست الّا القوی الجسمانیّة حتّی قالوا: انّ النّفس الانسانیّة جسم سار فی البدن کسریان الماء فی الورد [وَمِنْ آيٰاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ] یعنی من جنسکم [أَزْوٰاجاً لِتَسْكُنُوا] لتمیلوا [إِلَيْهٰا] فتسکنوا عن الحرکة عنها فانّ الازواج لو لم یکن من جنسکم لکنتم نافرین عنهنّ بعد قضاء حاجاتکم [وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ] ایّها الازواج او ایّها الاناسیّ [مَوَدَّةً وَرَحْمَةً] محبّة وتعطّفاً و رقّة حتّی یکون تلک المحبّة سبباً لاجتماعکم و بقاء اجتماعکم وتلک الرقّة سبباً لحراسة بعضکم بعضاً و للاهتمام بخیره واصلاحه [إِنَّ فِي ذٰلِكَ] المذکور من خلق الازواج من انفسکم وجعل المودّة والرّحمة بینکم او فی جعل المودّة والرّحمة بینکم او فی اخراج الحیّ من المیّت (الی آخر الآیة) [لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ].

مراتب التّحقیق فی العلم

اعلم، انّ الانسان بحسب افراده ذو عرض عریض و ذو مراتب کثیرة وهکذا بحسب حالات کلّ فرد ذو عرض عریض؛ فمنهم من یکون غافلاً عن الله و آیاته ولا کلام معهم و لا خطاب و لا آیة لهم و لا دلالة و کأیّن من آیة فی السّماوات و الارض یمرّون علیها و هم عنها معرضون ، ومنهم من یتنبّه بانّ الدّنیا مقدّمة الآخرة وان لیس المقصود من الانسان ان یتعیّش فی الدّنیا کتعیّش الحیوان فیتفکّر فی کیفیّة خلقته و خلقة سائر الموالید فیتنبّه من خلقتها بانّ لها مبدءً قدیراً علیماً حکیماً، و منهم من یستعدّ بهذا التّفکّر لافاضة الحقّ الاوّل تعالی علیه نور العلم ، فیفیض علیه نور العلم فانّ العلم نورٌ یقذفه الله فی قلب من یشاء فیصیر صاحب اولی مراتب العلم الّتی هی تکون سبباً للتّحیّر و الانصات ، فانّ اولی مراتب العلم مفسّرة بالانصات کما عن النّبیّ (ص) والتّحیّر یصیر سبباً لطلب من یعلّمه طریق الوصول الی دار العلم ومعدن النّور ، ومنهم من یصل الی عالم وقته بعد طلبه و ینقاد له و یستمع منه وهذه المرتبة ثانیة مراتب العلم کما فی الخبر المأثور عن الرّسول (ص) ، ومنهم من یخرج من مقام الاستماع الّذی هو مقام التّقلید والعلم التّقلیدیّ فیجد ذوق معلوماته او یشاهد معلوماته او یتحقّق بمعلوماته وهذه المراتب هی مراتب التّحقیق فی العلم **اذا علمت ذلک** فاعلم، انّ الآیات من قوله یخرج الحیّ من المیّت (الی قوله) و هو العزیز الحکیم منزّلة علی مراتب افراد الانسان ، وکلّما کان منزّلاً علی مراتب الانسان بحسب افراده کان منزّلاً علی مراتبه بحسب احوال شخص واحد ، وکلّما کان منزّلاً علی مرتبة دانیة کان لصاحب المرتبة العالیة ایضاً لسعته واحاطته؛ بخلاف ما کان لصاحب المرتبة العالیة فانّه خاصّ به ولیس لصاحب المرتبة الدّانیة نصیبٌ منه، فقوله: یخرج الحیّ من المیّت (الی قوله) و جعل بینکم مودّةً ورحمةً لصاحب التّنبّه والتّفکّر یعنی لیس له غیره ، لا انّ صاحب العلم لا یدرک تلک الآیات ولا یلتذّ بها [وَمِنْ آيٰاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ] ای سماوات الطّبع وارضه اوسماوات الارواح و ارضی الاشباح فی العالم الکبیر اوالصّغیر [وَاخْتِلاٰفُ

اَلْسِنَتِكُمْ] يعنى اختلاف لغاتكم فانّه يعبّر كثيراً فى العرب والعجم من اللّغات والكلمات الجارية على الالسن بالالسن اواختلاف السنتكم فى كيفيّة التّأدية مع انّكم من نوع واحدٍ [وَ] اختلاف [اَلْوانِكُمْ اِنَّ فى ذٰلِكَ لَاٰياتٍ] داّلات على علمه وحكمته تعالى وكمال عنايته بخلقه وقدرته وارادته وسلطنته و وحدته ، او داّلات على احوال صاحب الالسن والالوان كما فى الخبر [لِلْعالَمينَ] قرئ بفتح الّلام وعليها فليخصّص بالّذين حصل لهم العلم فانّ العالمين بفتح الّلام مخصوص بذوى العقول بخلاف العالم الّذى هو مفرده فانّه اعمّ من ذوى العقول وغيرهم، وذووا العقول فى الحقيقة هم الّذين حصل لهم الّشعور الانسانىّ و ليسوا الّا الّذين قذف الله فى قلوبهم نور العلم، وقرئ بكسر الّلام وهم الّذين قذف الله فى قلوبهم نور العلم لاالّذين حصّلوا الصّور الادراكيّة من امثالهم ومن الدّفاتر، وقدّم هذا الصّنف على المستمعين باعتبار اولى مراتب العلم فانّ المستمع هو الّذى حصل له مرتبة الّسماع الّذى هو ثانية مراتب العلم كما فى الخبر النّبوىّ (ص) ولم يقل لقوم يعلمون كسابقه ولاحقه اشعاراً بانّ حصول العلم خصوصاً مرتبته الاولى تلويناً لايكفى فى ادراك تلك الآيات و روى عن الصّادق (ع) انّ الامام اذا ابصر الرّجل عرفه وعرف لونه وان سمع كلامه من خلف حائطٍ عرفه وعرف ماهو، انّ الله يقول: ومن آياته خلق السّماوات والارض (الآية) قال وهم العلماء فليس يسمع شيئاً من الامر ينطق به الّا عرفه ناجٍ اوهالك فلذلك يجيبهم بالّذى يجيبهم، وهذا الخبر بيان لاحد وجوه الآية واعتبر (ع) آخر مراتب العلم، وقرأ (ع) العالمين بكسر الّلام اوحمله على معنىً يوافق كسر الّلام وجعل دلالة الآيات على احوال صاحب الالسن والالوان وعلى هذا فليكن المراد بالّسماوات والارض سماوات الارواح وارض الاشباح فى العالم الصّغير لتكون فيها آيات داّلات على احوال صاحب الّسماوات والارض [وَمِنْ اٰياتِهِ مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ] فائدة التّقييد بهما مع انّه لايكون منام فى غيرهما اطلاق المنام عن التّقييد فانّه لو لم يذكرهما عقيب المنام لتوهّم انّ المراد هو المنام باللّيل لكونه مُعدّاً للمنام دون اليوم ولذلك لم يقيّد الابتغاء بهما ففى المنام المطلق آيات داّلات على حكمة الحقّ تعالى واتقان صنعه وكيفيّة خروج النّفس من البدن بالموت، وداّلات على عالمٍ آخر سوى عالم الكون والفساد، و بقاء ذلك العالم واحاطته بعالم الطّبع وكون صور جميع الاشياء ثابتةً فيه وكيفيّة احاطة الحقّ تعالى بجملة الموجودات [وَابْتِغاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ] يعنى فيهما فانّ فى ابتغاء الفضل الّذى فيه كمال النّفس بحسب ظنّها سواء كان المراد بالفضل الّسعة وسائر مايحتاج الانسان اليه فى الدّنيا اوكمالات الانسان وسعة النّفس بحسب امور الآخرة آيات داّلات على مبدءٍ ذى كمال وسعة وفضل فانّه لولا مبدء الكمال والفضل لم يطلب الانسان شيئاً منه [اِنَّ فى ذٰلِكَ لَاٰياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ] الّذين هم صاحبوا المرتبة الثّانية من العلم وهى مرتبة الاستماع والتّقليد واليه اشار تعالى بقوله : او القى الّسمع وهو شهيد [وَمِنْ اٰياتِهِ يُريكُمُ الْبَرْقَ] كان الموافق للّسابق والّلاحق ان يقول: ومن آياته ان يريكم البرق لكنّه لمّا لم يرد ان يقول اراءة البرق من آياته عدل عنه ، والظّرف لغو متعلّق بيريكم ، امّا جعل يريكم بتقدير ان اوواقعاً موقع المصدر فيذهب بنكتة العدول عن صريح ان او المصدر فانّه لمّا اراد ان يبيّن انّ تلك الآيات آيات لمن صار علمه تحقيقيّاً ولذلك قال: يريكم وانّ البرق المشهود انّما ينشأ من الآيات الغيبيّة الّتى يكون صاحب التّحقيق منتظراً لها دائماً قال: من آياته يريكم دون ان يريكم [خَوْفاً] اراءة خوفٍ او هو بتقدير الّلام وليس مفعولاً له او هو حال عن المفعول [وَطَمَعاً] والمقصود الخوف من الصّاعقة والطّمع فى الغيث [وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيُحْيى بِهِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها اِنَّ فى ذٰلِكَ لَاٰياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] يحقّقون فى العلم بالخروج من حدّ التّقليد فانّ التّعقّل عبارة عن ادراك الّشيء بالعقل لابمحض التّقليد وهم الّذين يكون لهم قلبٌ المشار اليهم بقوله: لمن كان له قلب وهذا مقام التّحقيق فى العلم

ووجدان آثار المعلوم والالتذاذ بالعلم وفوقه مقام الشّهود والعيان فى ادراك المعلوم وهو خاصّ بالانبياء والاولياء (ع) وفوقه مقام التّحقّق بالمعلوم وهو مقام بعض الانبياء والاولياء (ع) [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ] لابآلة ومقيم اى السّماء والارض فى العالم الصّغير و العالم الكبير [ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ] عطف على ان تقوم بتأويل مفرد اى ثمّ خروجكم من الارض اذا دعاكم دعوة من الارض [إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ] اوهوعطف على مجموع من آياته ان تقوم السّماء عطف الجملة ولم يكن حينئذ من جملة آياته ولم يقل ههنا انّ فى ذلك لآيات لقوم كذا لانّ هذه الآيات خاصّة بالمشاهدين ، وليس للعالمين الغير المشاهدين فيها حقّ ونصيب والمشاهد من حيث انّه مشاهد من صقع الله لا من جانب الخلق والله تعالى لاحاجة له الى آية فلم يقل: انّ فى ذلك لآيات للمشاهدين وهذه هى الآيات العليا وليست الّا للصّنف الاعلى من الانسان ، وقد سلف الاشارة الى انّ كلّما كانت آية للصّنف الادنى فهى آية للصّنف الاعلى ايضاً من دون عكس وقدسبق الآية فى سورة النّحل مع بعض الاشارات والنّكات [وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] اى السّماوات والارض ومن فيهما يعنى ليس فيهما احد يكون شريكاً له تعالى [كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ] خاضعون منقادون و ليسوا مقابلين له كما يقول الثّنويّة بالنّور والظّلمة او بيزدان واهريمن فلاندّله ولاضدّ [وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ] لاغيره كما يقول الثّنويّة والابليسيّة انّ اهريمن مبدأ الشّرور [ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ] اى الاعادة اسهل على الله بالقياس الى قدركم واصولكم والّا فليس شيء عليه اصعب من شيء ،اوالضّمير المجرور راجع الى الخلق. ومعنى كون الاعادة اسهل كونها غير محتاجة الى مادّة وآلة وتربية لحصول مادّته واقتضاء فطرته الصّعود الى اصله بخلاف الابداء فانّه محتاج الى تهيّة مادّة وتربية العلويّات وحافظيّة الارضيّات وايتلاف المتخالفات ومزجها وكسر سورتها، وقيل: الاهون منسلخ عن معنى التّفضيل [وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ] اى الصّفات العليا [فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] عن الصّادق (ع) : ولله المثل الاعلى الّذى لايشبهه شيء ولايوصف ولايتوهّم فذلك المثل الاعلى ،اوالمقصود ولله المشابه الاعلى فى السّماوات من ارباب الانواع والعقول وفى الارض من الانبياء والاولياء (ع) روى عن الرّضا (ع) انّه قال، قال النّبىّ (ص) لعلىّ (ع) : وانت المثل الاعلى ، وفى خبر: نحن كلمة التّقوى وسبيل الهدى والمثل الاعلى [وَهُوَ الْعَزِيزُ] الّذى لايغلب [الْحَكِيمُ] الّذى لايفعل مايفعل الّا لحكم ومصالح وغايات متقنة [ضَرَبَ] الله [لَكُمْ] لانتفاعكم واتّعاظكم اولاحوالكم فى اشراككم بالله مماليكه حتّى تتنبّهوا و تعلموا انّ هذا الاشراك خطاء محض [مَثَلًا] لحاله وحال شركائه بزعمكم [مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ] بيان للمثل كأنّه قال: المثل كون المماليك مع انّهم ليسوا مملوكين لكم حقيقه شركاء لكم [فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ] مع كون الرّزق منّا و نسبته اليكم محض اعتبار ولاترضون به فكيف ترضون اوكيف يرضى الله تعالى بجعل مماليكه الحقيقيّة الّتى لاوجودلهم من انفسهم فكيف بسائر الصّفات شركاء له فى مملوكاته الحقيقيّة لكنّه عدل الى هذا تأكيداً لنفى رضاهم بشراكة مماليكم حتّى يكون تأكيداً لنفى الشّريك لله تعالى [فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ] عطف على مدخول الاستفهام يعنى لستم ترضون بمساواتهم لكم فكيف ترضون او يرضى الله بمساواة مماليكه له، اوعطف على حزب الله والفاء للتّعقيب فى الاخبار و بعض اجزاء المعطوف يكون محذوفاً والتّقدير فانتم ايّها الاحرار فيما رزقناكم مساوون للمماليك اوانتم ايّها الاحرار والمماليك فيه مساوون ولاترضون بشراكة المماليك لكم مع مساواتهم لكم فى كلّ الجهات فكيف ترضون اويرضى الله بشراكة المماليك له [تَخَافُونَهُمْ] جملة حاليّة اومستأنفة و المعنى هل تخافونهم [كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ] فتجعلونهم

شركاء لخوفكم، اوالمعنى فانتم ومماليككم فى الرّزق سواء من كلّ الجهات سوى اعتبار نسبة المالكيّة اليكم وتخافونهم كخيفتكم من الاحرار، و ينبغى لكم ان ترضوا بشراكتكم ولاترضون فكيف يرضى الله بشراكة مماليكه له مع انّهم ليسوا مساوين له بجهة من الجهات ولا يخافهم بشيء من الخوف [كَذٰلِكَ] التّفصيل و التّمثيل لاشراكهم [نُفَصِّلُ الْآيٰاتِ] فى كلّ شيء [لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] يحقّقون فى العلم والادراك بعدماخرجوامن مقام التّقليد اولقوم يدركون ادراك الانسان لا ادراك الحيوان سواء كان ذلك الادراك تقليداً او تحقيقاً، فانّ التّعقّل يستعمل فى الادراك الانسانىّ المطلق كما يستعمل فى الادراك العقلانىّ الّذى لا يكون الّا بالتّحقيق دون التّقليد، قيل: كان سبب نزولها انّ قريشاً والعرب كانوا اذا حجّوا يلبّون وكانت تلبيتهم لبّيك لبّيك لاشريك لك لبّيك انّ الحمد والنّعمة لك والملك لاشريك لك؛ وهى تلبية ابراهيم والانبياء (ع) فجاءهم ابليس فى صورة شيخ فقال لهم: ليست هذه تلبية اسلافكم قالوا: وماكانت تلبيتهم؟ـ قال: كانوا يقولون: لبّيك اللّهمّ لبّيك لاشريك لك الّا شريكاً هولك، فتفرّق قريش من هذا القول فقال لهم ابليس: على رسلكم[1] حتّى آتى على آخر كلامى، فقالوا: ماهو؟ فقال: الّاشريك هولك تملكه ومايملكك، الاترون انّه يملك الشّريك وماملكه، فرضوا بذلك وكانوايلبّون بهذا قريش خاصّةً فلمّابعث الله عزّ وجلّ رسوله (ص) انكر ذلك عليهم وقال: هذا شرك فأنزل الله تعالى: ضرب لكم مثلاً من انفسكم هل لكم ممّا ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواءٌ اى ترضون انتم فيما تملكون ان يكون لكم فيه شريك واذا لم ترضوا انتم ان يكون لكم فيما تملكون شريكٌ فكيف ترضون ان تجعلوا لى شريكاً فيما املك [بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا] و هذا اضراب عن مقدّر كأنّه قيل: هل لهم برهان مع وضوح بطلان الاشراك ؟ـ فقال : ليس لهم برهان بل اتّبع الّذين ظلموا انفسهم بالاشراك بالله ما لم يأذن به الله، ووضع الظّاهر موضع المضمر ذمّاً لهم بذلك [أَهْوٰاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللّٰهُ] يعنى فأضلّهم الله بالخذلان ولايهدى احد من اضلّه الله [وَمٰا لَهُمْ مِنْ نٰاصِرِينَ] ينصرونهم من عذاب الله [فَأَقِمْ] اى اذالم تكن تهدى من اضلّ الله ولم تكن تنصرهم فلاتحزن عليهم وانصرف عن الاهتمام بالخلق واقم عن الانحراف لهم [وَجْهَكَ لِلدِّينِ] اى الطّريق الى الله [حَنِيفاً] ظاهراً اوخالصاً وهوحال عن الوجه، اوعن المضاف اليه الوجه، اوعن الدّين والمراد بالدّين هوالطّريق الى الله التّكوينىّ وهوالولاية التّكوينيّة اوالطّريق الى الله التّكليفىّ وهوالولاية التّكليفيّة و قد فسّر اقامة الوجه للدّين باقامته فى الصّلوة جانب القبلة من غير التفات الى اليمين والشّمال و بالولاية [فِطْرَتَ اللّٰهِ] منصوب على الاغراء اوعلى المدح او بتقدير خذ، اومصدر لفعل محذوف دلّ عليه المذكور بعده، والفطرة هى الخلقة الّتى خلق النّاس بل جميع الموجودات عليها وهى الولاية السّارية فى كلّ الموجودات تكويناً المطابق لها الولاية التّكليفيّة الّتى كلّف بها جميع الاناسىّ [الَّتِي فَطَرَ النّٰاسَ عَلَيْهٰا] والتّفاسير المختلفة الّتى وردت عن المعصومين (ع) فى الآية راجعة الى ماذكرنا [لاٰ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ] فلاتحزن على ماقالوا فى وصيّك ومنعه عن مقامه فانّه لايقدر احدٌ على تبديل الولاية التّكوينيّة والتّكليفيّة [ذٰلِكَ] المذكور من اقامة الوجه للدّين او ذلك الدّين الحنيف اوالولاية التّكليفيّة هو [الدِّينُ الْقَيِّمُ] لاغير [وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّٰاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ] انّ الدّين القيّم هوالولاية الّتى هى الطّريق الى الله فلذلك تمسّكوا بصورة الاسلام و توقّفوا عليها و اهتمّوا بها و اعرضوا عن الولاية الّتى هى الدّين حقيقة، وصورة الاسلام ليست الّا هداية اليها [مُنِيبِينَ إِلَيْهِ] الى هذا الدّين الّذى هوالطّريق من القلب الى الله فانّهم على الاستمرار فى الانابة من الكثرات اليه بصنع الله الّذى اتقن كلّ شيء فانّهم على الدّوام فى الزّكوة الّتى هى تصرّم الفعليّات النّاقصة و بذلها تكويناً والصّلوة الّتى هى التّلبّس بالفعليّات الكاملة الّتى هى الانابة الى القلب

(١) اى قفوا مكانكم واستمعوا حتّى يتمّ كلامى .

وطريقه ، اومنيبين الى الله فانّ الانابة الى طريق القلب والانابة الى الله والانابة الى القلب شيء واحد والتّفاوت اعتبارىّ وهوحال من فاعل اقم بضميمة الامّة الى الرّسول (ص) اومن النّاس [وَاتَّقُوهُ] اى الدّين اوالله [وَاَقِيمُوا الصَّلٰوةَ] قد مضى معنى الصّلوة واقامتها فى اوّل البقرة [وَلَاتَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ] بالله فى الوجوب اوفى العبادة اوفى الطّاعة اوفى الدّين اوفى اقامة الصّلوة [مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ] اى طريق توجّههم اوطاعتهم اوصلوتهم اوولايتهم بان اتّخذ كلّ منهم طريقاً اوطاعةً اوصلوة غيرما للآخر، فاختلف كلّ مع الآخر، اوفرّق كلّ دينه بان جعل لنفسه طرقاً عديدةً او طاعاتٍ عديدة (الى الآخر) ، اوفرّق كلّ دينه على اهوية عديدة كرجل متشاكس فيه رجال ، وقرئ فارقوا دينهم اى طريقهم الانسانىّ الّذى فطرهم الله عليه وهوالولاية التّكوينيّة او فارقوا ولايتهم التّكليفيّة بعدم العمل بما وصل اليهم من ولىّ امرهم ، اوفارقوا عليّاً (ع) وقد سبق فى آخر سورة الانعام بيانٌ تامٌّ لهذه الآية [وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ] الجملة حاليّة اوصفة لشيعاً ، اومستأنفة لبيان حالهم ، اوالتّعليل لتفرّقهم .

اعلم ، انّ الانسان لمّا كان فطرىّ التّعلّق فان تنبّه وعلم انّ كمالاته الانسانيّة غيرحاصلة له وانّ ماهوالحاصل له ليس كمالاً كاملاً له ، بل له كمالات مفقودة غيرمتناهية فان افتقد مافقده ولم يكن المفتقد الّا السّالك الى الله بقدم الصّدق لم يكن فرحاً بما عنده بل كان منزجراً مدبراً عنه ، ومن لم يكن مفتقداً لما فقده لم يكن له تعلّق الّا بما كان حاصلاً له من الكمالات الصّوريّة من العلوم والعقائد والصّفات والاخلاق والمكاشفات والاموال والاولاد فكان كلّ حزبٍ بما لديهم فرحون حتّى الكنّاس بكماله فى كنسه ، والسّاحر فى سحره ، و التّاجر فى تجارته ، و العالم فى علمه ، والعابد فى عبادته ، والزّاهد فى زهده ، والعارف فى عرفانه [وَاِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ اِلَيْهِ] لما يرتفع حينئذٍ حجاب النّفس و مانع الرّجوع و السّلوك الى الله [ثُمَّ اِذَا اَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً] نعمةً بعد الخلاص من ذلك الضّرّ [اِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ] لا كلّهم لانّ بعضهم لايغلب عليهم الواهمة ولاتمنعهم من شكر النّعمة كما كانوا حال الضّرّ لايمنعهم الواهمة عن الالتجاء و دعاء كشف الضّرّ [بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ] بربّهم المطلق يسوّون الاصنام والكواكب والاهوية ، اوبربّهم المضاف يسوّون غيرولىّ امرهم [لِيَكْفُرُوا] اى بحصول كفرانهم ، اواللّام للغاية وليست داخلة على العلّة الغائية يعنى فيحصل لهم بعد الاشراك الكفران [بِمَا آتَيْنَاهُمْ] من كشف الضّرّ و النّعمة [فَتَمَتَّعُوا] التفات للمبالغة فى التّهديد [فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ] انّ اشراككم اوتمتّعكم كان وبالاً عليكم [اَمْ اَنْزَلْنَا] بل ءانزلنا [عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا] حجّة او ذاسلطنة من الملائكة [فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ] لفظة ما موصولة اومصدريّة والمعنى فهو يتكلّم بالاشراك الّذى كانوا يشركون، او باشراك شريك كانوا به يشركون، اوبكونهم الله يشركون ، او بكونهم بعلىٍّ (ع) يشركون فى الولاية وهذا هوالمنظور [وَاِذَا اَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً] نعمة وسعة فى المال والاولاد اوصحّة فى الجسم والاولاد [فَرِحُوا بِهَا] لتعلّقهم بماعندهم من النّفس و قوٰاها وملائماتها [وَاِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيهِمْ اِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ] من رحمة الله [اَوَلَمْ يَرَوْا اَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ] حتّى يشكروا فى السّرّاء و يسألوا فى الضّرّاء ولايفرحوا بالموجود ولا ييأسوا حين فقدانه [اِنَّ فِى ذٰلِكَ] اى فى اختصاص البسط والتّقدير بالله تعالى الّذى من شأنه ان يراه كلّ راءٍ لظهور آثاره من حيث انّه يرى انّ صاحبى الحيل الدّقيقة فى تحصيل المعيشة محرومون عن السّعة فى المعيشة وصاحبى البلاهة و البلادة مرزوقون سعة المعيشة [لَآيَاتٍ] عديدة دالّة على علمه تعالى وعنايته بخلقه و تدبيره لهم وحكمته فى تدبيره وعجزهم عن تحصيل ما ارادوا

و تسخرّهم لغيرهم [لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] بالبيعة الخاصّة فانّه بهذاالايمان يفتح باب القلب و بفتحه يدرك من الآيات حيثيّة كونها آيات [فَآتِ ذَا الْقُرْبىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ] يعنى اذاكان البسط والتّقدير بيده تعالى فلاتبخل بما فى يدك وآتِ كلّ ذى حقٍّ حقّه وقد مضى الآية مع تفصيلٍ فى تفسيرها فى اوّل سورة بنى اسرائيل [ذٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللّهِ] يعنى اعطاء الحقّ لذى الحقّ ومنه اعطاء الامامة لعلىّ (ع) واعطاء السّعة فى الصّدر والقلب لمستحقّيها خير للسّالكين الى الله والطّالبين لوجهه الّذى هو ملكوت ولىّ امرهم، وان كان شرّاً للمنافقين الّذين رضوا بالحيوة الدّنيا واطمأنّوا بها [وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] فانّ الفلاح منحصر فى البائعين بالبيعة الخاصّة السّالكين الى الله تعالى الطّالبين لظهور ملكوت ولىّ امرهم [وَمَا آتَيْتُمْ] هذا خبر فى معنى النّهى ولذلك حسن عطفه على الامر، ولمّا كان النّبىّ (ص) اصلاً فى الخطاب الاوّل بل كان اصل الحقوق الخلافة وكان اعطاؤه منحصراً فيه (ص) خصّه هناك بالخطاب ، و لمّا كان المنظور من الحكم الثّانى امّته جمعهم معه بالخطاب اوصرف الخطاب عنه (ص) اليهم [مِنْ رِبًا] ما من شأنه ان يردّ مع الزّيادة من قرضٍ اوهديّةٍ لقصد العوض، وخصّ هذا فى الاخبار بالهديّة الّتى يتوقّع المكافاة عليها بأزيد منها فانّه ورد عن الصّادق (ع) قال: الرّبا رباءان؛ رباً يؤكل ورباً لايؤكل، فامّا الّذى يؤكل فهديّتك الى الرّجل لتصيب منه الثّواب افضل منها فذلك الرّبا الّذى يؤكل وهو قول الله عزّوجلّ و ما آتيتم من رباً (الآية) وامّا الّذى لايؤكل فهو الّذى نهى الله عنه واوعد عليه النّار، وعن الباقر (ع) هو ان يعطى الرّجل العطيّة او يهدى الهديّة ليثاب اكثر منها فليس فيه اجر ولاوزر، وقرئ : اتيتم بالقصر بمعنى ماجئتم اليه لاعطائه من رباً [لِيَرْبُوا] قرئ بالياء التّحتانيّة مفرداً من الثّلاثىّ المجرّد، و بالتّاء الفوقانيّة جمعاً من باب الافعال [فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكٰوةٍ] اى هديّةٍ اوصدقةٍ او قرضٍ [تُرِيدُونَ وَجْهَ اللّهِ] قد مضى قبيل هذا انّ المراد بوجه الله هو ملكوت ولىّ الامر [فَأُولٰئِكَ] التفات من الخطاب الى الغيبة تفخيماً لهم بالاتيان باسم الاشارة البعيدة [هُمُ الْمُضْعِفُونَ] يعنى انّه يربو عندالله و يربو فى الدّنيا، فعدل عن يربو عندالله للاشارة الى الزّيادة فى الدّنيا وفى الآخرة، عن اميرالمؤمنين (ع) : فرض الله الصّلوة تنزيهاً عن الكبر، والزّكوة تسبيباً للرّزق ، وعن الصّادق (ع) : على باب الجنّة مكتوب: القرض بثمانية عشر، والصّدقة بعشرة ، ولا اختصاص للرّبا بالمال ولاللزّكوة بل يجريان فى الاعمال والعرض والجاه والقوى وقوّتها [اللّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ] جملة منقطعة عن سابقها [ثُمَّ رَزَقَكُمْ] فما لكم تبخلون [ثُمَّ يُمِيتُكُمْ] فمالكم تجمعون و تدّخرون [ثُمَّ يُحْيِيكُمْ] فما لكم لاتدّخرون لحيوتكم الباقية بالاعطاء من الفانيات و الارباء عندالله [هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ] الزام لهم على الاقرار بعجز الشّركاء وابطال شراكتهم [سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ] قرئ بالغيبة والخطاب [ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ] الفساد ضدّ الصّلاح وهو فى كلّ شيءٍ ان يكون على مايقتضيه طبيعته ، و الفساد ان يكون خارجاً عمّا يقتضيه طبيعته، وقد يستعمل الفساد فى اخذ المال ظلماً وفى الجدب والمراد بظهور الفساد كثرته بحيث لم يكن من شأنه ان يكون مخفيّاً اوغلبته على الصّلاح، اوعلى العدل اوعلى الرّخاء، والمراد بالبحر نفس البحر اوالقرى الواقعة فيها اوعلى سواحلها [بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ] يعنى انّ الفساد فى الارض ليس الّا بشوم اعمال الاناسىّ فيها سواء اريد بالفساد خروج الاشياء عن المجرى الطّبيعىّ او الظّلم والجدب، قال الصّادق (ع) : حيوة دوابّ البحر بالمطر فاذا كفّ المطر ظهر الفساد فى البرّ والبحر و ذلك اذا كثرت الذّنوب والمعاصى، وقال الباقر (ع) : ذلك والله حين قالت الانصار : منّا اميرٌ ومنكم اميرٌ [لِيُذِيقَهُمْ] الله او الفساد

[بَعْضَ الَّذى عَمِلُوا] اى جزاء بعض اعمالهم فانّ جزاء الكلّ لايكون الّا فى الآخرة [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] عن المعاصى [قُلْ] يا محمّد (ص) [سِيرُوا فِى الْاَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذينَ مِنْ قَبْلُ] كانوا يعملون السّيّئات فأذاقهم الله بعض جزائها حتّى تعتبروا بذلك و تتيقّنوا بانّ الاعمال لاتكون بلاجزاء لافى الدّنيا ولافى الآخرة، وقد سبق مكرّراً تفسير الارض بارض العالم الصّغير و العالم الكبير وارض القرآن و الاخبار و السّير الماضية [كَانَ اَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ] يعنى انّ شركهم ابتلاهم بسوء العاقبة فى الدّنيا والآخرة فانتهوا عن الشّرك واحذروا عن سوء عاقبته [فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ] كرّره لانّ كلّ واحد تفريع على امر وللاهتمام باقامة الوجه للدّين، ولانّ الاوّل خطاب له (ص) وهذا خطاب له وتعريض بامّته [مِنْ قَبْلِ اَنْ يَأْتِىَ يَوْمٌ لَامَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ] اى لايردّه الله او لايردّه ولايمنعه احد من تصريف الله [يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ] يتصدّعون اى يتفرّقون وقد مضى بيانه فى هذه السّورة عند قوله و يوم تقوم السّاعة يومئذٍ يتفرّقون [مَنْ كَفَرَ] بيان لتفرّقهم او بيان لعلّة تفرّقهم [فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ] اى يسوّون منازلهم فى الجنّة و يصلحونها بأعمالهم لانفسهم لالغيرهم، عن الصّادق (ع) انّه قال: انّ العمل الصّالح ليسبق صاحبه الى الجنّة فيمهّد له كما يمهّد لاحدكم خادمه فراشه [لِيَجْزِىَ الَّذينَ آمَنُوا] علّة لاقم وجهك او للقيّم اوليأتى يوم اولقوله لامردّ له اوليصدّعون و المراد بالايمان الايمان العامّ الحاصل بالبيعة العامّة النّبويّة وقبول الدّعوة الظّاهرة، و بالعمل الصّالح الايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الخاصّة الولويّة و قبول الدّعوة الباطنة، او المراد بالايمان الايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الولويّة ويكون قوله [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] اشارة الى العمل بما أخذ عليه فى عهده وبيعته [مِنْ فَضْلِهِ] يعنى لايكون جزاؤهم بسبب عملهم فانّه لايدخل احد الجنّة بعمله بل يكون بمحض فضله [اِنَّهُ لَايُحِبُّ الْكَافِرِينَ] سوق العبارة كان مقتضياً ان يقول: و يجزى الّذين كفروا لكنّه عدل الى هذا اشارةً الى انّ جزاء الكافرين ليس من الغايات بالذّات انّما هى من تبعة اعمالهم وكفرهم وقد مضى مكرّراً انّ امثال هذا يستعمل فى معنى يبغضهم و ان كان بمفهومه اعمّ منه [وَمِنْ آيَاتِهِ] الجملة معطوفة على جملة الله الّذى خلقكم فانّه فى معنى من آياته ان خلقكم ثمّ رزقكم ثمّ اماتكم (الى آخرها) [اَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ] يعنى ارسال الرّياح لحمل السّحاب و تحريكه الى ما اراده من الامكنة ثمّ امطار الامطار وتوسعة الرّزق عليكم بها من جملة آياته الدّالّات على مبدءٍ عليمٍ حكيمٍ قديرٍ مريدٍ رؤفٍ رحيمٍ [وَلِيُذيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ] عطف على مبشّرات فانّه فى معنى ليبشّركم به [وَلِتَجْرِىَ الْفُلْكُ بِاَمْرِهِ] اى بأمره للرّياح فانّه لولا الرّياح لما جرى الفلك على متن الماء سواء كان تلك الرّياح بامرٍ من الله او بصنعٍ من النّاس كالفلك الّتى تجرى بالابخرة المصنوعة [وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ] يجرى الفلك فى البحر او بمطلق مايحصل من الامطار والرّياح [وَلَعَلَّكُمْ] تتنبّهون بانّ تلك النّعم من الله وان لايقدر احدٌ على امثاله فـ [تَشْكُرُونَ] نعمه [وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً اِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ] كما أرسلناك الى قومك فجئتهم بالبيّنات فكذّب الاقوام رسلهم كما كذّبك قومك [فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذينَ اَجْرَمُوا] من اقوام الرّسل فليحذر قومك من تكذيبك ومن انتقامنا، واصبر انت والمؤمنون على اذاهم فانّا ننصركم و ننتقم من المجرمين [وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنينَ] ومن كان حقّاً على الله ان ينصره على عدوّه فلايحزن من معاداة احدٍ وهو تسلية تامّة للمؤمنين وتقوية لقلوبهم وتفخيم لشأنهم من حيث انّه تعالى جعلهم

ذوى حقّ عليه ؛ عن النّبيّ (ص) : ما من امرءٍ مسلم يردّ عن عرض اخيه الّا كان حقّاً على الله ان يردّ عنه نار جهنّم يوم القيامة، ثمّ قرأ: وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين، وعن الصّادق (ع) قال: حسب المؤمن نصره ان يرى عدوّه يعمل بمعاصى الله [اَللّٰهُ الَّذى يُرْسِلُ الرِّياحَ] جملة مستأنفة فى مقام التّعليل [فَتُثيرُ سَحاباً فَيَبْسُطُهُ] الله [فِى السَّماءِ كَيْفَ يَشاءُ] سائراً وواقفاً، سريعاً وبطيئاً، غليظاً ورقيقاً، ذامطر وثلج و بردٍ وخالياً عن ذلك [وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً] قطعاً متراكمة بعد بسطه او يبسطه تارةً و يجعله كسفاً اخرى [فَتَرَى الْوَدْقَ] اى المطر [يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَاِذا اَصابَ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ] يعنى بلادهم [اِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ] بمجيء الخصب [وَاِنْ كانُوا مِنْ قَبْلِ اَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ] المطر [مِنْ قَبْلِهِ] تأكيد [لَمُبْلِسينَ] لآئسين من المطر والخصب [فَانْظُرْ اِلٰى آثارِ رَحْمَةِ اللّٰهِ كَيْفَ يُحْيِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها اِنَّ ذٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتٰى وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ] تعميم بعد التّخصيص للتّأكيد [وَلَئِنْ اَرْسَلْنا] على الزّروع وسائر النّبات و الاشجار الّتى هى آثار رحمة الله و بها احياء الارض [ريحاً فَرَاَوْهُ] اى اثر رحمة الله او السّحاب [مُصْفَرّاً] يعنى مصفّر الاوراق بالرّيح الحارّ اوخالياً من المطر [لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ] بالله و انعامه من حيث انّهم لايتفكّرون انّه تعالى رحيم بعباده ولايفعل بهم مايفعل الّا لغاية راجعةٍ اليهم وانّه ليس منه الّا الرّحمة ولكن قد تصير الرّحمة فى بعض القوابل نقمة وليست الّا من قبل القابل [فَ] هم ليسوا احياءً بالحيوة الانسانيّة ولاسامعين ولا مبصرين بالسّمع والبصر الانسانيّين و [اِنَّكَ لاتُسْمِعُ الْمَوْتٰى] عن الحيوة الانسانيّة فلاتحزن على عدم سماعهم ولا تلومنّ نفسك فى عدم هدايتهم [وَلاتُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ] يعنى انّ حيوتهم حيوة حيوانيّة وانّهم صمّ عن السّماع الانسانىّ [اِذا وَلَّوْا مُدْبِرينَ] يعنى انّ الصّمّ اذا كانوا مقبلين يمكن افهامهم بالاشارة وهؤلاء صمّ وكانوا مدبرين ولوكانوا مقبلين يفهّمهم الله كما قيل:

نى غلط گفتم كه گر كر سر نهد پيش وحى كبريا سمعش دهد

[وَما اَنْتَ بِهادِى الْعُمْىِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ اِنْ تُسْمِعُ اِلّا مَنْ يُؤْمِنُ] اى يذعن او يؤمن بالبيعة العامّة اوالخاصّة [بِآياتِنا] واعظمها الانبياء والاولياء (ع) واصل الكلّ علىّ (ع) [فَهُمْ مُسْلِمُونَ] منقادون لك اومسلمون بالبيعة الاسلاميّة اومسلمون لوصيّك [اَللّٰهُ الَّذى خَلَقَكُمْ] مستأنف فى مقام الامتنان واظهار الآيات كأنّه قال الله لاغيره الّذى خلقكم [مِنْ ضَعْفٍ] وهذا من جملة آياته فما لكم تصرفون عنه الى غيره يعنى خلقكم من مادّةٍ ضعيفةٍ فاذا انتم اقوياء خصماء، اوجعل الضّعف بمنزلة مادّته مبالغة فى ضعف مادّته، وقرئ فى الكلّ بضمّ الضّاد وفتحها والمعنى واحدٌ [ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً] فى سنّ الكهولة [وَشَيْبَةً] فى سنّ الهرم اوكليهما فى سنّ الهرم [يَخْلُقُ ما يَشاءُ] من ضعف وقوّة وشيبةٍ وشبيبةٍ وليس خلقه مايشاء غير منوطٍ بحكمة فانّه لايشاء الّا ماهو الاصلح بحال خلقه [وَهُوَ الْعَليمُ] بخلقه وما فيه صلاحهم [الْقَديرُ] على مايشاء فلايشاء الّا مايعلم انّ فيه صلاحهم [وَيَوْمَ تَقُومُ] عطف على قوله الله الّذى خلقكم ، اوحال بتقدير مبتدءٍ يعنى هذا كيفيّة خلقتهم وامتداد امدهم ويوم تقوم [السّاعَةُ] اى القيامة الصّغرى او الكبرى [يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ] منهم لغاية دهشتهم و اختلال مداركهم من وحشتهم [ما لَبِثُوا] فى الدّنيا ان كان المراد بالسّاعة ساعة الاحتضار، اوفى الدّنيا والبرازخ ان كان المراد القيامة الكبرى بعد البرازخ [غَيْرَ ساعَةٍ كَذٰلِكَ] الانصراف عن الحقّ وممّا كان معلوماً لهم مشهوداً غير غائب [كانُوا] فى

دنياهم [يُؤْفَكُونَ] عن الحق ّالـّذى هومشهود لهم من امرالآخرة وصحـّة الرّسالة وصدق الامامة و الخلافة [وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ] عطف على جملة كذلك كانوا يؤفكو ن ، والاتيان بالماضي للاشارة الى تحقـّق وقوعه، او للاشارة الى انـّه قد مضى بالنـّسبة الى مقام المخاطب الـّذى هومحمـّد (ص) والايمان اى الاذعان والانقياد، اوالمراد بالعلم العلم باحكام الرّسالة وقبولها فانـّه كثيراً يستعمل العلم فى قبول احكام الرّسالة والعلم بها تقليداً اوتحقيقاً، و بالايمان الايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الخاصّة الولويـّة وقبول الدّعوة الباطنة فيكون فى معنى قوله قال الـّذين اوتوا الاسلام بقبول الدّعوة الظّاهرة والايمان بقبول الدّعوة الباطنة، اوالمراد بالعلم العلم التـّحقيقىّ، و بالايمان الايمان الشّهودىّ الـّذين لايجتمعان الّا فى من صار خليفة لله كما عن الرّضا (ع) حين يصف الامامة فانـّه قال: فقلّدها عليّاً (ع) بامرالله عزّوجلّ على رسم ما فرض الله تعالى فصارت فى ذرّيـّته الاصفياء الـّذين آتاهم الله تعالى العلم و الايمان بقوله : وقال الّذين او توا العلم [وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ] اى مكتوب الله و هو عالم الطّبع و عالم البرازخ و البدن الطّبيعىّ والبدن البرزخىّ فانّ الكلّ كتاب الله الـّذى كتبه بيده [إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ] يعنى لبثتم من اوّل خلقتكم فى عالم الطّبع و البرازخ الى يوم القيامة الكبرى [فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ] ولايعلم امد ذلك الّا الله وانتم لغاية وحشتكم لم يبق لكم شعور بتلك المدّة الطّويلة [وَلَٰكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ] تلك المدّة ولا هذا اليوم لتحيّركم وعدم بقاء شعورلكم ،وعلى ما بيـّنا الآية لاحاجة فيها الى التـّكلّفات الـّتى ارتكبها المفسّرون [فَيَوْمَئِذٍ] هذا من جملة قول الّذين او توا العلم اوهومن قول الله [لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ] اى لاهم يسترضون فانـّه من العتبى بمعنى الرّضا، لامن العتب بمعنى الامرالكريه ، اولاهم يلامون على ان يكون من العتاب بمعنى الملامة يعنى لايلامون لاسقاطهم عن درجة الملامة [وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ] يتـّعظ به و ينذر و يُبشّر به ولكنـّهم لايتـّعظون ولاينذرون [وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ] عطف اوحال [بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ] ايـّها الرّسول (ص) والمؤمنون [إِلَّا مُبْطِلُونَ] يعنى انـّهم لغاية شقوتهم يزيد الامثال و الانذار فى عنادهم بحيث اذا رأوا آية منك دالـّة على صدقك انكروها و نسبوك الى الابطال [كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ] اى لايتـّصفون باوّل مراتب العلم فانّ من لايتـّصف باوّل مراتب العلم الـّذى هو نور يقذفه الله فى قلب من يشاء يكون مطبوعاً على قلبه وان كان مليّاً بجملة المدركات الكسبيـّة [فَاصْبِرْ] يا محمـّد (ص) على انكارهم ونسبتك الى الابطال، او فاصبر على انكارهم لخلافة خليفتك [إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ] بنصرتك و اظهار دينك على الاديان او بنصرة خليفتك و احقاق حقـّه [حَقٌّ] لايتغيـّر [وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ] اى لايحملنـّك على الجهل ولايصرفنـّك عمـّا انت عليه من الحقّ .

سُورة لقمان

مكّيّة وقيل: سوى ثلاث آيات وهى قوله: ولو انّ ما فى الارض (الى آخرهنّ)
وهى ثلاث وثلاثون آية او اربع وثلاثون

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[الٓمٓ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ هُدىً وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولٰئِكَ عَلٰى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] قد مضى فى اوّل البقرة وفى غيرها ما فيه غنية عن تفسير تلك الآيات [وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ] الاشتراء يستعمل فى المعاوضة المطلقة سواء كان العوضان من الاعيان ام غيرها، وسواء كان قريناً بصيغة خاصّة ام لا، فيصدق على بذل الاموال على الوعّاظ والقصّاص والنقّال للاسمار، وعلى بذل القوى والاستعدادات والاعمار فى الاستماع الى ما فيه حظّ النّفس والخيال دون العقل، سواء كان المسموع من القرآن والاخبار ومن الاباطيل والاسمار، ولهو الحديث عبارة عمّا يشغلك عن الله والآخرة من الاقوال اللّسانيّة والافعال الاركانيّة والاحاديث النّفسيّة سواء كان ذلك الشّاغل قرآناً وخبراً من المعصوم وعبادةً شرعيّة اوكان لغواً فى ذاته ومعصيةً فانّ فى كلّ قول وفعل جهةً عقلانيّةً وجهةً شيطانيّةً، فان كان الاستماع اوالاشتغال به من جهته العقلانيّة كان ذلك حديثاً صحيحاً عقلانيّاً، وان كان صورته صورة الاباطيل والعصيان، وان كان الاستماع اوالاشتغال به من جهته الشّيطانيّة كان ذلك لهو الحديث، وان كان صورته صورة القرآن والاخبار المعصوميّة، ومقصوده تعالى ههنا انّ القرآن وآياته هدى ورحمة للمحسنين وضلال ونقمة للمسيئين لكنّه عدل عن ذلك تنزيهاً للقرآن عن نسبة الاضلال والنّقمة اليه وتصريحاً بانّ الضّلال والنّقمة ليس الّا من قبل انفسهم فانّهم بسوء استعدادهم وصنيعهم يضلّون بالقرآن الّذى هو هداية من الله ويصير القرآن فى اسماعهم كالاسمار لهو الحديث [لِيُضِلَّ] قرئ بفتح الياء وضمّها، واللّام مثل اللّام فى ليكون لهم عدوّاً وحزناً، اوهى اللّام الدّاخلة على العلّة الغائيّة فانّ من النّاس من يشتغل بالملاهى وليس مقصوده الضّلال او الاضلال اوكان مقصوده الاهتداء لكن يضلّ ويضلّ من حيث لا يشعر، ومنهم من يشتغل لقصد الاضلال كمن يحصّل العلم لافساد الشّريعة [عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ] بالاشتراء او بغير علم بانّ الاشتراء المذكور ضلال واضلال، او بغير علم بضلاله واضلاله، او متّصفاً بغير علمٍ، وحينئذٍ يكون تنكير العلم للجنس اولفرد مّا لكن يكون مستغرقاً لوقوعه بعد غير الّذى هو فى معنى النّفى، او يكون التّنوين للتّفخيم اى بغير علم عظيم هو العلم بالولاية [وَيَتَّخِذَهَا] اى يتّخذ سبيل الله وليس سبيل الله الّا سبيل الولاية [هُزُواً أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ وَإِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلّٰى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِى

أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا] جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل بعد ما ذكر جزاء المسيئين : ما جزاء المحسنين؟- فقال: انّ الّذين آمنوا بالبيعة العامّة او بالبيعة الخاصّة [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] على وفق مااخذ عليهم فى بيعتهم ، ووضع الظّاهر موضع المضمر للفصل بين هذا الحكم و بين ذكر المحسنين، وللاشارة الى انّ المحسن ليس الّا من آمن وعملوا الصّالحات [لَهُمْ] لالغيرهم [جَنَّاتُ النَّعِيمِ خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا] بيان لعزّته و حكمته، عن الرّضا (ع) انّه قال : ثمّ عمد و لكن لاترونها ، وقد مضى هذا فى اوّل سورة الرّعد [وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ] قد مضت الآية فى اوّل سورة النّحل [وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ] اى من كلّ صنفٍ فانّ كلّ صنفٍ باعتبار مادونه و مافوقه يسمّى زوجاً اوكلّ نباتٍ باعتبار كونه برّيّاً و بستانيّاً زوجٌ [كَرِيمٍ] الكرم فى كلّ شيءٍ بحسبه وكرم النّبات باعتبار كثرة منافعه بدأ بخلق السّماوات فانّها اشرف من الارض، ثمّ بذكر خلق الارض فى ضمن القاء الرّواسى عليها، ثم بذكر خلق المواليد من الاشرف الى الاخسّ [هَذَا] المذكور من السّماوات و الارض و الجبال و المواليد [خَلْقُ اللَّهِ] اى مخلوق الله [فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ] حتّى يكونوا مستحقّين للشّراكة معه وللعبادة لهم فانّ الشّريك لابدّ وان يكون مثل الشّريك الآخر فى شيءٍ من صفاته [بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] التفات من الخطاب الى الغيبة و وضع الظّاهر موضع المضمر توصيفاً لهم بالظّلم فى اشراكهم ، و بياناً لعلّة الحكم ، ولفظ بل اضراب من تعجيزهم الى التّصريح بضلالهم [وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ] عطف على جملة خلق السّماوات فانّه لمّا عدّ اصول النّعم الّتى انعم بها على عباده ذكر الشّاكر على نعمه وعدّ شكره حكمة فانّ الحكمة هى دقّة النّظر فى القوّة العلّامة واتقان الصّنع فى القوّة العمّالة ، ولم يكن الشّكر الّا من دقّة النّظر واتقان الصّنع القلبىّ و البدنىّ فانّه كما سبق فى سورة البقرة عند قوله تعالى فاذكرونى اذكركم واشكروا لى عبارة عن ملاحظة انعام المنعم فى النّعمة وملاحظة حقّ المنعم فى الانعام المستلزم لتعظيم المنعم وصرف النّعمة لما خلقت لاجله وليس هذه الملاحظة الّا دقّة النّظر ولاذلك التّعظيم و الصّرف الّا اتقان الصّنع القلبىّ و البدنىّ و قد ذكر فى نسبه انّه كان ابن باعورا من اولاد ازدبن اخت ايّوب (ع) اوخالته عاش حتّى ادرك داود(ع) [أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ] بملاحظة حقّه وعظمته فى كلّ ماله مدخليّة فى وجودك و بقائك وهو كلّ موجود فى العالم الكبير من المحسوسات وغير المشهودات ، وفى العالم الصّغير من كلّ ماله مدخليّة فى وجودك او فى كمال وجودك ، و لفظة ان تفسيريّة و تفسير للحكمة فانّها كما تكون تفسيراً للمجمل المحذوف تكون تفسيراً للمجمل المذكور، اومصدريّة بتقدير الّلام، او تكون مع مابعدها بدلاً من الحكمة [وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ] جمله حاليّة اومعطوفة على جملة لقد آتينا لقمان (الآية) ، اوعلى الحكمة ، اوعلى ان اشكر على ان يكون ان مصدريّة ، ويكون بدلا و عليهما فليقدّر قبلهما مضاف حتّى تصير مفردة والتّقدير ان اشكر لله ومضمون من يشكر فانّما يشكر لنفسه ، اوعطف على اشكر سواء جعلت ان تفسيريّة اومصدريّة لكن بتقدير القول و التّقدير ان اشكر لله وقل لغيرك : من يشكر فانّما يشكر لنفسه لانّ نفعه عائد اليه [وَمَنْ كَفَرَ] كفران النّعم بترك ملاحظة المنعم وتعظيمه فى النّعمة وترك صرفها فى وجهها لا يضرّ الله شيئاً [فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ] عن حمد الحامدين وشكر الشّاكرين [حَمِيدٌ] بنفسه حُمد ام لم يُحمد، وفى خبرٍ شكر كلّ نعمة وان عظمت ان يحمد الله عزّوجلّ عليها ، وفى خبرٍ : و ان كان فيما انعم عليه حقّ اداّه ، وفى خبرٍ : من انعم الله عليه بنعمةٍ فعرفها بقلبه فقد أدّى

شكرها ، وفي خبرٍ اوحى الله عزّوجلّ الى موسى (ع) : يا موسى اشكرني حقّ شكري فقال : يا ربّ وكيف اشكرك حقّ شكرك وليس من شكرٍ اشكرك به الّا وانت انعمت به عليّ؟ـ قال: ياموسى الآن شكرتني حين علمت انّ ذلك منّي .

شرح في احوال لقمان

وعن الصّادق (ع) انّه سئل عن لقمان وحكمته الّتي ذكره الله عزّوجلّ فقال : اما والله ما اوتي لقمان الحكمة بحسبٍ ولامالٍ ولااهلٍ ولابسطٍ في جسمٍ ولاجمالٍ ولكنّه كان رجلاً قويّاً في امرالله مستودعاً في الله ساكتاً سكّيتاً عميق النّظر طويل الفكر حديد النّظر مستغنٍ بالعبر لم ينم نهاراً قطّ ولم يره احد من النّاس على بولٍ ولاغائطٍ ولا اغتسالٍ لشدّة تستّره وعمق نظره وتحفّظه في امره ولم يضحك من شيءٍ قطّ مخافة الاثم ، ولم يغضب قطّ ولم يمازح انساناً قطّ ، ولم يفرح بشيءٍ اتاه من امر الدّنيا ولا حزن منها على شيءٍ قطّ ، و قد نكح من النّساء و ولد له الاولاد الكثير و قدّم اكثرهم افراطاً فما بكى على موت احدٍ منهم ، ولم يمرّ برجلين يختصمان او يقتتلان الّا اصلح بينهما ، ولم يمض عنهما حتّى تحابّا (اوتحاجزا) ولم يسمع قولاً قطّ من احدٍ استحسنه الّا سأل عن تفسيره وعمّن اخذه فكان يكثر مجالسة الفقهاء والحكماء وكان يغشى القضاة والملوك و السّلاطين فيرثي للقضاة ممّا ابتلوا به ، و يرحم الملوك والسّلاطين لغرّتهم و طمأنينتهم في ذلك ، و يعتبر و يتعلّم ما يغلب به نفسه و يجاهد به هواه و يحترز به من الشّيطان ، وكان يداوي قلبه بالتّفكّر والعبر وكان لايظعن الّا فيما ينفعه ، ولاينظر الّا فيما يعنيه ، فبذلك اوتي الحكمة و منح العصمة وانّ الله تبارك وتعالى امرطوائف من الملائكة حين انتصف النّهار وهدأت العيون بالقائلة فنادوا لقمان حيث يسمع ولايراهم، فقالوا : يالقمان هل لك ان يجعلك الله خليفةً في الارض تحكم بين النّاس ؟ـ فقال لقمان: ان امرني ربّي بذلك فالسّمع والطّاعة لانّه ان فعل بي ذلك اعانني عليه وعلّمني وعصمني، وان هوخيّرني قبلت العافية ، فقالت الملائكة : يالقمان لم قلت ذلك؟ـ قال: لانّ الحكم بين النّاس باشدّ المنازل من الدّين واكثرفتناً و بلاءً ومايخذل ولايعان و يغشاه الظّلم من كلّ مكانٍ وصاحبه منه بين امرين، ان اصاب فيه الحقّ فبالحريّ ان يسلم ، وان اخطأ أخطأ طريق الجنّة ، ومن يكن في الدّنيا ذليلاً ضعيفاً كان اهون عليه في المعاد من ان يكون فيه حكماً سريّاً شريفاً ، و من اختار الدّنيا على الآخرة يخسرهما كلتيهما تزول هذه ولا يدرك تلك ، قال: فعجبت الملائكة من حكمته واستحسن الرّحمن منطقه، فلمّا امسى واخذ مضجعه من اللّيل انزل الله عليه الحكمة فغشّاه بها من قرنه الى قدمه وهونائم وغطّاه بالحكمة غطاءً فاستيقظ وهواحكم النّاس في زمانه ، وخرج على النّاس ينطق بالحكمة و يبثّها فيهم قال: فلمّا اوتي الحكم بالخلافة ولم يقبلها امر الله عزّوجلّ الملائكة فنادت داود (ع) بالخلافة فقبلها ولم يشترط فيها بشرط لقمان (ع) فأعطاه الله عزّوجلّ الخلافة في الارض وابتلى فيها غير مرّة كلّ ذلك يهوى في الخطاء و يقيله الله تعالى و يغفر له، وكان لقمان يكثرزيارة داود (ع) و يعظه بمواعظه وحكمته وفضل علمه، وكان داود يقول له : طوبى لك يالقمان اوتيت الحكمة وصرفت عنك البليّة ، واعطى داود الخلافة وابتلى بالحكم والفتنة، ولمّا كان الحكمة لاتحصل الّا بمعرفة امام الزّمان فسّرها الصّادق (ع) بمعرفة امام زمانه ، و لمّا كانت لا تحصل بحسب جزءها العلميّ الّا بالفهم والعقل فسّرها الكاظم (ع) بالفهم والعقل، وقد ذكر من حكم لقمان ووصاياه لابنه وغيره في المفصّلات من اراد فليرجع اليها [وَاِذْ قَالَ] عطف على قوله تعالى لقد آتينا فانّه في معنى اذكر اذ آتينا لقمان الحكمة و اذقال [لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَاتُشْرِكْ بِاللهِ] قدّم من مواعظه و آثار حكمته النّهي عن الاشراك لانّ التّوحيد اصل جملة المواعظ و اساس جميع انواع الحكم [اِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ] لانّه لايغفره الله و يغفر مادون ذلك فانّ ظلم العبد لنفسه بتقصيره في حقوق الله يغفره الله ، وظلمه لغيره في ماله او بدنه اوعرضه لايدعه الله لكن ليس لايغفره الله فانّه بعد المقاصّة مغفور بخلاف الشّرك فانّه ناشٍ من انانيّة النّفس ومادام للنّفس انانيّة لايغفرها الله، فاعظم اقسام الظّلم هذا القسم [وَوَصَّيْنَا الْاِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ] يعني وصّيناه بالاحسان اليهما فانّ هذه العبارة مستعملة

فى هذا المعنى وقد مضى فى سورة البقرة و سورة النّساء عند قوله و بالوالدين احساناً بيان الوالدين و الاحسان اليهما و اقسامهما [حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً] حمل ضعف اوواهنة [عَلىٰ وَهْنٍ] فانّه كلّما يمضى من زمان حمل الولد يحصل وهن آخر [وَفِصالُهُ فِي عامَيْنِ] اى فى انقضاء عامين على الاغلب وعلى ماينبغى ان يفطم والجملتان معترضتان جواب لسؤالٍ مقدّرٍ فى مقام التّعليل كما انّ مجموع قوله تعالى و وصّينا الانسان (الى قوله) يابنىّ انّها ان تك (الآية) كان معترضاً للاشعار بالاهتمام بأمر الوالدين كالاهتمام بامر التّوحيد كما مضى فى السّورتين المذكورتين انّه تعالى لكمال الاهتمام بامر الوالدين قرنهما بتوحيده و بالنّهى عن اشراكه فى عدّة مواضع [أَنِ اشْكُرْ لِي] ان تفسيريّة او مصدريّة و بدل مع ما بعدها عن الوالدين بدل الاشتمال [وَلِوالِدَيْكَ] و لكمال الاهتمام بالوالدين ذكر شكر الوالدين قريناً لشكره [إِلَيَّ الْمَصِيرُ] فى مقام التّعليل ولم يقل ان اشكر لى واشكر لوالديك لئلّا يتوهّم انّ شكر الوالدين امر مغاير لشكر الله بل شكر الله ليس الّا شكر الوالدين كما عن الرّضا (ع) فانّه قال امر بالشّكر له و للوالدين فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله **اقول** : وليس ذلك الّا من جهة كون شكر الله مندرجاً فى شكر الوالدين [وَإِنْ جاهَداكَ عَلىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما] لمّا كان الوالدان التّكوينيّان كما مضى فى سورة البقرة والنّساء بحسب كلّ مرتبة من مراتب وجود الانسان وكلّ شأنٍ من شؤنه غير الوالدين بحسب المرتبة الاخرى و الشّأن الآخر وهكذا بحسب التّكليف والاختيار كان الشّيطان والنّفس والديه كما انّ العقل والنّفس ومحمّداً (ص) وعليّاً (ع) كانا والديه، فكما يجوز ان يكون المراد بالوالدين الوالدين الجسمانيّين يجوز ان يراد بهما الوالدان الرّوحانيّان، وكما يجوز ان يراد الوالدان التّكوينيّان يجوز ان يراد التّكليفيّان فجاز ان يراد بالوالدين فى قوله و وصّينا الانسان بوالديه الجسمانيّان والرّوحانيّان، و بالضّمير فى قوله و ان جاهداك الجسمانيّان اوالرّوحانيّان اللّذان هما والداه بحسب مقام جهله تكويناً او تكليفاً بطريق الاستخدام ، وقد ورد اخبار كثيرة دالّة على انّ محمّداً (ص) وعليّاً (ع) افضل آباء هذه الامّة وانّ حقّهما اعظم من حقّ آبائهم الجسمانيّين، وانّ من ارضاهما ارضى الله والديه الجسمانيّين، فعن جعفر بن محمّد (ع) : من رعى حقّ ابويه الافضل محمّدٍ (ص) وعلىٍّ (ع) لم يضرّه ماضاع من حقّ ابوى نفسه وسائر عباد الله فانّهما يرضيانهما بشفاعتهما، وعن علىّ بن محمّدٍ (ع) : من لم يكن والدا دينه محمّد (ص) وعلىّ (ع) اكرم عليه من والدى نسبه فليس من الله فى حلٍّ ولا حرامٍ ولا قليلٍ ولا كثيرٍ، وعن امير المؤمنين (ع) انّه قال : الوالدان اللّذان اوجب الله لهما الشّكر هما اللّذان ولّدا العلم و ورّثا الحكم ، وامر النّاس بطاعتهما ثمّ قال : الىّ المصير فمصير العباد الى الله و الدّليل على ذلك الوالدان ثمّ عطف على ابن حنتمة[1] وصاحبه فقال فى الخاصّ و العامّ : و ان جاهداك ان تشرك بى يقول فى الوصيّة و تعدل عمّن امرت بطاعته فلاتطعهما ولاتسمع قولهما ، ثمّ عطف القول على الوالدين فقال : وصاحبهما فى الدّنيا معروفاً، يقول عرّف النّاس فضلهما وادع الى سبيلهما و ذلك قوله و اتّبع سبيل من اناب الىّ ثمّ الىّ مرجعكم قال الى الله ثمّ الينا فاتّقوا الله ولاتعصوا الوالدين فانّ رضاهما رضا الله وسخطهما سخط الله ، وقد ورد اخبار كثيرة فى حفظ حقّ الوالدين الجسمانيّين ايضاً وطاعتهما والتّرحّم عليهما والدّعاء لهما وان كانا لايعرفان الحقّ، روى انّه جاء رجل الى النّبىّ (ص) فقال : اوصنى، فقال (ص) : لاتشرك بالله شيئاً وان حرّقت بالنّار الّا وقلبك مطمئنّ بالايمان ووالديك فأطعهما و برّهما حيّين كانا او ميّتين وان امراك ان تخرج من اهلك ومالك فافعل فانّ ذلك من الايمان، وعن الصّادق (ع) : برّ الوالدين واجب و ان كانا مشركين ولا طاعة لهما فى معصية الخالق ولا لغيرهما فانّه لا طاعة لمخلوقٍ فى معصية الخالق

(١) حنتمة بالحاء المهملة والنون والتاء المثناة الفوقانية هى بنت ذى الرمحين امّ عمر.

[وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا] صحاباً معروفاً يعرفه العقلاء بالحسن ، والمعروف بالنّسبة الى انواع الوالدين يختلف فانّ المعروف بالنّسبة الى محمّد (ص) وعليّ (ع) ان لاتخالف قولهما لافي الظّاهر ولافي الباطن وان تطيعهما في كلّ ماامراك به ، وان تحبّهما وتبايع معهما ، وترابط معهما المرابطة القلبيّة بان تكون متوجّهاً اليهما ومتذكّراً لهما ومصوّراً لصورتهما في كلّ حال ، والمعروف بالنّسبة الى والديك الجسمانيّين لايخفى على احد [وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ] يعني لايكن صحابتك المعروفة مخرجة لك من طريق الولاية وصارفة لك من توجّهك الى طريق قلبك فانّ الاهتمام بشأن الوالدين ليس الّا لسلامة البقاء على طريق القلب وطريق الولاية فلايكن اهتمامك بالوالدين مخرجاً لك عن الولاية [ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ] ضمير انّها للقصّة اوللاشراك والتّأنيث باعتبار الخبر الّذى هومثقال حبّة فانّ المثقال بصحّة سقوطه يكسب التّأنيث من المضاف اليه، او باعتبار الخصلة كأنّه قال: انّ خصلة الاشراك، وقيل: انّ الضّمير للعمل سيّئة كان اوحسنة باعتبار الخصلة ، وقرئ مثقال بالرّفع بجعل الضّمير للقصّة وكون كان تامّة [فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ] يعني تكن في جوف اصلب الاشياء [أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ] يعني في ابعد الاماكن [أَوْ فِي الْأَرْضِ] اى في اقرب الاماكن اليكم [يَأْتِ بِهَا اللَّهُ] يحضرها ويحاسب عليها،قيل: انّ ابن لقمان سئل فقال: أرأيت الحبّة تكون في مقل البحر ايعلمها الله؟ـ فقال: انّها اى الحبّة الّتى سألتها ان تك مثقال حبّة (الآية) ،وقيل: انّ المراد انّ الرّزق ان كانت مثقال حبّة من خردل يأتيك بها الله [إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ] في علمه وعمله فيعلم مثقال حبّة من خردل وان كانت في اخفى الاماكن واصلبها او ابعدها او اقربها ويقدر على الاتيان بها من تلك الاماكن لدقّته في عمله [خَبِيرٌ] ويجوز ان يكون المراد باللّطيف لطفه في عمله ، وبالخبير لطفه في علمه ، وعن الصّادق والباقر(ع) : اتّقوا المحقّرات من الذّنوب فانّ لها طالباً لا يقولنّ احدكم اذنب واستغفر الله انّ الله يقول : ان تك مثقال حبّة من خردل (الآية) [يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ] قدمضى في اوّل البقرة وفي سورة النّساء عند قوله لاتقربوا الصّلوة وانتم سكارى بيان تامّ لاقسام الصّلوة واقامتها [وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ] قدمضى في سورة البقرة عند قوله اتأمرون النّاس بالبرّ وتنسون انفسكم بيان للامر بالمعروف والنّهي عن المنكر [وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ] من البلايا او المشقّة والاذى في الامر بالمعروف والنّهي عن المنكر [إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ] ممّا ينبغي ان يعزم عليه لكونه فرضاً من الله اوفرضاً تكوينيّاً للنّفس الانسانيّة وللاهتمام بهذه الامور اتى بقوله : انّ ذلك من عزم الامور بين المتعاطفات [وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ] لا تمل خدّك عنهم في المعاشرة معهم ولاتعرض عمّن يكلّمك استخفافاً به ، وقيل: المعنى لاتذلّ للنّاس طمعاً فيما عندهم [وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا] المرح شدّة الفرح اى تكبّر عنهم فرحاً بما عندك [إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ] الاختيال والفخر متقاربا المفهوم فانّهما خصلتان ناشئتان من ملاحظة النّفس وانانيّتها والفرح بها ، وملاحظة الغير وتحقيره في جنب نفسه لكن في الاختيال ملاحظة النّفس غالبة ، وفي الفخر ملاحظة الغير وتحقيره غالبة [وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ] يعني عن الاسراع فانّ المقصود التّوسّط بين الاختيال الظّاهر بالتّأنّي في المشي وبين خفّة النّفس وعدم وقارها الظّاهر بالاسراع في المشي [وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ] اى انقص من صوتك ولاترفعه قدرمايمكن لك رفعه فالمقصود التّوسّط بين الخفض بحيث لا يسمعه من اردت اسماعه ولايزيد على قدر اسماعه [إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ]

اشدّها زجراً [لَصَوْتُ الْحَمِيرِ] عن الصّادق(ع) انّه قال: هى العطسة القبيحة و الرّجل يرفع صوته بالحديث رفعاً قبيحاً الّا ان يكون داعياً او يقرأ القرآن وقداقتصرتعالى شأنه من حكاية مواعظه على ماهواصل اصول الدّين وهى الاشراك بالله اوالاشراك بالنّبوّة اوالولاية وعلى ماهواصل اصول الاعمال الشّرعيّة من اقامة الصّلوة والامر بالمعروف والنّهى عن المنكروالصّبرعليهااوعلى البلايا،لكنّ المقصودالصّبرعلى الصّلوةومابعدهاحتّى يمكن عدّه من جانب الاعمال الشّرعيّة القالبيّة لانّ الصّبرعلى البلايا معدود من الاخلاق النّفسيّة وعلى ماهواصل اصول آداب المعاشرة وقد ذكرنا قبيل هذا انّ مانقل من مواعظه كثيرة من ارادفليرجع الى المفصّلات [اَلَمْ تَرَوْا] جوابٌ لسؤال مقدّرٍ ناش من قوله لقد آتينالقمان الحكمة كأنّه قيل: لقد آتيت لقمان الحكمة فمالنالم نؤت الحكمة ؟ـ فقال تعالى: قدآتيناكم اسباب حصول الحكمة فيكم من مداركم الظّاهرة ومدارككم الباطنة وتسخير جميع ما فى السّماوات وجميع ما فى الارض لكم بحيث يمكن لكم الاستدلال بهاعلى مبدءٍ عليمٍ قديرٍ حكيمٍ مريدٍ رحيمٍ رؤفٍ لطيفٍ فى علمه وعمله متقنٍ لصنعه ، وعلى انّ الانسان اشرف الموجودات ، وانّ الكلّ مخلوق لاجل بقائه وانتفاعه ، وان ليس المقصود منه تعمير هذه الدّار الفانية والّا كان مثل سائر المواليد موجوداً لاجل غيره، وانّه ينبغى له ان لايتوقّف على تعيّش هذا العالم بل لابدّان يجعل تعيّشه فى الدّنيا مقدّمة للآخرة ، وانّ كلّ ما لم يكن مقدّمة للآخرة من جهات هذا العالم فهوفان غير باقٍ لا ينبغى للعاقل ان يتوسّل به ويتوقّف عليه و ليس الحكمة الّا هذا فان لم تتفكّروا ولم تتّصفوا بها كان من قبلكم [اَنَّ اللّٰهَ سَخَّرَلَكُمْ مٰا فِى السَّمٰوٰاتِ] من الكواكب و الملائكة الموكّلة بالسّماوات وكواكبها بحيث لم يتوانوا آناً ما من تحريك الاجسام الّتى بها و بتحريكها يتولّد المواليد وتبقى [وَمٰا فِى الْاَرْضِ] من الدّوابّ و النّبات و المعادن بحيث لايتأبّى من تصرّفكم باىّ تصرّف شئتم فمافى السّماوات مسخّر لله لاجل انتفاعكم ومافى الارض مسخّر لله ولكم لاجل انتفاعكم [وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظٰاهِرَةً وَبٰاطِنَةً] النّعم الظّاهرة كلّ ملائمٍ لك له تعلّق بظاهرك المحسوس من المأكول والمشروب والملبوس والمسكن والمركوب والمنكوح والعزّ والعرض والحشمة والصّيت والمدارك الظّاهرة والاعضاء وغير ذلك، وأشرف الكلّ ما له تعلّق بظاهرك ومع ذلك يكون جالباً للنّعم الباقية الاخرويّة من الرّسول ورسالته وقبول رسالته بالبيعة العامّة والدّعوة الظّاهرة واحكام رسالته والعمل بها، والنّعم الباطنة ما له تعلّق بباطنك من المدارك الباطنة والادراكات الدّقيقة بالتّفكّرات الدّقيقة والنّفس والقلب والعقل والاستعداد للخروج من هذه الدّار، واشرف الكلّ الولىّ(ع) وولايته وقبول ولايته بالبيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة واحكام الولاية ، وقداشير الى ذلك فى الاخبار فعن الباقر(ع) امّا النّعمة الظّاهرة فالنّبىّ(ص) وماجاءبه من معرفة الله وتوحيده وامّا النّعمة الباطنة فولايتنا اهل البيت (ع) و عقد مودّتنا ، وعن الكاظم (ع) : النّعمة الظّاهرة الامام الظّاهر والباطنة الامام الغائب ، وكأنّه كان اشارة الى الفكر المصطلح للصّوفيّة من ظهور ملكوت ولىّ الامر على صدر السّالك [وَمِنَ النّٰاسِ مَنْ يُجٰادِلُ فِى اللّٰهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاٰ هُدىً وَلاٰ كِتٰابٍ مُنِيرٍ] قد مضى الآية بتمام اجزائها فى سورة الحجّ [وَاِذٰا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مٰا اَنْزَلَ اللّٰهُ] اعرضوا و [قٰالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مٰا وَجَدْنٰا عَلَيْهِ اٰبٰاءَنٰا] كما كان عليه اهل كلّ زمان فانّه اذا قيل لهم: اتّبعوا ولىّ امركم وعالم وقتكم يقولون: نحن على ما كان عليه اسلافنا [اَوَلَوْ كٰانَ الشَّيْطٰانُ يَدْعُوهُمْ اِلٰى عَذٰابِ السَّعِيرِ] يعنى لاينبغى التّقليد لمن لم يكن حاله معلوماً لك بل ينبغى ان يكون الانسان مقلّداً لعالمٍ حىٍّ قد ميّز حاله وعلم انّه مجاز من المعصوم بواسطةٍ او بلاواسطةٍ ولااقلّ من العلم بانّه يفعل مايقول ويقول مايفعل ، ولايكون كالمدّعين الّذين يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم [وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ اِلَى اللّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقٰى]

قد مضى اوّل الآية فى سورة النّساء مع تفصيلٍ وتحقيقٍ فى بيانها وآخرها فى سورة البقرة [وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ] يعنى عاقبة جملة الامور ينتهى الى الله بمعنى انّ ايجاد الاملاك والافلاك والعناصر ليس الّا لايجاد المواليد، وجميع الحركات الاراديّة والطّبيعيّة و سكناتها و جميع المواليد ليست الّا لايجاد الانسان وقد خلقه الله لاجل نفسه ، اوالمعنى كلّ امرٍ ينتهى عاقبته الى الله بمعنى انّ كلّ فعل غايته ينتهى الى امرٍ ليس هومقصوداً بذاته بل هومقصود لاجل الغير الى ان ينتهى الى غاية الغايات و نهاية النّهايات ، اوالمعنى ينتهى عاقبة كلّ الامور الى الله فى النّظر واللّحاظ بمعنى انّ النّاظر اذا نظر الى امروجده صادراً عن فاعل، واذا نظر الى ذلك الفاعل وجده مسخّراً لغيره فى ذلك الفعل، وهكذا الى ان ينتهى الى المسخّر الحقيقىّ الّذى هوالله فيكون فاعل كلّ امرهوالله لكنّه يكون فى هذا اللّحاظ عاقبة جملة الفواعل [وَمَنْ كَفَرَ] يعنى بالولاية فانّ اسلام الوجه لله ليس الّا بالولاية فالكفر المقابل لاسلام الوجه لله لايكون الّا بالكفر بالولاية بترك البيعة مع ولىّ الامر او انكاره يعنى من كفر بعلىّ (ع) [فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ] فانّه لا يضرّك ولا يضرّ عليّاً (ع) ولا يفوتنا لانّه [إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا] لانّا عالمون بدقائق اعمالهم وخفاياها [إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ] اى المكمونات الّتى فى الصّدور من القصود والنّيّات اومن الاستعدادات الّتى لا شعور لصاحبيها بها فكيف بأعمالهم ودقائق اعمالهم وخفاياها [نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ان كان الله عالماً باعمالهم فمالنا نراهم متمتّعين بانواع النّعم معافين من انواع البلاء ؟ ـ فقال نمتّعهم قليلاً حتّى نأخذ بذلك التّمتّع ما اعطيناهم و ما بقى فيهم من بقيّة الله حتّى يخلصوا للنّار [ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ] لانّه لاجواب لهم سواه يعنى ان سألت مشركى مكّة والّا فالزّنادقة ومنكروا المبدء لايقولون ذلك [قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ] الّذى لاينكره ولاينكر خلقه لظهوره وظهور برهانه من اشرك به، اوالمعنى ان سألت الخلق طرّاً من خلق السّماوات والارض قالوا كلّاً بلسان حالهم النّاطق تكويناً : انّ الله خالقهما وان لم يكن لهم شعور بهذا اللّسان ونطقه لكنّك لفتح مسامعك الاخرويّة لسماع الكلمات التّكوينيّة تسمع نطقهم بذلك وشهادتهم فقل الحمدلله على شهادة الكلّ بذلك وعلى فتح مسامعى الاخرويّة لتلك الشّهادة ، وفى الاخبار اشارة الى هذا المعنى فعن رسول الله (ص) كلّ مولود يولد على الفطرة يعنى على المعرفة بانّ الله عزّ وجلّ خالقه فذلك قول الله عزّ وجلّ ولئن سألتهم [بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] لا علم لهم بل ادراكاتهم ليست الّا جهالات، اولا يعلمون انّ السنتهم ناطقة بذلك لعدم شعورهم بألسنتهم التّكوينيّة الاستعداديّة [لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل : هذا حال السّماوات والارض فماحال ما فى السموات والارض؟ [إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ] استيناف فى مقام التّعليل اوجواب لسؤالٍ آخر عن حاله كأنّه قيل: اله حاجة اليها؟ فخلقها لحاجته؟ ـ فقال: انّ الله هو الغنىّ لاغنىّ سواه فلايكون له جهة حاجةٍ [الْحَمِيدُ] الّذى لاحميد سواه بمعنى انّ كلّ ما يتصوّر ان يكون له من صفات الكمال كان حاصلاً له وكلّما ما يتصوّر ان يكون متّصفاً به من سلوب النّقائص كان متّصفاً به فلايتصوّر جهة حاجة لمثل هذا [وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ] جملة حاليّة او معطوفة لتأكيد هذا المعنى [مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ] قد مضى بيان هذه الآية فى آخر سورة الكهف فلانعيده [إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ] فى مقام التّعليل يعنى انّه عزيز وعزّته مانعة من ان تعدّ مقاماته او تُنفد كلماته جملةُ مراتب الاعداد وجملة السّائلات الّتى يصحّ ان تكون مداداً، والنّباتات الّتى يصحّ ان تكون اقلاماً فانّه لوغلب شيء على مقاماته اوكلماته كانت متناهية وكلّما كان متناهياً كان فانياً غير غالبٍ [حَكِيمٌ]

لا يخرج تلك الكلمات الغير المتناهية الّا بقدر استعداد موادّها واستحقاق اعيانها الثّابتة [مٰا خَلْقُكُمْ] جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: ان كانت الكلمات غير متناهية فكيف يحاسب الله تعالى كلّها فى يوم واحدٍ؟- فقال: ماخلقكم جميعاً [وَلٰا بَعْثُكُمْ إِلّٰا كَنَفْسٍ وٰاحِدَةٍ] اى كخلق نفس واحدة و بعثها، وقيل: بلغنا والله اعلم انّهم قالوا: يا محمّد (ص) خلقنا اطواراً نطفاً ثمّ علقاً ثمّ انشأنا خلقاً آخر كما تزعم وتزعم انّا نبعث فى ساعة واحدة: فقال الله: ما خلقكم ولا بعثكم الّا كنفس واحدة انّما يقول له كن فيكون [إِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ] جواب سؤال مقدّر فى مقام التّعليل يعنى انّه سميع لكلّ مسموع ، بصير لكلّ مبصر ؛ فانّ حذف المفعول ليس الّا للتّعميم و من كان كذلك كان لا يشغله شأن عن شأن فلا يمنعه خلق نفس ولا بعثها عن خلق اخرى و بعثها [أَلَمْ تَرَ] الخطاب عامّ اوخاصّ بمحمّد (ص) والجملة جواب لسؤال آخر مقدّر فى مقام التّعليل للجملة الاولى او لقوله : انّ الله سميع بصير [أَنَّ اللّٰهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهٰارِ وَيُولِجُ النَّهٰارَ فِي اللَّيْلِ] قد مضى بيان ايلاج اللّيل والنّهار فى آل عمران [وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي] جملة حاليّة او مستأنفة لبيان حالهما [إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى] يعنى كلّ يجرى دورة الفلك الى وقت معيّن مضبوط بحيث يستخرج المستخرجون دوراتهما ومدّة دوراتهما سنين قبل وقوعها ولا يقع تخلّف فى استخراجهم ، او المعنى كلّ يجرى الى اجل مسمّى عندالله وهو وقت خراب الدّنيا وطىّ السّماء كطىّ السّجلّ للكتب [وَأَنَّ اللّٰهَ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ] و ليس هذا الّا لانّ الله لا يشغله شأنٌ عن شأنٍ ولا وصفٌ عن وصفٍ ولا علمٌ عن علمٍ [ذٰلِكَ] العلم بكلّ شيءٍ و ايلاج اللّيل فى النّهار و النّهار فى اللّيل و تسخير الكواكب [بِأَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ] بحقيقة الحقّيّة فانّ الحقّ بحقيقة الحقّيّة كما يقتضى الوجوب الذّاتىّ يقتضى الاحاطة بجميع الاشياء و العلم بالكلّ على السّواء وعدم ممانعة شأنٍ من شأنٍ وعلم من علم [وَأَنَّ مٰا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ] من الشّركاء من الاصنام و الكواكب وغيرها او من شركاء علىّ (ع) فى الولاية هو [الْبٰاطِلُ] فانّه لوكان شوب حقّيّةٍ فيها لزاحمته تعالى فى شؤنه وفى علومه ، او ذلك المذكور من الجدال بغير علمٍ الى قوله: انّ الله خبيرٌ بما تعملون بانّ الله هو الحقّ وانّ ما يدعون من دونه الباطل [وَأَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ] كعلوّ النّفس بالنّسبة الى قواها واعضائها وككبرها كذلك فلذلك يكون خبرته بالكلّ على السّواء و تصرّفه فى الكلّ سواء [أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللّٰهِ] جواب لسؤال مقدّر فى مقام التّعليل لعلوّه وكبره يعنى انّك يا محمّد (ص) ترى ببصيرتك انّ الفلك تجرى على الماء بتسبيبات رقيقةٍ كان الطّبيعيّون عمياناً منها وينسبون جريها الى الاسباب الطّبيعيّة غفلة عن الاسباب الآلهيّة ، او الخطاب عامّ و المعنى ينبغى ان ترى يا من يمكن منه الرّؤية [لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيٰاتِهِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِكُلِّ صَبّٰارٍ] على النّظر الى انعام الله و التّوجّه الى تسبيب الله فانّ غيره لا يدرك من آياتها شيئاً [شَكُورٍ] ناظر الى انعام الله و تعظيمه فى انعامه والمراد بالصّبّار الشّكور هو المؤمن الّذى ليس ساهياً عن صلوته فانّ فى الخبر: الايمان نصفان نصفٌ صبرٌ ونصفٌ شكرٌ، وقيل: المراد راكب البحر فانّه بين خوفٍ و رجاءٍ وصبرٍ وشكرٍ [وَإِذٰا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ] من البحر [كَالظُّلَلِ] مرتفعاً فوق رؤسهم [دَعَوُا اللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ] اى طريق الدّعاء او الطّاعة اوالطّريق مطلقاً، وقد تكرّر فيما سلف انّه اذا ارتفع مانع الفطرة من الخيال وحيله خلص الانسانيّة لربّه وخلص الطّريق الى الله من الطّرق الشّيطانيّة [فَلَمّٰا نَجّٰاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ] اى منهم من يبقى على خلوصه ومنهم من يعود اليه خياله وحيله و يجحد آيات ربّه [وَمٰا يَجْحَدُ

بـاٰيٰاتِناٰ اِلّاٰ كُلُّ خَتّاٰرٍ] اى غدّار فانّ الختر الغدر او اقبحه و الخديعة [كَفُورٌ] كثيرالسّتر للطّريق اى الولاية وهى طريق القلب الى الله اوكفور للنّعم [ياٰاَيُّهَاالنّاٰسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاٰيَجْزِى واٰلِدٌعَنْ وَلَدِهِ] قرئ يجزى من الثّلاثىّ المجرّد بمعنى لايقضى ، ومن باب الافعال بمعنى لايكفى [وَلاٰ مَوْلُودٌهُوَجاٰزٍ] اى مولود شأنه ان يكون جازياً عن ابيه وعن اقر بائه [عَنْ واٰلِدِهِ شَيْئًااِنَّ وَعْدَاللّٰهِ] باتيان القيامة و نشرالكتاب و الحساب و المجازاة فيها [حَقٌّ] لاشوب كذب فيه [فَلاٰتَغُرَّنَّكُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْياٰ] عن آخرتكم واليوم الموعود لكم حتّى تغفلوا عنه وعن العمل له [وَلاٰيَغُرَّنَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ] اى الشّيطان بأن طوّل آمالكم و ارجاكم التّوبة عند الموت و اجرأكم على معاصى الله وجمع الدّنيا من الحلّ والحرام [اِنَّ اللّٰهَ] لاغيره [عِنْدَهُ عِلْمُ السّاٰعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ ماٰ فِى الْاَرْحاٰمِ وَماٰ تَدْرى نَفْسٌ ماٰذاٰ تَكْسِبُ غَدًا وَماٰتَدْرى نَفْسٌ بِاَىِّ اَرْضٍ تَمُوتُ] عن الصّادق (ع) هذه الخمسة اشياء لم يطّلع عليها ملكٌ مقرّب ولانبىّ مرسل وهى من صفات الله تعالى ، وفى نهج البلاغة فهذا هو علم الغيب الّذى لايعلمه أحداً الّا الله ، وقيل : انّ الحارث بن عمرو اتى رسول الله (ص) فقال : متى قيام السّاعة؟ وانّى قدالقيت حبّاً فى الارض فمتى السّماء تمطر؟ وحمل امرأتى ذكرٌ ام انثى؟ وماعمل غداً؟ و اين اموت؟ فنزلت هذه الآية.

اعلم ، انّ فى الاخبار دلالة على انحصار علم هذه الاشياء الخمسة فى الله واستدلّوا على الانحصار بهذه الآية وقد بلغ الينا انّ الانبياء واوصياءهم (ع) و بعض اتباعهم كانوا يخبرون ببعض هذه الخمسة ، وظاهر هذه الآية لاتدلّ على ثبوت العلم لله تعالى فى موت الانفس ومحلّ موتها فضلاً عن الدّلالة على حصر العلم به فيه تعالى فنقول : قد فسّرت السّاعة بساعة الموت و الاحتضار ، وهى القيامة الصّغرى ، و بساعة ظهور القائم (ع) و بالقيامة الكبرى ، و انّ السّاعة من السّوع بمعنى الضّياع والهلاك ، وكلّ ذلك فيه معنى الضّياع لضياع التّعيّنات عند الموت وعند ظهور القائم (ع) وعند القيامة الكبرى ، امّا ساعة الموت فقد كانوا يخبرون عنها بل الحذّاق من الاطبّاء كانوا يخبرون عنها ، وامّا ظهور القائم (ع) فانّه ملازم للموت الاختيارىّ اوالاضطرارىّ لانّه من يمت يره و يظهر القائم (ع) ايضاً عندالقيامة الكبرى ، والقيامه الكبرى لايعلمها النّبىّ والوصىّ والمؤمن من حيث نبوّته ووصايته وايمانه ، ولكن لمّا كان للآلهة درجاتٌ والكاملون بعد الخروج من جهة خلقيّتهم يسيرون فى الجهة الحقّيّة و درجات الآلهة حتّى يقفوا بعد الكمال على الاعراف ، والاعراف مقام القيامة الكبرى ، لم يكن استبعاد فى علمهم بساعة القيامة الكبرى للعباد من حيثيّة الآلهة لا من الحيثيّة الخلقيّة وتنزيل الغيث والعلم بوقت نزوله ومكانه وقدره قد يجيء من الانبياء واوصيائهم (ع) واتباعهم لكن لامن الحيثيّة الخلقيّة بل من حيثيّة الآلهة ، وهكذا الحال فى البواقى ، فالعلم بهذه الخمسة و بكلّ ماغاب عن المدارك البشريّة ليس الّا لله سواء كان العلم بها فى المظاهر الآلهيّة او فى مقام المشيّة او فى مقام الاحديّة ، و نسب الى الائمّة انّهم قالوا : انّ هذه الاشياء الخمسة لايعلمها على التّفصيل والتّحقيق الّا الله ، وامّا دلالة الآية على علمه تعالى وحصر العلم بها فيه تعالى فنقول : تقديم المسند اليه و تقديم الظّرف فى قوله : انّ الله عنده علم السّاعة يدلّ على الحصر ، وعطف ينزّل الغيث على المسند يدلّ على حصر تنزيل الغيث ، وتنزيل الغيث مستلزم للعلم به ، والعدول عن علم تنزيل الغيث للاشارة الى حصر تنزيل الغيث مع الاشارة الى العلم به وقوله [اِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ] مع قوله : ماتدرى نفس يدلّ على حصر العلم بموت الانفس ومحلّ موتها فيه تعالى .

سورة السّجدة

وسمّيت سجدة لقمان لئلاّ يلتبس بحم السّجدة وهى ثلاثون آيةً مكّيّةٌ سوى ثلاث آياتٍ قوله تعالى: افمن كان مؤمناً (الى تمام الثّلاث).

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[الٓمٓ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ] قد مضى فى اوّل البقرة وفى غيرها ما به الغنية عن بيان الآية ههنا [اَمْ يَقُولُونَ افْتَرٰيهُ بَلْ هُوَ] اى الكتاب او تنزيل الكتاب [الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا اَتٰيهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ] لكونهم فى زمان الفترة وخمود آثار الرّسالة وخمود اوصياء الرّسل (ع) فيه [لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ] الى الولاية الّتى هى طريق الآخرة [اَللّٰهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ اَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ] قد مضى الآية فى سورة الاعراف [مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ] الشّفيع بمنزلة النّصير وقد تكرّر بيانه فى ما مضى [اَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ يُدَبِّرُ الْاَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ اِلَى الْاَرْضِ] اى ينزّل الامر مع ملاحظة حسن دبره وعاقبته من سماء الارواح الى اراضى الاشباح على استمرارٍ [ثُمَّ يَعْرُجُ] الامر من الارض [اِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ اَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ].

اعلم، انّ ايّام الآخرة ليست فى عرض ايّام الزّمان بل هى فى طولها بمعنى انّ ايّام الدّنيا قوالب لايّام الآخرة وهى بمنزلة الارواح لايّام الدّنيا، وكلّ مرتبة من مراتب الآخرة سعتها و احاطتها بالنّسبة الى مراتب الدّنيا مضاعفة، فكلّ يوم من ايّام الآخرة بالنّسبة الى يوم من ايّام الدّنيا يضاعف سعته بعشرٍ و مائةٍ و الفٍ وعشرة آلاف الى خمسين الفاً هذا بالنّسبة الى ايّام الدّهر، وامّا ايّام السّرمد فلا تحدّ بشيءٍ لعدم نهايتها وتحدّدها، وقد مضى شطرٌ من تحقيق هذا المطلب فى اوّل بنى اسرائيل، والمراد بالامر الّذى يدبّره من السّماء الى الارض ثمّ يعرج من الارض الى السّماء هو الوجود الفعلىّ الّذى هو المشيّة الّتى هى امره تعالى وفعله وكلمته و اضافته الى غير ذلك من الاسماء فانّه يتنزّل من سماء المشيّة الى سماء الارواح ثمّ الى سماء النّفوس الكلّيّة، ثمّ الى سماء النّفوس الجزئيّة، ثمّ الى اراضى الاشباح النّوريّة، ثمّ الى اراضى الاشباح الظّلمانيّة، ثمّ يبتدء فى العروج من عالم الطّبع، او من عالم الجنّة الى اراضى الاشباح النّوريّة، ثمّ الى النّفوس الجزئيّة، ثمّ الى النّفوس الكلّيّة، ثمّ الى الارواح، ثمّ الى المشيّة [ذٰلِكَ] العظيم البعيد عن الانظار والاوهام والعقول [عَالِمُ الْغَيْبِ] اى عالم عالم الغيب [وَالشَّهَادَةِ] اى عالم الشّهادة [الْعَزِيزُ] اى الغالب الّذى لايمنعه عن مراده مانع [الرَّحِيمُ] الّذى لايدع عباده بلادعوةٍ ولاداعٍ وان اصرّوا على مخالفته وعصيانه [الَّذِى اَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ] برحمته وعلمه وعنايته بحسب صورة ذلك الشّيء وسيرته و جعله مستعدّاً لطلب كمالاته فلا يدعهم بلاداعٍ حتّى لا يقبح نشأتهم الاخرويّة [خَلَقَهُ] بدل من كلّ شيءٍ على قراءة سكون اللّام وصفة لشيءٍ، او بدل من

احسن اومستأنف جوابٌ لسؤال مقدّرٍ على قراءة فتح اللّام ، وقيل : المعنى احسن معرفة كل شيءٍ مثل قوله: قيمة المرء مايحسنه اى يحسن معرفته [وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ] اى آدم او مطلق الانسان [مِنْ طِينٍ] لانّ الماء والتّراب اظهر اجزاء عنصره و اغلبها [ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ] النّسل الخلق و الولد [مِنْ سُلالَةٍ] السّلاله ما انسل من الشّيء و المراد ما انسل من الغذاء فى الهضم الرّابع [مِنْ ماءٍ مَهِينٍ] من بيانيّة [ثُمَّ سَوّيهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ] اضاف الرّوح الى نفسه تشريفاً والمراد بالرّوح هو ربّ النّوع لكنّه لمّا كان اثرظهور هذا الرّوح هوالرّوح الحيوانيّ والنّفسانيّ وهما شبيهان بالرّيح و متحرّكان كالرّيح استعمل النّفخ فيه و قد مضى فى سورة بنى اسرائيل بيان للرّوح [وَ] بعد نفخ الرّوح فى الشّهر الرّابع فيكم [جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ] لصيرورة الانسان بعد الاتّصاف بالسّمع والبصر والفؤاد قابلاً للتّخاطب التفت من الغيبة الى الخطاب [وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ وَقالُوا أَئِذا ضَلَلْنا] لتبعيد القائلين هذا القول عن ساحة الحضور التفت من الخطاب الى الغيبة [فِى الْأَرْضِ] بتفتّت اجزائنا و اعضائنا واختلاطها بتراب الارض [أَئِنّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ] لتأكيد التّعجّب و التّعجيب و الانكار كرّر الاستفهام [بَلْ هُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ كافِرُونَ] لمّا كان قوله تعالى قالوا ءاذا ضللنا فى مقام ذمّهم و انّ هذا القول منهم ليس عن علمٍ بل محض تخمين و خيال كان فى معنى ان ليس قولهم عن علمٍ و تحقيقٍ بل هم بلقاء ربّهم اى حسابه فى الآخرة كما ورد فى الخبر او لقاء ربّهم المضاف اللّقاء الفطريّ الّذى كان ربّهم فى الولاية ملاقياً به فطرةً لهم كافرون و لذلك تمسّكوا بالخيال و اهويتهم و اعرضوا عن العلم وآثاره [قُلْ] لهم جواباً لتعجّبهم من بعثهم بعد الضّلال فى الارض لاتصيرون ضالّين فى الارض بل [يَتَوَفّيكُمْ] يعنى يأخذ جميعكم وجميع اجزاء وجودكم بحيث لايبقى منكم أحد ولاجزء فى الارض ولايضلّ منكم شيءٌ فى الارض حتّى تقولوا كيف نبعث بعد الضّلال و انّما الضّالّ فى الارض هو مادّتكم الّتى ليست منكم [مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ] اى بقبض ارواحكم وجميع اجزائكم واحصاء امدكم وآجالكم [ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ] يعنى بعد قبض ملك الموت جميع اجزائكم ترجعون الى ربّكم المضاف الّذى هو ربّكم فى الولاية [وَلَوْ تَرى] لو للتّمنّى اوللشّرط ، واذا كانت للشّرط كان الجزاء محذوفاً اى لرأيت امراً عجيباً والجملة حاليّة بتقدير القول على الاوّل والخطاب عامّ اوخاصّ بمحمّد(ص) [إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ] المضاف يقولون [رَبَّنا أَبْصَرْنا] بعد رجوعنا اليك اوفى الدّنيا لكن لم نعمل قالوا ذلك اعترافاً بتقصيرهم [وَسَمِعْنا] منك وقبلنا اوسمعنا فى الدّنيا من انبيائك(ع) لكن لم نعمل [فَارْجِعْنا] الى الدّنيا [نَعْمَلْ صالِحًا] بعد ما رأينا عظمتك و شاهدنا عقوبتك [إِنّا مُوقِنُونَ] من غير شكٍّ و ريبٍ [وَلَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُديها] اهتدائها و رشدها او اسباب هديها من غير ملاحظة استعداد و استحقاق لكن لم نشأ لئلّا يكون مشيّتنا جزافاً غير مسبوقة بملاحظة استعدادٍ [وَلكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنّاسِ أَجْمَعِينَ] لئلّا يقع ارادتى جزافاً ويكون عذاب المعذّبين وثواب المطيعين من جهة استعدادهم [فَذُوقُوا بِما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا إِنّا نَسِيناكُمْ] اى تركناكم [وَذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّما يُؤْمِنُ بِآياتِنَا] مستأنف جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قال: أليس هؤلاء مؤمنين بالآيات مع وضوحها وظهورها حتّى يكونوا منسيّين؟ـ فقال : ليس

هؤلاء مؤمنين بآياتنا انّما يؤمن بآياتنا [الَّذينَ اِذا ذُكِّرُوا بِها خَرُّوا سُجَّداً] .

سجدةٌ واجبةٌ

اعلم ، انّ المذعن بالآيات من حيث انّها آيات عظمة الله وقدرته وسعته اذا ذكّر بها لم ينظر منها الى حدودها و تعيّناتها بل ينظر اليها من حيث انّها آيات عظمة الله فيتذكّر بها عظمة الله فلا يتمالك من تذكّر عظمة الله و وجدانها فيخرّ ساجداً لعظمة الله ، كما عن مولانا جعفر الصّادق(ع) انّه صاح فى الصّلوة و خرّ مغشيّاً عليه فسئل عن ذلك فقال: كرّرت الآية حتّى سمعتها من قائلها فلم يثبت جسمى لمعاينة قدرته [وَسَبَّحُوا] اى نزّهوا لطيفتهم الانسانيّة الّتى هى وجه الرّبّ و اسمه و مظهره و نفسه بوجه [بِحَمْدِ رَبِّهِمْ] اى بسبب حمد ربّهم يعنى بسبب سعة وجوده بحيث لا يشذّ عنه وجود و تعيّن وجود فانّ التّسبيح ليس الّا تنزيه الرّبّ من النّقائص والحدود ، وتنزيهه من النّقائص و الحدود ليس الّا بسعة وجوده بحيث لا يخرج منه وجود و ليس ذلك الّا حمده وسعة كمالاته [وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ] عن الله او عن تسبيحه ، او عن الخرور و السّجود ، اوعن الايمان و الطّاعة ، او لا يستكبرون فى انفسهم [تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ] من جفا السّرج عن فرسه رفعه [يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ] قد مضى صدر الآية فى سورة الاعراف وذيلها فى اوّل البقرة، عن الباقر(ع) فى هذه الآية انّه قال: لعلّك ترى انّ القوم لم يكونوا ينامون، لابدّ لهذا البدن ان تريحه حتّى يخرج نفسه فاذا خرج النّفس استراح البدن ورجع للرّوح قوّة على العمل، قال نزلت فى امير المؤمنين(ع) و اتباعه من شيعتنا ينامون فى اوّل اللّيل فاذا ذهب ثلثا اللّيل اوماشاء الله فزعوا الى ربّهم راغبين مرهبين طامعين فيما عنده فذكر الله فى كتابه فأخبركم بما اعطاهم انّه اسكنهم فى جواره وادخلهم جنّته وآمنهم خوفهم واذهب رعبهم، وفى خبر عن الصّادق(ع) فى هذه الآية انّه قال: لا ينامون حتّى يصلّوا العتمة[1] [فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما اُخْفِىَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ اَعْيُنٍ جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ] وقد ذكر فى اخبار كثيرة بيان ما اخفى لهم من قرّة اعين من اراد فليرجع الى المفصّلات [اَفَمَنْ كانَ مُؤْمِناً] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل على سبيل التّعجّب : الهم ذلك؟ـ فقال: ليس لهم ذلك فمن كان مؤمناً [كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ اَمَّا الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ] بيان لعدم استوائهم [فَلَهُمْ جَنّاتُ الْمَأْوى نُزُلاً] اى معدّة او منزلاً [بِما كانُوا يَعْمَلُونَ وَاَمَّا الَّذينَ فَسَقُوا فَمَأْويهُمُ النّارُ] عدل عن قوله لهم الجحيم نزلاً اشعاراً بانّ الفاسق لا اعتناء به حتّى يكون العذاب نزلاً له بل العذاب من تبعة اعماله الّتى تلحقه [كُلَّما اَرادُوا اَنْ يَخْرُجُوا مِنْها اُعيدُوا فيها] اعلم ،انّ اهل الجحيم مثل اهل الدّنيا يريدون الخروج من الجحيم من غمّ يستولى عليهم لكن لمّا كان ارادة خروجهم من الغمّ ولم يكن لهم قائد شوقٍ للخروج لا يخرجون بل يعادون فيها ولو كان ارادة خروجهم من الشّوق لخرجوا فى اسرع زمانٍ [وَقيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذابَ النّارِ الَّذى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ] قيل : انّ جهنّم اذا دخلوها هووا فيها مسيرة سبعين عاماً فاذا بلغوا اسفلها زفرت بهم جهنّم فاذا بلغوا اعلاها قمعوا بمقامع الحديد فهذه حالهم [وَلَنُذيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الْاَدْنى] الادنى من الدّنىّ بمعنى السّاقط الضّعيف او من الدّنوّ بمعنى القرب وعلى اىّ تقديرٍ فالمراد بالعذاب الادنى عذاب الدّنيا ، اوعذاب القبر، اوعذاب البرزخ لكن اداة الترجّى بعده يناسب عذاب الدّنيا [دُونَ الْعَذابِ الْاَكْبَرِ] عذاب الاحتضار اوعذاب القبر اوعذاب البرزخ اوعذاب القيامة [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] عن غيّهم او يرجعون فى الرّجعة للعذاب الاكبر ، و فسّر العذاب الادنى بالعذاب حين خروج الدّابّة والدّجّال ،وقد كثر الاخبار فى انّ الآيات نزلت فى علىٍّ(ع) والوليد بن عقبة فانّ الفاسق الوليد بن عقبة قال لعلىٍّ(ع) :

(١) العتمة بفتحين صلوة العشاء او وقت صلوة العشاء .

انا والله ابسط منك لساناً، واحدّ منك سناناً، و امثل جثواً منك فى الكتيبة، فقال علىّ(ع) : اسكت انّما انت فاسق فأنزل الله هذه الآيات [وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِاٰيٰاتِ رَبِّهِ] قد مرّمراراً انّ المرادمن امثال هذه العبارة اثبات اظلميّة المفضّل عليه و ان كان مفهوم العبارة اعمّ منه [ثُمَّ اَعْرَضَ عَنْهٰا] مع وضوح الآيات و اقتضاء التّذكير بها الاقبال عليها [اِنّٰا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ] يعنى انّا من مطلق المجرم منتقمون والمعرض عن الآيات بعد التّذكّر بها كان اعظم جرماً من كل مجرم [وَلَقَدْ اٰتَيْنٰا] عطف على مقدّر اى آتيناك الكتاب و لقد آتينا [مُوسَى الْكِتٰابَ] كما آتيناك فليس ايتاء الكتاب امراً غريباً حتّى تكون اويكونوا فى مرية منه [فَلاٰ تَكُنْ فِى مِرْيَةٍ مِنْ لِقٰائِهِ] اى من لقاء الكتاب اليك يعنى من نزوله عليك، اومن لقاء الكتاب الى موسى (ع)، اومن لقائك لموسى (ع) فى الدّنيا قبل موتك، اومن لقائك لموسى (ع) ليلة الاسراء، اوفى الآخرة، اومن لقاء موسى لك كذلك، و قيل : فلاتكن فى شكٍّ من لقاء الاذى كما لقى موسى (ع) الاذى من قوله [وَجَعَلْنٰاهُ هُدىً لِبَنِى اِسْرٰائِيلَ] كما جعلنا كتابك هدىً للعالمين [وَجَعَلْنٰا مِنْهُمْ اَئِمَّةً يَهْدُونَ بِاَمْرِنٰا] لابامر انفسهم [لَمّٰا صَبَرُوا] فاصبرانت و بنوك حتّى نجعل منكم ائمّة [وَكٰانُوا بِاٰيٰاتِنٰا يُوقِنُونَ] فلاتشكّ انت و بنوك [اِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ] بين بنى اسرائيل كما يفصل بين قومك فلاتحزن على اختلافهم او بين الخلق المختلفين فيفصل بين قومك او بين قومك [يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فِيمٰا كٰانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ] من امر الوصاية والوصىّ، اومن احكام الشّريعة، اومن الكتاب وستر بعض منه وتبديل بعض، اومن تصديق الرّسل (ع) و تكذيبهم [اَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ] لقومك او لقوم موسى (ع) والجملة معطوفة على مقدّر اى الم يتفكّروا، وفاعل يهد ضمير كتابك اوكتاب موسى (ع) اوالله اومبهم يفسّره قوله [كَمْ اَهْلَكْنٰا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ] يسمعون اخبارهم و ان لم يكونوا يرون اهلاكهم ولكن يرون آثارهم لانّهم [يَمْشُونَ فِى مَسٰاكِنِهِمْ اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيٰاتٍ اَفَلاٰ يَسْمَعُونَ] لمّا كان الاطّلاع على اهلاك الماضين بسماع اخبارهم استعمل السّماع ههنا [اَوَلَمْ يَرَوْا اَنّٰا نَسُوقُ الْمٰاءَ اِلَى الْاَرْضِ الْجُرُزِ] ارض جرز بالضّمّتين وجرز بالضّمّ والسّكون وجرز بالفتح والسّكون، و جرز بالتّحريك و مجروزة لاتنبت اواكل نباتها او لم يصبها مطر [فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ اَنْعٰامُهُمْ وَاَنْفُسُهُمْ اَفَلاٰ يُبْصِرُونَ] لمّا كان الاطّلاع على سوق ماء المطر و ماء السّيل وماء الانهار الى الاراضى بالرّؤية وهكذا اخراج الزّرع و اكل الانعام و الانفس من نباتها استعمل الابصار واسقط ههنا قوله انّ فى ذلك لآيات اكتفاء بما ذكر فى قرينه [وَيَقُولُونَ مَتىٰ هٰذَا الْفَتْحُ] المراد بالفتح المسؤل اوالمستهزء به هوظهور القائم عجّل الله فرجه واستنارة الارض بنور ربّها وارتفاع الاختلاف عن اهلها، وليس فى العالم الصّغير الّا حين الموت الاختيارىّ او الاضطرارىّ فانّهم لمّا اخبرهم رسول الله (ص) بظهور القائم (ع) و ظهور الدّين و جعل الاديان كلّها ديناً واحداً سألوا على سبيل الاستفهام اوالتّهكّم والاستهزاء عنه والجملة عطف على لم يهد اولم يروا يعنى انّ آيات هذا الفتح كثيرة من اهلاك القرون الماضية واحياء الارض بعدموتها ولايتفكّرون فيها و يقولون: متى هذا الفتح؟! [اِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ] فى هذا الاخبار [قُلْ] فى جوابهم لاتستعجلوا هذا الفتح فانّ [يَوْمَ الْفَتْحِ لاٰ يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا اِيمٰانُهُمْ] فانّه يوم بروز المكسوبات لايوم كسب الخيرات [وَلاٰ هُمْ يُنْظَرُونَ فَاَعْرِضْ عَنْهُمْ] اى عن الجواب والسّؤال معهم، اوعن دعوتهم، اوعن ذواتهم فانّهم لايتأثّرون بمجاورتك [وَانْتَظِرْ] يوم الفتح [اِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ] لذلك اليوم .

سورة الأحزاب

مدنيّة كلّها؛ ثلاث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

[يا أَيُّهَا النَّبِيُّ] نداء له (ص) بايّاك اعنى واسمعى ياجارة، اونداء له والحكم له (ص) وعلى ایّ تقدير فهو تلطّف به وتعظيم لشأنه [اتَّقِ اللهَ وَلا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَالْمُنافِقِينَ] قيل: نزلت فى ابى سفيان وعكرمة بن ابى جهل وابى الاعور السّلمى قدموا المدينة ونزلوا على عبدالله بن ابىّ بعد غزوة احد بامان من رسول الله (ص) ليكلّموه فقاموا وقام معهم عبدالله بن ابىّ وعبدالله بن سعد بن ابى سرح وطعمة بن ابى رق فدخلوا على رسول الله فقالوا: يامحمّد (ص) ارفض ذكر آلهتنا اللّات والعزّى والمناة وقل: انّ لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربّك فشقّ ذلك على النّبىّ (ص) فقال عمر بن الخطّاب: ائذن لنا يارسول الله (ص) فى قتلهم فقال: انّى اعطيتهم الامان وامر رسول الله فأخرجوا من المدينة ونزلت الآية ولا تطع الكافرين من اهل مكّة والمنافقين من اهل مدينة [إِنَّ اللهَ كانَ عَلِيماً] جوابٌ لسؤال مقدّر كأنّه قيل: لاينبغى النّهى عن اجابتهم فانّ فى اجابتهم مصالح عديدة من استمالتهم وخمود نائرة الحرب وسلامة المسلمين وقوّتهم وشوكتهم بذلك ومخالطة المشركين معهم واستماع آيات الله منهم وغير ذلك فقال انّ الله كان عليماً بالمصالح المترتّبة على ماينهى عنه دونكم [حَكِيماً] دقيقاً لطيفاً فى علمه وصنعه [وَاتَّبِعْ ما يُوحى إِلَيْكَ] دون ما يقولون لك [مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ] ياامّة محمّد او يامحمّد (ص) وامّته [خَبِيراً] وقرئ بالغيبة [وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ] لاعلى مايقولون [وَكَفى بِاللهِ وَكِيلاً] لامورك فلاتكل امورك على مشورة غيرك [ما جَعَلَ اللهُ] جوابٌ لسؤال مقدّر ناش عن الحصر المستفاد من قوله: لاتطع الكافرين واتّبع ما يوحى اليك كأنّه قيل: لامنافاة بين اتّباع الموحى وبين المداراة مع الكافرين واتّباع ما يشيرون اليه فقال: ماجعل [لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ] يحبّ ويتّبع الله بهذا ويحبّ ويتّبع بذاك الكافر، وقيل: نزلت فى ابى معمّر حميد بن معمّر بن حبيب الفهرىّ وكان لبيباً حافظاً لمايسمع وكان يقول: انّ فى جوفى لقلبين اعقل بكلّ واحد منهما افضل من عقل محمّد (ص) ثمّ انهزم يوم بدر مع من انهزم واحدى نعليه فى يده والاخرى فى رجله، فقيل له فى ذلك فقال: ماشعرت الّا انّهما فى رجلى فعرفوا يومئذ انّه لم يكن له الّا قلبٌ واحدٌ وعن علىّ (ع) انّه: لايجتمع حبّنا وحبّ عدوّنا فى جوف انسان انّ الله لم يجعل لرجل قلبين فى جوفه، فيحبّ بهذا ويبغض بهذا، وعن الصّادق (ع) فمن كان قلبه متعلّقاً فى صلوته بشيء دون الله فهو قريبٌ من ذلك الشّيء بعيد عن حقيقة ما اراد الله منه فى صلوته، ثمّ تلا هذه الآية [وَما جَعَلَ أَزْواجَكُمُ اللَّائِي تُظاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهاتِكُمْ] زعمت العرب انّ من قال لزوجته: انت علىّ كظهر امّى صارت زوجته كأمّه فى حرمة المواقعة فقال تعالى ردّاً عليهم: ماجعل ازواجكم (الآية) [وَما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُمْ] الدّعىّ كالغنىّ من تبنّيته فعيل بمعنى

المفعول ومن كان متّهماً فی نسبه ، نزلت فی زيدبن حارثة الكلبی ّعتيق رسول الله(ص) وسبب ذلك علی مانقل عن القمی عن الصّادق (ع) انّ رسول الله(ص) اشتری زيداً بعدتزويجه خديجة (ع) فلمّا نبّئ (ص) دعا زيداً الی الاسلام فأسلم وكان يدعی مولی محمّد (ص) فاتی حارثة اباطالب (ع) وقال له: قل لابن اخيك : امّا ان يبيعه ، وامّا ان يفاديه ، وامّا ان يعتقه ، فلمّا قال ذلك ابوطالب (ع) لرسول الله(ص) قال: هوحرّ لوجه الله فليذهب حيث شاء ، فقام حارثة و اخذ بيد زيد وقال: يا بنیّ الحق بشرفك وحسبك فقال : لست افارق رسول الله(ص) ابداً فغضب ابوه و قال : يا معشر قريش اشهدوا انّی بریء منه وليس هوابنی فقال رسول الله(ص) : اشهدوا انّ زيداً ابنی ارثه ويرثنی وكان يدعی زيدبن محمّد (ص) فلمّا هاجر رسول الله(ص) زوّجه زينب بنت جحش و أبطأ عنه يوماً فأتی رسول الله(ص) منزله فاذا زينب جالسة وسط حجرتها تسحق طيباً بفهر لها ، فنظر اليها رسول الله(ص) وكانت جميلةً فوقعت فی قلب رسول الله(ص) فقال: سبحان خالق النّور و تبارك الله احسن الخالقين ، ثمّ رجع وجاء زيد الی منزله فأخبرته زينب بما وقع فقال زيد: هل لك ان اطلّقك حتّی يتزوّجك رسول الله؟. فقالت: اخشی ان تطلّقنی ولم يتزوّجنی رسول الله(ص) فجاء زيد الی رسول الله فقال: هل لك ان اطلّق زينب حتّی تتزوّجها ؟ـ فقال : لا ، اذهب واتّق الله وامسك عليك زوجك ثمّ حكی الله عزّوجلّ فقال: امسك عليك زوجك واتّق الله و تخفی فی نفسك ماالله مبديه و تخشی النّاس و الله احقّ ان تخشاه فلمّا قضی زيد منها وطراً زوّجناكها (الی قوله) وكان امرالله مفعولاً فزوّجه الله تعالی من فوق عرشه فقال المنافقون : يحرّم علينا نساء ابنائنا ويتزوّج امرأة ابنه زيد ، فأنزل الله عزّوجلّ فی هذا : و ما جعل ادعياءكم ابناءكم (الی قوله) يهدی السّبيل وسيأتی فی هذه السّورة اخبار أخر فی كيفيّة تزويج رسول الله (ص) زينب لزيد ولنفسه [ذٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ] من غير اعتقاد لكم به ومن غير حقيقة له فی الواقع فلاتأثير لهذا القول فی ترتّب الاحكام الشّرعيّة [وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ] الثّابت الّذی له حقيقة فی نفس الامر وينبغی ان يعتقد [وَهُوَ] لاغيره [يَهْدِی السَّبِيلَ] الی الحقّ [ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ] بان تقولوا زيدبن حارثة دون غيرآبائهم وان كان الغير يدعونهم ابناءهم [هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ] اعدل من غيرشوب ظلم وتجاوز عن الحقّ [فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِی الدِّينِ] فادعوهم اخواناً [وَمَوَالِيكُمْ] فادعوهم احباباً [وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ] بدعائهم الی غير آبائهم قبل النّهی او بعدالنّهی بالنّسيان عن النّهی او بسبق اللّسان [وَلٰكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ] ای فيما تعمّدت قلوبكم اوما تعمّدت قلوبكم مبتدءٌ خبره محذوف [وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا] يغفر للمخطیء وللمتعمّد بعدالتّوبة ويرحمه تفضّلاً منه عليه [النَّبِیُّ أَوْلَیٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ] مستأنف جواب لسؤال ناش من نفی بنوّة زيد لمحمّد(ص) وانّ نسبة البنوّة لمحمّد (ص) قولٌ بافواههم من غير حقيقة له كأنّه قيل: اذا لم يكن لنسبة بنوّة زيد الی محمّد (ص) حقيقة فما النّسبة بينه و بين امّته حتّی يقال: انّه ابو امّته؟ـ فقال تعالی جواباً لهذا السّؤال: انّ المنفیّ هوالابوّة الجسمانيّة و الاحكام الشّرعيّة القالبيّة من حرمة نكاح حليلة الابن انّما هی للابوّة والبنوّة الجسمانيّتين وامّا الابوّة الرّوحانيّة الّتی تحصل بحصول صورة من الاب فی وجودالابن بواسطة البيعة العامّة اوالخاصّة و بتلك الصّورة يحصل نسبة الابوّة والبنوّة فانّما هی ثابتة له(ص) بالنّسبة الی كلّ الامّة ، ولمّا كانت تلك الكيفيّة الحاصلة بالبيعة صورةً نازلةً منه (ص) وهی تصير الفعليّة الاخيرة للابن وشيئيّة الشّیء تكون بالفعليّة الاخيرة وتلك الفعليّة تكون اولی باسم ذلك الشّیء من سائر فعليّاته السّابقة لاستهلاكها تحت تلك الفعليّة وتكون تلك الفعليّة صورة نازلة من محمّد(ص) كان محمّدٌ(ص) اولی

بمن باع معه احدى البيعتين من سائر فعليّاته الّتى تنسب اليه و تكون نفسه عبارة عنها فالنّبىّ يكون اولى بالمؤمنين من انفسهم فى جميع ماينسب اليهم من الاعمال والاقوال والاحوال والاخلاق والاحكام والآلام ، ولاتظنّن انّه (ص) حينئذ يكون اولى بهم فى معاصيهم لانّ المعاصى ناشئة عن الحدود و النّقائص ، و الحدود و النّقائص انّما هى ناشئة من الفعليّات السّابقة و راجعة الى الاعدام لا الى الفعليّات فأنفسهم تكون اولى بها من الفعليّة الاخيره وقد سبق فى سورة البقرة عندقوله تعالى: و بالوالدين احساناً تحقيق وتفصيل تامّ للولادة الرّوحانيّة، ومن هذا يعلم انّ خلفاء محمّد (ص) الّذين كانوا مأمورين بأخذ البيعة العامّة اوالخاصّة عن الخلق كانوا اولى بمن بايعوا معهم من انفسهم مثل محمّد (ص) وكانوا آباء لمن آمنوا بهم من غيرفرق ولذلك ورد : انّ الائمّة كانوا بعد محمّد (ص) اولى بالمؤمنين مثل محمّد (ص) من انفسهم [وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ] قرأ الصّادق (ع) ههنا : وهواب لهم .

بيان فى الابوّة الرّوحانيّة و القالبيّة

اعلم ، انّه (ص) لمّا صار بحسب مقام بشريّته محكوماً بحكم روحه بحيث لم يكن له بحسب مقام قالبه الّا آثار روحه وكان نسبته الى امّته نسبة الابوّة كان جارياً على قالبه حكم الابوّة الرّوحانيّة فكان ازواجه بالنّسبة الى امّته مثل ازواج الآباء بالنّسبة الى الاولاد و لذلك كنّ محرّمات على امّته و ان كانت امّته بالنّسبة اليه بحسب مقام بشريّتهم غير محكومين بحكم الفعليّة الاخيرة الّتى كانوا بحسبها ابناءً له فلا يجرى على قوالبهم حكم ارواحهم ولم يكن ازواجهم بالنّسبة اليه مثل ازواج الابناء بالنّسبة الى الآباء ، مع انّه (ص) بحسب قالبه حكمه بالنّسبة اليهم حكم الآباء بالنّسبة الى الاولاد ولذلك قال تعالى شأنه : ما كان محمّد ابا احد من رجالكم يعنى انّه ابٌ لجهاتهم الرّوحانيّة و رجالكم الّذين هم محكومون بحكم القوالب غيرمنسوبين اليه بالبنوّة فليس هواباً لرجالكم القالبيّة وان كان اباً لامّته من حيث انّهم رجال روحانيّون الٰهيّون ولذلك قال تعالى: النّبىّ اولى بالمؤمنين يعنى من حيث ايمانهم وازواجه امّهاتهم يعنى امّهات المؤمنين من حيث ايمانهم ،لايقال : ان كان الرّسول (ص) بحسب قالبه محكوماً بحكم زوجه فينبغى ان لايجوز له نكاح نساء امّته ولا نكاح ازواج امّته لانّا نقول: هو(ص) محكومٌ بحسب قالبه بحكم روحه لكنّ امّته ليسوا محكومين بحكم ارواحهم فلم تكن امّته اولاداً له بحسب قوالبهم و شرف امومة المؤمنين وشرف مضاجعة الرّسول (ص) مانع من ان لاتكون ازواجه امّهات للامّة و محرّمات عليهم بحسب قوالبهم، ولكن ليس هذا الحكم اى جريان حكم النّسبة الرّوحانيّة على القوالب الجسمانيّة جارياً بين المؤمنين والمهاجرين يكون بعض منهم اولى ببعض من قراباتهم الجسمانيّة فى الوصاية اوفى الامارة اوفى الارث اوغيرذلك بل [وَأُولُوا الْأَرْحَامِ] الجسمانيّة [بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ] فى ذلك من الاقرباء الرّوحانيّة [فِي كِتَابِ اللَّهِ] اى القرآن او مطلق كتبه المنزلة من السّماء او فى كتابه العلوىّ من اللّوح المحفوظ ولوح المحو والاثبات اوفى مفروض الله اوفى احكام الرّسالة، وقد مضت الآية فى آخر سورة الانفال و قد ذكر ههنا موافقاً لماورد فى الاخبار انّها نزلت لنسخ التّوارث بالهجرة والنّصرة لكن لااختصاص لها بالتّوارث ولا بالامامة ولا بسائر الحقوق بل تجرى فى كلّ حقّ واحسان وانفاق ،وماورد ههنا انّها نزلت فى الامرة وانّها جرت فى ولد الحسين (ع) من بعده بيان لاهمّ مواردها [مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ] ذكر المهاجرين بعد المؤمنين من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ للاهتمام بالخاصّ ولفظة من بيان لاولى الارحام اوهى من التّفضيليّة [إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا] استثناء متّصل مفرّغ يعنى انّ اولى الارحام بعضهم اولى ببعض فى كلّ الامور الّا فى فعلتكم الى اوليائكم فى الدّين معروفاً فانّهم حينئذ يصيرون اولى بتلك الفعلة من اولى الارحام اوفى كلّ حال الّا فى حال ان تفعلوا ، اواستثناء منقطع يعنى لكن فعلتكم الى اوليائكم معروفاً تكون حسناً والمراد بالفعلة المعروفة الوصيّة وجعل الاولياء اوصياء، اوالوصيّة بشىء للاولياء [كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا] اى فى الكتاب العلوىّ من اللّوحين او فى الكتاب التّدوينىّ

الالٰهيّ النّازل اليكم من القرآن والكتب السّالفة [وَإِذْ أَخَذْنَا] عطف على في كتاب الله او على في الكتاب، اوعلى مقدّر والتّقدير: النّبيّ اولى بالمؤمنين في ذلك الزّمان وفي وقت اخذنا ميثاق النّبيّين، اوالتّقدير اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في هذا الزّمان ووقت اخذ الميثاق من النّبيّين ، او معطوف على مقدّر تقديره: تذكّر ذلك واذكر اذ اخذنا [مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ] في هذا العالم بأخذ الانبياء و اوصياءهم (ع) بالبيعة منهم الميثاق او في عالم الذّرّ بأخذنا بانفسنا ميثاقهم [وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ] ذكرهؤلاء الخمسة بعد ذكر الانبياء عموماً للاهتمام بشأنهم لكونهم اولى العزم من الانبياء (ع) [وَأَخَذْنَا] جملة حاليّة بتقدير قد ، اوعطف على اخذنا ، اومستأنف على مجيء الواو للاستيناف [مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا] ضمير منهم راجع الى النّبيّين (ع) اوالى المخصوصين المذكورين بعد النّبيّين [لِيَسْأَلَ] الله اوالسّائل [الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ] اى عن كيفيّته و مقداره حتّى يجازيهم بحسبهما [وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا] عطف اوحال ولم يقل و يسأل الكافرين او يعذّب الكافرين للاشعار بانّ سؤال الكافرين وعذابهم ليس من الغايات الذّاتيّة [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] ناداهم اوّلاً تنشيطاً لهم حتّى يكونوا على تيقّظ لاستماع ما يأتي [اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ] يعني الاحزاب فانّ اباسفيان جمع الاحزاب من الاعراب قريش والقبائل الّتي كانت حول مكّة و بني غطفان من النّجد و بني قريظة و بني النّضير من حول المدينة [فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا] شديدة الهبوب بحيث لاتبقى خيمة ولا ناراً لهم، وشديدة البرد بحيث لايتمالكون من بردها [وَجُنُودًا] من الملائكة [لَمْ تَرَوْهَا] لعدم امكان رؤية الملائكة للنّاظر البشريّ [وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا] من حفر الخندق والخروج من المدينة و تجبين بعض لبعض و ارادة بعض للفرار وقولهم انّ بيوتنا عورة وماهي بعورة، وقرئ لما يعملون اى ما يعمله قريش من التّخريب عليكم [إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ] من اعلى المدينة وهوجانب المشرق والشّمال [وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ] و هو جانب المغرب و الجنوب فانّ بني غطفان جاؤا من فوقهم وقريش من اسفلهم [وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ] مالت وتحيّرت من شدّة الخوف والدّهشة لكثرة الاعداء [وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ] كناية عن اضطراب القلوب فانّ القلوب عند غلبة الخوف تضطرب وتتحرّك من اسفل الى اعلى ، واذا اريد المبالغة في اضطرابها يقال بلغت في تحرّكها من اسفل مقامها الى الحناجر [وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا] الانواع من الظّنّ اوالمظنونات العديدة المتخالفة، وقرئ الظّنون بحذف الالف في الوصل، وقرئ بحذف الالف في الوصل والوقف ، والمراد بالظّنون ظنّ كذب محمّد (ص)، وظنّ تكذيب الله لمحمّد (ص) وظنّ الاستيصال ، وظنّ الغارة على المدينة ، وظنّ صدق محمّد (ص) و الاطمينان بالله والنّصرة من الله و الغلبة على الاعداء وهزيمتهم [هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ] بكثرة الجنود من الاعداء مع قلّتهم و بالظّنون المتخالفة وارادة الفرار [وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا] وكان المنظور من ذلك الابتلاء وهذا الزّلزال خلوص ايمان المؤمن وظهور نفاق المنافق [وَإِذْ يَقُولُ] عطف على اذجاءتكم [الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ] من الظّفر واعلاء الدّين والسّلطنة على اهل الارض [إِلَّا غُرُورًا] وعداً مموّهاً باطلاً يغرّنا به [وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ] ليس ههنا مقام قيام لكم [فَارْجِعُوا] الى منازلكم [وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ] للرّجوع [يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا

عَوْرَةٌ] العورة الخلل فى الثغر وغيره والمعنى انّ بيوتنا ذوات عورة [وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ اِنْ يُرِيدُونَ اِلَّا فِرَارًا] من الزحف [وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ] يعنى لودخل الاعداء بيوتهم او المدينة غالباً عليهم [مِنْ اَقْطَارِهَا] من جوانب البيوت او المدينة [ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ] اى الكفر اوالمقاتلة مع المسلمين [لَاَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا] مع الفتنة او فى المدينة اوالبيوت او ما تلبّثوا فى اعطاء الفتنة او بسبب اعطاء الفتنة لعدم وثوقهم بدينهم [اِلَّا يَسِيرًا] اى الّا تلبّثاً يسيراً اوزماناً يسيراً [وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ] على يد محمّد (ص) [مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْاَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْؤُلًا] عن الوفاء به والنقض له [قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ اِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ اَوِ الْقَتْلِ] فانّه لابدّ من الموت اوالقتل لكل احد ولا ينجوا احد من احدهما [وَاِذًا] يعنى اذا فررتم [لَا تُمَتَّعُونَ اِلَّا قَلِيلًا قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ اِنْ اَرَادَ بِكُمْ سُوءً اَوْ اَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ] المثبّطين عن الغزو وعن الموافقه مع الرّسول (ص) ولفظة قد للتحقيق [وَالْقَائِلِينَ لِاِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ اِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ اِلَّا قَلِيلًا] منهم او اتياناً او زماناً او بأساً قليلاً والمراد بالبأس الحرب [اَشِحَّةً عَلَيْكُمْ] الشح بالتثليث البخل والحرص، وجاء من باب علم و نصر وضرب و المعنى بخلاء على خيركم او بخلاء ثابتين على ضرركم اوحريصون على ضرركم [فَاِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَاَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ اِلَيْكَ تَدُورُ اَعْيُنُهُمْ] فى رؤسهم من شدّة الخوف [كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ] نزول [الْمَوْتِ فَاِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاَلْسِنَةٍ حِدَادٍ] سلقه بالكلام آذاه، شبّه الالسنة بالاسنّة واثبت لها الحدّة استعارة بالكناية وترشيحاً للاستعارة يعنى انّهم جمعوا بين البخل و الجبن و شدّة الاذى حين الأمن [اَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ] حال من الالسنة او من فاعل سلقوكم او منصوب على الذمّ [اُولٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا] اخلاصاً [فَاَحْبَطَ اللهُ اَعْمَالَهُمْ] التى عملوها فى ظاهر الاسلام [وَكَانَ ذٰلِكَ] الحبط [عَلَى اللهِ يَسِيرًا يَحْسَبُونَ الْاَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا] بعد ما ارسل الله عليهم الرّيح والملائكة و بعد هزيمتهم لشدّة خوفهم ودهشتهم [وَاِنْ يَأْتِ الْاَحْزَابُ] كرّة ثانية [يَوَدُّوا لَوْ اَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْاَعْرَابِ يَسْئَلُونَ] كل قادم عليهم من المدينة [عَنْ اَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ] فى الكرّة الثانية اولو بقوا فيكم ولم يرجعوا الى المدينة فى الحال الحاضر [مَا قَاتَلُوا اِلَّا قَلِيلًا] وقد ذكر قصّة الاحزاب وجماعاتهم من الاعراب ومجيئهم الى المدينة وقتل عمرو بن عبد ودّ و هزيمتهم وجبن المنافقين من اصحاب رسول الله (ص) وتجبينهم لغيرهم فى المفصّلات؛ من اراد فليرجع اليها [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ اُسْوَةٌ حَسَنَةٌ] اى خصلة حسنة ينبغى ان يتأسّى بها اوهو من باب التجريد مثل رأيت بزيد اسداً [لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ] بدل من قوله تعالى لكم بدل البعض من الكل، اواللام للتبيين بتقدير مبتدء محذوف [وَالْيَوْمَ الْاٰخِرَ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا] يعنى تلك الاسوة لا تكون الّا لمن جمع بين رجاء الله وذكره كثيراً وهذه الجملة معترضة بين حكاية حال المسلمين والاحزاب جاء الله بها تلطّفاً بالمسلمين وتعريضاً بالمنافقين وتذكيراً للخالصين [وَلَمَّا رَاَ الْمُؤْمِنُونَ] الخالصون [الْاَحْزَابَ قَالُوا هٰذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ] بخلاف غير الخالصين فانّهم قالوا ما وعدنا الله ورسوله الّا غروراً [وَمَا زَادَهُمْ اِلَّا اِيمَانًا وَتَسْلِيمًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ]

جواب سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ماحال الخالصين؟ايكونون متساوين؟ـفقال: من المؤمنين رجال" [صَدَقُوا ماعاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ] عندالبيعة مع محمّد(ص) بالاجابة له فى شروطه والمعنى قالوا ما عاهدوه صدقاً لاكذباً كالمنافقين اوصدقوا فيما عاهدوه [فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ] للنّحب معانٍ كثيرة منها الخطر العظيم والحاجة والوقت والنّوم والشّدة والمدّة والموت والاجل والنّذر، والكلّ مناسب ههنا فانّ المرادقضاء عمره [وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ] النّحب [وَما بَدَّلُوا] ما عاهدوا الله عليه [تَبْدِيلاً] شيئاً من التّبديل، فيه تعريض باهل النّفاق وقد ورد أخبار كثيرة انّ الآية نزلت فى حمزة وجعفرٍ وعبيدة وعلىٍّ (ع)، وفى بعض الاخبار انّها نزلت فى المؤمنين من شيعة آل محمّدٍ (ص)، وفى خبرعن الصّادق (ع): المؤمن مؤمنان؛ فمؤمن صدق بعهدالله ووفى بشرطه وذلك قول الله عزّوجلّ: رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه وذلك لايصيبه اهوال الدّنيا ولا اهوال الآخرة وذلك ممّن يشفع ولايشفع له، ومؤمن كخامة الزّرع يعوجّ احياناً ويقوم احياناً، فذلك ممّن يصيبه اهوال الدّنيا واهوال الآخرة، وذلك ممّن يشفع له ولايشفع، وفى خبرٍ عنه (ع): لقد ذكركم الله فى كتابه فقال: من المؤمنين رجال" صدقوا (الآية) انّكم وفيتم بما اخذالله عليه ميثاقكم من ولايتنا وانّكم لم تبدّلوا بناغيرنا، وعنه (ع) انّه قال؛ قال رسول الله (ص): ياعلىّ (ع) من احبّك ثمّ مات فقد قضى نحبه، ومن احبّك ولم يمت فهو ينتظر، وماطلعت شمس ولاغربت الّا ظلّت عليه برزقٍ وايمانٍ [لِيَجْزِيَ اللهُ الصّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ اِنْ شاءَ] تعليل" لصدقوا ومن الغايات المترتّبة عليه يعنى صدقوا فيصير صدقهم مورثاً لان يجزيهم الله اجرهم وان يجعلهم الله ميزاناً لنفاق المنافق ويعذّبهم بنفاقهم [اَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ] ان تابوا ورجعوا عن النّفاق الى الصّدق، او ان وفّقوا للتّوبة، اوتعليل لوعدنا الله، او لصدق الله، اولقوله مازادهم الّا ايماناً، وحينئذٍ يكون ايضاً من الغايات المترتّبة عليه، اوتعليل لقوله لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة اولقوله جاءتكم جنود اولارسلنا عليهم ريحاً، او لكان الله بما تعملون بصيراً اولجاؤكم من فوقكم اولابتلى المؤمنون والفاصل لمّا كان من متعلّقات المعلول لم يكن مانعاً من تعلّق العلّة بها وعملها فيها [اِنَّ اللهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً] تعليل لقوله اويتوب عليهم [وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا] حال عن واحدة من الجمل السّابقة المناسبة له اوعطف على قوله قالوا هذا ماوعدنا الله اوعلى قالت الاعراب اوعلى يقول اوعلى ابتلى المؤمنون اوعلى زلزلوا اوعلى زاغت الابصار اوجاؤكم او جاءتكم يعنى اذكروا نعمة الله اذردّ الله الّذين يعنى الاحزاب [بِغَيْظِهِمْ] حقدهم [لَمْ يَنالُوا خَيْراً] منكم من ظفرٍ وغنيمةٍ [وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ] بارسال الرّيح والملائكة عليهم، وفى اخبارٍ كثيرةٍ انّ المعنى كفى الله المؤمنين القتال بعلىّ بن ابى طالب (ع) يعنى فى تلك الغزوة اومطلقاً فانّه دخل على الكفّار وهن" بقتل عمرو بن عبد ودّ وتقوّى المؤمنون ولم يبق لهم حاجة الى القتال بحيث يقتل المؤمنون فى القتال ولذلك ورد: ضربة علىّ يوم الخندق افضل من عبادة الثّقلين [وَكانَ اللهُ قَوِيّاً] لايمكن لاحدٍ مدافعته وممانعته عن مراده [عَزِيزاً] غالباً كلّ غالبٍ [وَاَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ] يعنى ظاهروا الاحزاب [مِنْ اَهْلِ الْكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ] وهم بنو قريظة فانّهم نقضوا عهدالرّسول (ص) وظاهروا الاحزاب وقصّتهم وقصّة نقض عهدهم بوسوسة حيّ بن اخطب الّذى كان من بنى النّضير ونزولهم من صياصيهم وقتلهم واسرنسائهم وذراريهم مذكورة فى المفصّلات [وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً وَاَوْرَثَكُمْ اَرْضَهُمْ وَدِيارَهُمْ وَاَمْوالَهُمْ وَاَرْضاً لَمْ تَطَؤُها] وهى

ارض خيبر افتتحها الله بالصّلح من دون وطئ خيل وجمل بعد بنى قريظة ، وقيل: هى مكّة، وقيل: هى الرّوم وفارس، وقيل: هى كلّ ارض تفتح الى يوم القيامة، وقيل: هى كلّ ما أفاء الله على رسوله (ص) ممّا لم يوجف بخيل ولا ركاب [وَ كَانَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ] خطاب آخر خاصّ به (ص) ناداه بعد ما قالت بعض نسائه حفصة او زينب بنت جحش ان طلّقنا وجدنا اكفاءً فى قومنا، وسببه على ما قاله القمىّ انّه لمّا رجع رسول الله (ص) من خيبر واصاب كنز آل ابى الحقيق قالت ازواجه: اعطنا ما اصبت فقال لهنّ رسول الله (ص): قسّمته بين المسلمين على ما امر الله فغضبن وقلن لعلّك انّك ترى ان طلّقتنا انّا لا نجد الاكفاء من قومنا يتزوّجونا؟ فانف الله تعالى لرسوله (ص) فأمره الله تعالى ان يعتزلهنّ فاعتزلهنّ رسول الله (ص) فى مشربة امّ ابراهيم تسعة وعشرين يوماً حتّى حضن وطهرن ثمّ انزل الله هذه الآية فقال:

[قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً وَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً] لا للمسيئات الخارجات بالسّيوف فقامت امّ سلمة اوّل من قامت فقالت: قد اخترت الله واخترت رسوله (ص) فقمن كلّهنّ فعانقنه وقلن مثل ذلك فأنزل الله تفخيماً لشأنه (ص) و تخييراً له ترجى من تشاء منهنّ و تؤوى اليك من تشاء [يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ] ثمّ قطع مخاطبة النّبىّ (ص) وخاطب ازواجه تفخيماً لشأنهنّ من حيث انّهنّ ازواج النّبىّ (ص) [مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ] قبحها اوظاهرة على الانظار كالخروج بالسّيف وقد فسّرت فى الاخبار بالخروج بالسّيف و بالخروج على علىّ (ع) تعريضاً بفعلة عائشة [يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ] يعنى فى الآخرة و الّا فعلىّ (ع) احسن اسرها فى الدّنيا بعد ما قاتل وقتل مقاتليها وقال فى حقّها : ولها حرمتها، [وَ كَانَ ذٰلِكَ] التّضعيف [عَلَى اللهِ يَسِيراً] ولمّا كان المقام للتّهديد اتى بالتّيسير قبل ذكر تضعيف الاجر للمحسنات منهنّ لئلّا يتوهّم انّه لتضعيف الاجر.

[الجزء الثّانى والعشرون]

[وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ] من يتواضع او يطع [لِلّٰهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً] ما، او صالحاً عظيماً هو ولاية علىّ بن ابى طالب (ع) [نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً] كلّ ذلك بشرافة قرب النّبىّ (ص) فانّ عصيان القريب من الرّسول (ص) اعظم قبحاً وطاعته اعظم اجراً [يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ] تشريف آخر لهنّ بتكرار النّداء والخطاب [لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ] بسبب قرب النّبىّ (ص) و شرافته [إِنِ اتَّقَيْتُنَّ] ان كنتنّ على سجيّة التّقوى، او اتّقيتنّ سخط الله ، او اهوية النّفس والطّرق المختلفة النّفسانيّة [فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ] اى لا تظهرن قولكنّ لمخاطبيكنّ بحيث يظهر معها محبّتكنّ لهم [فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ] فيكنّ [وَ قُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً] اى بعيداً من الرّيبة [وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ] قرئ بكسر القاف وحينئذ يجوز ان يكون من الوقار و من القرار، وقرئ بفتح القاف وحينئذ يكون من القرار فانّ قرّ استعمل من باب علم ومن باب ضرب [وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ] تلويح بعائشة وفعلتها بالنّسبه الى علىّ (ع) فانّه كما روى عن النّبىّ (ص) عاش يوشع بن نون بعد موسى ثلاثين سنة و خرجت عليه صفوراء بنت شعيب زوجة موسى (ع) فقالت : انا احقّ منك بالامر فقاتلها فقتل مقاتليها واحسن اسرها، وانّ ابنة ابى بكر ستخرج على علىّ (ع) فى كذا وكذا الفاً من امّتى فيقاتلها فيقتل مقاتليها و يأسرها و يحسن اسرها

و فيها انزل الله تعالى : و قرن فی بیوتکنّ و لا تبرّجن تبرّج الجاهيّة الاولى يعنى صفوراء بنت شعيب (ع) [وَاَقِمْنَ الصَّلٰوةَ وَاٰتِينَ الزَّكٰوةَ وَاَطِعْنَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ] فی سائرما امرکنّ ونهیکنّ [اِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّ اهل البيت (ع) سألوا، ما یرید بامر نساء النّبیّ (ص) ونهیهنّ والاهتمام بشأنهنّ ؟- فقال تعالى فی الجواب : انّما یرید الله بالاهتمام بامر نساء النّبیّ (ص) تطهير اهل بيته الّذين هم اصحاب الكساء ، اوهم الائمّة وشيعتهم فانّ المقصود من جميع الاوامر والنّواهی الّتی وردت فی الشّريعة المطهّرة تطهير اهل البيت (ع) يعنی الائمّة و شيعتهم فانّ الكلّ مقدّمة للولاية والبيعة الخاصّة الولويّة ، و صاحبوا الولاية هم الائمّة (ع) وخلفاؤهم ومن اجازوهم لاخذ البيعة او لتبليغ الاحكام القالبيّة، وقابلوا الولاية شيعتهم الّذين بايعوا معهم البيعة الخاصّة الولويّة، وعن طريق العامّة والخاصّة ورد اخبار كثيرة فی تفسير اهل البيت بأصحاب الكساء الّذين هم علیّ (ع) وفاطمة (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) وقد ورد عن طريق الخاصّة: انّها جرت بعدهم فی الائمّة (ع) عن الصّادق (ع) انّه قال يعنی الائمّة وولايتهم من دخل فيها دخل فی بيت النّبیّ (ص) ولكنّ الله عزّ وجلّ انزل فی كتابه لنبيّه (ص) انّما يريد الله (الآية) وكان علیّ (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) وفاطمة (ع) فأدخلهم رسول الله (ص) تحت الكساء فی بيت امّ سلمة ثمّ قال: اللّهمّ انّ لكلّ نبیّ اهلاً وثقلاً ، وهؤلاء اهل بيتی وثقلی، فقالت امّ سلمة: الست من اهلك؟ فقال انّك علی خير ولكن هؤلاء اهلی وثقلی، وقال فی آخر الحديث: الرّجس هو الشّكّ والله لانشكّ فی ربّنا ابداً ، وقد ذكر فی المفصّلات الاخبار ، من اراد فليرجع اليها ، و للاشارة الى انّ المقصود اهل البيت (ع) قال : عنكم لاعنكنّ ، وللاهتمام بشأن اهل البيت (ع) وانّ المنظور من تأديب نساء النّبیّ (ص) تطهير اهل البيت جاء بهذه الجملة معترضة بين احكام نساء النّبیّ (ص) [وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلٰى فِی بُيُوتِكُنَّ مِنْ اٰيَاتِ اللّٰهِ] حتّى تكنّ على ذكرٍ من الله [وَالْحِكْمَةِ] حتّى تكنّ حكيماتٍ فی اموركنّ [اِنَّ اللّٰهَ كَانَ لَطِيفًا] فی صنعه [خَبِيرًا] اوالمراد باللّطف هو الدّقّة فی العلم والعمل والجملة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ وتعليل لقوله اذكرن ما يتلى [اِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ] وهذا تعليلٌ لماسبق من قوله و من يقنت منكنّ (الى آخر الآيات) والمراد بالمسلمين صورةً من بايع على يد محمّد (ص) اوخلفائه البيعة العامّة النّبويّة بقبول الدّعوة الظّاهرة والانقياد تحت احكام الشّريعة ، وحقيقةً من انقاد باطناً تحت احكام الشّريعة بحيث لايتأتّى منه خلافها، و بهذا المعنى ورد عن النّبیّ (ص) : المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه [وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ] المؤمن صورةً من بايع على يد محمّد (ص) او خلفائه البيعة الخاصّة الولويّة بقبول الدّعوة الباطنة والانقياد تحت احكام الطّريقة وقبول احكام القلب ، وحقيقةً من صار متخلّقاً بالاخلاق الحسنة ومتطهّراً من الرّذائل وصار اميناً فی قومه رحيماً كريماً و زيناً حيّياً، الى غير ذلك من الاخلاق، و بهذا المعنى ورد عن النّبیّ (ص) : المؤمن من امن جاره بوائقه، وما آمن بی من بات شبعان وجاره طاوٍ ، وورد: المؤمن من ائتمنه المؤمنون على اموالهم وانفسهم، وقد سبق فی اوّل البقرة تفصيل للاسلام والايمان وانّ الايمان يدخل بسبب كيفيّةٍ فی القلب بتلك الكيفيّة يقع نسبة الابوّة والبنوّة بين المؤمن ومن بايع على يده ، و يقع الاخوّة بين البايعين و الاسلام ما عليه المناكح والمواريث وحقن الدّماء و اشار اليه تعالى بقوله : قالت الاعراب آمنّا قل لم تؤمنوا و لكن قولوا اسلمنا و لمّا يدخل الايمان فی قلوبكم [وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ] ای المتواضعين او القائمين فی الصّلوة ، او المطيعين و المطيعات [وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ] ای الخارجين فی اقوالهم وافعالهم واحوالهم واخلاقهم من الاعوجاج [وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ]

على المصائب او الطّاعات اوعن المعاصى [وَالْخاشِعِينَ وَالْخاشِعاتِ] قد مضى تحقيق معنى الخشوع والفرق بينه و بين الخضوع والتّواضع فى سورة البقرة عند قوله تعالى: وانّها لكبيرة الّا على الخاشعين [وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقاتِ] من الاعراض الدّنيويّة والقوى البدنيّة والحشمة والجاه وكلّ ماينسبه الانسان الى نفسه ومن انانيّاتهم [وَالصّائِمِينَ وَالصّائِماتِ] عن الوجود المنسوب اليهم بانتهاء تقويهم عند ابتداء حشرهم الى الرّحمن [وَالْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحافِظاتِ] فروجهم بعد حشرهم الى اسم الرّحمن بعودهم الى الكثرات و ملاحظة العورات الّتى كانت لهم حين رجوعهم الى الحقّ تعالى وغفلتهم عنها [وَالذّاكِرِينَ اللّهَ كَثِيراً وَالذّاكِراتِ أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً] روى انّ اسماء بنت عميس لمّا رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن ابى طالب عليه السّلام دخلت على نساء رسول الله (ص) فقالت: هل فينا شيءٌ من القرآن؟ قلن: لا، فأتت رسول الله (ص) فقالت: يارسول الله انّ النّساء لفى خيبةٍ وخسارٍ فقال: وممّ ذلك؟- قالت: لانهنّ لايذكرن بخيرٍ كما يذكر الرّجال فأنزل الله تعالى هذه الآية.

اعلم، انّ الآية اشارة الى جميع مراتب السّلوك بعد الايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الولويّة ودخول الايمان فى القلب فانّ الاسلام تنبّهٌ وسببٌ للهداية الى الايمان ولابدّ من حصوله للانسان حتّى يحصل له الايمان، و الايمان الحاصل بالبيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة، ونفس تلك البيعة سبب للتّوجّه الى الله، و بعد التّوجّه الى الله يكون السّلوك الى الطّريق او الى الله، واوّل مايحصل بعد الايمان للسّالك هو المحبّة لله والاستشعار بعظمته و عظمة مظاهره والاستشعار بالهيبة منه، و يحصل من ذلك الاستشعار التّواضع الّذى هو حالة حاصلة من امتزاج الهيبة والمحبّة مع غلبة الهيبة، و يحصل من تلك الحالة الطّاعة، وليس المراد بالقنوت ههنا الّا التّواضع او الطّاعة او القيام فى الصّلوة، و بالقنوت يحصل الخروج من الاعوجاج و بالصّدق والخروج من الاعوجاج يحصل الصّبر فى موارده، و بالصّبر يحصل الخشوع الّذى هو حالة حاصلة من امتزاج الهيبة و المحبّة مع غلبة المحبّة، و بغلبة المحبّة يحصل التّصدّق و طرح ما يمنع المحبّ عن خدمة المحبوب، و بذلك الطّرح يحصل الصّوم الّذى هو انتهاء التّقوى، و بانتهاء التّقوى يحصل الرّجوع والبقاء بعد الفناء ومراعاة حقوق الكثرات من المنع والاعطاء والبذل والحفظ، وفى مراعاة الكثرات و حقوقها يحصل الذّكر الكثير، فانّ الذّكر الكثير هو الّذى يكون بتذكّر الامر و النّهى الالهيّين عند كلّ فعلٍ، ولا يكون ذلك الّا بعد الرّجوع الى الكثرات بالله وهو آخر الاسفار الّتى تكون للسّلاك [وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ] عطف على مقدّرٍ مستفادٍ من السّابق كأنّه قال: فما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ ان يدعوا تلك المغفرة العظيمة وذلك الاجر العظيم وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ اى ماصحّ وماجاز [إِذا قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً] اى حكم الله اوحتم او بيّن [أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ] اسم للاختيار و يقع على المختار ايضاً [مِنْ أَمْرِهِمْ] لانّهما اولى بهم وابصر بامرهم وارحم بهم منهم نزلت حين خطب الرّسول زينب بنت جحش لزيدٍ مولاه وغضبت هى واخوها وقالت: بنت عمّتك تنكحها لمولاك؟ فلمّا نزلت قالت: رضيت وجعلت امرها بيده، وقيل: نزلت فى امّ كلثوم بنت عقبة بن ابى معيطٍ وكانت وهبت نفسها للنّبىّ (ص) فقال: قد قبلت وزوّجها زيد بن حارثة فسخطت هى واخوها وقالا: انّما اردنا رسول الله فزوّجنا عبده فنزلت: وقد مضى فى سورة القصص انّ نزول الآية ان كانت فى شيءٍ غير الخلافة فالمنظور منها الخلافة يعنى ما كان لاحدٍ ان يختار الامام من عند نفسه على من اختاره الله ورسوله (ص) للامامة [وَمَنْ يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ] فى ما يختارانه لهم يعنى فى الامامة الّتى يختارانها لهم [فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً وَإِذْ تَقُولُ] عطف على مقدّرٍ عامٍّ او خاصٍّ والتّقدير

ماكان لمؤمن ولامؤمنة اذاقضى الله ورسوله امراًان يكون لهم الخيرة من امرهم فى اىّ وقت كان اوفى وقت نصب علىّ (ع) بالخلافة، واذتقول [لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِ] بالاسلام والتّوفيق لاطاعتك وخدمتك [وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ] بالعتق والزّوجة و بذل مايحتاج اليه [أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللّٰهَ] مع انّك علمت انّ مختارالله ومختارك ان تصير زينب زوجتك [وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللّٰهُ مُبْدِيهِ] من كون نكاح زينب منك مختارك ومختارالله [وَتَخْشَى النَّاسَ] وملامتهم بان يقولوا يتمنّى زوجة الغير [وَاللّٰهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَيٰهُ] ان كان هذا ممّا يخشى ، روى عن السّجاد (ع) انّ الّذى اخفاه فى نفسه هو انّ الله سبحانه اعلمه انّها ستكون من ازواجه وانّ زيداً سيطلّقها فلمّا جاء زيد وقال له: اريدان اطلّق زينب، قال له: امسك عليك زوجك فقال سبحانه : لم قلت : امسك عليك زوجك ؟ وقد اعلمتك انّها ستكون من ازواجك [فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا] حاجة كانت له اليها وملّها وطلّقها وانقضت عدّتها [زَوَّجْنَاكَهَا] وفى قراءة اهل البيت (ع) زوّجتكها وهذا ادلّ على تعظيمه (ص) فانّه ادلّ على مباشرة التّزويج بنفسه دون سفرائه وخلفائه [لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللّٰهِ مَفْعُولًا مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللّٰهُ لَهُ] اى فيما قدّر الله له قدراً حتماً فانّه تعالى قدّر له (ص) قدراً حتماً ان تكون زينب من ازواجه ، نسب الى الباقر (ع) انّه قال زوّج رسول الله (ص) زينب زيداً فمكث عند زيد ماشاءالله ثمّ انّهما تشاجرا فى شيء الى رسول الله (ص) فنظر اليها رسول الله فأعجبته فقال زيد: يارسول الله (ص) اتأذن لى فى طلاقها فان فيها كبراً وانّها لتؤذينى بلسانها؟ـ فقال رسول الله (ص) : اتّق الله وامسك عليك زوجك واحسن اليها، ثمّ انّ زيداً طلّقها وانقضت عدّتها فأنزل الله عزّوجلّ نكاحها على رسوله (ص)، وعن الرّضا (ع) فى حديث انّ الله تعالى عرّف نبيّه (ص) اسماء ازواجه فى دار الدّنيا واسماء ازواجه فى الآخرة وانّهنّ امّهات المؤمنين واحد من سمّى له زينب بنت جحش وهى يومئذ تحت زيد بن حارثة فاخفى (ص) اسمها فى نفسه ولم يبده لكى لا يكون احدٌ يقول من المنافقين انّه قال فى امرأة فى بيت رجل انّها احد ازواجه من امّهات المؤمنين وخشى قول المنافقيق قال الله عزّوجلّ : و تخشى النّاس والله احقّ ان تخشاه يعنى فى نفسك وانّ الله عزّوجلّ ماتولّى تزويج احد من خلقه الّا تزويج حوّاء من آدم (ع)، وزينب من رسول الله بقوله عزّوجلّ : فلمّا قضى زيد منها وطراً زوّجناكها ، وفاطمة (ع) من علىّ (ع)، وعنه (ع): انّ رسول الله (ص) قصد دار زيد بن حارثة فى امر اراده فرأى امرأته تغتسل فقال لها: سبحان الله الّذى خلقك وانّما اراد بذلك تنزيه الله عن قول من زعم انّ الملائكة بنات الله (الى ان قال) فقال النّبىّ (ص) لمّا رآها تغتسل: سبحان الله الّذى خلقك ان يتّخذ ولداً يحتاج الى هذا التّطهير والاغتسال، فلمّا عاد زيدٌ الى منزله اخبرته امرأته بمجىء الرّسول (ص) وقوله لها : سبحان الله الّذى خلقك فلم يعلم زيدٌ ما اراد بذلك فظنّ انّه قال ذلك لما اعجب من حسنها، فجاء الى النّبىّ (ص) فقال : يا رسول الله (ص) انّ امرأتى فى خلقها سوءٌ وانّى اريد طلاقها ، فقال له النّبىّ (ص): امسك عليك زوجك واتّق الله (الآية) و قد كان الله عزّوجلّ عرّفه عدد ازواجه وانّ تلك المرأة منهنّ فاخفى ذلك فى نفسه ولم يبده لزيد وخشى النّاس ان يقولوا : انّ محمّداً يقول لمولاه انّ امرأتك ستكون لى زوجة ، فيعيبونه بذلك فأنزل الله و اذ تقول (الآية) ثمّ انّ زيد بن حارثة طلّقها واعتدّت منه فزوّجها الله تعالى من نبيّه وانزل بذلك قرآناً فقال عزّوجلّ : فلمّا قضى زيد منها وطراً (الآية) ثمّ علم عزّوجلّ انّ المنافقين سيعيبونه بتزويجها فأنزل ما كان على النّبىّ من حرج فيما فرض الله له [سُنَّةَ اللّٰهِ] سنّ ذلك المذكور من تزويج ازواج الادعياء اومن رفع الحرج فيما فرض لهم واباح سنّة [فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ] يعنى فى الانبياء الّذين خلوا من قبلك بقرينة الّذين

یبلّغون (الی آخره) [وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا] یعنی انّ امره قدّر سابقاً فی الالواح بحیث لایکون فیه تخلّف فما لهم یلومون فی امرٍ یکون قدراً مقدوراً غیر متخلّف عنه [الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ] صفة او بدل من الّذین خلوا، اوخبرمبتدءٍ محذوفٍ، اومفعول فعلٍ محذوفٍ [وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا] فینبغی ان لایخشی الّا منه [مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ] قد مضی بیان هذه الکلمة فی اوّل السّورة عند قوله: وازواجه امّهاتهم ولمّا توهّم من نفی ابوّته لرجالهم انتفاء النّسبة بینه و بین امّته استدرك ذلك بانّه (ص) ما کان ابا احدٍ من رجالکم الجسمانیّین ولکنّه ابٌ لامّته من حیث انّهم مؤمنون ورجالٌ ونساء روحانیّون فقوله تعالی [وَلَٰكِنْ رَسُولَ اللَّهِ] واقع موقع قوله تعالی ولکنّه ابو رجاله الرّوحانیّین [وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ] هذه الکلمة للتّرقّی عن کونه اباً لامّته فکأنّه قال: بل هو ابٌ لجمیع المرسلین وامهم لانّه خاتمهم والخاتم ینبغی ان یکون محیطاً بالکلّ ومنسوباً الی الکلّ نسبة الاب الی الاولاد، وقریٔ هذه الکلمة بکسر التّاء وفتحها [وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا] لا انتم فیعلم هوالنّسبة الجسمانیّة والرّوحانیّة بین الاشیاء ویعلم مقدار کلٍّ وحکم کلٍّ بحسبه وقدره لا انتم فلا تقولوا لما یحکم الله به : لم کان کذا ؟ اولولم یکن ذلك کذلك ! فانّه ردّ من الجاهل علی العالم. او تأمّل من الجاهل فی حکم العالم [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا] قد مضی فی سورة البقرة بیان الذّکر ومراتبه وانواعه، عن الصّادق (ع) ما من شیءٍ الّا وله حدٌّ ینتهی الیه الّا الذّکر فلیس له حدٌّ ینتهی الیه (الی ان قال) فانّ الله عزّ وجلّ لم یرض منه بالقلیل ولم یجعل له حدّاً ینتهی الیه ثمّ تلا هذه الآیة، وعنه (ع) : تسبیح فاطمة الزّهراء من الذّکر الکثیر الّذی قال الله: اذکروا الله ذکراً کثیراً ، وفی خبرٍ: من ذکر الله فی السّرّ فقد ذکر الله کثیراً [وَسَبِّحُوهُ] بالقول والفعل [بُكْرَةً وَأَصِيلًا] اشارة الی استغراق الاوقات ، او المراد التّسبیح فی هذین الوقتین لشرافتهما ، و ذکر التّسبیح بعد الذّکر تخصیص بعد التّعمیم، اوتقیید بعد الاطلاق ان ارید بالذّکر الذّکر اللّفظیّ اوالنّفسیّ و بالتّسبیح ایضاً التّسبیح القولیّ او النّفسیّ لا التّنزیه الفعلیّ وقد مضی الفرق بین التّسبیح والتّقدیس فی سورة البقرة عند قوله تعالی: و نحن نسبّح بحمدك و نقدّس لك ومضی فی مطاوی ما سلف انّ المراد بتسبیح الرّبّ و تسبیح اسمه و بتسبیح الله هو تنزیه اللّطیفة الانسانیّة الّتی هی اسم للرّبّ بوجهٍ و ربٌّ بوجهٍ ومظهرٌ لله بوجهٍ و آلهٌ بوجهٍ عن حدودها و نقائصها ، وجملة الاعمال والاقوال الشّرعیّة مقدّمة لهذا التّنزیه کما انّ جملة الرّیاضات والمجاهدات وسائر الاعمال القلبیّة نفس ذلك التّنزیه [هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ] ای یرحمکم او ینزّل الرّحمة علیکم [وَمَلَائِكَتُهُ] یعنی ویستغفر لکم ملائکته فانّ الصّلوة من العباد الدّعاء ومن الله الرّحمة ومن الملائکة الاستغفار، وهذه الکلمة فی موضع التّعلیل للامر بالذّکر الکثیر [لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ] ظلمات نقائص المادّة وحدود الطّبع واهویة النّفس ورذائلها [إِلَى النُّورِ] ای نور الایمان والطّاعة والاخلاق الحسنة ونور عالم الاطلاق [وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا] لانّ فعلیّتهم الاخیرة الّتی هی عبارة عن صورة نازلة عن ولیّ امرهم رحمة من الله وجاذبة لرحمةٍ اخری منه کما انّها ولیّ امرهم بوجهٍ [تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ] ای یلقون حسابه وحسّابه او یلقون مظاهره وائمّتهم (ع) لانّ المؤمن بعد طیّ البرازخ یلقی امامه سواء کان طیّ البرازخ بالاختیار و بالسّلوك حتّی حضروا عند امامهم فی الدّنیا ، او بالاضطرار ووصولهم الی الاعراف وحضورهم عند امامهم فی الآخرة [سَلَامٌ] لانّ المؤمن بعد الحضور عند امامه یصیر سالماً من جمیع الآفات والنّقائص، واضافة التّحیّة الی الضّمیر من قبیل اضافة المصدر الی الفاعل اوالی المفعول ای تحیّة بعضهم لبعض ، اوتحیّة الله وملائکته لهم والجمله حالیّة اومستأنفة

معترضة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ [وَاَعَدَّ لَهُمْ اَجْرًا كَرِيمًا] لامنّة فيه ولانقص [يا اَيُّهَا النَّبِيُّ اِنّا اَرْسَلْناكَ شاهِدًا] متحمّلاً للشّهادة ممّن ارسلت اليهم وعليهم، اومقدّراً لتأدية الشّهادة عليهم ولهم، اوحاضراً عليهم في اعمالهم [وَمُبَشِّرًا] للمؤمنين [وَنَذيرًا] للكافرين [وَداعِيًا اِلَى اللهِ] لكلّ النّاس [بِاِذْنِه] قيّد الدّعاء بقوله باذنه اشعاراً بانّ الدّعاء اذالم يكن باذن من الله كان ضلالاً واضلالاً [وَسِراجًا مُنيرًا] يستضاء بك و يستنير البصائر منك [وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنينَ] عطف على محذوفٍ تقديره فأنذر الكافرين وادع النّاس اجمعين و بشّر المؤمنين [بِاَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلًا كَبيرًا] و اقتصر على ذكر المعطوف اشعاراً بانّ المقصود بالذّات هو تبشير المؤمنين [وَلا تُطِعِ الْكافِرينَ وَالْمُنافِقينَ] فيما يقولون في حقّ فقراء المؤمنين ، اوفي ترك التّعرّض لاصنامهم ، اوفي حقّ عليّ (ع) وخلافته [وَدَعْ اَذيهُمْ] هذه الكلمة اسم مصدر لايذاء ومضاف الى الفاعل او الى المفعول [وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ] في كلّ امورك [وَكَفى بِاللهِ وَكيلًا يا اَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اِذا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِناتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ اَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَما لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَها] اى ايّام عديدة تعدّونها عليهنّ [فَمَتِّعُوهُنَّ] وجوباً بنصف ما فرضتم ان كنتم فرضتم لهنّ فريضة او بما يتمتّع امثالهنّ ان لم تكونوا فرضتم لهنّ فريضة ، اومتّعوهنّ استحباباً بعد ما اديّتم اليهنّ نصف مهرهنّ او نصف مهر الامثال [وَسَرِّحُوهُنَّ سَراحًا جَميلًا] اى طلّقوهنّ اوارسلوهنّ من بيوتكم من غير اذىً ومنع حقّ [يا اَيُّهَا النَّبِيُّ اِنّا اَحْلَلْنا لَكَ اَزْواجَكَ اللّاتي آتَيْتَ اُجُورَهُنَّ] اى مهورهنّ فانّ المهر اجرٌ للبضع [وَما مَلَكَتْ يَمينُكَ مِمّا اَفاءَ اللهُ عَلَيْكَ وَبَناتِ عَمِّكَ وَبَناتِ عَمّاتِكَ وَبَناتِ خالِكَ وَبَناتِ خالاتِكَ] افرد العمّ والخال دون العمّة والخالة لارادة الجنس من الخال والعمّ وتوهّم الافراد من العمّة والخالة لوافردنا لوجود التّاء الّتي توهم الافراد [اللّاتي هاجَرْنَ مَعَكَ] القيود الثّلاثة ليست قيوداً للاحلال لماسيأتي من الاخبار انّ الله تعالى احلّ له ماشاء من النّساء وانّماذكر القيود تشريفاً له (ص) في الاوّلين و تشريفاً للنّساء في الاخير ، وقيل: انّها قيود للاحلال، ونقل عليه خبر من طريق العامّة وانّما ذكر احلال الازواج مع انّهنّ كنّ محلّلات له وكنّ في بيوته رفعاً لماقال بعض و توهّم بعض من انّه (ص) حرّم على امّته ازيد من اربع ونكح هوازيد من اربع ولا ينبغي ان يكون كذلك، والدّليل عليه قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم معترضة بين بيان احلال ازواجه [وَامْرَاَةً مُؤْمِنَةً اِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ] التفت من الخطاب الى الغيبة اشعاراً بانّ هذا الحكم لشرافة النّبوّة [اِنْ اَرادَ النَّبِيُّ اَنْ يَسْتَنْكِحَها خالِصَةً لَكَ] تأكيدٌ لما استفيد من اختصاص هذا الحكم بحيثيّة النّبوّة ، و خالصةً مصدرٌ لمحذوفٍ اى خلص هذا الحكم خلوصاً لك ، اواسم فاعل والتّاء للمبالغة وحال عن محذوفٍ اى قلنا هذا الحكم خالصةً، اوحكمنا هذا الحكم خالصةً، او التّاء للتّأنيث والتّقدير ذكرنا هذه الهبة خالصةً لك ، وغير ماذكر من وجوه اعرابها ضعيفٌ جدّاً [مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنينَ] الظّرف حال من الضّمير المجرور في لك، عن الباقر (ع) : جاءت امرأة من الانصار الى رسول الله (ص) فدخلت عليه في منزل حفصة والمرأة متلبّسة متمشّطة فقالت: يارسول الله (ص) انّ المرأة لاتخطب الزّوج وانا امرأة أيّم لازوج لي منذ دهر ولا ولد فهل لك من حاجة؟ فان يك فقد وهبت نفسي لك ان قبلتني، فقال لها رسول الله (ص) خيراً ودعا لها، ثمّ قال: ياأخت الانصار جزاكم الله عن رسول الله خيراً فقد نصرني رجالكم و رغبت في نساؤكم، فقالت لها: حفصة ما اقلّ حياءك واجرأك وانهمك للرّجال.، ! فقال لها رسول الله (ص) :

كفّى عنها ياحفصة، فانّها خيرمنك رغبت فى رسول الله فلمتها؟! وعيّبتها ؟! ثم ّ قال للمرأة انصرفى رحمك الله، فقد اوجب الله لك الجنّة لرغبتك فىّ وتعرّضك لمحبّتى وسرورى، وسيأتيك امرى ان شاء الله، فأنزل الله عزّوجلّ و امرأة مؤمنة (الآية) قال فأحلّ الله عزّوجلّ هبة المرأة نفسها لرسول الله (ص) ولايحلّ ذلك لغيره وقد ذكر انّ هذا الحكم من خصائصه (ص) وليس لغيره ان ينكح بهبة المرأة نفسها من دون مهرٍ، وقيل: انّ الرّسول (ص) لم يكن عنده امرأة وهبت نفسها له، وقيل: بل كانت عنده ميمونة بنت الحارث بالهبة، وقيل: هى زينب بنت خزيمة المكنّاة بامّ المساكين، وقيل: كانت امرأة من بنى اسدٍ يقال لها امّ شريكٍ، وقيل: كانت خولة بنت حكيمٍ، وعن الصّادق (ع) انّه قال: تزوّج رسول الله (ص) بخمس عشرة امرأة ودخل بثلاث عشرة منهنّ، وقبض عن تسعٍ فامّا اللّتان لم يدخل بهما فعمرة والشّنباء، وامّا الثّلاث عشرة اللّاتى دخل بهنّ فأولهنّ خديجة بنت خويلد ثمّ سودة بنت زمعة ثمّ امّ سلمة واسمها هند بنت ابى اميّة، ثمّ امّ عبدالله عائشة بنت ابى بكر، ثمّ حفصة بنت عمر، ثمّ زينب بنت خزيمة بن الحارث امّ المساكين، ثمّ زينب بنت جحشٍ، ثمّ امّ حبيبة رملة بنت ابى سفيان، ثمّ ميمونة بنت الحارث، ثمّ زينب بنت عميس، ثمّ جويرية بنت الحارث، ثمّ صفيّة بنت حىّ بن اخطب، والّتى وهبت نفسها للنّبىّ خولة بنت حكيم السّلمى وكان له (ص) سرّيّتان يقسم لهما مع ازواجه مارية القبطيّة وريحانة الخندفيّة، والتّسع اللّواتى قبض عنهنّ عائشة، وحفصة، وامّ سلمة، وزينب بنت حجش، وميمونة بنت الحارث، وامّ حبيبة بنت ابى سفيان، وصفيّة وجويرية وسودة، وافضلهنّ خديجة بنت خويلد، ثمّ امّ سلمة، ثمّ ميمونة [قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي] حقّ [أَزْوَاجِهِمْ] من العدد والقسم [وَمَا مَلَكَتْ] اى فى حقّ ماملكت [أَيْمَانُهُمْ] من الاماء من التّوسعة عليهنّ فى المعيشة وعدم التّضييق عليهنّ فى الخدمة والاقتصار على المملوكة ان لم يطيقوا الحرّة والاقتصار على حرّة واحدة ان خافوا عدم العدالة وهذه الجملة معترضة وجوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: لم احلّت للرّسول (ص) ازيد من الاربع ولم يحلّ لامّته ازيد منها؟ بل لم يحلّ لهم اكثر من واحدة ان خافوا ان لايعدلوا؟ـ فقال: قد علمنا سبب ذلك فيه وفيهم وليس هذا الحكم فيه وفيهم من غير سببٍ واستحقاقٍ والجاهلون للاسباب يلومونه على مافرض الله عليه [لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ] متعلّق باحلّ او بخالصة لك او بعامل امرأة مؤمنة يعنى انّك خرجت من التّقييد وصرت مطلقاً ولاينبغى ان يكون عليك حرجٌ فيما اردت [وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا] فيغفر مايلزمك من تعدّد الازواج من تكدّر قلبك بالكثرات وتعدّد الازواج، او يغفر لمن يلومك فى تعدّد الازواج من جهله بسببه [رَحِيمًا] يرحمك فيحفظك ممّا يشينك فى الدّنيا من تعدّد الازواج، او يرحمك فى الآخرة بالتّوسعة عليك فى مقاماتك، او يرحمهم فيحفظهم ممّا يخرجهم من الايمان فى ملامتك، او يرحمهم فى الآخرة [تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ] قد مضى سبب نزول هذه الآية عند قوله تعالى: يا ايّها النّبىّ قل لازواجك ان كنتنّ تردن الحيوة الدّنيا (الآية) والمعنى تقدّم من تشاء من نسائك فى المضاجعة والايواء اليك من غير نظرٍ الى القسم فيكون الآية توسعةً عليه فى القسم بين نسائه، اوالمعنى تعزل من تشاء منهنّ بغير طلاقٍ وتردّ اليك من تشاء بعد عزلك تسعةً وعشرين يوماً، اوالمعنى تطلّق من تشاء وتمسك من تشاء، اوالمعنى تترك نكاح من شئت من نساء امّتك وتنكح من شئت منهنّ، وعلى اىّ تقديرٍ فالجملة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ وتوسعة له (ص) بالنّسبة الى ازواجه ونكاحه، وهل كان تخييره لنسائه بين اختيار الدّنيا واختيار الله ورسوله (ص) طلاقاً لهنّ بعد اختيارهنّ الدّنيا اوكنّ محتاجاتٍ الى الطّلاق وكذلك عزله (ص) وارجاؤه لهنّ؟ فعن الباقر (ع) انّه سئل عن رجلٍ خيّر امرأته فاختارت نفسها بانت؟ـ قال: لا، انّما هذا شيءٌ كان لرسول الله (ص) امر بذلك ففعل، ولواخترن انفسهنّ لطلّقهنّ وهو قول الله تعالى: قل لازواجك ان كنتنّ (الآية) [وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ] من دون عقدٍ جديدٍ [ذَٰلِكَ]

التّخيير والتّوسعة عليك، اوذلك الاذن فى ترك القسم والتّسوية بينهنّ، اوذلك الاذن فى ابتغاء من عزلت، اوذلك الاذن فى نكاح الواهبات لانفسهنّ وتركك لنكاحهنّ [أَدْنىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ] اى اعين ازواجك [وَلٰا يَحْزَنَّ] بترك القسم لهنّ وترك التّسوية بينهنّ [وَيَرْضَيْنَ بِمٰا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ] قرئ تقرّ من الثّلاثىّ المجرّد مبنيّاً للفاعل، وقرئ من باب الافعال مبنيّاً للمفعول، واعينهنّ بالرّفع فيهما، وقرئ من باب الافعال مبنيّاً للفاعل، واعينهنّ بالنّصب، وقرئ كلّهنّ بالرّفع تأكيداً لضمير يرضين، وبالنّصب تأكيداً لضمير آتيتهن [وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مٰا فِي قُلُوبِكُمْ] جمع ازواجه اوامّته اوالجميع معه (ص) فى الخطاب، اوصرف الخطاب عنه الى امّته، او الى امّته وازواجه [وَكٰانَ اللّٰهُ عَلِيمًا] عطف بمنزلة التّعليل [حَلِيمًا] فلايعاجلكم بعقوبة مافى قلوبكم لحلمه، لالجهله، ولالعجزه [لٰا يَحِلُّ لَكَ النِّسٰاءُ مِنْ بَعْدُ] اى من بعد الاجناس المذكورة فى الآية السّابقة كما قيل وكما هوظاهر الآية [وَلٰا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوٰاجٍ] اُخر غير المذكورات فى الآية السّابقة، وقيل: انّ منعه من نكاح غيرهنّ ومن تبديلهنّ مكافاة لهنّ على اختيارهنّ الله و رسوله (ص)، وقد ورد فى اخبار كثيرة مضمون ماورد عن الباقر (ع) من انّه انّما عنى به لايحلّ لك النّساء الّتى حرّم الله عليك فى هذه الآية حرّمت عليكم امّهاتكم و بناتكم واخواتكم (الى آخرها) ولوكان الامر كما يقولون كان قداحلّ لكم ما لم يحلّ له لانّ احدكم يستبدل كلّما اراد ولكنّ الامر ليس كما يقولون من الله عزّوجلّ احلّ لنبيّه ان ينكح من النّساء ما اراد الّا ماحرّم فى هذه الآية فى سورة النّساء، وفى بعض الاخبار: احاديث آل محمّد (ص) خلاف احاديث النّاس [وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلّٰا مٰا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكٰانَ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا] حتّى على عدد الازواج بالنّسبة اليك والى امّتك، والحصر فى العدد والاقتصار على اشخاص معنيّة من دون الزّيادة عليهنّ ومن دون استبدالهنّ [يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] تأديبٌ للامّة كيف ينبغى ان يعاملوا الرّسول (ص) الّذى هوابٌ لهم؟ وكيف يكون معاملتهم مع ازواجه؟ [لٰا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلّٰا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ] لعلّهم كانوا يدخلون بيوت النّبىّ (ص) و بيوت بعضهم من غير اذنٍ واستيناسٍ فنزلت هذه الآية وآية الامر بالاستيناس [إِلىٰ طَعٰامٍ] تعدية الاذن بالى لتضمين معنى الدّعوة [غَيْرَ نٰاظِرِينَ إِنٰاهُ] اى ادراكه و نضجه يعنى لاتدخلوا بعد الدّعوة قبل نضج الطّعام وادراكه للاكل، فانّ ذلك يضيّق المنزل عليه وعلى اهل بيته [وَلٰكِنْ إِذٰا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذٰا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا] لما ذكر من تضييق المنزل عليه وعلى اهل بيته [وَلٰا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ] اى لحديث محمّد (ص) اولحديث بعضكم بعضاً وهوعطف على غير ناظرين اناه، اوحال عن عاملٍ محذوفٍ والتّقدير ولاتمكثوا مستأنسين لحديثٍ [إِنَّ ذٰلِكُمْ كٰانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ] لماذكر من تضييق المنزل ولانّه ربما يريد الخلوة فى بيته او مع بعض نسائه [فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ] فى ان يأمركم بالخروج [وَاللّٰهُ لٰا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ] فيأمركم بعدم اللّبث عنده [وَإِذٰا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتٰاعًا] اى نساء النّبىّ (ص) [فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرٰاءِ حِجٰابٍ] عن القمىّ انّه لمّا تزوّج رسول الله (ص) بزينب بنت جحشٍ وكان يحبّها فاولم ودعا اصحابه وكان اصحابه اذا اكلوا يحبّون ان يتحدّثوا عند رسول الله (ص) وكان يحبّ ان يخلو مع زينب فانزل الله عزّوجلّ: يا ايّها الّذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النّبىّ (الى قوله) من وراء حجابٍ وذلك انّهم كانوا يدخلون بلااذنٍ، وعن الصّادق (ع): كان جبرئيل اذا اتى النّبىّ (ص) قعد بين يديه قعدة العبد وكان لايدخل حتّى يستأذنه وكانت النّساء قبل ذلك يبرزن للرّجال الاجانب من غير حجابٍ كما

كانت النّساء يبرزن فی الملل الباطلة للرّجال من غير حجاب ولاشكّ انّ دواعی الرّيبة تكون اكثر اذا كنّ بلاحجاب [ذٰلِكُمْ اَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ] من الرّيبة [وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ اَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللّٰهِ] عطف للتّعليل للجمل السّابقة وللتّمهيد لما يأتی [وَلَا اَنْ تَنْكِحُوا اَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ اَبَدًا] لما سبق انّ ازواجه امّهاتهم [اِنَّ ذٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللّٰهِ عَظِيمًا اِنْ تُبْدُوا شَيْئًا] كارادة نكاحهنّ بان تقولوا بالسنتكم [اَوْ تُخْفُوهُ] بان لا تظهروه بالسنتكم [فَاِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا] تهديد ووعيد، عن القمّی فی نزول الآية: انّه لمّا انزل الله النّبی اولی بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امّهاتهم ، غضب طلحة فقال يحرّم محمّد(ص) علينا نساءه ويتزوّج هو بنسائنا، لئن امات الله محمّداً(ص) لنركضنّ بين خلاخيل نسائه كما ركض بين خلاخيل نسائنا، فأنزل الله تعالى: وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله (الآية) ولا اختصاص لهذا الحكم بالمدخول بهنّ فان المعقودة الغير المدخول بها فی حكم ازواج الآباء، قيل : لمّا قبض رسول الله (ص) و ولیّ النّاس ابو بكر اتته العامريّة و الكنديّة اللّتان لم يدخل بهما رسول الله (ص) وألحقهما باهلهما وقد خطبتا، فاجتمع ابو بكر وعمر وقالا لهما اختارا ان شئتما الحجاب و ان شئتما الباه فاختارتا الباه فتزوّجتا فجذم احد الزّوجين وجنّ الآخر . وقد روی انّ هذا الحكم يجری فی الوصیّ ايضاً يعنی لايجوز لمن آمن به ان ينكح زوجه [لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ] استيناف جوابٌ لسؤالٍ مقدّر كأنّه قيل : هل حكم الحجاب جارٍ فی المحارم ؟ اوجوابٌ لسؤال مذكور على ماروی انّه لمّا نزلت آية الحجاب قال الاقارب : يارسول الله(ص) أو نكلّمهنّ نحن ايضاً من وراء حجاب؟ فقال: لاجناح عليهنّ [فِی اٰبَائِهِنَّ وَلَا اَبْنَائِهِنَّ وَلَا اِخْوَانِهِنَّ وَلَا اَبْنَاءِ اِخْوَانِهِنَّ وَلَا اَبْنَاءِ اَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ] ای النّساء المؤمنات [وَلَا مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُهُنَّ] قد مضى فی سورة النّور بيان نسائهنّ وبيان ماملكت ايمانهنّ [وَاتَّقِينَ اللّٰهَ] صرف الخطاب عن المؤمنين اليهنّ تنشيطاً لهنّ للايتمار [اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا] حتّى على نيّتكنّ وابداء زينتكنّ [اِنَّ اللّٰهَ وَمَلَائِكَتَهُ] استيناف جوابٌ لسؤال ناشٍ من الاهتمام بشأن النّبیّ(ص) وتفخيمه واسترضائه كأنّه قيل: مابال النّبیّ(ص) وقد بالغ الله فی تعظيمه وتحفّظ نسائه؟! او ابتداء كلام منقطع عن سابقه و تمهيد لامر المؤمنين بالصّلوة عليه [يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِیِّ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ] .

اعلم ، انّ الاخبار فی فضيلة الصّلوة على محمّد وآل محمّد و انّها افضل من جملة الاذكار من طريق الخاصّة والعامّة اكثر من ان تحصى؛ ففی بعض الاخبار: من صلّى عليه فی دبر كلّ صلوة الصّبح وصلوة المغرب قضى الله له مائة حاجة ، سبعين فی الدّنيا وثلاثين فی الآخرة ، وفی بعضها: انّ ملكاً قائم الى يوم القيامة ليس احد من المؤمنين يقول: صلّى الله على محمّد وآله وسلّم الّا وقال الملك: وعليك السّلام، ثمّ يقول الملك: يارسول الله(ص) انّ فلاناً يقرئك السّلام فيقول رسول الله(ص) : وعليه السّلام ، وفی بعضها: كلّ دعاءٍ محجوبٌ عن السّماء حتّى يصلّی على محمّد وآل محمّدٍ، وفی بعضها : اذا كان ليلة الجمعة نزل من السّماء ملائكة بعدد الذّرّ فی ايديهم اقلام الذّهب وقراطيس الفضّة لايكتبون الى ليلة السّبت الّا الصّلوة على محمّدٍ وآل محمّدٍ، وفی بعضها : ثواب الصّلوة عليه وآله الخروج من الذّنوب كهيئة يوم ولدته امّه ، وفی بعضها : لم يبق عليه من ذنوبه ذرّة ، وفی بعضٍ : من صلّى على محمّدٍ وآل محمّد عشراً صلّى الله عليه وملائكته الفاً، وفی بعضها: من صلّى على النّبیّ صلوةً واحدةً صلّى الله عليه الف صلوة فی الف صفّ من الملائكة ، ولم يبق شیءٌ ممّا خلق الله الّا صلّى على العبد لصلوة الله وصلوة ملائكته؛ فمن لم يرغب فی هذا فهو جاهل مغرور قد برأ الله منه ورسوله(ص) واهل بيته(ع) ؛ وفی بعضها : ما فی الميزان شیءٌ اثقل من الصّلوة على محمّد وآل

محمّد، وفي بعضها: من صلّى عليّ ولم يصل ّعلى آلى لم يجد ريح الجنّة وانّ ريحها ليوجد من مسيرة خمس مائه عام، و في بعضها : اذا صلّيت العصر يوم الجمعه فقل : اللّهم ّصل ّعلى محمّد و آل محمّد الاوصياء المرضيّين بافضل صلواتلك ، و بارك عليهم بافضل بركاتك ، و السّلام عليهم وعلى ارواحهم واجسادهم ورحمة الله و بركاته ، فانّ من قالها بعد العصر كتب الله عزّوجل ّ له مائة الف حسنة ومحا عنه مائه الف سيّئة ، وقضى له بها مائة الف حاجة ، و رفع له بها مائة الف درجة ، وفي بعضها: صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ (ع) سبع سنين وذلك انّه لم يصل ّمعي احدٌ غيره ، وفي بعضها: صل ّعلى النّبيّ (ص) كلّما ذكرته ، او ذكره ذاكرٌ عندك في اذان وغيره ، وقد أفتى كثير بوجوب الصّلوة عليه اذا ذكرته اوذكره ذاكرٌ عندك ،

فضيلة الصّلوة على النّبيّ (ص) واسرارها

وقد اختلف الاخبار في بيان اللّفظ الّذى يصلّى به عليه ، ويستفاد من جملتها واختلافها انّ المقصود هو التّوجّه والاقبال عليه على سبيل التّعظيم ولا اعتبار لخصوصيّة لفظ مخصوص في ذلك ولذلك اختلف الاخبار في تعيين اللّفظ ، و السّرّ في فضل الصّلوة و الاهتمام بها والتّأكيد فيها عند ذكر محمّد (ص) وتفضيلها على سائر الاذكار كما اشير اليه في الاخبار انّ اللّطيفة السّيّارة الانسانيّة الّتي هي الامانة العظمى الّتي اخرجها الله من خزانته الخاصّة به وامرّها على سماوات الارواح والعقول والنّفوس وعلى اراضي الاشباح النّوريّة والاشباح الطّبيعيّة الّتي يعبّر عنها بالسّماوات الطّبيعيّة والاراضي الطّبيعيّة وجبال المواليد ، فأبين ان يحملنها لما رأين انّها من مقام الاطلاق وليس لائقاً لحملها الّا مافيه استعداد الخروج من مقام التّقيّد والحدود والوصول الى مقام الاطلاق والوجوب، ورأين انّ كلّاً منهن ّله مقام معلوم وحدّ مخصوص ليس له استعداد الخروج من ذلك المقام وهذا الحدّ، بخلاف هيكل الانسان ومادّة صاحب النّطق والبيان فانّه كان فيه استعداد الخروج من الحدّ والوصول الى الاطلاق فحملها الانسان انّه كان ظلوماً على جميع حدوده وتعيّناته جهولاً لجميع الكثرات وحقوقها عند ظهور سلطان الله ووصول الامانة الى الخزانة و بعد الحمل رأى انّ لها سرّاقاً من عالم الجنّة و الشّياطين يترصّدون الفرصة لسرقتها وقطع طريقها ، وانّه لايمكنه حفظها بدون معاون من سنخ الجنّة والشّياطين، فسأل الله بلسان حاله حفّاظاً ومعاونين فاجابه الله تعالى و وكّل عليه من عالم الملائكة مايكفيه في حفظها، ورأى انّ لها سرّاقاً من الشّياطين الانسيّة فسأل معاونين من اسناخهم فأجابه الله تعالى وارسل الانبياء والرّسل وخلفاءهم (ع) ليكونوا معاونين له في حفظها و ايصالها الى الخزانة ، وامرهم باعانة العباد وامر العباد باتّباعهم، ولمّا كانت الاعانة والاتّباع في ذلك لم يكن ممكناً الّا بالاتّصال الرّوحانيّ بخلفاء الله (ع) ودخول الحافظ الّذى هو صورة نازلة منهم في قلوب العباد و هو المعبّر عنه بالايمان الدّاخل في القلب وذلك الاتّصال وهذا الدّخول اى دخول الحافظ في قلوب العباد لايمكن الّا بالاتّصال الصّوريّ والتّوجّه التّام ّمن الخلفاء والاستغفار للعباد والتّوبة والانقياد التّام ّ من طرف العباد وهذه هي البيعة الّتي كانت معمولة من لدن آدم (ع) الى زمان الخاتم (ص) وكانت مقرّرة عندهم بشرائطها، ومالم يكن العباد يبايعون احدى البيعتين لم يكونوا داخلين في الدّين ولم يسمّوا مسلمين ولا مؤمنين ، واذا كان واحد منهم يبايع احدى البيعتين لم يكن له عمل اعظم من التّوجّه الى من بايع معه والنّظر اليه والجلوس معه و الخدمة والتّعظيم له والتّأمّل في شؤنه وجذبه بحسب روحانيّته الى نفسه وانجذاب نفسه بكثرة تذكّر شؤنه اليه .

و لمّا كان محمّد (ص) اصل جميع الخلفاء وكل ّ الخلفاء كانوا اظلاله وشؤنه كان كلّما يحصل من جميع الخلفاء (ع) يحصل منه (ص)، وكلّما يلزم لجميع الخلفاء من النّظر والخدمة والتّعظيم والتّذكّر والتّأمّل في شؤنهم يلزم له وحده، وكان كل ّمن بايع واحداً من الخلفاء كان كمن بايع محمّداً (ص) فكان كل ّمن دخل في الاسلام اوالايمان لم يكن له عمل ٌاعظم قدراً وافخم اجراً من التّوجّه الى محمّد (ص) والتّذكّر له والدّعاء له وطلب الرّحمة عليه والانجذاب

اليه بحيث يظهر هو اواحد من خلفائه بحسب ملكوته على صدره ولذلك ورد عن ابى عبدالله (ع) انّه قال: جاء رجل الى رسول الله (ص) فقال: اجعل نصف صلواتى لك؟ـ قال: نعم، ثمّ قال: اجعل صلواتى كلّها لك؟ـ قال: نعم، فلمّا مضى قال رسول الله (ص): كُفى همّ الدّنيا والآخرة، وفى خبر عنه (ع): انّ رجلاً اتى رسول الله (ص) فقال: يارسول الله (ص) انّى جعلت ثلث صلواتى لك، فقال له: خيراً، فقال: يارسول الله (ص) انّى جعلت نصف صلواتى لك، فقال له: ذلك افضل، فقال: انّى اجعل كلّ صلواتى لك؟ فقال: اذن يكفيك الله عزّوجلّ ما اهمّك من امر دنياك وآخرتك، فقال له رجل: اصلحك الله كيف يجعل صلواته له؟ فقال ابوعبدالله (ع) لايسأل الله عزّوجلّ الّا بدأ بالصّلواة على محمّد وآله، وامثال هذه الاخبار كالقرآن ذات وجوه وهى مرادة بكلّ وجوهها بحسب مراتب النّاس فانّ الصّلوة تكون بمعنى الدّعاء، والغائب عن الحضور لايكون صلوته لمحمّد (ص) الّا دعاءه له، ويكون بمعنى الصّلوة المشروعة المشتملة على الافعال والاذكار المخصوصة، والحاضر عند محمّد (ص) يجوز ان يكون معنى صلوته له دعاءه له وان يكون معنى صلوته له ان يكون فى صلوته المشروعة غير ناظر الى غيره، ويكون المخاطب فى الصّلوة بل المتكلّم بل الفاعل محمّداً (ص) كما هو شأن من حصل له حالة الحضور عند شيخه، ومن حصل له هذه الحالة كفى جميع مهمّاته، بل حصل له جميع خيرات الدّنيا والآخرة، بل يكون له الغناء عن الدّنيا والآخرة، ولذلك كان المشايخ رضوان الله عليهم مهتمّين بتحصيل هذه الحالة للسّالكين ولم يكن للسّالكين منظورٌ الّا حصول هذه الحال، وكان مشايخ العجم يأمرون السّلاك بجعل صورة الشّيخ نصب عيونهم تعمّلاً حتّى يحصل بتلك التّعمّل هذه الحال، وبعد ما يقال لهم: انّ هذا كفر وتقيّد بالصّورة واشتغال عن المعبود والمسمّى بالاسم، يجيبون بانّ هذا كفر وتشبّه بعبادة الاصنام لكنّه كفر فوق الكفر والايمان؛ واليه اشار المولوىّ قدّس سرّه:

آينۀ دل چون شود صافىّ و پاك	نقشها بينى برون از آب و خاك
هم ببينى نقش و هم نقّاش را	فرش دولت را و هم فرّاش را
چون خليل آمد خيال يار من	صورتش بت معنى او بت شكن
شكر يزدان را كه چون اوشد پديد	در خيالش جان خيال او نديد

وهذا الشّعر اشارة الى انّ الحضور لدى الشّيخ وان كان ظاهره قيداً وكفراً لكنّه بحسب المعنى والواقع اطلاقٌ عن القيد لانّه تقيّد به.

ومعنى الصّلوة من الله الرّحمة عليه ومن الملائكة تزكيته كما فى الخبر، اوطلب نزول الرّحمة من الله عليه، ومن العباد طلب الرّحمة من الله تعالى عليه، ولمّا كان المؤمن فعليّته الاخيرة هى الصّورة النّازلة من ولىّ امره وهى صورة نازلة من محمّد (ص) كان طلبه الرّحمة من الله على محمّد (ص) طلباً للرّحمة على فعليّته الاخيرة فكان صلوته على محمّد (ص) دعاءً لنفسه ولذلك ورد فى خبر عن الرّضا (ع): وانّما صلوتنا رحمة عليه ولنا قربة، ولمّا كان محمّد (ص) مظهراً تامّاً لله كان من توجّه اليه وطلب الرّحمة من الله عليه توجّه الله اليه بمضمون: من تقرّب الىّ شبراً تقرّبت اليه باعاً؛ اكثر من توجّهه الى الله بعشر او بمائة او بالف او باكثر بحسب استعداد المصلّى، وتوجّه الله اليه ليس الّا صلوته ونزول رحمته على العبد، ولمّا كان الله حقيقة كلّ ذى حقيقة كان اذا توجّه الى شيءٍ توجّه كلّ الاشياء اليه، فاذا صلّى الله على عبد لم يبق شيءٌ الّا وصلّى عليه خصوصاً الملائكة المقرّبون لقربهم من الله تعالى ولذلك اقتصر فى بعض الاخبار على ذكر الملائكة، وفى بعضها اشير الى انّه لايبقى شيءٌ الّا وصلّى عليه [وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] يستفاد من بعض الاخبار انّ المراد بقوله سلّموا تسليماً التّحيّة الاسلاميّة، ومن بعضها انّ المراد التّسليم والانقياد له فيماجاء به من عندالله، ومن بعضها انّ المراد الانقياد له فيما جاء به من خلافة علىّ (ع)، ومن بعضها انّ المراد الانقياد لوصيّه (ع) [إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ] الجملة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ وتعليلٌ لقوله : ما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ، و انّما قال يؤذون الله مع انّ المقصود ايذاء الرّسول (ص) اشارة الى انّ ايذاء رسول الله (ص) ايذاء لله تعالى [وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا] تعريض بمن آذى علياً (ع) وفاطمة (ع) فانّه صلّى الله قال : فاطمة بضعة منّى فمن آذاها فقد آذانى ، وقال : من آذاها فى حيوتى كمن آذاها بعد موتى ، ومن آذاها بعد موتى كمن آذاها فى حيوتى ، ومن آذاها فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله ، وهو قول الله عزّوجلّ : انّ الّذين يؤذون الله و رسوله ، وعن علىّ (ع) انّه قال وهو آخذ بشعره فقال : حدّثنى رسول الله (ص) وهو آخذ بشعره ، فقال : من آذى شعرة منك فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله، ومن آذى الله فعليه لعنة الله [وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا] بغير معصية منهم استحقّوا بها الايذاء [فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا] كذباً يعنى انّ اذاهم بنسبة شيءٍ اليهم لم يفعلوه ولم يكن فيهم، اوالمقصود انّ ايذاء المؤمن ليس الّا امراً باطلاً وكلّ باطلٍ كذبٌ و بهتانٌ [وَإِثْمًا مُبِينًا] نزول هذه الآية فى ايذاء علىّ (ع) وفاطمة (ع) لا ينا فى عمومها لجميع المؤمنين و المؤمنات ، قال فى تفسير البيضاوى فى هذه الآية : روى انّها نزلت فى منافقين يؤذون علياً (ع) ، والسرّ فى ذلك انّ المؤمن من حيث ايمانه ليس الّا ولىّ امره ، و ايذاؤه من حيث ايمانه ليس الّا ايذاء ولىّ امره، وايذاء ولىّ أمره قرينٌ لايذاء محمّد (ص) وعلىّ (ع) وهو ايذاء الله [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ] ادبٌ آخرُ لنساء النّبىّ (ص) وسائر الامّة [قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ] كنّ لا يغطّين وجوههنّ وسائر مواضع زينتهنّ بجلبابهنّ فأمرهنّ الله تعالى بستر الوجوه والصّدور بالجلابيب حتّى يتميّزن عن سائر النّساء بذلك ، و الجلباب للنّساء ثوبٌ وسيعٌ يلبسنه فوق الثّياب دون الملحفة او هو الملحفة [ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ] بتميّزهنّ من الاماء والقيان وسائر النّساء [فَلَا يُؤْذَيْنَ] قيل: كان سبب نزولها انّ النّساء كنّ يخرجن الى المسجد و يصلّين خلف رسول الله (ص) فاذا كان باللّيل وخرجن الى صلوة المغرب و العشاء الآخرة و الغداة يقعد الشّباب لهنّ فى طريقهنّ فيؤذونهنّ ويتعرّضون لهنّ [وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا] فيغفر تقصيرهنّ فيما سلف و يرحمهنّ بتعليم آداب المعاشرة لهنّ [لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ] لمّا اراد تهديد اهل الرّيبة الّذين كانوا يتعرّضون للنّساء فى الطّرق ضمّ معهم المنافقين والمرجفين [وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ] الّذين يرجفون اى يخوضون فى اخبار الفتن و يثيرون الفتن بين النّاس [لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا] زماناً اوجواراً قليلاً ، اوهو مستثنى من الفاعل [مَلْعُونِينَ] حالٌ من فاعل لا يجاورونك [أَيْنَمَا ثُقِفُوا] حال آخر منه اومن مرفوع ملعونين [أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا] يعنى ان لم ينتهوا يخرجوا من المدينة بأسوء حال جامعين بين اللّعن والطّرد من الرّحمة فى الدّنيا والآخرة و بين التّضييق بالقتل والاخذ و بين لعن النّاس لهم و بين التّضييق عليهم بالقتل اينما ثقفوا [سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ] من الانبياء (ع) ومرجفى اممهم [وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ] قد مرّ مراراً انّ السّاعة فسّرت بساعة الموت وهى القيامة الصّغرى و بساعة ظهور القائم (ع) وهى ايضاً قيامةٌ اخرى اختياريّة اواضطراريّة و بالقيامة الكبرى وفيهما ايضاً يكون ظهور القائم (ع) ، و لمّا كان كلّ ذلك فى طول الزّمان لا فى عرضه ولا يمكن للمحجوبين بحجب الزّمان و المكان ادراكها ، ولا يعلمها الّا من خرج من حدود الزّمان والمكان ولحق بالملأ الاعلى وعلم بعلم الله الّذى هو عندالله لا عند

الخلق امره الله ان یجیبهم بالاجمال ، فقال [قُلْ اِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللّهِ] وانتم تکونون عند النّاس ولا یعلم العلم الّذی یکون عندالله الّا من کان عندالله وعلم بعلم الله [وَما یُدْریكَ لَعَلَّ السّاعَةَ تَکُونُ قَرِیباً] یعنی انّ السّاعة و ان کانت فی طول الزّمان والمتقیّدون بالزّمان متباعدون منها غایة البعد لکنّها قریبة منهم غایة القرب لانّها بمنزلة الرّوح للزّمان والزّمانیّات وروح الشّیء اقرب من کلّ شیء الیه [اِنَّ اللّهَ لَعَنَ الْکافِرِینَ] کان المناسب ههنا ان یکون المراد بالکافرین الکافرین بالسّاعة [وَاَعَدَّ لَهُمْ سَعِیراً خالِدِینَ فِیها اَبَداً لا یَجِدُونَ وَلِیّاً وَلا نَصِیراً یَوْمَ تُقَلَّبُ] متعلّق بقوله لا یجدون او بیقولون [وُجُوهُهُمْ فِی النّارِ یَقُولُونَ یا لَیْتَنا اَطَعْنَا اللّهَ وَاَطَعْنَا الرَّسُولا] فی حقّ علیّ (ع) [وَقالُوا رَبَّنا اِنّا اَطَعْنا سادَتَنا] وقرئ ساداتنا علی جمع الجمع [وَکُبَراءَنا فَاَضَلُّونَا السَّبِیلا] قرئ الرّسول و السّبیل بالالف للوقف علی الفتح بالالف واجراء الوصل علی حال الوقف [رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَیْنِ مِنَ الْعَذابِ] لضلالهم واضلالهم ایّانا [وَالْعَنْهُمْ لَعْناً کَبِیراً] وقرئ کثیراً بالثّاء المثلّثة، القمّی کنایة عن الّذین غصبوا آل محمّد (ص) حقّهم یالیتنا اطعناالله واطعنا الرّسولا یعنی فی امیرالمؤمنین (ع) والسّادة والکبراء هما اوّل من بدأ بظلمهم و غصبهم فأضلّونا السّبیلا ای طریق الجنّة و السّبیل امیرالمؤمنین (ع) [یا اَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَکُونُوا کَالَّذِینَ آذَوْا مُوسی فَبَرَّأَهُ اللّهُ مِمّا قالُوا] فی حقّه وآذوه، وکان مناسب المقام من حمل الآیات فی ایذاء الرّسول وایذاء المؤمنین علی ایذائه فی علیّ (ع) وایذاء علیّ (ع) وفاطمة (ع) ان یکون المعنی لا تکونوا فی ایذاء الرّسول اوفی ایذاء علیّ (ع) کالّذین آذوا موسی [وَکانَ عِنْدَ اللّهِ وَجِیهاً] وذلك انّ موسی کان حیّیاً لا یغتسل الّا فی موضع لا یراه احد فقال بعض انّه عنّین وقال بعض: انّه لیس له ما للرّجال، وقال بعض: انّ به عیباً امّا برص او اُدْرة[1] فذهب مرّة یغتسل ووضع ثوبه علی حجر فمرّ الحجر بثوبه فطلبه موسی (ع) فرآه بنواسرائیل عریاناً کأحسن الرّجال فبرّأه الله ممّا قالوا [یا اَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِیداً] لمّا نهی المؤمنین عن ایذاء الرّسول (ص) بنسبة ما لا یلیق به الیه من انّه یرید ان یجعل ابن عمّه امیراً علینا ، اولیس مایقوله فی حقّ علیّ (ع) من الله تعالی او امثال ذلك اراد ان یأمرهم بان یقولوا قولاً صدقاً لا شوب بطلان فیه ولا یتولّد منه شین علی القائل اوالمقول فیه اواحد من المؤمنین ولا یکون فیه اذی احد من المؤمنین [یُصْلِحْ لَکُمْ اَعْمالَکُمْ] الّتی تعملونها ان کان فیها خلل وفساد یعنی انّ اللّسان رئیس سائر الاعضاء فان صلح وصلح ما یجری علیه یصلح الله جمیع اعمال الاعضاء [وَیَغْفِرْ لَکُمْ ذُنُوبَکُمْ] عن الصّادق (ع) انّه قال لعبّاد بن کثیر الصّوفیّ البصریّ : ویحك ، یا عبّاد غرّك ان عفّ بطنك و فرجك؟! انّ الله عزّوجلّ یقول فی کتابه : یا ایّها الّذین آمنوا اتّقوا الله و قولوا قولاً سدیداً یصلح لکم اعمالکم ، اعلم ، انّه لا یقبل الله منك شیئاً حتّی تقول قولاً عدلاً ، وهذا الخبر یدلّ علی انّ اهل العلم والعرفان اذا لم یکونوا مجازین فی القول لا ینبغی ان یقولوا حقّاً فانّ اصل سداد القول بان یکون باذن من الله، ولاسیّما اذا کان فیما یتعلّق بدین الله ، واذا اجیزوا لا ینبغی ان یقولوا الّا ما علموه و عرفوه انّه حقّ ، فالویل کلّ الویل لمن تشبّه باهل الحقّ من الصّوفیّة والعلماء ! فیجری علی لسانه کلّ ماخطر علی قلبه من غیر اذن واجازة من الله فی القول [وَمَنْ یُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِیماً] یعنی من یطع الله و رسوله فی ولایة علیّ (ع) کما فی الاخبار [اِنّا عَرَضْنَا الْاَمانَةَ عَلَی السَّمواتِ وَالْاَرْضِ وَالْجِبالِ فَاَبَیْنَ اَنْ یَحْمِلْنَها وَاَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَهَا الْاِنْسانُ اِنَّهُ کانَ ظَلُوماً جَهُولاً] المراد بالامانة کما اشیر الیه فی سورتی النّساء والمؤمنون وغیرهما وفی هذه السّورة قبیل هذا اللّطیفة السّیّارة الانسانیّة الّتی

(۱) الاُدْرة = بالضّمّ الفتق .

لم يكن فى خزانة الحقّ تعالى شأنه جوهر ابهى وامثل منها، فأخرجها من خزانته الغيبيّة وعرضها على سماوات العقول والنّفوس وسماوات الافلاك الطّبيعيّة بان امرّها عليها ثمّ عرضها على اراضى العناصر ثمّ على جبال المواليد فأبى الكلّ من حملها لما لم يكن لها بأهل، لانّ هذه الجوهرة بذاتها كانت تقتضى محلّاً مأمناً عليه حفّاظ كثيرة لكثرة سرّاقها وحسّادها و مستعدّاً للخروج من التّقيّد و الحدود والوصول الى عالم الاطلاق، وكلّ تلك المذكورات امّا لم يكن مستعدّاً للخروج من الحدود او لم يكن مستعدّاً اولا مأمناً ولا عليه حفّاظ ، فأشفق كلّ منها عليها و من فنائها و هلاكها وتضرّع على الله ان يعفيه منها، ثمّ عرضها على المولود الاخير وغاية الكلّ و نهاية الجميع فوجده اهلاً لحمله، و نظر الانسان الى استعداده وقوّة الخروج عن الحدود فاشتاق اليها وتقبّلها وسأل الحفّاظ والمعاونين من سنخ الجنّة والشّياطين وسأل الحفّاظ من سنخ الاناسىّ فأعطاه الله ذلك، و بهذا البيان للامانة يجتمع المختلفات من الاخبار و يتوافق المتخالفات منها ؛ فقد فسّرت فيها بمطلق التّكليف ، و بالصّلوة ، و بالامامة و الامارة ، و بالخلافة ، و بمنزلة محمّد (ص) و آل محمّد ، و بتمنّى منزلتهم، و بمطلق الامانة، و بولاية علىّ بن ابى طالب (ع) ، و بشهادة حسين بن علىّ (ع) ، و بالخلافة المغصوبة ، و باختلاف التّفاسير فى الامانة يختلف تفسير الانسان بعلىّ (ع) وحسين (ع) وآدم (ع) وغاصبى الخلافة ومطلق الانسان وهكذا الظّلوم والجهول، فمن اراد الاطّلاع على اختلاف الاخبار فليرجع الى كتب التّفاسير و الاخبار [لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنافِقِينَ وَالْمُنافِقاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكاتِ] تعليل لعرض الامانة اولحملها الانسان كما انّ قوله : انّا عرضنا الامانة كان تعليلاً لقوله اتّقوا الله وقولوا قولاً سديداً اولقوله يصلح لكم و يغفر ذنوبكم كأنّه قال : اتّقوا سخط الله وعذابه لانّا لم نعرض الامانة على السّماوات والارض الّا لتميّز المنافق و المشرك عن المؤمن والّا لعذاب المنافق وثواب المؤمن او يصلح لكم اعمالكم و يغفر لكم ذنوبكم لانّا لم نعرض الامانة الّا لذلك، و تقديم عذاب المنافق و نسبة العذاب الى الله لكون السّورة نازلة فى تفضيح المنافقين ولذلك كان اوّل السّورة نهياً لمحمّد (ص) عن طاعة المنافقين، و نقل عنهم انّ سورة الاحزاب فضحت نساء قريش من العرب وكانت اطول من سورة البقرة ولكن نقّصوها وحرّفوها فادّى تعالى شأنه عذاب المنافقين كأنّه هو الغاية ، ونسب العذاب الى نفسه لذلك، ولان يختم السّورة بثواب المؤمنين و رحمتهم [وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ وَكانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً] فالغاية بالذّات ليست الّا مغفرة الله و رحمته للمؤمنين فهو استدراك لما يتوهّم من كون الغاية بالذّات هو عذاب المنافقين اوعذابهم و رحمة المؤمنين .

سُورَةُ سَبَاء

مكّيّة كلّها ؛ خمس وخمسون آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ] قد مضى تفسيره فى اوّل الحمد [الَّذى لَهُ ما فِى السَّمٰواتِ] اى سماوات الارواح

وسماوات الافلاك [وَمٰافِی الْاَرْضِ] ای ارض عالمی المثال و عالم الطّبع فانّ الکلّ بالنّسبة الی الارواح اراض وارض العنصر وقد تکرّر انّ اللّام فی مثل هذا تستعمل فی المبدئیّة والمرجعیّة والمالکیة ونکرّر ایضاً انّه اذاقیل: لزید مافی الصّندوق، یدلّ علی انّ الصّندوق ومافیه له خصوصاً اذاکان مافی الصّندوق نفیساً [وَلَهُ الْحَمْدُ فِی الْاٰخِرَةِ] ای یخصّه الحمد فی الدّار الآخرة او یخصّه فی آخرة مراتب الحمد فانّه یتراءی ان یکون غیره محموداً ایضاً مادام الانسان فی الدّنیا او فی مراتب الحمد و بعد النّظر الدّقیق وفی دارالآخرة الّتی یتراءی کلّ شیءٍ کماهو یعلم انّ الحمد خاصّ به [وَهُوَ الْحَکِیمُ] فی فعاله او فی فعاله و علومه [الْخَبِیرُ] بکلّ شیءٍ مع اتقان العمل و الدّقّة فی العلم [یَعْلَمُ مٰایَلِجُ فِی الْاَرْضِ] ای ما یدخل فی ارض عالم المثال العلویّ من اشعّة العقول والنّفوس، ومن صور علوم العقول والنّفوس، ومن الافاضات الّلاتی تفیض علیها من العالم العلویّ الّتی بهابقاؤها و رزقها، والّتی تفیض عنها الی مادونها من عالم الطّبع وعالم الجنّة و یعلم مایلج فی الارض الّتی هی جملة عالم الطّبع من اشعّة العقول والنّفوس وعالم المثال، وممّا یفیض علیها ممّا به بقاؤ ها و رزقها ، ومن الصّور الّتی تفیض علی اجرامها ، ومن الوجود الّذی یتجدّد علی جملة اجزائها آناً فآناً و یعلم مایلج فی الارض العنصریّة من اشعّة العقول والنّفوس وعالم المثال واشعّة کواکب الافلاك وصور الموالید والقوی والاستعدادات الّتی تدخل فیهابعدامتزاجهابسائر العناصر وتولّد الموالید منهاوهکذا الاستعدادات الّتی تدخل فی جملة الموالید و یعلم المیاه الّتی تدخل فیها من البحار والانهار والامطار و مایستحیل من الهواء الیها ومن الاجزاء الرّشیّة الهوائیّة الّتی تدخل فی تجاویفها ، و من الحبوب و العروق الّتی تدخل فیها ، ویعلم ما یلج فی الارض الّتی هی عالم الجنّة من القوی والاستعدادات ، ومن الاناسیّ الّذین یدخلون فی عالمهم من الاشقیاء الّذین یصیرون من سنخهم ، وممّا یفیض علیها من العلویّین ومن القوی والاستعدادات الّتی تتولّد فیها من تأثیر العلویّین ، ویعلم ما یلج فی عالم البرزخ المسمّی بهور قولیا فی لسان الاقدمین فانّه مدینة لها الف الف باب ، و فی النّزول یدخل فیها کلّ یوم من ابوابها المشرقیّة ما لا یحصی عددهم من الملائکة النّازلة ، و یدخل فیهامن تلك الابواب ما لا یحصی ممّا یفیض علی مادونهامن عالم الطّبع وعالم الجنّة ، وفی الصّعود یدخل فیها کلّ یومٍ بل کلّ آنٍ ما لا یحصی عددهم من الملائکة الصّاعدین والنّفوس البشریّة المنخلعة عن الابدان الصّاعدة الی المثال العلویّ وعالم الارواح، اوالنّازلة الی عالم الجنّة والجحیم [وَمٰایَخْرُجُ مِنْهٰا] یمکن ان یعلم ذلك بالمقایسة [وَمٰا یَنْزِلُ مِنَ السَّمٰاءِ وَمٰا یَعْرُجُ فِیهٰا وَهُوَ الرَّحِیمُ] الّذی یرحم عباده و خلقه بان لایقطع مدد حیوتهم و رزقهم منهم مع ما یری منهم من قبائح اعمالهم و مع ما یعرج منهم الی السّماوات من الاعمال السّیئة الّتی ینبغی ان یعذّبوا علیها [الْغَفُورُ] الّذی یستر قبائح اعمالهم عن الاناسیّ والملائکة بل عن انفسهم [وَقٰالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لاٰ تَأْتِینَا السّٰاعَةُ] ای القیامة اوظهور القائم اوالرّجعة انکروها و استبطأوها استهزاءً [قُلْ بَلیٰ وَرَبِّی لَتَأْتِیَنَّکُمْ عٰالِمِ الْغَیْبِ لاٰ یَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقٰالُ ذَرَّةٍ فِی السَّمٰوٰاتِ وَلاٰ فِی الْاَرْضِ وَلاٰ اَصْغَرُ مِنْ ذٰلِكَ وَلاٰ اَکْبَرُ اِلاّٰ فِی کِتٰابٍ مُبِینٍ] قد مضی فی سورة یونس (ع) تفسیر الآیة وقدّم الارض هناك واخّرها ههنا، و وجه تقدیم السّماوات ظاهرٌ، و وجه تقدیم الارض مضی هناك [لِیَجْزِیَ الَّذِینَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ اُولٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ کَرِیمٌ] لا تعب فیه ولا تبعة له ، تقدیم جزاء المؤمنین ونسبة الفعل الی الله اشعارٌ بانّ الغایة جزاء المؤمنین وانّه غایة بالذّات منسوبة الی الله بالذّات ولذلك غیّر الاسلوب ولم یقل ولیجزی الّذین سعوا فی آیات الله وقال [وَالَّذِینَ سَعَوْا فِی اٰیٰاتِنٰا] الآفاقیّة من الانبیاء والاولیاء علیهم السّلام بالاستهزاء بهم و توهینهم و ایذائهم و ضربهم وقتلهم و اخفاء احوالهم و اخلاقهم و سننهم عن النّاس

و تلبيس احكامهم وآياتنا الآفاقيّة الاخر باخفائها عن النّاس وعن انفسهم وآياتنا التّدوينيّة باخفائها وتحريفها وتأويلها الى مايوافق باطلهم [مُعاجِزينَ] النّاس عن اعلان حقّهم واظهار آية حقّهم اومعاجزين المدّعين لدلالة الآيات على الحقّ عن ادّعائهم اومعاجزين الله وخلفاءه، وقرئ معجزين بمعنى مثبّطين عن الايمان وعن النّظر الى دلالة الآية على الحقّ [أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مِنْ رِجْزٍ اَليمٌ] تنوين عذابٌ للتّفخيم والتّهويل، والرّجز مطلق العذاب وحينئذٍ يكون من للتّبعيض، او بيانيّة ويكون تنكيره للتّفخيم، اوالمراد منه عبادة الاوثان ويكون من للتّعليل او للابتداء، اوالمراد منه الشّرك ويكون التّنكير للتّفخيم والتّنويع ولفظة من كسابقها، والمراد بالشّرك العظيم هوالشّرك بالولاية، اوالمراد منه القذر ويكون لفظة من كسابقها والیم قرئ بالرّفع صفة لعذاب وبالجرّ صفة لرجزٍ [وَيَرَى الَّذينَ اُوتُوا الْعِلْمَ] يرى بمعنى يعتقد او يعلم والمراد بالعلم الّذى اوتوه هوالنّور الّذى يقذفه الله فى قلب من يشاء ولذلك قال تعالى: اوتوا العلم ولم يقل كسبوا العلم واولى درجات هذا العلم هوالنّور الّذى يجعل الانسان متحيّراً فى امره لايدرى ما يقول ولا مايفعل فيسكت عن الكلام ويتحيّر فى طلب اصله كيف يطلب، ولذلك قال (ص) حين سئل عن العلم: انّه الانصات [الَّذى أُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ] قرئ الحقّ منصوباً وعليه فالّذى انزل اليك مفعول اوّل ليرى وهو ضمير الفصل والحقّ مفعوله الثّانى وقرئ الحقّ مرفوعاً وعليه يجوز ان يكون الّذى انزل اليك صفة للعلم ومفعول يرى محذوفاً وجملة هوالحقّ مستأنفة، ويجوز ان يكون الموصول مفعولاً ليرى ويكون يرى متعدّياً لواحدٍ، اوالمفعول الثّانى محذوفاً وهوالحقّ جملة مستأنفة، ويجوز ان يكون الموصول مفعولاً اوّلاً وجملة هو الحقّ مفعولاً ثانياً والمراد بالّذى انزل اليه (ص) جملة ما انزل اليه اوالمعهود ممّا انزل اليه فى ولاية علىّ (ع) والمراد بالّذين اوتوا العلم علىّ (ع) او جملة المؤمنين [وَيَهْدى اِلٰى صِراطِ الْعَزيزِ الْحَميدِ] عطف على جملة هو الحقّ اوعطف على جملة يرى الّذين اوتوا العلم ويكون حينئذٍ ضمير الفاعل راجعاً الى البعض المستفاد من الّذين اوتوا العلم يعنى يهدى كلّ بعض منهم بوجوده وفعله وقوله وخلقه وحاله كعلىّ (ع) وبعض المؤمنين او ببعضها كبعضٍ آخر منهم [وَقالَ الَّذينَ كَفَرُوا] هذه الجملة مقابلة لقوله تعالى ويرى الّذين اوتوا العلم وهما معطوفتان وفيهما معنى التّعليل وكان المناسب للمقابلة ان يقول ويقول الّذين كفروا لكنّه للاشعار بثبات اقوال المؤمنين وافعالهم واستمرارها اتى هناك بالمضارع وللدّلالة على عدم ثبات اقوال الكافرين وافعالهم فانّها كشجرةٍ خبيثةٍ اجتثّت من فوق الارض اتى بالماضى ههنا [هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلٰى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ] بامرٍ عجيبٍ كانوا يعنون النّبىّ (ص) ويستهزؤن به [اِذا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ اِنَّكُمْ لَفى خَلْقٍ جَديدٍ] بالبعث بعد الموت [اَفْتَرٰى عَلَى اللهِ كَذِباً] فى نسبة ذلك الى الله اوفى ادّعاء الرّسالة من الله [اَمْ بِهِ جِنَّةٌ] اى جنون لايقول ما يقول عن قصدٍ وشعورٍ [بَلِ الَّذينَ لايُؤْمِنُونَ بِالْاٰخِرَةِ] وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بعلّة الحكم [فِى الْعَذابِ] الّذى جعلهم كالمجنون فى عدم الاعتناء بقولهم [وَالضَّلالِ الْبَعيدِ] نسبة البعد الى الضّلال مجاز عقلىّ يعنى انّهم مفترون وانّهم كالمجنون لاالرّسول [اَفَلَمْ يَرَوْا] اى الم ينظروا اوعموا فلم يروا؟ [اِلٰى ما بَيْنَ اَيْديهِمْ وَما خَلْفَهُمْ مِنَ السَّماءِ وَالْاَرْضِ] سماء الارواح وارض الاشباح فانّ الانسان من اوّل الخلقة متوجّه الى عالم الآخرة وعالم الارواح ومدبر عن عالم الاشباح، وايضاً ارض الطّبع تحت قدميه فهى كشيءٍ خلفه وسماء الطّبع فوق رأسه فهى بما بين يديه اشبه اولفظة من تبعيضيّة والمعنى الم ينظروا الى ما بين ايديهم؟ حال كونه بعضاً من السّماء وبعضاً من الارض، او ابتدائيّة والمعنى الم يروا الى ما بين ايديهم من الحوادث الماضية؟

حالکونه ناشئاً من حرکات السّماء وتأثّرات الارض اومن الحوادث الآتیة؟ علی اختلاف تفسیر مابین ایدیهم و ماخلفهم والانسان ان نظر الی سماء الطّبع و ما فیها من الکواکب وما منها من الآثار الحادثة فی الارض ونظر الی ارض الطّبع وما یحدث فیها بواسطة اشعّة الکواکب و دوران الافلاك ایقن انّ له مبدءً حکیماً ومرجعاً باقیاً ، وکذلك ان نظر الی نفسه و بدنه و اتّصالهما وتعانقهما و تعاشقهما ، و نظر الی انحلال البدن واستکمال النّفس بکمالاتها الّلائقة بها ایقن بفناء البدن و بقاء النّفس و انّ لهما محدثاً مدبّراً حکیماً علیماً قادراً مختاراً [اِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْاَرْضَ] الجملة بدل عن قوله الی مابین ایدیهم نحو بدل الاشتمال فیکون العامل معلّقاً عنه والمعنی الم یروا الی السّماء والارض والی انّا ان نشأ نخسف بهم الارض [اَوْ نُسْقِطْ عَلَیْهِمْ کِسَفاً مِنَ السَّماءِ] اوالجملة مستأنفة معترضة [اِنَّ فِی ذٰلِكَ] النّظر والفکر او فی مابین ایدیهم وما خلفهم من السّماء والارض اوفی قدرتنا علی خسف الارض واسقاط الکسف من السّماء [لَاٰیَةً] دالّةً علی المبدء والمعاد [لِکُلِّ عَبْدٍ مُنِیبٍ] الی باطنه مشتغل بنفسه عن غیر نفسه اومنیب الی ربّه بالرّجوع الی ولیّ امره اوالی ولیّ امره بالتّوبة علی یده والبیعة معه [وَلَقَدْ اٰتَیْنا داوُدَ مِنّا فَضْلًا] جملة حالیّة او معطوفة علی مقدّرٍ والمعنی ، لم لاینظرون الی مابین ایدیهم؟ او الی ماخلفهم من الحوادث الماضیة؟ حتّی ایقنوا بالمبدء العلیم الحکیم ، والحال انّا آتینا داود منّا فضلاً بدلّ علی ذلك اوالتّقدیر لقد احدثنا فی مامضی آیات عجیبةً دالّةً علی کمال قدرتنا وخبرتنا و لقد آتینا داود منّا فضلاً [یا جِبالُ] حال او مستأنفٌ او بدل تفصیلیّ من آتینا و الکلّ بتقدیر القول ای قلنا یاجبال [اَوِّبِی] رجّعی نداءه بالتّسبیح بصدائك [مَعَهُ وَالطَّیْرَ] قرئ بالرّفع عطفاً علی الجبال او علی المستتر فی اوّبی واکتفی عن التّأکید بالمنفصل بفاصلٍ ما، وقرئ بالنّصب عطفاً علی محلّ جبال اوعلی الضّمیر المجرور علی ضعفٍ فی العطف علی الضّمیر المجرور بدون اعادة الجارّ ، او مفعولاً معه ، وقد مضی الآیة مع بیانها فی سورة الانبیاء [وَاَلَنّا لَهُ الْحَدِیدَ] مثل الشّمعة یطیعه فی ایّ شکل اراد [اَنِ اعْمَلْ] ان تفسیریّة اومصدریّة [سابِغاتٍ] دروعاً واسعاتٍ واکتفی بالسّابغات لشهرة صنع الدّروع من الحدید من داود(ع) [وَقَدِّرْ فِی السَّرْدِ] فی حلقها و نسجها و مسامیرها بحیث یمکن لبسها وتمنع السّیف و السّهم و السّنان من النّفوذ فیها ، ولا یکون ثقیلاً یعجز الّلابس عن حملها ، ولاخفیفاً لایمنع المذکورات من النّفوذ [وَاعْمَلُوا صالِحًا] ضمّ اهله او عشیرته او امّته معه فی الخطاب ، وتنکیر صالحاً امّا للتّحقیر والاکتفاء منهم بصالح ما او للتّفخیم والاشعار بالصّالح الحقیقیّ الّذی هو الولایة [اِنِّی بِما تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ وَلِسُلَیْمٰنَ] ای ألنّا لسلیمان (ع) [الرِّیحَ] بمعنی سخّرناها له [غُدُوُّها] ای سیرها فی طرف الصّبح [شَهْرٌ وَرَواحُها] ای سیرها فی طرف العصر [شَهْرٌ] قیل کانت الرّیح تحمل کرسیّه او بساطه فتسیر به بالغداة مسیرة شهرٍ و بالعشیّ مسیرة شهرٍ [وَاَسَلْنا لَهُ عَیْنَ الْقِطْرِ] ای الصّفر، قیل: اسال له النّحاس من معدنه ینبع منه نبوع الماء من الینبوع ولذلك سمّاه عیناً وکان ذلك بالیمن [وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ یَعْمَلُ بَیْنَ یَدَیْهِ] ای بین یدی سلیمان (ع) [بِاِذْنِ رَبِّهِ] الضّمیر للموصول اولسلیمان [وَمَنْ یَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ اَمْرِنا نُذِقْهُ مِنْ عَذابِ السَّعِیرِ] فی الدّنیا او فی الآخرة [یَعْمَلُونَ لَهُ ما یَشاءُ مِنْ مَحارِیبَ] ای قصورٍ رفیعة سمّیت بها لمنعها من الاستیلاء علیها والقدرة علی المحاربة فیها [وَتَماثِیلَ] ای صورٍ، عن الصّادق (ع) : واللهِ ماهی تماثیل الرّجال والنّساء ولکنّها الشّجر وشبهه [وَجِفانٍ] جمع الجفنة بمعنی القصعة [کَالْجَوابِ] جمع الجابیة الحوض الضّخم [وَقُدُورٍ

رٰاسِيٰاتٍ] ثابتات على الاثافيّ لاتنزل عن مكانها لعظمها [اِعْمَلُوا] اى قائلين اعملوا [آلَ دٰاوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبٰادِيَ الشَّكُورُ] الكثير الشّكر الّذى لايغفل عن النّعمة والانعام و تعظيم المنعم وصرفها فى وجهها ومع ذلك لا يمكن لاحدٍ اداء الشّكر حقّه، لانّ الشّكر نعمة اعظم من كلّ نعمة يشكر عليها [فَلَمّٰا قَضَيْنٰا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مٰا دَلَّهُمْ عَلىٰ مَوْتِهِ إِلاّٰ دٰابَّةُ الْأَرْضِ] اى الارضة وهى بتحريك الرّاء دويبة معروفه تأكل الخشب وتجعله كالارض وفعلها يسمّى ارضاً بمعنى اكل الخشب وجعله كالارض لانّها تجعل سطح الخشب من الطّين الّذى تجعله عليه كالارض واضافتها الى الارض اضافة الفاعل الى الفعل اواضافة الفاعل الى مايجعل المنفعل مثله ، ومفعول دلّهم راجع الى الجنّ او الى الانس اوالى المجموع [تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ] اسم آلة من نسأه اذا طرده او دفعه او ساقه [فَلَمّٰا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مٰا لَبِثُوا فِي الْعَذٰابِ الْمُهِينِ] روى عن الرّضا (ع) : انّ سليمان بن داود (ع) قال ذات يوم لاصحابه : انّ الله تعالى وهب لى ملكاً لاينبغى لاحدٍ من بعدى سخّر لى الرّيح والانس و الجنّ والطّير والوحوش وعلّمنى منطق الطّير وآتانى من كلّ شيءٍ ، ومع جميع مااوتيت من الملك ما تمّ لى سرور يومٍ الى اللّيل وقد احببت ان ادخل قصرى فى غدٍ فاصعد اعلاه وانظر الى ممالكى ولاتأذنوا لاحدٍ علىّ لئلّا يرد علىّ ما ينغّص علىّ يومى ، قالوا: نعم، فلمّا كان من الغد اخذ عصاه بيده وصعد الى اعلى موضعٍ من قصره ووقف متّكئاً على عصاه ينظر الى ممالكه مسروراً بما اوتى فرحاً بما اعطى اذ نظر الى شابٍّ حسن الوجه و اللّباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره فلمّا بصر به سليمان (ع) قال له: من أدخلك الى هذا القصر؟ وقد اردت ان اخلو فيه اليوم؟ فباذن من دخلت؟ - قال الشّابّ: ادخلنى هذا القصر ربّه و باذنه دخلت ، فقال : ربّه احقّ به منّى: فمن انت؟ - قال انا ملك الموت ، قال: وفيما جئت؟ - قال: جئت لاقبض، قال: امض لما امرت به فهذا يوم سرورى ، و ابى الله عزّوجلّ ان يكون لى سرور دون لقائه ، فقبض ملك الموت روحه وهو متّكىٌ على عصاه ، فبقى سليمان (ع) متّكئاً على عصاه وهو ميّت ماشاء الله والنّاس ينظرون اليه وهم يقدّرون انّه حىّ فافتتنوا فيه واختلفوا ، فمنهم من قال: قد بقى سليمان (ع) متّكئاً على عصاه هذه الايّام الكثيرة ولم يتعب ولم ينم ولم يأكل ولم يشرب ، انّه لربّنا الّذى يجب علينا ان نعبده ، وقال قوم: انّ سليمان (ع) ساحرٌ وانّه يرينا انّه واقف متّكىٌ على عصاه بسحر اعيننا ، وليس كذلك فقال المؤمنون : انّ سليمان (ع) هو عبد الله و نبيّه يدبّر الله امره بما يشاء فلمّا اختلفوا بعث الله عزّوجلّ الارضة فدبّت فى عصاه فلمّا اكلت جوفها انكسرت العصا وخرّ سليمان (ع) من قصره على وجهه، فشكرت الجنّ للارضة صنيعها فلاجل ذلك لا توجد الارضة فى مكانٍ الّا و عندها ماءٌ و طين وذلك قول الله عزّوجلّ: فلمّا قضينا عليه الموت مادلّهم على موته الّا دابّة الارض تأكل منسأته يعنى عصاه فلمّا خرّ تبيّنت الجنّ ان لو كانوا (الآية) ثمّ قال الصّادق (ع)، والله مانزلت هذه الآية هكذا وانّما نزلت فلمّا خرّ تبيّنت الانس انّ الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين ، وعن النّبىّ (ص) : عاش سليمان بن داود سبعمائه سنة و اثنتى عشرة سنةً [لَقَدْ كٰانَ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: هذا المذكور من حوادث السّماء والارض الدّالّة على علمه تعالى وقدرته و حكمته كان من نعم الله تعالى وانعامه فهل وقع من نقمه مايدلّ على ذلك؟ - فقال تعالى: لقد كان [لِسَبَإٍ] لاولاد سبأ بن يشحب بن يعرب بن قحطان، عن النّبىّ (ص) انّه سئل عن سبأ أرجل هو ام امرأة ؟ - فقال: هو رجل من العرب ولّد عشرةً تيامن منهم ستّة وتشاءم منهم اربعة فامّا الّذين تيامنوا فالازد وكندة و مذحج والاشعرون وانمار وحمير، قيل: ما انمار ؟ - قال : الّذين منهم خثعم و بجيلة ، و امّا الّذين تشاءموا فعاملة وجزام و لخم وغسّان [فِي مَسْكَنِهِمْ] وقرىٔ فى مساكنهم وهو موضع سكناهم، قيل: كان باليمن و يقال له مأرب بينه و بين صنعاء مسيرة ثلاث

[اٰيَةٌ] دالّة على قدرة الحقّ وعنايته بخلقه و ثوابه وعقابه فى الدّنيا والآخرة [جَنَّتَانِ] جماعتان من البساتين [عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ] لبلدهم فى مسيرة عشرة ايّام كلّ واحدة كأنّها بستان واحد لتضامّها والتفافها مقولاً فيهم [كُلُوا] اوهومستأنف بتقدير القول كأنّه قيل: ما قيل لهم ؟ـ او ما قلت ياربّ لهم؟ـ فقال: قيل اوقلنا: كلوا [مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ] هذه ايضاً مستأنفة فى مقام التّعليل اى هذه بلدة طيّبة [وَرَبٌّ غَفُورٌ] وقرئ الكلمات الاربع بالنّصب على الحاليّة اوعلى المدح [فَأَعْرَضُوا] عن الشّكر بل ملّوا عن النّعمة كما سيأتى [فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ] قد فسّر العرم بالسّدّ الّذى يبنى فى الاودية وهوجمع بلاواحد او واحده العرمة ، و بالجُرُز[1] الّذكر الّذى خرّب سدّهم ، و بالمطر الشّديد ، و بوادٍ كان السّدّ فيه ، قيل: انّ بحراً كان فى اليمن وكان سليمان (ع) امر جنوده ان يجروا لهم خليجاً من البحر العذب الى بلاد الهند ففعلوا ذلك وعقد واله عقدة عظيمة من الصّخرة والكلس حتّى يفيض على بلادهم وجعلوا للخليج مجارى فكانوا اذا ارادوا ان يرسلوا منه الماء ارسلوه بقدر مايحتاجون اليه، وكانت لهم جنّتان عن يمينٍ وشمالٍ عن مسيرة عشرة ايّام فيها يمرّ المارّ لايقع عليه الشّمس من التفافها، فلمّا عملوا بالمعاصى وعتوا عن امر ربّهم و نهاهم الصّالحون فلم ينتهوا بعث الله عزّوجلّ على ذلك السّدّ الجرز وهى الفأرة الكبيرة فكان تقلع الصّخرة الّتى لاتستقلّها الرّجال وترمى بها فلمّا رأى ذلك قوم منهم هر بوا وتركوا البلاد فمازال الجرز تقلع الحجر حتّى خرّبت ذلك فلم يشعروا حتّى غشيهم السّيل وخرّب بلادهم وقلع اشجارهم [وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ اُكُلٍ خَمْطٍ] مُرّ بشع قيل المراد به امّ غيلان [وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ] لمّا كان ثمر السّدر ممّا يؤكل وصفه بالقلّة وسمّى بدل الجنّتين بالجنّتين للتّهكّم [ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا] فتنبّهوا يا امّة محمّدٍ (ص) ولاتكفروا نعمة النّبوّة والولاية اللّتين هما كبستانين حافّتين ليمينكم وشمالكم ولاتكفروا نعمة صفحتى النّفس العمّالة والعلّامة ولاتكفروا نعمة الاسلام الحاصل بالبيعة العامّة النّبويّة، والايمان الحاصل بالبيعة الخاصّة الولويّة، ولاتكفروا نعمة احكام الشّريعة القالبيّة ، ولا نعمة آثار الطّريقة القلبيّة [وَهَلْ نُجَازِى اِلَّا الْكَفُورَ] قرئ نجازى بالنّون والكفور بالنّصب، ويجازى بالياء مبنيّاً للمفعول والكفور بالرّفع [وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا] اى بلاد الشّام وقيل مكّة [قُرًى ظَاهِرَةً] يعنى متواصلة يظهر بعضها لبعض لقربها واتّصالها [وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ] بحيث ينتقل كلّ من الغادى والرّائح من قرية الى قرية اخرى من غير تعبٍ فى السّير [سِيرُوا فِيهَا] حال بتقدير القول اومستأنفٌ جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول [لَيَالِىَ وَاَيَّامًا] الى الشّام اوالى مكّة [اٰمِنِينَ] من الجوع والعطش و من السّرّاق و قطّاع الطّريق [فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ اَسْفَارِنَا] بلسان الحال حيث عملوا بالمعاصى وكفروا النّعمة او بلسان القال والحال جميعاً بان اظهروا الملال من النّعمة والعافية وسألوا بعد المسافة فى الاسفار ليتطاولوا فيها بحمل الزّاد ومايحتاج اليه فى الاسفار على الفقراء، وقرئ ربّنا بالنّصب و بعّد بصيغة الامر من التّفعيل و بعُد بصيغة الماضى من الثّلاثى المجرّد، و ربّنا بالرّفع و باعد بصيغة الماضى من المفاعلة، والقراءة المشهورة ربّنا بالنّصب و باعد من المفاعلة بصيغة الامر، واذا كان بصيغة الخبر كان مقصودهم عدم الاعتداد بالنّعمة وطلباً للمزيد مع الكفران [وَظَلَمُوا اَنْفُسَهُمْ] بكفران النّعمة [فَجَعَلْنَاهُمْ اَحَادِيثَ] جمع الحديث على الشّذوذ، اوجمع الاحداث جمع الحدث،

---

(١) ـ الفأرة الكبيرة ، والارض الجرز التى لاتنبت .

اوجمع الا حدوثة بمعنى الامر الغريب يعنى جعلناهم بحسب حالهم ومآلهم من غرائب الدّهر بحيث يتحدّث النّاس بهم و بحالهم [وَمَزَّقْنٰاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ] فرّقناهم كلّ تفريقٍ حتّى لحق كلّ ببلدٍ، قيل: لحق غسّان منهم بالشّام، وانمار بيثرب، وجزام بتهامة والأزد بعمّان [إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ] دالّة على قدرتنا على الخسف و اسقاط الكسف وعلى علمنا وحكمتنا وتدبيرنا لامورعبادنا ، وجزاء كلّ منهم بحسب حاله ، وعلى انّا نجزى الشّكور بالمزيد والكفور بسلب النّعمة [لِكُلِّ صَبّٰارٍ] عن المعاصى و على الطّاعات وعلى المصائب فانّ غير الصبّار لكونه اسيراً للشّهوات والغضبات ومورداً للبلايا لايكون له فراغ حتّى يتأمّل فى ذلك و يستدلّ بها على شيءٍ آخر [شَكُورٍ] ناظرفى النّعمة الى الانعام والى المنعم وامّا الغافل عن المنعم والانعام فلايدرك من النّعمة و زوالها وتغيّرها تصرّف المنعم فيها حتّى يستدلّ من النّعمة و تبدّلاتها على صفات المنعم وعلمه وحكمته وقدرته .

اعلم ، انّ الآيات القرآنيّة كالآيات العظمى الآفاقيّة من الانبياء والاولياء (ع) لها ظواهر و بواطن الى سبعة ابطن الى سبعين الى سبعين الف بطن الى ماشاءالله ، ولها تنزيل وتأويل ولتأويلها تأويل الى سبعة الى ماشاءالله ، وتنزيل هذه الآية قد ذكر ، وقد ورد عن الصّادق (ع) فى تنزيلها انّه قال: هؤلاء قومٌ كانت لهم قرىً متّصلة ينظر بعضهم الى بعض و انهارٌ جارية و اموالٌ ظاهرة فكفروا نعم الله عزّوجلّ وغيّروا ما بانفسهم من عافية الله، فغيّر الله ما بهم من نعمة وانّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بانفسهم ، فارسل الله عليهم سيل العرم ففرّق قراهم وخرّب ديارهم وذهب بأموالهم و ابدلهم مكان جنّتيهم جنّتين ذواتى اكل خمط واثل وشيءٍ من سدرٍ قليلٍ وتأويلها بحسب الصّغير والكبير كثيرٌ؛ فانّ النّفس الحيوانيّة بعد تجلّى العقل عليها بالنّفس الانسانيّة يجعل الله بينها و بين القرى المباركة الّتى هى العقول والارواح قرىً ظاهرة من مراتب النّفس الانسانيّة ومراتب القلب فتسأل بلسان حالها بالتّولّى عن تلك القرى و التّوغّل فى المشتهيات الحيوانيّة بُعد السّفر بينها و بين القرى، او تستبعد بتوغّلها فى تلك المشتهيات السّفر الى تلك القرى فتتبّط الى الارض الحيوانيّة و تتوحّش من السّفر اليها ، و ايضاً افراد الانسان بعد البلوغ و استكمال النّفس الحيوانيّة بالنّفس الانسانيّة يجعل الله بينهم و بين القرى المباركة الّذين هم مشايخ الائمّة (ع) قرى ظاهرة هى شيعتهم و رواة احاديثهم ونقلة اخبارهم فيتولّون عنهم و يسألون بلسان حالهم بعد الاسفار والمشقّة والاخطار، او يجعل الله بينهم و بين القرى المباركة الّذين هم الائمّة (ع) قرىً ظاهرة هم مشايخ الائمّة (ع) الّذين نصبهم الائمّة (ع) لهداية الخلق واخذ العهد منهم بالبيعة على ايديهم والتّوبة عندهم وعلى ايديهم اوافراد الانسان بعد الاسلام والبيعة العامّة وقبول الدّعوة الظّاهرة يجعل الله بينهم و بين القرى المباركة الّذين هم مشايخ الائمّة (ع) اوهم الائمّة (ع) قرى ظاهرة، اوافراد الانسان بعد الايمان والبيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة يجعل الله بينهم و بين القرى المباركة الّذين هم الائمّة (ع) مشايخ وناقلين لاخبارهم ، او يجعل الله بينهم و بين القرى المباركة الّذين هم الائمّة بنورانيّتهم وظهور ملكوتهم على نفوس بايعيهم قرىً ظاهرة من مراتب ذكرهم وفكرهم ، اومن مراتب نفوسهم الى مراتب قلوبهم الّتى فيها يظهر ائمّتهم بنورانيّتهم ، اوافراد الانسان بعد ما يظهر عليهم ائمّتهم بنورانيّتهم يجعل الله لهم قرىً ظاهرة هى مراتب نورانيّة ائمّتهم بينهم و بين مقام ولاية ائمّتهم فيمزّق كلّ هؤلاء، كمايشاهد من النّاس غير المؤمنين بالبيعة الخاصّة الثّابتين على ايمانهم المسافرين على القرى الظّاهرة من تفرّقهم كلّ التّفرّق بحسب المقصد والمذهب و الارادة و المشتهى بحيث يلعن بعضهم بعضاً و يبغض ويكفّر بعضهم بعضاً قلّما يتّفق منهم اثنان ، وان اتّفق اتّفاقهم بالنّسبة الى بعض المؤمنين كان اتّفاقهم كاتّفاق الكلاب الواقعة على الجيف من حيث انّها يبغض كلّ للآخر و يعقر كلّ للآخر ، واذا رأت انساناً من بعيدٍ مع انّه متأذٍّ من جيفتها تتّفق فى الحمل عليه و نهشه وقتله ، اعاذنا الله من غضبه وكفران نعمه .

وقد ورد عن الباقر (ع) انّه قال: بل فينا ضرب الله الامثال فى القرآن فنحن القرى الّتى بارك الله فيها و ذلك قول الله عزّ وجلّ فيمن اقرّ بفضلنا حيث امرهم ان يأتونا فقال: و جعلنا بينهم و بين القرى الّتى باركنا فيها ، اى جعلنا بينهم و بين شيعتهم القرى الّتى باركنا فيها قرىً ظاهرة ، والقرى الظّاهرة الرّسل والنّقلة عنّا الى شيعتنا و فقهاء شيعتنا وقوله سبحانه: و قدّرنا فيها السّير فالسّير مثل للعلم سير به فيها ليالى و ايّاماً مثل مايسير من العلم فى اللّيالى والايّام عنّا اليهم فى الحلال والحرام والفرائض و الاحكام آمنين فيها اذا أخذوا عن معدنها الّذى امروا ان يأخذوا منه آمنين من الشّكّ والضّلال والنّقلة من الحرام الى الحلال، والاخبار فى هذا المعنى واردة منهم كثيراً [وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ] الّذى اظهره عند قوله لاغوينّهم اجمعين و عند قوله لاضلّنّهم ولا منّينّهم (الآية).

اعلم، انّ تنزيل هذه الآية فى اهل سبا لكن تأويلها فى منافقى امّة محمّد (ص) فانّه ورد عن ابى جعفر (ع) انّه قال: لمّا اخذ رسول الله (ص) بيد علىّ (ع) يوم الغدير صرخ ابليس فى جنوده صرخةً لم يبق منهم احد فى برٍّ ولا بحرٍ الّا اتاه فقالوا : ياسيّدنا ومولينا، ماذا دهاك؟ فما سمعنا لك صرخةً اوحش من صرختك هذه ؟- فقال لهم : فعل هذا النّبىّ فعلاً ان تمّ لم يعص الله ابداً ، فقالوا : يا سيّدنا انت كنت لآدم، فلمّا قال المنافقون ينطق عن الهوى ، وقال احدهما لصاحبه : اما ترى عينيه تدوران فى رأسه كأنّه مجنون، يعنون رسول الله (ص) صرخ ابليس صرخةً بطربٍ فجمع اولياءه فقال : اما علمتم انّى كنت لآدم من قبل؟- قالوا ، نعم، قال : نعم نقض العهد ولم يكفر بالرّبّ وهؤلاء نقضوا العهد وكفروا بالرّسول (ص) ، فلمّا قبض رسول الله (ص) واقام النّاس غير علىٍّ (ع) لبس تاج الملك و نصب منبراً وقعد فى الزّينة وجمع خيله ورجله ثمّ قال لهم : اطربوا لايطاع الله حتّى يقام امام ، وتلا ابوجعفر (ع) : ولقد صدّق عليهم ابليس ظنّه (الى آخر الحديث) و بهذا المضمون مع اختلاف فى اللّفظ اخبار كثيرة [فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ] دفع لما يتوهّم من استقلال ابليس فى تصرّفه كما توهّمته الابليسيّة والثّنويّة يعنى انّ سلطانه عليهم ليس الّا باذننا وتسليطنا على من شئنا تسليطه عليه وليس هذا التّسليط [إِلَّا لِنَعْلَمَ] اى ليظهر علمنا او ليظهر متعلّق علمنا [مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ] اولنعلم فى مقام المعلوم من يؤمن بالآخرة متميّزاً ممّن هو منها فى شكٍّ [وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ] دفع لما توهّم من قوله لنعلم من حصول العلم له بعد مالم يكن يعنى لاحاجة لربّك الى هذا الامتحان فانّه على كلّ شيءٍ حفيظ فيعلم كلّ شيءٍ بجميع صفاته وآثاره فتسليط الشّيطان ليس الّا لظهور معلومه عليكم [قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ] شركاء لله [مِنْ دُونِ اللَّهِ] من دون اذن الله اوحال كونهم عبادة من غير الله يعنى قل ادعوهم فى حوائجكم [لَا يَمْلِكُونَ] حال اومستأنفة جواب لسؤال مقدّرٍ [مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ] فلايملكون ولا يقدرون على جلب نفع لكم ولا على دفع ضرّ [وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ] فى شيءٍ منهما ولا فى شيءٍ ممّا فيهما يعنى لايملكون شيئاً فيهما لا بالاستقلال ولا بالشّراكة فهو بمنزلة الاضراب و التّنزّل من الصّفة العليا الى الدّنيا [وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ] اضراب من العليا الى الدّنيا ايضاً كأنّه قال بل لامدخليّة لهم فيهما بنحو المظاهرة لله [وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ] اضراب آخر كأنّه قال : بل ليس لهم شافعيّة او مشفوعيّة عنده لأنّه لا تنفع الشّفاعة [عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ] فى الشّافعيّة او فى المشفوعيّة ولم يأذن لهم فى الشّافعيّة او فى المشفوعيّة، وقد سبق فى مطاوى ما اسلفنا انّ الامامات و بيان الاحكام للانام والقضاوات والامر بالمعروف والنّهى عن المنكر واجراء التّوبة واخذ الصّدقات واخذ البيعة من العباد لله والرّياسات الدّينيّة كلّها نحو شفاعة عند الله وليس شيءٌ

منها جائزاً و مباحاً ا ّلا لمن اذن الله له بلاواسطة كالانبياء (ع) او بواسطة كالاوصياء (ع) فالويل ! ثمّ الويل ! لمن نصب نفسه علماً للنّاس و تصدّى المحاكمات او الفتاوى او الامامة او اخذ الصّدقات او اخذ البيعة من العباد من غير اذنٍ واجازة من الله فانّه مفترٍ على الله ومن اظلم ممّن افترى على الله كذباً . نسب الى القمىّ انّه قال: لايشفع احدٌ من انبياء الله واولياء الله (ع) ورسله (ع) يوم القيامة حتّى يأذن الله له ا ّلا رسول الله (ص) فانّ الله عزّ وجلّ قد اذن له فى الشّفاعة من قبل يوم القيامة والشّفاعة له وللائمّة (ع) ثمّ بعد ذلك للانبياء، وعن الباقر (ع) فى حديث: مامن احدٍ من الاوّلين والآخرين ا ّلا وهو محتاج الى شفاعة رسول الله (ص) يوم القيامة ثمّ قال: انّ لرسول الله (ص) الشّفاعة فى امّته ولنا الشّفاعة فى شيعتنا ، ولشيعتنا الشّفاعة فى اهاليهم ، وانّ المؤمن ليشفع فى مثل ربيعة ومضر ، وانّ المؤمن ليشفع حتّى خادمه يقول: يا ربّ حقّ خدمتى كان يقينى الحرّ والبرد [حَتّىٰ إِذٰا فُزِّعَ] غاية لمحذوف تقديره فالخلق فى الحيرة و الوحشة حتّى اذا فزّع [عَنْ قُلُوبِهِمْ قٰالُوا] اى بعضهم لبعض اوقالوا للملائكة اوللشافعين [مٰاذٰا قٰالَ رَبُّكُمْ قٰالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ] وفى خبرٍ عن الباقر (ع) وذلك انّ اهل السّماوات لم يسمعوا وحياً فيما بين ان بعث عيسى بن مريم (ع) الى ان بعث محمّد (ص) فلمّا بعث الله جبرئيل (ع) الى محمّد (ص) سمع اهل السّماوات صوت وحى القرآن كوقع الحديد على الصّفا فصعق اهل السّماوات فلمّا فرغ من الوحى انحدر جبرئيل (ع) كلّما مرّ باهل سماء فزع عن قلوبهم يقول كشف عن قلوبهم فقال بعضهم لبعضٍ : ماذا قال ربّكم ؟ـ قالوا الحقّ وهو العلىّ الكبير ، وعلى هذا فالتّقدير استمع جبرئيل الوحى وصعق الملائكة من سماعه فانحدر جبرئيل حتّى اذا مرّ باهل السّماوات وفزّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربّكم؟ [قُلْ] يا محمّد الزاماً لهم على الاقرار بالمبدء الخالق الرّازق [مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ] بتهيّة الاسباب السّماويّة والارضيّة لارزاقكم الانسانيّة والحيوانيّة والنّباتيّة اومن السّماوات بالرّزق الانسانىّ ومن الارض بالرّزق النّباتىّ والحيوانىّ [قُلِ اللّٰهُ] اذ لاجواب لهم سواه [وَإِنّٰا أَوْ إِيّٰاكُمْ لَعَلىٰ هُدىً أَوْ فِي ضَلاٰلٍ مُبِينٍ] بعد ما ابطل الشّركاء وابطل جواز دعوتهم اتى بضلالة اتباع الشّركاء بنحوٍ يكون اقرب الى الانصاف وابعد من المشاغبة، فانّ المعنى المستفاد من هذه العبارة بعدماسبق من اظهار عجز الشّركاء معنى قولنا نحن على هدىً وانتم فى ضلالٍ مبينٍ لكنّه اتى بكلمة او التّفصيليّة المفيدة للتّقسيم فى جانب المسند اليه و المسند جميعاً لئلّا يشاغب الخصم و يشتدّ مخاصمته و انكاره فكأنّه قال : انّا و ايّاكم لعلى هدىً و فى ضلالٍ مبينٍ بنحو اللّفّ و النّشر، و اختلاف حرفى الجرّ فى جانب المسند للاشعار بانّ المهتدى مستولٍ على صفاته ومحيط بها ، و الضّالّ مغلوب لصفاته ومحاط لها [قُلْ] بطريق الانصاف فى المجادلة [لاٰ تُسْئَلُونَ عَمّٰا أَجْرَمْنٰا] بنسبة الاجرام الى انفسكم [وَلاٰ نُسْئَلُ عَمّٰا تَعْمَلُونَ] بنسبة العمل دون الاجرام اليهم [قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنٰا رَبُّنٰا] فى القيامة حتّى يكون وعداً و وعيداً لكم ولهم [ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنٰا بِالْحَقِّ] بحكومة حقّة [وَهُوَ الْفَتّٰاحُ الْعَلِيمُ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكٰاءَ] يعنى قل اظهروا شركاءكم لله حتّى يظهر عليكم انّه ليس لها من وصف الشّراكة لله شيءٌ [كَلاّٰ] كلام من الله لردعهم عن الاشراك اوجزء مقول قوله [بَلْ هُوَ اللّٰهُ] المعبود بالحقّ لاغيره [الْعَزِيزُ] الغالب الّذى لايجوز ان يكون فى مقابله ثانٍ [الْحَكِيمُ] الّذى يعجز عن ادراك دقائق صنعه و لطائف علمه عقول العقلاء فكيف يكون مصنوعه اومصنوعكم شريكاً له مع اتّصافه بالجهل وعدم الشّعور فضلاً عن الحكمة [وَمٰا أَرْسَلْنٰاكَ إِلاّٰ كَافَّةً لِلنّٰاسِ] كافّة حال مقدّم عن النّاس بمعنى كلّهم نحو جاء النّاس كافّة كأنّ معناه حالكون النّاس كافّة بعمومه كلّ فرد من الخروج عن

تحته ، اوصفة لمفعول مطلق محذوف ای رسالة کافّة للنّاس بمعنی مانعة لهم عن اتّباع اهویتهم ، اوحال عن مفعول ارسلنا وحینئذٍ یکون المعنی ما ارسلناك الّا مانعاً للنّاس عن اتّباع اهویتهم و التّاء تکون حینئذٍ للمبالغة [بَشِیراً] للمؤمنین ولمن استعدّ للایمان من حیث ایمانهم واستعدادهم [وَنَذِیراً] للکافرین و للمؤمنین والمستعدّین من حیث کفرهم وغفلتهم [وَلٰکِنَّ اَکْثَرَ النّاسِ لایَعْلَمُونَ] رسالتك اوعموم رسالتك اولیس لهم جهة علم حتّی یعلموا رسالتك فلذلك ینکرون رسالتك ، عن الصّادق (ع) فی حدیث: وارسله کافّةً الی الابیض والاسود والجنّ والانس، وعنه (ع) انّه قال لرجل: اخبرنی عن الرّسول (ص) کان عامّاً للنّاس؟ الیس قد قال الله عزّوجلّ فی محکم کتابه و ما ارسلناك الّا کافّة للنّاس، لاهل الشّرق والغرب واهل السّماء والارض من الجنّ والانس هل بلّغ رسالته الیهم کلّهم؟ـ قال: لاادری ، قال: انّ رسول الله (ص) لم یخرج من المدینة فکیف ابلغ اهل الشّرق والغرب؟! ثمّ قال: انّ الله تعالی امر جبرئیل (ع) فاختلع الارض بریشةٍ من جناحه و نصبها لرسول الله (ص) فکانت بین یدیه مثل راحته فی کفّه ینظر الی اهل الشّرق و الغرب و یخاطب کلّ قوم بألسنتهم و یدعوهم الی الله عزّوجلّ والی نبوّته بنفسه فما بقیت قریة ولا مدینة الّا ودعاهم النّبیّ (ص) بنفسه . وفی کثیرٍ من الاخبار مضمون انّه لایبقی ارضٌ الّا نودی فیها بشهادة ان لا اله الّاالله ، وانّ محمّداً رسول الله (ص) لکن فی الرّجعة اوفی ظهور القائم (ع) [وَیَقُولُونَ مَتیٰ هٰذَا الْوَعْدُ] ای وعد الجمع بیننا و یوم فتح الله [اِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ قُلْ لَکُمْ مِیعادُ یَوْمٍ لاتَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ ساعَةً وَلاتَسْتَقْدِمُونَ وَقالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهٰذَا الْقُرْآنِ وَلابِالَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ] من الکتب الّتی تدّعون انّها نازلة من السّماء او من الکتب الدّالّة علی رسالتك [وَلَوْتَریٰ اِذِ الظّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ] لوشرطیّة محذوفة الجواب او للتّمنّی ولاجواب لها والجملة حالیّة وتسلیة له (ص) ولامّته وتهدیدلهم وقد مضی بیان للآیه فی اوّل الانعام عند قوله: و لوتری اذوقفوا علی ربّهم [یَرْجِعُ بَعْضُهُمْ اِلیٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ] یتحاورون ویتحاوبون [یَقُولُ الَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا] یعنی الاتباع [لِلَّذِینَ اسْتَکْبَرُوا] مخاطبین لهم [لَوْلااَنْتُمْ لَکُنّا مُؤْمِنِینَ] فانّکم صددتمونا عن الایمان [قالَ الَّذِینَ اسْتَکْبَرُوا] مجاوبین [لِلَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا اَنَحْنُ صَدَدْناکُمْ عَنِ الْهُدیٰ بَعْدَ اِذْجاءَکُمْ] الهدی بتوسّط الرّسل ، او المراد بالهدی الرّسل انفسهم [بَلْ کُنْتُمْ مُجْرِمِینَ] انکروا ان کانوا صدّوهم واسندوا عدم هدیهم الی اجرامهم فانّه لولااجرامهم لمااثّر فیهم صدّ الصّادّین، بمعنی انّ استعدادهم الفطریّ لقبول تقلید من لایصحّ تقلیده واجرامهم الکسبیّ منعهم عن التّوجّه الی الفطرة الانسانیّة وقبول قول من یعین تلك الفطرة ویقوّیها و صرفهم الی قبول قول من لا یصحّ قبول قوله عند من له ادنی شعور و التفات الی الآخرة [وَقالَ الَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِینَ اسْتَکْبَرُوا بَلْ مَکْرُ اللَّیْلِ وَالنَّهارِ] بعدمالم یقدروا علی جوابهم والمحاجّة معهم وعلی نسبة تقصیرهم الی الرّؤساء نسبوا تقصیرهم الی مکر اللّیل والنّهار کما هوعادة النّساء فی نسبة تقصیرهم الی الغیر ، او مقصودهم من هذا الکلام الرّدّ علی الرّؤساء فی نسبة الضّلال الی اجرامهم ، والمعنی لیس ضلالنا باجرامنا بل بتکرار مکرکم فی اللّیل والنّهار وهذا المعنی اوفق بقوله [اِذْتَأْمُرُونَنا اَنْ نَکْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ اَنْداداً وَاَسَرُّوا] ای الرّؤساء اوالاتباع اوالجمیع [النَّدامَةَ لَمّا رَأَوُا الْعَذابَ] حتّی لایطّلع کلّ علی الآخر ، و روی انّهم یسرّون النّدامة فی النّار اذ ارأوا ولیّ الله ، فقیل: یابن رسول الله (ص) وما یغنیهم اسرارهم النّدامة وهم فی العذاب ؟ـ قال : یکرهون شماتة الاعداء [وَجَعَلْنَا الْاَغْلالَ] الاتیان بالماضی فی تلك الافعال لتحقّق وقوعها، او للاشارة الی انّها

بالنّسبة الى محمّد(ص) قد ونعت [فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا] وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بعلّة الحكم واظهاراً لذمّ آخر لهم [هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] اى نفس ماكانوا او جزاء ماكانوا يعملون والجملة حاليّة بتقدير القول اومستأنفة جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: لم يجعل الاغلال فى اعناقهم؟ـ فقال: مايجزون الّا ماكانوا يعملون لكنّه ادّاه بصورة الاستفهام لتأكيد النّفى [وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا] اى متنعّموها [إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ] لانّ كلّ الفساد يفشو من المتنعّمين وامّا الاتباع فليس لهم شأن الّا النّظر الى الرّؤساء ومن كان مثرياً فى الدّنيا لعدم العقل الانسانىّ وعدم استعمال العقل الجزئىّ الّذى يكون لهم [وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا] فان كان ماتدّعونه حقّاً من الرّسالة فنحن اولى بذلك لكثرة اموالنا وكثرة اولادنا فانّ تلك الكثرة تدلّ على تفضّل الله بالنّسبة الينا وقربنا منه وتعيّننا فى رياستنا [وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ] لقربنا من الله وفضله علينا فلمّا لم يرسلنا الله علم انّه لا رسالة وانّكم كاذبون، ولوفرض صدق ماتقولون من العذاب فى الآخرة فلسنا بمعذّبين لقربنا من الله، اوالمعنى ما نحن بمعذّبين وانتم تقولون لوعصينا عذّبنا الله فنحن بسبب عدم العذاب اولى بالرّسالة، اوالمعنى نحن اكثر اموالاً واولاداً، وهذا يدلّ على فضل الله بالنّسبة الينا فلم نكن نحن بمعذّبين لفضل الله بالنّسبة الينا، فلاحاجة لنا اليكم والى رسالتكم [قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ] بملاحظة حال نظام الكلّ وليس لكرامة الغنىّ ولا لهوان الفقير [وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] ذلك اولايعلمون سرّ ذلك [وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ] حتّى تكونوا بذلك مستحقّين للرّسالة اوغير معذّبين [إِلَّا مَنْ آمَنَ] اى الّا اموال من آمن واولاده [وَعَمِلَ صَالِحًا] بان يتحمّل المال لله وينفقه لله ويربّى الاولاد لله [فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ].

اعلم، انّ المؤمن لمّا كان متوجّهاً الى الله مؤتمراً بأمر الله منتهياً بنهى الله كان توجّهه الى الاموال والاولاد من حيث ايمانه تحمّلاً لمشاقّها من حيث امر الله وعدم اهمالها مع الانزجار عنها من حيث نهى الله وصرف الوجه عن جهة التّوحيد بأمر الله ونهيه توجّه الى الله مع مراعاة حقوق كثرات وجوده وكثرات خارج مملكته، والتّوجّه الى الله بتلك الكيفيّة تكميل لصفحتى النّفس المجرّدة والمتعلّقة وتتميم لجهة الوحدة والكثرة فيكون مستحقّاً من الجهتين وموجباً للاجر من الحيثيّتين فيكون اجره مضاعفاً بالنّسبة الى من لم يكن له ذلك بخلاف الكافر فانّ توجّهه الى الاموال والاولاد اغفال عن الفطرة واهلاك للّطيفة الانسانيّة ولذلك كانت عذاباً له فى الحيوة الدّنيا وسبباً لزهوق ارواحهم وهم كافرون فكانت نقمة عليه لانعمة، ولذلك ورد عن الصّادق(ع) انّه قال لمن ذكر الاغنياء ووقع فيهم: اسكت، فانّ الغنىّ اذا كان وصولاً برحمه وبارّاً باخوانه اضعف الله له الاجر ضعفين لانّ الله يقول: وما اموالكم ولا اولادكم (فقرأ الى آخر الآية) وورد انّ ابا بصير قال: ذكرنا عند ابى جعفر(ع) من الاغنياء من الشّيعة فكأنّه كره ما سمع منّا فيهم، فقال: يا ابا محمّد اذا كان المؤمن غنيّاً رحيماً وصولاً له معروف الى اصحابه اعطاه أجر ما ينفق فى البرّ اجره مرّتين ضعفين لانّ الله عزّوجلّ يقول وما اموالكم (فقرأ الآية الى آخرها) [وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا] مقابل لسابقه باعتبار المعنى كأنّه قال الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات من صاحبى الاموال والاولاد حالهم كذا، والّذين يسعون من صاحبى الاموال والاولاد او من النّاس على الاطلاق فى آياتنا الآفاقيّة التّكوينيّة والتّدوينيّة وآياتنا الانفسيّة خصوصاً الآيات العظمى من الانبياء(ع) وخلفائهم(ع) [مُعَاجِزِينَ] الله اومعاجزين الانبياء والاولياء(ع) اومعاجزين المؤمنين المقرّين

بالآيات [أُولٰئِكَ فِي الْعَذٰابِ مُحْضَرُونَ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ] هذه الآية بالنّسبة الى شخص واحد باعتبار وقتين من اوقاته و يدلّ عليه تقييد يقدر بقوله له و سابقتها بالنّسبة الى اشخاص متعدّدة فلاتكرار، اوهذه خطاب للمؤمنين وتلك للكافرين و يدلّ عليه التّقييد بقوله: من عباده فلاتكرار ايضاً، اوهذه تكرير للاولى و تأكيد له باعتبار انّ هذا المطلب مطلب عظيم هم عنه غافلون [وَمٰا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ] تجرئة على الانفاق وتحذير عن التّقتير، عن النّبىّ(ص): من صدّق بالخلف جاد بالعطيّة، وعن علىّ(ع): من بسط يده بالمعروف اذاوجده يخلف الله له ما انفق فى دنياه و يضاعف له فى آخرته، وقيل للصّادق(ع): انّى انفق ولا ارى خلفاً، قال: افترى الله عزّوجلّ اخلف وعده؟- قيل: لا، قال: فبم ذلك؟- قيل: لاادرى؟ قال(ع): لو انّ احدكم اكتسب المال من حلّه لم ينفق درهماً الّا اخلف عليه [وَهُوَ خَيْرُ الرّٰازِقِينَ] ممّن تنظرون اليه من وسائط الرّزق وممّا تعدّونه وسائط الرّزق من الاسباب السّماويّة والارضيّة ومن القوى العمّالة فى ايصال الرّزق الحقيقىّ الّذى هو الجوهر المتشبّه بجوهر البدن الى المرتزق الحقيقىّ الّذى هو خلل الاعضاء، هذا فى الرّزق النّباتىّ، وهكذا الحال فى الرّزق الحيوانىّ والانسانىّ، فانّ كلّ من كان غيره من الرّازقين ليس الّا آلة ايصال الرّزق، والرّازق حقيقةً هو الله تعالى شأنه فانّه اعطى المرتزق اسباب الارتزاق وآلاتها، واعطى الرّزق الصّورىّ صورة وكيفيّة بها يرتزق المرتزق، وهو الّذى يعطى الرّزق بغير عوض ولا غرض ولا منّة بخلاف غيره من وسائط الرّزق كما قال المولوىّ:

اقمه بخشى آيد از هر كس بكس — حلق بخشى كار يزدانست و بس
حلق بخشد جسم را و روح را — حلق بخشد بهر هر عضوى جدا

وقال ايضاً

روزى بيرنج جوى و بى حسيب — كز بهشتت آورد جبريل سيب
بلكه رزقى از خداوند بهشت — بى صداع باغبان بى رنج كشت
زانكه نفع نان درآن نان داد اوست — بدهدت آن نفع بى توسيط پوست

[وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ] عطف على محذوف متعلّق بيخلفه او بخير الرّازقين اى فى الدّنيا و يوم نحشرهم، اومتعلّق بمحذوف عطف على قل اى اذكر يوم نحشرهم [جَمِيعاً] الاتباع و المتبوعين فى الضّلالة [ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلاٰئِكَةِ] اختار الملائكة من بين المعبودين بالذّكر لانّهم اشرف المعبودين وابصرهم بحال العابدين واعلمهم بنيّاتهم، و ما اجابوا كان ذلك جواب السّائرين سواء كانوا شاعرين اوغير شاعرين [أَهٰؤُلاٰءِ] المدّعون لعبادتكم [إِيّٰاكُمْ كٰانُوا يَعْبُدُونَ قٰالُوا سُبْحٰانَكَ] عن شراكة امثالنا [أَنْتَ وَلِيُّنٰا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كٰانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ] نزّهوا الله تعالى اوّلاً عن شراكة امثالهم وانكروا الرّضا بعبادتهم ثانياً و اضربوا عن ذلك وعن عبادتهم لهم المستفادة من تنزيه الله ومن اظهار عدم الرّضا بفعلهم واثبتوا عبادتهم للجنّ [أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ] لابنا و انّما اشتبه عليهم الجنّة والملائكة و وهموا فى ذلك وعبدوا الجنّة بزعم انّهم الملائكة.

بيان للاتّصال بالملكوتين العليا والسّفلى

اعلم، انّه قد تكرّر فيما سبق انّ عالم الطّبيعة واقعٌ بين الملكوتين العليا و السّفلى، و انّ عالم الجنّ مثل عالم الملائكة محيط بالدّنيا و متصرّف فيها، و انّه لا فرق فى ذلك بين الجنّة والملائكة، ولذلك اشتبه على الملائكة حال ابليس فظنّوا انّه منهم، وانّ من راض نفسه بقلّة الطّعام والشّراب والنّوم والكلام والعزلة عن الخلق، فان كان بأمر آمر الهىّ يتّصل بعالم الملائكة و يتشبّه بهم فى الاحاطة والاطّلاع على ما لم يطّلع عليه البشر والتّصرّف فى العناصر

ومواليدها بايّ تصرّفٍ شاء وتقليب الاعيان عن وجوهها على انّه يخبره الملائكة و يعينونه فيما لم يقدروا على العلم به والتّصرّف فيه وان لم يكن رياضته بأمرآمرٍ الٰهيٍّ اوكان لكنّه خرج عن تحت امره واستبدّ في رياضته ومشاهدته برأيه سواءٌ كان تحت امرآمرٍ شيطانيٍّ اولم يكن، وسواء كان رياضته بطريق الشّرائع وعلى قانون النّواميس الآلهيّة اولم تكن اتّصل لامحالة بعالم الجنّة والشّياطين، وتشبّه بهم في الاحاطة والتّصرّف، وقدر على ما لم يقدر غيره، وعلم مالم يعلمه غيره، وعبّد المتصرّف في العالم المشهود له بظنّ انّه اللهاوانّه ملكٌ عظيمٌ من ملائكة الله وسمّى عبادته عبادة الملك ولذلك انكر الملائكة عبادتهم لهم واثبتوا عبادتهم للجنّ، **واعلم ايضاً**، انّ كلّ عابدٍ غيرالله لايعبده الّا باطاعة الشّيطان المعنويّ سواء كان المعبود الّذى هو غيرالله ملائكة الله اوغيرهم من الجماد والنّبات والحيوان والانسان والجانّ والشّيطان، فالعابد غيرالله يعبد اوّلاً الشّيطان و بعبادة الشّيطان يعبد غيرالله فهو في عبادة غيرالله عابد للشّيطان حقيقة لا لمعبوده لانّه لولا الشّيطان لم يعبده [فَالْيَوْمَ لَايَمْلِكُ] الفاء للتّرتيب فى الاخبار اوجزاء شرطٍ مقدّرٍ يعنى اذاكان اليوم انكر المعبودون عبادة العابدين وتحيّر كلٌ في امره واضطرب غاية الاضطراب فاليوم لايملك [بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا] لانّ الامر كلّه في ذلك اليوم بيدالله بخلاف يوم الدّنيا فانّه قد يتوهّم انّ بعضاً يقدر على نفع بعضٍ اوضرّه والخطاب للملائكة وعابديهم اولمطلق المعبو دين والعابدين، اولمطلق الرّؤساء والمرؤسين، اوللجنّة وعابديهم [وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا] من المعبودين و المطاعين بان لم يكن معبوديّتهم ومطاعيّتهم باذنٍ من الله و العابدين والمطيعين بان لم يكن عبادتهم وطاعتهم واشراكهم باذنٍ من الله [ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ] عطف باعتبار المعنى ولذلك التفت من الخطاب الى الغيبة يعنى كانوا اذا قيل لهم: اتّقوا النّار الّتى يوعدكم الله قالوا: ان هذا الّا كذب، واذا تتلى اوصرف للخطاب عنهم الى محمّد (ص) و بيان لحال امّته وعطف ايضاً باعتبار المعنى، والمعنى كانوا اذا تتلى عليهم آياتنا كذّبوها واذا تتلى على قومك [آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ] فى الوعد والوعيد اوفى الاحكام المعاديّة او المعاشيّة [قَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ] بهذا الّذى يظهره علينا [أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ] و يجعلكم تابعين لنفسه فى مبتدعاته ، نسبوا عبادتهم للمعبودين الى عبادة آبائهم استظهاراً بحقيّتها تسليماً لحقيّة فعل آبائهم [وَقَالُوا مَا هٰذَا] الّذى يقول [إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى] على الله [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا] وضع الظّاهر موضع المضمر ذمّاً لهم و بياناً لعلّة الحكم [لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هٰذَا] الّذى يقوله فيما ابتدعه [إِلَّا سِحْرٌ] اى علوم دقيقة ، او ان هذا الّذى يظهره علينا من المعجزات الّا سحر حاصل من تمزيج القوى الطّبيعيّة مع القوى الرّوحانيّة ، او ان هذا الّذى يقول فى حقّ ابن عمّه الّا صرف لما قاله الله تعالى عن وجهه [مُبِينٌ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا] يقرأونها حتّى ينسبوا صحّة مذهبهم وانكار مذهبك الى تلك الكتب [وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ] حتّى ينسبوا ذلك الى قول النّذير فلايقولون الّا عن عصبيّة بطريقهم، وعن تقليد آبائهم من غير تحقيقٍ لمذهبهم ولما قالوا فى مذهبك، ومن غير تحقيق لتقليدهم [وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ] يعنى انّ هؤلاء كذّبوك وليس تكذيبهم امرآغريباً فانّ الّذين قبلهم كذّبوا رسلهم لكن بينهم و بين من قبلهم فرق عظيم، فانّ من قبلهم اوتوا من الاموال والقوّة والاولاد وطول الاعمار مابه افتتنوا واغترّوا وانكروا ، وهؤلاء مابلغوا معشار ما آتيناهم من ذلك ، او المعنى و ما بلغ السّابقون معشار ما آتينا هؤلاء من المعجزات والدّلائل على صدق الرّسل (ع) ، اوالمعنى وما بلغ الرّسل (ع) السّابقون معشار ما آتينا محمّداً (ص) وآل محمّدٍ (ع) من الفضل، عن هشام بن عمّارٍ رفعه قال، قال

المعصوم : كذّب الّذين من قبلهم رسلهم (ع) و ما بلغ ما آتينا رسلهم معشار ما آتينا محمّداً (ص) وآل محمّد(ع) فيكون الآية تسلية للرّسول (ص) بخلاف الوجهين السّابقين فانّهما يفيدان التّسلية ضمناً، ويكون لتفضيح قومه يعنى انّ الرّسل الماضين قد كُذّبوا والحال انّك اولى بالتّكذيب منهم لانّ ما آتيناك اولى بالحسد ممّا آتيناهم، وليس التّكذيب لامثالك الّا من جهة الحسد عليهم، اوالمعنى ما بلغ الرّسل (ع) معشار ما آتينا محمّداً(ص) من دلائل الصّدق فيكون مثل الوجهين السّابقين فى الدّلالة على تفضيح القوم [فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ] يعنى انّك او انّكم يا امّة محمّد(ص) ان لم تشاهدوا نكيرى وانكارى عليهم فقد سمعتم اخبارهم وشاهدتم آثار مؤاخذتى لهم فليحذر قومك عن تكذيبك ومؤاخذتى [قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ] بكلمة واحدة اوخصلة واحدة [أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ] عن اعوجاجكم اوعن قعودكم عنه [مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ] وهذه بدل من واحدة وقد وردفى اخبار كثيرة انّ المراد بالواحدة ولاية علىّ (ع) وحينئذٍ يكون ان تقوموا بتقدير اللّام او بدلاً منها بدل الاشتمال او بدل الكلّ من الكلّ فانّ الولاية بوجهٍ هى القيام لله و بوجهٍ مستلزمة للقيام لله، روى عن يعقوب بن يزيد انّه قال: سألت اباعبدالله (ع) عن قول الله عزّوجلّ: قل انّما اعظكم بواحدة؟- قال: بالولاية، قلت: وكيف ذاك؟- قال: انّه لمّا نصب النّبىّ (ص) اميرالمؤمنين (ع) للنّاس، فقال: من كنت مولاه فعلىّ مولاه ، اعتبس رجل وقال: انّ محمّداً (ص) ليدعو كلّ يوم الى امرٍ جديدٍ وقد بدأ باهل بيته يملّكهم رقابنا ، فأنزل الله عزّوجلّ على نبيّه قرآناً فقال له : قل انّما اعظكم بواحدة ، فقد ادّيت اليكم ما افترض ربّكم عليكم، قلت: فما معنى قوله عزّوجلّ ان تقوموا لله مثنى و فرادى؟- فقال: امّا مثنى يعنى طاعة رسول الله (ص) وطاعة أمير المؤمنين (ع) ، وامّا قوله فرادى يعنى طاعة الامام من ذرّيّتهما من بعدهما، ولا والله يا يعقوب ما عنى غير ذلك، وعلى هذه الرّواية يكون مثنى و فرادى حالين من الله والمعنى قل انّما اعظكم بواحدة يعنى بولاية علىّ (ع) ان تقوموا لطاعة الله فى مظاهره حال كون الله مثنى باعتبار مظاهره كزمان الرّسول (ص) فانّ الرّسول (ص) واميرالمؤمنين (ع) كانا مظهرين فى ذلك الزّمان لله وطاعة كلٍّ كان طاعة الآخر و طاعة الله ، و فرادى كزمان سائر الائمّة (ع) فان كلّاً كان فى زمانه مظهراً لطاعة الله وكان فرداً فانّ الامام الآخر كان صامتاً غير داعٍ ، او يكونان حالين من فاعل تقوموا يعنى ان تقوموا لله حال كون كلّ منكم ذا وجهين ، وجه قبول الرّسالة و وجه قبول الولاية كما فى زمان الرّسول (ص)، اوذا وجهٍ واحدٍ هو وجه قبول الولاية ، فانّ احكام الرّسالة مقدّمة لقبول الولاية كما ورد : انّ الله رخّص فيها ولم يرخّص فى الولاية ، وعلى التّفاسير السّابقة يكونان حالين عن فاعل تقوموا ، والاختصاص بهاتين الحالين لانّ الازدحام يفرّق الخاطر ولا يبقى له حالة الفكر، ويدلّ على تفسير الواحدة بالولاية قوله تعالى: قل ما سألتكم من اجرٍ فهو لكم فانّه ما سأل على رسالته اجراً الّا المودّة فى القربى يعنى اتّباع اوصيائه وقبول ولايتهم، يعنى ما سألتكم من الاجر على التّبليغ من المودّة فى القربى فانّه نافعٌ لكم لانّكم ان اتبعتموهم نجوتم من عذاب الآخرة و بوركتم فى دنياكم وانعم عليكم فى عقباكم كما قال: لو انّ اهل القرى آمنوا و اتّقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السّماء بحسب الآخرة و الارض بحسب الدّنيا وليس الايمان الّا قبول الولاية كما تكرّر فى مطاوى ما سلف [ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا] يعنى بعد القيام لله وخلوص الوهم والمتفكّرة من حكومة الشّيطان وتصرّفه ينبغى ان تتفكّروا [مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ] جملة معلّق عنها تتفكّروا يعنى ان تتفكّروا فى انّه ما بصاحبكم من جنّةٍ و تعلموا انّه فى كمال العقل و التّدبير [إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ] عذاب البرازخ اوالقيامة اوالجحيم [قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ] الّذى هو عائد الىّ ونافع لى

[اِلّاٰعَلَى اللهِ وَهُوَعَلٰى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ] فيعلم انّى صادق فيما اقول وانّ الاجر الّذى اطلبه منكم من المودّة فى القربى نافع لكم، وانّ اجرى الّذى هو نافع لى ليس الّا على ربّى وليس فى وسعكم القيام بأدائه [قُلْ اِنَّ رَبّى يَقْذِفُ بِالْحَقِّ] على الباطل فيدمغه، او يقذف بالحقّ الى انبيائه (ع) او يقذف بالحقّ الىّ على الاستمرار [عَلّاٰمُ الْغُيُوبِ] فيعلم الباطل و لوكان مكموناً فى قلوبكم و نفوسكم فيد مغه و يعلم محالّ الحقّ فيلقيه اليها ، رضيتم ام لم ترضوا [قُلْ] مستبشراً بمجيء الحقّ و تهديداً لاهل الباطل [جٰاءَ الْحَقُّ] يعنى الولاية فانّها حقّ بحقيقة الله كما تكرّر فى ماسلف وكلّ حقّ حقّ بحقيّته [وَمٰا يُبْدِئُ الْبٰاطِلُ وَمٰا يُعِيدُ] يعنى زهق الباطل بحيث لايتمشّى منه ابداء ولا اعادة، و يجوز ان يكون لفظة ما استفهاميّة يعنى اىّ شيء يبدئ الباطل فيكون نفياً للابداء مثل الاوّل مع التّأكيد ، وقيل: انّ المراد بالباطل ابليس فيكون ردّاً على الثّنويّة المعتقدة لابليس و ابدائه واعادته ، وقيل: المعنى لايبدئ الباطل لاهله خيراً فى الدّنيا ولايعيد خيراً فى الآخرة ، اوالمعنى مايتكلّم الباطل بكلام مبتدء ولا باعادة كلام الغير كالجبال ، روى عن الرّضا (ع) انّه دخل رسول الله (ص) مكّة وحول البيت ثلاثمائة و ستّون صنماً فجعل يطعنها بعود فى يده و يقول : جاء الحقّ و زهق الباطل انّ الباطل كان زهوقاً، جاء الحقّ و ما يبدئ الباطل و ما يعيد [قُلْ] بصورة الانصاف معهم [اِنْ ضَلَلْتُ] فليس ضرر ضلالتى عليكم [فَاِنَّمٰا اَضِلُّ عَلٰى نَفْسِى وَاِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمٰا يُوحِى اِلَىَّ رَبّى] فلا مفاخرة لى فيه عليكم [اِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ] يسمع اقوالى و يعلم احوالى واستعدادى واستحقاقى [وَلَوْ تَرٰى] لو للتّمنّى او للشّرط والجواب محذوف [اِذْ فَزِعُوا] من الهول اومن الصّيحة [فَلاٰ فَوْتَ] لهم من بأسنا واخذ ملائكتنا [وَاُخِذُوا مِنْ مَكٰانٍ قَرِيبٍ] من تحت اقدامهم بالخسف كما فى الخبر عن الباقر (ع): لكأنّى انظر الى القائم (ع) وقداسند ظهره الى الحجر (الى ان قال) فاذاجاء الى البيداء يخرج اليه جيش السّفيانىّ فيأمر الله عزّوجلّ الارض فتأخذ باقدامهم وهو قوله عزّوجلّ : ولو ترى اذفزعوا فلافوت واخذوا من مكان قريب [وَقٰالُوا آمَنّٰا بِهِ] يعنى بالقائم (ع) او بمحمّد (ص) [وَاَنّٰى لَهُمُ التَّنٰاوُشُ] اى التّناول للايمان [مِنْ مَكٰانٍ بَعِيدٍ] فانّهم كانوا حينئذ فى اسفل مراتب النّفس والايمان لايؤخذ الّا فى اعلى مراتب النّفس [وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ] بالقائم (ع) او بمحمّد (ص) [مِنْ قَبْلُ] اى من قبل ذلك الزّمان، اومن قبل ذلك المكان الّذى هو اسفل امكنة النّفس [وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ] اى يلقون الامر الغائب عنهم بمحض الظّنّ والتّخمين، او يقذفون بالغيب الغائب عنهم على الحاضر المشهود لستره [مِنْ مَكٰانٍ بَعِيدٍ] من الغيب [وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مٰا يَشْتَهُونَ] بانفسهم الحيوانيّة عندالموت، اوفى القيامة، او فى كليهما [كَمٰا فُعِلَ بِاَشْيٰاعِهِمْ] اى اسناخهم [مِنْ قَبْلُ] اى من قبلهم اوكما فعل باتباعهم من قبل بسبب متابعتهم فانّهم باتّباعهم للرّؤساء قد حرّموا على انفسهم بعض المشتهيات وحرّموا عن جملة المشتهيات الاخرويّة [اِنَّهُمْ] اى الاشياع اوالرّؤساء اوالمجموع [كٰانُوا فِى شَكٍّ مُرِيبٍ] عن النّبىّ (ص) انّه ذكر فتنة تكون بين اهل المشرق والمغرب، قال: فبيناهم كذلك يخرج عليهم السّفيانىّ من الوادى اليابس فى فور ذلك حتّى ينزل دمشق فيبعث جيشين، جيشاً الى المشرق وآخر الى المدينة حتّى ينزلوا بارض بابل من المدينة الملعونة يعنى بغداد فيقتلون فيها اكثر من ثلاثة آلاف، و يفضحون اكثر من مائة امرئة ، و يقتلون بها ثلاث مائة كبش من بنى العبّاس، ثمّ ينحدرون الى الكوفة فيخرّبون ما حولها ثمّ يخرجون متوجّهين الى الشّام فيخرج راية هدىً من الكوفة فتلحق ذلك الجيش فيقتلونهم

لایفلت منهم مخبر ، و یستنقذون ما فی ایدیهم من السّبی والغنائم، و یحلّ الجیش الثّانی بالمدینة فینهبونها ثلاثة ایّام بلیالیها ، ثمّ یخرجون متوجّهین الی مکّة حتّی اذا کانوا بالبیداء بعث الله جبرئیل، فیقول : یاجبرئیل اذهب فأبدهم، فیضربها برجله ضربة یخسف الله بهم عندها ولا یفلت منهم الّا رجلان من جهینة فلذلک جاء القول: وعند جهینة الخبر الیقین ،فذلک قوله ولو ترى اذفزعوا (الآیة)،وورد اخبار کثیرة فی تفسیر الآیة بخروج المهدیّ وجیش السّفیانیّ نظیر ما ذکر عن النّبیّ (ص) .

سورة فاطر

مکّیّة کلّها ، وقیل: الّا آیتین ، قوله : انّ الّذین یتلون کتاب الله (الآیة) وقوله : ثمّ اورثنا الکتاب (الآیة) خمس اوستّ واربعون آیةً .

بسم الله الرّحمن الرّحیم

[اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ فَاطِرِ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ] خالقهما [جَاعِلِ الْمَلٰائِکَةِ رُسُلًا] الی انبیائه والی اوصیائهم بالوحی والالهام والتّحدیث والرّؤیا الصّادقة، والی الصّالحین من عباده بالالهام والتّحدیث والرّؤیا ، والی جمیع خلقه بالالهام والرّؤیا واصلاح امورهم وجبران نقائصهم واخراج نفوسهم من القوى الی الفعلیّات [اُولِی أَجْنِحَةٍ] بحسب العوالم الّتی یسیرون فیها و یطیرون بها لاصلاح امورها [مَثْنٰی وَثُلٰثَ وَرُبٰاعَ] بحسب العوالم الثّلاثة ، الملک والملکوت و الجبروت ، ولا ینافی هذا ما ورد فی اخبارٍ کثیرةٍ انّ عدد جناح جبرئیل ستّ مائة الف جناحٍ ، و انّ دردائیل له ستّة عشر الف جناحٍ وغیر ذلک فانّ المراد نوع الجناح و انّ انواع جناح الملائکة ثلاثة و ان کان لکلّ نوعٍ اعداد عدیدة من افراد الجناح، وورد اخبار کثیرة فی اوصاف الملائکة وکثرة عددهم وانّ لله ملکاً ما بین شحمة اذنه الی عینه مسیرة خمس مائة عامٍ بخفقان الطّیر ، وانّ له ملائکة ما بین منکبی کلّ وشحمة اذنیه سبع مائة عامٍ ، وانّ له ملائکة انصافهم من بردٍ انصافهم من نارٍ ، و انّ له ملائکة یسدّون الافق بجناح من اجنحتهم دون عظم ابدانهم ، وغیر ذلک من اوصاف عظمتهم، وانّه لیهبط فی کلّ یومٍ اوفی کلّ لیلة سبعون الف ملکٍ فیأتون البیت الحرام فیطوفون به ثمّ یصعدون الی السّماء بعد ما یأتون رسول الله (ص) وامیر المؤمنین (ع) والحسین (ع) ولا یعودون ابداً [یَزِیدُ فِی الْخَلْقِ مٰا یَشٰاءُ] اشارة الی کثرة عددهم اوالی کثرة اجنحتهم وانّ الاقتصار علی هذا العدد بحسب النّوع لابحسب الشّخص، او انّ الاقتصار علی هذا العدد لبیان الکثرة لا للانحصار فی هذا العدد ، اواشارة الی انّ کثرة الاجنحة جزء من اجزاء جمال خلقه و یزید فی جمالهم بحسب الصّورة والهیئة والخلق وغیر ذلک مایشاء ، وقد ورد عن النّبیّ (ص) انّه الوجه الحسن والصّوت الحسن والشّعر الحسن [اِنَّ اللهَ عَلٰی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ] من الزّیادة فی العدد و الجمال و الاجنحة والاخلاق ، وعن الثّمالیّ قال: دخلت علی علیّ بن الحسین (ع) فاحتبست فی الدّار ساعة ثمّ دخلت البیت وهو یلتقط شیئاً وادخل یده من وراء السّتر فناوله من کان فی البیت ، فقلت: جعلت فداک هذا الّذی أراک تلتقطه ایّ شیءٍ هو ؟- قال : فضلةٌ من زغب الملائکة نجمعه اذا خلونا نجعله مسبحاً لاولادنا ، فقلت : جعلت فداک فانّهم لیأتونکم ؟ -

فقال : يا با حمزة ليزاحمونا على تُكأتنا(١) و قد ورد اخبار كثيرة انّ الائمّة يرون الملائكة و يصافحونهم و قد ذكرنا فى سورة البقرة عند قوله تعالى : و اثمهما اكبر من نفعهما فى ذيل بيان مراتب الانسان و الفرق بين الرّسول و النّبىّ والمحدّث ، وجه ما ورد انّ الرّسول يرى الملائكة فى المنام و يسمع كلامه و يعاينه فى اليقظة ، و النّبىّ يرى فى المنام ولا يعاين فى اليقظة و يسمع الصّوت ، و المحدّث لا يرى فى المنام ولا يعاين و يسمع الصّوت ، وقد ذكرنا هناك وجه عدم منافاة هذه الاخبار لما ورد منهم انّهم يعاينون الملائكة ، من اراد فليرجع الى ما هناك [مٰا يَفْتَحِ اللّٰهُ لِلنّٰاسِ مِنْ رَحْمَةٍ] جملة حاليّة من قوله : انّ اللّٰه على كلّ شيءٍ قدير كأنّ الاولى كانت لعموم قدرته وهذه لعجز غيره عن ممانعته من نفوذ قدرته ، اومستأنفة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ لبيان هذا المعنى ، او مستأنفة منقطعة عن سابقها لبيان قدرته وعجز غيره [فَلٰا مُمْسِكَ لَهٰا وَمٰا يُمْسِكْ] من رحمةٍ اوما يمسك من رحمةٍ ونقمةٍ ، اوما يمسك من نقمةٍ و لعلّ هذا المعنى هوالمراد لئلّا ينسب امساك الرّحمة اليه لانّه ليس منه الّا افاضة الرّحمة على الدّوام وانّما الامساك يعنى عدم وصول الرّحمة الى بعض القوابل ليس الّا من قبلها لا من قبل اللّه [فَلٰا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ] الّذى لايقدر على منازعته احد [الْحَكِيمُ] الّذى لايفعل ما يفعل الّا بملاحظة غاياتٍ عديدةٍ دقيقةٍ لايمكن دركها الّا لهوالّا باتقانٍ فى الصّنع بحيث يعجز عن ادراك كيفيّته عقول العقلاء [يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ] من غاية رحمته بعباده ، كرّر تذكير نعمته عليهم حتّى لا ينسوها و يقوموا بحقّ شكرها وناداهم قبل الامر بذكر النّعمة ليكونوا ملتذّين بندائه فيصغوا الى امره حقّ الاصغاء، وقد تكرّر فى ماسبق انّ اصل النّعمة الولاية التّكوينيّة الّتى يعبّر عنها بحبلٍ من اللّه والولاية التّكليفيّة الّتى يعبّر عنها بحبل من النّاس وكلّ ماكان متّصلاً بتلك الولاية فهو نعمة بسببها، وكلّ ماكان منقطعاً عن الولاية كائناً ما كان كان نقمة [هَلْ مِنْ خٰالِقٍ غَيْرُ اللّٰهِ] جملة حاليّة عن النّعمة اوعن اللّه بتقدير القول اومستأنفة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول، اومستأنفة لمدح النّعمة [يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰاءِ] بتهيّة الاسباب السّماويّة [وَالْأَرْضِ] بتهيّة الاسباب الارضيّة ، اومن السّماء بالرّزق الانسانىّ والارض بالرّزق الحيوانىّ والنّباتىّ [لٰا إِلٰهَ إِلّٰا هُوَ] حاليّة اومستأنفة لبيان حال اللّه او لتعليل حصر الرّزق فيه او للمدح [فَأَنّٰى تُؤْفَكُونَ] اى تصرفون عنه [وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ] فلاتحزن عليهم فانّ الرّسول لابدّ وان يكذّب لعدم سنخيّته لهم وهكذا كانت سنّتنا قديماً [فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ] فتذكر حالهم وحال اممهم فى تكذيبهم حتّى لا تحزن على تكذيب قومك [وَإِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ] يعنى اليه تنتهى انت ومكذّبوك فيجازى كلّاً بحسبه او الى اللّه ترجع الامور بعد النّظر الدّقيق فاليه يرجع تكذيبهم بمعنى ان ليس تكذيبهم الّا بامرٍ تكوينىٍّ وترخيصٍ من اللّه لمصلحةٍ عائدةٍ اليك والى امّتك فلا تضيقنّ لذلك [يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ] ناداهم تلطّفاً بهم لتهييجهم للاستماع وصرف الخطاب عنه (ص) الى المكذّبين بعد تسليته ردعاً لهم عن تكذيبهم اوالى مطلق العباد وعداً و وعيداً لهم [إِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ] بالثّواب والعقاب [حَقٌّ] لاخلف فيه [فَلٰا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيٰا] فتغفلوا عن وعد اللّه ولاتعملوا له [وَلٰا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ] اى الشّيطان بان يمنّيكم المغفرة ويؤخّركم التّوبة [إِنَّ الشَّيْطٰانَ لَكُمْ عَدُوٌّ] فاذاكان عدوّاً لكم [فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا] ولا توافقوه فيما يأمركم به وكونوا منه على حذرٍ [إِنَّمٰا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحٰابِ السَّعِيرِ]

---

(١) التّكأة بضمّ التّاء والتّحريك كهمزة ما يتّكىء عليه و منه حديث اهل البيت : وانّهم يعنى الملائكة ليزاحمونا على تكأتنا . (مجمع البحرين)

تعليل لعداوته و تأكيدٌ للامر بالحذر منه [اَلَّذِينَ كَفَرُوا] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: فما حال حزبه ؟ ـ فقال : [لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ] ووضع الظّاهر موضع المضمر ليكون اشارة الى انّ حزبه كافرون ولكفرهم صاروا من اصحاب السّعير [وَالَّذِينَ آمَنُوا] بالكفر به والبيعة مع ولىّ امره البيعة الخاصّة او العامّة [وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ] بالبيعة الخاصّة ان كان المراد بالايمان البيعة الاسلاميّة او بالعمل بالشّروط المأخوذة عليه فى بيعته ان كان المراد بالايمان البيعة الخاصّة [لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ أَفَمَنْ زُيِّنَ] عطف على محذوفٍ تقديره امن اتّبع الشّيطان ولم يرقبح عمله كمن اتّبع ولىّ امره و رأى قبائح اعماله ونقائصها فمن زيّن [لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا] فضلاً عن رؤية قبحه كمن لم يزيّن عمله بل رأى اعماله الحسنة قبيحةً فى حضرة مولاه [فَإِنَّ اللّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ] تعليل لقوله زيّن كأنّه قيل: زيّن لاتباع الشّيطان عملهم و قبّح لاتباع الرّحمان اعمالهم لانّ الله يضلّ عن الطّريق المستوى الّذى هو عدم رؤية حسن العمل المنسوب الى النّفس [وَيَهْدِى مَنْ يَشاءُ] الى الطّريق المستقيم الّذى هو رؤية النّقص و القبح من العمل المنسوب الى النّفس كائناً ما كان اذا كان الامر كذلك [فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ] فلا تهلك نفسك لتتابع الحسرات لاجل اتّباعهم للشّيطان [إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ] تعليل للنّهى [وَاللّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّياحَ] عطف على قوله انّ الله يضلّ من يشاء وتعليل لهداية بعضٍ واضلال بعضٍ ورؤية بعضٍ حسن اعماله السّيّئة و رؤية بعضٍ قبح اعماله الحسنة كأنّه قال: الله الّذى يرسل رياح اهوية النّفوس فتثير سحاباً فيحيى به بعض النّفوس و يهلك بعضاً [فَتُثِيرُ سَحابًا فَسُقْناهُ] التفات من الغيبة الى التّكلّم [إِلى بَلَدٍ مَيِّتٍ] مستعدٍّ للاحياء [فَأَحْيَيْنا بِهِ الْأَرْضَ] اى ارض ذلك البلد بالنّبات و اخضرار الاشجار [بَعْدَ مَوْتِها] عن النّبات وعن اخضرار الاشجار و كذلك يرسل الله الرّياح النّفسانيّة والعقلانيّة و رياح حوادث الزّمان و يسوق سحاب الرّحمة بها الى بلاد نفوسكم اليابسة عن نبات الايمان فيحيى به النّفوس المستعدّة و يهلك النّفوس الجافّة القاسية [كَذلِكَ النُّشُورُ] من قبور نفوسكم وغلاف ابدانكم ومن قبور برازخكم فانّ القوى والاستعدادات المكمونة فى الابدان والنّفوس مثل الحبوب والعروق المكمونة فى الاراضى وخروجها من القوّة الى الفعليّة بأمطار الرّحمة الآلهيّة، كخروج الحبوب والعروق بالنّبات والأشجار والاوراق بأمطار السّحاب [مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ] منقطع عن سابقه لفظاً ومعنىً لابداء حكم و نصحٍ ، او جوابٌ لسؤالٍ ناشٍ من سابقه كأنّه قيل : فما يفعل من كان يريد العزّة ايطلبه من غير الله؟ مع انّ احياء نبات الارض بيده او لايطلبه الّا من الله ؟ـ فقال: من كان يريد العزّة فلا يوجد العزّة الّا عند الله [فَلِلّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا] فلا يطلب العزّة احدٌ من احدٍ الّا من الله لعدم وجدانه عند احدٍ غير الله [إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ] الكلم لكونه اسم جنس جمعىّ يعامل معه معاملة المفرد المذكّر والجملة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: لا يمكن لنا الوصول الى الله حتّى نطلب العزّة من عنده ، فقال : ان كان لا يمكن لكم الوصول الى الله بذواتكم يصل اليه كلماتكم الطّيّبة والاقوال الصّالحة من الاذكار العالية واقوالكم لاصلاح ذات البين والنّصح للعباد و الامر بالمعروف والنّهى عن المنكر وتعليم العلوم وهداية الخلق الى الطّريق وغير ذلك من الاقوال [وَالْعَمَلُ الصّالِحُ] الأركانىّ [يَرْفَعُهُ] فقولوا قولاً طيّباً واعملوا عملاً صالحاً تُعزّوا ، وعن الصّادق (ع): الكلم الطّيّب قول المؤمن: لا آله الّا الله، محمّد رسول الله (ص)، علىّ ولىّ الله (ع) وخليفة رسول الله (ص) ، والعمل الصّالح الاعتقاد بالقلب انّ هذا هو الحقّ من عند الله لاشكّ فيه من ربّ العالمين ، وعنه (ع) فى هذه الآية قال: ولايتنا اهل البيت ، و اومى بيده الى صدره ، فمن لم يتولّنا لم يرفع الله له عملاً ، وعن الباقر (ع) قال:

قال رسول الله (ص) : انّ لكلّ قول مصداقاً من عمل يصدّقه او يكذّبه فاذا قال ابن آدم وصدّق قوله بعمل رفع قوله بعمله، واذا قال وخالف عمله قوله ردّ قوله على عمله الخبيث وهوى فى النّار ، و لمّا كان اصل جميع الكلم الطّيّب هو كلمة الولاية والقول بها والاعتقاد بها صحّ تفسير الكلم بالولاية ، ولمّا كان اصل جميع الصّالحات هو عمل الولاية الّتى هى البيعة الخاصّة الولويّة الّتى يترتّب عليها جميع الخيرات وجميع الاعمال الصّالحات ولا يصير الصّالح صالحاً الّا بها صحّ تفسير العمل الصّالح بها مع انّ الآية عامّة لجميع الكلمات وجميع الاعمال [وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ] عطف باعتبار المعنى كأنّه قال: فالّذين يعملون الصّالحات برفع أقوالهم وأعمالهم الى الله و يعزّون بها والّذين يمكرون السّيّئات كقريش ومكرهم فى دار النّدوة ، اوكمنافقى الامّة ومكرهم فى دفع خلافة علىّ (ع) ولكلّ من يمكر السّيّئة بالنّسبة الى العباد اوالى قوى نفسه واهل مملكته، فانّ كلّ من يعصى ربّه فهو يمكر فى ارتكاب معصيته لاخفاء النّفس قبح فعله عليه واظهارها حسنةً لديه [لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ] بالفعل لكنّه لايحسّ به مثل صاحب الخدر الّذى يحرق عضوه النّار ولا يحسّ به فانّ السّيّئة نفسها عذاب عاجل للطّيفة السّيّارة الانسانيّة ولاختفائها تحت فعليّات النّفس لاتحسّ به [وَمَكْرُ أُولٰئِكَ هُوَ يَبُورُ] يهلك او يفسد لانّه من النّفس والنّفس ولوازمها هالكة فاسدة ، تسلية للرّسول (ص) فى مكرهم به او بعلىّ (ع) [وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ] عطف باعتبار المعنى اوعلى مقدّر كأنّه قال: فالله اعزّكم بالكلم الطّيّب والعمل الصّالح، والله اذلّكم بمكر السّيّئات، والله خلقكم [مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا] بالذّكورة والانوثة اوجعلكم اصنافاً من الذّكر والانثى، و الابيض والاسود ، و الدّميم والحسن ، و الشّقىّ والسّعيد [وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ] منكم اومن مطلق الحيوان [وَلَا تَضَعُ] جنينها [إِلَّا بِعِلْمِهِ] فلايعزب عنه شيء فكيف يعزب عنه مكر اولئك اوعمل المؤمنين [وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ] معناه مايبلغ عمر معمّر عمره الطّبيعىّ او قريباً منه او ازيد ، وما ينقص من عمره الطّبيعىّ والعمر القريب منه الّا حالكونه ثابتاً فى كتاب هو الكتاب الّذى كتبه الملائكة المصوّرة حين تصويره فى رحم امّه ، اوالكتاب الّذى هو عالم العقول، اوالكتاب الّذى هو عالم النّفوس الكلّيّة اوالجزئيّة ، اوالمعنى الّا حالكونه يكتب بعد اعطاء العمر ونقصانه فى كتاب هو كتاب اعماله الّذى يكتبه الملائكة الموكّلة عليه ، اوهو كتاب المحو والاثبات الّذى يكتب فيه مايظهر من استعداد المستعدّين من اهل عالم الطّبع فيه بعد ظهور الاستعداد ، وهذه الآية بهذا الوجه تدلّ على ثبوت البداء الّذى ورد فى اخبار كثيرة .

تحقيق البداء

اعلم ، انّ الآيات والاخبار تدلّ بالصّراحة و الاشارة على ثبوت البداء لله و قد ورد فى الاخبار نسبة التّردّد فى الامر اليه تعالى، وورد مايدلّ على تأثّر الله من فعل العباد مثل اجابة الدّعوات وتغيير الامر والعمر بالصّدقات والصّلات والشّكر والكفران وسائر الحسنات والسّيّئات، وكلّ ذلك يدلّ على انّ الله قد يظهر فعلاً ثمّ يتركه و يظهر غيره كالنّادم من فعله الاوّل والمظهر لغيره، و يدلّ بعضها على كون فعل الله تابعاً لفعل العباد، ولذلك انكرت الفلاسفة كلّ ذلك وأوّلوا ما ورد فى الآيات والاخبار من امثال ذلك لانّ ذلك كلّه يدلّ على عجز الله ونقصانه فى فعله ، وجهله بعاقبة بعض افعاله ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. فنقول : بيان ذلك يستدعى تحقيق العوالم و بيان حقيقة كلّ عالم و بيان انّ العوالم كلّها مراتب علم الله وارادته و انّ بعض العوالم لضيقه لايسع ظهور جميع فعليّات ما فى العالم الاعلى ولا يظهر فعليّات مافى العالم الاعلى فيه الّا على التّعاقب، كما انّ عالم الطّبع لا يسع ظهور فعليّات جميع الصّور فيه الّا على التّعاقب ، فاعلم، انّ العوالم بوجه ثلاثة ، و بوجه ستّة، و بوجه سبعة، لانّها امّا مجرّدة ذاتاً وفعلاً عن المادّة والتّقدّر، اومجرّدة ذاتاً متعلّقة فعلاً اومتعلّقة ذاتاً وفعلاً بالمادّة، والاولى هى عوالم العقول الطّوليّة المعبّر عنها فى لسان الشّرع بالملائكة المقرّبين وعوالم العقول العرضيّة الّتى يعبّر عنها بار باب الطّلسمات و الصّافّات

صفّاً ، والثّانية هی عوالم النّفوس الكلّيّة والجزئيّة المعبّر عنها بالمدبّرات امراً ، والملائكة الرّكّع والسّجّد، وعوالم المثال العلویّ والسّفلیّ ، والثّالثة هی عوالم الطّبع الّتی وجودها وجود تعلّقیّ مادّیّ ، وانّ العوالم كلّها معلولة لله تعالی، وانّ العلّيّة ليست كما توهّمها المتوهّمون مثل علّيّة البنّاء للبناء والنّار للنّار، والشّمس للتّبييض والتّسويد، بل هی بالتّشأّن بمعنی انّ المعلول لابدّ وان يكون شأناً من العلّة ومتقوّماً بها لانّ تقابلهما تقابل التّضائف والمتضائفان غير منفكّين فی الخارج وفی الذّهن فلو لم يكن العلّة داخلة فی قوام المعلول والحال انّ المعلوليّة عين ذات المعلول كان تصوّر المعلول لمن تصوّره بكنهه منفكّاً عن تصوّر العلّة ، والعلّيّة فی الحقّ الاوّل تعالی عين ذاته كما انّ المعلوليّة فی الممكن عين ذاته ، وانّ ذات العلّة علم وارادة كلّه كما انّه وجود كلّه ، ولمّا لم يكن قوام المعلول فارغاً من العلّة كان قوامه علماً وارادةً لله تعالی وانّ المجرّدات الصّرفة كلّما كان لها بالامكان كان حاصلاً لها بالفعل لعدم القوّة والاستعداد فيها وانّ النّفوس الكلّيّة من حيث ذواتها وتجرّدها الذّاتیّ كلّما كان فی العقل بالفعل كان فيها ايضاً بالفعل لكن بنحو البساطة والوجود الوُحدانیّ لا بنحو الكثرة ولذلك كانت النّفوس الكلّيّة لوحاً محفوظاً من التّغيّر والتّبدّل لا يتطرّق اليها المحو والاثبات ، وانّ النّفوس الجزئيّة العلويّة الّتی لها تعلّق بعالم المادّة بتوسّط عالم المثال العلویّ لضيقها عن الاحاطة بالجزئيّات الغير المتناهية ليس كلّما فيها بالقوّة يكون بالفعل بل يتعاقب عليها الفعليّات وتخرج من القوی والاستعدادات بحسب قرب استعداداتها الی الفعليّات من اجل تعلّقها بالمادّيّات، او بحسب تقريب تشبّهاتها المتعاقبة بالعلويّات استعداداتها الی الفعليّات كالنّفوس الخياليّة للانسان فی انّها تتعاقب عليها الفعليّات لاجل ضيقها وعدم احاطتها بجملتها دفعةً وقرب استعداداتها الی الفعليّات الطّيّبة اوالرّديّة باعداد العبادات والمعاشرين والافكار الطّيّبة والرّديّة وغير ذلك ، وانّ النّفوس الجزئيّة العلويّة كالنّفوس الجزئيّة البشريّة لها وجه الی المادّيّات به تتأثّر منها وتستعدّ لاخذ الفعليّات من العلويّات ، ووجه الی المجرّدات به تأخذ من المجرّدات ما قرب استعداداتها منه، وكلّما استعدّ مادّیّ من المادّيّات لحصول صورة او كيفيّة فيه يفيض صورة تلك الصّورة او الكيفيّة من المجرّدات علی تلك النّفوس الجزئيّة العلويّة ولكن لضيقها لا يثبت فيها جميع شروطها وجميع معدّاتها وموانعها ، فاذا اتّصل بعض النّفوس البشريّة كنفوس الانبياء واوصيائهم (ع) فی النّوم او اليقظة بتلك النّفوس الجزئيّة يشاهد فيها ما ثبت فيها من الصّور والكيفيّات ويری فيها وقوع الحادثة فيخبر احياناً بتلك الحادثة، ثمّ يری بعد ذلك تخلّف تلك الحادثة وعدم وقوعها ويری محوها من تلك النّفوس وثبت ضدّها فيها فيقول علی سبيل المشاكلة: بدا الله تعالی فيها او يقول حقيقةً : بدا لله تعالی لانّ تلك المرتبة من النّفوس هی علم الله وارادته ومحو الارادة الاولی وثبت الارادة الثّانية ليس الّا البداء وليس ذلك من جهل وعجز فی الفاعل بل هو من ضيق القابل، وقد يثبت فی تلك النّفوس صورة الحادثة مع جميع الشّرائط والمعدّات والموانع لكنّ المتّصل بها لضيق مداركه عن الاحاطة بجميع ما فيها لا يدرك جميع الموانع والشّروط فيخبر بصورة الحادثة ثمّ تتخلّف الحادثة فيقول: بدا لله تعالی ، ولمّا كان تلك النّفوس المتأثّرة من المادّيّات وباعداد المادّيّات يفيض عليها من المجرّدات وكانت هی من مراتب ارادته تعالی صحّ نسبة التّردّد بواسطتها الی الله تعالی وصحّ تأثير الصّدقات والدّعوات والصّلات فيها وتغيير ما فيها ومحو المثبت وثبت الغير المثبت فيها بواسطة ذلك ، وما قاله الفلسفیّ من: انّها من الاتّفاقيّات ولا تأثّر للعلویّ من السّفلیّ، لا يصغی اليه، بعد شهود اهل الشّهود وامكان ذلك فيها ، وما ورد عن الصّادق (ع) انّه يبعث عبد المطّلب امّةً واحدةً عليه بهاء الملوك وسيماء الانبياء (ع) وذلك انّه اوّل من قال بالبداء فالمقصود انّه اوّل من حقّق البداء فی حقّه تعالی والّا فأكثر الانبياء (ع) والسّلف كانوا قائلين بالبداء كما وصل الينا من اخبارنا [إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ] كما ذكرنا انّ ذلك من لوازم وجود النّفوس الجزئيّة العلويّة

لاحاجة له فيه الى تعمّل وتمهيد اسباب [وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ] قدمضى فى سورة الفرقان بيان للبحرين [وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ] الفلك المواخر الّتى يسمع صوت جريها او تشقّ الماء بجؤجؤها ، او المقبلة والمدبرة بريحٍ واحدة [لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ] اى من فضل الله بالتّجارات الرّابحة [وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] النّعمة الّتى اودعها الله تعالى فى الفلك والبحرين [يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ] قد مضى بيان هذه الكلمة فى اوّل سورة آل عمران [وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى] قد مضى الآية فى اوّل الرّعد وفى غيرها [ذٰلِكُمُ] الموصوف بتلك الاوصاف [اللّٰهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ] عالم الملك مقابل الملكوت، اوالملك بمعنى كلّ مملوكٍ لاشركة لغيره فى عالم الملك كمايقوله الثّنويّة، ولافى شيءٍ من المماليك كمايقوله بعض العابدين للملائكة وجميع الثّنويّة [وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ] من دون اذنه كمن يدعومقابلى ولىّ الامراوحالكونهم بعضاً من غيره لكلّ معبودٍ سواه ولم يأذن تعالى فى اشراكه [مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ] اى الجلدة الرّقيقة الّتى تكون على ظهرالنّواة ، اوشقّ النّواة ، اوالقشرة الّتى تكون فيه اوالنّكتة البيضاء الّتى فى ظهرها [إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ] الاوصاف مترتّبة فى التّنزّل كأنّه تعالى اضرب عن كلّ الى الآخر [وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ] على الاطلاق وهوالخبيرمجملة الامور وهوالله تعالى [يَا أَيُّهَا النَّاسُ] ناداهم تلطفاً بهم وتثبيتاً لغناه وفقرهم [أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللّٰهِ] تعريف المسند لارادة الحصر ردّاً لمن قال: انّ الله فقيرونحن اغنياء [وَاللّٰهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ] اعلم ، انّ الفقر والحاجة فى الممكن عين ذاته الوجوديّة، بمعنى انّ وجوده وجود تعلّقىّ والتّعلّق عين ذاته لاانّ وجوده شيءٌ والتّعلّق صفة له وهذا النّحو من الوجود لايكون له شأن الّا الفقر والفاقة والتّعلّق ، وانّ وجوده تعالى وجودغنىّ بذاته عن كلّ ما سواه وانّ الغنى عين ذاته تعالى كسائرصفاته وهذا النّحومن الوجود لاشأن له سوى الغنى ولايتجاوز الغناء عنه الّا به تعالى وكلّ من كان الغناء عين ذاته يكون حميداً على الاطلاق بمعنى انّه لايكون حميد الّا وهو هولانّه لووجد صفة كمال لم تكن هى لله تعالى كان مفتقراً اليها فاقداً لها ولم يكن غنيّاً على الاطلاق [إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ] هذه من القضايا الّتى يكون فيها وضع المقدّم دائماً كأنّه قال: لكنّه يشاء ذلك اومن القضايا الفرضيّة الّتى لاوضع لمقدّمها كأنّه قال: لكن لم يشأ ذلك فلم يذهبكم، على ان يكون المعنى ان يشأ يذهبكم قبل آجالكم [وَمَا ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ بِعَزِيزٍ] اى شديد حتّى يكون متعذّراً او متعسّراً عليه وهذه الجملة تأكيد لغناه وفقرهم اليه [وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ] اى نفس قابلة لان تزروزراً [وِزْرَ أُخْرَىٰ] فلا تغترّوا بما قيل لكم: نحن نحمل خطاياكم ، وقوله تعالى وليحملنّ اثقالهم واثقالاً مع اثقالهم لاينا فى ذلك لانّ معناه ليحملنّ أثقالاً ناشئة من اضلالهم مع انّه لايخفّف من اثقال من اضلّوهم شيءٌ لانّهم يحملون اثقال من اضلّوهم فيصير الاتباع خالين من الاثقال [وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ] اى ان تدع نفس مثقلة من الاوزار [إِلَىٰ حِمْلِهَا] الحمل بالكسر ما يحمل يعنى ان تدع كلّ ما يمكن ان يدعى من الله وخلفائه ومن الشّركاء لله ومن الشّركاء فى الولاية ومن كلّ نفس بشريّة ومن كلّ ما يحمل شيئاً من اصناف الحيوان [لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ] المدعوّ [ذَا قُرْبَىٰ] له رحيماً عليه بفطرة قرابته [إِنَّمَا تُنْذِرُ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّر كأنّه قيل: فمالهم لايخافون من سوء العاقبة

مع هذه الانذارات؟ـ فقال: انّما تنذر يا من ينذر، اويامحمّد(ص) [الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ] يعنى تنذر من كان فطرته الانسانيّة التّى شأنها خشية الرّبّ باقية فيهم حالكونهم بالغيب من الرّبّ اوحالكون الرّبّ بالغيب منهم [وَأَقَامُوا الصَّلٰوةَ] الفطريّة التّى هى الحبل من الله الّذى هوالولاية التّكوينيّة يعنى انّ الانذار من جهات الكفر لا ينفع الّا من كان هذه حاله لاغيره [وَمَنْ تَزَكّٰى] فى مقام وآتوا الزّكوة لكنّه عدل الى هذا لافادة هذا المعنى مع شيء زائد [فَإِنَّمَا يَتَزَكّٰى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ] فيجازيهم على اقامة الصّلوة وايتاء الزّكوة [وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمٰى وَالْبَصِيرُ] فى تميز الاشياء وفى تميز الحسن والقبيح والضّارّ والنّافع حتّى يتساوى الّذين لايخشون ربّهم مع الّذين يخشون فى الانذار [وَلَا الظُّلُمٰاتُ وَلَا النُّورُ] حتّى يستوى الّذين يستنير قلوبهم بنور العلم فيخشون ربّهم بذلك مع غيرهم [وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ] قيل: المعنى ولاالجنّة ولاالنّار، وقيل: ولا اللّيل ولا النّهار، اوالمعنى ولا البرد ولا السّموم، فانّ الحرور اسم للسّموم وكلّ ذينك المتقابلين كناية عن المؤمن وايمانه والكافر وكفره، او هوممثّل به والمؤمن وايمانه والكافر وكفره هوالممثّل له [وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ] اى الاحياء بالحيوة الايمانيّة الفطريّة اوالايمانيّة التّكليفيّة اللّتين يعبّر عنهما بالحبلين و بالولاية التّكوينيّة والتّكليفيّة [إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ] التّى هى قبور اجسادهم الميّتة وهؤلاء حالهم حال من كان ميّتاً واقعاً فى قبره، اومااانت بمسمع من كان منغمراً فى قبور نفوسهم الحيوانيّة وابدانهم الطّبيعيّة [إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ] سمعوا او لم يسمعوا [إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ] اى بالولاية فانّها الحقّ المطلق وكلّ ماسواه حقّ بحقيّته [بَشِيرًا وَنَذِيرًا] للمؤمن والكافر [وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ] يعنى ما اهملنا امّة من الامم بل بعثنا فى كلّ امّة نذيراً من نبىّ اووصىّ نبىّ، فى حديثٍ عن الباقر(ع): لم يمت محمّد(ص) الّا وله بعيث نذير قال: فان قيل: لا، فقد ضيّع رسول الله(ص) من فى اصلاب الرّجال من امّته، قيل: ومايكفيهم القرآن؟ـ قال: بلى، ان وجدوا له مفسّراً، قيل: وما فسّره رسول الله؟ـ قال: بلى، قد فسّره لرجلٍ واحدٍ وفسّر للامّة شأن ذلك الرّجل وهوعلىّ بن ابى طالب(ع). اعلم، انّه تعالى جعل غاية خلق العالم بنى آدم، وجعل غاية خلق بنى آدم ولاية علىّ بن أبى طالب(ع) سواء كانت ظاهرة فى هيكل النّبوّة او الرّسالة اوالخلافة وليس المراد بالنّذير الّا الرّسول اوالنّبىّ اوخليفتهما، فلو لم يكن فى العالم حيناً نذير بطل الخلقة ولم يكن لها غاية، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، فلم يكن عالم الّا وكان فيه آدم، ولم يكن آدم الّا وكان له نذيرٌ وهكذا لم يبق العالم بلا آدم ولانذيرٍ [وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ] فلاتحزن فانّ هذه سنّة قديمة [فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ] قد مضى فى آخر آل عمران هذه الكلمات [ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا] برسلهم وكذّبوهم [فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ] بالعقوبة لهم تهديدٌ للمكذّبين [أَلَمْ تَرَ] الخطاب خاصّ بمحمّد(ص) ولااشكال فانّه يرى انّ الله انزل من السّماء ماءً، اوعامّ فالمعنى انّه ينبغى ان يرى كلّ راء ذلك لانّه لو لم يكن بصره محجوباً كان يرى ذلك فهو ملوم على ان لا يرى [أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ] لمّا كان انزال الماء من السّماء بتوسّط الاسباب الطّبيعيّة الظّاهرة على الابصار والعقول اتى بالله بلفظ الغيبة كأنّه تعالى عند ذلك غائب عن الابصار والظّاهر عليها هوالاسباب بخلاف اخراج الثّمرات فانّ الاسباب الطّبيعيّة فيه خفيّة عن الابصار فكأنّ النّاظر اليه لايرى توسّط الاسباب ويرى المسبّب عنده

فلذلك التفت من الغيبة الى التّكلّم [مُخْتَلِفًا اَلْوانُها وَمِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ] جمع الجُدَّة بالضّمّ الطّريقة مثل الجادّة وهوعطف على محلّ معمولى انّ، اوعطف على جملة الم تر فانّه فى معنى انت ترى البتّة، اوحالٌ والمقصود انّ انزال الماء من السّماء واخراج الثّمرات المختلفة من الماء الواحد واختلاف جددالجبال المتّحدة فى الحجريّة كلّها تدلّ على قدرته وعلمه وارادته [بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ اَلْوانُها] اى الوان البيض بالكُدرة والشّفافة، وكذلك الحمر باختلاف الوانها [وَغَرابِيبُ سُودٌ] جمع الغربيب تأكيد الاسود وكان حقّه ان يقول سود غرابيب لكنّه عكس للتّأكيد و لقصد بيان الغرابيب [وَمِنَ النّاسِ وَالدَّوابِّ وَالْاَنْعامِ مُخْتَلِفٌ اَلْوانُهُ] الضّمير راجع الى البعض المستفاد من لفظة من [كَذٰلِكَ] متعلّق بمختلفٍ اى مختلف الوان المذكورات مثل اختلاف جددالجبال واختلاف الثّمار [اِنَّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّر كأنّه قيل: لم لايخشى النّاس من الله مع هذه الدّلائل وتلك الانذارات ؟ـ فقال: لاينفع الدّلالات والانذارات لمن لم يقذف الله فى قلبه نورالعلم ، و لمّا كان اغلب النّاس خالين من نورالعلم لاينفع هذه فيهم .

اعلم، انّ **الانسان له مراتب** ولكلّ مرتبةٍ منه خوف و رجاء ونحومن العلم غيرماللمرتبة الاخرى؛ **فاولى مراتبه** مرتبة نفسه الامّارة ، وفى تلك المرتبة لاتسمّى ادراكاته الّا ظنوناً ولايكون ادراكاته الّا محصورة على لوازم الحيوة الدّنيا فانّ ذلك مبلغها من العلم ولايكون خوفه و رجاؤه الّا فيمايتعلّق بالحيوة الدّنيا ، **وثانية مراتبه** مرتبة نفسه اللّوامة وفى تلك المرتبة يختلط ادراكاته من الظّنون والعلوم والذّوق والوجدان لانّه قد يظهرحينئذٍ بشأن النّفس الامّارة فيحكم عليه باحكامها ، وقد يظهر بشأن النّفس المطمئنّة فيحكم عليه باحكامها ، **وثالثة مراتبه** مرتبة النّفس المطمئنّة و فى تلك المرتبة يكون ادراكاته علوماً وذوقاً و وجداناً ، وخوفه يكون من الله و من سخطاته وفراقه و يسمّى ذلك الخوف خشية لانّ الخشية حالة حاصلة من امتزاج استشعار القهر واللّطف والخوف والمحبّة ، ومالم يصل الانسان الى ذلك المقام لم يحصل له محبّةٌ ما لله فلم يحصل له خشيةٌ ما منه وكان خوفه خوفاً صرفاً من قهره فقط اذا كان له خوف، **ورابعة مراتبه** مرتبة قلبه وفى تلك المرتبة يكون ادراكاته شهوداً وذوقاً و وجداناً و يكون خوفه هيبة فانّ المشاهد لايرى الله الّا محيطاً بنفسه وليس شأن المحاط الّا الهيبة من المحيط و بعد ذلك يكون السّطوة والسّحق والمحق [اِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ] تعليلٌ لخشية العلماء فانّ العزّة يستلزم الخوف الّذى هو احد جزئى الخشية ، والغفران يستلزم المحبّة الّتى هى جزء آخرمنها، عن الصّادق (ع) يعنى بالعلماء من صدّق قوله فعله ومن لم يصدّق قوله فعله فليس بعالمٍ ، وعن السّجّاد(ع) : ما العلم بالله والعمل الّا الفان مؤتلفان، فمن عرف الله خافه وحثّه الخوف على العمل بطاعة الله، وانّ ارباب العلم واتباعهم الّذين عرفوا الله فعملوا له ورغبوا اليه وقد قال الله: انّما يخشى الله من عباده العلماء [اِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللّهِ] جوابُ سؤالٍ مقدّر كأنّه قيل: فما لمن يخشى الله؟ـ فقال: انّ الّذين يخشون الله لكنّه ابدله بما ذكرفى الآية للاشعار بانّ الّذين يخشون الله يتلون كتاب الله [وَاَقامُوا الصَّلٰوةَ وَأَنْفَقُوا مِمّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً] قد مضى فى اوّل البقرة بيان هذه الكلمات والاختلاف بالمضىّ والاستقبال فى تلك الافعال لايخفى وجهه على الفطن [يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ] لن تفسد والمعنى انّهم بانفسهم يرجون ذلك او يرجى لهم تجارة لن تبور فينبغى ان يرجوا بانفسهم ذلك [لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ] تعليلٌ للرّجاء اوللتّجارة ، اولقوله لن تبور اولقوله يتلون والمعطوفات عليه [وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ اِنَّهُ غَفُورٌ] فلايحاسبهم على مساويهم فيصير ترك المحاسبة زيادة من فضله [شَكُورٌ] فيزيدهم لامحالة

بمقتضی شکره [وَالَّذی اَوْحَیْنٰا اِلَیْكَ مِنَ الْکِتٰابِ] عطف علی انّ الّذین یتلون کتاب الله او علی مدخول انّ و وجه المناسبة بینهما انّ السّامع کأنّه تردّد فی انّ کتاب الله الّذی مدح الله تالیه هو مطلق احکام النّبوّات من احکام نوح وهود وصالح و ابراهیم وموسی وعیسی (ع) ومطلق الکتب السّماویّة من صحف ابراهیم والتّوراة والانجیل والقرآن فعطف وقال: انّ الّذی اوحینا الیك من کتاب النّبوّة ومن صورة القرآن [هُوَ الْحَقُّ] لا حقّ سواه فلا یتوهّم متوهّم انّ المذکورات ایضاً حقّ ینبغی تلاوتها فانّها صارت منسوخة [مُصَدِّقًا لِمٰا بَیْنَ یَدَیْهِ] و لمّا توهّم من حصر الحقّ فیما اوحی الیه بطلان المذکورات اضاف الیه قوله مصدّقاً لما بین یدیه من الشّرائع والکتب حتّی یحقّق بذلك حقیّتها ایضاً [اِنَّ اللّٰهَ بِعِبٰادِهِ لَخَبِیرٌ] فیعلم بواطن امورهم [بَصِیرٌ] فیعلم ظواهر امورهم فلو لم یکن فیك ما یقتضی ایحاء مثل هذه النّبوّة الّتی هی خاتم النّبوّات والرّسالات ومثل هذا الکتاب الّذی هو خاتم الکتب ومهیمن علیها لما اوحی الیك [ثُمَّ اَوْرَثْنَا الْکِتٰابَ] عطف علی انّ الّذین یتلون کتاب الله باعتبار عقد الوضع اوعلی الّذی اوحینا الیك من الکتاب باعتبار عقد الوضع ایضاً، والمراد بالکتاب هو احکام الرّسالة والنّبوّة والقرآن صورتها ، وایراثها عبارة عن قبولهم تلك الاحکام بالبیعة العامّة الصّحیحة الاسلامیّة ، او قبولهم تلك بالبیعة الخاصّة الایمانیّة [اَلَّذِینَ اصْطَفَیْنٰا مِنْ عِبٰادِنٰا] بقبولنا لهم ای بقبول خلیفتنا لهم بالبیعة [فَمِنْهُمْ ظٰالِمٌ لِنَفْسِهِ] بوقوفه فی مربض بهیمیّته وسبعیّته وشیطنته من غیر خروجه الی انسانیّته [وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ] وهو الّذی خرج الی انسانیّته ولم یبلغ الانتهاء فی ذلك ولم یرجع لتکمیل غیره [وَمِنْهُمْ سٰابِقٌ] لکلّ من سواه [بِالْخَیْرٰاتِ] جمیعاً [بِاِذْنِ اللّٰهِ] او بجنس الخیرات وهو الّذی بلغ منتهی ما ینبغی ان یبلغ بحسب شأنه و استعداده ثمّ رجع لتکمیل غیره فانّه سبق غیره بجملة الخیرات او ببعضها .

وهذه الآیة بهذا التّفسیر تشمل کلّ من باع البیعة العامّة الاسلامیّة الصّحیحة لا البیعة الفاسدة کالّذین باعوا مع خلفاء الجور سواء باع البیعة الخاصّة الایمانیّة ام لا ، وسواء ترقّی عن مقامه الّذی کان فیه قبل البیعة او لم یترقّ ، او لا تشمل الّا الّذی باع البیعة الایمانیّة فانّ المسلم وان کان له نسبة البنوّة الی من باع معه البیعة الاسلامیّة ، و نسبة الاخوّة الی من باع تلك البیعة لکنّها لغایة خفائها کأنّها لم تکن ولذلك کانت تلك النّسبة لم یبلغ سلطانها الی الآخرة ولا یحصل منها الّا حفظ الدّم والمال والعرض وجریان المناکح والمواریث، والاجر لا یکون الّا علی الایمان، فالوارث من النّبیّ اوخلیفته لیس الّا من باع معه البیعة الایمانیّة و بتلك البیعة یتحقّق نسبة الابوّة والبُنوّة بینهما، ونسبة الاخوّة بینه و بین سائر المؤمنین و یکون سلطانها باقیاً الی الآخرة، هذا بحسب ظاهر الآیة فانّ الدّاخلین فی الاسلام والدّاخلین فی الایمان بقدر قوّة نسبتهم وضعفها الی الرّسول (ص) وارثون منه کتاب الرّسالة و وارثون منه کتاب القرآن لکن ورد أخبار کثیرةٌ جدّاً فی تخصیص الوارثین والمصطفین باولاد فاطمة (ع) ، و انّ الآیة نزلت فی الفاطمیّین و انّهم مغفور لهم علی ظلمهم ، وانّه لا یدخل فیهم من اشار بسیفه ودعا النّاس الی ضلال ، وفی بعض الاخبار انّها لآل محمّد (ص) خاصّةً ولعلّ التّخصیص بالفاطمیّین او بآل محمّد (ص) للاشارة الی شمول الآیة للبائعین البیعة الخاصّة الایمانیّة دون البائعین البیعة العامّة فانّه وردعنهم (ع) انّ شیعتنا الفاطمیّون والعلویّون والهاشمیّون، ولو خصّصت الآیة باولاد فاطمة (ع) اولادها الجسمانیّین کما فی بعض الاخبار من التّلویح الیه لماکان بعیداً فانّهم الوارثون حقیقةً والمصطفون واقعاً، وغیرهم من شیعتهم وارثون بایراثهم و مصطفون باصطفائهم وتبعیّتهم ، و ورد انّ الظّالم لنفسه الّذی لا یقرّ بالامام ، و المقتصد العارف بالامام ، و السّابق بالخیرات الامام ، وفی بعض الاخبار فسّر الظّالم بمن لا یعرف حقّ

الامام ، وعن الصّادق (ع) : الظّالم يحوم حول نفسه ، و المقتصد يحوم حول قلبه ، و السّابق يحوم حول ربّه ، و بهذه المضامين اخبار كثيرة ، و يستفاد من جملتها انّ ذرّيّة فاطمة (ع) الجسمانيّين ان لم يعرفوا امامهم ولم يبايعوا معه كانوا مغفوراً لهم ، والبائعين مع الامام البيعة الخاصّة ان لم يخرجوا من حدود انفسهم و وقفوا فى مهاوى انفسهم مغفور لهم بمحض حصول النّسبة الايمانيّة من غير الوصول الى دار الايمان، لكن : اقول لكم اخوانى : لا تغترّوا بامثال ذلك حتّى لا تجتهدوا فى الخروج من مهاوى انفسكم وتقفوا على ملذّات البهيميّة ولا تعرفوا من الفقر الّا الحلق و الدّلق لانّكم لو ابقيتم النّسبة الى الموت كان ذلك لكم بل لكم المغفرة بل التّرقّى الى الدّرجات العالية ولوجئتم بسيّئات الجنّ والانس، لكن ابقاء تلك النّسبة مع عدم المبالاة بحفظها وعدم الاجتهاد فى الخروج عن مقام البهيميّة فى غاية الاشكال ولو قطعت تلك النّسبة العياذ بالله لكان عذاب المنقطع النّسبة عذاباً لا يعذّب الله احداً بذلك العذاب، فكونوا على حذر من قطعها ، حفظنى الله وايّاكم و وفّقنى وايّاكم [ذٰلِكَ] الاصطفاء و الايراث او السّبق بالخيرات [هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنّٰاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهٰا] قرئ برفع جنّات عدن مبتدء و خبرٌ ، او قرئ بنصبها منصوباً على شريطة التّفسير ، او بدلاً من الكتاب بدل الاشتمال، وعلى الوجهين تكون الجملة جواباً لسؤال مقدّر، وقرئ يدخلونها مبنيّاً للمفعول [يُحَلَّوْنَ فِيهٰا مِنْ أَسٰاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً] قرئ بالجرّ و النّصب [وَلِبٰاسُهُمْ فِيهٰا حَرِيرٌ] لائق بالجنّة لا من جنس حرير الدّنيا [وَقٰالُوا] بعد ماراٰوا مقامهم وطهارتهم عن كلّ ما لا يليق بالانسان [الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ] على ما يليق انسانيّتنا [إِنَّ رَبَّنٰا لَغَفُورٌ] لانّه اذهب وستر علينا ما يحزننا [شَكُورٌ] اعطانا على قليل اعمالنا بواسطة نسبتنا الى اوليائنا ما كنّا لا نتصوّر اعطاءه [الَّذِى أَحَلَّنٰا دٰارَ الْمُقٰامَةِ] اى دار الاقامة [مِنْ فَضْلِهِ] لا باستحقاقنا وهى اخيرة مراتب الجنّات فانّ غيرها دار العبور [لاٰ يَمَسُّنٰا فِيهٰا نَصَبٌ وَلاٰ يَمَسُّنٰا فِيهٰا لُغُوبٌ] لغب لغباً كالنصر و لغوباً بضمّ اللّام وفتحها كمنع وسمع وكرم اعيا اشدّ الاعياء، وعن النّبىّ (ص) فى حديث يذكر فيه ما اعدّ الله لمحبّى علىّ (ع) يوم القيامة انّهم اذا دخلوا منازلهم وجدوا الملائكة يهنّؤنهم بكرامة ربّهم حتّى اذا استقرّوا قرارهم قيل لهم : هل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً؟- قالوا: نعم، ربّنا رضينا فارض عنّا ، قال: برضاى عنكم و بحبّكم اهل بيت نبيّى حللتم دارى و صافحتم الملائكة فهنيئاً هنيئاً عطاءً غير مجذوذ ليس فيه تنغيص فعندها قالوا : الحمد لله الّذى اذهب عنّا الحزن (الآية) وعن أبى جعفر (ع) انّ رسول الله (ص) سئل عن قول الله عزّ وجلّ : يوم نحشر المتّقين الى الرّحمن وفداً ، قال: فقال: يا علىّ انّ الوفد لا يكونون الّا ركباناً (وساق الحديث الى ان قال) فاذا دخل الى منازله فى الجنّة وضع على رأسه تاج الملك والكرامة والبس حلل الذّهب والفضّة والدّرّ منظومة فى الاكليل تحت التّاج (قال) والبس سبعين حلّة بالوان مختلفة وضروب مختلفة منسوجة بالذّهب والفضّة واللّؤلؤ والياقوت الاحمر فذلك قوله عزّ وجلّ : و يحلّون فيها من اساور من ذهب و لؤلؤاً ولباسهم فيها حرير وهذان الحديثان يدلّان على شمول الاصطفاء و ايراث الكتاب لذرّيّة فاطمة (ع) سواء كانوا جسمانيّين او روحانيّين [وَالَّذِينَ كَفَرُوا] بالله او بمحمّد (ص) او بآله (ع) او بالايمان او بالكتاب او بنعمة الولاية او بمطلق النّعم فانّه مقابل قوله ثمّ اورثنا الكتاب لانّه بمنزلة ان يقال: انّ الّذين آمنوا لهم كذا، والّذين كفروا [لَهُمْ نٰارُ جَهَنَّمَ لاٰ يُقْضىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا] فيستريحوا من عذابها [وَلاٰ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذٰابِهٰا كَذٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهٰا رَبَّنٰا أَخْرِجْنٰا نَعْمَلْ صٰالِحاً غَيْرَ الَّذِى كُنّٰا نَعْمَلُ] من الكفر بالولاية او بسائر ما ذكر ، روى عن علىّ (ع) انّه

قال: قال رسول‌الله(ص): یاعلیّ مابین من یحبّک و بین ان یری مایقرّ به عیناه الاّان یعاین الموت، ثمّ تلا: ربّنا اخرجنا نعمل صالحاً غیر الّذی کنّا نعمل یعنی اعداء علیّ(ع)، وهذا الحدیث یدلّ علی انّ المراد بالّذین کفروا من کفر بالولایة و هو یدلّ علی شمول الآیة لمطلق المؤمنین بالولایة [اَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ] بتقدیر القول مثل قوله ربّنا أخرجنا [مٰا یَتَذَکَّرُ فیهِ مَنْ تَذَکَّرَ] فسّر العمر الّذی یتذکّر فیه بثمانی عشرة سنة، وفی خبرٍ انّ العبد لفی فسحة من امره مابینه و بین اربعین سنة و بعد ذلک یوحی الله الی ملائکته انّی قد عمّرت عبدی عمراً فغلّظا وشدّدا واحفظا علیه قلیل عمله وکثیره وصغیره وکبیره، وفی خبرٍ: العمر الّذی اعذر الله فیه الی ابن آدم ستّون سنةً، وفی آخر عن النّبیّ(ص): من عمّره الله ستّین سنة فقد أعذر الیه [وَجٰاءَکُمُ النَّذیرُ] جملة حالیّة [فَذُوقُوا فَمٰا لِلظّٰالِمینَ مِنْ نَصیرٍ] یدفع العذاب عنهم [اِنَّ اللّٰهَ عٰالِمُ غَیْبِ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ کأنّه قیل: لایظهر عداوة علیّ(ع) والکفر به علی ظاهر الاکثر فهل یعلم الله ذلک؟- فقال: انّ الله عالم غیب السّماوات فکیف لایعلم ما فی قلوب عباده [اِنَّهُ عَلیمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ] تأکید للازم الجملة السّابقة ولذلک لم یأت باداة الوصل [هُوَ الَّذی جَعَلَکُمْ خَلاٰئِفَ فِی الْاَرْضِ] لنفسه فانّه جعلکم علی مثاله اوخلائف للماضین وهذه منقطعة عن سابقها و تمهید لما بعدها، اوهو جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ ناشٍ من سابقها کأنّه قیل: هو یعلم مافی الصّدور؟- فقال: هوالّذی جعلکم خلائف فکیف لایعلم ما فی صدورکم [فَمَنْ کَفَرَ] بالله او بالنّبوّة او بالولایة او بنعمة الخلافة او بمطلق النّعم [فَعَلَیْهِ کُفْرُهُ] لاعلی غیره لانّ الله عادل وعالم بکفر الکافر وایمان المؤمن [وَلاٰ یَزیدُ الْکٰافِرینَ کُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ اِلاّٰ مَقْتاً وَلاٰ یَزیدُ الْکٰافِرینَ کُفْرُهُمْ اِلاّٰ خَسٰاراً] فانّ مقت الرّبّ مورث لامحالة لخسار العبد [قُلْ] لهؤلاء المشرکین بالله او بالولایة اوالمشرکین اهویتهم بأمر ربّهم [اَرَأَیْتُمْ] قد مضی تحقیق هذه الکلمة وانّها تستعمل بمعنی أخبرونی [شُرَکٰاءَکُمُ الَّذینَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَرُونی] بدل من ارأیتم [مٰاذٰا خَلَقُوا مِنَ الْاَرْضِ] فضلاً عن السّماء [اَمْ لَهُمْ شِرْکٌ فِی السَّمٰوٰاتِ اَمْ آتَیْنٰاهُمْ کِتٰاباً] فیه اذن منّا فی اشراکهم [فَهُمْ عَلیٰ بَیِّنَةٍ مِنْهُ] من الکتاب اومن الله فی الاشراك حتّی یکونوا معذورین فی اتّباع الشّرکاء یعنی انّ هذا امرعظیم لاینبغی ان یأخذه العاقل من دون دلیل یدلّ علیه من کون الشّریک خالقاً لشیءٍ من موالید الارض اوشریکاً فی شیءٍ من اجزاء السّماء، اواسبابها المؤثّرة فی الارض، اوکونه ذاحجّة من الله یدلّ علی شراکته اوکون المشرك ذاحجةٍ من الله تعالی ولیس لهؤلاء شیءٌ من ذلك [بَلْ اِنْ یَعِدُ الظّٰالِمُونَ] ای المشرکون اوالشّرکاء فی الولایة [بَعْضُهُمْ] کلّ بعضٍ منهم او رؤسائهم [بَعْضاً] ای کلّ بعض او مرؤسیهم [اِلاّٰ غُرُوراً] وعداً لاحقیقة له بان یقول شرکاء الولایة اتباعهم: نحن شفعاؤکم قالاً اوحالاً فانّ ادّعاء الامامة والخلافة ادّعاء للشّفاعة او بان یقول رؤساء الضّلالة: نحن نتحمّل خطایاکم، او یقولوا: نحن نحفظکم من محمّدٍ(ص) اومن البلایا، اوننصرکم فیمادهاکم، او بان یقول الاتباع: نحن معکم ونغزو عدوّکم وغیر ذلك من الوعد الکذب [اِنَّ اللّٰهَ یُمْسِكُ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضَ اَنْ تَزُولاٰ] ای یمسك سماوات الطّبع وارضه من الزّوال عن امکنتهما، اوالمراد یمسك سماوات الارواح واراضی الاشباح من الزّوال عن مقامهما، اوسماوات العالم الصّغیر وارضه من الزّوال والجملة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ کأنّه قیل: فما للشّرکاء دخل فی السّماوات والارض فی العالم الکبیر ولا فی العالم الصّغیر؟- فقال بنحو الحصر: انّ الله لاغیره یمسك السّماوات والارض ان تزولا [وَلَئِنْ زٰالَتٰا اِنْ أَمْسَکَهُمٰا

مِنْ اَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ] من بعدالله اومن بعد الزّوال [اِنَّهُ كانَ حَليماً] فلذلك لايعجل فى عذاب الشّركاء وعابديهم [غَفُوراً] يغفر لمن تاب منهم [وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ] يميناً غليظاً [لَئِنْ جاءَهُمْ نَذيرٌ لَيَكُونُنَّ اَهْدى مِنْ اِحْدَى الْاُمَمِ] من اليهود والنّصارى وهذاديدن النّساء وكلّ من كان على شيمتهنّ بان يقولوا: لوكان كذا لكان كذا، فيمشون و يعيشون على قول: لو كان كذا، قيل: انّ قريشاً لمّا بلغهم انّ اهل الكتاب كذّبوا رسلهم (ع) قالوا: لعن الله اليهود و النّصارى لو اتانا رسولٌ لنكوننّ اهدى من احدى الامم [فَلَمّا جاءَهُمْ نَذيرٌ] يعنى محمّداً (ص) [ما زادَهُمْ اِلّا نُفُوراً] عن النّذير فضلاً ان يكونوا مهتدين اواهدى [اسْتِكْباراً فِى الْاَرْضِ] مفعولٌ له [وَمَكْرَ السَّيِّئِ] عطف على استكباراً اوهما مصدران وفعلاهما محذوفان [وَلا يَحيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ اِلّا بِأَهْلِهِ] لانّ الماكرحين يمكر ليس الّا سخريّة للشّيطان ومحاطاً به ومحكوماً له ، والدّخول تحت حكومة الشّيطان عذاب عاجل لانسانيّة الانسان قبل وصول مكره الى الممكور، و بعد وصول مكر الماكر الى الممكور يكون ارتفاعاً للممكور امّا فى الدّنيا و الآخرة ، اوفى الآخرة ، و تنزّلاً للماكر فيهما او فى الآخرة فقط [فَهَلْ يَنْظُرُونَ] اى ينتظرون [اِلّا سُنَّةَ الْاَوَّلينَ] فى الرّسل والمكذّبين الماكرين بتعذيبهم واحاطة وبال مكرهم بهم [فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْديلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْويلاً] عن المستحقّ الى غير المستحقّ [اَوَلَمْ يَسيرُوا فِى الْاَرْضِ] حتّى يشاهدوا آثار الرّسل وآثار مصدّقيهم ومكذّبيهم [فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] فيعتبروابهم و يتأسّوا بالمصدّقين و يجتنبوا عن مثل افعال المكذّبين و اقوالهم وقد مضى مكرّراً تفسير الارض و السّير فيها بارض القرآن والاخبار والسّير الماضية و بارض العالم الصّغير [وَ كانُوا اَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً] فهؤلاء اولى لضعفهم بان يجتنبوا عن مثل افعالهم [وَما كانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ] عن انفاذ امره وامضاء سنّته [فِى السَّمواتِ وَلا فِى الْاَرْضِ اِنَّهُ كانَ عَليماً] بجملة الاشياء فيعلم تكذيب المكذّب واستكباره ومكره و تصديق المصدّق وتسليمه [قَديراً] على ما يريد [وَلَوْ يُؤاخِذُ اللهُ] كأنّه توهّم متوهّم انّ الله ان كان عالماً بهم وقديراً على مؤاخذتهم فلم لايؤاخذهم؟! فعطف قوله ولو يؤاخذالله [النّاسَ بِما كَسَبُوا] رفعاً لذلك التوهّم [ما تَرَكَ عَلى ظَهْرِها] اى ظهر الارض [مِنْ دابَّةٍ] بشؤم اعمال بنى آدم ومؤاخذة دوابّ الارض بمؤاخذتهم [وَلكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ اِلى اَجَلٍ مُسَمًّى فَاِذا جاءَ اَجَلُهُمْ فَاِنَّ اللهَ كانَ بِعِبادِهِ بَصيراً] فيجازى كلّاً باعماله ولايفوت احدٌ منه.

سُورَة يس

مكّيّة كلّها ، وقيل : الّا آيةٌ منها وهى قوله : واذا قيل لهم أنفقوا ممّا رزقكم الله (الآية) نزلت بالمدينة وهى ثلاث وثمانون آيةً ، وقد ورد فى فضلها اخبارٌ كثيرةٌ وانّها قلب القرآن ، وعن ابى عبدالله (ع) انّه قال : من قرأ سورة يس فى عمره مرّةً كتب الله له بكلّ

خلقٍ فی الدّنیا و بکلّ خلقٍ فی الأخرة وفی السّماء بکلّ واحد الفی الف حسنة ، ومحا عنه مثل ذلک ولم یصبه فقر ولا غرم ولا هدم ولا نصب ولا جنون ولا جذام ولا وسواس ولا داءٌ یضرّه ، وخفّف الله عنه سکرات الموت واهواله وولّی قبض روحه، وکان ممن یضمن الله له السّعة فی معیشته والفرح عند لقائه والرضا بالثواب فی آخرته ، وقال الله تعالی لملائکته اجمعین من فی السماوات ومن فی الارض : قد رضیت عن فلان فاستغفروا له.

بسم الله الرحمن الرحیم

[یٰسٓ] قد مضی فی اوّل البقرة و فی غیرها ما یکفی لبیانها ، وقد ورد فی الاخبار انّ یٰس ونون من اسماء محمّد (ص) ، وقیل ههنا : انّ یٰس معناه یاانسان بلغة طیّ ، وقرئ یٰس ونون باظهار النّون فی الوصل علی الاصل، وقرئ بادغام النّون فی الواو علی خلاف الاصل ، و قرئ بکسر النّون بناء کجیر، و بفتحها بناء کاین ، او باضمار حرف القسم ومنع الصّرف و بالضّمّ بناء کحیث، اواعراباً علی تقدیر هذه یٰس [وَالْقُرْاٰنِ الْحَکِیمِ] اقسم تأکیداً واقسم بالقرآن تفخیماً له لیکون دلیلاً علی رسالته لانّ رسالته بالقرآن ، وکون القرآن حکیماً لاشتماله علی دقائق العلوم بل دقائق العمل [اِنَّکَ لَمِنَ الْمُرْسَلِینَ عَلٰی صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ] وهو الولایة التّکوینیّة والتّکلیفیّة وهی الطّریق المستقیم الی کلّ خیر والطّریق الموصل الی الله وهذه الکلمة تثبیت له (ص) علی ماهو علیه ولامّته وردع لمنکریه [تَنْزِیلَ الْعَزِیزِ الرَّحِیمِ] قرئ بالرّفع خبراً لمحذوفٍ اشارة الی القرآن وکون التّنزیل بمعنی المنزل ، اواشارة الی التّنزیل المشهود له، وقرئ بالنّصب مصدراً لفعله المحذوف اومفعولاً لاعنی اوامدح محذوفاً، وقرئ بالجرّ علی البدل من القرآن، واضاف التّنزیل الی العزیز الرّحیم رفعاً لخوفه عن غیره و تقویة لخوفه ورجائه منه [لِتُنْذِرَ قَوْمًا مٰا اُنْذِرَ اٰبٰاؤُهُمْ فَهُمْ غٰافِلُونَ] عن الله وعقابه وثوابه وامره ونهیه ،وفی خبرٍ منسوبٍ الی الصّادق (ع) اشعار بانّ المعنی لتنذر بولایة أمیر المؤمنین (ع) فهم غافلون عنها وذلک انّ الولایة غایة الرّسالة واصل جملة الاحکام والوعدات والوعیدات [لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ] بدخول النّار او بالعذاب [عَلٰی اَکْثَرِهِمْ] وفی الخبر المذکور انّه قال: ممّن لایقرّون بولایة علیّ امیر المؤمنین (ع) والائمّة من بعده (ع) [فَهُمْ لاٰیُؤْمِنُونَ] بولایة علیّ (ع) بالبیعة علی یده اوایدی خلفائه (ع) ، وفی ذلک الخبر انّه قال بولایة امیر المؤمنین (ع) والاوصیاء من بعده فلمّا لم یقرّوا کانت عقوبتهم ماذکر الله [اِنّٰا جَعَلْنٰا فِی اَعْنٰاقِهِمْ اَغْلاٰلاً] هی صور اعمالهم اوجزاء اعمالهم بناءً علی تجسّم الاعمال و جزاء العامل بصورة اخری اخرویّة مناسبة لصورة الاعمال المجسّمة ، والاتیان بالماضی امّا لتحقّق وقوعه او للاشارة الی انّ الاغلال تکون فی اعناقهم فی الدّنیا لکن مدارکهم خدرة لایدرکونها و ذلک انّ الاغلال الاخرویّة مأخوذة من الاخلاق الدّنیویّة وهی فی الدّنیا محیطة بهم وفی الآخرة تظهر بصورة الاغلال [فَهِیَ اِلَی الْاَذْقٰانِ] لسعتها واحاطتها بجمیع ابدانهم [فَهُمْ مُقْمَحُونَ] اقمح الغلّ الاسیر ، ترک رأسه مرفوعاً لضیقه [وَجَعَلْنٰا مِنْ بَیْنِ اَیْدِیهِمْ] یعنی من جهة دنیاهم اومن جهة آخرتهم [سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ

سَدًّا] حتّى لا يبصروا من جهة دنياهم شيئاً يعتبروا به ولا من جهة آخرتهم [فَأَغْشَيْنَاهُمْ] من جميع جوانبهم [فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ] قدّامهم وخلفهم ولا ايمانهم و شمائلهم لاغشائهم بالسّدّين، ولا يبصرون ماتحت اقدامهم لمنع الغلّ ذلك، ولا ما فوق رؤسهم لذلك، و ذكر فى نزول الآية اشياء من اراد فليرجع الى المفصّلات [وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ] و فى الخبر المنسوب الى الصّادق (ع) انّه قال: فهم لا يؤمنون بالله و بولاية علىّ (ع) ومن بعده وقد سبق بيان هذه الكلمات فى اوّل البقرة [إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ] قد مضى مكرّراً انّ الذّكر هو الولاية التّكوينيّة و التّكليفيّة و انّ محمّداً (ص) و عليّاً (ع) لكونهما متّحدين مع الولاية يكونان ذكراً، وانّ القرآن ايضاًصورة الولاية، وانّ الذّكر اللّسانىّ و الخيالىّ صورة ذلك الذّكر فالمقصود بالذّكر ههنا هو الولاية التّكوينيّة الّتى هى عبارة عن الفطرة الانسانيّة ومن اتّبع الفطرة الانسانيّة علم بحسب فطرته بالله، ومن علم بالله خشيه، ولا ينفع الانذار الّا لمن توجّه الى فطرته وقذف الله فى قلبه نور العلم وخشى ربّه [فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ] عظيمة لجميع مساويه [وَأَجْرٍ كَرِيمٍ] لا نقصان ولا نفاد فيه ولا منّة فيه على المأجور [إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ] تعليل وتسلية و وعد و وعيد [وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا] من الاعمال الّتى لا تبقى بصورها عليهم [وَآثَارَهُمْ] من العلوم والاخلاق وآثار الاعمال الّتى عملوها فبقى آثارها على نفوسهم [وَكُلَّ شَيْءٍ] غير المذكورات [أَحْصَيْنَاهُ] اى كتبناه [فِي إِمَامٍ مُبِينٍ] هو اللّوح المحفوظ ، او القلم الاعلى ، او الامام الّذى هو بنفسه علم الله بكلّ شيء فانّ الله بكلّ شيء عليم فى بيوت اذن الله ان ترفع و تلك البيوت هى ائمّة النّاس [وَاضْرِبْ لَهُمْ] اى اذكر لهم [مَثَلًا] اى حالاً شبيهة بحالهم حتّى يتنبّهوا بقبيح احوالهم وافعالهم [أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ] اى مثل اصحاب القرية وهو بدل من مثلاً بجعل اضرب متعدّياً الى واحد اومفعول اوّل لاضرب ومثلاً مفعول ثان له والقرية انطاكية ارسل اليها عيسى (ع) او ارسل الله اليها كما فى بعض الاخبار [إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا] اذ الاولى بدل من اصحاب القرية بدل الاشتمال، و اذ الثّانية بدل من الاولى [إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا] اى قوّينا هما [بِثَالِثٍ] هو شمعون او نبىّ من الله تعالى وكان اسم الرّسولين يحيى و يونس (ع) [فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ] نقل عن الباقر (ع) انّ الله ارسل الى مدينة انطاكية رجلين فجاءاهم بما لا يعرفون فغلّظوا عليهما فأخذوهما وحبسوهما فى بيت الاصنام (الى آخر الحديث المذكور فى التّفاسير) وفى رواية بعث عيسى (ع) هذين الرّسولين فأتيا انطاكية ولم يصلا الى ملكها وطالت مدّة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبّرا فأخذهما الملك وحبسهما فى بيت الاصنام فبعث عيسى (ع) شمعون الصّفا رأس الحواريّين فدخل شمعون البلدة منكّراً ونصر الرّسولين وادخل الملك واهل البلدة فى الدّين كما فى التّفاسير [قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا] اثبتوا لهما البشريّة وحصروهما فيها باعتقاد انّهاتنا فى الرّسالة من الله المجرّد من الموادّ ونقائصها [وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمٰنُ مِنْ شَيْءٍ] لانّ الرّحمن لا ينزل الى البشر [إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ] بمنزلة النّتيجة [قَالُوا] بعد ما اصرّوا على الانكار بتأكيدات عديدة [رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ] لغاية انكارهم لم يقتصروا على المدّعى و تأكيداته [قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا] عمّا تقولون و هو الّذى تطيّرنا به [لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ] علاوة عن الرّجم [مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ] قد مضى هذه الكلمة

مكرّرة [اَئِنْ ذُكِّرْتُمْ] تطيّرتم او توعّدتم [بَلْ اَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ] فى جميع الامور فلاغرو فى ان تعذّبونا بعد ان تذكّرتم بانّا لانقول الّا الحقّ [وَجٰاءَ مِنْ اَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعٰى] هو حبيب النّجّار مؤمن آل يٰس قيل: انّه آمن بمحمّد (ص) و بينهما ستّمائة سنة ،وكان فى غار يعبدالله فلمّا بلغه خبر الرّسل اظهر دينه ،وعن النّبىّ (ص) انّه قال: الصّدّيقون ثلاثة : حبيبٌ النّجّار مؤمن آل يٰس ، وحزقيل مؤمن آل فرعون ، وعلىّ بن أبى طالب [قٰالَ يٰا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اِتَّبِعُوا مَنْ لٰا يَسْأَلُكُمْ اَجْرًا] فلذلك كانوا احقّاء بالاتّباع لعدم نظرهم الى دنياكم فليس لهم همّ الّا آخرتكم [وَهُمْ مُهْتَدُونَ] لظهور اهتدائهم من اقوالهم و افعالهم [وَمٰا لِيَ لٰا اَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي] والفاطر اولى بالعبادة من كلّ معبود [وَاِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] ومن كان رجوع الخلق اليه آخر الامر اولى بان يعبد [ءَاَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ اٰلِهَةً اِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمٰنُ بِضُرٍّ لٰا تُغْنِ عَنِّي شَفٰاعَتُهُمْ شَيْئًا] والمعبود لابدّ و ان يدفع عن العابد و ان لم يدفع فلا اقلّ ان يشفع عند من يريد به ضرّاً [وَلٰا يُنْقِذُونِ] منه [اِنِّي اِذًا لَفِي ضَلٰالٍ مُبِينٍ] اظهر (ع) دينه حيث لايرى فى التّقيّة خير العباد ولا نصر الرّسل (ع) فقال: [اِنِّي اٰمَنْتُ بِرَبِّكُمْ] الخطاب للرّسل (ع) او لاهل القرية مع التّلميح الى بطلان دينهم وحقّيّة دينه [فَاسْمَعُونِ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ] يعنى قالت الملائكة او الله له بعد قتله بشارة له قبل الدّخول اوا كراماً و اعزازاً [قٰالَ يٰا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمٰا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ] فى حديث نصح قومه حيّاً وميتاً.

[الجزء الثّالث والعشرون]

[وَمٰا اَنْزَلْنٰا عَلٰى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمٰاءِ] كماانزلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة [وَمٰا كُنّٰا مُنْزِلِينَ] ما نافية اوموصولة معطوفة على جند اى و ما انزلنا على قومه ما انزلنا على السّابقين من الاحجار والامطار والرّياح [اِنْ كٰانَتْ] اخذتنا [اِلّٰا صَيْحَةً وٰاحِدَةً] صاح بها جبرئيل [فَاِذٰا هُمْ خٰامِدُونَ يٰا حَسْرَةً عَلَى الْعِبٰادِ] يا قوم حسرة على العباد او جعل الحسرة مناداة على عادة العرف [مٰا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ اِلّٰا كٰانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ] تعريض بأمّة محمّد (ص) وتنبيه لهم [اَلَمْ يَرَوْا كَمْ اَهْلَكْنٰا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ اَنَّهُمْ اِلَيْهِمْ لٰا يَرْجِعُونَ وَاِنْ كُلٌّ لَمّٰا جَمِيعٌ لَدَيْنٰا مُحْضَرُونَ] قد مضى نظير الآية فى آخر سورة هود عند قوله : وانْ كلّاً لمّا ليوفّينّهم ربّك اعمالهم [وَاٰيَةٌ لَهُمُ الْاَرْضُ الْمَيْتَةُ اَحْيَيْنٰاهٰا وَاَخْرَجْنٰا مِنْهٰا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ] وهو دليل على علمنا وقدرتنا و اهتمامنا بهم وعدم اهمال شيء بلاغاية وانّ احياءنا لهم ليس الّا لغاية متقنة [وَجَعَلْنٰا فِيهٰا جَنّٰاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَاَعْنٰابٍ وَفَجَّرْنٰا فِيهٰا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمٰا عَمِلَتْهُ اَيْدِيهِمْ] عطف على ثمره والضّمير راجع الى المذكور والمراد من ماعملت ايديهم انواع العصيرات ومايجفّفونه من الثّمار او ما يصنعونه من مطلق الحبوب و الاثمار، او لفظة ما نافية و الجملة حاليّه [اَفَلٰا يَشْكُرُونَ] وينبغى ان

يشكروا و يلاحظوا المنعم فى تلك النّعم ، و يعظّموه بطلب امره و نهيه وامتثالهما [سُبْحانَ الَّذى خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها] اى اصناف المواليد [مِمّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ] من انواع النّبات والاشجار [وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمّا لا يَعْلَمُونَ] من اصناف المعادن والحيوان الّتى لم يروها ولم يسمعوا بها [وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ] نزيله مستعار من سلخ الشّاة [فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ] عن الباقر (ع) يعنى قبض محمّد (ص) وظهرت الظّلمة فلم يبصروا فضل اهل بيته [وَالشَّمْسُ تَجْرى] مبتدءٌ وخبرٌ و يدلّ على كونها آيةً ذكر الجملة فى ذيل تعداد الآيات او الشّمس عطف على اللّيل [لِمُسْتَقَرٍّ لَها] اى لمستقرٍّ لجريها من منطقتها بحيث لا يتجاوزها الى غيرها و الّا فلا سكون لها حتّى يكون لها مستقرّ [ذلِكَ تَقْديرُ الْعَزيزِ] الّذى لا يمنع من امضاء امره و ارادته مانع [الْعَليمِ] الّذى يعلم مصالح كلّ شيء وغاياتها المترتّبة عليه فيوجده مشتملاً على تلك المصالح والغايات لعدم المانع له من ايجاده كذلك [وَالْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ] الثّمانية والعشرين المشهورة المعروفة عند العرب ولذلك لم يذكر من اوضاع الفلك الّا تلك المنازل فانّ العرب كانوا يأخذون احكام النّجوم من تلك المنازل وكون القمر فيها ونظره الى سائر الكواكب فيها [حَتّى عادَ] بعد انتهاء سيره الى المنزل الاوّل [كَالْعُرْجُونِ الْقَديمِ] العرجون العثكول من النّخل او العنب عليه التّمر اوالعنب مقصوده تشبيهه فى دقّته واعوجاجه بالعرجون اليابس الدّقيق المعوجّ [لَا الشَّمْسُ يَنْبَغي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ] لتباين افلاكهما واختلاف مجاريهما وسرعة سير القمر و بطوء سير الشّمس ، اوالمعنى لاالشّمس ينبغى لها ان تفوق القمر فلاتدعه ان يظهر نوره كما انّ شموس الارواح لا ينبغى لها ان تفوق اقمار النّفوس والمثال فيفنيها [وَلَا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ] فائقها بحيث لم يكن يدع النّهار يظهر، اوآية اللّيل الّتى هى القمر لا ينبغى لها ان تدرك آية النّهار وهى الشّمس، اوالمعنى ليس وجود اللّيل سابقاً على وجود النّهار، روى عن الاشعث بن حاتم، قال: كنت بخراسان حيث اجتمع الرّضا (ع) و الفضل بن سهل والمأمون بمرو فوضعت المائدة فقال المأمون : انّ رجلاً من بنى اسرائيل سأل بالمدينة فقال: النّهار خلق قبل ام اللّيل ، فما عندكم؟ قال : فأداروا الكلام فلم يكن عندهم فى ذلك شيءٌ فقال الفضل للرّضا (ع) : اخبرنا بها اصلحك الله، قال: نعم، من القرآن ام من الحساب؟ـ قال الفضل: من جهة الحساب، فقال: قد علمت يا فضل انّ طالع الدّنيا السّرطان والكواكب فى مواضع شرفها فزحل فى الميزان والمشترى فى سرطان والشّمس فى الحمل والقمر فى الثّور فذلك يدلّ على كينونة الشّمس فى الحمل فى العاشر من الطّالع فى وسط السّماء فالنّهار خلق قبل اللّيل ، وفى قوله تعالى: لا الشّمس ينبغى لها ان تدرك القمر و لا اللّيل سابق النّهار اى قد سبقه النّهار [وَكُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُونَ] يعنى كلّ من الشّمس والقمر وسائر اصناف النّجوم فى فلكٍ يسبحون ، حمل الجمع على كلٌّ امّا باعتبار تقدير المضاف اليه اصناف النّجوم، اولجعل كلّ من النّجوم جماعاتٍ ، فانّ كلّاً له نفسٌ ذات جنودٍ ، وجمع العقلاء لكون كلّ ما فى السّماء عقلاء ، وعن الصّادق (ع) خلق النّهار قبل اللّيل، والشّمس قبل القمر ، والارض قبل السّماء، وفى خبرٍ: وخلق النّور قبل الظّلمة [وَآيَةٌ لَهُمْ أَنّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ] باصناف الحيوان او باصناف الاجناس، والذّرّيّة من الذّرّ بمعنى النّشر ، او من الذّرء بمعنى الخلق، او بمعنى التّكثير تطلق على ولد الرّجل وعلى نسل الثّقلين وعلى النّساء ، يستوى فيها المفرد والجمع وقد تجمع والمراد بها ذرّيّة الموجودين باعتبار حمل آبائهم ولم يقل: حملنا انفسهم، لانّ حمل الذّرّيّة يستلزم حملهم فهو يفيد حملهم مع الامتنان عليهم بحمل ذرّيّاتهم ونسائهم ، والمراد بالفلك سفينة نوحٍ (ع)، اوالمراد بالذّرّيّة الآباء لانّها من الذّرء بمعنى الخلق ، والمراد

بالفلك سفينة نوح كما قيل، او المراد بالذّريّة الاولاد والنّساء ، والمراد بالفلك السّفن الجارية ، والامتنان بحمل الذّريّة والنّساء لانّهم ضعفاء لايقدرون على السّير فى البحر بنحوٍ آخر ولا على السّير فى البرّ بالمشى، والقرينة على ذلك قوله [وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ] من الدّوابّ لتيسير المشى فى البرّ لهؤلاء الضّعفاء [وَاِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ] والتّأدية بالشّرط المستقبل دليل المعنى الاخير [فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ] بمنع الغرق ودفعه عنهم [وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ] بعد الغرق [اِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا اِلٰى حِينٍ] الاستثناء منقطع بمعنى لكن لم نغرقهم رحمةً منّا او لكن نرحمهم رحمةً منّا ، اوالاستثناء متّصل من قوله لاصريخ لهم ولا هم ينقذون ، اومتّصل من نغرقهم بمعنى الّا حال كوننا نرحمهم رحمةً منّا [وَاِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ اَيْدِيكُمْ] من حوادث الدّنيا و عذابها ، او من عقبات الآخرة و عقوباتها [وَمَا خَلْفَكُمْ] يعلم بالمقايسة ، وعن الصّادق (ع) معناه اتّقوا ما بين ايديكم من الذّنوب وما خلفكم من العقوبة [لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] اعرضوا ولم يقبلوا حذف الجواب بقرينة قوله [وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ اِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ] لانّهم تمرّنوا على الاعراض [وَاِذَا قِيلَ لَهُمْ اَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ] على المحتاجين [قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالله او بمحمّدٍ (ص) او بعليٍّ (ع) و ولايته [لِلَّذِينَ آمَنُوا] مخاطبين لهم [اَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللّٰهُ اَطْعَمَهُ] تخصيص المؤمنين بالخطاب امّا للتّهكّم بهم كأنّهم تعرّضوا بانّكم مقرّون بالله وانّه رازق كلّ مرزوقٍ فلو كان الامر كما تذكرون كنتم انتم اولى باطعامه ، اومقصودهم ابداء العذر فى عدم الانفاق بانّ الله اولى منّا بالاعطاء فلمّا لم يشأ الله اطعامهم كنّا اولى بعدم الاطعام [اِنْ اَنْتُمْ] فى هذا القول اوفى الاقرار بالله او بمحمّدٍ (ص) او بعليٍّ (ع) [اِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَيَقُولُونَ مَتٰى هٰذَا الْوَعْدُ] اى وعد العذاب الّذى تعدوننا انتم وصاحبكم او وعد القيامة و احياؤنا للجزاء و عذابنا عندها [اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] فى انّ لنا مبدءً و انّه يبعثنا بعد موتنا ، وانّ محمّداً (ص) رسولٌ منه و انّ ما يقوله صدق [مَا يَنْظُرُونَ] اى ما ينتظرون [اِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً] هى النّفخة الاولى يعنى انّ انتظارهم ليس الّا النّفخة الاولى الّتى هى نفخة الاماتة و بعد النّفخة الاولى يكون الموعود [تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ] يختصمون، قرئ يخصّمو ن بفتح الياء وكسر الخاء وتشديد الصّاد، و بكسر الياء كذلك، و بفتح الخاء والياء و تشديد الصّاد و باسكان الخاء وتشديد الصّاد، وقيل: انّه غلط والكلّ مغيّر اختصم، وقرئ من الثّلاثىّ المجرّد يعنى تأخذهم حال كونهم مخاصمين فى معاملاتهم ،فى حديثٍ: تقوم السّاعة والرّجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فمايطويانه حتّى تقوم، والرّجل يرفع اكلته الى فيه فما تصل الى فيه حتّى تقوم ، والرّجل يليط حوضه ليسقى ماشيته فمايسقيها حتّى تقوم ، وقيل: هم يختصمون هل ينزل بهم العذاب ام لا ؟ [فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا اِلٰى اَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ] عن القمىّ ذلك فى آخر الزّمان يصاح فيهم صيحة وهم فى اسواقهم يتخاصمون فيموتون كلّهم فى مكانهم لا يرجع احدٌ الى منزله ولايوصى بوصيّةٍ [وَنُفِخَ فِي الصُّورِ] اعنى النّفخة الثّانية وقد سبق فى سورة المؤمنون بيان و تفصيل للصّور والنّفخ، ولمكث الخلائق بين النّفختين، وكيفيّة النّفخ واحيائهم [فَاِذَا هُمْ مِنَ الْاَجْدَاثِ] اى من القبور التّرابيّة او من القبور البرزخيّة ،عن الباقر (ع) : انّ القوم كانو فى القبور فلمّا قاموا حسبوا انّهم كانوا نياماً [اِلٰى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ] يسرعون [قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا] نسب الى عليٍّ (ع) انّه قرأ من بعثنا بمن الجارّة والمصدر [هٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ] قالوها تحسّراً وفى حديث الباقر (ع) السّابق: قالت الملائكة : هذا

ما وعد الرّحمن وصدق المرسلون [إِنْ كانَتْ] اى النّفخة او البعثة [إِلّاٰ صَيْحَةً واٰحِدَةً] هى النّفخة الاخيرة [فَإِذاٰهُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنٰا مُحْضَرُونَ] بيان لتسهيل امر البعث واستغنائه عن الاسباب [فَالْيَوْمَ لاٰتُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلاٰتُجْزَوْنَ إِلّاٰ ماٰ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّ اَصْحاٰبَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فاٰكِهُونَ] يعنى انّ اصحاب الجنّة فارغون من الحساب وفى شغل عظيم فخيم متلذّذون به بخلاف اصحاب الشّمال فانّهم فى الحساب وفى العذاب معذّبون ، عن الصّادق(ع) : شغلوا بافتضاض العذارى [هُمْ وَأَزْواٰجُهُمْ فِي ظِلاٰلٍ عَلَى الْاَراٰئِكِ] اى السّرر المزيّنة جمع الأريكة وهى سرير فى حجلة وكلّ ما يتّكأ عليه من سرير ومنصّة وفراش اوسرير منجّد مزيّن فى قبّة او بيت [مُتَّكِئُونَ] عن الباقر(ع) انّه قال: قال رسول الله (ص) : اذا جلس المؤمن على سريره اهتزّ سريره فرحاً [لَهُمْ فِيهاٰ فاٰكِهَةٌ] عظيمة لذيذة لايمكن وصفها [وَلَهُمْ ماٰيَدَّعُونَ] ما يشتهون او ما يتمنّون من قولهم ادع علىّ ماشئت، اوما يدّعونه فى الدّنيا من الجنّة ونعيمها بسبب ايمانهم، او ما يدّعونه فى الدّنيا من لقاء الله [سَلاٰمٌ] بدل من ما يدّعون اوخبر مبتدءٍ محذوف اى هو سلام اومبتدء خبرٍ محذوفٍ اى لهم سلام [قَوْلًا] حال موطّئة [مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ] صفة قولًا وهو فوق كلّ نعم الجنان [وَامْتاٰزُوا] اى يقال امتازوا [الْيَوْمَ اَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ] يعنى بعد ما جمعهم الله يؤمر اهل الجنّة بالدّخول فى الجنّة و يقال لاهل النّار : امتازوا عن اهل الجنّة، عن القمىّ: اذا جمع الله الخلق يوم القيامة بقوا قياماً على اقدامهم حتّى يلجمهم العرق فتنادوا : يا ربّ حاسبنا ولوالى النّار قال: فيبعث الله عزّ وجلّ رياحاً فتضرب بينهم وينادى منادٍ: وامتازوا اليوم ايّها المجرمون فيميّز بينهم فصار المجرمون فى النّار، ومن كان فى قلبه الايمان صار الى الجنّة [اَلَمْ اَعْهَدْ اِلَيْكُمْ] حال اومستأنفٌ جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول، اوابتداء كلام من الله للحاضرين [ياٰبَنِي آدَمَ اَنْ لاٰتَعْبُدُوا الشَّيْطاٰنَ] عبادة طاعةٍ كعبادة اكثر النّاس له فيما يأمره وينهاه ، اوعبادة عبوديّة كعبادة الابليسيّة [اِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَاَنِ اعْبُدُونِي] عبادة طاعةٍ فى طاعة خلفائى وعبادة عبوديّة بالاستكانة لى [هٰذاٰ صِراٰطٌ مُسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ اَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا] قرئ جبلّاً بكسر الجيم والباء وتشديد اللّام ، و قرئ جبلًا بضمّ الجيم و سكون الباء وتخفيف اللّام ، وقرئ بضمّ الجيم والباء وتشديد اللّام ، وقرئ جبلا بضمّهما وتخفيف اللّام ، ومعنى الجميع الخلق والخلق الكثير [كَثِيرًا اَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ هٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ اِصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِماٰ كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلٰى اَفْواٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُناٰ اَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ اَرْجُلُهُمْ بِماٰ كاٰنُوا يَكْسِبُونَ] عن الباقر(ع) وليست تشهد الجوارح على مؤمنٍ انّما تشهد على من حقّت عليه كلمة العذاب، فامّا المؤمن فيعطى كتابه بيمينه قال الله عزّ وجلّ فامّا من اوتى كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلاً [وَلَوْ نَشاٰءُ لَطَمَسْناٰ عَلٰى اَعْيُنِهِمْ] يعنى مسخنا اعينهم فى الدّنيا حتّى لايبصروا فى الدّنيا اومسخنا اعينهم فى الآخرة [فَاسْتَبَقُوا الصِّراٰطَ] للسّلوك عليه [فَاَنّٰى يُبْصِرُونَ] الطّريق و ما فيه فضلاً عن غيره [وَلَوْ نَشاٰءُ لَمَسَخْناٰهُمْ] بتبديل صورهم الانسانيّة الى الصّور الاُخر [عَلٰى مَكاٰنَتِهِمْ] على منزلتهم اوثابتين فى امكنتهم [فَمَا اسْتَطاٰعُوا مُضِيًّا وَلاٰيَرْجِعُونَ] ولا رجوعاً [وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ] اى فى خلقته بان نجعل اعضاءه وقواه فى الانتقاص ، او ننكّسه بين الخلق بان نجعله منحنياً اومنتقصاً من اعضائه وقواه والجملة حاليّة لتأييد القدرة على الطّمس والمسخ [اَفَلاٰيَعْقِلُونَ] افلا يتنبّهون فيصيرون عقلاء، اوافلا يتفكّرون فيعقلون انّ الانتقاص فى الخلقة ينتهى الى الفناء [وَماٰعَلَّمْناٰهُ الشِّعْرَ]

حتّى يكون القرآن الّذى يجرى على لسانه شعراً موزوناً مقفّىً، اوكلاماً شعريّاً لا حقيقة له وكان يتزيّن بتمويهات وتخييلات لاحقيقة لها، فانّ الشّعر يطلق على الكلام الموزون، وعلى الكلام الشّعرىّ الّذى يكون باطلاً وظاهراً بصورة الحقّ بتمويهات و تزيينات، ونسبوا كليهما اليه، ولمّا كان الشّعراء فى اغلب الامر بقوّة فصاحتهم وطلاقة لسانهم يأتون بكلام منظوم اومنثور يجذب قلوب السّامعين ورأوا منه مثل ذلك قالوا: انّه شاعر وكلامه شعر، ولمّا ارادوا ان يقولوا انّ كلماته محض تخييلات من غير حقيقة له قالوا: انّه شاعر كما قالوا: انّه مجنون يعنى انّه آت بكلام مموّه لاحقيقة له كما انّ المجنون يأتى بكلام لاحقيقة له لكن فرق بين الشّاعر الآتى بالكلام المموّه، والمجنون الآتى بالكلام الظّاهر البطلان الغير المموّه، ولايستفاد من هذا ذمّ الشّعر على الاطلاق بل ذمّ ما أرادوا من نسبة الشّعر اليه (ص)، فانّه (ص) مدح الشّعر واصغى الى الشّعراء ومدح الحسّان بن ثابت، وروى انّه كان يتمثّل بقول الشّعراء لكن كان يغيّر الشّعر ولم يأت به موزوناً ولكنّ الرّواية من طريق العامّة وقدنسب الى ائمّتنا (ع) اشعارٌ كثيرة ونسب اليهم (ع) انّهم كثيراً ما كانوا يتمثّلون بالاشعار وكانوا يصلون الى من كان يقول فيهم شعراً [وَمَا يَنْبَغِي لَهُ] يعنى انّا لم نعلّمه كلاماً شعريّاً ولم يكن شأنه ان نعلّمه ذلك ولم يكن بنفسه ان يأتى بذلك [إِنْ هُوَ] اى القرآن الجارى على لسانه [إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ] كلام جامع لطرفى الدّنيا والآخرة ولاحكام القالب والقلب والرّوح [مُبِينٌ] ظاهر صدقه وجامعيّته، اومظهر لصدقه و جامعيّته بمضامينه [لِيُنْذِرَ] القرآن او محمّد (ص) [مَنْ كَانَ حَيًّا] بالفطرة كما عن علىّ (ع) انّه فسّره بمن كان عاقلاً يعنى من كان حيّاً بالحيوة الانسانيّة بان كان حبل الله فيه ظاهراً غير منقطع ولامحتجب تحت حجب الاهوية، اومن كان حيّاً بالحيوة التّكليفيّة الحاصلة بالبيعة الخاصّة الولويّة المورثة للحبل من النّاس، وانذار الحىّ ليس الّا من جهة كفره السّاتر لذينك الحبلين [وَيَحِقَّ الْقَوْلُ] بدخول النّار [عَلَى الْكَافِرِينَ] لم يقل ويعذّب او يورث العذاب للاشعار بانّ العذاب ليس من قبل الله ولا من قبل خلفائه انّما هو من قبلهم وناش من سوء اعمالهم، و الخلفاء لمّا كانوا موازين للعباد واعمالهم كانوا مظهرين بسوء اعمالهم ولواحقها [أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا] يعنى ملائكتنا العمّالة فانّهم ايدى الله [أَنْعَامًا] خصّ الانعام بالذّكر من جملة ما ينتفع الانسان فى معاشه او معاده به لما فيها من المنافع المعاشيّة من المأكول والمشروب والملبوس والمركوب فهى نافعة له فى جميع جهات معاشه دون غيرها و ينتفع بها فى جهات معاده [فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ] بخلاف سائر ما ينتفع به من انواع النّبات والاشجار والمعادن فانّ اكثرها غير مملوكة لهم [وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ] بحيث تنقاد لصبيانهم [فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ] من البانها ولحومها [وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ] اُخر من منافع ظهرها واشعارها و اوبارها و اصوافها و جلودها [وَمَشَارِبُ] من البانها [أَفَلَا يَشْكُرُونَ] اى الاينظرون الى ذلك؟! ولايتفكّرون انّ خلق امثال ذلك مشتملة على ما يناسب الجهة الّتى ينبغى ان ينتفع الانسان بها ليس الّا من عليم حكيم بصير قدير مدبّر ذى عناية بالانسان فلايشكرون تلك النّعم؟! [وَاتَّخَذُوا] عطف على فلا يشكرون يعنى افلايشكرون؟! بل يكفرون بان اتّخذوا، اوعطف على مجموع افلا يشكرون يعنى انّهم لايشكرون البتّة وينبغى ان يشكروا واتّخذوا بدلاً من الشّكر [مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً] كفراناً به و بنعمه، و يجوز ان يكون عطفاً على لم يروا او على اَولم يروا [لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ] بالآلهة مع انّ الله ناصرهم فى جليلهم و حقيرهم و معطيهم فى قليلهم وكثيرهم [لَا يَسْتَطِيعُونَ] جواب سؤال مقدّر او صفة لآلهة [نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ] يعنى انّهم جند للآلهة و ينصرون الآلهة لا انّ الآلهة ينصرونهم و محضرون

عندالآلهة كأنّ الشياطين او نفوسهم تحضرهم عندالآلهة والآلهة لعابديهم جندٌ فانّها اتباع اهويتهم وآثارها محضرون في النّار، اوالعابدون جندٌ للآلهة محضرون معهم في النّار [فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ] في الله اوفيك اوفي خلافة خليفتك والاخير هوالمراد لانّه غاية الرّسالة [إِنَّا نَعْلَمُ] جواب سؤال مقدّرٍ في مقام التّعليل [مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ] فلا تبال بما قالوا فانّا قادرون وسامعون لاقوالهم وعالمون بما ينوون و يستحقّون [أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ] قذرة جماد من اضعف الاشياء [فَإِذَا هُوَ] رجل قادرقويّ ناطق [خَصِيمٌ] يعني ذوعقل وعلم ونطق وقدرة وقوّة على الدّفع [مُبِينٌ] ظاهر اومظهر [وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا] هوقوله من يحيى العظام بعداخذهاوتفتيتها [وَنَسِيَ خَلْقَهُ] من نطفة بلا سبق اثرٍمنه و الحال انّ احياءه بعد بقاء روحه و سائرآثاره من المادّة و البدن المثاليّ و النّفس الحيوانيّة والنّفس الانسانيّة والرّوح والعقل اسهل [قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ] من دون اثرٍ منها [وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ] فيعلم ما بقى منها ممّا ذكرنا و يعلم كيفيّة وصلها و فصلها و وضعها في مواضعها .

اعلم، انّ الانسان له بدن طبيعيّ هومركب لبدنه المثاليّ وله بدن مثاليّ هومركب لنفسه الحيوانيّة وهي مركب لنفسه الانسانيّة وهي مركب لروحه وعقله، والباقي منه هوعقله وروحه ونفسه الانسانيّة ونفسه الحيوانيّة و بدنه المثاليّ والفاني منه هو بدنه الطّبيعيّ وهومادّة معتبرة في الانسان بنحوالابهام، وانّما التّشخّص والتّحصّل له ليس الّا بتلك المراتب الباقية، الاترى انّ بدنه الطّبيعيّ من اوّل استقرار نطفته الى آخر عمره في الفناء والانحلال والبتّة لايبقى منه شيءٌ الى آخر عمره ومع ذلك هوهومن غير تبدّلٍ لشخصيّته وتحصّله، وذلك لما كرّرنا ذكره انّ شيئيّة الشّيء هي فعليّته الاخيرة وما سوى فعليّته الاخيرة مأخوذة بنحوالاجمال في شخصيّته ، و في الاخبار اشعارٌ بما ذكر فانّه وردعنهم (ع) : انّ اجزاءه الاصليّة تبقى مستديرةً عند صدره يعني انّ اجزاءه الغيرالاصليّة غيرمعتبرة فيه بنحوالتّفصيل، وعن الصّادق (ع) : انّ الرّوح مقيمة في مكانها ، روح المحسن في ضياءٍ وفسحةٍ و روح المسيء في ضيقٍ وظلمةٍ ، و البدن يصير تراباً كما منه خلق، وما تقذف به السّباع والهوامّ من اجوافها ممّا اكلته ومزّقته كلّ ذلك في التّراب محفوظ عند من لايعزب عنه مثقال ذرّةٍ في ظلمات الارض ، و يعلم عددالاشياء و وزنها ، وانّ تراب الرّوحانيّين بمنزلة الذّهب في التّراب ، فاذا كان حين البعث امطرت الارض مطر النّشور فتربوا الارض ثمّ تمخض مخض السّقاء فيصير تراب البشر كمصير الذّهب من التّراب اذا غسل بالماء ، والزّبد من اللّبن فيجمع تراب كلّ قالب الى قالبه فينتقل باذن الله القادر الى حيث الرّوح فتعود الصّور باذن المصوّر كهيئتها وتلج الرّوح فيها فاذا قداستوى لاينكرمن نفسه شيئاً، وعنه (ع) في نزول الآية قال: جاء ابيّ بن خلف فاخذعظماً بالياً من حائط ففتّه ثمّ قال: يامحمّد (ص) اذا كنّا عظاماً ورفاتاً ائنّا المبعوثون خلقاً؟ فنزلت [الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا] هوالشّجر المرخ يؤخذ منه عود ان فيسحق باحدهما الآخر فيوقد النّار، ويسمّى العودالاعلى زنداً والاخرى السّفلى زندة [فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ] ابتداءً فكيف بهم اعادةً [بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ] شأنه الخلق كثيراً ابتداءً و اعادةً [الْعَلِيمُ] بكلّ ما يلزم خلق الخلق في الابتداء اوالاعادة ، عن الصّادق (ع) : وامّا الجدال بالّتي هي احسن فهو ما امرالله به نبيّه (ص) ان يجادل به من جحدالبعث بعدالموت واحياءه له فقال حاكياً : وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه (الآية) فأراد من نبيّه (ص) ان يجادل المبطل الّذي قال: كيف يجوز ان يبعث هذه العظام وهي رميم؟ !

قال: قل يحييها الّذى انشأها اوّل مرّةٍ افيعجز من ابتدأه لا من شيءٍ ان يعيده بعد ان يبلى بل ابتداؤه اصعب عندكم من اعادته ثمّ قال: الّذى جعل لكم من الشّجر الاخضر ناراً اى اذا اكمن النّار الحارّة فى الشّجر الاخضر الرّطب ثمّ يستخرجها فعرّفكم انّه على اعادة من بلى اقدر ثمّ قال: او ليس الّذى خلق السّماوات والارض بقادرٍ (الآية) اى اذا كان خلق السّماوات والارض اعظم وابعد فى اوهامكم وقدركم ان تقدروا عليه من اعادة البالى، فكيف جوّزتم من الله خلق هذا الاعجب عندكم والاصعب لديكم ولم تجوّزوا منه ما هو اسهل عندكم من اعادة البالى [إِنَّمَا أَمْرُهُ] اى شأنه [إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ] قد مضى فى اوائل البقرة عند قوله بديع السّماوات والارض ما يغنى عن بيان هذه الآية [فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ] قد مضى فى سورة هودٍ عند قوله تعالى: ما من دابّة الّا هو آخذٌ بناصيتها ما يغنى عن بيان هذه الكلمة ، وهكذا مضى بيان اجمالىّ لها فى سورة المؤمنون عند نظير الآية [وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] قد مضى مكرّراً هذه الكلمة .

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

مكّيّة كلّها، مائة واحدى وثمانون آيةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا] اقسم تعالى بأصناف الملائكة فانّ الملائكة اصنافٌ، صنفٌ يقال لهم المقرّبون و المهيّمون والقيام لا ينظرون وهم العقول الطّوليّة بلسان الفلاسفة ، وصنفُ يقال لهم الارواح وارباب الانواع وارباب الطّلسمات واليهم الاشارة فى الاخبار بقولهم (ع) : انّ فى العرش لديكاً اذا صاح صاحت الدّيكان فى الارض ، وانّ فى العرش لثوراً وهم العقول العرضيّة بلسان الفلاسفة وهم صفوف عند الله، ولكونهم صفوفاً سمّوهم العقول العرضيّة اقسم الله تعالى بهم ،**وقيل**: المراد مطلق الملائكة والانبياء ومن صفّ لله وعبده ، **وقيل**: المراد بهم الملائكة تصفّ انفسها صفوفاً فى السّماء كصفوف المؤمنين فى الصّلوة ، او تصفّ اجنحتها فى الهواء اذا ارادت النّزول الى الارض، **وقيل**: المراد المؤمنون يقومون مصطفّين فى الصّلوة وفى الجهاد، وصنف يقال لهم النّفوس الكلّيّة والنّفوس الجزئيّة وهنّ المدبّرات امراً وهم الملائكة ذووا الاجنحة، وهم الملائكة الّذين يدبّرون الطّبائع والمواليد ويزجرون الطّبائع بقسرها على خلاف طبيعتها ، بفصلها عن احيازها ، ووصلها بغير اجناسها، وحبسها مع غير جنسها، كما فى المواليد، وحركتها على خلاف طبائعها كما فى الفلكيّات ، ويزجرون المكلّفين من الجنّة والنّاس كما ورد انّ لكلّ انسانٍ ملكاً يزجره ، **وقيل**: هم الملائكة الموكّلة بالسّحاب تزجرها وتسوقها، **وقيل**: المراد زواجر القرآن وآياته النّاهية ، **وقيل**: المراد المؤمنون يصيحون عند قراءة القرآن لانّ الزّجرة الصّيحة ، وصنف من الملائكة يتزلون على الانبياء والاوصياء (ع) باحكام العباد وهم الملائكة الموكّلون على العلوم والوحى، وهم التّالون ذكراً عظيماً

على الانبياء(ع)، اوالمراد الملائكة النّازلة على المؤمنين بالبشارة بعدظهور السّكينة عليهم، والسّكينة هى الذّكر العظيم فيكون التّالى من التّلو، وقيل: المراد الملائكة الّذين يتلون كتاب الله الّذى كتبه لملائكته وفيه ذكر الحوادث فيزيدون يقيناً بوجود المخبر على وفق الخبر، وقيل: المراد المؤمنون يقرؤن القرآن فى الصّلوة [إِنَّ إِلٰهَكُمْ لَوٰاحِدٌ] وحدة خارجة من الوحدات المعروفة بل وحدة لا يبقى كثرة الّا وتكون فانية فيها، ولايكون فيها شوب كثرة بوجه من الوجوه بخلاف الوحدة الجنسيّة فانّها فى عين الوحدة تكون فيها كثرة الانواع والاصناف والاشخاص والتّركيب ولا اقلّ من الوجود والمهيّة والوجوب والامكان وهكذا حال الوحدة النّوعيّة والصّنفيّة والشّخصيّة، وبخلاف الوحدة العدديّة الّتى لها ثان ومقابلٌ، وبخلاف الوحدة الاجتماعيّة الطّبيعيّة اوالصّناعيّة او الاعتباريّة الّتى ليس فيها الّا الكثرة، وبخلاف الوحدة الاتّصاليّة الطّبيعيّة اوالصّناعيّة اوالاعتباريّة [رَبُّ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَمٰا بَيْنَهُمٰا] من اصناف الملائكة والكواكب واصناف المواليد [وَرَبُّ الْمَشٰارِقِ] جمع مشرق الكواكب فانّ كلّ كوكب له مشرق خاصٌّ به، بمعنى انّ قطعة من الفلك تكون فى مدّة دوره مشرقاً له ويكون له فى كلّ يوم بل فى كلّ آن ايضاً مشرق خاصّ به، اوجمع المشرق بمعنى ذى الضّياء فانّ الكواكب كلّها مشرقة امّا بذواتها كالشّمس، او بكسبها الضّوء من مشرق آخر كالقمر، وبحسب التّأويل كلّ مرتبة عالية بالنّسبة الى دانيتها مشرق للشّمس الحقيقيّة، وكلّ مرتبة عالية متلألئة ومشرق بالنّسبة الى دانيتها والمراتب غير متناهية فالمشارق بهذا المعنى غير متناهية [إِنّٰا زَيَّنَّا السَّمٰاءَ الدُّنْيٰا بِزِينَةٍ الْكَوٰاكِبِ] جواب سُؤال مقدّر فى مقام التّعليل، اوفى مقام بيان الحال والمراد بالسّماء الدّنيا السّماء الطّبيعيّة لا السّماء الدّنيا الى الارض بالنّسبة الى سائر السّماوات فلا ينا فى كون اكثر الكواكب فى السّماء الثّامنة، او المراد بالسّماء الدّنيا عالم المثال وسماواته، اوالمراد الصّدر المنشرح بالاسلام، والمراد بالكواكب الكواكب المضيئة الطّبيعيّة اوكواكب القوى والمدارك الجزئيّة والكلّيّة فى مراتب نفس العالم الكبير اونفس العالم الصّغير، والمدارك المستنيرة بنور الاسلام والايمان مانعة للشّياطين من العروج الى تلك السّماوات والتّصرّف فيها كما قال تعالى [وَحِفْظاً] عطف باعتبار المعنى كأنّه قال: زيّنّاها للزّينة وللحفظ، اوعطف على مقدّر كأنّه قال: زيّنّاها زينةً وحفظاً، اومصدر لمحذوف معطوف على زيّنّا [مِنْ كُلِّ شَيْطٰانٍ مٰارِدٍ] مرد كنصر وكرم مُروداً ومرادة اقدم وعتا، او بلغ الغاية الّتى يخرج بها من جملة ما عليه ذلك الصّنف، ومرده قطعه ومزّق عرضه، وعلى الشّىء مرن وقد مضى بيان الشّيطان فى اوّل الكتاب فى تفسير الاستعاذة وسبق فى سورة الحجر كيفيّة ردع الشّياطين بالشّهب [لٰا يَسَّمَّعُونَ] لايستمعون يعنى لا يقدرون على الاستماع [إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلىٰ] لا انّهم لا يريدون الاستماع بقرينة ما يأتى وذلك انّهم ظلمانيّون بفطرتهم والملأ الاعلى نورانيّون بفطرتهم ولا يقدر الظّلمة على قرب النّور والّا بطل ذاتها [وَ] اذا ارادوا استراق السّمع [يُقْذَفُونَ] اى يرمون بالشّهب الّتى هذه الشّهب المحسوسة انموذج منها وصورتها والّا فالشّهب الّتى يرمون بها شهب مناسبة لعالمى المثال يعنى عالم الجنّ وعالم الملائكة [مِنْ كُلِّ جٰانِبٍ] اى من جوانب السّماء اومن جوانبهم اذا قصدوا صعود السّماء المحسوسة فانّها لكونها مظهراً لسماء عالم الملائكة لا يقدرون على الصّعود اليها الّا بنحو استراق السّمع فانّهم يصعدون الى قربها لاستراق السّمع، وهكذا اذا قصدوا صعود سماء عالم المثال الكلّىّ وعالم المثال الجزئىّ الانسانىّ، ولمّا كان عالم الانسان نسخة مختصرة من العالم فلينظر المراقب المجاهد وليبصر صعود الشّياطين الى مقام صدره ولير شهب تذكّراته وطردهم بها عنه حتّى يعلم كيفيّة صعودهم الى سماء العالم الكبير وطردهم عنها بشهبها [دُحُوراً] الدّحر والدّحور بضمّ الدّال الطّرد والابعاد والدّفع وهو مفعول له اوحال بجعله بمعنى مدحورين او بحمله على الذّات مبالغة، او بتقدير ذوى

دحور او بجعله مفعولاً مطلقاً لفعله المحذوف و جعل المحذوف حالاً ، او مستأنف بتقدير فعله [وَلَهُمْ عَذابٌ واصِبٌ] وصب مرض ودام وثبت يعنى لهم عذاب واصب مطلقاً او بعد استراق السّمع وطردهم عن السّماء بالشّهب [اِلّامَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ] اى اختلس المسموع اوالسّماع [فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ] يثقبهم بنفسه او يثقب الجوّ بضوئه [فَاسْتَفْتِهِمْ اَهُمْ اَشَدُّخَلْقًا اَمْ مَنْ خَلَقْنا] من الملائكة والجنّ والسّماوات والارض ومابينهما والمشارق والكواكب والشّهب [اِنّا خَلَقْناهُمْ] من اضعف شيء يعنى [مِنْ طينٍ لازِبٍ] اى لازق فهم اضعف من اكثر المخلوق بحسب المادّة واصغر بحسب الصّورة واهون بحسب القوّة وهم يشركون بنا و يعصون، وغيرهم مع قوّتهم وعظمهم يوحّدوننا و يطيعوننا [بَلْ عَجِبْتَ] قرئ بالخطاب و بالتّكلّم ، والاضراب عن الامر باستفتائهم بمعنى انّه لاينبغى الاستفتاء لعدم الحاجة اليه بل ينبغى التّعجّب منهم ومن حالهم ، واداه بالماضى المتحقّق للاشعار بشدّة اقتضاء المقام ذلك كأنّه قد وقع [وَيَسْخَرُونَ] و الحال انّهم يسخرون منك اومن الله او من توحيد الله او ممّن يوحّد الله [وَاِذا ذُكِّرُوا لايَذْكُرُونَ] هذه الجملة مع الجملة السّابقة والجمل الآتية حالات من عجبت وهى المتعجّب منها [وَاِذا رَأَوْا آيَةً] معجزة او آية من الآيات العظمى الّذين هم الانبياء والاولياء (ع) او آية من آيات الكتاب التّدوينىّ او اذا رأوا آية فى عالمهم الصّغير [يَسْتَسْخِرُونَ] يبالغون و يشتدّون فى السّخريّة بها او بصاحب الآية [وَقالُوا اِنْ هٰذا اِلّاسِحْرٌ مُبينٌ ءَاِذا مِتْنا] قالوا ذلك تعجّباً من هذا القول [وَكُنّا تُراباً وَعِظاماً ءَاِنّا لَمَبْعُوثُونَ اَوَآباؤُنَا الْاَوَّلُونَ قُلْ نَعَمْ وَاَنْتُمْ داخِرُونَ] صاغرون [فَاِنَّما هِىَ] اى البعثة اوالبعث والتّأنيث باعتبار المسند [زَجْرَةٌ واحِدَةٌ] اى صيحة واحدة هى النّفخة الثّانية [فَاِذا هُمْ يَنْظُرُونَ] يبصرون او ينتظرون الحساب او ينتظرون ما يفعل بهم [وَقالُوا يا وَيْلَنا هٰذا يَوْمُ الدّينِ] يوم المجازاة [هٰذا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ] من قول بعضهم لبعضٍ اومن قول الله عزّوجلّ اوالملائكة [اُحْشُرُوا الَّذينَ ظَلَمُوا] حال او مستأنف بتقدير القول، واصل الظّلم الظّلم لآل محمّد (ص) وكلّما نشأ من هذا الظّلم فهو ظلم، واوّل الظّلم لآل محمّد (ص) هو ستر الولاية التّكوينيّة الّتى هى حبل من الله و ينشأ منه الظّلم التّكليفىّ وترك الولاية التّكليفيّة، وفسّر الظّلم ههنا بظلم آل محمّد (ص) [وَاَزْواجَهُمْ] المناسبات لهم [وَما كانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ اِلىٰ صِراطِ الْجَحيمِ] استعمال الهداية للتّهكّم بهم [وَقِفُوهُمْ] فى الموقف [اِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ] عن ما فعلوا اوعن النّبأ العظيم الّذى هو ولاية اميرالمؤمنين (ع) كما فسّر به ، نسب الى النّبىّ (ص) والى الباقر (ع) فى تفسيره انّه لايجاوز قدماً عبد حتّى يسأل عن اربع : عن شبابه فى ما ابلاه ، وعن عمره فيما افناه ، وعن ماله من اين جمعه وفيما انفقه ، وعن حبّنا اهل البيت (ع) [مالَكُمْ] جواب سؤالٍ بتقدير القول [لاتَناصَرُونَ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ] منقادون لحكم الله او للعذاب او مسلّمون بعضهم بعضاً [وَاَقْبَلَ بَعْضُهُمْ] اى التّابعون [عَلىٰ بَعْضٍ] اى المتبوعين : او اقبل كلّ بعض على كلّ بعض [يَتَساءَلُونَ] يسألون ويجابون [قالُوا] اى الاتباع [اِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنا عَنِ الْيَمينِ] الجملة بدل عن قوله يتساءلون اومستأنفة جوابٌ لسؤالٍ مقدّر اوحال والمراد بالاتيان عن اليمين الاتيان بصورة اعمال ـ الدّين و بصور اوامرالله ونواهيه فانّ النّظر الى رؤساء الضّلالة الّذين ادّعوا الدّين والايمان والامامة و رياسة الدّين من غير اذنٍ واجازةٍ فانّهم منعوا عباد الله الّذين فطرتهم فطرة الايمان والاسلام عن طلب الدّين وطلب من يأخذ دينهم عنه

فانّهم لوتركوهم لجالوا حتّى يجدونا كما فى خبرٍ [قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ] لانّكم كنتم على صورة الاسلام من غير الاتيان بشروطه وعهوده ولم تكونوا على الايمان الحقيقىّ ولا على الاسلام الحقيقىّ بل كنتم منتحلين بصورة الاسلام والايمان الفطرىّ الّذى هو حبل من الله لم يكن يكفى بدون الاسلام التّكليفىّ والايمان التّكليفىّ الّذى هو حبل من النّاس [وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ] سلطنة على باطنكم وايمانكم وحجّة واضحة لظاهركم [بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ] عن الامام والايمان وكنّا ندعوكم الى الضّلال فجعلتم صورة دعوتنا الّتى كانت بصورة اعمال الدّين خديعة لنفوسكم ووسيله لمآربكم النّفسانيّة [فَحَقَّ عَلَيْنَا] اى علينا وعليكم [قَوْلُ رَبِّنَا] بالعذاب [إِنَّا لَذَائِقُونَ] اى العذاب والجملة بمنزلة النّتيجة لسابقها [فَأَغْوَيْنَاكُمْ] الفاء للسّببيّة [إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ] فى موضع التّعليل [فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ] كما كانوا فى الغواية مشتركين [إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ] بمطلق المجرمين او بهذا الصّنف من المجرمين يعنى المشركين [إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ] عن سماعه وقبوله [وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ] من غير تحقيقٍ لقوله ودينه ومن غير تعمّقٍ فى وصف آلهتهم و دينهم [بَلْ] ليس بشاعر يأتى بالباطل بتمويه الحقّ ولا بالخيالات الفاسدة بصورة المعقولات الحقّة وليس بمجنون مخبّط كماسوّلت لكم انفسكم ولكن [جَاءَ بِالْحَقِّ] يعنى كلّما يأتى به من الاقوال والافعال والاحكام من الله كان حقّاً [وَ] دليل حقّيته انّه [صَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ] الّذين اعتقد تموهم [إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَمَا تُجْزَوْنَ] فى ذلك الذّوق [إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] بنفسه على تجسّم الاعمال او بجزائه [إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ] استثناء منقطع ان كان الخطاب خاصّاً بالمشركين او متّصل ان كان لجملة العباد [أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ] يعلمه الخدم لهم من الملائكة والغلمان والحور [فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ] بحسب الرّزق والمسكن والمقام والمعاشر [فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ] فيها خمر [مِنْ مَعِينٍ] من شراب معين او نهر معين اى جارٍ سائل، شبّه حالهم فى الجنّة بحال اهل الدّنيا وشربهم الخمر [بَيْضَاءَ] بخلاف خمر الدّنيا فانّها حمراء كدرة [لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ] مصدر او وصف تأنيث لذّ بمعنى اللّذيذ [لَا فِيهَا غَوْلٌ] بخلاف خمر الدّنيا فانّ فيها غول الصّداع والخمار [وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ] نزف كعنى ذهب عقله اوسكر، وقيل المعنى لاهم عنها يطردون [وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ] يقصرن اطرافهنّ على ازواجهنّ لا يتجاوزنها الى غيرهم كبعض ازواج الدّنيا [عِينٌ] جمع عيناء مؤنّث اعين، اعين كفرح عظم سواد عينه فى سعة وفسّر بشدّة سواد العين فى شدّة بياضها [كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ] عن الاغبرة [فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ] اداه بالماضى اشارةً الى تحقّق وقوعه او لانّه كان واقعاً بالنّسبة الى محمّد (ص) [يَتَسَاءَلُونَ] يتحادث كلٌّ لكلٍّ او يسأل بعضهم و يجيب بعضهم [قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ] بدل من اقبل بعضهم او من يتساءلون اومستأنف جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ [إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ] اى قال القائل لجلسائه: هل انتم مشرفون سأل اشرافهم على اهل النّار ليطّلعوا على حال قرينه اوقال الله: هل

انتم مشرفون على اهل النّار يعنى اشرفوا اوقال قائل قول انّى كان لى قرين لندمائه بطريق السّؤال هل انتم مطّلعون على حاله حتّى تخبرونى بحاله [فَاطَّلَعَ] القائل [فَرَءاٰهُ فِى سَوٰاءِ الْجَحِيمِ] اى وسطها [قٰالَ تَاللّٰهِ اِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ] انّه كدت لتردينى [وَ لَوْلاٰ نِعْمَةُ رَبّى] اى ولاية ولىّ امرى فانّها النّعمة حقيقة او انعام ربّى بالولاية [لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ] فى العذاب معك [اَفَمٰا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ] يستهزء بالقرين بردّ قوله عليه و انكار ما كان يقوله فى الحيوة الدّنيا [اِلاّٰ مَوْتَتَنَا الْاُولٰى] من الحيوة الدّنيا يعنى رأيت موتات بعد موتتك الاولى الّتى كنت تقول ليس موتة الا موتتنا الاولى وقد مضى فى اوّل البقرة عند قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتاً فاحياكم تفصيل للموتات والاحيائات [وَمٰا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ اِنَّ هٰذٰا] المقام الّذى للمؤمن القائل اوهذا النّعيم اوهذا الحِجاج[1] والالتذاذ بالغلبة [لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِمِثْلِ هٰذٰا فَلْيَعْمَلِ الْعٰامِلُونَ] وهذا الكلام من المؤمن القائل اومن الله [اَذٰلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً] اشارة الى المشار اليه الاوّل والاتيان باسم الاشارة البعيدة لتفخيمه [اَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ] الزّقّوم كتنوّر شجرة بجهنّم و نبات بالبادية له زهر يا سمينىّ الشّكل وطعام اهل النّار و شجرة باريحاء و لها ثمر كالتّمر حلو عفص ولنواه دهن عظيم المنافع فى علاج الامراض البلغميّة والرّياح الباردة و يقال اصله الا هليلج الكابلى نقلته بنواميّة و زرعته باريحاء و لمّا تمادى غيّرته ارض اريحاء عن طبع الاهليلج ،والزّقم ، اللّقم ،والتّزقّم ، التّلقّم كذا فى القاموس [اِنّٰا جَعَلْنٰاهٰا فِتْنَةً لِلظّٰالِمِينَ] روى انّ قريشاً لمّا سمعت هذه الآية قالت: ما نعرف هذه الشّجرة قال ابن الزّبعرى: الزّقوم بكلام البربر التّمر والزّبد وفى رواية بلغة اليمن ، فقال ابوجهل لجاريته ياجارية زقّمينا ، فاتته الجارية بتمر وزبد فقال لاصحابه: تزقّموا بهذا الّذى يخوّفكم به محمّد(ص) فيزعم انّ النّار تنبت الشّجر والنّار تحرق الشّجر فأنزل الله سبحانه هذه الآية انّا جعلناها فتنة للظّالمين [اِنَّهٰا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى اَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهٰا كَاَنَّهُ رُؤُسُ الشَّيٰاطِينِ] فى تناهى القبح فانّه كما يشبّه المتناهى فى الحسن من الانسان بالملك والحور يشبّه المتناهى فى القبح بالشّياطين والعفاريت [فَاِنَّهُمْ لَاٰكِلُونَ مِنْهٰا] لغاية جوعهم وشدّة احتياجهم الى الاكل [فَمٰالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ ثُمَّ اِنَّ لَهُمْ عَلَيْهٰا لَشَوْباً] مايعاًهوالغسّاق اوالصّديد خليطاً [مِنْ حَمِيمٍ] ماءحميم يقطّع امعائهم [ثُمَّ اِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَاِلَى الْجَحِيمِ] لتتميم العذاب وتغليظه فانّ الزّقوم وهذا الشّراب هونزلهم الّذى يُعدّ لهم فى اوّل ورودهم [اِنَّهُمْ اَلْفَوْا آبٰاءَهُمْ ضٰالِّينَ] فى موضع التّعليل يعنى انّهم وجدوا آباءهم على غير الطّريق الّذى يوصل الى الجنان ومعذلك اتّبعوهم فاستحقّوا بذلك هذا العذاب [فَهُمْ عَلٰى آثٰارِهِمْ يُهْرَعُونَ] يسرعون مع علمهم بانّهم ضالّون، والاتيان بالاهراع المبنىّ للمفعول الّذى هو بمعنى كونهم محمولين على الاسراع والاضطراب للاشارة الى انّهم ماتثبّتوا فى ذلك التّقليد كأنّ نفوسهم اخذت الاختيار منهم وحملتهم على التّقليدمن غيرملاحظة حجّة و برهان وهوذمّ آخرلهم [وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ اَكْثَرُ الْاَوَّلِينَ وَلَقَدْ اَرْسَلْنٰا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ فَانْظُرْ كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ] المكذّبين وهذا بايّاك اعنى واسمعى ياجارة يعنى انّ قومك ينبغى ان ينظروا الى مكذّبى الانبياء السّلف حتّى يعتبروا بحالهم و يخافوا من عاقبة تكذيبك [اِلاّٰ عِبٰادَ اللّٰهِ الْمُخْلَصِينَ] استثناء منقطع اومتّصل باعتبار المعنى كأنّه قال: كان عاقبة النّاس اسوء عاقبة الّا عباد الله المخلصين اى المصدّقين للانبياء(ع) [وَلَقَدْ نٰادٰينٰا نُوحٌ] شروع فى بيان حال المنذرين

---

(١) ـ الحِجاج كقتال مصدر بمعنى المحاجة .

والمنذرين تتميماً للتّهديدوتسليةً للرّسول (ص) يعنى نادينابالدّعاءعلى قومه بعدماتمادوافى التّكذيب والانكاروالايذاء بقوله: ربّ لاتذرعلى الارض من الكافرين ديّاراً [فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ] يعنى فأجبناه فوالله لنعم المجيبون نحن [وَنَجَّيْنَاهُ وَاَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ] اى اذى قومه ومن الغرق [وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ] فى المجمع عن ابن عبّاس وقتادة، فالنّاس كلّهم بعد نوح (ع) من ولد نوح فالعرب والعجم من اولاد سام بن نوح والتّرك والصّقالبة والخزر و يأجوج ومأجوج من اولاد يافث بن نوح، والسّودان من اولاد حام بن نوح قال الكلبىّ: لمّا خرج نوح (ع) من السّفينة مات من كان معه من الرّجال والنّساء الّا ولده ونساءهم الى ههنا كلام المجمع ،لكن عن الباقر (ع) فى هذه الآية يقول: الحقّ والنّبوّة والكتاب والايمان فى عقبه وليس كلّ من فى الارض من بنى آدم من ولد نوح (ع) قال الله عزّوجلّ فى كتابه احمل فيهامن كلّ زوجين اثنين واهلك الّامن سبق عليه القول منهم ومن آمن وما آمن معه الّا قليل وقال ايضاً ذرّيّة من حملنامع نوح ،فاقول معنى الآية على هذا جعلنا ذرّيّته هم الباقين بالكتاب و النّبوّة وان كان غيرهم ايضاً باقين بالحيوة الحيوانيّة [وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْاٰخِرِينَ] الّذين اتوا بعده جارياً على السنتهم [سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ] سلام على نوح مفعول تركنا اوهو مستأنف من الله ومفعول تركنا محذوف اى تركنا عليه فى الآخرين المدح والثّناء له و فى العالمين متعلّق بقوله على نوح على ان يكون خبراً لسلام او بسلام اوهو ظرف مستقرّ خبرٌ لسلام اومتعلّق بقوله تركنا عليه او بدل من قوله فى الآخرين والمعنى تركنا عليه فى جميع العوالم ذلك وهذا معنى قول الانبياء (ع) اجعل لى لسان صدق فى الآخرين و يستفاد من بعض الاخبار انّ الله يقول تركت على نوح دولة الجبّارين يعنى تركت بعده على ضرره باعتبار وصيّته و وصيّه دولة الجبّارين الّذين تجبّروا على اوصيائه و يعزّى الله محمّداً (ص) بذلك وعلى هذا يكون قوله سلام على نوح مستأنفاً من الله، فانّه ورد عن الصّادق (ع) فى حديث، و بشّرهم نوح بهود (ع) وامرهم باتّباعه و ان يقيموا الوصيّة كلّ عام فينظروا فيها و يكون عيداً لهم كما امرهم آدم (ع) فظهرت الجبريّة من ولد حام و يافث فاستخفى ولد سام بما عندهم من العلم وجرت على سام بعد نوح (ع) الدّولة لحام و يافث وهو قول الله عزّوجلّ وتركنا عليه فى الآخرين ،يقول تركت على نوح دولة الجبّاريّن و يعزّى الله محمّداً (ص) بذلك، قال فى هذا الخبر ووُلد لحام السّند والهند والحبش، ووُلد لسام العرب والعجم وجرت عليهم الدّولة وكانوا يتوارثون الوصيّة عالم بعد عالم حتّى بعث الله عزّوجلّ هوداً (ع) [اِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ] بترك لسان الصّدق لهم فى الآخرين و بقاء العلم والكتاب والنّبوّة فى عقبهم و باعطاء البركة فى عقبهم [اِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ] يعنى من العباد المشرّف بتشريف الاضافة الينا [ثُمَّ اَغْرَقْنَا الْاٰخَرِينَ] عطف على نجّيناه [وَاِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ] اى ممّن شايع نوحاً فى الرّسالة واجراء احكام الله على العباد و تحمّل اذى القوم و الصّبر على الابتلاء بهم [لَاِبْرٰهِيمَ] هذا ظاهر الآية الشّريفة ويكون الشّيعة من المشايعه والاتّباع كما فسّرنالفظها به، وعن الباقر (ع) يهنئكم الاسم ،قيل وما هو؟ قال الشّيعة، قيل: انّ النّاس يعيّروننا بذلك ، قال: اماتسمع قول الله تعالى وانّ من شيعته لابراهيم وقوله: فاستغاثه الّذى من شيعته على الّذى من عدوّه لكن قد ورد من طريق الخاصّة اخبارٌ كثيرة انّ المقصود انّ من شيعة علىّ (ع) ابراهيم (ع) وهذا ممّا يخصّ بفهمه من خوطب بالكتاب وسرّ ذلك ،كماورد عن الصّادق (ع) انّ الله لمّا خلق ابراهيم (ع) كشف له عن بصره فرأى الانوار الخمسة فقال: ماهذه الانوار؟ فقال الله تعالى: هذه نور محمّد (ص) وعلىّ (ع) وفاطمة (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) ورأى تسعة انوار قد حفّوا بهم فقال: ارى تسعة انوار قد حفّوا بهم فقال : هؤلاء الائمّة (ع) من ولد علىّ (ع) وفاطمة (ع) وسمّاهم

له، فقال ابراهيم : الٓهى وسيّدى ارى انواراً قد احدقوا بهم لايحصى عددهم الّاانت ، قيل: يا ابراهيم هؤلاء شيعتهم شيعةامير المؤمنين (ع) فعندذلك قال ابراهيم: اللّهمّ اجعلنى من شيعة امير المؤمنين (ع) قال ، فقال تعالى: و انّ من شيعته لابراهيم.

اعلم، انّ جميع الانبياء والمرسلين (ع) وجميع الاوصياء والصّالحين من جملة شيعة امير المؤمنين (ع) فانّه بعلويّته ومقام ولايته الكلّيّة امام الكلّ حتّى رسولنا الختمىّ (ص) من حيث رسالته لامن حيث ولايته فانّه (ص) متّحد مع علىّ (ع) من حيث ولايته كما مضى مكرّراً انّ الولاية الكلّيّة روح للنّبوّة والرّسالة كلّيّة كانت اوجزئيّة وروح للولايات الجزئيّة تماماً، وعلى هذا يجوز ان يكون الشّيعة من شاع بمعنى اتّبع ، و يجوز ان يكون من الشّعاع و يكون اصله شعّه بتشديد العين ثمّ خفّف بابدال العين الاوّل ياء كما فى احسست واحسيت [اِذْجاءَ] ظرف للخبر [رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ] قد مضى فى سورة الشّعراء بيان للقلب السّليم [اِذْقالَ لِاَبيهِ] بدل من اذا لاولى اوظرف لجاء او لسليم [وَقَوْمِهِ ماذا تَعْبُدُونَ ءَاِفْكًا اٰلِهَةً دُونَ اللّٰهِ تُريدُونَ فَما ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعالَمينَ] حتّى صرفتم عنه الى المصنوع الّذى صنعتموه بانفسكم [فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى النُّجُومِ] فرأى نظراتها [فَقالَ اِنّى سَقيمٌ] ورد فى الخبر انّ ابراهيم (ع) كذب ثلاث كذبات: قوله، انّى سقيم وقوله، بل فعله كبير هم هذا وقوله، فى سارة انّها اختى والمقصود انّه كذب فى الظّاهر ولم يكن منه كذب لانّه اراد الاصلاح والمصلح ليس بكاذب، او انّه ورّى عن ذلك كلّه فانّه نظر فى النّجوم ونظر الى حركاتها وافنائها بحركاتها لكلّ حادثٍ فقال: انّى سأسقم يعنى سأموت ونظر فى النّجوم فرأى انّ نوبة حمّاه قريبة فقال: انّى سقيم يعنى انّ نوبة حمّاى قريبة، اونظر فى النّجوم ايهاماً لهم انّه يحاسب مثلهم و يحكم بنظرات النّجوم فقال: انّى سقيم ايهاماً لهم وكان مقصوده انّى سقيم غير كامل بعدُ فى الانسانيّة فانّه لم يكن بعد له مقام الامامة الّتى هى كانت آخر مقاماته، او كان مقصوده انّى سقيم القلب حزينه ممّا تفعلونه من عبادة ما لاينفعكم ولايضرّكم ،وعن الصّادق (ع) انّه حسب فرأى ما يحل بالحسين (ع) فقال : انّى سقيم لمايحلّ بالحسين (ع) وعن الصّادقين (ع) واللّه ماكان سقيماً وماكذب، وقيل: كان اغلب اسقامهم الطّاعون وكانوا يخافون السّراية فقال: انّى سقيم لئلّايخرجوه الى عيد لهم وكان موسم عيدهم حتّى يبقى مع الآلهة فيفعل بهم ما اراد من كسرهم [فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرينَ] الى عيد لهم [فَراغَ اِلىٰ اٰلِهَتِهِمْ] راغ الرّجل مال [فَقالَ] لهم تهكّماً بهم [اَلاتَأْكُلُونَ] الطّعام الّذى عندكم [مالَكُمْ لاتَنْطِقُونَ] ولا تجيبونى [فَراغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا] مفعول له لراغ، اومفعول مطلق لفعله المحذوف، اوحال عن فاعل راغ [بِالْيَمينِ] فكسرهم كلّهم الّا كبيراً لهم كما سبق فى سورة الانبياء [فَأَقْبَلُوا اِلَيْهِ] اى الى ابراهيم (ع) [يَزِفُّونَ] قرئ مبنياً للفاعل من زفّ اذااسرع، ومبنياً للمفعول من زفّ العروس الى زوجها اذااهداها اليه [قالَ] لهم بعد ما وصلوا اليه [اَتَعْبُدُونَ ماتَنْحِتُونَ] وتتركون اللّه الّذى ينبغى ان يعبد [وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ وَماتَعْمَلُونَ] ما تصنعون من الاصنام وغيرها فانّ موادّها بخلقته وصنعها باقداره [قالُوا] بعد ما حاجّهم وحاجّوه كما سبق فى سورة الانبياء (ع) [ابْنُوالَهُ بُنْيانًا فَأَلْقُوهُ فِى الْجَحيمِ] اى النّار الشّديدة [فَأَرادُوا بِهِ كَيْدًا] باحراقه بالنّار [فَجَعَلْناهُمُ الْاَسْفَلينَ] بابطال كيدهم وجعله حجّة عليهم [وَقالَ اِنّى ذاهِبٌ اِلىٰ رَبّى سَيَهْدينِ] عن الصّادق (ع) يعنى بيت المقدّس وعن امير المؤمنين (ع) فى بيانه فذهابه الى ربّه توجّهه اليه عبادةً واجتهاداً وقربة الى اللّه

جلّ وعزّ، ولايبعد ان يكون مراده الذّهاب الى ربّه البشريّ فى الدّين والايمان اوالذّهاب الى مقام الحضور عند ربّه الملكوتيّ الّذى يعبّرعنه بالفكر والسّكينة والحضور [رَبِّ هَبْ لِى مِنَ الصّالِحِينَ] بعضاً من الصّالحين يكون انيساً لى فى وحدتى، ومعيناً لى عبادتى ودعوتى، وكان منظوره (ع) طلب الولد [فَبَشَّرْناهُ] يعنى اجبناه الى مسؤله بعد يأسه ويأس زوجته من الولد [بِغُلامٍ حَلِيمٍ فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ] يعنى لمّا اعطيناه و بلغ السّعى معه فى اعماله يعنى بلغ المراهقة اومبلغ الرّجال رأى فى المنام انّ الله يأمره بذبحه و [قالَ] لولده [يا بُنَىَّ اِنّى أَرىٰ فِى الْمَنامِ] لمّا صارت رؤياه مكرّرة قال أرى [أَنّى أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ماذا تَرىٰ] قرئ بفتح التّاء والرّاء و بضمّ التّاء وكسر الرّاء [قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ] الاتيان بالتّصغير ولحوق التّاء بالاب لاظهار الشّفقة [ما تُؤْمَرُ] لم يقل ما رأيت اوماترى اظهاراً لما اعتقده من انّ الرّؤيا لم تكن الّا من الله ولم تكن الّا امراً له بما رأى [سَتَجِدُنِى اِنْ شاءَ اللهُ مِنَ الصّابِرِينَ فَلَمّا أَسْلَما] استسلاماً لامر الله اواسلم اسمعيل (ع) نفسه وابراهيم (ع) ابنه و قرأ علىّ (ع) والصّادق (ع) فلمّا سلّما من التّسليم [وَتَلَّهُ] صرعه [لِلْجَبِينِ] اى على الجبين [وَنادَيْناهُ اَنْ يا اِبْرٰهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا] بالعزم والاتيان بالمأمور وجواب لمّا محذوف اى وقع ما وقع من الاستبشار و رفع الدّرجات له وصدور المكالمات عنه وحدوث الحزن له بمنعه من تلك الرّياضة العظمى و الفيض العظيم وجواب الله تعالى عن ذلك كما ورد فى الاخبار [اِنّا كَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ اِنَّ هٰذا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ] يعنى انّ هذا الامتحان بالامر بذبح الولد هو الامتحان العظيم ، اوهذه المصيبة الّتى هى ذبح الولد ، اوهذا الصّبر والتّوفيق لامتثال مثل هذا الامر العظيم لهو النّعمة العظيمة من الله [وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ] اى عظيم الجثّة اوعظيم القدر، قد اختلف الاخبار فى انّ الذّبيح كان اسمعيل (ع) اواسحاق (ع) والمشهور من الاخبار انّه كان اسمعيل (ع) وانّه كان جدّ نبيّنا محمّد (ص) وانّ السّلطنة كانت فى اولاد اسمعيل (ع) والنّبوّة فى اولاد اسحاق، وانّ البشارة لابراهيم (ع) كانت اوّلاً باسمعيل (ع) من هاجر، وثانياً باسحاق (ع) من سارة، وانّ هاجر كانت جارية لسارة فوهبتها لابراهيم (ع)، وانّ هاجر لمّا حملت باسمعيل وولدته اغتبطت سارة عليها لانّها لم يكن لها ولدٌ حينئذٍ فكانت توذى ابراهيم (ع) فاشتكى الى الله فقال الله تعالى: انّ المرأة مثل عظم الضّلع لوذهبت تقيمها كسرتها ولو ابقيتها استمتعت بها، نحّ هاجر و اسمعيل من عندها، فذهب بها و بولدها بأمر الله ودلالة جبرئيل (ع) الى مكّة ولم يكن بها ماء ولا عمارة ولا احد، وانّ بين بشارة ابراهيم (ع) باسمعيل و بين بشارته باسحاق كانت خمس سنين، وروى عن الصّادق (ع) انّه سئل: كم كان بين بشارة ابراهيم (ع) باسمعيل و بين بشارته باسحاق؟ـ قال: كان بين البشارتين خمس سنين، قال الله سبحانه فبشّرناه بغلام حليم يعنى اسمعيل وهى اوّل بشارة بشّر الله بها ابراهيم (ع) فى الولد، ولمّا ولد لابراهيم (ع) اسحاق (ع) من سارة و بلغ اسحاق ثلاث سنين اقبل اسمعيل (ع) الى اسحاق (ع) وهو فى حجر ابراهيم (ع) فنحّاه وجلس فى مجلسه فبصرت به سارة فقالت: ياابراهيم (ع) ينحّى ابن هاجر ابنى من حجرك و يجلس هو مكانه لاوالله لاتجاورنى هاجر و ابنها فى بلادٍ ابداً فنحّهما عنّى، وكان ابراهيم (ع) مكرماً لسارة يعزّها و يعرف حقّها وذلك لانّها كانت من ولد الانبياء (ع) و بنت خالته فشقّ ذلك على ابراهيم (ع) واغتمّ لفراق اسمعيل (ع)، فلمّا كان فى اللّيل اتى ابراهيم (ع) آتٍ من ربّه فأراه الرّؤيا فى ذبح ابنه اسمعيل (ع) بموسم مكّة فأصبح ابراهيم (ع) حزيناً للرّؤيا الّتى رآها فلمّا حضر موسم ذلك العام حمل ابراهيم (ع) هاجر و اسمعيل (ع) فى ذى الحجّة من ارض الشّام فانطلق بهما الى مكّة ليذبحه فى الموسم، فبدأ بقواعد البيت الحرام فلمّا رفع قواعده خرج الى منى حاجّاً وقضى نسكه بمنى ثمّ رجع الى مكّة فطاف البيت اسبوعاً ثمّ انطلقا فلمّا صارا فى السّعى قال: ابراهيم (ع) لاسمعيل (ع) : يا بنىّ انّى

أرى في المنام انّي اذبحك في الموسم عامي هذا فما ذاترى؟- قال: يا ابت افعل ماتؤمر، فلمّا فرغا من سعيهما انطلق به ابراهيم (ع) الى منى وذلك يوم النّحر فلمّا انتهى الى الجمرة الوسطى واضجعه لجنبه الايسر واخذ الشّفرة ليذبحه نودى ان يا ابراهيم (الآية) وقد ذكر كيفيّة ذبحه واتيان الفداء له في المفصّلات، وهكذا ذكر الاخبار المختلفة في ذلك الباب في المفصّلات من اراد فليرجع اليها [وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ] قد سبق بيانه قبيل هذا [كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ] لمّا سبق هذه الكلمة في هذه القصّة وكان السّامع كأنّه تلقّاها بالقبول ولم يبق له حالة شكّ وسؤال اتاها ههنا بدون التّأكيد [إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ] وفي هذا وفي قوله تعالى ثمّ اورثنا الكتاب الّذين اصطفينا من عبادنا (الى قوله) فمنهم ظالم لنفسه (الآية) اشعار بانّ اعقاب الانبياء (ع) قد يكونون على الظّلم وانّ ظلمهم ليس شيئاً لآبائهم وقد ذكر بيان لظلم النّفس هناك [وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ] بانجائهما وانجاء قومهما من شدّة الاستعباد ونصرهما و اعطاء الكتاب والنّبوّة و بقاء لسان الصّدق في الآخرين وغير ذلك وعلى هذا فقوله تعالى [وَنَجَّيْنَاهُمَا] الى آخر المعطوفات عطف فيه معنى التّفسير لقوله مننّا [وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ] الّذى هؤلاء الاستعباد وقتل الاولاد والتّفريق بين الرّجال والنّساء وتجسّس حياء النّساء للعيب او الولد وخوف قتل فرعون لهم بعد خروجهم من مصر واخذه لهم واستعباده ثانياً وخوف الغرق بعد دخول البحر [وَنَصَرْنَاهُمْ] بانجائهم من عدوّهم واغراق عدوّهم [فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ] البالغ في ظهور الصّدق وكون صاحبه صادقاً و المراد به النّبوّة والرّسالة و احكامهما والتّوراة صورتهما [وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ] وهو الصّراط الانسانيّ الّذى فطريّه فطريّ الولاية وتكليفيّه تكليفيّ الولاية و بالجملة هو اشارة الى الولاية كما انّ الكتاب اشارة الى النّبوّة والرّسالة [وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ] قيل: هو ادريس النّبيّ (ع)، وقيل: كان نبيّاً من انبياء (ع) بنى اسرائيل من ولد هارون بن عمران ابن عمّ اليسع، بعث بعد حزقيل، ولمّا فتح يوشع الشّام بوّأها بنى اسرائيل وقسّمها بينهم فاحلّ سبطاً منهم ببعلبك وهم سبط الياس (ع)، وقيل: انّ الياس (ع) صاحب البرارى، والخضر صاحب الجزائر و يجتمعان في كلّ يوم عرفة بعرفات، وقيل: انّه ذوالكفل [إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ] مناصحاً لهم بصورة الشّفقة [أَلَا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا] اسم صنم كان لهم وكان من الذّهب، وقيل: البعل اسم الرّبّ بلغة اليمن والمقصود اتدعون ربّاً غيرالله [وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ] قد سبق بيان لكونه تعالى احسن الخالقين [اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ] للحساب اوفى النّار [إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ] قد روى من طريق الخاصّة اخبار كثيرة بانّ القراءة آل يٰس بفتح الالف ومدّه وكسر اللّام وانّ المراد بهم آل محمّد (ص) وانّ يٰس من اسمائه وقد ذكر محاجّتهم على علماء العامّة بهذه القراءة بحيث لم يكونوا ينكرونها وكانوا معترفين بصحّة القراءة بذلك، و يكون يٰس اسماً من اسماء محمّد (ص) وقد روى من طريقهم القراءة بذلك وانّه في بعض مصاحفهم مكتوب بفصل الآل من يٰس وكأنّ المنظور كان من الاتيان بآل محمّد (ص) بهذا اللّفظ في ذيل الياس (ع) ان لا يسقطوه، لوقال سلام على آل محمّد (ص)، ولمّا كان محمّد (ص) واهل بيته (ع) شرف كلّ ذى شرفٍ وفخر كلّ ذى فخرٍ ومقام كلّ ذى مقامٍ كان السّلام على آل

محمّد(ص) سلاماً على كلّ ذى سلام وشرفاً لكلّ ذى شرف ولسان صدق لكلّ صادق، فصحّ ان يقال تركنا على الياس فى الآخرين لسان صدق هو سلام على آل محمّد (ص) وقرئ الياسين بوصل اللّام فى الكتابة فقيل انّه اسم لالياس مثل سيناوسينين، وقيل: انّه جمع له لكنّه بعيد لانّ الاعلام اذا جمعت اتى بها معرفة باللّام [إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّ لُوطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ] قد سبق قصّته فى سورة هود وحجر و غيرهما [إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزاً فِى الْغَابِرِينَ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ وَإِنَّكُمْ] يا اهل مكّة [لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ] يعنى على آثارهم فانّ منازلهم كانت سدوم فى طريق الشّام [مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ] قد اشرنا فى سورة يونس(ع) انّ قصّته وقصّة قومه ودعاءه الى قومه وفراره عنهم بعد دفع العذاب عن قومه ودخوله الفلك و ابتلاءه ببطن الحوت مذكورة فى المفصّلات، من اراد فليرجع اليها، عن الباقر(ع) انّه قال: لمّا ركب مع القوم فوقفت السّفينة فى اللّجة واستهموا فوقع السّهم على يونس ثلاث مرّات، قال فمضى يونس(ع) الى صدر السّفينة فاذا الحوت فاتح فاه فرمى بنفسه، وعن الصّادق(ع) ما تقارع قوم ففوّضوا امرهم الى الله عزّوجلّ الّا خرج سهم المحقّ وقال: اىّ قضيّة اعدل من القرعة اذا فوّضوا الامر الى الله اليس الله عزّوجلّ يقول فساهم فكان من المدحضين يعنى المغلوبين فى القرعة، دحض برجله، فحص، وعن الامر بحث ودحض رجله زلقت، الشّمس زالت، والحجّة بطلت [فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ] من الام بمعنى عدل، اومن الام بمعنى اتى مايلام عليه اوصار ذا لائمة [فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ] تعريض بالامّة يعنى اذا ابتليتم ببليّة فاكثروا من تسبيحه وتهليله وذكره حتّى ينجيكم منها [فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ] اى المكان الخالى عمّا يغطّيه من شجرٍ اونبتٍ اوبناءٍ اوجبلٍ [وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ] وهو كلّ شجرة تبقى من الشّتاء الى الصّيف ليس لهاساق كذاقيل: وقيل: المراد الدّبّاء(۱) [وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ] بل يزيدون، عن الصّادق(ع) يزيدون ثلاثين الفاً [فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ] سمّى لآجالهم [فَاسْتَفْتِهِمْ] بعد ما ذكرت لهم هذه القصص الّتى فيها عبر لكلّ من يعتبر [أَلِرَبِّكَ] الّذى فعل مافعل بالامم السّالفة ومكذّبيهم ومصدّقيهم وانبيائهم(ع) [الْبَنَاتُ] اللّاتى هنّ اخسّ الاولاد [وَلَهُمُ الْبَنُونَ] الّذين هم اشرف الاولاد حتّى يعلموا انّهم مخطئون فى تلك النّسبة فيتنبّهوا فيعلموا انّهم مخطئون فى نسبة الولد اليه [أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ] الّذين هم اشرف الخلائق و بريئون من نقائص الذّكورة والانوثة [إِنَاثاً] مبتليات بانواع النّقائص [وَهُمْ شَاهِدُونَ] حتّى يتنبّهوا انّ قولهم هذا ليس الّا عن محض خرصٍ وتخمينٍ، و يتفكّروا انّ العاقل لاينبغى ان يتفوّه فى مثل هذا المطلب العظيم بالظّنّ والتّخمين [أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ] قولاً عظيماً لاينبغى ان يقال، يقولون: [وَلَدَ اللهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ] من غير احتمال صدق فى قولهم [أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ] قبح ما تقولون و تنسبون الى الله فانّ نسبة الولد الى الله تخرجه عن الوجوب الى الامكان، وعن الغنى الى الحاجة، وعن التّنزّه الى التّدنّس، وعن التّجرّد الى كونه مادّيّاً، وغير ذلك من النّقائص، و بعد نسبة الولد اليه لاتتذكّرون قبح ما تقولون من انّ اولاده بنات لابنون [أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ] حجّة

---

(۱) الدباء بالضم والمدّ = القرع ؛ الواحدة دباء ويقال له بالفارسية: كدو .

[مُبِينٌ] واضح اوموضح انكرقولهم لربّنا البنات، والملائكة بنات الله، ثمّ انكرنسبة الانوثة الى الملائكة الّذين هم منزّهون عن دنس الذّكورة والانوثة ثمّ انكر شهودهم حين خلق الملائكة والحال انّ الانوثة والذّكورة لاتعلمان الّا بالشّهود، ثمّ انكر نسبة الولد اليه وصرّح انّها من جملة افكهم وصرّح بانّهم كاذبون تأكيداً، ثمّ عيّرهم على نسبة البنات اليه والبنين الى انفسهم مع انّه اذا نسب البنات اليهم ظلّت وجوههم مسوّدة، ثمّ عيّرهم على عدم تذكّر قبح ذلك مع انّه يتذكّر قبح امثال ذلك كلّ ذى شعور، ثمّ عيّرهم على القول بلاحجّة خصوصاً امثال هذا القول، ثمّ طالبهم بالحجّة الزاماً لهم على الاقرار بعدم الحجّة، كلّ ذلك لتأكيد قبح هذا القول ولتأكيد تعيير قائله [فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] فى هذا القول و نسبة الولد الى الله ، فانّ الصّادق لابدّ له من حجّة على دعواه او ان كنتم صادقين فى ادّعاء الحجّة والكتاب [وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا] قيل : انّهم تارة يقولون الملائكة بنات الله، وتارةً يقولون: الجنّ بنات الله، اوبعضهم يقولون : الجنّ بنات الله ، وبعضهم يقولون: الملائكة بنات الله ، و قيل : انّ مرادهم بالجنّ ، الملائكة سمّوهم جنّاً لاستتارهم، وقيل: قالوا انّ الله صاهر[1] الجنّ فخرجت الملائكة، و قيل : قالوا، الله والشّيطان اخوان والله خالق الخير، والنّور والشّيطان خالق الشّرّ والظّلمة، وقيل: المراد بالنّسبة النّسبة فى العبادة فانّ بعضهم يعبدون ابليس و يقولون انّه احقّ بالعبادة من الله اومثله فى العبادة [وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ] فى الحساب اوفى النّار، وضمير انّهم للجنّة او للمشركين او للمجموع [سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ] فى حقّه من الولد والنّسبة والمصاهرة [إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ] استثناء من فاعل يصفون اومن مرفوع لمحضرون اواستثناء منقطع [فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ] من الملائكة والجنّة والشّياطين وغيرذلك من المعبودات [مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ] اى على ما تعبدون اوعلى الله اوعلى هذا الوصف [بِفَاتِنِينَ] بمفسدين النّاس ومضلّيهم والجملة جزاء شرط محذوف اى اذاكان الله منزّهاً عمّا تقولون بافواهكم من غير تحقيق و المنزّه عن المادّة و نقائصها لايمكن للمادّىّ التّصرّف فيه فانّكم ومعبوداتكم لا تقدرون افتتان النّاس على خلاف امره التّكوينىّ [إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ] داخل فيها محرق بها يعنى من كان بالفعل داخل نار الجحيم وان لم يكن شاعراً بالدّخول لكون مداركه خدرة غير متأثّرة بحرقتها [وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ] هذا قول الملائكة ردّاً على عابديهم والجملة حاليّة بتقدير القول او معطوفة والمعنى انّهم يقولون مامنّا الّا له مقام معلوم، وقيل : هذا قول جبرئيل (ع) للنّبىّ (ص) وعن الصّادق (ع) قال: انزلت فى الائمّة والاوصياء من آل محمّد (ص) والمعنى ما منّا احد الّا له مقام فى العبوديّة لانتجاوزه فكيف نكون معبودين مراقبين لعابدينا وحافظين لهم وناصرين لهم؟ [وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ] فى العبادة والخدمة لانّه يصفّ العباد لنا [وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ] لله لا انّه يجوز ان يسبّحنا احد، وعن الصّادق (ع) كنّا انواراً صفوفاً حول العرش نسبّح فيسبّح اهل السّماء بتسبيحنا، الى ان هبطنا الى الارض فسبّحنا فسبّح اهل الارض بتسبيحنا وانّا لنحن الصّافون وانّا لنحن المسبّحون [وَإِنْ كَانُوا] انّهم كانوا [لَيَقُولُونَ] اى المشركون [لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ] اى كتاباً من كتبهم، اوشريعة من شرائعهم، اونبيّاً من انبيائهم (ص) [لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ فَكَفَرُوا بِهِ] اى بالذّكر الّذى هو محمّد (ص) اوالقرآن اوشريعة محمّد (ص) او ولاية علىّ (ع) [فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ] عاقبة كفرهم [وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا] بالوعد و النّصر [لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ] او المعنى لقد سبقت كلمتنا الّتى هى فعليّة الانسانيّة

---

(١) اى تزوّج منهم بنتاً فولدت له الملائكة .

التّى هى دليل كلّ خير وطريق كلّ مطلوب وفعليّة كلّ كمال، اوسبقت كلمتنا التّى هى الولاية كلمة الشّيطان فصارت كلمة الشّيطان مغلوبة، واذاصارت كلمة الشّيطان مغلوبة صارت جملة جنوده الدّاخلة والخارجة مغلوبة، وصارت جملة جنود الحقّ الدّاخلة والخارجة غالبة والآية تسلية للرّسول والمؤمنين وتهديد للكافرين [إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ] بدل من كلمتنا او جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ فى مقام بيان الكلمة او فى مقام التّعليل [وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ] واعرض عن مجادلتهم و مقاتلتهم [حَتَّىٰ حِينٍ] حتّى تبلغ الى موعد نصرك وقتلهم [وَأَبْصِرْهُمْ] فانّك فتحت بصيرتك و يمكنك ابصارهم على حالهم الفظيعة التّى تؤدّيهم الى الجحيم والى العذاب الاليم، اوابصرهم على حالهم التّى يكونون عليها فى القيامة وعند الحساب، اوفى الجحيم وعند العذاب فانّك لاحاجة لك الى اتيان القيامة بعدُ فانّ القيامة صارت حالك [فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ] ذلك فى القيامة لعدم خروجهم بعدُ عن مضيق طبعهم وسجن نفوسهم وحجب اهويتهم [أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ] تهديد لهم، روى انّه لمّا نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا؟ فقال تعالى تهديداً لهم: افبعذابنا يستعجلون [فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ] اى وقت المنذرين فانّه كثيراً ما يستعار الصّباح لمطلق الوقت [وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ] تأكيد للاوّل و تعقيبٌ لكلّ من الوعد والوعيد بذلك اتماماً لطرفى الوعد والوعيد [سُبْحَانَ رَبِّكَ] عن كلّ ما يصفه الواصفون وخصوصاً عمّا يصفه المشركون [رَبِّ الْعِزَّةِ] لانّه ليس كمال ولا وصف الّا انّه تعالى خالقه و ربّه [عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ] اى سلامة او الله او تحيّة السّلام [عَلَى الْمُرْسَلِينَ] كأنّه تعالى قال: فالنّقمة على المشركين وسلامٌ على المرسلين فانّ قوله سبحان ربّك ربّ العزّة فى مقام ان يقال نقمة عظيمة من غير دافع على المشركين وسلام على الموحّدين [وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] تعليم للعباد او انشاء للحمد تعظيماً لنفسه، اواخبار بانّ كلّ كمال وكلّ صفة كمال خاصّ بالله فكيف يكون له شريك فى ملكه.

سورة ص

مكّيّة وهى ثمانٍ وثمانون آيةً

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[ص] قرئ بالسّكون وهو الاصل فى فواتح السّور، وقرئ بكسر الدّال امّا لالتقاء السّاكنين والتّحريك بالكسر، اولجعله امراً من المصاداة وهى المعارضه، وقرئ بفتح الدّال لالتقاء السّاكنين، اولجعله علماً للسّورة ومنع صرفه وفى اخبارٍ كثيرة انّ ص عين تنبع من تحت العرش، اومن يمين العرش، اومن ركنٍ من اركان العرش وهى ماء الحيوة، وفى خبر انّ ص من اسماء الله، اومن اسماء النّبىّ (ص) وقد سبق فى اوّل البقرة تفصيل تامّ يغنينا ههنا عن التّعرّض لبيانه [وَالْقُرْآنِ] اقسم بالقرآن [ذِي الذِّكْرِ] والجواب محذوف اى انّ القرآن حقّ، اوانّك حقّ، اوانّ الكافرين به او بك كفروا به لالحجّة

[بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ] مناعة عن قبول الحقّ و تأنّف منه و [شِقَاقٍ] وفى طرف مع الله و رسوله و لذلك لم يقبلوا رسالة رسوله ولا كتابه [كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ] امّة هالكة تهديد لهم على كفرهم [فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ] هومن قولهم وماتنادوا به اومن الله اومن الملائكة، حكى بتقدير القول اى فنادوا وقال الله اوالملائكة لات حين مناص و زيادة التّاء على لا للتأكيد [وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ] والحال انّه لاينبغى ان يكون المنذر الّا منهم [وَقَالَ الْكَافِرُونَ] اى قالوا ، ووضع الظّاهر موضع المضمر لاظهار ذمّهم و بيان مُبنى قولهم [هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ] قد مضى بيان السّحر فى سورة البقرة عند قصّة هاروت وماروت [أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا] استغربوا ما سمعوه من خلاف ما اعتادوه [إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ] بالغ فى العجب [وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ] يعنى انطلق السنتهم ولذا اتى بان التّفسيريّة بعده اوانطلقوا بارجلهم والمعنى انطلقوا عنه مسارّين [أَنِ امْشُوا] من عند هذا الرّجل اوامشوا على دينكم [وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا] الّذى هو من جملة البلايا والمصائب [لَشَيْءٌ يُرَادُ] بنا اوان هذا الّذى يدّعيه من الرّياسة على العباد والتّرفّع فى البلاد شيء يريده كلّ احد [مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ] اى الملّة الّتى هى غيرهذه والملّة الّتى ادركناها [إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ] وقد وردالاخبار بان الآية نزلت بمكّة بعد ان اظهر رسول الله (ص) دينه وسمعت به قريش وذلك انّه اجتمعت قريش الى ابى طالب (ع) وقالوا: يا اباطالب انّ ابن اخيك قد سفّه احلامنا وسبّ آلهتنا وافسد شبّاننا وفرّق جماعتنا فان كان الّذى يحمله على ذلك العدم جمعنا له مالاً حتّى يكون اغنى رجل فى قريش ونملّكه علينا، فأخبر ابوطالب (ع) رسول الله (ص) فقال: لو وضعوا الشّمس فى يمينى والقمر فى يسارى ما اردته ولكن يعطونى كلمة يملكون بها العرب و يدين لهم بها العجم و يكونون ملوكاً فى الجنّة، فقال لهم ابوطالب ذلك، فقالوا: نعم وعشر كلمات، فقال لهم رسول الله (ص) : تشهدون ان لا آله الّا الله وانّى رسول الله فقالوا: ندع ثلاث مائة وستّين آلهاً ونعبد آلهاً واحداً؟! فأنزل الله سبحانه بل عجبوا (الآية) [أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا] مع انّه كان يتيماً لامال له ولاعلم ولاشأن [بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي] لا انّهم ايقنوا بالذّكر وانكروا ان تكون انت هو او تكون انت صاحبه [بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ] حتّى ايقنوا بعذابى و ايقنوا بذكرى يعنى انّهم ابطرتهم كثرة النّعم والفراغ من البلايا فاشتغلوا بلذائذ النّفوس وانكروا ماوراءها [أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ] حتّى يختاروا لرحمته الّتى هى النّبوّة ونزول الذّكر من شاؤا من رجل من القريتين عظيم [أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا] حتّى يتصرّفوا فيها بماشاؤا و يجعلوا فيها من شاؤا رئيساً ومن شاؤا مرؤساً [فَلْيَرْتَقُوا] امر للتّعجيز [فِي الْأَسْبَابِ] فليصعدوا فى اسباب الصّعود الى العرش فينزلوا الذّكر على من شاؤا، وقيل: المراد بالاسباب السّماوات لانّها اسباب المواليد السّفليّة [جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ] الجملة جواب سؤال مقدّر كأنّه قيل: فما حالهم ومآل امرهم؟ـ فقال: انّهم سيهزمون لانكارهم الذّكر وصاحبه لكنّه قال: جنود كثيرة اوعظيمة فى مقام هذا الانكار الّذى هو ابعد المقام عن مقام العقول صاروا مهزومين من الفرق المتفرّقة المختلفة من العرب والعجم والتّرك والدّيلم ليكون تنبيهاً و دليلاً وتهديداً على المقصود [كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ] بيان للاحزاب المكذّبين المنكرين و بيان لانهزامهم بالتّلويح [ذُو الْأَوْتَادِ] سمّى به كما فى الخبر لانّه كان اذا اراد ان يعذّب احداً بسطه فى الارض على وجهه واوتديديه و رجليه باربعة اوتاد فى الارض و ربّما

بسطه على خشب منبسط فاوتدها كذلك وتركه حتّى يموت ، وقيل : معناه ذوالملك الثّابت بالاوتاد، وقيل : معناه ذوالاركان القويّة فانّه كان صاحب جنود كثيرة وامراء عظيمة ووزراء قويّة [وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ] اى قوم شعيب [أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ] المهزومون فانظروا حالهم ومآل تكذيبهم وانكارهم [إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ] اى رسلهم اوجميع الرّسل لانّ تكذيب واحد تكذيب للجميع [فَحَقَّ عِقَابِ وَمَا يَنْظُرُ هَٰؤُلَاءِ] تصريح بما عرّض به من عقوبة المنكرين من قريش والمراد بهؤلاء المنكرون من قريش [إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً] هى الصّيحة عند الموت او عند القيامة يعنى المراد به النّفخة الاولى او الثّانية [مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ] توقّف اورجوع اوراحة اوافاقة من الغشى ورجوع الى الدّنيا اوفتور [وَقَالُوا] اى يقولون بعد الصّيحة وادّاه بالماضى لتحقّق وقوعه، او لانّه قد وقع بالنّسبة الى محمّد (ص)، اوالمعنى انّهم بلسان حالهم سألوا نزول العذاب الموعود بهم، او بلسان قالهم كما قالوا: ان كان هذا هوالحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السّماء اوكما قالوا متى يكون هذا الوعد [رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا] قسطنا من العذاب الموعود [قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ] استعجلوا ذلك استهزاءً اواستعجلوا لشدّة عذابهم قبل القيامة فى البرازخ بظنّ انّ عذابهم قبل يوم الحساب ينجيهم من عذابهم فى البرزخ اومن عذاب يوم الحساب [اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ] ولا تحزن بقولهم فانّهم لايفوتوننا ولا ينالونك بمكروه من غير اذننا وراجع ربّك على كلّ حال [وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ] جمع اليد بمعنى القوّة والنّعمة كما فى الخبر [إِنَّهُ أَوَّابٌ] مع كونه كثير القوّة والنّعمة فراجع انت ربّك [إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ] بيان لقوّته ونعمته [مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ] يعنى وقت اشراق الشّمس او هو كناية عن الغداة [وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً] اليه من كلّ جانب اوحال كون الطّير محشورة من اوكارها [كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ] قدسبق الآية بتركيبها وتفسيرها فى سورة الانبياء وفى سورة السّباء [وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ] يعنى قوّيناه بحيث لايمكن لاحد الاخلال فى ملكه [وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ] المراد بالحكمة آثار الولاية فانّ الحكمة ليست الّا دقّة العلم واتقان العمل والدّقّة فيه وهى من آثار الولاية فانّ الانسان مالم يقبل الولاية بشروطها المقرّرة عندهم لم يفتح بصيرته وما لم يفتح بصيرته لم يصر نظره دقيقاً، ومالم يصر نظره دقيقاً لايمكنه الاتقان فى العمل وقدمضى مكرّراً بيان الحكمة مفصّلاً والمراد بفصل الخطاب آثار الرّسالة فانّه باىّ معنى كان كان من جهة الاشتغال بالكثرات والاشتغال بالكثرات من جهة العباد ليس الّا لاجل الرّسالة اليهم اولاجل قبول الرّسالة من الرّسول (ع) وقد فسّر فصل الخطاب فى خبر مروىّ عن علىّ (ع) بقوله: البيّنة على المدّعى واليمين على المدّعى عليه، وفى خبر مروىّ عن الرّضا (ع) انّه معرفة اللّغات، وفسّر فصل الخطاب بتمييز الحقّ عن الباطل، وبالكلام المفصول المبيّن الّذى لايشتبه على سامعه، وبالخطاب القصد الّذى ليس فيه ايجاز مخلّ ولا اطناب مملّ، وبمطلق العلم بالقضاء [وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ] تنبيه له (ص) ولامّته على انّ الامتحانات الالهيّة كثيرة تكون بصورة اتيان المتخاصمين وبصورة الاذلال والاعزاز وبصورة عناد المعاندين ومحبّة المحبّين فلا تغفلوا عن امتحانه ولا تغترّوا بانعامه واعزازه، واتى بالاستفهام للتّعجيب من حاله (ع) ومبادرته بنسبة الظّلم الى الخصم من غير تثبّت واستظهار ليكون آكد فى ذلك التّنبيه [إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ] التّسوّر الدّخول من قبل السّور، والمحراب مجلس الاشراف الّذى يحارب دونه وهو مقامهم الخاصّ لعبادتهم او نزاهتهم وخلوتهم [إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ] لانّهم دخلوا فى غير وقت دخول الاغيار ودخلوا من دون اذن ومن غير المحلّ المعتاد للدّخول [قَالُوا]

بعد ما رأوا انّه فزع منهم [لَاتَخَفْ خَصْمَانِ] كأنّهم كانوا جماعة ًوقال بعضهم: هذان خصمان،او: نحن خصمان [بَغَى بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ] لاتجر فى الحكومة [وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ] المرضىّ لله وللعقل [إِنَّ هَٰذَا أَخِي] بيانٌ لصورة المخاصمة [لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً] هى الانثى من الضّأن [وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا] ملّكنيها من الكفل بمعنى النّصيب اى اجعلها نصيبى، اومن الكفالة اى اجعلنى كفيلها [وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ] غلبنى فى المخاصمة [قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ] مازائدة او وصفيّة لتأكيد التّقليل [وَظَنَّ دَاوُودُ] بعد ما تبادر فى الحكم بالظّلم [أَنَّمَا فَتَنَّاهُ] امتحنّاه بذلك [فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ] من تبادره فى الحكم [وَخَرَّ رَاكِعًا] خاضعاً [وَأَنَابَ] رجع الى الله بالاعتذار [فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ] التّبادر [وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ] قربة [وَحُسْنَ مَآبٍ يَا دَاوُودُ] على طريق الحكاية اى قلنا يا داود [إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً] لنا اوللانبياء و الملوك الماضين [فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ] قد سبق فى سورة لقمان بيانٌ ما لخلافة داود(ع) فى ذيل بيان حال لقمان (ع) وحكمته وعن الرّضا (ع) فى بيان عصمة الانبياء ، وامّا داود (ع) فما يقول من قبلكم فيه؟-فقيل: يقولون: انّ داود (ع) كان يصلّى فى محرابه اذ تسوّر له ابليس على صورة طير احسن مايكون فقطع داود صلوته وقام ليأخذ الطّير فخرج الطّير الى الدّار فخرج فى اثره فطار الطّير الى السّطح فصعد فى طلبه فسقط الطّير فى دار اور يا بن حيّان ، فاطّلع داود فى اثر الطّير ، فاذا بامرأة اوريا تغتسل فلمّا نظر اليها هو يها وكان قد اخرج اوريا فى بعض غزواته فكتب الى صاحبه ان قدّم اوريا امام التّابوت فقدّم فظفر اوريا بالمشركين فصعب ذلك على داود (ع) فكتب اليه ثانية ان قدّمه امام التّابوت فقدّم فقتل اوريا فتزوّج داود بامراته،قال: فضرب الرّضا (ع) يده على جبهته وقال: انّا لله وانّا اليه راجعون. ! لقد نسبتم نبيّاً من انبياءالله الى التّهاون بصلوته حتّى خرج فى اثر الطّير ثمّ بالفاحشة ثمّ بالقتل،فقيل: يابن رسول الله (ص) فما كانت خطيئته؟فقال: و يحك! انّ داود (ع) انّما ظنّ انّه ماخلق الله عزّوجلّ خلقاً هواعلم منه، فبعث الله عزّوجلّ اليه الملكين فتسوّرا المحراب فقالا له: خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحقّ ولا تشطط واهدنا الى سواء الصّراط انّ هذا اخى له تسع و تسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال : اكفلنيها وعزّنى فى الخطاب فعجّل داود (ع) على المدّعى عليه فقال: لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ولم يسأل المدّعى البيّنة على ذلك ولم يقبل على المدّعى عليه فيقول له: ماتقول؟- فكان هذا خطيئته رسم حكم لاماذهبتم اليه ، الا تسمع الله يقول: ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين النّاس بالحقّ (الى آخر الآية) فقيل: يابن رسول الله (ص) فما قصّته مع اوريا؟-قال الرّضا (ع): انّ المرأة فى ايّام داود (ع) كانت اذا مات بعلها اوقتل لاتتزوّج بعده ابداً فاوّل من اباح الله تعالى ان يتزوّج بامرأة قتل بعلها، داود(ع)، فتزوّج بامرأة اوريا لمّا قتل وانقضت عدّتها فذلك الّذى شقّ على اوريا والاخبار فى انكار ماروته العامّة كثيرة عن ائمّتنا (ع) حتّى انّه روى عن اميرالمؤمنين (ع) انّه: من حدّث بحديث داود على مايرويه القصّاص جلدته مائة وستّين جلدة، يعنى جلدته حدّين للمفترى، وفى خبر عنه حدّاً للنّبوّة وحدّاً للاسلام وروى عنهم تصديق ماروته العامّة ايضاً وقد ذكر فى بيان الحكم بين النّاس بالحقّ ان يكون المدّعى والمدّعى عليه عند الحاكم متساويين فى النّظر والتّكلّم والمجلس والبشر، وقد ذكر انّ الحكم بالحقّ ان يكونا متساويين فى ميل القلب بمعنى انّه يكون ميل قلبه من حيث حكومته ومن حيث احقاق الحقّ اليهما متساوياً لا انّه يحبّ ان يكون الحقّ لاحدهما، ولا يختلف الحال عنده ايّهما

كان محقّاً، ولايبعد ان يكون قوله تعالى [وَلَاتَتَّبِعِ الْهَوٰى] تلويحاً اليه فانّ النّهى عن اتّباع الهوى يشير الى النّهى عن الهوى وميل النّفس الى احدهما من باب المقدّمة [فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ] وهو الحكم بالحقّ [اِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ] واتّبعوا هوى النّفس [وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا] هذه من تتمّة خطاب داود (ع) فتكون الجملة حاليّة اواستيناف خطاب لمحمّد (ص) كما يشعر به اخبارنا فتكون معطوفة بلحاظ المعنى كأنّه قال: ما فتنّا داود عبثاً انّما فتنّاه لنخلّصه من النّقص الّذى كان فيه و ما خلقنا السّماء، اوتكون حاليّة يعنى لخلق السّماء والارض غايات عديدة هى مشهودة ومعلومة لكم وهى توليد المواليد، ولتوليد المواليد ايضاً غايات عديدة هى ايضاً مشهودة ومعلومة لكم، وترجع جملتها الى انتفاع الانسان فى معاشه وليس حيوة الانسان حياته الدّانية غاية الغايات ونهاية النّهايات لفنائها وعدم بقائها، ولايكون الفانى الدّاثر غايةً للدّائم الباقى فبقى ان يكون حياته الباقية الدّائمة غاية الغايات ونهاية النّهايات حتّى لايكون خلق الكلّ باطلاً، وعليهذا لايكون المؤمن والمفسد ولا المتّقى والفاجر متساويين [ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالله او بالرّسالة او بالخلافة او بالآخرة [فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ اَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى الْاَرْضِ اَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ] المراد بالمتّقين و الفجّار هما المؤمنون و المفسدون كرّرهما بتغيير الوصفين تأكيداً وتصريحاً بانّ التّقوى لاتكون الّا للمؤمن، والفجور ليس الّا للمفسد، سئل الصّادق (ع) عن هذه الآية فقال: الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات امير المؤمنين (ع) واصحابه كالمفسدين فى الارض قال: حبتر و زريق واصحابهما، ام نجعل المتّقين كالفجّار حبتر و زلام و اصحابهما [كِتَابٌ] خبر مبتدءٍ محذوفٍ اومبتدء خبره مبارك اوليدّبّروا والمعنى انّ القرآن كتاب، اوعلىّ (ع) كتاب [اَنْزَلْنَاهُ اِلَيْكَ مُبَارَكٌ] ذو بركة وخير على المتمسّك به والتّفسير بعلىّ (ع) اوفق بقوله و وهبنا لداود سليمان [لِيَدَّبَّرُوا اٰيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ اُولُوا الْاَلْبَابِ] قد مضى مكرّراً انّ الانسان مالم يتّصل بالولاية كان بلا لبٍّ واذا اتّصل بالولاية بشروطه المقرّرة عندهم صار ذا لبٍّ فهو بدون الولاية يكون كالجوز الخالى عن اللّبّ و يكون لائقاً للنّار و بالولاية تصير كالجوز الّذى يكون له لبّ، عن الصّادق (ع) ليدبّروا آياته امير المؤمنين والائمّة (ع) فهم اولوا الالباب [وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ] سليمان (ع) [اِنَّهُ اَوَّابٌ] مثل داود (ع) [اِذْ عُرِضَ] ظرف لاوّاب او لما يلزم قوله نعم العبد من المدح لكنّهما يوجبان تقييد ما المقصود منه الاطلاق اوظرف لاذكر مقدّر، فانّ المقصود من قوله و وهبنا تذكيره (ص) بحال سليمان (ع) و تنبيهه على هبة علىّ (ع) له [عَلَيْهِ بِالْعَشِىِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ] الصّافن الفرس الّذى يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصّفات المحمودة للخيل، والجياد جمع الجواد بمعنى سريع السّير جيّده [فَقَالَ اِنِّى اَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّى] احببت بمعنى تقاعدت فانّ احبّ استعمل بمعنى برك اومن المحبّة والمعنى احببت نوع حبّ الخير متقاعداً عن ذكر ربّى اوحبّ الخير مفعول به حينئذٍ واذا كان احببت بمعنى تقاعدت يكون حبّ الخير مفعولاً له والمراد بالخير الخيل لانّ العرب تسمّى الخيل بالخير، و روى عن النّبىّ (ص) انّه قال: الخير معقود بنواصى الخيل الى يوم القيامة، او المراد به المال الكثير كما فسّر الخير به فى قوله تعالى: ان ترك خيراً [حَتّٰى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ] اى توارت الشّمس بقرينة الحال وقرينة ذكر العشىّ المستلزم لسير الشّمس، وقيل: حتّى توارت الخيل عن نظره بالحجاب الّذى لها من مربضها

اوانّه امر باجرائها فكان مشتغلاً بالتّفكّر فيها والنّظر اليها حتّى توارت عن نظره [رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ] قد ورد الاخبار من طريق الخاصّة انّ سليمان (ع) اشتغل ذات يوم بالعشيّ بعرض الخيل لانّه كان يريد الجهاد ففات وقت صلوة عصره وتوارت الشّمس وغربت، وفي بعض الاخبار فات اوّل وقت صلوة وقيل فات صلوة نفلته فقال: للملائكة بأمر الله ردّوا الشّمس عليّ حتّى اصلّي صلوتي في وقتها فردّوها عليه، فمسح ساقيه وعنقه وامر اصحابه الّذين فاتتهم الصّلوة معه بمثل ذلك وكان ذلك وضوءهم ثمّ قام فصلّى فلمّا فرغ غابت الشّمس وطلعت النّجوم، وقيل: انّه قال لاصحابه: ردّوا الخيل عليّ فردّوها عليه فضرب سوقها واعناقها بالسّيف لانّها كانت سبب فوت صلوته، وقيل في تصحيحه: انّها كانت اعزّ ماله فذبحها ليتصدّق بلحومها على المساكين فانّه لن تنالوا البرّ حتّى تنفقوا ممّا تحبّون وقيل: جعل يمسح اعراف خيله وعراقيبها بيده حبّاً لها، وقيل: مسح اعناقها وسوقها وجعلها مسبّلة في سبيل الله، وقيل: انّه لمّا قتل الخيل ضلّ خاتمه بسبب قتلها سرقه شيطان اربعين يوماً وجلس مكانه وفرّ سليمان ثمّ وجد خاتمه في بطن الحوت، وقد ذكر قصّته في سورة البقرة عند قوله تعالى وما كفر سليمان قال ابن عبّاس: سألت عليّاً عن هذه الآية فقال: ما بلغك فيها يا ابن عبّاس؟ ـ قلت: سمعت كعباً يقول: اشتغل سليمان (ع) بعرض الافراس حتّى فاتته الصّلوة فقال: ردّوها يعني الافراس كانت اربعة عشر فامر بضرب سوقها واعناقها بالسّيف فقتلها فسلبه الله ملكه اربعة عشر يوماً لانّه ظلم الخيل بقتلها، فقال عليّ (ع): كذب كعب لكن اشتغل سليمان (ع) بعرض الافراس ذات يوم لانّه اراد جهاد العدوّ حتّى توارت الشّمس بالحجاب فقال بامر الله للملائكة الموكّلين بالشّمس: ردّوها عليّ فردّت فصلّى العصر في وقتها، وانّ انبياء الله تعالى لا يظلمون ولا يأمرون بالظّلم لانّهم معصومون مطهّرون [وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ] امتحنّاه [وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ] روى عن النّبيّ (ص) انّ سليمان (ع) قال: يوماً في مجلسه لأطوفنّ اللّيلة على سبعين امرأة تلد كلّ امرأة منهنّ غلاماً يضرب بالسّيف في سبيل الله، ولم يقل، ان شاء الله، فطاف عليهنّ فلم تحمل منهنّ الا امرأة واحدة جائت بشقّ ولد ثمّ قال: فو الّذي نفس محمّد بيده لو قال: ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً والجسد الّذي كان على كرسيّه كان هذا، وعن الصّادق (ع) انّ الجنّ والشّياطين لمّا ولد لسليمان بن داود (ع) قال بعضهم لبعض: ان عاش له ولد لنلقينّ منه ما لقينا من ابيه من البلاء، فاشفق منهم عليه فاسترضعه في المزن وهو السّحاب فلم يشعر الّا وقد وضع على كرسيّه ميّتاً لتنبيهه على انّ الحذر لا ينفع من القدر وانّما عوتب على خوفه من الشّياطين، وقيل: انّ المراد بالجسد هو الشّيطان الّذي جلس مكانه على كرسيّه سمّي بالجسد لخلوّه من روح الانسان، وذكر في سبب ابتلائه (ع) بسلب ملكه انّ امرأة كانت تعبد في بيته صورة اربعين يوماً ولم يشعر به، ونقل انّ سليمان (ع) لمّا تزوّج باليمانيّة ولد منها ولد وكان يحبّه فنزل ملك الموت على سليمان وكان كثيراً ما ينزّل عليه فنظر الى ابنه نظراً ففزع سليمان من ذلك فقال لامّه: انّ ملك الموت نظره اظنّه قد امر بقبض روحه فقال للجنّ والشّياطين: هل لكم حيلة ان تفرّوه من الموت؟ فقال واحد منهم: انا اضعه تحت عين الشّمس في المشرق فقال سليمان (ع): انّ ملك الموت يبلغ ذلك، فقال آخر: انا اضعه في السّحاب والهواء فرفعه ووضعه في السّحاب وجاء ملك الموت فقبض روحه في السّحاب فوقع جسده ميّتاً على كرسيّ سليمان، فعلم انّه قد اخطأ فحكى الله ذلك في قوله والقينا على كرسيّه جسداً ثمّ اناب وامثال هذه وامثال روايات سلب ملك سليمان (ع) وجلوس الشّيطان على كرسيّه وكون ملكه منوطاً بخاتم ليس الّا من الرّموز الّتي رمزها الاقدمون ثمّ اخذها العامّة بصورها الظّاهرة ومفاهيمها العاميّة ونسبوا الى الانبياء عليهم السّلام ما لا يليق ان ينسب الى مؤمن فكيف بكامل او نبيّ (ع) [قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي] بعدما استشعر بانّا فتنّاه [وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ] يعني لانّك تكون كثير الهبة وكانت عادتك ذلك وكانت الوهّابيّة منحصرة فيك سألتك هذا السّؤال فانّه ان كان عظيماً

بالنّسبة الينا فهوحقيرٌ بالنّسبة الى وهّابيتّك .

اعلم، انّه يرى من ظاهر الآية انّ سليمان (ع) بخل بعطاء الملك لغيره وقداشير في الاخبار الى ذلك مثل قول رسول الله (ص) : رحم الله اخي سليمان بن داود (ع) ما كان ابخله ،وقدذكر في الاخبار في دفع توهّم البخل انّ مراده (ع) لاينبغي ان يقال من بعدي انّه مأخوذ بالغلبة والجور فأعطاه الله تعالى ملكاً لايمكن ان يقال: انّه مأخوذ بالغلبة مثل ملك الجبابرة حيث سخّر له الرّيح وجملة دوابّ الارض وطيرها، و ذكر في الاخبار في بيان قول النّبيّ (ص) انّ مراده (ع) ما كان ابخله بعرضه وسوء القول فيه ، او المراد ما كان ابخله ان كان اراد ما كان يذهب اليه الجهّال ، وعن الاكابر انّ مراده هب لي ملكاً لائقاً بمقامي لاينبغي لاحدٍ يكون مقامه بعد مقامي وليس هذا بخلاً بل سؤالاً لمايليق بمقامه او بمايليق بمن يكون مقامه فوق مقامه [فَ] اجبناه وأعطيناه ذلك و [سَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً] ليّنة [حَيْثُ أَصَابَ] اي اراد اصابته [وَالشَّيَاطِينَ] وسخّرنا له الشّياطين [كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ] بدل تفصيليّ من الشّياطين [وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ] قائلين [هَٰذَا] الّذي اعطيناك من الملك الّذي لم يكن لاحدٍ من البشر او هذا الاعطاء [عَطَاؤُنَا] عطيّتنا او اعطائنا [فَامْنُنْ] ما شئت لمن شئت [أَوْ أَمْسِكْ] ما شئت ممّن شئت [بِغَيْرِ حِسَابٍ] و تقديرٍ منك لما امننت وامسكت لوفور ما اعطيناك وعدم نقصانه باعطائك بغير حسابٍ وتقديرٍ او بغير مطالبتنا منك حساب ما اعطيت او امسكت لتفويض الامر اليك، عن الصّادق (ع) في قوله تعالى: هذا عطاؤنا (الآية) قال: اعطى سليمان (ع) ملكاً عظيماً ثمّ جرت هذه الآية في رسول الله (ص) فكان ان يعطي من شاء ما شاء و يمنع من شاء ماشاء واعطاه افضل ما اعطى سليمان (ع) لقوله: ما آتيكم الرّسول فخذوه و ما نهيكم عنه فانتهوا وقيل: للرّضا (ع) حقّاً علينا ان نسألكم؟ قال: نعم، قيل: حقّاً عليكم ان تجيبونا؟ قال: ذاك الينا ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل، ثمّ قرأ هذه الآية [وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ] رفع لتوهّم انّ درجات الآخرة والقرب من الله لعلّها تنا في هذا الملك العظيم في الدّنيا لانّ الدّنيا والآخره ضرّتان لاتجتمعان [وَحُسْنَ مَآبٍ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ] بدل من عبدنا بدل الاشتمال كما انّ ايّوب بدل منه بدل الكلّ والمعنى اذكر ايّوب (ع) وابتلاءه وشدّة بلائه ليكون تسلية لك عن ابتلائك فانّ الانبياء (ع) قلّما يكونون بلا بلاءٍ واذكر وقت التجائه الينا لشدّة بلائه ليكون اسوة لامّتك في ذلك حتّى يتذكّروا ذلك ويلتجؤا حين الاضطرار الينا ، واذكر اجابتنا له باحسن الاجابة حتّى تكونوا على رجاءٍ تامّ باجابتنا [أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ] النّصب بضمّ النّون وسكون الصّاد وضمّها او بفتح النّون وسكون الصّاد وفتحها التّعب، وقرئ بها جميعاً، و نسب العذاب الى الشّيطان تكرّماً وحياءً من نسبة السّوء الى الله، وقيل : كان الشّيطان يوسوس اليه و يقول: طال مرضك ولا يرحمك ربّك، وقيل: كان يقول: كنت في نعمة وولد واهل كذا، و وقعت الآن في بليّة كذا لعلّه بجزع ، وقيل : اشتدّ مرضه حتّى اجتنبه النّاس فوسوس الى النّاس ان يستقذروه و يخرجوه ولا يتركوا امرأته ان تدخل عليهم وكان ايّوب (ع) يتأذّى بذلك فشكا ذلك ولم يشك البليّة [ارْكُضْ] يعني اجبناه وقلنا: اركض [بِرِجْلِكَ] الارض فضرب برجله الارض فنبعت عينٌ فقلنا له [هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ] اي ما يغتسل فيه و ما يشرب منه ، والمقصود الامر بالاغتسال والشّرب منه فاغتسل وشرب و برء كأحسن ما يكون [وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ] الّذين هلكوا في اوّل ابتلائه [وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ] اي الّذين هلكوا من قبل ابتلائه وقد سبق في سورة الانبياء بيانٌ لنسبة ايّوب (ع) ونسبة امرأته وقد بيّن هناك مدّة ابتلائه وكيفيّة ابتلائه و بيان ايتاء اهله وكيفيّة ايتاء مثلهم معهم [رَحْمَةً مِنَّا] من غير استحقاقٍ

منه [وَذِكْرٰى] وتذكيراً [لِأُولِي الْأَلْبٰابِ] حتّى لايكونواعلى يأس منّا و يكونوا راجين رحمتنا حين سلب النّعمة منهم، وقد سبق مكرّراً انّ اللّبّ لايحصل للانسان الّا بتلقيح الولاية فانّ الانسان ما لم يحصل له الولاية بالشّروط المقرّرة عندهم يكون كاللّوز والجوز الخالى من اللّبّ اللّائق للنّار، وحصول الولاية للانسان مثل التّأبير للنّخلة يجعله ذا ثمر و ذالبّ فليس المراد باولى الالباب الّا شيعة علىّ (ع) الّذين حصل لهم ولايته بشروطها [وَخُذْ بِيَدِكَ] عطف على ار كض [ضِغْثًا] حزمة من خشب [فَاضْرِبْ بِهِ] زوجتك [وَلٰا تَحْنَثْ] قسمك وذلك انّه كما قيل: حلف بعد ما اخبر انّ زوجته اخذت فى الزّنا وقطعت ذؤابتها و رأى ذؤابتها مقطوعة ان يضر بها مائة وندم على ذلك بعد ما اخبرته انّها باعتها واخذت له طعاماً [إِنّٰا وَجَدْنٰاهُ صٰابِرًا] تعليل لاذ كر او لقلنا ار كض برجلك او لو هبنا له اهله اولو هبنا مثلهم معهم او لقلنا خذ بيدك ضغثاً او للمجموع او بيان لحاله فى جواب سؤال عن حاله [نِعْمَ الْعَبْدُ] ايّوب (ع) [إِنَّهُ أَوّٰابٌ] كثير الرّجوع شديد الرّجوع تامّ الرّجوع الى الله، عن الصّادق (ع) انّه سئل عن بليّة ايّوب (ع) الّتى ابتلى بها فى الدّنيا، لأىّ علّة كانت؟ قال: لنعمة انعم الله عزّ وجلّ عليه بها فى الدّنيا وادّى شكرها وكان فى ذلك الزّمان لايحجب ابليس عن دون العرش فلمّا صعد و رأى شكر نعمة ايّوب حسده ابليس فقال: يا ربّ انّ ايّوب لم يؤدّ اليك شكر هذه النّعمة الّا بما اعطيته من الدّنيا ولو حرمته دنياه ما ادّى اليك شكر نعمة ابداً، فسلّطنى على دنياه حتّى تعلم انّه لايؤدّى اليك شكر نعمة ابداً، فقيل له: قد سلّطتك على ماله و ولده، قال: فانحدر ابليس فلم يُبق له مالاً ولا ولداً الّا أعطبه(١)، فازداد ايّوب لله شكراً وحمداً، قال: فسلّطنى على زرعه، قال: قد فعلت، فجمع شياطينه فنفخ فيه فاحترق، فازداد ايّوب لله شكراً وحمداً، فقال: يا ربّ فسلّطنى على غنمه، فسلّطه على غنمه، فأهلكها، فازداد ايّوب شكراً وحمداً، فقال: يا ربّ سلّطنى على بدنه، فسلّطه على بدنه ما خلا عقله وعينيه، فنفخ فيه ابليس فصار قرحة واحدة من قرنه الى قدمه فبقى فى ذلك دهراً طويلاً يحمد الله و يشكره حتّى وقع فى بدنه الدّود، فكانت تخرج من بدنه فيردّها فيقول لها: ارجعى الى موضعك الّذى خلقك الله منه ونتن حتّى اخرجه اهل القرية من القرية والقوة فى المزبلة خارج القرية، وكانت امرأته رحمة بنت يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم تتصدّق من النّاس وتأتيه بما تجده، فلمّا طال عليه البلاء ورأى ابليس صبره اتى اصحاباً لايّوب كانوا رهباناً فى الجبال وقال: لهم مرّوا بنا الى هذا العبد المبتلى فنسأله عن بليّته، فركبوا بغالاً شهباً وجاؤا فلمّا دنوا منه نفرت بغالهم من نتن ريحه فنظر بعضهم الى بعض ثمّ مشوا اليه وكان فيهم شابّ حدث السّن فقعدوا اليه فقالوا: يا ايّوب لو اخبرتنا بذنبك لعلّ الله كان يملكنا اذا سألناه ومانرى ابتلاءك بهذا البلاء الّذى لم يبتل به احد الّا من امر كنت تستره، فقال ايّوب (ع): وعزّة ربّى انّه ليعلم انّى ما اكلت طعاماً الّا و يتيم اوضعيف يأكل معى، وما عرض لى امران كلاهما طاعة لله الّا اخذت بأشدّهما على بدنى، فقال الشّابّ: سوئةً لكم عيّرتم نبىّ الله حتّى اظهر من عبادة ربّه ما كان يسترها؟! فقال ايّوب (ع): يارب لو جلست مجلس الحكم منك لادليت بحجّتى، فبعث الله عزّ وجلّ اليه غمامة فقال: يا ايّوب ادل بحجّتك فقد اقعدتك مقعد الحكم، وها انا ذا قريب ولم ازل، فقال: ياربّ انّك لتعلم انّه لم يعرض لى امر ان قطّ كلاهما لك طاعة الّا اخذت بأشدّهما على نفسى الم احمدك؟ الم اشكرك؟ الم اسبّحك؟ قال فنودى من الغمامة بعشرة آلاف لسان: يا ايّوب من صيّرك تعبد الله والنّاس عنه غافلون؟ وتحمده وتسبّحه وتكبّره والنّاس عنه غافلون؟ اتمنّ على الله بما لله فيه المنّة عليك؟ـ قال: فاخذ التّراب فوضعه فى فيه ثمّ قال: لك العُتبى يا ربّ، انت فعلت ذلك بى، فانزل الله عليه ملكاً فركض برجله فخرج الماء فغسله بذلك الماء فعاد احسن ما كان واطرء، وانبت الله عليه روضة خضراء وردّ عليه اهله وماله وولده وزرعه وقعد معه الملك يحدّثه و يونسه فاقبلت امرأته معها

(١) عطب عطباواعتطب = هلك وأعطبه = أهلكه .

الكسرة فلمّا انتهت الى الموضع اذاً الموضع متغيّر و اذاً رجلان جالسان فبكت وصاحت وقالت: يا ايّوب ما دهى بك؟ فناداها ايّوب فاقبلت فلمّا رأته وقد ردّ الله عليه بدنه ونعمته سجدت لله عزّ وجلّ شكراً، فرأى ذؤابتها مقطوعة وذلك انّها سئلت ان يعطوها ما تحمله الى ايّوب من الطّعام وكانت حسنة الذّوائب فقالوا لها: تبيعيننا ذؤابتك هذه حتّى نعطيك، فقطعتها ودفعتها اليهم واخذت منهم طعاماً لايّوب فلمّا رآها مقطوعة الشّعر غضب وحلف عليها ان يضر بها مائة، فأخبرته انّه كان سببه كيت وكيت، فاغتمّ ايّوب من ذلك فأوحى الله عزّ وجلّ اليه: خذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث فأخذ عذقاً مشتملاً على مائة شمراخ فضربها ضربة واحدة فخرج من يمينه، قال: فردّ الله عليه اهله الّذين ماتوا قبل البلاء، وردّ عليه اهله الّذين ماتوا بعد ما اصابهم البلاء كلّهم، احياهم الله له فعاشوا معه وسئل ايّوب بعد ما عافاه الله: ايّ شيء كان اشدّ عليك ممّا عليك، فقال: شماتة الاعداء قال: فأمطر الله عليه في داره جراد الذّهب وكان يجمعه فكان اذا ذهبت الرّيح منه بشيء عدا خلفه فردّه فقال له جبرئيل: اما تشبع يا ايّوب؟- قال: ومن يشبع من رزق ربّه عزّ وجلّ. وعنه (ع) عن ابيه (ع) قال: انّ ايّوب ابتلي بغير ذنب سبع سنين وانّ الانبياء معصومون لا يذنبون ولا يزيغون ولا يرتكبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً، وقال: انّ ايّوب مع جميع ما ابتلي به لم تنتن له رائحة، ولا قبحت له صورة، ولا خرجت منه مدّة من دم ولا قيح، ولا استقذره احد رآه، ولا استوحش منه احد شاهده، ولا تدوّد شيء من جسده وهكذا يصنع الله عزّ وجلّ بجميع من يبتليه من انبيائه واوليائه المكرمين عليه وانّما اجتنبه النّاس لفقره وضعفه في ظاهر امره لجهلهم بماله عند ربّه تعالى من التّأييد والفرج وقد قال النّبيّ (ص): اعظم النّاس بلاء الانبياء ثمّ الاولياء ثمّ الامثل فالامثل، فانّما ابتلاه الله بالبلاء العظيم الّذي يهون معه على جميع النّاس لئلّا يدّعوا له معه الرّبوبيّة اذا شاهدوا ما اراد الله تعالى ذكره ان يوصله اليه من عظائم نعمه متى شاهدوه ليستدلّوا بذلك على انّ الثّواب من الله على ضربين استحقاق واختصاص، ولئلّا يحقّروا ضعيفاً لضعفه، ولا فقيراً لفقره، ولا مريضاً لمرضه، وليعلموا انّه يسقم من يشاء و يشفي من يشاء، متى شاء، كيف شاء، بايّ شيء شاء و يجعل ذلك عبرة لمن يشاء، وشقاوة لمن يشاء، وسعادة لمن يشاء، وهو عزّ وجلّ في جميع ذلك عدل في قضائه، وحكيم في افعاله، لا يفعل بعباده الّا الاصلح لهم ولا قوّة الّا بالله [وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرٰهِيمَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ] يعني انّهم كانوا صاحبي النّعم في الدّنيا وصاحبي البصيرة في امر الآخرة حتّى لا تنسى انت ولا امّتك حين النّعمة امر الآخرة و تجعلوا دنياكم مقدّمة لآخرتكم كما فعل هؤلاء [إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ] بسبب النّعمة [بِخَالِصَةٍ] بخصلة خالصة لنا [ذِكْرَى الدَّارِ] بدل من خالصة يعني بخالصة هي تذكّرهم دائماً لدار الآخرة او مفعول له تحصيليّ او حصوليّ اي اخلصناهم بعبادة خالصة لنا لذكرى الدّار الآخرة، واطلق الدّار اشعاراً بانّ الآخرة هي الدّار ومحلّ القرار لا الدّنيا فانّها معبر للاشرار والاخيار [وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ وَاذْكُرْ إِسْمٰعِيلَ] بن ابراهيم [وَالْيَسَعَ] قد مضى في سورة الانعام [وَذَا الْكِفْلِ] قد مضى في سورة الانبياء [وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ هٰذَا] المذكور من الانبياء واحوالهم [ذِكْرٌ] وعبرة لمن اراد الآخرة [وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ] سواء كانوا انبياء او لم يكونوا [جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ مُتَّكِئِينَ فِيهَا] كناية عن الاستراحة فيها [يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ] اي يدعون احبابهم الى فاكهة كثيرة او يدعون غلمانهم وجواريهم بسبب الاتيان بفاكهة كثيرة او يدعون نفس الفاكهة والشّراب فانّ امتعة الجنّة كلّها ذوات علم وشعور و تأتي بأنفسها الى طالبها، و زيادة الباء لتأكيد لصوق الدّعوة الى الفاكهة [وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ] عن غير ازواجهنّ [أَتْرَابٌ] لدات[1] لا عجوز فيهنّ ولا صبيّة لا يمكن الاستمتاع بها نقول نحن او ملائكتنا لهم: [هٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ إِنَّ هٰذَا لَرِزْقُنَا

---

(١) لِدات، جمع لِدَة وهو التّرب (بالفارسيّة، همسال)

مٰالَهُ مِنْ نَفٰادٍ] انقطاع [هٰذٰا وَاِنَّ لِلطّٰاغِينَ لَشَرَّ مَـآبٍ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهٰا فَبِئْسَ الْمِهٰادُ] فسّر الطّاغين ببني اميّة واوليائهم، وقد تكرّر انّ الاصل في كلّ شرّ وذي شرّ اعداء عليّ و بنواميّة ومن وافقهم ولذلك صحّ تفسير كلّ شرّ و ذي شرّ ذكر في القرآن بهم [هٰذٰا فَلْيَذُوقُوهُ] هذا مبتدء وليذوقوه خبره، والفاء زائدة، اومنصوب على شريطة التّفسير والفاء زائدة او منصوب بمضمر مثل المذكور والفاء غير زائدة، اومبتدء بتوهّم امّا او تقديره والفاء غير زائدة، اومبتدء خبره حميم وفليذوقوه معترضة، اوخبر مبتدء محذوف، اومبتدء خبر محذوف اي العذاب هذا اوهذا هو العذاب، اوالمعنى خذذا المذكور من كون شرّ المآب للطّاغين [حَمِيمٌ وَغَسّٰاقٌ] غسق الجرح غسقاناً سال منه ماء اصفر والمراد به ما سال من ابدان اهل النّار من الصّديد [وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ] عطف على حميم اومبتدء خبر محذوف اي لهم عذاب آخر من مثل هذا العذاب اومذوق آخر من مثل هذا المذوق، اومبتدء خبره [أَزْوٰاجٌ] اي عذاب آخر لهم من مثله ازواج اوخبر مبتدء ازواج والمعنى صنف آخر مثل هذا الصّنف ازواج لهذا الصّنف اوانواع مختلفة بحسب الباطن وقرئ اُخر على الجمع [هٰذٰا فَوْجٌ] جملة حاليّة اومستأنفة على تقدير القول [مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ] الاقتحام الدّخول في الشّدّة بنحو الشّدّة يعني يقال للرّؤساء اولبني اميّة: هذا السّواد اي المتبوعون او بنوالعبّاس فوج مقتحم معكم [لاٰ مَرْحَبًا بِهِمْ] جملة حاليّة او وصفيّة او مستأنفة جواباً لسؤال مقدّر اوللدّعاء عليهم من كلام الله اومن قول الرّؤساء للمتبوعين بتقدير القول [إِنَّهُمْ صٰالُوا النّٰارِ] تعليل وقيل: يقول بنواميّة: لامرحباً بهم [قٰالُوا] اي الاتباع للمتبوعين او بنوالعبّاس لبني اميّة [بَلْ أَنْتُمْ لاٰ مَرْحَبًا بِكُمْ] لاقدامكم اوّلاً على ما ادخلنا في النّار وكونكم في ذلك قدوة لنا [أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ] اي هذا العذاب او الدّخول في النّار اوهذا الدّعاء [لَنٰا] باقدامكم اوّلاً و بجعلنا اتباعكم [فَبِئْسَ الْقَرٰارُ] جهنّم [قٰالُوا] قيل: ثمّ يقول بنو اميّة [رَبَّنٰا مَنْ قَدَّمَ لَنٰا هٰذٰا فَزِدْهُ عَذٰابًا ضِعْفًا فِي النّٰارِ] لتأسيسهم ظلم آل محمّد(ص) واتّباعنا لهم في ذلك [وَقٰالُوا] اي الاتباع او بنوالعبّاس اوقال المتبوعون و بنواميّة اوالمجموع [مٰالَنٰا لاٰ نَرىٰ رِجٰالاً كُنّٰا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرٰارِ] قيل: ثمّ يقول اعداء آل محمّد(ص) ذلك والمراد شيعة اميرالمؤمنين(ع) [أَتَّخَذْنٰاهُمْ سِخْرِيًّا] قرئ بكسر الهمزة صفة اخرى لرجالاً، وقرئ بهمزة الاستفهام على الانكار التّوبيخيّ [أَمْ زٰاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصٰارُ] ام معادلة لقوله ما لنا لانرى كأنّهم قالوا ليسوا ههنا فلا نريهم ام كانو ههنا ولكن مالت ابصارنا عنهم فلا نريهم [إِنَّ ذٰلِكَ لَحَقٌّ] واقع [تَخٰاصُمُ أَهْلِ النّٰارِ] بدل من ذلك، عن الصّادق(ع) لقد ذكركم الله اذحكى عن عدوّكم في النّار بقوله و قالوا مالنا لانرى (الآية) قال والله ما عنى الله ولااراد بهذا غيركم صرتم عند اهل هذا العالم من اشرار النّاس وانتم والله في الجنّة تحبرون وفي النّار تطلبون، وروى اما والله لا يدخل النّار منكم اثنان، لا والله ولا واحد، والله انّكم الّذين قال الله تعالى و قالوا مالنا وفي رواية : اذا استقرّ اهل النّار في النّار يتفقّدونكم فلايرون منكم احداً فيقول بعضهم لبعض مالنا(الآية) وذلك قول الله تعالى انّ ذلك لحقّ تخاصم اهل النّار يتخاصمون فيكم كما كانوا يقولون في الدّنيا [قُلْ] للمشركين او للمنافقين من امّتك [إِنَّمٰا أَنَا مُنْذِرٌ] لست اجبركم على التّوحيد اوعلى ولاية عليّ(ع) [وَمٰا مِنْ إِلٰهٍ إِلاَّ اللّٰهُ الْوٰاحِدُ الْقَهّٰارُ] فلا حكم الّا له لقهّاريّته فلامعبود سواه فلست احكم بالخلافة من قبل نفسي ولا حكم لمن اشركتموه به [رَبُّ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَمٰا بَيْنَهُمٰا] فلا ربوبيّة لشركائكم في شيءٍ منها

ولاحكم لاحدٍ فى خلقه بنصب الخليفة من قبل نفسه [الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ قُلْ هُوَ] اى التّوحيد او ما انبأتكم به من ولاية علىّ(ع) وامامته كما فسّر فى الخبر بأمير المؤمنين (ع) وامامته [نَبَؤٌ عَظِيمٌ] لانّ الولاية هى النّبأ الّذى لانبأ الّا وهو نبأ منه ولا امر ولا نهى ولا رسالة ولا نبوّة ولا بشارة ولا انذار ولا وعد ولا وعيد الّا به وله [اَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ] والاعراض عنه اعراض عن اللّطيفة الانسانيّة وهى اللّطيفة الآلهيّة وهى ربّ كلّ مربوبٍ فى مقامه النّازل وهى اسم الرّبّ وهى العبوديّة الّتى كنهها الرّبوبيّة وهى الحبل من الله الّذى ضرب عليهم الذّلّة الّا به وبحبل من النّاس [مٰا كٰانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ] مقول قوله (ص) يعنى قل لهم ما كان لى علم ان سألوك عن الملأ الاعلى اونبّههم على انّ الملأ الاعلى الّذين لاالتفات لهم الى الارض واهلها يختصمون فى هذا النّبأ لسبب العلم باختصامهم عن نفسك وقل: ما كان لى من علم قليل [بِالْمَلَإِ الْأَعْلىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ] فى هذا النّبأ العظيم لعظم اختصامهم وعظم المختصم فيه كأنّه لايمكن للبشر العلم باختصامهم مع انّى قد اطّلعت على مقامهم وكلامهم [إِنْ يُوحىٰ إِلَيَّ إِلّاٰ اَنَّمٰا اَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ] قرئ بفتح همزة انّما بتقدير الّلام او بجعل الجملة فى موضع مرفوع يوحى ،وروى ابن عبّاس عن النّبىّ (ص) انّه قال: قال لى ربّى: اتدرى فيم يختصم الملأ الاعلى؟ـ فقلت :لا، قال: اختصموا فى الكفّارات والدّرجات فامّا الكفّارات فاسباغ الوضوء فى السّبرات، ونقل الاقدام الى الجماعات، وانتظار الصّلوة بعد الصّلوة، وامّا الدّرجات فافشاء السّلام، و اطعام الطّعام، والصّلوة باللّيل والنّاس نيام، وعليهذا يكون هذا الكلام على الحكاية بتقدير محذوف كأنّه قيل: قال لى ربّى: اتدرى فيم يختصم الملأ الاعلى؟ـ قلت: لاعلم لى (الى الآخر) وذكر فى خبر المعراج مضمون هذا الخبر ويجوز ان يكون المراد بالنّبأ العظيم خبر خلق آدم ويكون قوله ما كان لى من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون بمعنى اذ يختصمون فى خلق آدم (ع) ويكون قوله [إِذْ قٰالَ رَبُّكَ] متعلّقاً بيختصمون او بدلاً من اذ يختصمون واذ يختصمون ظرف لكان او بدل من الملأ الاعلى يعنى ما كان لى من علم بالملأ الاعلى بوقت قوله تعالى [لِلْمَلاٰئِكَةِ إِنِّي خٰالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ فَإِذٰا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سٰاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلاٰئِكَةُ كُلُّهُمْ اَجْمَعُونَ إِلاّٰ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكٰانَ مِنَ الْكٰافِرِينَ قٰالَ يٰا إِبْلِيسُ مٰا مَنَعَكَ اَنْ تَسْجُدَ لِمٰا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ اَسْتَكْبَرْتَ اَمْ كُنْتَ مِنَ الْعٰالِينَ قٰالَ اَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نٰارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ] قد مضى فى اوّل البقرة بيان تامّ لهذه الآيات وقد اشير الى بيانها فى سورة الاعراف ايضاً [قٰالَ فَاخْرُجْ مِنْهٰا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَاِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلىٰ يَوْمِ الدِّينِ قٰالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قٰالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ] قد مضى بيان هذه الآيات فى سورة الحجر [قٰالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ اَجْمَعِينَ إِلاّٰ عِبٰادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ قٰالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ] قرئ بنصب الحقّ فى كليهما، وعلى هذا يكون الحقّ الاوّل مفعول فعل محذوف اى فأحق الحقّ اوفالحقّ تقول، او يكون مفعولاً لاقول ويكون الحقّ الثّانى معطوفاً للتّأكيد او يكون مفعولاً لخذ محذوفاً بقرينة المقام، او يكون منصوباً بحذف حرف القسم، وقرئ برفع الاوّل ونصب الثّانى، وعليه يكون الحقّ الاوّل مبتدءً محذوف الخبر اى الحقّ مقول لى او مقول لك او يمينى او منّى، او يكون خبره جملة القسم المحذوف وجوابها فانّ الحقّ فى معنى الجملة ، او يكون الحقّ الاوّل خبراً محذوف المبتداء اى انا الحقّ او قولى الحقّ او قولك الحقّ، وقرئا مرفوعين على ان يكون الحقّ الاوّل على الوجوه السّابقة، ويكون الحقّ الثّانى مبتدءً واقول خبره

محذوف الضّمير او يكون تأكيداً للاوّل و اقول مستأنفاً او يكون الحقّ الاوّل مبتدء و اقول خبره و الحقّ الثّانى تأكيداً له ، و قرئا مجرورين على اضمار حرف القسم و قرئ بجرّ الاوّل و نصب الثّانى و وجهه ظاهر [لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ اَجْمَعِينَ قُلْ مٰا اَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ اَجْرٍ] استيناف خطاب لرفع وصمة الحرص عنه و للوعد والوعيد يعنى قل لكفّار مكّة: انّ ادّعائى هذا ان كان كذباً فلا يخلو ان اكون طالباً للدّنيا، وان كنت طالباً للدّنيا كان يظهر منّى بالتّلويح طلب مال منكم او طلب اعتبار و ما ظهر منّى الى الآن شيءٌ من ذلك، اوقل لهم: لا اسألكم عليه اجراً حتّى تتّهمونى بالطّمع فى اموالكم وتعرضوا عنّى [وَمٰا اَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ] ولو كنت كاذباً لكنت متكلّفاً لامحالة، اواخبار بانّه لايتكلّف فى شيءٍ من اموره لافى لباسه ولا فى غذائه ولا فى ضيافته ولا لاضيافه و اصحابه، والمراد بالضّمير المجرور التّبليغ اوالنّصح والتّذكير اوالقرآن [اِنْ هُوَ اِلّٰا ذِكْرٌ] تذكّر او شرف وصيت [لِلْعٰالَمِينَ] او المراد انّه ليس علىّ (ع) او تبليغ ولايته الّا ذكراً للعالمين [وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ] اى نبأ تبليغى او نبأ القرآن او نبأ علىٍّ (ع) وولايته [بَعْدَ حِينٍ] بعد الموت او يوم القيامة او يوم بدرٍ او بعد تمام سلطنتى و استكمالها .